

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

المكتبة

١٣١٥

بوقت الحكمة من إنشاء ومن بوقت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى « وثارا » كنار الطريق —

٣٠ جمادى الاولى ١٣٤٠ - ٨ الجدي (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢

فاتحة المجلد الثالث والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك اللهم على ما أسبغت علينا من نعمك الظاهرة في السراء، والباطنة
في الضراء، وأربتنا من آياتك في الآفاق بتنازع الباغين والطاغين وفشلهم، وفي
أنفسنا بالتأليف بين المستضعفين المؤذن بطفرهم، وأتممت النعمة بما أكلت
لنا قبل من الدين، واستخلفتنا في الأرض فجعلتنا أئمة وارثين، أذ جعلت لودها
لاهل العدل من عبادك الصالحين، ونصلي ونسلم على من بعثته خاتما للنبين،
محمد نبي الرحمة، الأمامي المعلم للكتاب والحكمة، وآله وعترته، وكل من فاز
بصحبه، الذين آمنوا وجاهدوا وهاجروا في سبيل الله والذين آووا
ونصروا، والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا وصبروا والذين جاءوا من

يَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ

أما بعد فإن المنار يبشر قراءه في فاتحة المجلد الثالث والعشرين ،
وخاتمة رابع قرن من جهاد منشئه في خدمة الشرق باصلاح حال المسلمين ،
وبعد انقضاء جيل من صيحة أساتذيه الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين ،
بأن ايل الذل والعبودية قد عسعس ، وصبغ العزة والحرية قد تنفس ، فقد
ذهب طور الترف والفسوق المهلك للامم ، والمفسد للحكومات والدول ،
وصرنا الى طور الشدائد المحصنة للقلوب ، المذكية لمصابيح العقول ، الموقدة
لنار الهمم ، المظهرة لاستعداد الامم ، بازالة الاحقاد ، وجمع الكلمة على الجهاد ،
(١:٢٩) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْكَاذِبِينَ (٢:٢١٤) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَسْتَكُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ
الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)
جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة ، وجمع
كلمة الامة ، بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن ، وما هدى اليه من سننه
المطرودة في أطوار الانسان ، عالمين أن هداية القلم واللسان ، لا يغيران
مارسوخ في القلوب والاذهان ، الا بقدر تربية كوارث أحداث الزمان ، وإنما
تغير أحوال الامم بتغير الاعمال ، التي تنبعث عما ثبت في الانفس من الافكار
وملكات الاخلاق ، (١٣:١٢) إِنْ أَلَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)
(٨:٥٤) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

﴿ يَا أَنْفُسَهُمْ وَأَنْ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

ألا وانه قد ابي الاوان ، للعمل بما أرشد اليه الامامان ، حتى كأنهما
كانا يخاطبان أهل هذا الزمان ، من أهل مصر والسودان ، وسائر
العرب والهند والترك والفرس والافغان ، فهاؤم اقرؤا بمض قواعدهما التي
نشرهما في الشرق ، في مثل هذا الشهر من السنة الاولى بعد ثلاثمائة والـف :
﴿ خفيت مذاهب الطامعين أزماناً ثم ظهرت ، بدأت على طرق ربما ﴾
﴿ لا تنكرها لانفس ثم التمرت ، أوغل الاقوياء من الامم في سيرهم بالضعفاء ﴾
﴿ حتى تجاوزوا ببداء الفكر ، وسحروا ألبابهم حتى أذهلوا عن أنفسهم ﴾
﴿ وخرجوا بهم عن محيط النظر ، وبلغوا بهم من الضيم حداً لا تحتمله ﴾
﴿ النفوس البشرية

﴿ ذهب أقوام الى ما يسوله الوهم ، ويغري به شيطان الخيال ، فظنوا ﴾
﴿ أن القوة الآلية وان قل عمالها ، يدوم لها السلطان على الكثرة العددية ﴾
﴿ وان اتفقت احادها ، بل زعموا أنه يمكن استهلاك اللحم الغفير ، في النذر ﴾
﴿ اليسير ، وهو زعم ياباه القياس ، بل يبطله البرهان ، فان تقلبت الحوادث ﴾
﴿ في الازمان البعيدة والقريبة ناطقة بأنه ان ساغ أن تشير قليلة العدد ﴾
﴿ فنيت في سواد أمة عظيمة ونسبت تلك العشرة اسمها ونسبتها فلم يحز ﴾
﴿ في زمن من الازمان اتحاد أمة أو ملة كبيرة بقوة أمة تماثلها في العدد أو ﴾
﴿ تكون منها على نسبة متقاربة وان بلغت القوة أقصى ما يمثله الخيال ﴾
﴿ والذي يحكم به العقل الصريح ، ويشهد به سير الاجتماع الانساني ﴾
﴿ من يوم علم تاريخه الى اليوم : أن الامم الكبيرة اذا عراها ضعف لا تراق ﴾
﴿ في الكلمة ، أو غفلة عن عافية لا تحمد ، أو ركون الى راحة لا تدوم ، ﴾
﴿ أو افتتان بنعيم يزول ، ثم صالت عليها قوة أجنبية أزعمتها ونهتها بعض ﴾

﴿ التنبية ، فاذا توالى عليها وخزات الحوادث وأقلقها آلامها فزعت الى ﴾
 ﴿ استبقاء الموجد ، ورد المفقود ، ولم يجد بدا من طلب النجاة من أي ﴾
 ﴿ سبيل ، وعند ذلك تحس بقوتها الحقيقية ، وهي ما تكون بالثام افرادها ، ﴾
 ﴿ والتحام آحادها ، وان الاطعام الالهي والاحساس القطري والتعليم ﴾
 ﴿ الشرعي - ترشدها الى أن لا حاجة لها الى ما وراء هذا الاتحاد ﴾
 ﴿ وهو أيسر شيء عليها ﴾

﴿ ان النفوس الانسانية وان بلغت من فساد الطبع والعادة ما بلغت ﴾
 ﴿ اذا كثر عييدها تحت جامعة معروفة لا تحمل الضيم الا الى حد يدخل ﴾
 ﴿ تحت الطاقة ويسعه الامكان ، فاذا تجاوز الاسطاعة كرت النفوس الى ﴾
 ﴿ قواها ، واستأسدت ذئبها ، وتتمر ثعلبها ، والتمست خلاصها ، ولن تعدم ﴾
 ﴿ عند الطلب رشادا ﴾

﴿ ربما تخطى مرة فتكون عليها الدائرة ، لكن ما يصيبها من زلة ﴾
 ﴿ الخطأ ، يلهمها تدارك ما فرط ، والاحتباس من الوقوع في مثله ، فتصيب ﴾
 ﴿ اخرى فيكون لها الظفر والغلبة ، وان الحركة التي تنبعث لدفع مالا ﴾
 ﴿ يطاق اذا قام بتدبيرها القيم عليها ومدبر لسيرها ، لا يكفي في توقف ﴾
 ﴿ سريانها أو محو آثارها قهر ذلك القيم ، واهلاك ذلك المدبر ، فان العلة ﴾
 ﴿ ما دامت موجودة لا تزال آثارها تصدر عنها ، فان ذهب قيم خلفه ﴾
 ﴿ آخر أوسع منه خبرة وأقصد بصيرة . نعم ، كن بتحقيق الأثر أو ازالته بإزالة ﴾
 ﴿ علته ورفع أسبابه ﴾

﴿ جرت عادة الامم أن تأنف من الخضوع لمن يباينها في الاخلاق ﴾
 ﴿ والمادات والمشارب وان لم يكافها بزائد عما كانت تدين به لمن هو على ﴾
 ﴿ شاكلتها فكيف بها اذا حملها ما لا طاقة لها به ؟ لا ريب أنها تستنكره ، ﴾

﴿ وان كانت تستكبره، وكما أنكرته بعدت عن الدليل اليه، وكما تباعدت منه ﴾
 ﴿ لجهة كونه غريبا تقرب بعضها من بعض، فمنذ ذلك تستصغره فتلفظه ﴾
 ﴿ كما تلفظ النواة، وما كان ذلك بغريب

﴿ ان مجاوزة الحد في تعميم الاعتداء تنسي الامم ما بينها من الاختلاف ﴾
 ﴿ في الجنسية والمشرّب، فترى الاتحاد يدفع ما يعمتها من الخطر، ألزم من ﴾
 ﴿ التحزب للجنس والمذهب، وفي هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة ﴾
 ﴿ البشرية الى الاتفاق أشد من دعوتها اليه للاشتراك في طلب المنفعة ﴾
 ﴿ أبعد هذا يأخذنا العجب اذا أحسبنا بحركة فكرية في أغلب أنحاء ﴾
 ﴿ المشرق في هذه الايام — كل يطلب خلاصا ويتغنى بنجاة وينتحل لذلك ﴾
 ﴿ من الوسائل والاسباب ما يصل اليه فكره على درجته من الجودة ﴾
 ﴿ والأفّن، وان العقلاء في كثير من أصقاعه يتفكرون في جعل القوى ﴾
 ﴿ المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟

﴿ بلى كان هذا أمرا ينتظره المشتبصر، وان عمي عنه الطامع، وليس ﴾
 ﴿ في الإمكان اقناع الطامعين بالبرهان، ولكن ما يأتي به الزمان من ﴾
 ﴿ عاداته في أدبائه، بل ما يجري به القضاء الالهي من سنة الله في خلقه، ﴾
 ﴿ سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون

﴿ بانع الاجعاف بالشرقيين غايته، ووصل العدوان فيهم نهايته، ﴾
 ﴿ وأدرك المتغلب منهم نكايته، خصوصاً في المسلمين منهم، قهرهم ماله انزلوا ﴾
 ﴿ عن عروشهم جوراً، وذوو حقوق في الامرة حرموا حقوقهم ظلماً، ﴾
 ﴿ وأعزاء باتوا أذلاء، وأجلاء أصبحوا حقراء، وأغنياء أمسوا فقراء، ﴾
 ﴿ وأصحاء أصبحوا سقاماء، وأسود تحولت أنعاماً، ولم تبق طبقة من الطبقات ﴾
 ﴿ الا وقد مسها الضر من إفراط الطامعين في لطماعهم فخصموا صكهم جزاء ﴾

﴿ هذه الحوادث التي بذرت بذورها في الاراضي المصرية من نحو خمس ﴾
 ﴿ سنوات بايدي ذوي المطامع فيها: جموا الى البلاد ما لا تعرفه فدهشت ﴾
 ﴿ عقولها، وشدوا عليها بما لا تألله فخارت ألبابها ، وألزموها ما ليس في ﴾
 ﴿ قدرتها فاستمصت عليه قواها، وخضدوا من شوكة الوازع تحت اسم ﴾
 ﴿ العدالة ليهيئوا بكل ذلك وسيلة لنبل المطمع، فكانت الحركة العرابية ﴾
 ﴿ المشواء فأتخذوها ذريعة لما كانوا له ملابسين، فاندفع بهم سيل المصاعب ﴾
 ﴿ بل طوفان المصائب على تلك البلاد ، وظنوا بلوغ الارب ولكن ﴾
 ﴿ أخطأ الظن وهموا بما لم يذلوا — الى ان قال —

﴿ ولو أنهم تركوا الامر من ذلك الوقت لاربابه، فوضوا تدارك ﴾
 ﴿ كل حادث للخبراء به ، والقادرين عليه العارفين بطريق مدافته ، ﴾
 ﴿ واقتاء فائده ، لحفظوا بذلك مصالحهم ، ونالوا ما كانوا يشتهون من ﴾
 ﴿ المنافع الوافرة ، بدون أن تزل لهم قدم ، أو ينكس لهم علم ﴾
 ﴿ غير أنهم ركبوا الشطط وغرم ما وجدوا من تفرق الكلمة ﴾
 ﴿ وتشتت الاهواء وهو أفتد عوامهم وأقتلها ، وما علموا أنه وان كان ﴾
 ﴿ خريع الفتك إلا أنه سريع العطب، وما أسرع أن يتحول عند اشتداد ﴾
 ﴿ الخطوب الى عامل وحدة يسدد لقلوب المعتدين، فان بلاء الجور اذا ﴾
 ﴿ حل بشر من الامة وعوفي منه بافيا كانت سلامة لبعض تعزية للمصابين ﴾
 ﴿ وحجاب غفلة للمسلمين، يحول بينهم وبين الاحساس بما اصاب اخوانهم ﴾
 ﴿ أما اذا عم الضرر، فلا محالة يحيط بهم الضجر ، ويمز عليهم الصبر ، ﴾
 ﴿ فيندفعون الى ما فيه خيرهم، ولا خير فيه لغيرهم

﴿ ان الفجيمة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة، وحدثت أحزانا ﴾

﴿ لم تكن في الحسبان، وسري الالم في أرواح المسلمين سريان الاعتقاد في ﴾

﴿ مداركهم ، وهم من تذكّار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ﴾
 ﴿ ولا نأمن أن يصير التنفس زفيراً ، بل . . . بل يكون صائخة تمزق ﴾
 ﴿ مسامع من أصممه الطمع .

﴿ ان اولى المتغلبين بالاحتراس من هذه العواقب جيل من الناس ﴾
 ﴿ لا كتاب له في فتوحاته الا المداواة ، ولا في القيسوقها للاستعلاء سوى ﴾
 ﴿ المحاباة ، ولا اسنة يحفظ بها ما تمتد اليه يده الا المراضاة ، يظهر بصور ﴾
 ﴿ مختلفة الالوان ، متقاربة الاشكال ، كحافظ عروش الملوك والمدافع عن ﴾
 ﴿ ممالكهم ، ومثبت مراكز الامراء ، ومسكن الفتن ، ومخلص الحكومات ﴾
 ﴿ من غوائل المصيان ، وواقى مصالح المغلوبين ، فكان اول ما يجب عليه ﴾
 ﴿ ملاحظته في سيره هذا أن لا يأتي من أعماله بما يهتك هذا السر الرقيق ﴾
 ﴿ الذي يكفي لتمزيقه رجم البصر ، وكر النظر ، وأن يتحاشى العنف مع أمة ﴾
 ﴿ يشهد تاريخها بأنها اذا خنقت خنقت ، وليس له أن يغتر بمدم مكنهم وهو ﴾
 ﴿ يعلم أن الكلمة اذا اتحدت لا تعوزها الوسائط ، ولا يعدم المتحدون قويا ﴾
 ﴿ شديد البأس يساعدهم بما يلزمهم لترويج سياسته ، وان المغيظ لا يبالي ﴾
 ﴿ في الايقاع بمنائيه أسلم او عطب ، فهو يضر ليضر ، وان مسه الضر ... ﴾
 ﴿ ان الرزايا الاخيرة التي حلت بأهم مواقع الشرق جددت الروابط ، ﴾
 ﴿ وقاربت بين الاقطار المتباعدة بمحدودها ، المتصلة بجامة الاعتقاد بين ﴾
 ﴿ ساكنيها ، فأيقظت افكار العملاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة ﴾
 ﴿ امرهم ، مع ملاحظة الدلل التي أدت بهم الى ملهم فيه ، فتقاربوا في ﴾
 ﴿ النظر ، وتواصلوا في طلب الحق ، وعمدوا الى معالجة طلل الضعف ، ﴾
 ﴿ راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ، ومؤملين أن تمهد لهم ﴾
 ﴿ الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية الدين والشرف ، ولذوق الحاضر ﴾

﴿ منها لنهزّة تغنم، واليهما بسطوا أكنفهم، ولا يخالونها نفوتهم، ولئن فاتت ﴾
﴿ فكم في الغيب من مثلها وإلى الله عاقبة الأمور .

﴿ تألفت. عصابات خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجليل في عدة أقطار ﴾

﴿ خصوصاً البلاد الهندية والمصرية، وطفقة وابتعدهم أسباب النجاح من ﴾

﴿ كل وجه، ويوحدون كلمة الحق في كل صقع، لا ينون في السعي ولا يتصرفون ﴾

﴿ في الجهد، ولو أفضي بهم ذلك إلى أقصى ما يشفق منه حي على حياته الخ ﴾

هذا بعض ما نشره يومئذ ذانكم الامامان الحكيمان . ولو كان الشرق

مستعداً له في زمنهما كما استعداده في هذا الزمان، لما رسخ قدم الاحتلال في مصر

والسودان، ولما كان الشرق على غير ما هو عليه الآن. وحسبهما أنهما هما

السابقان، والموقطان المرشدان، وإن زعيم مصر اليوم ليفتخر بأنهما هما

الريان لعقله وأراته، ويشهد بأنهما هما النافخان لروح الوطنية في قومه

وأمتهم، كما يفخر المنار بأنه المحي لذكرهما، والناشر لدعوتيهما، والمقفي

على آثارهما، ونسأله تعالى أن يتم لهذه الأمة، ما ظهرت أوائل فضله به

من جمع السكامة، ويكمل خلقها، ما صدق به وعد سلفاء، بأن يستخلفهم

في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم بجعلهم من الصالحين، (وتُرِيدُ

أنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلَهُم الْوَارِثِينَ)

منشيء المنار ومحرره محمد رشيد رضا

(الدعوة إلى انتقاد المنار والنصيحة له)

نذكر قراء المنار في جميع الاقطار بما جرينا على مطالبته به في رأس كل عام — أن يذكرنا بما عسى أن يروه من الخطأ فيه سواء كان ذلك في المسائل الدينية والعلمية أو في مصلحة الأمة، ونعدهم بنشر ما يتفضلون بكتابته إلينا ملتزمين فيه لشروطنا، فإنا لا نكتب إلا ما نرى أنه الحق وإن فيه المصلحة، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم

فتاوى المنار

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمن الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أبجينا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

سؤال عن الاسترقاق المهود في هذا الزمان

(س ١) من احد القراء في سنخافورة نشرناه بنصه وغلطه :

ما قول علماء الاسلام أدام الله بهم النفع للخاص والعام فيما يتعاطاه اهالي بعض الجهات وذلك أن احدهم يأخذ من احد الشينة وهم مشركون بنته الصغيرة بشمن قريبها ثم يتسراها أو يبيعها الى آخر مثلا ويستولدها فهل يجوز ذلك والحال أن حكومة تلك الجهة كافرة تمنع ذلك وتعاقب عليه بفرض ثبوته لديها لمنعها بيع الرقيق والفاعل لذلك انما يفعله بخفية وبصورة استخدام ومتى خرجت تلك البنت من عنده وامتنعت منه لا يقدر هو ولا غيره على ردها بحمل — أو لا يجوز ذلك أو يكون مجرد شراها من والدها أو والدتها استيلاء تملك بها فيجوز تسريها وبيعها ؟ وان كان الحال ما ذكر واذا قلتم بالملك فهل يختص بها المشتري أو يسلك بها مسلك التقي ؟ أفيدوا فان المسألة واقعة ولا يتخفى منا يترتب عليها من هتك الابضاع وضياع الانساب وقد استشكل ذلك بعض طلبة العلم وفهم بديهية أن مجرد الشراء والحال ما ذكر لا يملك به لان المملك هو الاستيلاء لا الشراء كما نص عليه ومن لا يقدر على قهره ليس مستولى عليه ، فالاستول من اهل العلم توضيح هذه المسئلة بما فيها من خلاف وأقوال بما يطلع الكاتب مذهبيا كان غيره وفي أنه هل يختص بها المشتري فلا يجب عليه تخميسها أو لا يجب ؟ فلعل شيئا من الاقوال يحمل من وقع في شيء من ذلك أفيدونا وأوضحوا ويبنوا فان المسئلة وقع فيها كثير من الناس وخرجت منها الصدور

وماذا يكون الحكم في الاولاد من هذا الوطاء لو قيل بفساد وجه التملك لا
عندكم المسلمون

(ج) ليعلم المسلمون في سنغافورة وفي سائر بلاد الاسلام ان الله تعالى خلق
البشر احراراً وان الحرية حق لكل فرد ولكل جماعة أو شعب منهم بفطرة الله
وشرعه كما كتب الفاروق رضي الله عنه الى عمرو بن العاص لما بلغه أن ابنه ضرب
غلاماً قبطياً « يا عمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » وان
الرق كان عادة اجتماعية عمت بها البلوى حتى كانت تكون في بعض الاحيان من
الضروريات التي تختل بدونها بعض المصالح العامة . وكان العرف بين الامم والدول
أن الدولة الظافرة في الحرب تملك الرقاب كما تملك الاعيان مما تستولي عليه

فلما جاء الاصلاح الاسلامي فتحت أبواباً كثيرة لتحرير الرقيق ولم يحرم
الاسترقاق من اول الامر تحريماً قطعياً لئلا يكون المسلمون وحدثهم عرضة
للاسترقاق اذا غلبوا في الحرب وهذه علة صحيحة كنا غافلين عنها فهذا امر
لا يمكن ابطاله الابتواطؤ بين الامم ولا سيما الحرية منها كما جرى أهل هذا
العصر ووافقهم عليه الدولة العثمانية لانه من مقاصد الشرع لا من محظوراته —
ولان البشر يشق عليهم ابطال العادات الراسخة دفعة واحدة ولا سيما اذا كانت
مصالحهم مشتبكة بها ولأن بعض الرق كان يكون لمصلحة الارقاء في بعض
الاحوال كأن يقتل رجال قبيلة ويبقى النساء والاطفال لا ملجأ لهم ولا مائل ،
وقلما يقيم مثل هذا في زماننا لان شؤون العمران فيه قد تبدلت ، والذي عليه
فقهاء المذاهب المعروفة كلها ان الاسترقاق للسبي والاسرى جائز لا واجب ولا
مندوب لذاته لانه ضرورة كالحرب نفسها وانه مفوض الى الامام الاعظم - يعمل
فيه وفيما يقابله بما يرى فيه المصلحة بمشاورة أهل الحل والقعد ويشترط فيه ان
يكون في حرب شرعية مبنية على تبليغ دعوة الاسلام وحمايتها وحفظ بلاد
المسلمين بالشروط المعروفة في كتب الفقه ، ويقابله المن على من ذكر أي اطلاقهم
بدون مقابل أو فداء أسرى المسلمين عند قومهم بهم ، وهذا مقدم على غيره عند
التعارض بالضرورة على خلاف فيه وفي قتل الاسرى . وقد خير الله رسوله (ص)
في هذين الامرين الاخيرين بنسورة القتال ولم يذكر الاسترقاق فقال (فايما منا بعد
ولا فداء) وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من مجلدات المنار السابقة
كالرد على خطبة لورد كرومر والشهيرة وغيره

فعلم من هذا أن ما يجري عليه الناس من اغتصاب بعض أولاد الزوج أو « الشينة » الصينيين أو الجركس أو شرائهم من آبائهم وأوليائهم لا يعد استرقاقاً شرعياً فلا تملك به الأعيان ولا الابضاع وإن التسري بالمقصوبة أو المشتراة من والدها أو غيره حرام وأهون ما يقال في فاعله جاهلاً حكم الشرع فيه أن وطأه وطء شبهة وولده منها ولد شبهة وإلا فهو زنا ظاهر ، لا يستعله أحد يؤمن بالله واليوم والآخرة

وما ذكر في السؤال عن بعض طلبه العلم من أن سبب الملك هو الاستيلاء دون مجرد الشراء لا محل له في النوازل المسؤول عنها فان شرط كون الاستيلاء الصحيح مملوكاً قابلية المحل للملك وهو الحربي المترك الذي يسبى بالحرب الدينية بعد إباء الاسلام والجزية وبعد ترجيح امام المسلمين لاسترقاقه كما تقدم فبهنا يختلف الفقهاء في حقيقة الاستيلاء الملك هل يشترط فيه دار الاسلام ام يحصل بالحيازة في دار الحرب ، وقد صرح الفقهاء بعدم جواز بيع الكافر لأولاده في دار الحرب ولا في دار الاسلام

وانا لنعجب ممن يهتم بأمر الابضاع والانساب والحلال والحرام ثم يصر على اتباع شهوته في الاستمتاع بهؤلاء الخرائ من السود او الصفر او البيض ويسأل عن نواذر الخلاف بين الفقهاء وشواذ الأقوال ليجد لنفسه عذراً لبقائه على ضلاله ؛ ألا فليتبوبوا الى الله تعالى وليتركوا هذه الرذيلة وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ مسيح الهند ﴾

(س ٢) من أحد القراء في زنجبار

نكتب ملخص هذا السؤال لكثرة الغلط في عبارته لغة وإملاء وإعراباً وهو أن الدعوة الى مسيح الهند غلام أحمد القادياني قد بثت في زنجبار بأنه « النبي المسيح المهدي » وان مذهب أتباعه ودعاته هو مذهب خوجه كمال الدين الذي في لندن والامامين جمال الدين الافغانى ومحمد عبده. ويقول السائل إنهم قد غشوا الناس بهذه الاسماء وصار الناس بالمجادلات حزينين أحدهما مصدق والآخر مكذب ، وسألنا هل عندنا كتاب في الرد عليهم فنرسله اليه ؟ وقد أرسل الينا صورة القادياني التي يوزعونها هناك

(ج) إن غلام أحمد القادياني قد ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وأن الله تعالى قد أوحى إليه بذلك وأن البسمة تدل بلفظ الرحمن الرحيم على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله وأن غلام أحمد القادياني هو المسيح عيسى بن مريم ، وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد ، وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن ، على أنها كثيرة السخف والغلط والهذيان ، وبكتاب في تفسير الفاتحة سماه (إعجاز أحمد) وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها اللفاظ بحقيقتها ولا بضرب من ضروب المجاز ولا الكناية بل هي دعاو باطلة كادعاء دلالة البسمة على نبوة محمد (ص) ومسيحيته ، وكان يتأول الأحاديث الواردة في نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء في الشام وبكونه يقتل الدجال ويفعل كيت وكيت أو يردّها بزعم أنها مخالفة للقرآن ، والقرآن لا يدل عليه بل ولا على نزول المسيح عيسى بن مريم أيضاً كما بيناه في المنار من قبل . والآيتان اللتان استدل بهما بعضهم على ذلك ليستا نصاً — ولا ظاهراً فيه —

فأما قوله تعالى في المسيح (٤ : ١٧) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) فإنه لا يدل على ما ذهب إليه بعضهم في تأويل الآية إلا بتكلف بعيد لا مسوغ له كما بيناه في تفسيرها (١) وأما قوله تعالى (٤٣ : ٦١) وأنه لعلم الساعة فلا تفترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) بعد قوله عز وجل (٤٣ : ٥٧) ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ٥٨ وقالوا آلأهتنا خير أم هو ؟ ما ضربه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ففي مرجع الضمير في قوله (وإنه لعلم الساعة) وجهان ذكرهما المفسرون (أحدهما) أنه القرآن فإنه ذكر أولاً رساله موسى ثم رسالة عيسى لاجل الاستدلال بهما على رسالة محمد (عليهم الصلاة والسلام) وصدق القرآن (ثانيهما) أنه عيسى عليه السلام وقد ذكروا لكونه علماً للساعة وجوهاً أظهرها أنه إحياءه لبعض الموتى وحياة صورة الطير من الطين بنفخه فيها فإنه دليل يعلم به أن البعث ممكن تتعلق به قدرة الله تعالى وتواقع بتأييده تعالى لعيسى وجعل أحياء الميت وحياة الجماد من آياته الدالة على رسالته . وقد أوضحنا هذا في المنار من قبل

وقد رد عليه كثير من علماء الهند وناظروه ففندوا دعوته ورددنا عليه في المجلد الثالث والمجلد الخامس من المنار وترجت ردنا عليه الجرائد الهندية في حياته فساءه ذلك وآلمه حتى جملة على تأليف كتاب في شتمنا وتهديدنا يضحك الشكلى ، سماه (الهدى ، والتبصرة لمن يرى) فانه خلط فيه الهزل بالجد ، وجمع بين الدم والمدح ، ولم يخل من المجون ، ووحى شياطين الجنون ، ومما توعدني به فيه زاعماً أنه قاله بالوحي قوله بعد كلام ، « وعمد أن يؤلمني ويفضخني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع وألقى وجوده في الآلام ، ووطئني كالخصي ، واستوقد نار الفتنة ونحسى ، (١) وقال ما قال وما أمعن كأولي النهي ، — الى أن قال — سيهزم فلا يرى ، نبأ من الله الذي يعلم السرو أخفى » الخ (٢) ولو قدر الله تعالى جمل وفاتماً أو نكبة تقم بنا أو بالمنار بعد صدور كتابه هذا لادعى هو وأتباعه أنها مصداق دعواه ، ولكن الله لم يزدنا الا صحة وقوة وحجة ، ولم يزد المنار بفضله الا تأييداً وانتشاراً وقبول كلمة ، اذ رددنا عليه بعد هذا عدة مرات ، فكان هو المهزم الى أن مات

ولكن كان من الغريب أن أتباعه قدموا على المناظرة والجدل فانصرف أناس منهم الى الدعوة الى الاسلام في الهند وانكثرت الولايات المتحدة الاميركية ، وما أعرف لهم بدعة غير هذه الضلالة الوهمية ، التي زاحموا بها البائية البهائية ، ولو تركوها للقي دعائهم للاسلام مساعدة وتعزيماً من جميع المسلمين ، وما أدري أي فائدة يطلبون باصرارهم عليها ، فانهم ليسوا كالبهائية الذين اخترع دعائهم ديناً جديداً ملفقاً أصابوا به مجداً وعظمة باقرار من اشربت قلوبهم الوثنية بأن البهاء الهيم وربهم حتى أن خليفته وابنه ، الذي فعل في تأسيس هذا الدين ما عجز قبله أبوه عن مثله ، قد لقب نفسه بعبد البهاء

وكنت أظن أن هؤلاء القاديانية قد رجعوا عن هذه الدعوى الخرافية حتى اذا ما زرت الهند جاءني وفد منهم للاسلام علي في (لكهنؤ) ودعوني الى زيارة بلدهم. فعلمت منهم أنهم لا يزالون على غرورهم ؛ ولم يتسع الوقت لاختبارهم التام بزيارة بلدهم ، ولا يبعد أن يكون خوجة كمال الدين منهم فانه ليس من كبار العلماء الاعلام ، وحاشا حكيم الاسلام والاستاذ الامام ، أن يكونا من اهل هذه الاوهام

(١) حضاً الزبالهمز وحشاهما بمحسوها بالوار اذا حركها الشتمل ، واستعمالها هو بالياء

(٢) يراجع من ٣١٧ - ٣٢٠ من مجلد المنار الخامس من ١٢٩٠٠

﴿ اشكال في بيت من الشعر ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في لنجة (في خليج فارس) في ١٠ ربيع الاول ١٣٤٠
حضرة العلامة المفضل الاستاذ الامام المصلح الفهامة السيد محمد رشيد
رضا منشئ مجلة المنار لا زال مفيداً للاسلام ومعيداً للانام ، المرجو بيان
اعراب هذا البيت فقد وصلنا اليه في الاثموني في المدرسة الرحمانية وعجزنا
عنه لأن اعرابه ينافي معناه وبالعكس فسألنا حضرة الوالد خليفكم عنه فادعى
أن فيه تحريفاً ولم تقتنع فصدعنا حضرتكم لتزيلوا الاشكال ولم تزالوا كذلك
(وكائن في الاباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا)

وقد راجعنا المواد التي عندنا كالصبان وحاشية ابن سعيد وشرح شواهد الرضي
وشرح العيني وشرح شواهد المغني فلم نجد ما يشفي العليل ويعافي الغليل والمرجو أن
تشرقوني بالجواب فنحن من المحسوين ولم يزل حضرة الوالد يحثنا على ذلك
من أسير احسانكم - محمد بن عبد الرحمن سلطان العلماء بلنجة

(ج) إذا كنتم لم تطلعوا على ما قاله ابن هشام في رواية البيت ووجوه
اعراب الرواية المشكلة من المغني فالمعجب منكم كيف راجعتم فيما عندكم من
الكتب شرح شواهد المغني ولم تراجعوا المغني نفسه أولاً، وإذا كنتم قد اطلعتم
على ما في المغني - ورأيت فيه أن في البيت روايتين وما ذكره في اعراب الرواية المشكلة
- فالمعجب منكم كيف لم تكتفوا بما فيه وما بعده قول لقائل؟ والختار عندنا في
البيت أن الرواية التي غني بنقلها النحاة ليشرحوا قرائنهم باعرابها غير صحيحة
بل هي من تحريف بعض الرواة وفاقاً لدوق والدكم السليم وان الرواية الصحيحة
وكائن بالاباطح من صديق يراه إن أصبت هو المصابا

أي إن أصبت أنا يرى أنه هو المصاب لأنه بصدق وده، أنزلي منه منزلة
نفسه، وما ينبغي لمن علم بنقل الروايتين أن يعرض عن الواضحة، ويضيق الوقت
النفيس في الرواية المشكلة، التي لا يمكن تطبيقها على القواعد وفهم معنى صحيح
لها الا بتكلف الاحتمالات البعيدة التي ذكرها من وقفوا أعمارهم لاستقصاء
أمثالها من الاغلاط أو الشواذ لاجل الاحاطة بفروع فن النحو ونوادره،
وتقييد أوابده وشوارده،

وقد أورد صاحب المغني البيت في الكلام على (شرح حال الضمير المسي
فصلاً وعماداً وهو في الباب الرابع (ص ١٠٥ ج ٢)

العلم الحقيقية لسعادة الانسان *

لسيدنا آية العصر ، وسر حكمة الدهر ، ودررة تاج الحكماء . وواسطة عقد البلغاء ، من لا تستوجب وصفه الاقلام وما نسقت ، والطروس وما وسقت ، استاذنا الاكبر ، الفيلسوف الاشهر ، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله

ان الممكن بالامكان الخاص (وهو الذي لا يلزم من وجوده ولا من عدمه مجال) يكون وجوده بوجود علته وعدمه لعدمها ، ولا ريب في أن السعادة من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص ، وانها العلم الغائية لحركة كل فرد من أفراد الانسان حسية كانت تلك الحركة أو معنوية ، اذ لو لوحظت مساعيه أثناء الليل وأطراف النهار ، وأخذ بوسائل الحرف من زراعة وصناعة وتجارة ، وجد في تحصيل العلوم والفنون ، وارتكابه المصاعب ، في نيل المراتب والمناصب ، لما وجد لها من باعث أو داع سوى طلب السعادة ، مع أنك لا تجد من نالها أو دنا منها ولم تنقل في مراتب الشؤون وتقلب في درجات التطورات ، وما ذلك الا لم يتم تحقق علتها ، فعلمنا أن نبعد عن تلك العلم وعن الاسباب التي أوجبت عدم تحققها ، حتى يبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول : ان بين السعادة والصحة شيئا كليا ، فكما أن صحة الجسم هي نتيجة ومعلولة للتناسب الطبيعي بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه وكما الاعتدال فيما تكونت عنه تلك الاعضاء وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان والمكان والمطعم والمشرب والملابس فيكون زوالها لزوال هذه الامور كلها أو بعضها — كذلك سعادة الانسان هي معلولة للتناسب الحقيقي في الاجتماعات المنزلية وقيام كل من أركان المنزل بأداء وظيفته ، وللتعادل التام في الائتلافات المدنية بأن تكون المدينة فيها من الحرف

* (هذا الاثر النفيس لاستاذنا موقظ الشرق رحمه الله تعالى كان فاتحة لكتاب (البيان في الانكيز والافنان) الذي كان مما أملاه حكيمنا ونشر في جريدة (مصر) التي أصدرها بأمره الاديان السوربان الشهيران سليم النقاش وأديب اسحق وكانت لسان حاله ومظهر آرائه وأقواله ثم طبع ذلك في كتاب مستقل بمطبعة جريدة مصر بالاسكندرية سنة ١٨٧٨ وكتب تحت الاسم هذه العبارة : « لسيدنا آية الحكمة ، مجي الجلال والجلال ، ومظهر محاسن الكمال ، استاذنا الفيلسوف الطاهر الارومة ، النسيب ابن النسيب ، السيد جمال الدين الافغاني أعزه الله » وقد كان لفقالات « البيان » المذكورة تأثير في الامة البريطانية حتى ردت عليها جرائدها فرد هو عليها رداه صفت به بمظلم شأنه وكان ذلك السبب الاول لمحنة اسمه في أوروبا

والصنائع ما يكفيها مؤنة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها مع حسن التعامل بين أرباب تلك الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل تساوى فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباطات العادلة بين الدول بأن تقف كل دولة عند حدها ، ولا تتعدى على حقوق غيرها ، وأن يمهّد سبل التواصل بينها وبين باقي الدول لكمال التعاون والتوازن بين نوع الانسان وانتفاع كل من الآخر ، فيكون حصولها على السعادة بمحصل تلك الامور وفقدانها لفقد جميعها أو بعضها

وهذه الامور وان كانت ممكنة الحصول وجد الناس في التماسها ما استطاعوا الا أن هناك مانعا من الوصول اليها وهو اعتقاد كل كمال نفسه ونقص غيره ، ونظره الى أفعاله بعين الرضى والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ولا أخل بشيء من واجباته وشؤونه ، ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه في العالم الانساني ؛ ويتمحل لاثبات ذلك بما تسوله له نفسه من الحجج والبراهين ، وان أصابه العناء ، ونزل به الشقاء ، حسبها من تهاون الغير فيما يلزمه وإهماله ما يجب عليه ، مبرئ نفسه من أسباب ذلك ، حتى لو أغفل شأنًا من شؤونه يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان وتعدّر عليه القيام به ، ولو انتهك محظوراً من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه وإنما الضرورة هي التي ساقته الى ارتكابه فهو مجبور لا مختار ، مع أنه لا يلتبس للغير عذراً فيما يفوته أو يقيم منه ولو كان في نفس الامر مجبوراً . ومن ثم وقع التضارب في الآراء والتدافع في الافعال والحركات ، وعمل كل على تقيض الآخر ، فارتفع التناسب والعدم التعادل وذهب الارتباط

أنظر الى حال الآباء مع الابناء والسادات مع الخدمة ، كيف أن كلا منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل حركته من مشهات حركات الآخر يخالفه في أفعاله ويضاده في آرائه ، معتقداً أنه لو لم يقصر ذلك الآخر في اداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت الراحة المنزلية وارتفع العناء — والى حال المشتركين في المدينة فان كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصنعة وتهذيبها وحسن التعامل وكف يد الشره والحياة وضبط العهود والمواثيق واجتناب الكذب والاعتصام بحبل الصدق والوفاء لا يرى نفسه بخلا بشيء من ذلك وان اخل بجميعه ، ويزعم أن زوال

السعادة المدنية إنما جاء من تهاون الآخريين
وتدبر حال الملوك مع رعاياها ترى كلا منهما يرمي الآخر بالاغراق وعدم
الاعتدال ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ويرى نفسه من نسبة شيء
من ذلك إليها .

فالملوك فضلاً عما رسخ في نفوسهم من أن رتبتهن الملكية ، إنما هي رتبة
سماوية ساقتها إليهم يد العناية الإلهية ، بسبب طيب عنصرهم ، وطهارة طينتهم ،
يعتقدون أن لا قوام للرعية بدون وجودهم ، وأن لا غنى لها عنهم ، إذ هم
يحفظون أموالها ، ويحفظون دماءها ، ويوفون لكل ذي حق حقه ، وينتقمون
للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغور لدفع ضرر المهاجرين ، فيرون أن لهم بذلك
حق التصرف في أموال الرعية ودمائها ، وأنه يجب عليها طاعتهم ، والخضوع
لسطوتهم وسلطتهم ، وامتنال أوامرهم واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية
بالتقصير فيما يجب عليها .

والرعايا يخاطبونهم قائلين لا مزية لكم علينا كما زعمتم ، ولستم أظهر عنصراً ،
ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناساً استولى عليكم حب الرئاسة وأسرتكم الشهوة
واستعبدكم الهوى ، فاستمالكم إلى سلب راحتكم وراحة رعاياكم حرصاً على التغلب
وطمعاً في توسيع دائرة السلطة وكسب الافتخار میناً ، وأما اعتقادكم أن لا
قوام لنا إلا بكم فإني لكم صدق هذا الاعتقاد وقد أصبحتم كلا على كواهلنا :
نحن نخرس ونحرق ، ونغزل ونحوك ، ونفصل ونخيط ، ونبنى ونشيد ، ونخترع
الصنائع ، ونفغن في المعارف ، وأنتم تأتون وتشربون ، وتلبسون وتسكنون ،
وتتمتعون بلذة الراحة . وأما ما تعلمتم به من حفظ أموالنا وحقق دماءنا إلى
آخر ما ادعيتم فذلك إنما نشأ عن العظمة والكبرياء اللذين ثبتت أصولهما في
نفوسكم ، أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو منا ، وإن الحافظ والحاقن
والمنتقم إنما هو القانون والشرعية الحققة ، وما أنتم إلا منوطون بحفظها ، والعمل
في الناس بها ، فان قتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا ما يقوم أودكم ،
فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا وتمبثوا بدمائنا وتلقوا بنا في هاوية الشقاوة ،
ثم تبتغوا طاعتنا وامتنالنا ، وترموننا بالتقصير والتهاون فيما وجب علينا

وذلك الذي ذكرناه فيما إذا لم يكن الملوك من المتغلبين المباينين للرعايا جنساً
ومشرباً ، وأما المتغلبون من الملوك والمتغلب عليهم فكل منهما يزعم فوق ما ذكر

انه الوسيلة لمنفعة الآخر والواسطة لمصلحته ، وان الآخر قابل حسنته بالسيئة . ومنفعته بالمضرة .

مثلا ان الحكومة الانكليزية المتغلبة على الهنود تخاطبهم بقولها اني عمريت لكم المدن (كمباي) و (كلكتا) و (كراچي) وأمثالها وزينتها بالابنية الشاهقة ، والقصور الشائقة ، ووطأت شوارعها ، ووسعت مسالكها ، ورقشتها بالاغصان وزخرفتها بمروج وبساتين ، ومهدت لكم سبل التجارة ، وسهلت لكم أسباب الزراعة ، وفتحت أبواب الثروة بما مددت من الاسلاك البرقية في ارجاء بلادكم ، وأنشأت من الطرق الحديدية في أنحائها . وحفرت من الترغ والانهار ، ووضعت من القناطر ، وكذلك أسست لكم المدارس ، ورفعت عنكم ظلم النوايين وقهر الراجوات ، وأنتم مع ذلك أيتمم الا الشقاق والنفاق . وبهذا الطاعة وسلب الراحة ..

وإن الهنود يجيبونها متظلمين مستغيثين منها قائلين لها : انك ما عمريت تلك المدن إلا بعد أن خربت بلاداً كانت زينة الارض ونخار الابناء (شيو) و (وشنو) و (كهكلي) و (مرشد آباد) و (عظيم آباد) و (اكبر آباد) و (اله آباد) و (دهلي) و (رايبود) و (فيض آباد) و (لكهنؤ) و (حيدر آباد) وغيرها من البلدان ، وإنك ما مددت الاسلاك البرقية ، ولا أنشأت الطرق الحديدية ، ولا حفرت الترغ والانهار ولا وضعت القناطر الا لنزف مادة ثروتنا وتسهيل سبل التجارة لساكني جزيرة بريتانيا وتوسيع دائرة ثروتهم ، وإلا فما بالنا أصبحنا على فقر وفاقة وقد نفذت أموالنا ، وذهبت ثروتنا ، ومات الكثير منا يتضور جوعاً ؟ فان زعمت أن ذلك لنقص في فطرتنا ، وضيق في مداركنا ، فيا للعجب من أبناء (بريتوس) الذين مضت عليهم أحقاب متطاولة يهييمون في أودية التوحش والتبربراذ يعتقدون النقص وعدم الاستعداد في أولاد (برهما) و (مهاديو) مؤسسي شرائع الانسانية وواضعي قوانين المدنية .

وأما المدارس التي تبنى علينا بتأسيسها فلم تكن لمصلحة تعود علينا اذ لو كانت لذلك لاحتوت على العلوم والفنون والصنائع مع أنها لم تنشأ إلا لتعليم اللغة الانجليزية المتعجرفة الخشنة لآبناء اللغة (السنسكريتية) اللغة المقدسة السماوية حتى تستعملهم في ادارة مصالحك في تلك الممالك الشاسعة .

وأما دعواك رفع ظلم النوايين وقهر الراجوات عنا ، فما يضحك الشكلى ، ويبيكي المستيئس الذي جاءته البشرية ، فان الظلم إذ ذاك كان قاصراً على البعض

المنارج ١ م ٢٣ احتجاج الملوك والدول في عبدوان بعضهم على بعض (٤)

وظلمك الآن قدم وطم ، وإن الثروة والابهة والجلالة والشأن التي يزدهي بها الآن أهالي بريطانيا كان المتعمع بها وقتئذ أبناء وطننا ، إذ النوابون والراجوات وغيرهم من الامراء والكبراء وحاشيتهم وخاصتهم كانوا من أبنائنا ومشاركينا في الجنسية ، وكنانتيه بهم فخاراً على سائر الممالك والاقطار ، فكيف بك أن تمني علينا بما مننت زورا ومينا . وأنا لا نراك أيتها المتغلبة علينا الا كالمعلق مصصت دماءنا ، بل كالسلاخ سلخت جلودنا لتتخذها أحذية لنعال البريطانيين . على أنك لم تكثف بهذا وذاك بل تريد أن تستعلي عظامنا النخرة لتصفية السكر في معاملك

وتبصر في شأن الملوك بعضها مع بعض فان كل واحد منهم يرى بما اقيم من الحجج القاطعة أنه على صراط العدل وحد الاستقامة لا يقدم على محاربة ولا يحجم عنها ولا يضع غرامة أو يأخذ من ممالك الآخرين الا وهو في ذلك محق عادل ، مثلاً ملك الروسيين محتج لحرب العثمانيين بأن أنين النصاري من رعاياهم قد ذهب براحتة ونجافى به عن مضجعه وحرك فيه حاسة الشفقة حتى دعتة الرحمة والانسانية للاخذ بناصرهم واستنقاذهم من ايديهم ، وتحريرهم من رق عبوديتهم ، من والعثمانيون يدحضون حجته قائلين (اولاً) لو كنت ممن تحركهم الشفقة والرحمة لكان الاحق بنيلها رعاياك المتحدون معك في المذهب من اهالي (لهستان) فادعواك هذه الا محض الرياء والمواربة (وثانياً) اننا لانعامل رعايانا الا كمعاملة الآباء للأبناء بدون تفرقة بين مذهب ومذهب وجنس وجنس ، وأوضح دليل على ذلك بقاؤهم على مذهبهم حافظين للغاتهم وجنسيتهم ، ولو أننا كنا نفرق بين المذاهب والاجناس كما تدعي لملناهم على رفض مذاهبهم وتغيير لغاتهم ، وكنا قادرين على ذلك في وقت لم يكن لك فيه اسم ولا رسم ، بل لم تكن شيئاً مذكوراً

وكذلك امبراطور الفرنسيين بما ثبت عنده من البراهين البينة على طمع الجرمانيين وحرصهم وشرهم يرى لنفسه الحق في افتتاح الحرب عليهم . وامبراطور الالمانيين بما تحقق لديه من كبر الفرنسيين وعجبهم ومجاوزتهم الحد في أطوارهم بحسب أن من الواجب عليه أن يضم عليهم غرامة باهظة ويتسلط على قطعة واسعة من بلادهم لتذليل نفوسهم واضعاف قوتهم ، ليدفع بذلك شرهم ، وبأمن على نفسه وامته من تعديهم .

٤٢ اختلاف آراء الانسان وشعوره باختلاف المناسب والرتب المنار: ج ١ م ٢٣

ودقق النظر في شؤون العقلاء والحكماء وذوي الآراء والمذاهب الذين يعتقدون أن الحق واحد في نفس الامر والواقع لا يتمدد كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هي ميزان النظر وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده قد اتهم كل واحد منهم منهجا واتخذ مشربا يناقض به الآخر ويعتقد أن دلائله المؤدية اليه هي المنطبقة على ذلك الميزان وان لا انطباق لدلائل غيره عليه وارجم البصر الى احوال السارقين والقاتلين ونحوهم من تركبي الفواحش والشناعات في العالم الانساني ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الاعمال المجمع على قبحها من قاعها الا بسبب هذه الخلة الذاتية، أعني اعتقاده كمال نفسه والنظر الى أعماله بعين الرضى — ضرورة أن الفعل انما يكون بعد الارادة التي لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على الترك ورؤيته خيرا منه وهو عين الرضى به ومن غرائب آثار هذه الخلة ابرازها الحقيقة واحدة بصور مختلفة في نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه وشؤونه، فانك ترى زيدا من الناس مثلاً وهو في رتبة دانية رؤوفاً بالفقراء، رحماً بالضعفاء، شفيقاً على المظلومين، ذاماً للبخل والشح، مادحاً للكرم والسخاء، مهتماً بقضاء حوائج ذوي الحاجات، مدعياً للعفة، كارهاً للانكباب على الشهوة، مستهزئاً بذوي التكاث والتفاخر، مبغضاً للكبرياء، متنفراً عن الارتشاء، مشمئزاً من الاهمال في المصالح العامة والتهاون في الواجبات، مستهيناً بالمستبدين بأرائهم، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم، مستقبحاً تقديم المفضول على الفاضل لغرض يعود على ذاته، مستبشعاً لاعطاء المراتب لغير أهلها وحرمان مستحقها منها، لائماً على الغضب وإسراع العقوبة، مستفحشاً للسفاهة والبذاء، محباً للوطن، محامياً عن الحرية، زاعماً أنه لو آل الامر اليه لقام بصلاح العالم.

وإذا ارتقى المراتبة سامية تجده قسي القلب على الفقراء زاعماً أن التكفف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هرباً من عناء الكسب — جافي الطبع على المظلومين مستدلاً بأن المتظلمين أولو مكر ودهاء (اورياء) يملنون خلاف ما يسرون ويستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء للتغلب على حقوق غيرهم — بخيلاً شحيحاً متمسكاً في ذلك بأن من مقتضيات الحزم أن تبرز الاموال وتودع المخازن لوقت اللزوم أو (إن الكرم والسخاء قبيحان عند السويليين من الافرنج) — متوانياً في الاخذ بيد المحتاجين متعللاً بتراكم الاعمال عليه في وظيفته

المهمة وعدم تمكنه من إسماعهم - شرها شهوياً محتجاً بأنه بشره وانصبابه الى الشهوة يؤدي حق الطبيعة - نخوراً يرتب وشؤون ساعده على نيلها البخت والصدفة بدون استحقاق مع أنه ما أدى حقها ساعة من دهره مرضياً نفسه في ذلك بكلمة «المبد العاجز» أو (إفتخار أولسون) (١) متكبراً يظن أنه وقور من الواجبات عليه إقامة الحجاب على بابه ، والدائدين عن أعتابه ، قياماً بحق رتبته ولأزم شأنه - مرثياً يقنع نفسه بأن ما يأخذه حق تبليغ له الشريعة أخذه إما لأنه جمالة على عمله أو هدية من صديق - مهمل في المصالح العامة متهاوناً فيها معتذراً بأنه من آحاد الناس ليس في طوعه تقويها. وما من مساعد يعاضده عليها . وقد أدى الواجب على شخصه - مستبدأ برأيه بمعتقداً أنه قد بلغ من العقل والدراية الى حد تنحط دونه جميع أفكار العالم ويقصر عن إدراك غايته مدى أنظارهم ، مراً أنه أعمى البصر والبصيرة لا يرى ما تحت قدميه - مقدماً للمفضول على المفاضل مستنداً الى سلامة قلب ذلك المفضول ولين عريكته وطلاقة وجهه . أي أنه (يهزله القاووق) وفي رواية (بمسح له جوخ) وأنه (سطري لجنايه العالي) (١) - رافعاً الى أسنى المراتب من لا يليق لادناها حاسباً نفسه طبيباً روحانياً خبيراً بأخلاق العالم وطبائهم حكماً لا ينظر في أعماله إلا الى المصالح العامة - غضوباً سريع العقوبة يحسبها سياسة وتديراً مدنياً - سفيهاً يذئب يرى أن الناس لا يستحقون سوى قبيل فعله وفخس قوله ولا يدركون مزية الآداب ، ولا يقدررون الأديب حق قدره - خائناً لوطنه ساعياً في خرابه وإذلال أهله (تأفيا لتيس اليوناني) ويمد نفسه في ذلك مجبوراً ملجأ - طالباً للاستعباد متشبهاً بأن الحرية لا تليق بالاهالي لعدم استعدادهم لها ، بل إنها مما يوجب فسادهم لو نالوها - آيساً من صلاح العالم اذ يراهم لنقص قريحته ناقصي الاستعداد فاقد القابلية ، ويزعم أنه لو كان لهم نوع من التهيؤ للاصلاح لآتمه لهم بسعيه واجتهاده

ومن أغرب آثارها ان المتخلق بها مع كونه متصفاً بأرذل الاخلاق وأشنم الخصال يعنى عن أنه متصف بها - مثلاً يكون قسي القلب ويعتقد نفسه رحيماً ،

(١) كان السيد رحمه الله يملئ قلمه كتب بيده مقالا وكان تلاميذه كاللغاة وأديب اسحق يكتبون كل ما يقوله حتى السكام والامثال العامة التي يمزج بها الكلام عادة كونه الجلي الموضوعين وكانت ذائفة في معائري الحكماء من الترك ولكن آبرهم الاستاذ الامام كان يتصرف في العبارة ويجيزله ذلك السيد

ومتكبراً ويرى نفسه متواضعا . وهكذا باقي الخصال مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لا دركها وشذ عليه النكير فيها . حتى أنك ترى كل واحد « كأنه » قد جعل على إحدى عينيه نظارة معظمة (ميكروسكوب) ليقف على دقائق معائب معاصريه وعلى الأخرى نظارة رصدية (تلسكوب) لثلا يفوته أعمال البعداء عنه ، وعلى إحدى أذنيه موصلة الصوت (تليفون) لاستراق أخبار الناس كيلا يعزب عنه شيء من نقائصهم ، وعلى الأخرى حافظة الصوت (فونوكراف) ليستحفظ قبائحهم لئلا يغيب عنه شيء منها ويقتدر على استحضارها وقت الحاجة . عند ما يتحرك دولا ب حقله وحسده ، مع أن أقرب الأشياء إليه نفسه وهو لا يرى شيئا من مسايبها ، فهو أعمى خدي البصر وأعم قوي السمع ،

فتمسا لها من خلة قضت على نوع الإنسان بالاختلال وسوء الحال ، وآذنته بالشقاء والعناء ؛ وأوقعت الخبط في الأعمال والخلط في الأقوال ، وأبست الحق بالباطل والزائف بالصافي والجيد بالردىء ، وحسنت القبيح وقبعت الحسن ، وأبرزت المعوج مستقيما والمستقيم معوجا .

ومن نظر بعين الحق وسبر الحقائق بنور البصيرة لا يجد لهذه الخلة أعني (اعتقاد كل كمال نفسه ونظره الى اعماله بعين الرضى) علة وسببا سوى حب الذات الذي هو غشاوة على عين العقل تمنعه من استطلاع الحقائق على ما هي عليه ، ووقوفه عند حد الصواب في سير الافكار ، بل هو متغلب على جميع الاحساسات النفسانية وحاكم على كلها بالتغيير . بل لا يختص حكمها اذ يتعدى الى الاحساسات الطبيعية أيضا . فانك ترى مشوه الوجه مختل الخلقة رث الثياب الذي قد تجسدت عليه الادراة والاقذار اذا نظر الى صورته بهذه الصفة الرديئة في مرآة مثلا لا يشمئز ولا يستنكر ، واذا وقم بصره على من بلواه في ذلك أخف من بلواه انعمت نفسه واستنفر واستبشم .

وهذا الوصف أعني حب الذات الذي هو علة الشقاء والعناء من الاوصاف اللازمة لذات الانسان ما دام موجودا فلا ينفك الانسان عنه ولا هو يزايلاه ، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه ونكباته الا باستعمال الانسان عقله ورجوته اليه في جميع اموره ، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات ورفض احكامه ، وذلك أن يحكم على نفسه بما يراها عليه في مرآة غيره لا في مرآة نفسه (ما أجلك أيها الانسان المعجب في مرآة نفسك وما أقبحك في مرآة غيرك) .

وهذا الذي ذكرناه هو العلاج الحقيقي والوسيلة العظمى لوقوف كل عند حده ، وسمي كل لاستكمال نفسه ، الذين هما مدار السعادة .
ولسنا نذم حب الذات بجميع أنواعه فان منه ما قد يعود بسعادة ما على طائفة من الطوائف أو امة من الامم وهو حب الذات الداعي الى طلب المحمدة الحقة (١) وهو الذي يرتقي بصاحبه الى توجيه افكاره وأعماله نحو المصالح العمومية بدون أن يطلب في ذلك شيئاً سوى الحمد وخلود الذكر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجع العقل على الهوى

كتاب الخلافة الإسلامية

مؤلفه باللغة الاوردية
مولانا أبو الكلام محيي الدين آزاد
صاحب مجلة الهلال الهندية

مترجمه بالعربية
الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي
محرر جريدة (بيغام) الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى * وسلام على عباده الذين اصطفى

باب

(الخلافة)

« الخلافة » مصدر من خلف يخلف خلافة ، ومنها « الخليفة » من قولك « خلف فلان فلاناً في هذا الامر » اذا قام مقامه فيه بعده « (ابن فارس)
« الخليفة » هو الذي يخلف من قبله ويقوم مقامه إما بموته أو عزله أو غيبته أو نصبه إياه في منصبه وسلطته — وفي مفردات الامام الراغب الاصمغاني
« الخلافة — النياية عن الغير ، إما بغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف » ص ١٥٥

وهذه الكلمة أيضاً من تلك المختارات اللغوية التي اختارها القرآن الحكيم ، فنقلها من معانيها اللغوية الى المعاني المصطلحة الشرعية « كالايمان والنيب والتقدير والبحث والصلاة » وغيرها من الكلمات التي انتقاها من اللغة لمعنى خاص به — فالكلمة « الايمان » مثلاً تستعمل في اللغة ليقين

١ الحق مصدر يستوي في الوصف به الذكر والمؤنث والمفرد والجمع

والطمانينة وزوال الخوف والشك — ولكن القرآن يستعملها في يقين أخص من الاول ، يصحبه اقرار باللسان وعمل بالجوارح ، فصارت اصطلاحاً خاصاً ، دالة على معنى خاص به دون دلالتها في اللغة —

وكذلك كلمة « الخلافة » كان معناها عاماً في اللغة ، فوضعها القرآن لمعنى أخص من الاول ، واستعملها (وكذلك الاستخلاف في الارض ، ووراثتها والتمكين فيها) في العظمة القومية والرأسة المالية ، والحكومة العامة والسلطة التامة على الارض ومن فيها من الامم والشعوب ، ويعدها اكبر منة وجزاء من الله سبحانه تناله الامم في هذه الحياة الدنيا على ايمانها وحسن عملها — أما المراد من هذه الخلافة فهو أن تقوم في الارض امة وحكومة تأخذ على عاتقها هداية النوع البشري وسعادته ، وتنشر لواء القسط الالهي ، وتمحق الظلم والجور والاضلال والطغيان حتى لا تذله اثره على وجه البسيطة ، وتمد رواق الامن والسكينة والراحة والطمانينة على العالم بأسره ، وتقيم ناموس العدل الالهي الذي يسميه القرآن « بالصراط المستقيم » الذي هو نافذ من الارض الى السموات العلى ، ومن ذرات الرمل في الصحراء الى الشمس والقمر والنجوم وما هو تحت الثرى — فتقيم ذلك الناموس في مشارق الارض ومغاربها وتنفذه في جميع بقاعها ونواحيها حتى تصبح الكرة الارضية جنة ودار قرار ، وتكون السعادة ضاربة فيها بأطنابها ، والامنية باسطة جناحيها من فوقها !

وإنما أطلق لفظ الخلافة على هذه الخلافة المصطلحة ، لان أول أمة وأول فرد لما قام في الارض باعباء الخلافة ، كان نائباً عن الله في اقامة عدله ، ثم الذين جاؤا بعد تلك الامة وذلك الفرد كانوا نائبين عنهم في هذا الاسر ، حتى ظهر الاسلام وقامت الامة الاسلامية ، فانتقلت الخلافة الارضية الالهية اليها ، فكان اول خليفة من هذه السلسلة المباركة صاحب الشرع المتين ، ورسول رب العالمين ، محمد صلى الله عليه وسلم — فكان خليفة الله العظيم مباشرة — ثم الذين استموا بعده على منصبه الحكومة الاسلامية المركزية ، كانوا خلفاء هذا الخليفة الالهي والنائبين عنه في الدنيا ، فلذا سمو « الخلفاء » ولا يزالون يسمون به الى الآن —

وقد تقلبت خلافة الارض ووراثتها في أمم كثيرة ، قامت كل واحدة منها في نوبتها بخدمة دين الله الحق — وقد ذكرت هذه الخلافة في الآيات الآتية :

« وهو الذي جعلكم خلائف الارض » ٦ : ١٦٧ « ويستخلف ربي قوماً غيركم » ١١ : ٥٧ « ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدكم لتنظروا كيف تعملون » ١٠ : ١٤ « واذكروا إذ جعلكم خلفاء بعد قوم نوح » ٧ : ٦٨ « ياداعود ! إنا جعلناك خليفة في الارض » ٣٨ : ٢٦ —

وعبر عن هذه الخلافة « بوراة الارض » فقال تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون » (٢١ : ١٠٥) وأيضاً « بالتمكين في الارض » وهو استفحال القوة وكمال العظمة الذي ناله قتي اسرائيل في ارض الفراعنة بعد أن بيع فيها عبداً ، ثم وصل الى عرش الحكومة وتاج الملك بعمله الحق وسيره القويم « وكذلك مكنا ليوسف في الارض » ١٢ : ٥٦ وقد وعد الله به سبحانه المسلمين فقال « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور » ٢٢ : ٤٣ وثبت أيضاً من هذه الآية ان الله تعالى انما يريد من التمكين في الارض أن تقوم عبادته فيها ويم الصلاح والصدق والهداية فيها ويصد الانسان العنود عن غيه وعمل المنكر —

وعبر في الآية الاخرى عن التمكين في الارض « بالخلافة » فقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢٤ : ٥٥)

نزلت هذه الآية العظيمة بعد هجرة رسول الله (صلعم) وأصحابه الى المدينة ، وكانوا فيها خائفين من الكفار ومحاطين بالاعداء من كل جهة ، يصيحون في السلاح ويمسكون في السلاح ، فضجر منهم رجل من هذه الحالة وقال « ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح » فبشرهم الله بهذه الآية أن لا يهتوا ولا يحزنوا ، فانه لا يضيع اجر ايمانهم وحسن صنيعهم ، فسينالونه باذنه ، ويأمنون أعدائهم ، فيذهب الخوف ويحل محله الامن ، ويصيرون ملوكا وسلاطين ، فيكون الامر أمرهم ، والسكينة كلمتهم ، واكبر من ذلك كله ان خلافة الله ستنتقل اليهم فيرثونها وتطمئن قلوبهم بها (ذكره الطبري بالمعنى في تفسيره عن ابي العالية (ج ١٨ ص ١٠٩))

وقد تضمنت هذه الآية أن مراد القرآن الحكيم « بالخلافة » إنما هو « خلافة الارض » أي الحكومة والسلطان فيها — فإذا لا بد للخليفة الاسلامي من أن يكون صاحب الامر والنهي والحكومة التامة ، لانه ليس كبابا المسيحيين وبطاركتهم فأولئك سلطتهم روحية وهي خضوع القلوب وانحناء الرؤوس امامهم — بل هو حاكم وسلطان بالمعنى الحقيقي — الا أن سلطته يجب أن تكون تحت الشريعة الالهية ، وليس له حق التشريع البتة (١) ولا أعطته الشريعة سلطة دينية روحانية كما أعطت المسيحية للبابوات ، لانها تعد كل سلطة لغير الله ورسوله شركا به وكفراً تمقته أشد المقت وتمحقه من أول ظهوره (٢) قال الله سبحانه « اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أربابا من دون الله » (٩ : ٣٢) وقال « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (٣ : ٧٩) »

هذا — وقد وفى الله تعالى للمسلمين وعده بالخلافة، كما وفى جميع وعوده وعهوده ، فلم يعض بضع سنين والرسول بين أظهرهم ، الا وأصبحت جزيرة العرب في قبضة يدهم ، وشوهدت جيوشهم خارجة من أسوار المدينة لمقاومة الروم اعداء دينهم ، وسبقت خلافة الارض اليهم بعد أن نزع من غيرهم ، فكان أول خليفة منهم هو حامل الشريعة الغراء بنفسه صلى الله عليه وسلم — ثم الذين قاموا في مقامه من بعده كانوا خلفاءه — وقد أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) بتسميتهم «خلفاء» أنهم ينوبون عنه بعده، فقال للمسلمين «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (رواه ابن ماجه عن العرباض ابن سارية) ولذا سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما خلفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الشارح في دين الاسلام هو الله تعالى ويطلق اللقب على النبي «ص» باعتبار التبليغ وقال بعض العلماء ان الله تعالى اذن له ان يشرع والجمهور على ان كل ما ثبت في السنة من الاحكام الشرعية فهو لما استنبط من القرآن واما وحي غيره فان الوحي لا ينحصر فيه. والتحقيق ان هذا التفصيل خاص بالاحكام الدينية كالمبادات واما الاجور المدنية والسياسية والحربية فقد كان «ص» يحكم فيها ويسن برأيه واجتهاده ومشاورة أولى الامر من عتلاء المسلمين وزعمائهم بالسكينة والرأي وجور الامة وقد اذن له تعالى بهذا ولا ولي الامر بعده بالتع له كما حققناه بالتفصيل في تفسير (٤ : ٥٩) اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهذا يسمى تشريفا في عرف علماء الحقوق وواضعي القوانين ، به يطل قول الجاهلين بشرعنا انه شرع جامد لا ينطبق على كل زمان (٢) الكاثوليك من النصارى يقولون بأن من حق البابا ان يكون حاكما سياسيا مدنيا أيضا

﴿ الخلافة النبوية الخاصة ، والخلافة الملكية ﴾

انصبغت الخلافة الاسلامية بعد النبي عليه الصلاة والسلام بصفتين مختلفتين ، وظهرت بمظهرين متباينين ، وكان عليه السلام قد أخبر عنها ، ورفع الستار عن خصائصها ، والاحاديث التي وردت في هذا الباب تكاد أن تكون متواترة لكثرة طرقها وشهرة متونها — نخلافة الخلفاء الراشدين المهديين كانت مصبوغة بصبغة الرسالة ، وسائرة على منهاج النبوة ، فكانت خلافة الرسول حقاً ، والخلفاء الراشدون خلفاءه حقاً — لا في منصة الحكم والسلطان فقط ، بل في جميع اعماله وهديه — فكانوا مثله دعاة الدين ، هداة الامم ، قضاة الشرع ، قادة الشعوب ، ساسة البلاد ، قواد الجيوش ، أخوة الحروب ، رايات الامن ، قد اجتمعت في شخص كل واحد منهم صفات كثيرة مما كان مجتمعاً في شخص سلفهم وهاديهم (صلعم) فكانوا خلفاءه وحاملي شرعه ، بل حلقة من حلقات عهد الرسالة ، وبركة من بركات زمن النبوة ، حكومتهم حكومة اسلامية محضة ، ونموذج كامل للنظام الاسلامي ، فكانت « حكومة جمهورية » قائمة على اساس الشورى بالمعنى الصحيح — غير أنها لم تدم كثيراً ، بل ماتت بموت علي عليه السلام ودفنت معه في ارض الكوفة

ثم ظهرت بعد هذه الخلافة الراشدة ، خلافة في حلة غير حلة اختها منحرفة عن منهاج النبوة ، منقطعة عن مسلك الرسالة ، فكانت حكومة دنيوية وملسكا عضوضا ، وذلك عند ما فشت البدع المعجمية ، وامتزجت بالمدينة الاسلامية العربية ، ولدت جرائم الفساد في فضاء العالم الاسلامي ، فهذه الخلافة — وان كانت كل حلقة منها أشبه بالخلافة الراشدة من التي جاءت بعدها ، — لم تكن في مجموعها من محاسن الخلافة الراشدة في شيء . ولذا سميت الاولى على لسان النبي (صلعم) « بالخلافة » لغلبة الهداية والصلاح عليها . والثانية « بالملك العضوض » لظهور الاستبداد والقهر فيها — فقال صلعم « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » (١) وفي حديث ابي هريرة « الخلافة بالمدينة والملك بالشام » (٢) واخبر في حديث آخر بأن هنالك ثلاثة أدوار : عهد نبوة ورحمة — عهد خلافة ورحمة — عهد ملك وسلطان (٣) فاتهى الدور الاول بالنبي صلعم —

(١) رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بسند صحيح ، وفي رواية « ثم تكون

ملكاً عضوضاً » (٢) رواه البخاري في تاريخه والحاكم بسند صحيح

« المجلد الثالث والعشرون »

(٧)

« المنار : ج ١ »

والثاني بعلي عليه السلام كما مر - وقد كان هذا الدور بالحقيقة ذيلاً للاول وجزءاً لازماً له كما هو سنة الله في دعوة الاديان وتوثيق عرى الشرائع حيث يجعل الله لكل نبي خلفاء يقومون بعده بدعوته ، ويوطدون دعائم شريعته - ثم جاء بعد هذا وذاك الدور الثالث ، دور حكومة ومالك عضوض ، وهو باق على حاله الى الآن - ولم يكن الصحابة يجهلون هذا الدور ولا يستبعدونه بل كانوا يعرفونه وينتظرون مجيئه لاخبار النبي صلعم اياهم به -

وقد كان هذا الدور اكبر مصيبة ابتليت بها الامة ، فبعد أن كانت ترتم في رياض النبوة ، وتجنّي ثمار الخلافة الراشدة آمنة مطمئنة ، اذ نلق ناعق الشر بينها ، وقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بين يديها ، فتقاص ظل هدي النبوة شيئاً فشيئاً ، وذهبت بركاتها واحدة تلو واحدة ، وأخرجت البدع رءوسها ، وزحفت الفتن بخيلها ورجلها ، فأحاطت بها من كل جوانبها ، فكما ابتعدت الامة عن عهد الرسالة حرمت نصيباً من بركاته وبركات الخلافة الراشدة - ولم يكن حرمانها محصوراً في امر الامامة العظمى والخلافة الكبرى فقط ، بل تعداها الى غيرها ، فتغلغل جراثيم الفساد في هيكلها الاجتماعي فزعزت نظامها وقوامها ، ثم سرت الى حياتها الشخصية فأفسدت عقائدها وعواطفها ، ونفشت في أفعالها مسموماً ، ففترت من صغيرها وكبيرها - ولم تكن فتنة واحدة أو فتنة قليلة محصورة فيسهل اتقاؤها ، بل سالت سيول من الفتن دهمت المسلمين بفتنة فاجت عليهم أمواجها ، وثقلت عليهم وطئتها . فكانت كما قال أعلم الصحابة بالفتن حذيفة رضي الله عنه « تموج كوج البحر » وبين لهم انه ليس بينها وبينهم سد الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه متى سقط هذا السد المنيع طفت تلك السيول الجارفة وبغت فلم يقدر احد على صدها ، فما زالت حتى أخذت الخلافة النبوية في تيارها وحطمتها وتركتها اثراً بعد عين -

نعم وقع ما وقع ، الا ان الامة المسلمة قد بشرت على لسان نبيها بأنها ستري في آخر أيامها دور نجاح وفلاح ، فتقر به عينها وينشرح صدرها وتصلح أمورها حتى « لا يدري أولها خير أم آخرها » (١) ويتم فيه نور الله

(١) اشارة الى حيث « امتي امة مباركة لا يدري أولها خير أم آخرها » رواه ابن عساکر عن عمر بن عثمان مرسلًا وسنده حسن

« والله متم نوره » الخ « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (١) ولذا لا يزال قلب المؤمن قويا برجاء الله ، مملوءاً باليقين ، لم يخالطه ريب ، ولا دخله زيغ ، ولا صادفه قنوط ويأس — حتى في هذا الزمان الذي انصبت فيه على المسلمين المصائب ونزلت بهم النوازل وزلزلوا فيه زلزالا شديدا — بل كلما ازدادت العواصف شدة ، والليل ظلمة ، والارض عداوة ، يزداد المؤمن رجاء ويقينا ، ويبصر بعينه نور الصبح الجميل من بين هاتيك الظلمات والغيوم والعواصف — ولسان حاله يقول « إنه وعدم الصبح ، ليس الصبح بقريب ؟ »

﴿ فصل ﴾

﴿ عهد الاجتماع والائتلاف • ودور التشئت والانتشار ﴾

قبل ان نخوض غمار هذا البحث نتكلم في هذا الفصل على كلمتين « مصطلحتين » زيادة في الايضاح وتفصيلا للبيان — فنقول :

« الاجتماع والائتلاف » كلمتان خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، فيهما سر حياة الامم ومماتها . نهوضها وهبوطها . سعادتها وشقوتها . « فالاجتماع » من الجمع وهو ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض (مفردات ص ٩٥) ويقرب منه « الائتلاف » من الالف اجتماع مع التثام « والمؤلف ما جم من اجزاء مختلفة ورتب ترتيباً فقدم فيه ما حقه ان يقدم واخر فيه ما حقه ان يؤخر » (مفردات ص ١٩) اما « عهد الاجتماع والائتلاف » فهو ذلك العهد الذي تجتمع فيه القوى الاجتماعية الفعالة في مكان واحد ، في نقطة واحدة ، في سلسلة واحدة ، في ذات واحدة ، وفي يد واحدة ، بترتيب طبيعي لا ترق بها . فتصبح كل المواد والقوى والاعمال الاجتماعية وافراد الامة متماسكة متشابكة . حتى لا ترى فيها خلا ولا خرقا ولا فتقا . بل تجدها كلها كحلقات السلسلة التي التحم بعضها مع بعض فأضحت شيئاً واحداً .

فدور الاجتماع والائتلاف اذا جاء على المادة ظهر فيها الخلق واستعدت للحياة . وعبر القرآن عن هذا « بالتخليق والخلق والتسوية » فقال « الذي خلق ف. وى » (٨٧ : ٢) فالوجود والحياة ليس الا اجتماع اجزاء المادة مؤتلفة .

(١) كان شيخنا الاستاذ الامام يقول ان هذا الوعد لما يتم ولا بد من تمامه بظهور الاسلام على سائر الاديان في اوروبا وأمريكا والشرق الاقصى

وكذلك الموت والفناء ليس الا تفرقها وتشتتها. واذا جاء على الاعمال سماه علماء الاخلاق « بالخير » وسمته الشريعة « بالعمل الصالح والحسنات » واذا جاء على الجسم سماه علم الطب « بالصحة ». وقال الطبيب « هذه حياة » ثم اذا جاء على القوى والاعمال الاجتماعية القومية سمي « بالحياة المليّة الاجتماعية » وكان موجبا لنبوغ الامة ونفوذها وسلطانها - فالعبارات مختلفة كثيرة . والحقيقة واحدة لا تعدد ولا تتبدل . ولا غرو فان الله الحكيم واحد منفرد . وحكمته واحدة . وتاموسه واحد . ولتتم ما قيل :

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذلك الجمال يشير
 وضد الاجتماع والائتلاف « التشتت والانتشار » فالتشتت من « الشتات » ومعناه في اللغة التفرق يقال شت جمعهم شتا وشتاتا . وجاءوا اشتاتا اي متفرقي النظام (مفردات ص ٢٥٦) وفي القرآن « يومئذ يصدر الناس اشتاتا (٩٩ : ٦) من نبات شتى (٢٠ : ٥٣) وقلوبهم شتى » (٥٩ : ١٤) اي مختلفة - « والانتشار » من النشر وهو ايضا التفرق والبسط كما في القرآن « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا » اي تفرقوا -

واما دور « التشتت والانتشار » فهو ان تشرق المواد والقوى والاعمال والافراد . فيصير كل شيء على ضد ما كان عليه في عهد الاجتماع - فاذا عرضت هذه الحالة للمادة قيل « فساد وانحلال » وللجسم قيل « مرض وداء ثم موت » وللأعمال قيل في تعبير القرآن « عمل السوء والمعصيات والفسق والجرام ». وللأمم قيل « الموت الملى . والموت الاجتماعي » فتصبح الامة في هذا الدور في هبوط بعد الصعود وذلة بعد العزة ، وضعف بعد القوة ، وعبودية بعد الحرية والسيادة ، ثم تسير الى الموت والهلاك بعد ان كانت صحيحة قوية حية ، فياله من بلاء ليس فوقه بلاء وانما ياذ بالله !

ولذلك تجد القرآن ينبه مرة بعد مرة على أن « الاجتماع والائتلاف » الامناس الاكبر لحياة الامم ، ويعده أكبر نعمة من الله سبحانه على البشر ، ويعبر عنه بالعبارات العظيمة الشأن « كالاغتصام بحبل الله » وغيره ، ويقول للامة « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا » ثم يخبر بعد هذا بان لا حياة مع التشتت والانتشار ، فانه نار موقدة تخرق كل شيء يقربها ولا سيما شجرة الحياة

الاجتماعية ، فانها اذا مستها لا تبقى عليها ولا تذر - فقال تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (٣ : ١٠٣) ثم يخبر بأن الحياة الاجتماعية في الامم ليست من تدبير البشر (١) ، فهما بلغ الانسان من القوة والمظنة والعقل ، لا يقدر على أن يكون أمة ، بل هو الله الواحد القادر يجمع الاشتات فيؤلف بينهما ويسلكها في نظام واحد فقال « لو أنفقت ما في الارض جميعاً ، ما ألقت نين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم » (٨ : ٦٤)

وأخبر القرآن أيضاً بأن أول ثمرة تشرها الشريعة الالهية وأعظم بركة تجود بها على النوع الانساني في الدنيا هي « الاجتماع والائتلاف » وكرر مرة بعد أخرى ان التفرق والتشتت والانتشار لا يجتمع مع الدين أبداً . وأنه عاقبة الاعراض عن الله وعصيانه والبغي عليه . فقال « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم (٢ : ٢١٢) وما اختلفوا حتى جاءهم العلم » (١٠ : ٩٣) وآتيناهم بينات من الامر . فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » (٤٥ : ١٦)

ولذلك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والحياة الاسلامية في الجماعة وعد الخروج عنها من الجاهلية . والحياة الجاهلية . فقال « من فارق الجماعة فمات ميتة جاهلية » (كما ستراه مفصلاً ان شاء الله) وأمر المسلمين أمراً مؤكداً بالزام الجماعة في كل حال . وبطاعة الامير سواء كان برا أو فاجراً . اهلال الامارة أو غير اهل . عادلاً في حكمه أو ظالماً . كيفما كانت سيرته ومهما فسدت طريقته يجب عليهم طاعته . ولا يجوز لهم الخروج عليه . الا أن يمرق من الدين جهاراً أو يترك الصلاة فحينئذ لا طاعة له عليهم (٢) وأخبر أن كل من تنكب عن الجماعة

(١) ليس المراد أنه لا ينبغي لزعماء الشعوب والاقوام المتفرقة ان يسعوا الى تكوينها وجعلها امة عزيزة لمعجز البشر عن ذلك بل المراد ان هذا التكوين للامم قد جعل بسنة الله تعالى في الاجتماع اثراً وغاية لاعمال اطوار كثيرة بعضها من كسب الافراد وبعضها ليس من كسبهم فلا تقع بتدبيرهم ولكن عليهم ان يعملوا ما في طاقتهم من وسائلها ويكولو الى عناية الله تعالى لإنجاح سعيهم وإتمام عملهم

(٢) انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما صبح في الحديث وأجمع عليه المسلمون . وصرح الخلفاء الراشدون على منبر الرسول (ص) =

شبرا فقد كب على وجهه في النار.. وجعل زمامه بيد الشيطان، وقضى على نفسه بالخسران والهلاك—. وذلك لان الجماعة كلسلة القولا ذية التي يعي الاشداء كسر ها . وآحاد الامة كالحلقات التي سلامة كل واحدة منها في سلسلتها. فانها ان انفصلت عنها صارت حلقة واحدة تكسر أو تلقى في الزبالة—

ولقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يروي في خطبه « عليكم بالجماعة . فان الشيطان مع الفرد . وهو من الاثنين أبعد » وفي رواية « فان الشيطان مع الواحد » وقد ذكره في خطبته الشهيرة بالجالية التي رواها عبد العزيز بن دينار وعامر بن سعد وسليمان بن يسار وغيرهم — ونقل البيهقي أن الشافعي رضي الله عنه كان يستدل بهذا على صحة الاجتماع — وورد في الحديث المتواتر بالمعنى « عليكم بالسواد الاعظم » وحديث « فانه من شد . شد في النار » وحديث « يد الله على الجماعة » وحديث لا يجمع الله امتي على الضلالة » وكما قال علي عليه السلام في خطبة له « اياكم والفرقة . فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب . الا من دعا الى هذا الفعار فاقتلوه ، ولو كان تحت جمامتي هذه (١) ! » وغير هذا كثير من الاحاديث والآثار في هذا الباب —

فجملة القول ان المسلمين أمروا أمراً مؤكداً بأن يكونوا مع الجماعة أبداً ، لان من انقطع عنها انقطع في النار — ولان الافراد والآحاد المتفرقة لا حياة لهم بل انما هم للموت والقناء والهلاك ، وأما الامة الصالحة فحياتها باقية على وجه الدهر ، ولن تهلك أبداً — ولان يد الله مع الجماعة ، وهو لا يرضى أن تجتمع الامة بأسرها على الضلالة —

ولنعو يد المسلمين على الحياة الاجتماعية (٢) أمرتهم الشريعة بالتزام صلاة

بمطالبة المسلمين بتقويم زينهم وعوجهم ، وانما يجتمع عند علماء أهل السنة الخروج على الامام الجائر اذا كان يخشى من الخروج عليه فتنة تفرق الامة وشق عصاها لضعف القائمين بذلك من الامة . واذا كان المؤلف قد وعد بتفصيل القول في المسألة فاننا نمتطرون ما يجيء به فاما ان نقره واما ان نذيله بحاشية نبين فيها ما نرى انه الحق كما يناء في المنار مرارا .

- (١) روي هذا في الروايات الاخرى مرفوعاً — اه من حواشي الاصل
(٢) تقديم التعليل بفيد الحصر ولا حصر في صلاة الجماعة فوائد اخرى

الجماعة في كل حال ، حتى أنها لا تترك لفقدان الامام الاهل للجماعة ، بل يدوام عليها مع السعي في نصب الاهل لقوله صلعم « صلوا خاف كل بر وطاجر » (١) ولذلك نرى سورة الفاتحة التي هي دعاء اجتماعي للمؤمنين عامة يدعو بها كل واحد منهم على حدته استعملت فيها صيغ الجمع لا الواحد — فقال « اهدنا الصراط المستقيم » ولم يقل « اهدني » وذلك لان القرآن كما قلنا من قبل لا يرى للفرد حياة قائمة بالذات ، بل الحياة عنده للجماعة فقط — وما الافراد وأعمالهم في نظره الا لان تتكون منهم ومنها الهيئة الاجتماعية ، فلهذا عبر بصيغ الجمع في هذا الدعاء الذي هو حاصل الايمان ، وزبدة القرآن ، ومع الاسلام — وكذلك جعل الدعاء الذي يدعو به كل مسلم لاختيه لما يلقاه « السلام عليكم » بالجمع لا « السلام عليك » وكذلك السلام حين الخروج من الصلاة — والعملة فيه أيضا ما ذكرناه لا ما فهمه كثير من الناس —

وانك اذا أمعنت النظر ترى جميع أحكام الشريعة وأعمالها مبنية على هذا الاساس — اساس الاجتماع والائتلاف — وقد علمت ما في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين ، ومثلها الحج ، فليس هو الا عبارة عن اجتماع المسلمين (على أحاديث شعائر الله) وكذلك الزكاة التي ما جعلت الا لقيام الهيئة الاجتماعية ، فيؤخذ من رءوس أموال الافراد شيء معين ليصرف على الجماعة ، وطريقة أدائها أيضا اجتماعية فليس لكل أحد أن يصرف زكاته بمشيئته وارادته ، بل عليه ان يؤديها الى الامام الذي له وحده أن ينفقها في الامور العامة ويعين لها مصرفا من المصارف المنصوصة في الكتاب — لا كما يفعل الناس في الهند فينفق كل واحد زكاته بنفسه — نعم ليس في هذه البلاد التمسك امام ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نعمل لها نظاما مخصوصا كما عملنا للجمعة والعيدين —

ولعمري ان هذه الحقيقة واضحة لا غبار عليها تنجلي كالشمس لمن دقق النظر في الاحاديث النبوية التي تنص على أن المسلمين يجب أن يعيشوا عيشة واحدة ويحسبوا أنفسهم أبناء امة واحدة — فانظر مثلا حديث مسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وحديث الصحيحين « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ثم شبك بين أصابعه فأوضح (صلعم) ان المسلمين ليسوا آجرا

أو حجارة متفرقة بل هم جدار بل حصن مشيد يشد بعضه بعضاً - ولا يذهبن عن بالك أن الامر بتسوية الصفوف في الصلاة ، إنما هو لنفس هذه الحكمة - قال صلعم « لتسوين صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم » (البخاري) وفي رواية السنن « سوا صفوفكم ، فان تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » (البخاري) ومثله كثير من الآيات والاحاديث في هذا الباب ، يحتاج في شرحها وبيان حقائقها الى مجلد ضخم ، وقد وفينا البحث حقه في تفسيرنا « البيان في مقاصد القرآن » فليراجعه من يشاء -

من الخرافات الى الحقيقة

-٢-

الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها

كان الواجب أن نبدأ بالفعل الاول والثاني حسب ترتيب الكتاب الذي هو مأخذنا . ولكن بعض الاسباب دعتنا الى تأخير ذينك الفصلين وتقديم هذا الفصل :

ان الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها كانت بيد رجل اسمه (عبدالله ابن سبأ) كان هذا الرجل يهودياً ثم أسلم ظاهراً ، وأعماله تدل على أنه كان يحمل حقدا شديدا للمسلمين . وكان يرمي الى غرض واحد هو تمزيق شمل (الوحدة) الاسلامية ، وسلاحه القاطم نشر الخرافات الملائمة لطبائع المسلمين من غير العرب ذهب هذا الرجل الى البصرة اذ كان عبدالله بن عامر عاملا (واليا) عليها وسمى نفسه باسم مستعار (ابن السوداء) وأخذ ينشر هناك آراء تلائم أهواء الذين دخلوا في الاسلام حديثاً . وعند ما بلغ خبره العامل (الوالي) استقدمه اليه وسأله عن شخصه وسبب مجيئه الى البصرة فقال «أنا رجل من أهل الكتاب أحببت السكنى في دار الاسلام تحت رعايتك» واذ لم يقنع الوالي هذا الجواب طرده من البصرة . فتزيا بزي مسلم مهتد وطقق يزرع بذور الفساد بين المسلمين الذين دخلوا في الاسلام حديثاً ولم ينسلخوا من تقاليدهم القديمة . ذهب أولا الى الكوفة ثم الى مصر والف جميعات سرية لاجل القيام على الخليفة بقصد

ايقاع الشقاق والتفريق بين المسلمين .

لقيت البذور التي زرعها هذا اليهودي المتزني بزي المسلمين تربية خصبة، وكانت ادارة عثمان بن عفان كمساعد لنموها . فتمكن الرجل من تفريق المسلمين في أمر الخليفة وشق عصاهم فاذا هم فريقان يختصمون

ولم يكتف بذلك، بل تمسك بحبل الاستفادة من شعور الحب والاحترام في القلوب لاهل البيت النبوي الشريف، واستفاد من استخدام هذا الشعور العالي لمقاصده، واتخذ الفجيرة بعلي المرتضى وولديه سبطي الرسول (عليهم السلام) ذريعة لدس الدسائس وتقسيم المسلمين الى شيع، لانه كان يعلم أن العقائد الراسخة والتقاليد الموروثة والعادات لا تتبدل في الناس بسرعة بمجرد دخوله في دين جديد مهما يكن واضحاً جلياً ومنطقياً معقولاً، كما كان يعلم أن الدين اذا دخل محيطاً غير محيطه الاصيل لا بد أن يضم اليه أشياء كثيرة ويكتسب لوناً يوافق نظر أهل تلك البلاد . لذلك عزم على أن يستفيد من هذا الحال ليضرب الدين ضربة قاضية . فأخذ ينشر قواعد الدين الحنيف صابغاً اياها بصباغ عادات البلاد الموروثة . والناس كانت تستقبل ذلك بشوق وسرور

انتشر الاسلام في فارس ومصر وسورية واستولى عليها . وكان لاهالي هذه البلاد عقائد وعادات قديمة راسخة في القلوب . ومع قبول هؤلاء الناس للدين الاسلامي كانت عاداتهم لا تزال ذات السلطان الغالب عليهم . فسذاجة الدين الاسلامي وبساطته لم تكن كافية لتسكين نيران شوق السكان الاصليين لحب الفخفخة والمنجبية التي ورثوها عن آبائهم واجدادهم، ولذلك كانوا يتلقون أقاويل عبد الله بن سبأ كماء زلال تسرب الى قلوبهم المملوءة حرارة وشوقاً الى المظاهر الفارغة . وكانوا يحرصون على لباس الدين الحنيف كساء جديداً منسوجاً من خيوط عاداتهم واساطيرهم . وهذا الشوق من جملة اسباب دخول خرافات ايران ومصر القديمة والهند في الدين الحنيف

اول من تصدى لهدم دين مجوس الفرس وملكهم الكسروي أبو بكر الصديق الاعظم وتلاه الفاروق الاعظم فقضى على ذلك الاستقلال وجعل تلك الامة تابعة للعرب الذين كانت تحتقرهم، وتبع ذلك انتشار الاسلام فيهم . فساء هذا وذاك الذين ظلوا متمسكين بدينهم، ولا سيما أصحاب السلطتين الدينية والدنيوية منهم، فكان منهم بالطبع من يندب استقلالهم . ويتربص الفرص

لرفع السلطة العربية عنهم ، وكانوا يحقنون الفاروق مقتا شديدا لانه هو الذي فتح بلادهم وذهب بعزيم ومجدهم . في ذلك الوقت استفاد عبد الله بن سبأ من مجرى الاحوال كما استفاد في زمان ذي النورين وظهر بمظهر المدافع عن حقوق آل البيت ، فخدع بعض العرب ومهد الطريق أمام سياسي المجوس لاختلال التآمر والانتقام من العرب واعادة الاستقلال السياسي لبلادهم بحجة الانتصار لآل البيت .

وأما مقصد عبد الله بن سبأ فلم يكن الا تفريق المسلمين بجعلهم شيعة متعاديتين تقاتل كل منها الاخرى ، مستفيدا من شعور المسلمين معتمدا على أهواء الفرس ، فاستفاد من احساس العرب ومن دهاء المعجم .

بث أولا دعوة حصر الخلافة والامامة في علي وأولاده رضوان الله عليهم . ثم ادعى الوهية علي حتى قال له (أنت الله) عندئذ نفاه كرم الله وجهه الى المدائن ولكنه ظل مثابرا على نشر دعوته

قلنا ان الذي بدأ بالمسألة الإيرانية ابو بكر الصديق والذي ضرب الضربة القاضية صهر الفاروق . وفي زمان ذي النورين عام ٣١ هجرية قتل آخر ملوك ايران (يزدجرد) فكان هذا من دواعي تشيع عبد الله بن سبأ لعلي رضي الله عنه لاجل أن يشق عصا المسلمين ويفرق شمل العرب فيجعلهم فريقين مختصين ، ويوقع الشبهات في العقيدة الاسلامية الجامعة للكلمة ، ويجري المجوس من الفرس على أخذ ثارهم ومحاولة استعادة ملكهم

وبعد أن توفي الله أبا الحسين طفق يقول « لم يمت علي وان الذي قتله ابن ملجم شيطان تمثل بصورة علي لان صهر النبي صعد الى السماء ! والرعد صوته والبرق لمعان سيفه ، وسينزل يوما الى الارض ويملاها عدلا »

وقد صدق كثير من العوام الجاهلين أقوال هذا اليهودي الماكر ، لان دأبهم تصديق كل قائل واتباع كل ناعق ، ولا سيما اذا كانت هذه الاقوال قريبة من تقاليدهم كما هو شأن اولئك الذين دخلوا الاسلام حديثا من النصارى واليهود والمجوس ، فالقول بالوهية علي وربوبيته كالقول بربوبية عيسى والوهيته ، والقول بنزول علي الى الارض لاجل اصلاحها يوافق اعتقاد النصارى (الذين ينتظرون نزول عيسى من الملكوت الى الارض ولا يبعد عن اعتقاد اليهود ظهور مسيح

آخر، وقد تلقاه الإيرانيون بأحسن قبول لانه يشابه اعتقادهم أن (هرموز) بموجب دين (زردشت) صعد الى السماء وسينزل يوماً ما الى الارض. وبهذا الشكل جعل اليهود والنصارى والمجوس راضين مطمئنين ! لانه أتاهم بشيء أنست به ارواحهم ، ولطم الحنيفية لطمة لطخ بها جسمها الناصع البياض لطفة مباينة للونه الجميل فكانت هذه اول خرافة سرت الى اهل هذا الدين الحنيف العوام غريبو الطبع يتبعون كل ناعق ويركضون خلف كل صوت بسهولة. لذلك تمكن هذا اليهودي (عبد الله بن سبأ) من تكوين حزب ديني وشيعة سميت (السبائية) . واذ كان افراد هذه الفرقة التي زالت ولم تزل خرافاتها يعتقدون أن الرعد صوت علي عليه السلام صار من شعائرهم أن يقولوا كلما تألق البرق بالتقاء الكهربائية الايجابية بالسلبية (السلام عليك يا امير المؤمنين)

الاسباب التي مهدت لظهور هذه الفرقة الثلاثة

(السبب الاول) سيرة عثمان ابن عفان رضي الله عنه في ارخاء العنان لمروان وكثرة استعماله لاقاربه ومحاباته لهم خلافا لما جرى عليه الخليفتان قبله، فبذلك كثر الناقمون الطالبون لتغيير الحال وقد قال الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فلو اتبعت هذه الآية الكريمة لما وجد عبد الله بن سبأ محلاً خصباً لبذر بذوره. (السبب الثاني) افتتح المسلمون بسيف الحق ومكارم الاخلاق بلاد الفرس والروم (مستعمرات الرومان) وكانت هانان الدولتان في ذلك الوقت على غاية من الانحطاط وفساد الاخلاق وكان ابو بكر الصديق والفاروق رضي الله عنهما يبذلان الجهد لحفظ كرامة الاسلام ورفعته وتقائه وبمجرد ان عليه من سريان امراض تينك الامتين الروحية والاجتماعية الى العرب ، وناهيك بعناية الفاروق وحرصه على معالي الاخلاق والفضيلة والشرف فتانت في الدين وصلابته في الحق وعدالته التامة بين الخلق كانت تجذب الى الاسلام فضلاء الامتين (الفرس والروم) كما يجذب المغناطيس الحديد. ومن سوء حظ الامم المنحلة أن يكون ابناؤها المتحلون بالفضائل خصوصاً لها كما وقم في هاتين الامتين وغيرهما من الامم (١)

(١) المنار: هذه الكلمة منبعثة عن التعصب الجفسي من المؤلف وهي ليست حقاً باطراد فما جرى عليه اهل الفضائل من تفضيل الصلاح والاصلاح الاسلامي وان جاءهم من غير أبناء جنسهم على فساد اقوامهم كان من حسن حظ اقوامهم لانهم =

وأول ما كان الفاروق يمتني به هو منع الامتزاج بين العنصرين الغالب والمغلوب كما يفعل الانكليز اليوم (٢)

ولكن عندما صار الامر الى عثمان النورين وحصل الشقاق بين بني هاشم وبين الامويين تمكنت عادات الفرس والروم « ايران ويزانس » من التسرب الى المسلمين. وهذا مما جعل بذور عبد الله بن سبأ تنبت ثم تثبت في هذه القلوب، فيرجوع مروان الى المدينة وهو المطرود منها بأمر نبوي وجعله على رأس رجال الحل والمقد وتعيين اكثر الامويين ولاية واشتدادا لخصام بين الامويين وبني هاشم أهممت أحكام الشرع الانور. وكانت شكايات الناس وتظلماتهم تصل الى عثمان رضي الله عنه بصورة مقنونة لا يعرف بها حقيقتها، الى أن اشتد البأس ونفذ الصبر فسفك الدم، أركان صيبا نافعا يستقي بذور أعداء الاسلام.

= استفادوا من العرب ددى وصلا حاولم يخسروا شيئا لان الاسلام لم يفضل العرب عليهم بشيء الا يحصر الخلافة في قريش. وقد تمتنى بعض كتاب فرسة الاخرار لو بقي العرب في بلادهم عند ما فتحوها بعضها وقال ان اخراجهم منها قد كان لسوء حظهم فلولا لسبقوا سائر اوربة الى المدنية بيضعة قرون. وانما تصح هذه الكلمة في حالة استيلاء شعب على شعب آخر ليسخره في منافعه ويستغل بلاده بأيدي أهلها كما فعل الرومان بالامس ويفعل اخلافهم من الافرنج اليوم، ولكن اهل الفضائل في هذه الحالة لا يفضلون الاجنبي على قومهم وان كان يفوقهم في كثير من المراتب وانما يفضلون طلاب المنافع بخدمته وهم من اهل الرذائل وان رفعتهم المناصب التي يخونون امتهم بقبولها من الاجنبي نمنا لأوطانهم

(٢) من أصح الشواهد على هذا ما رواه مسلم في صحيحه مختصراً: كتب عمر (رض) الى قائد جيشه في بلاد المعجم عتبة بن فرقد: يا عتبة! انه ليس من كدك ولا من كد ايك ولا من كد امك فأشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك. واياكم والتعم وزني اهل الشرك. ولبوس الحررا طخ وفي مسند أبي عوانة بسند صحيح أنه كتب اليه: « أما بعد فاعتزوا وارتدوا وألفوا الخفاف والسراويلات وعليكم بلباس أيبكم اسماعيل، واياكم والتعم وزني الاتاجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب. وتعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وارزوا وارزوا الاغراض » قال النووي في شرح صحيح مسلم: ومقصود عمر رضي الله تعالى عنه حثهم على خشونة العيش وصلايتهم في ذلك ومحافظةهم على طريقة العرب في ذلك اه والتعمد التشبه بمعد بن عدنان في ذلك

(السبب الثالث) توسيد الامور السياسية التامة الى غير العرب من المسلمين فلو حصرت الحقوق السياسية — أي حق التدخل بأمر الادارة وتنفيذها — بالعرب لما حصل ما حصل، فان بعض الذين أسلموا لم يكن اسلامهم حقيقيا بل اتخذوا الاسلام سلاحا لجرح الاسلام، ثم كانوا أمهر من العرب بالدسائس السياسية فاستفادوا من صفاء قلوب العرب وكدروها كما شاؤوا بكل سهولة، ألم تر الى الدول التي تغلب الشعوب على أمرها في هذا العصر لا تعطي مثل هذا الحق للمغلوبين البتة، أيتصور اليوم أن يدخل مجالس النواب الانكليزي أعضاء من فلسطين أو الهند ويكون لهم رأي في أمور الادارة والسياسة؟ ان رجال دول الاستعمار في هذا العصر يبعدون المغلوبين عن الوظائف العالية ادارية كانت أو سياسية أو عسكرية — لانهم درسوا التاريخ وعرفوا علة انحطاط من سبقهم من الامم. فاعتبروا بخطيئات المتقدمين (١)

(١) المنار: يظهر ان مؤلف الكتاب وهو من اخواننا الترك الذين ينظرون في تاريخ الاسلام بالعين التي ينظرون بها الى دول أوربة وشوبها ولا يقدرون ما بينهما من الفارق حق قدره. ان أهل أوربة يقصدون من التغلب على الشعوب استخداما لتوفير لذاتهم والاستعلاء عليها ليجرد التمتع بالمعظمة والسلطان والكبرياء والعلو في الارض: وأما الاسلام فانه يحرم هذا كله ولم يقصد اهله العارفون به من فتح البلاد الا هداية اهلها الى الحق والعدل والفضيلة واتقاذهم من الشرك والخرافات والردائل لاجعلهم عبيداً للمسلمين بل ليكونوا مثلهم لهم دأبهم وعليهم ما عليهم، ولو جرى العرب على الخطة التي يجري عليها الاوريون اليوم خلافا لتعاليم الاسلام لما أمكن أن يستولوا في قرن واحد على سلطنة اعظم من السلطنة الرومانية التي اسسوها في بضعة قرون وما غلبوا اعظم دول الارض — الفرس والروم — في بضع سنين وقد كانت الدولة الاموية ذات عصبية عربية فلم تقدر أن تثبت قرنا واحدا. نعم ان سياسة الفاروق كانت هي السياسة المثلى في محافظة العرب الفاتحين على آدابهم وعاداتهم التي كانت على وفق هداية الاسلام لئلا تفسدها التقاليد الأعجمية الفاسدة وكان ينبغي ان تكون يدهم مقاليد الامور ألا يشركوا فيها الا من يوثق بصلاح حاله وعدم الخوف من سوء مآله، ولم يعمل الامويون ولا العباسيون بهذه القاعدة الراشدة فضاع الامر بين التفريط والافراط

العبر التاريخية في أطوار المسألة المصرية

ذهب وفد وزارة عدلي باشا الرسمي الى لندره لاجل الاتفاق مع حكومتها على رفع الحماية البريطانية عن مصر واستبدال بعلاقة أخرى بين البلدين بعد أن صدع هذا الوفد بناء الوحدة المصرية و فرق كلمتها فمن جراء هذا كان نصيبه الفشل واغتر الانكليز بتفريق الكلمة بقوة الوزارة المصرية فوضع اللورد كرزون لمصر نظاما جديدا حذف به كلمة الحماية وأبقى معناها بل ما هو أشد منه في استعباد البلاد واستذلالها الابدي فلم يسع عدلي باشا ووفده قبول هذا النظام باسم مصر بل عاد اليها وبعد عودته بأيام نشرت الحكومة الوثائق الثلاث الآتية في المسألة المصرية وهما هي ذي بنصها:

بلاغ رسمي

رفع حضرة صاحب الدولة عدلي يكن باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس الوفد الرسمي المصري الى حضرة صاحب العظمة السلطانية بطريق البريد مشروع المعاهدة الذي وضعت الحكومة البريطانية وجواب الوفد الرسمي المصري عليه وهذه ترجمة هاتين الوثيقتين

ترجمة مذكرة

بنصوص مشروع اتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر

أولا - انتهاء الحماية

(١) في مقابل ابرام المعاهدة الحالية والتصديق عليها تقبل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى رفع الحماية المعلنة على مصر في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ والاعتراف بمصر من ذلك الحين دولة متمتعة بحقوق السيادة SOVEREIGN STATE تحت امرة ملوكية دستورية فيمقتضى هذا قد ابرمت وتستمر باقية بين حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وشعبها من جهة وبين حكومة مصر والشعب المصري من الجهة الاخرى بمعاهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف

ثانياً — العلاقات الاجنبية

(٢) تتولى الشؤون الخارجية لمصر وزارة الخارجية المصرية تمت ادار وزير معين لذلك

(٣) يمثل حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى في مصر قوميسير عال يكون له في جميع الاوقات وبسبب مسؤولياته الخاصة مركز استثنائي ويكون له حق التقدم على ممثلي الدول الاخرى

(٤) يمثل الحكومة المصرية في لوندرو وفي أية عاصمة أخرى ترى الحكومة المصرية أن المصالح المصرية يمكن أن تستدعي هذا التمثيل فيها معتمدون سياسيون يكون لهم لقب ومرتبة وزير

(٥) بالنظر للتمهيدات التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها في مصر وعلى الخصوص فيما يتعلق بالدول الاجنبية يجب أن توجد اوثق الصلات بين وزارة الخارجية المصرية والقوميسير العالي البريطاني الذي يقدم كل المساعدة الممكنة للحكومة المصرية فيما يتعلق بالمعاملات والمفاوضات السياسية

(٦) لا تدخل الحكومة المصرية في أي اتفاق سياسي مع دولة أجنبية بدون أن تستطلع رأي حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بواسطة القوميسير العالي البريطاني (٧) تتمتع الحكومة المصرية بحق تعيين ممثلين قنصيين في الخارج حسب مقتضياتها

(٨) لاجل تولي الشؤون السياسية بوجه عام والقيام بالحماية القنصلية للمصالح المصرية في الاماكن التي لا يوجد فيها ممثلون سياسيون أو قناصل مصريون يضم ممثلو جلالة ملك بريطانيا العظمى تحت تصرف الحكومة المصرية ويقدمون لهم كل مساعدة في قدرتهم

(٩) تستمر حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى على تولي المفاوضات لالغاء الامتيازات الحالية مع الدول ذوات الامتيازات وتقبل مسؤولية حماية المصالح المشروءة للاجانب في مصر وتتداول حكومة جلالة الملك مع الحكومة المصرية قبل البت في هذه المفاوضات رسمياً

ثالثاً — النصوص العسكرية

(١٠) تتعهد بريطانيا العظمى بمساعدة مصر في الدفاع عن مصالحها

الحيوية وعن سلامة أراضيها
لأجل القيام بهذه التعهدات ولحماية المواصلات الامبراطورية البريطانية
الحماية اللازمة تكون للقوات البريطانية حرية المرور في مصر ولها أن تستقر
في أي مكان في مصر ولا يمد مدة يحددان من وقت لآخر . ويكون لها أيضاً
في كل وقت ما لها الآن من التسهيلات لأجرائه واستعمال الثكنات وميادين
التمرين والمطارات والترسانات الحربية والمين الحربية

رابعاً — استخدام الموظفين الاجانب

(١١) بالنظر للمسئوليات الخاصة التي تتحملها بريطانيا العظمى وبالنظر
للحالة القائمة في الجيش المصري والمصالح العمومية تتعهد الحكومة المصرية بأن
لا تعين ضابطاً أو موظفين أجانب في أية مصلحة منها قبل موافقة القوميسر
العالي البريطاني

خامساً — الادارة الماليه

(١٢) تعين الحكومة المصرية بعد استشارة *Consultatio* مع
حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قوميسيراً مالياً توكل اليه في الوقت المناسب
الحقوق التي يقوم بها الآن أعضاء صندوق الدين ويكون هذا القوميسر
المالي مسؤولاً بوجه أخص عن دفع المطلوبات الآتية في مواعيدها وهي :

- (١) المبالغ المخصصة لميزانية المحاكم المختلطة
- (٢) جميع المعاشات والسنويات الأخرى المستحقة للموظفين الاجانب
المحالين على المعاش وورثتهم

(٣) ميزانيتي القوميسرين المالي والقضائي والموظفين التابعين لهما .
(١٣) لأجل أن يؤدي القوميسر المالي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط
إحاطة تامة بجميع الأمور الداخلة في دائرة وزارة المالية ويكون له في كل
وقت التمتع بحق الدخول على رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية

(١٤) ليس للحكومة المصرية عقد قرض خارجي أو تخصيص إيرادات
مصلحة عمومية بدون موافقة القوميسر المالي

سادساً — الادارة القضائية

(١٥) تعين الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالة ملك بريطانيا

المنازج ١ م ٢٣ السيطرة على القضاء والادارة واستخدام السودان لمصر ٦٥

العظمى قوميسيراً قضائياً يكلف بسبب التعهدات التي تحملتها بريطانيا العظمى القيام مراقبة تنفيذ القانون في جميع المسائل التي تمس الاجانب (١٦) لاجل أن يؤدي القوميسير القضائي واجباته كما ينبغي يجب أن يحاط احاطة تامة بجميع الامور التي تمس الاجانب وتكون من اختصاص وزارة الحقانية والداخلية ويكون له في كل وقت التمتع بحق الدخول علي وزيرى الحقانية والداخلية

سابعاً - السودان

(١٧) حيث أن رقي السودان السلمى هو من الضروريات لأن مصر ولدوام مورد المياه لها تتعهد مصر بأن تستمر في أن تقدم لحكومة السودان نفس المساعدات الحربية التي كانت تقوم بها في الماضى أو أن تقدم بدلا من ذلك لحكومة السودان اعانة مالية تحدد قيمتها بالاتفاق بين الحكومتين تكون كل القوات المصرية في السودان تحت أمر الحاكم العام وغير ذلك تتعهد بريطانيا العظمى بأن تضمن لمصر نصيبها العادل من مياه النيل ولهذا الغرض قد تقرر أن لا تقام أعمال ري جديدة على النيل أو روافد جنوبي وادي حافا بدون موافقة لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء يمثل أحدهم مصر والثاني السودان والثالث أوغندا

ثامناً - قروض الجزية

(١٨) المبالغ التي تعهد خديوي مصر في أوقات مختلفة بدفعها للبيوت المالية التي أصدرت القروض التركية المضمونة بالجزية المصرية تستمر الحكومة المصرية على تخصيصها كما كان في الماضى لدفع الفوائد والاستهلاك لقرضى سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ الى ان يتم استهلاك هذين القرضين تستمر الحكومة المصرية أيضا في دفع المبالغ التي كان جاريا دفعها لسداد فوائد قرض سنة ١٨٥٥ المضمون .

عندما يتم استهلاك قروض سنة ١٨٩٤ وسنة ١٨٩١ وسنة ١٨٥٥ تنتهي مسؤولية الحكومة المصرية فيما يتعلق بأي تعهد ناشئ عن الجزية التي كانت تدفعها مصر لتركيا سابقاً

تاسما — اعتزال الموظفين والتعويض المستحق لهم

(١٩) للحكومة المصرية الحق في أن تستغني عن خدمه الموظفين البريطانيين في أي وقت كان بعد نفاذ هذه المعاهدة بشرط أن يمنع هؤلاء الموظفون تعويضاً مالياً كما سيأتي بيانه وذلك زيادة على المعاش أو المكافأة التي يستحقونها بمقتضى احكام استخدامهم

ويكون للموظفين البريطانيين الحق بنفس هذه الشرط في الاستغناء من خدمه في أي وقت بعد نفاذ هذه المعاهدة .

تسري جميع هذه الاحكام على الموظفين الذين لهم الحق في المعاش والذين ليس لهم الحق في المعاش وأيضاً على موظفي البلديات ومجالس المديريات والهيئات المحلية الأخرى

(٢٠) الموظفون المرفوتون أو المحالون على المعاش طبقاً لنص المادة السابقة تعطى لهم زيادة على التعويض اعانة اياهم تكون كافية لسد نفقات ترحيل الموظف نفسه وعائلته ومساءه المنزلي الى لوندرة .

(٢١) تدفع التعويضات والمعاشات بالجنهيات المصرية باعتبار سعر ثابت قدره ٩٧ ١/٢ قرشاً للجنهية الانجليزي

(٢٢) يوضع جدول عن التعويضات :

(١) للموظفين الدائمين

(٢) للموظفين المؤقتين

بمعرفة رئيس جمعية خبراء حسابات التأمين Societiofract arles

عاشرا حماية الاقليات

(٢٣) تتعهد مصر بأن النصوص الوارد ذكرها فيما بعد تعتبر قوانين أساسية . والا يتضارب معها أو يؤثر عليها أي قانون أو لائحة أو عمل رسمي والا ينقض مفعولها قانون أو لائحة أو عمل رسمي .

(٢٤) تتعهد مصر بأن تضمن لجميع سكان مصر الحماية التامة الكاملة لارواحهم وحريةهم من غير تمييز بسبب مولدهم أو تبعيتهم الدولية أو لغتهم أو جنسهم أو دينهم يكون لجميع سكان مصر الحق في أن يقوموا بحرية تامة علانية أو غير علانية بشعائر أمة أو دين أو عقيدة ما دامت هذه الشعائر لا تنافي النظام العام

أو الآداب العمومية

(٢٥) جميع الحائزين للرعوية المصرية يكونون متساوين أمام القانون ويكون لكل منهم التمتع بما يتمتع به الآخرون من الحقوق المدنية والسياسية من غير تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين .

اختلاف الأديان والعقائد والمذاهب لا يؤثر على أي شخص حائز للرعوية المصرية في المسائل الخاصة بالتمتع بالحقوق المدنية والسياسية مثل الدخول في الخدمات العمومية والتوظيف والحصول على ألقاب الشرف أو مزاولة المهن أو الصناعات

لا يسوغ فرض أي قيد على أي شخص متمتع بالرعوية المصرية في حرية استعماله لأي لغة في معاملاته الخصوصية أو التجارية أو في الدين أو في الصحف أو في المطبوعات من أي نوع كانت أو الاجتماعات العمومية

(٢٦) الأشخاص الحائزون للرعوية المصرية التابعون للأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية يكون لهم الحق في القانون وفي الواقع في نفس المعاملة والضمانات التي يتمتع بها غيرهم من الحائزين للرعوية المصرية وعلى الخصوص يكون لهم حق مساو لحق الآخرين في أن ينشؤوا أو يديروا أو يراقبوا على نفقتهم معاهد خيرية أو دينية أو اجتماعية ومدارس أو غيرها من دور التربية ويكون لهم الحق في أن يستعملوا فيها لغتهم الخاصة وأن يقوموا بشعائر دينهم بحرية فيها

ترجمة رد الوفد المصري الرسمي

(على مشروع الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر)

اطلع الوفد الرسمي المصري على المشروع الذي سلمه اللورد كرزون الى رئيس الوفد بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢١

ولقد رأى أن هذا المشروع تضمن فيما يتعلق بأكثر المسائل التي تناولتها مناقشاتنا والمذكرات التي تبادلناها منذ أربعة شهور نفس النصوص والصيغ التي عرضت علينا عند بدء المفاوضات ولم تقبلها حينئذ

فعن المسألة العسكرية وهي ذات أهمية كبرى استبقى المشروع الحل الذي قاومناه أشد مقاومة ولم يقتصر على ذلك . بل توسع في صرماه بما جعله أشد وطأة على أن حماية المواصلات الإمبراطورية . (وهي التي قيل في مفاوضات

العام الماضي أنها العلة الوحيدة لوجود قوة عسكرية في القطر المصري لا تبرر هذا الحل

ففي حين أنه كان يكفي تعيين نقطة في منطقة القتال تنحصر فيها طرق ووسائل المواصلات الامبراطورية وكذلك القوة التي تتولى حمايتها نص المشروع على تحويل بريطانيا العظمى الحق في ابقاء قوات عسكرية في كل زمان وفي أي مكان بالاراضي المصرية وضع أيضا تحت تصرفها كل ما لدى القطر من وسائل المواصلات وطرقها. وهذا انما هو الاحتلال بذاته — الاحتلال الذي يهدم كل معنى للاستقلال بل ويذهب الى حد القضاء على السيادة الداخلية . على أن الاحتلال العسكري في الماضي ، ولو لم تكن له الا صفة مؤقتة ، قد كفى لأن يثبت لبريطانيا العظمى المراقبة المطلقة على الادارة كلها وان لم يكن هناك أي نص في معاهدة أو تقوية لآية سلطة

أما مسألة العلاقات الخارجية — وهي المسألة الوحيدة التي عدلت فيها الصيغة الاولى التي كانت وضعها وزارة الخارجية البريطانية وذلك بقبول مبدأ التمثيل — فان المشروع قد أحاط الحق الذي اعترف لنا به بقيود كثيرة أصبح معها بمثابة حق وهمي . اذ لا يتصور ان تتوفر لدى وزير الخارجية الحرية التي يقتضيها القيام باعباء منصبه وتحمل مسؤوليته اذا كان ملزماً بنص صريح بأن يبقى على اتصال وثيق بالمندوب السامي . فان ذلك معناه أن يكون خاضعاً في الواقع لمراقبته مباشرة في ادارة الامور الخارجية . وعدا ذلك فان الالتزام بالحصول على موافقة بريطانيا العظمى على جميع الاتفاقات السياسية (حتى ما لا يتناقض منها مع روح التحالف) فيه اخلال خطير بمبدأ السيادة الخارجية . وأخيراً فان استبقاء لقب المندوب السامي (وهو لقب لم تجر العادة بمنحه الى الممثلين السياسيين لدى البلاد المستقلة) هو أوضح في الدلالة على طبيعة النظام السامي المقترح لمصر

ومن جهة أخرى فان تأجيل مسألة الامتيازات دنا الى الاعتقاد بأنه لم تبق حاجة الى النص عليها في المعاهدة وان المفاوضات بشأنها في المستقبل تكون موكولة الى مصر صاحبة الشأن الاول مع معاومتها في ذلك سياسياً من جانب حليفها . ولكن المسألة منظور اليها اليوم كأنها تعني على الاخص بريطانيا العظمى التي تتولى من الآن حماية المصالح الاجنبية . وتريد أن تباشرونها

فند الاقتضاء المفاوضات بشأن إلغاء الامتيازات
أما فيما يتعلق بالمندوبين (القوميسرين) المالي والقضائي وبتدخلهما في إدارة
الشؤون الداخلية كلها باسم حماية المصالح الأجنبية تدخلا قد يصل في بعض الأحوال
فيما يختص بالمندوب (القوميسير) المالي إلى شل سلطة الحكومة والبرلمان
فإننا لا نريد هنا أن نكرر ما سبق لنا إبداءه من الاعتراضات في مذكراتنا
على أنه يتحتم علينا القول بأن المناقشات التي تلت تأجيل مسألة الامتيازات
بعثت في نفوسنا الشعور بأن الاتفاق فيما يتعلق بحماية المصالح الأجنبية سيقوم
على قواعد أكثر ملاءمة للسيادة المصرية .

أما مسألة السودان التي لم يكن قد تناولها البحث فلا بد لنا فيها من توجيه
النظر إلى أن النصوص الخاصة بها لا يمكن التسليم بها من جانبنا . فإن هذه
النصوص لا تكفل لمصر التمتع بما لها على هذه البلاد من حق السيادة الذي
لا نزاع فيه وحق السيطرة على مياه النيل

إن الملاحظات المتقدمة لا تجعل ثمة حاجة إلى مناقشة المشروع تفصيلا إذ
فيها ما يكفي للدلالة على روحه وصرماه وغير هذا فقد التزم المشروع تكرار
ذكر تعهدات بريطانيا العظمى و « المسؤوليات الخصوصية » الواقعة على
المندوب السامي وكذلك الغرض الجديد — وهو قصد صيانة المصالح الحيوية
لمصر — الذي اتخذ سببا لوجود القوة العسكرية وبهذا تم المشروع صبغة
الوصاية الفعلية

إننا قبلنا المهمة التي عهد بها إلينا عظمة السلطان كنا نؤمل الوصول إلى
إبرام معاهدة تحالف مؤيدة لاستقلال مصر تأييدا حقيقيا وكفيلة في الوقت
نفسه بصيانة المصالح البريطانية وعندئذ فإن مصر حليفة بريطانيا العظمى كانت
تعد من واجبات كرامتها الوفاء بإخلاص بما تقطعه على نفسها من العهود ولكن
التحالف بين أمتين لا يمكن أن يتحقق إلا على شريطة أن لا يقضى على
أحدهما بالخضوع الدائم

وإن روح المسألة التي سادت مناقشاتنا كانت تسمح لنا بالتفاؤل بنجاح
المفاوضات . ولكن المشروع الذي أمامنا لم يحقق هذا الأمل فهو بحالته لا
يجعل محلا للأمل في الوصول إلى اتفاق يحقق آماني مصر الوطنية

ترجمة تبليغ

من نائب جلالة الملك الى حضرة صاحب العظمة سلطان مصر

في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢١

يا صاحب العظمة

انه بموجب التعليمات التي وصلتني من حكومة جلالة الملك لي الشرف أن أرفم الى مقام عظمتكم البيان الآتي المتضمن آراء حكومة جلالته فيما يتعلق بالمفاوضات التي جرت حديثاً مع الوفد المرسل من قبل عظمتكم تحت رئاسة صاحب الدولة عدلي باشا . ان حكومة جلالته قدمت الى عدلي باشا مشروع اتفاق لعقد معاهدة بين الامبراطورية البريطانية ومصر كانت حكومة جلالته على استعداد لان توصي جلالة الملك ومجلس النواب بقبوله ولكنها علمت بمزيد الاسف ان ذلك المشروع لم يحز قبولا لديه . ومما زاد أسفها أنها تعتبر اقتراحاتها هذه سخية في جوهرها واسعة النطاق في نتائجها وانها لا يمكنها أن تبقي محلا لاي أمل في اعادة النظر في المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات لذلك كان من المستحسن أن تحيط حكومة جلالته علم عظمتكم احاطة وافية بالاعتبارات الرئيسية التي استرشدت بها وبالروح التي صدرت عنها تلك الاقتراحات ان هناك حقيقة جليلة سادت العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر مدة أربعين سنة ويجب أن تبقى هذه الحقيقة سائدة هذه العلاقات على الدوام وهي التوافق التام بين مصالح بريطانيا العظمى في مصر وبين مصالح مصر نفسها . ان استقلال الامة المصرية وسيادتها كلاهما عظيم الاهمية للامبراطورية البريطانية ، ان مصر واقعة على خط المواصلات الرئيسي بين بريطانيا العظمى وممتلكات جلالة الملك في الشرق وجميع الاراضي المصرية هي في الواقع ضرورية لهذه المواصلات لان مصير مصر لا يمكن فصله عن سلامة منطقة قناة السويس . لذلك فان حفظ مصر سالمة من تسلط أية دولة عظيمة أخرى عليها هو في الدرجة الاولى من الاهمية للهند وأستراليا ونيوزيلاند ولجميع مستعمرات وولايات جلالته في الشرق ويؤثر في سعادة وسلامة نحو ثلاثمائة وخمسين مليوناً من رعايا جلالته . ثم ان نجاح مصرهم هذه البلاد ليس لان كل من

بريطانيا العظمى ومصر هي أفضل هميلة للآخرى فقط بل لان كل خطر جسيم على مصلحة مصر التجارية أو المالية يدعو الى مداخلة الدول الاخرى فيها ويهدد استقلالها . هذه كانت البواعث الرئيسية للعلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر وهي لا تزال الآن على ما كانت عليه من القوة في الماضي

قد اعترف الجميع بما أصاب هذا الائتلاف من النجاح بوجه عام أثناء العهد السابق للحرب العظمى . ولما بدأت بريطانيا العظمى تهتم بمصر اهتماماً فعلياً كان المصريون فريسة للاختلال المالي والقوضي الادارية وكانوا تحت رحمة أي قادم ولم يكن في طاقتهم مقاومة ضروب الوسائل القتالة للاستغلال الاجنبي تلك الوسائل التي تستأصل من نفوس الامة كرامتها وتمحو قواها الحيوية . فاذا كانت الامة المصرية الآن أمة نشيطة ذات كرامة فانها مدينة بهذه النهضة على الخدم ومن لمعونة بريطانيا العظمى ومشورتها — ان المصريين سلموا من المداخلة الاجنبية واعينوا على انشاء نظام اداري واف وقد تدرب عدد كبير منهم على ادارة الامور والحكم واطرد نمو مقدراتهم ونجحت ماليتهم بنجاح فوق المنتظر وقد قامت سعادة جميع الطبقات على أسس ثابتة . وفي هذا التقدم السريع لم يكن هناك ظل للاستقلال . ان بريطانيا العظمى لم تطلب لنفسها ربها مالياً أو امتيازاً تجارياً والامة المصرية قد جنت كل ثمار مشورة بريطانيا العظمى ومساعدتها لها

ان شبوب نار الحرب بين الدول الاوربية العظمى سنة ١٩١٤ زاد بالضرورة عرى الائتلاف توثيقاً بين الامبراطورية البريطانية ومصر . ولما انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب لم يكن أثر ذلك قاصراً على تهديد المواصلات البريطانية وحدها بل كان مهدداً لها ولاستقلال مصر على السواء تهديداً عاجلاً ، فكان اعلان الحماية على مصر اعترافاً بهذه الحقيقة وهي انه لا يمكن دفع الخطر عن الامبراطورية البريطانية ومصر معاً الا بعمل مشترك تحت قيادة واحدة . كان اتساع نطاق الحرب بدخول تركيا فيها السبب في قتل وتشويه آلاف من رعايا جلالة الملك من الهند واستراليا ونيوزيلاندا ومن رجال بريطانيا العظمى أيضاً وقبورهم في غاليبولي وفلسطين والعراق شاهدة على الجهد العظيم الذي كابدته شعوب الامبراطورية البريطانية بسبب دخول تركيا ، قد اجتازت مصر هذه المحنة دون أن يمسه ضرر بفضل جهود

من بعث بهم تلك الشعوب من الجنود . فكانت خسائر مصر طعيفة ولم يزد دينها . وثروتها الآن أعظم مما كانت قبل الحرب في حين أن الكساد الاقتصادي قد اشتدت وطأته على أكثر البلدان الأخرى . فليس من الحكمة أن الشعب المصري يتغاضى عن هذه الحقائق أو ينسى لمن هو مدين بذلك كله ، ولولا القوة التي أبدتها الامبراطورية البريطانية في الحرب لاصبحت مصر ميدان حرب بين القوات المتحاربة ولوطئت هذه القوات حقوق مصر باقدامها وأفنت ثروتها . ولولا نصر الحلفاء لم تكن الآن في مصر أمة تطالب بحقوق السيادة الوطنية بدلا عن حماية أجنبية . فالحرية التي تتمتع بها مصر الآن وما تتطلع اليه من حرية أوسع إنما هي مدينة بهما للسياسة البريطانية والقوة البريطانية

ان حكومة جلالة الملك مقتنعة بأن الاتفاق التام في المصالح بين بريطانيا العظمى ومصر الذي جعل ائتلافها نافعا لكليهما في الماضي هو دعامة العلاقة التي يجب على كليهما استمرار المحافظة عليها . وعلى الامبراطورية البريطانية الآن كما كان في الماضي أن تحمل على عاتقها في آخر الامر مسئولية الدفاع عن أراضي عظمتكم ضد أي تهديد خارجي . وكذلك عليها تقديم المعونة التي قد تطلبها في أي وقت حكومة عظمتكم لحفظ سلطتكم في البلاد . ثم ان حكومة جلالة الملك تطلب فوق ذلك أن يكون لها دون غيرها الحق في تقديم ما قد تحتاج إليه حكومة عظمتكم من المشورة في ادارة البلاد وتدير مالياتها وترقية نظامها القضائي ومواصلة علاقاتها مع الحكومات الأجنبية . على ان حكومة جلالتهم لا ترمي من وراء هذه المطالب الى منع مصر من تمتعها بكامل حقوقها في حكومة ذاتية وطنية بل هي ترمي بذلك الى التمسك بها قبل الدول الأجنبية الأخرى وهذه المطالب قوامها تلك الحقيقة وهي ان استقلال مصر واستتباب النظام فيها وسعادتها ركن أساسي لسلامة الامبراطورية البريطانية ، وحكومة جلالة الملك تأسف على أن مندوبي عظمتكم لم يتقدموا أثناء المفاوضات تقدما يذكر في سبيل الاعتراف بما للامبراطورية البريطانية دون سواها من الأسباب الصحيحة بالتمسك بهذه الحقوق والمسؤوليات

أن شروط المعاهدة التي تعتبرها حكومة جلالة الملك ضرورية لحفظ هذه الحقوق وكفالة هذه المسؤوليات قد ادرجت في مواد للشروع الذي

سيرفعه الى عظمتكم صاحب الدولة عدلى باشا . وأتم هذه الشروط هو ما يتعلق بالجنود البريطانية . فان حكومة جلالة الملك قد عنيت أتم عناية يبحث الادلة التي قدمها الوفد المصري في هذا الشأن ولكنها لم تستطع أن تقبلها . لان حالة العالم الحاضرة ومجرى الاحوال في مصر منذ عقد الهدنة لا يسمحان بأي تعديل كان في توزيع القوات البريطانية في الوقت الحاضر . ومن الواجب اعادة القول بان مصر هي جزء من مواصلات الامبراطورية . ولم يكذب بمضي جيل على مصر منذ انتقلت من الفوضى . وهناك علامات على انه لا يبعد على المتطرفين في الحركة الوطنية أن يزجوا بمصر ثانية في الهوة التي لم يطل العهد على انقاذها منها . وقد زاد اهتمام حكومة جلالة الملك بهذا الشأن لما رآته من وفد عظمتكم في الاعتراف بان الامبراطورية البريطانية يجب أن يكون عندها ضمان قوي ضد أي تهديد مثل هذا لمصالحها ، والى أن يحين الوقت الذي يكون فيه سلوك مصر مدعاة الى الثقة بالضمانات ، وأول هذه الضمانات ورأسها هو وجود جنود بريطانية في مصر ، وحكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تتغلى عن هذا الضمان ولا أن تنقص منه

على انها تعيد القول وتؤكد به بأن مطالبها في هذا الصدد لا يقصد بها استمرار الحماية لافعلولا حكما بل بالعكس ان امنيتها القلبية الخالصة هي أن تتمتع مصر بحقوق وطنية ويكون لها بين الامم مقام دولة متمتعة بحق السيادة على أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالامبراطورية البريطانية بماهدة تكفل لتفريقين مصالحها وأغراضها المشتركة . ولهذا الغاية التي جعلتها حكومة جلالتهم نصب عينها اقترحت رفع الحماية فوراً والاعتراف بمصر « دولة متمتعة بحقوق السيادة تحت امرة ملوكية دستورية » والاستعاضة عن العلاقات القائمة الآن بين الامبراطورية البريطانية ومصر بماهدة دائمة ورابطة سلام ووداد وتحالف » وكانت حكومة جلالتهم تأمل ان مصر باعادة وزارة الخارجية ترسل ممثلها في الحال الى الممالك الاجنبية . كما انها كانت على استعداد لتعزيب مصر في انضمامها الى جمعية الامم اذا طلبت ذلك وبذلك كان يتحقق لمصر في الحال ما للدول المتمتعة بحقوق السيادة من السلطة والميزات

ولكن رفض حكومة عظمتكم الحاضرة لهذه الاقتراحات أوجد حالة جديدة . وهذه الحالة لا تؤثر في مبدأ السياسة البريطانية ولكنها بالضرورة

تقلل من التدابير التي يمكن تنفيذها الآن . فذلك ترغب حكومة جلالة الملك ان تبدي بوضوح حالة موقفها الآن

ففيما يتعلق بالحاضر لا يمكن للحكومة جلالة تنفيذ اقتراحاتها بدون رضا الامة المصرية واشتراكها ولكن حكومة جلالة تحافظ على الرغبة التي كانت لديها على الدوام وهي العمل على انماء مواهب المصريين بزيادة عدد الموظفين منهم في كل فرع ولا سيما في الفروع الادارية العالية التي كثر فيها عدد الموظفين الاوربيين . حكومة جلالة مستعدة لان تواصل بمشاوره حكومة عظمتكم المفاوضات مع الدول الاجنبية لاجل إلغاء الامتيازات لكي يكون الموقف الدولي جلياً عند ما يحين وقت اصدار التشريع المصري الذي سيحل محل تلك الامتيازات ، وكذلك ترجو حكومة جلالة ان السلطة التي يباشرها الآن القائد العام تحت القانون العسكري تباشرها الحكومة المصرية وحدها بمقتضى القوانين المدنية المصرية وهي تسر برفع الاحكام العسكرية حالاً يصدر « قانون التضمينات » (act of Indemnity) ويعمل به في كل المحاكم المدنية والجنائية في مصر . وهو قانون لا بد منه لحماية الحكومة المصرية وحماية السلطة البريطانية في مصر

وأما من جهة المستقبل فان حكومة جلالة الملك ترغب أن توضح بعبارة جلية السياسة التي تنوي اتباعها . فقد علمت ان المشروع الذي قدمته الى وفد عظمتكم قد رفض بحجة ان الضمانات التي تضمنها المشروع لصيانة المصالح البريطانية والاجنبية تقضى على التمتع بالحكومة الذاتية تمتعاً صحيحاً وهي تأسف غاية الاسف على ان استبقاء الجنود البريطانية في مصر واشتراك الموظفين البريطانيين مع وزارتي الحقانية والمالية يساء فهم المراد منها الى هذا الحد . اذا كان الشعب المصري يستسلم الى آمانيه الوطنية مهما كانت هذه الاماني صحيحة ومشروعة في ذاتها دون أن يكثر اكرثاً كافياً بالحقائق التي تستحكم في الحياة الدولية فان تقدمه في سبيل تحقيق مصلحه الاسمى لا يصيبه التأخر فقط بل يتعرض للخطر تعرضاً تاماً . اذ ليس من فائدة ترجى من وراء التصغير من شأن ما على الامة من واجبات وتمظيم مالها من الحقوق . وان الزعماء المتطرفين الذين يدعون الى هذا العمل لا يعملون على نهوض مصر بل يهددون رقيها . وهم بما كان لهم من الاثر في مجرى الحوادث قد تحدوا مرة بعد مرة الدول الاجنبية في مصالحها وأثاروا مخاوفها . وكذلك عملوا في

الاسابيع الاخيرة على التأثير في مصير المفاوضات بشدائد مهيبة استثاروا بها جهل العامة وشهواتهم، وان حكومة جلالة الملك لا تعتبر انها تخدم مصلحة مصر بتساهلها ازاء تهيج من هذا القبيل وان يمكن مصر أن تسير في سبيل الرقي الا متى اظهر قادتها المسئولون من الحزم والعزيمة ما يكفل قم مثل هذا التهيج. فان العالم يتألم الآن في جهات عديدة من الاندفاع في نوع من الوطنية المتعصبة المضطربة. وحكومة جلالة الملك تقاوم هذا النوع من الوطنية بكل شدة سواء في مصر أو في غيرها. وان اولئك الذين يستسلمون لتلك النزعات انما يعملون على جعل القيود الاجنبية التي يطلبون الخلاص منها أشد لزوما وبذلك يطيلون أجالها

واذ الامر كذلك فان حكومة جلالة الملك مراعاة مصلحة مصر ومصلحتها الخاصة أيضاً ستستمر بلا تردد على مواصلة غرضها كرشدة لمصر وأمانة على مصالحها. ولا يكفيها أن تعلم ان في استطاعتها العودة الى مصر اذا تبين أن مصر بعد أن تركت لنفسها بغير معونة قد عادت الى عهد التبذير والاضطراب الذي لازمها في القرن الماضي فرغبة حكومة جلالة الملك أن تستكمل العمل الذي بدىء به في عهد اللورد كرومر لا أن تبدأ من جديد وهي لا تنوي أن تبقى مصر تحت وصايتها بل بالعكس ترغب في تقوية عناصر التعبير في الوطنية المصرية وتوسيع مجال العمل أمامها وتقريب الوقت الذي يمكن فيه تحقيق المطمح الوطني تحقيقاً تاماً. ولكنها ترى من الواجب أن تصر على الاحتفاظ بالحقوق والسلطة الفعالة لاجل صيانة مصالح مصر ومصلحتها الخاصة على السواء وذلك الى أن يظهر الشعب المصري أنه قادر على صيانة بلاده من الاضطراب الداخلي وما يترتب عليه حتماً من تدخل الدول الاجنبية

وسبيل التقدم الوحيد للشعب المصري يقوم على تأزره مع الامبراطورية البريطانية لا على تمافرهما. وحكومة جلالاته لرغبتها في هذا التأزر مستعدة فيما يتعلق بها الى البحث في أية طريقة قد تعرض عليها لاجل تنفيذ اقتراحاتها في جوهرها وذلك في أي وقت تريده حكومة عظمتكم، على أنها مع هذا لا يسعها تعديل المبدأ الذي بنيت عليه تلك الاقتراحات ولا إضعاف تلك الضمانات الجوهريّة التي تشتمل عليها. وهذه الاقتراحات من مقتضاها أن يكون مستقبل مصر في أيدي الشعب المصري نفسه. فكلما زاد اعتراف شعبكم

بوحدة المصالح البريطانية ومصالحه كلما قلت الحاجة الى هذه الضمانات. وقادة مصر المسئولون هم الذين عليهم في هذا العهد الثاني من اشتراكهم مع بريطانيا العظمى أن يثبتوا بقبولهم النظام الوطني المعروض عليهم الآن وبالالتزام جانب الحكمة في العمل به أن المصالح الحيوية للإمبراطورية البريطانية في بلادهم يمكن أن توكل لعنايتهم بالتدريج . اهـ

(المنار) قد صدقت الاحداث جميع ما قررناه في المسألة المصرية في الجزء السابع وجاءت الوقائم بما توقعناه من فشل مفاوضة الوفد الرسمي للحكومة البريطانية واستعفاء وزارة عدلي باشا فكان مأخذه اختلافها مع الوفد - او سعد - من الشقاق، سبب حرمانها مما تبغي من الاتفاق، وكان فشلها خيرا لمصر من نجاحها، فانه أزال غرور جميع محسني الظن بالدولة البريطانية وأبطل تقرير الانتفاعيين الذين كانوا يخذعون بها الأمة، فمشروع (كرزون) الصادر، خير من مشروع (بلتر) الخادع، اذ أظهر للعالم والجاهل والذكي والغبي أن بريطانيا لا تبغي من المصريين الا الاعتراف لها بأنها سيدة مصر والسودان والمالكة لها ولاهلها، ولئن كان لورد كرومر هو المسترق، فكرزون هو المهرج يحفره الأمة الى الخروج من هذا الرق، وإنما الفضل للسلطة العسكرية التي أرهقت البلاد، وأجبرت وزراء لندن على إمالة حجاب الرياء . ونكتفي بأن نقول في هذه التعليقة العجلى على هذه الوثائق الرسمية إن بريطانيا كانت تظن أن هذا الطغيان والجبروت والمظنات والتهديد بقوة السعير العسكري لا بد أن يرهب مصر الفتاة العزلى فتخر ساجدة بين يدي القائد الديني فأنح القديس قائلة غفرانك غفرانك نحن عبيد بريطانيا العظمى صاحبة الحق في أموالنا ودمائنا وأرضنا وسمائنا فها تمنحنا في حكم بلادنا من وظيفة أو منصب، أو حق مأكّل أو مشرب، فهو فضل وسخاء منها نقابله بالحمد والشكر، ومما تستأثر به من الحكم والتصرف والمنافع ومن رقبة الأرض فهو من تصرف المالك في ملكه وان سمي في العرف العام والخاص مصادرة وظلما

كذب ظن بريطانيا فان الأمة قد هبت كلها للانكار الشديد على المذكرتين ورفضهما. أشد الرفض وفي مقدمتها زعيمها الأكبر سعد باشا وأعضاء الوفد داعية الى الاتحاد على ذلك وعلى الاصرار على الاستقلال التام المطلق بلسان جميع أحزابها وصحفها. فأمر القائد الديني سعدا ومن معه باعتزال السياسة والخروج من

القاهرة الى الريف — فردوا الامر فاعتقلوا ونفوا من مصر — فثارت البلاد ثورة اجتماعية عامة لم يصددها عنه الخوف من الجند البريطاني الذي ملا العاصمة وغيرها من المدن معززا بالسيارات المدرعة والطائرات المهددة وعاد أعضاء الوفد المشاقون فالتحدوا مع الباقين يعملون في بيت الامة ، وبرزت الى ميدان السياسة عقيلة الزعيم التي أبت مرافقته لتحل محله في خدمته فألقت على أعضاء الوفد خطابا من وراء حجاب ، ذرفت منه العيون واضطربت الالباب ، ثم جمعت شمل النساء على مقاومة الخصم بمقاطعة تجارته ، وتربية الاولاد على بغضه وعداوته ، وعم التظاهر بالاستياء والاحتجاج على المذكرتين وتقي الزعيم وأعضاء الوفد في الجرائد وغيرها من جميع الاحزاب والجماعات الرسمية وغير الرسمية من دينية ومدنية حتى أن رؤساء الكنيسة القبطية قرروا ترك الزيارات والتهاني بعيد ميلاد ورأس السنة ، والحت الوزارة المدلية بقبول استمالتها وتمذر تأليف وزارة جديدة تنفذ لسلطة البريطانية ما تريد لشدة الاحتجاج من الرأي العام للامة حتى الذين كانوا يسون المدلين أو الحكوميين والوزاريين . وتواترت الوفود من جميع أرجاء القطر رافعة احتجاجها الى القصر السلطاني على المذكرتين وتقي الزعيم ومن معه الخ واستقر رأي السواد الاعظم على مقاطعة التجارة الانكليزية ورجال الانكليز . وأخيراً أصدر الوفد قراراً شديداً في هذا المعنى نشر في بعض الجرائد فعملتها السلطة العسكرية واعتقلت أعضاء الوفد الذين وقعوه فخل محلمهم أفراد آخرون بلا خوف ولا وجل ، ولا غرو فان كل ما حصل فهو خير لمصر اذ لا تتربى الامم الا بالشدائد ، وشر للانكليز لانه وضع للقوة العسكرية القاهرة ، في موضع سياسة الحكمة والدهاء الساحرة ، فاذا أصرروا على ذلك كانوا هم الخاسرين ، واذا أصررنا على طلب حقنا كنا نحن الفائزين ، والعاقبة للمتقين

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ باحثه البادية ﴾

« بحث انتقادي بقلم الأنسة مي »

قد اشتهر هذا الكتاب بين الناطقين بالضاد في كل قطر تنشر فيه أو تقرأ الصحف العربية فقد قرظته صحف القطر المصري فالقطر السوري فسائر

٧٨ الرد على جيش الاحتلال والخارجية والمندوب السامي المنار : ج ١ م ٢٣

الجرائد العربية في سائر الاقطار، فكان له في صفحاتها أجمل الذكر والثناء. اذ كان غريباً في بابه، عديم النظر في الكتب العربية في نفسه، وفي كون منشئته فتاة عربية تترجم عقيلة عربية بأسلوب عربي جم بين تأثير الشعر ودقة الفلسفة وتحقيق التاريخ وقد عرف قراء هذه الصحف أن «باحثة البادية» لقب أدبي منتحل للادبية المصرية الشهيرة فقيده الاصلاح (ملك ناصف) عقيلة عبد الستار بك الباسل (رحمها الله تعالى) كانت تتنكر على به على عادة ربات الحجال المسلمات في عصرنا، وان (ميا) لقب ادبي منتحل للادبية المصرية النشأة السورية الاصل الآنسة (ماري زيادة) أتم الله آداب العربية بطول حياتها، وأن هاتين النابغتين العربيتين قد فاقتا جيم بنات جنسهما في هذا العصر، بل تفاخر مصر العربية بهما بنات كل شعب وكل مصر،

نشر هذا الكتاب مطبوعاً منذ سنتين وأهدته الى المؤلفة وأنا في دمشق فكانت مطالعته مريحة لنفسى مما أكابد من اعمال رئاسة المؤتمر، وسياسة الوطن، وتبريح المرض، والبعد عن الاهل والولد، فتوجهت الارادة الى العناية بتقريظه، والاستقصاء لوصفه، والبحث في تقده، على اثر التأثير بقراءته، فحالت دون ذلك كارثة زحف الجند الفرنسي على الشام، واسقاطه لحكومتها المبنية على اساس الاستقلال، واشتداد المرض، ومنع المعتمد البريطاني اياي من العودة الى وطن السكن، فأحلت امر تقريظه الى من كان يقرظ غيره من المطبوعات التي تهدي الى المنار، على ما كان من تقصيره في حقوق المهدبن والقراء، فجرى فيه وفي كثير من الكتب على مذاهب الارجاء، وحسبى من قضاء حقه هذا التنويه الآن، وأرجو أن أعود اليه في وقت اطيل فيه البحث في شؤون تربية النساء

﴿ كتاب المسألة الشرقية ﴾

المسألة الشرقية في علم السياسة أهم من مسألة التحسين والتقبيح العقلين في علم الكلام، وأعقد من مسألة تريع الدائرة في علم الهندسة، ونحن الشرقيين أحوج الى الاحاطة بها والوقوف على عللها ومعلولاتها منا الى العلم بسائر مسائل السياسة ومستمدتها من علم التاريخ

وقد كان أكثر أهل الشرق غافلين عن هذه المسألة لعدم المنبهات، الموقظة من ذلك السبات، ولهذا افترضنا مسألة تألم العالم الاسلامي من مسألة طرابلس الغرب وبرقة فكتبنا عشر مقالات بعنوان المسألة الشرقية نشرناها في المؤيد

ثم في المنار، فكان لها تأثير عظيم ذكرناه في محله من قبل. ثم جاءت الحرب الكبرى وماتلاها من الهدنة وبناء قواعد الصلح بين الدول الغربية على حل المسألة الشرقية حلا نهائيا فتم تنبيه أذهان الشرقيين عامة والمسلمين خاصة للبحث في هذه المسألة فبعث ذلك حسين ليب أفندي أستاذ التاريخ في مدرسة القضاء الشرعي على وضع كتاب وجيز في المسألة نشرته مجلة الهلال المصرية ثم طبعته على حدة في جزء بلغت صفحاته ١٢٠ ص من قطع المنار وهو خاص بطور المسألة الشرقية العثمانية التركية، وقد استمد مسأله من كتب التاريخ العربية والافرنجية والجرائد. وهو مؤلف من مقدمة في التعريف بالمسألة وستة فصول بين فيها معنى المسألة وأسباب ضعف الدولة وما كان من نهضة الدولة الروسية وقتالها إياها لحل المسألة الشرقية، والانتقال العثماني الاخير ومسألة استقلال العناصر، وخاتمة في حال الدولة العثمانية في الحرب العظمى ومعاهدة سيفر المقررة للقضاء على سلطنتها (ونحمد الله تعالى ان أماتها عقب ولادتها) والكتاب مزين بصور عظماء رجال الدولة من المتقدمين والمتأخرين ويتصل به خريطة تاريخية لاملاك الدولة في القرن الماضي. فنحن كل من يهمه أمر الشرق والدولة العثمانية من قراء العربية أن يطالع هذا الكتاب المختصر المفيد

﴿ مفاوضات الانكليز بشأن المسألة المصرية ﴾

نشر أمين بك الرافعي مدير جريدة الاخبار في العام الماضي مقالات في الاخبار في تاريخ اعتداء الدولة البريطانية على البلاد المصرية واحتلالها إياها وماتبع ذلك من الوقائع والاحداث والمفاوضات السياسية الدولية في شؤون هذه البلاد كشف فيها القناع عن الدهاء والرياء والخداع الانكليزي الذي يجب على كل مصري وكل عربي بل كل شرقي أن يعرفه ويعتبر به ، وكنا كلما قرأنا مقالة من تلك المقالات نرى وجوب حفظ الجريدة لاجل الرجوع اليها ثم تمنى لو تجمع تلك المقالات في كتاب خاص. وكان يتمنى ذلك مثلنا كل من يعرف قيمتها وشدة الحاجة اليها وما كان من تعب الكاتب في جمع تلك الحقائق وبراها في الصيغة النافعة المؤثرة ، وقد كاشف الكاتب بذلك كثيرون منهم واقترحوه عليه فأجابهم اليه ، وطبعت المقالات على ورق جيد فكانت كتابا تاريخيا سياسيا جليلا بلغت صفحاته ٢٧٠ من قطع المنار فنحن كل من يعنى بالسياسة من قراء العربية على قراءة هذا الكتاب مراراً، وتتمنى لو ينتشر في جميع الاقطار العربية ولا سيما المخدوعة منها الى اليوم بالسياسة الانكليزية ،

وثن النسخة منه ٢٥ قرشاً مضرباً تضاف اليها اجرة البريد

﴿ كتاب الارشادات الصحية والاسعافات الوقتية ﴾

الاطباء أنعم العلماء بستن هذا الكون للبشر وأكثرهم قد قصر تفهمه على معالجة المرضى التي هي حرفتهم ومنهم أفراد ينعمون الناس بعملهم هذا وبما ينشرون من الكتب النافعة وهم قليلون، وأقل منهم من لا تقف همته عند هاتين الخدمتين العملية والعلمية بل تتجاوزها الى السعي لانشاء المستشفيات والملاجيء للفقراء وغير ذلك من الاعمال الاجتماعية التي ترتقي بها الامم — والدكتور عبد العزيز بك نظمي من هؤلاء الافراد، الذين تفتخر بهتهم هذه البلاد، فهو على كثرة عمله في عيادته الذي هو حق الحرفة، وعمله في مستشفيات الاوقاف بما توجب عليه الوظيفة (حكمباشي مستشفيات الوزارة) وعمله في ملجأ الحرية الذي أسس بسعيه الحميد، يجد سعة فيما يقتصد من وقته للتأليف، فله عدة كتب باللغة العربية أكثرها في تربية الاطفال ومعالجتهم — وهو اخصائي في ذلك — وأخرى باللغة الفرنسية . وآخر ما كتبه هذا الكتاب الذي نحن بصدد تقيظه فقد نشره بالطبع في أول هذا العام ، واسمه يدل على مسماه ، وهو يتألف من مقدمة وأربعة أقسام

فالمقدمة في التعريف بقانون الصحة ، والتقسيم الاول في الارشادات الصحية المتعلقة بالاغذية والاشربة والماء والهواء والنور والنوم والملابس والرياضة ومضار المسكرات والمخدرات ، والثاني في التمريض وفيه ٣ فصول ، والثالث في الامراض الكثيرة الانتشار في الظاهر والباطن وطرق اتقائها ، والرابع في الاسعافات الطبية بأنواعها ، ويتلوها بيان الصيدلية المنزلية ، أي ما ينبغي ان يكون في كل دار من العلاجات والمطهرات والادوات التي تشتد الحاجة اليها ولا سيما للاسعاف عند حدوث مرض أو حرق أو جرح أو لدغ أو لسع ، وعبارة الكتاب سلسلة ، يفهمها كل متعلم ومتعلمة ، وان لم يخل كأكثر المطبوعات المصرية من أغلاط لغوية يحسن تصحيحها في الطبعة الثانية ، وفيه عدة صور ورسوم لايضاح بعض المسائل . وجلة القول فيه انه ينبغي ان لا يخلو منه بيت من البيوت ولا أن مجهل ما أودعه رجل ولا امرأة ، فكل ذلك من الضروريات التي لا يستغنى عنها . وصفحاته ١٧٠ من قطع كتاب الاسلام والنصرانية . وثن النسخة منه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد ، وهو يطلب من مكتبة المنار (تنبيه) ضاق هذا الجزء عن سائر المواد الموعود بها ومنها البدء بالرحلة الاوربية

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

بوق الملكة من لقاء ومن يوت الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « واثارا » كمنار الطريق —

٣٠ جمادى الآخرة ١٣٤٠ - الحوت (ش ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

فتحنأ هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمن الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . واثنا فذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

رجم الايم بالزنا

(س ٤) من صاحب الامضاء أحد تلاميذنا المصريين في دار الدعوة والارشاد لانكم - في تفسير قوله تعالى (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة الخ) من سورة النساء (جزء خامس ص ٢٥-٢٦) استنكرتم رجم الايم وقلتم لم يرد فيه حديث صريح . أفليس حديث عبادة عند مسلم مرفوعا (خذوا عني . قد جعل الله لمن سببلا . الثيب بالثيب الرجم) الرجم والثيب هو غير البكر فهو شامل للايم ولذي الزوج . وحديث عمر عند الشيخين - واللفظ للبخاري ؛ قال : الرجم في كتاب الله حق على من أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف . قال شارحه صاحب الفتوح : أي اذا وجدت المرأة الخلية من زوج أو سيد حبلى ولم تذكر شبهة أو اكرها الخ وهو كما قال والا

فكيف يكون الحبل دليلا على الزنا الا اذا كانت خلية من زوج وسيد لقوله صلعم (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فاطلاق حديث مسلم وتفصيل حديث الصحيحين يفيدان أن حكم الايم في الزنا الرجم بحكم ذي الزوج سواء فكيف تقولون : لم يرد في ذلك حديث صريح ؟

(ج) قد راجعت قبل البدء بكتابة هذا الجواب نص عبارتي في تفسير الآية وهو « ولا أذكر أنني رأيت حديثاً صريحاً في رجم الايم الثيب » وقد كنت كتبت في حاشية نسختي الخاصة بازاء هذه العبارة ما نصه :

« كان الاولى تقديم الثيب على الايم — والمراد رجم من كانت كذلك بالفعل لا بالقول وقد يقال انه يدخل في عموم حديث عبادة بن الصامت عند أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه ان على الثيب الجلد والرجم ، وعلى البكر الجلد والنفي ، ولكن أكثر الفقهاء لم يأخذوا بهذا الحديث اذ لم يجمعوا بين الجلد والرجم — وفيه احتمال ان يراد بالثيب فيه المحصن بالفعل وهو ذو الزوج . وفي أثر عمر في الصحيحين وغيرهما ان حمل المرأة المحصنة دليل على الزنا موجب للرجم - ولم يأخذ كثير من الفقهاء بهذا كالشافعي والكوفيون وقال النووي في شرح مسلم ان هذا مذهب عمر . وأقول صح عنه انه لم يعمل به في قصة المرأة الحبلى التي اعترفت له في مرنى بان رجلا جامعها وهي نائمة ولم تعرفه » اهـ

كتبت هذا لما يقع من الاشتباه فيه لايضاحه عند التوسع الذي وعدت به ، وأزيد الآن ان الجمهور قد تركوا العمل بحديث عبادة للجزم بنسخه واستدلوا على ذلك بأن النبي (ص) نفسه لم يعمل به فهو لم يجمع بين الرجم والجلد في حد ما عز والغامدية المتأخر عن ذلك الحديث . والتحقيق في اللغة ان الثيب المتزوج كما يعلم من المصباح واللسان . وعلوه بأنه من ثاب بمعنى رجع فالبكر ترجع بالزواج الى ضفة أخرى تسمى بها ثيبا والايم ترجع وتثوب من رجل الى آخر فهي انما تسمى ثيبا باعتبار ما آلت اليه لا ما كانت فيه فلا غرو اذا وردت في الحديث بمعنى المحصن . وما ذكره عن عمر (رض) ليس بحديث فيمد حجة ولو كان حديثا مرفوعا لاخذ به الشافعي والحنفية . على ان عمر قد عبر بالاحصان ، وكون الولد للفراش لا ينعيم ثبوت حمل المحصنة بالزنا فان له صوراً لا تخفى . ثم إن مذهب عمر في رجم الثيب المحصن من ذكر وأنثى قد أخذه من روايته في رجم الشيخ والشيخة اذا زنيا وكونه قرآنا وهو شاذ لم يثبت (المنار : ج ٢) (١٣) (المجلد الثالث والعشرون)

كونه قرآناً، ولو ثبت لوجب ان يكون خاصاً بالشيخ والشيخة لانه الشيخوخة وصف ترتب عليه الحكم فأفاد كونه علة له كقوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » وحكمته ظاهرة ولو كانا غير محصنين فإن الزنا في سن الشيخوخة فساد كبير ويستحق أقصى العقوبة ولذلك ورد في الحديث الصحيح أن الشيخ الزاني لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم كالفقير المستكبر .
وأما ثبوت الرجم بالسنة فلم نتكره وإنما كان البحث فيما دل عليه قوله تعالى (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب)
وحديث أحمد والبخاري ان النبي (ص) « قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام واقامة الحد عليه » وهو الجلد بالاجماع ، وكون خكمة الشرع تقتضي ان يكون الاحصان ثابتاً بالفعل - فهل ينقض هذا كله حديث عبادة المنسوخ ومذهب عمر الذي خالفه فيه جمهور المسلمين ؟

(ما معنى الاستطاعة في الحج)

(س ٥) ومنه

فسروا الاستطاعة بالزاد والراحلة - وهذا اجمال - فمثلا رجل يملك قطعة أرض زراعية أو بيتاً ويخرج له من ذلك ما يكفيه هو ومن يعوله كفاية القصد او الضرورة واذا باع أرضه او بيته حصل على ثمن يكفيه مدة وتوفر له بعد ذلك ما يحج به فهل يقال : ان هذا الرجل غير مستطيع نظراً لغلة ملكه او مستطيع نظراً لثمن ملكه ؟ افيدونا مأجورين عبد الرزاق حمزة

(ج) بينا في تفسير قوله تعالى (من استطاع اليه سبيلاً) في أول الجزء الرابع من التفسير أن أمر الاستطاعة منوط بالافراد يختلف باختلاف أحوالهم البدنية والمالية وان كل امرئ أعلم بنفسه ممن هو أعلم منه بالاحكام والنصوص حتى إن المسائل الخاصة التي اشتبه فيها السائل تختلف باختلاف أحوال الناس في صحتهم وهمتهم ومعاشهم ومعاش من يعولونه فمنهم من لا يضره بيع بيته أو أرضه لينفق منها أو ينفقها على سفره لاذاء فريضة الحج ومنهم من اذا باع بيته لا يجد لنفسه ولعيله مأوى سواء وإذا باع أرضه القليلة التي يعيش مع من تحب عليه تفقتهم من زرعها لا يستطيع أن يعول نفسه وعياله من عمل يغنيه عنها ، ومنهم من ليس كذلك، كن يحسن صناعة أو خدمة يجد فيها كفايته، فتي فهم

كلف الحكم فله أن يجتهد في تنفيذه والعمل به كاجتهاده في القبلة وغيرها عند
ناجاة ويعذر إذا أخطأ في اجتهاده بل يؤثر أيضا إذا لم يقصر فيه ولم يكن
عنده منه العثور على شبهة يتوكأ عليها في التفصي من أداء الواجب والله أعلم
(التقليد والتلفيق فيه، وتقليد غير الاربعة)

(س ٦ و ٧) من صاحب الامضاء في بيروت (سورية)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ المحترم السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد أرفع لفضيلتكم السؤال الآتي
اجيبا التكرم بالاجابة عليه ولسيادتكم من الله تعالى جزيل الاجر ومني عظيم الشكر:
في حاشية العلامة الشيخ يوسف الصفي المالكي على الشرح المسمى بالجواهر
الزكية على ألفاظ العشماوية للعلامة الشيخ أحمد بن تركي المالكي في باب
فرائض الوضوء ما نصه :

«واعلم أنهم ذكروا للتقليد شروطاً إلى أن قال (الثالث) أنه لا يلفق في العبادة
أما إن لفق كأن ترك المالكي ذلك مقلداً لمذهب الشافعي ولم يبطل لمذهب
مالك فلا يجوز لأن الصلاة حينئذ بمنعها الشافعي لفقد البسمة ومنعها مالك
لفقد ذلك ثم قال بعد ذلك وما ذكره من اشتراط عدم التلفيق رده سيدي
محمد الصغير وقال المعتمد أنه لا يشترط ذلك وحينئذ فيجوز مسح بعض الرأس
على مذهب الشافعي وفعل الصلاة على مذهب المالكية وكذا الصور المتقدمة
ونحوها وهو سعة ودين الله يسر»

فهل إذا اغتسل غسلاً واجباً أو توبضاً وضوءاً واجباً من ماء قليل مستعمل
في رفع حدث مقلداً لمذهب الامام مالك وترك ذلك مقلداً لمذهب الامام
الشافعي وترك النية مقلداً لمذهب الامام أبي حنيفة يكون غسله ووضوءه
صحيحاً مثل الصورتين المتقدمتين أم لا - وهل هناك فرق - وهل يجوز
التلفيق من مذاهب الأئمة الاربعة في قضية واحدة كغسل واجب أو وضوء
واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات
م لا -

وهل يجوز تقليد غير مذاهب الأئمة الأربعة كمذهب الامام داود الظاهري وأصحابه ومذهب الامام أبي ثور ومذهب الامام سفيان الثوري ومذهب الامام ابراهيم النخعي ومذهب الامام ابن أبي ليلى ومذهب الامام الاصم ومذهب الامام عبد الرحمن الاوزاعي ومذهب الامام اسحق بن راهويه ومذهب الامام حماد بن أبي سليمان ومذهب الامام ابن المبارك ومذهب الامام الليث ومذهب الامام الحسن بن صالح ومذهب الامام الزهري ومذهب الامام زفر ومذهب الامام محمد بن جرير الطبري وغيرهم من الأئمة المجتهدين ومذاهب الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين في العبادات والمعاملات أم لا وهل يجوز التلقيق من مذاهبهم في قضية واحدة كفصل واجب أو وضوء واجب أو تيمم واجب أو صلاة واجبة وغير ذلك من العبادات والمعاملات أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ولكم من الله عظيم الاجر والثواب ما السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي

الشافعي مذهباً

بيروت

(ج) أن أكثر أحكام العبادات تجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لتواترها بالعمل وشهرة النصوص فيها فلا تقليد فيها ، ومنها ما ثبت في السنة على وجوه أو بألفاظ مختلفة كالشهاد في الصلاة ودعاء الافتتاح والوصل والفصل في الوتر وغيره ، أو ثبت فعله تارة وتركه أخرى كالقنوت في الصبح ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الاول ، فأخذ بعض العلماء بهذا وبعضهم بذلك - والخطب في هذه سهل اذ العمل بكل ما ثبت في السنة صحيح لا يضر العامل اختلاف الرواة واعتماد الفقهاء لبعضها دون بعض وأما المسائل الاجتهادية التي وقع فيها اختلاف بين علماء الملة للاختلاف في فهم النصوص أو مسالك العلة في الاجتهاد فالواجب فيها اتباع قوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية ولا خلاف بين أئمة الدين في وجوب هذا الرد ولا في كون الرد الى الله هو الرجوع في المسألة الى كتابه وكون الرد الى الرسول هو الرجوع فيها الى سنته فمن وجد نصاً من الكتاب أو السنة يرجح بعض قول العلماء المختلفين على بعض وجب عليه اتباعه حتماً ولا يجوز له تركه الى اجتهاد أحد ، والا أخذ بقول

من ترجح عنده دليله اذا اطلم على تعارض أدلتهم ومن لم يكن أهلاً لذلك يستغني
فما يعرض له ويشكل عليه من يثق بعلمه ودينه سواء كان قد تلقى الفقه على
مذهب زيد من الأئمة أو مذهب عمرو فجميع الأئمة المشهورين ممن ذكرتم ومن
لم تذكروا كأئمة آل البيت النبوي عليهم الرضوان والسلام على هدى من ربهم
في تحري الحق باجتهادهم ، ولا يضره اختلاف مذاهب المفتين والمفيدة وان
أدى في بعض المسائل الى التلفيق الذي اختلف المقلدون في جوازه فان التلفيق
بهذه الصفة كان شائماً في عامة السلف اذ لم يكن أحد من عوامهم يلتزم العمل
باجتهاد فقيه معين ولا بروايته . على أن التلفيق صورة لا يفتي بها عالم وهي
التي اطلق بعضهم منع جواز التلفيق لاجلها لانها ضرب من التلاعب بالدين
اتباعاً للهوى ، أو تتبعاً للرخص وهي أن يأتي المقلد بعمل لا دليل عليه من كتاب
ولا سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح ولم يقل به أحد من الأئمة المجتهدين بل
ركبه هذا المتلاعب من عدة أقوال اجتهادية على النحو الذي ذكره السائل
وقد مثل له بعضهم بمن يتزوج باسراء بالتعاقد معها بغير ولي اتباعاً لابي حنيفة
وغير شهود تقليداً لما لك مع عدم اشهار الزواج واعلانه الذي يستغني به مالك
عن الشهود ، ومنعوا تتبع الرخص أيضاً فيما لا تلفيق فيه وهذا المبلغ حق ظاهر
في الرخص الاجتهادية فان للعلماء هفوات لا يؤخذون عليها وليس من التقليد
المباح تتبعها والعمل بها وأما الرخص الثابتة بالكتاب والسنة فلا حرج في
تتبعها ولكن لا تجمل كالعزائم في المواظبة عليها

وأما سبب ما اشتهر بين مقلدة المتأخرين من وجوب حصر التقليد في
مذاهب الفقهاء الاربعة فهو انها قد دونت واتسع فيها التخريج والتفريع فصارت
كافية للناس ، فليس في هذا غضا من مقام علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من المجتهدين ولكن يشاركها فيما ذكرنا مذاهب أئمة أهل البيت الذين يسند اليهم
فقه الزيدية والامامية من الشيعة .

وهذا لا يمنع الاخذ بقول سائر علماء السلف التي يروونها عنهم المحدثون
والفقهاء في كتبهم المعتمدة بشرطه الذي يجوز به الاخذ بقول أحد الاربعة وأئمة
العترة الطاهرة . وقد فصلنا القول في بطلان التقليد ومضاره والتلفيق في
مقالات المصلح والمقلد التي جردت من المنار وطبعت في كتاب مستقل وفي
غيرها من مجلدات المنار فليراجعها السائل ان شاء التوسم في هذه المسألة .

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بيغام) الهندية

٢

(اجتماع القوى والمناصب وانتشارها)

لما كان المسلمون سائرين على هذا الناموس الالهي — ناموس الاجتماع والائتلاف — كانوا في الذروة العليا من التقدم والرقى ، ولما حادوا عن هذا السبيل القويم سقطوا وانحطوا ، فحل محل الاجتماع الانتشار — فتفرق جمعهم وتمزق شملهم ، وتبددت قواهم ، فكانوا قوماً بوراً ! ولم تقتصر هذه البلية على جانب دون جانب ، بل عمت وأحاطت الامة من جميع الجوانب ، وهي لا تزال ضاربة بأطنابها منذ الف وثلاثمائة سنة ، بل آخذة في الازدياد وما يمر يوم الا وتشتد وطأتها فيها —

وقد لهج الناس كثيراً في انحطاط المسلمين ، فعملوا له عللاً ، واخترعوا له أسباباً — غير أن القرآن الحكيم والسنة النبوية والعقل الصحيح لا يقيم لهذا القيد والقال والثروة وزناً ، وبرى أن الفساد والانحطاط نتيجة الانتشار والتشتت فقط ، وكل ما عدا هذا من العلل والاسباب فتفرعة منه ، وراجعة اليه ، فعلة سقوط المسلمين واحدة لا اثنتين ، وإن سميت بأسماء مختلفة ، وذكرت بألفاظ عديدة نعم قد عمت الفوضى جميع شؤون الامة ، غير أننا نذكر ههنا واحداً منها فنقول : كان النبي (صلم) مركزاً للامة الاسلامية تركز عليه ونقطة لقواها تجتمع عليها ، فلهذا لم يخل بوفاته محل نبي وحامل شريعة فقط ، بل قد خلا محل

مركز جامعة الامة ومصدر قواها وتقوذها وحكومتها الى غير ذلك من الاوصاف والخصائص التي كانت مجتمعة في شخصه الشريف - إذ أنه لم يكن كالمسيح عليه السلام معلما واعظا ، ولا كالملوك الذين فتحوا وحكموا ودمروا وخربوا ، أو عمروا وشادوا ، بل كان صلى الله عليه وسلم جامعاً لصفات ومزايا كثيرة في حين واحد فكان نبي الله ورسوله وهادي الخلق وواعظهم وواضع الشريعة ومؤسس الامة وحاكم البلاد وصاحب السلطة - فحينما يقوم في المسجد على المنبر المستقف بمجذوع النخل وجريده يفسر الوحي الالهي ويكشف عن خفايا أسباب السعادة الانسانية ، فهو إذ ذاك معلم الاخلاق وواعظ الخلق - وتارة يقسم في صحن هذا المسجد نفسه خراج اليمن على الناس ، ويسير الجيوش الى ميادين الوغى ، فهو حينئذ حاكم اداري وسياسي ، ثم تراه يصلح نظام البيوت والمائلات وينفذ قوانين الطلاق والنكاح - وبينما هو هكذا اذ تأتيه الاخبار بقدم الاعداء ، فيأخذ سيفه على طاقه ويهب اليهم ويناضلهم في بدر واحد وتبوك ، ثم تراه داخلا كفاتح عظيم في مكة ، فيملكها ويكون له السلطان فيها فيمن على هامات قریش وسادات العرب بالعتق ، ويقيم بامر الله ميزان القسط ، ولا غرو فالنظام الاسلامي يوجب ان تجتمع قوى الامة ومناصبها في مركز واحد ، اذ هذا الدين الخفيف الفطري لم يفرق بين الدنيا والآخرة ، بل جمعها في سلك واحد ، وجعل الشريعة والحكومة شيئاً واحداً ، وأخبر ان الله سبحانه انما يرضى عن الحكومة التي يقوم بناؤها على أساس الشريعة الاسلامية ، لا على قوانين الاهواء البشرية ، ولذا كان صاحب الشريعة (ص) مركزاً لقوات الامة الكثيرة ، ومرجعاً لشؤونها المختلفة ولما لحق النبي (صلى الله عليه وسلم) بربه . قام في مقامه خلفاؤه الراشدون ، فكانوا خير الخلفاء لسلفهم ورسولهم ، وكانوا بذلك جامعين لساثر شؤون الامة الدينية والسياسية ، وقابضين على جميع قواتها ، ومشرفين على مناصبها كلها ، فكانت خلافتهم كالنبوة قائمة على أساس اجتماع القوى والمناصب ، ولذا سميت « بالخلافة الراشدة » و « الخلافة على منهاج النبوة »

وليعلم ان منصب النبوة يشتمل على وظائف كثيرة ، منها تلقي الوحي الالهي ، وتشريع القوانين والاحكام الدينية والسياسية - وصاحب هذا المنصب معصوم وغير مسئول لدى الخلق - ولقد ارتفع هذا المنصب بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلت الشريعة ، وتمت نعمة الله على الخلق - فلا نبوة بعد

نبوته ، ولا شريعة بعد شريعته ، ولاحق في التشريع لاحد بعده (صلعم) لان الشيء اذا بلغ منتهى الكمال لا ينسخه شيء آخر ، اذ هذا مناف لكماله ، ومظهر لنقصه - قال الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »

نعم تمت هذه الوظائف النبوية الاساسية ، ولكن بقيت لها وظائف أخرى فرعية ، وستبقى على حالها ما بقي من الناس باق ، وقد عبر عنها النبي (صلعم) بمبارات مختلفة ، فقال عن عمر رضي الله عنه انه « محدث هذه الامة » وقال عن العلماء إنهم « ورثة الانبياء » وقال « الرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءاً من النبوة » وانه « لم يبق الا المبشرات » وحديث « التجديد » أيضاً من هذا النوع فخلفاؤه الراشدون كانوا خلفاءه في جميع وظائفه النبوية غير تلقي الوحي وحق التشريع ، اذ هما خاصان به ، لا يشاركه فيهما أحد من الخلق ^(١) - فكانوا مثله خلفاء الله في أرضه ، وأصحاب السلطان والنفوذ فيها ، وسواس الامم وقواد الجيوش وقضاة المحاكم ، وأصحاب الاجتهاد والفتيا ، ومنظمي البلاد ، وفاتحي الاقطار ، وحكام الامم والشعوب ، وذلك لان « الخلافة والامامة » في ذاتها كالنبوة مشتملة على الدين والدنيا ، و خليفة المسلمين كنبههم مجتهد

(١) المنار. حق التشريع في الاسلام لله فهو الذي شرع الدين وأحل الحلال وحرم الحرام. واختلف العلماء في كونه تعالى أعطى للنبي أن يشرع من تلقاء نفسه ابتداء أم لا، فذهب الجمهور الى ان جميع ما ثبت في سنته من الاحكام فهو بوحى من الله تعالى غير القرآن أو باجتهاد في فهم أحكامه والاستنباط منها ، ولهم دلائل كثيرة على هذا أظهرها اسناد الشرع اليه تعالى بقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) الخ وقوله (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) وإذا أطلق عليه (ص) لقب الشارع فانما يراد به على هذا القول مبلغ الشريعة ومبينها وقال بعضهم ان الله أذن له بالتشريع من تلقاء نفسه واستدلوا بتجرعه للمدينة كما حرم ابراهيم مكة أن يباح صيدها أو يعصده شجرها أو يختلي خلأها (أي يقطع حبشيشها) ولما قال له عمه العباس: الا الاذخر يا رسول الله - وهو نبات عطر كانوا يضعونه على الموتى عند دفنهم قال « الا الاذخر » وزراء هذا التشريع الديني فما جعل الله أمره مفوضا الى الرسول وإلى أولي الأمر يقررونه بالمشاورة وهو جميع ما يتعلق بالمصالح الدنيوية ويسمى في عرف علماء الحقوق والقوانين تشريعاً وسنعود الى بيانه عند الكلام على أولي الأمر

ديني ، وحاكم سياسي - فكننت ترى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مثلاً في دار شوره بالمسجد النبوي يفتي في المسائل الدينية من حيث أنه مجتهد وفقهه ويقضي ويحكم بين الناس من حيث إنه قاض وحاكم - وينظم الجيوش ويفرق عليهم الجراية من حيث إنه ناظر الحربية - ويضع الخطط الحربية من حيث إنه القائد العام - ويقابل سفراء الروم من حيث إنه ملك وسلطان ، ثم تراه في سواد الليل متفقداً أحوال المدينة كأنه حارس وخفير واب رحيم للمسلمين ! بل الامر أكبر مما ذكر ، فقد ناب الخلفاء الراشدون عن النبي (صلعم) في وظائفه النبوية التنفيذية المتعلقة بهداية البشر التي جعلها القرآن ثلاثة أقسام بقوله تعالى (يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة) (٦٢ : ٣) فوظائف النبوة التنفيذية : تلاوة الآيات - وتزكية النفوس - وتعليم الكتاب والحكمة - فقاموا بهذه خير قيام ، ونابوا عنه فيها أحسن نيابة ، فكانوا أسوة به يتلون على الناس الآيات الالهية ويزكون القلوب والارواح ويربون الامة بتعليمها الكتاب وحكمة السنة - فكانهم كانوا في آن واحداً با حنيفة والشافعي ، وجنيداً والشبلي ، وحمادا والنخعي ، وابن معين وابن راهويه والبخاري ، ولم يكن سلطانهم على الاجسام فقط ، بل كانوا يحكمون على القلوب والارواح أيضاً بسيرتهم القويمة وروحانيتهم القوية - ولدامت خلافتهم « بالخلافة الراشدة » وجعلت أعمالهم تنمى لأعمال النبوة - فقال (ص) من وصية له « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ » ^(١) فذكر مع سنته سنتهم وأوصى الامة بأن تعض عليها بالنواجذ -

ولكن واأسفاه ! لم تبق الخلافة النبوية والهيئة الاجتماعية الاسلامية على هذا المنوال طويلاً ، بل انتهت بأمر المؤمنين علي عليه السلام ، فمع الانتشار والتشتت جميع شؤون الامة فزلزلت بناية الامة الاجتماعية وسقطت جذرائها فهي خاوية على عروشها ، وانتقض النظام الشرعي وتبعثرت سائر القوى بعد ان كانت كتلة واحدة مجتمعمة على نقطة واحدة ، وتفرقت المناصب والوظائف على أناس كثيرين بعد ان كانت في يد واحدة - فمن ثم انفصلت الحكومة والسياسة ، عن الدين والشرعية ، وأصبحت الخلافة عارية من خصائصها الروحية ، وبجودة

(١) رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وأول المرفوع منه « أوصيكم بتقوى الله »

عن وظائفها المتشعبة عن نبع النبوة ، فباتت ملكا عضوضا طبقا لقوله (ص) « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم ملك » وقد تقدم واما وظائفها الدينية فانقسمت أيضاً وقام بها أناس آخرون فحمل القضاء والاجتهاد الفقهاء والمجتهدون فاصبحوا فرقة ، وحمل وظيفة الارشاد وتربية الارواح وتزكية النفوس الصوفية وصاروا فرقة ، مع أن هذه الوظائف كلها كانت في بدء الامر بيد الخليفة الاسلامي فكان قائما بها كلها خير قيام ، وكانت يعمته تغني عن غيره - بيد أنه بعد الانتشار والتشتت أصبح ملكا محضا ، نائيا عن وظيفة الافتاء والقضاء ، بعيدا عن التعليم الروحي وتزكية النفوس ، فهرع الناس الى أصحاب الطرق والمتصوفة وأخذوا يبايعونهم « بيعة التوبة والارشاد » (على اصطلاحهم) فبعد أن كانت القوى والمناصب والوظائف مجتمعة في شخص الخليفة فكان ملكا وفقها ومرشدا وقاضيا وقائدا ومحتسبا ، تفرقت في دور الشتات وأصبحت لا نظام لها ولا زمام ، بل كلما امتد الزمان ، زاد الطين بلة ، والخرق سعة ، حتى بلغ السيل الزبي ، وعمت البلوى ، فتعارضت القوى وتصادم بعضها ببعض أيما تصادم - هذه هي الداهية الدهيئة التي دهمت الامة الاسلامية فقضت عليها ، لا ما يتخبط فيه الناس من اختراع الاسباب والعلل لسقوط المسلمين تقليداً للافرنج -

والحاصل أن الخلافة التي تلت الخلافة الراشدة : سواء آكانت قرشية أو غير قرشية كانت حكومة دنيوية محضة وملكاً عضوضاً بعيدة عن النيابة النبوية في وظائفها السياسية والحكم (اللهم الا خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) وهي لا تزال على هذه الطريقة الى الآن الا ما كان في عهد السلطان عبد الحميد من الانقلاب وتأسيس الحكومة الدستورية ^(١) فانه مما لا ريب فيه عود محمود الى الخلافة الراشدة قليلا - لان الشورى هي الشرط الاول والميزة الكبرى للحكومة الاسلامية الحق - أما في غير هذا فلم تغير من أحوالها شيئاً

(١) المنار : ان الانقلاب الذي وقع في آخر عهد عبد الحميد بالرغم منه وكان قاضيا على سلطته لم يكن شرعيا ولا وقع انتصاراً للشرع وعوداً اليه بل تقليداً للافرنج ، ومن أصوله أن يسلب من الخليفة السلطة المستقلة في كل شيء واكنه مع ذلك أدنى الى تمكين الامة من اقامة الحق والعدل ومراعاة الشرع من السلطة الاستبدادية التي كان يتمتع بها اذا كان الرأي العام في الامة يريد ذلك

من الخرافات الى الحقيقة

- ٣ -

الطور الاول للاسلام

كان هدي الاسلام في طوره الاول عبارة عن إشعال نور الحقائق وانارة سبل الانتباه أمام الذين كانوا يتعبدون بالخرافات والجهل . حينما ظهر الاسلام كان عند العرب عقيدة ابتدائية تقوم في نظرهم مقام الدين . كانت عبادة الاصنام وعبادة النجوم من أروج العقائد المنتشرة بين العرب في ذلك الوقت مكة والمدينة كانتا موجودتين ومعروفتين . ولكنهما كانتا أشبه بملجأ شتوي منهما . بمدينتين العقائد التقليدية الموروثة الراسخة في القلوب بطول القدم وتمادي الزمن توهن مقومات الانسان المادية والمعنوية . وهكذا كانت الحال عند العرب حينما كانوا مقيدين بسلاسل عقائدهم العتيقة . ولما جاء الاسلام بهدايته الاصلاحية وجمع بتعاليمه العالية أهواء القلوب المتفرقة الى تلك الوحدة الكاملة في العقائد والفضائل والنظام الاجتماعي تمكن العرب بهامن القضاء على دولتي العالم الكبيرين فلم يتركوا لهم في السيادة الدينية نصيبا ، رفعت التلقينات النبوية بوقت قليل الاقوام البدوية الى مستوى الاستاذ في المدنية وجعلت العالم كله تلميذا لذلك الاستاذ (١) كان النبي (ص) يأمر الرعاة الذين يرسلهم الى الارحاء لنشر الدين أن يعاملوا الناس الذين يصادفونهم بالرفق واللين ، وأن يجتنبوا العنف والشدة ، وها هي ذي الاوامر التي كان يتسلح بها أمناء الامة عند العمل :

(أ) (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)^(١)
(ب) « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »^(٢)

بهذه الاوامر اصطادوا قلوب الناس وبهذه المشاعل أناروا سبل الحياة والحضارة أمام العالم فهل نحن صادعون بالامر ؟

(٢) أساس الاسلام عالية وساذجة يمكن دخولها في دماغ كل عاقل من

(١) من سورة النحل ١٦ : ١٢٥

(٢) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس (ر ض)

بني آدم وحواء . وهي 'خلو' من 'مثل' - محالات عقيدة التشايت عند النصاري ومن أساطير الجبت التي يعزرها اليهود الى الانبياء عليها السلام وفيهم من سوء القدوة ما تأباه أنفس الكرام

(٣) إن الاسلام يفيض نور العدل والسكينة والسلام والطمأنينة على أنفس البشر المضطربة . فقد أمر بقهر الظالم وصيانة المظلوم وأعلن حرية الوجدان . ثم قوض قواعد السلطنات المؤسسة على الاستبداد . ورفع كل حجاب عن وجه الحق والعدل

(٤) تلقينات الاسلام بحق الألوهية كانت كافية لاقتناع كل دماغ مفكر . يسمها العامي فيصبح مؤمناً مهدياً ويتأملها العالم فيمسي موقناً مطمئناً . لان سذاجتها وعلويتها كافيان لاقتناع كل عقل وطمأنينة كل روح .
(٥) من أسباب سرعة انتشار الاسلام إنارته السبيل أمام الناس الذين كادت الخرافات تزهمق أرواحهم . والى القارئ الكريم المشاعل التي أذكاهم النبي الكريم في سفح جبل عرفات في حجة الوداع :

(١) - احترام الاموال وتحريم أكل مال أحد بالباطل

(ب) - احترام الدماء وتحريم سفكها بغير حق شرعي

(ج) - تحريم الاعراض كتحریم الدماء والاموال

(د) - الوصية بالنساء وما لهن وعليهن من الحقوق

(هـ) - الاعتصام بكتاب الله تعالى

(و) - هدم قواعد الشرك ونارات الجاهلية

أقيمت هذه المشاعل بين مئة ألف من المسلمين . ونقلها الحاضر للغائب . واتخذها المسلمون اذ ذاك دستوراً للعمل . ولم ينحرفوا عنها قيد شعرة . ولا سيما في دور الفاروق الذي كان أوضح مظهر للتجليات النجبية الاحمدية . وأي صعوبة في تنفيذ هذه الاحكام الآن ؟ إن عظمة هذا الدور الفاروقي نشأت من حسن تفهم الاحكام الاسلامية وتطبيقها حرفياً . لأن روح الاسلام الاخوة . وقد جاء في القرآن الحكيم « انما المؤمنون اخوة » وقد ربطت وقتئذ جميع القلوب برابط الاخاء الديني الذي كان يرفع فوق كل مصلحة خصوصية وكانت نتيجة هذا الاخاء الاتحاد الاكمل وفقاً لما جاء في الفرقان المبين « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وفي نور هذين المشعلين حكم المسلمون على أمم بقاع

لنار : ج ٢ م ٢٣ الشورى والعدل والمساواة والطهارة في الاسلام ١٠٩

الارض . وما أيد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من التوفيق لم يكن الا مظهراً من مظاهر رعايته الدقيقة لأوامر الاسلام .

لئن كان ظهور الاسلام انقلاباً اجتماعياً وتطوراً تاريخياً عظيماً فان تأثيره في أرواح الشعوب تطور اجتماعي عظيم أيضاً . وهذا التأثير قد ظهر حكمه التام في الطور الذي فهمت فيه دقائق الاسلام ووضعت في موضع التنفيذ بالتام والكمال وكان ذلك على اكمله في خلافة الصديق وخلافة الفاروق (رض) فان هذين الامامين الممتازين المنتخبين باجماع عقلاء الامة كانا يديران الامور بمعاونة جماعة من أكابر المسلمين .

(٦) جعل الاسلام حل المضلات من الامور باستشارة العقلاء . بقول الله تعالى في المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وأمر نبيه بالمشاورة بقوله (وشاورهم في الامر) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكر مع أصحابه وفقاً لهذه الآية الكريمة . وكذلك الصديق الف مجلساً استشارياً تحت رئاسة الفاروق مؤلفاً من أكابر المسلمين . وعندما انتقلت الخلافة اليه ترأس المجلس على كرم الله وجهه وكان هذا المجلس مؤلفاً من كبار المسلمين ورؤساء القبائل وأصحاب المكانة في المدينة (٧) جعل الاسلام المساواة بين الناس في الاحكام من أصول الشريعة على اختلاف طبقاتهم ومللهم ونحلهم بدون أدنى استثناء ، وحادثة ابن الفاروق وقضية علي المجتبي مع اليهودي أوضح دليل على درجة احترام قاعدة المساواة في صدر الاسلام . فكان الغني والفقير والامير والمأمور والخليفة وآحاد السوق سواء في ذلك . فعلم مما تقدم أن الاخاء والمساواة كانا ركنين ركينين للحكومة الاسلامية التي تأسست بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . وكان رئيس الحكومة الخليفة ينتخب انتخاباً . وكان لهذا الرئيس مجلس استشاري . وكان يحق لكل فرد أن يراجع الخليفة نفسه اذا ظلم أو وقع عليه حيف

(٨) كانت مكة قبل الاسلام مباءة لمعاقري الحجرة والمقامرين وكذا المدينة . وكما طهر مصلح العالم مكة من الاصنام ، طهر قلوب أهلها من رجس الخمر والقمار وبقي هذا الطهر عاماً شاملاً لاهل البلدين المكرمين الى أن نزا الامويون على منصة الحكومة .

(٩) منذ ظهور الاسلام شوهد في مكة والمدينة رغبة في العلم وميل الى الحضارة . تعددت محافل العلم وعمت الدروس والخطب (المحاضرات) الاخلاقية

والمواعظ الدينية. وكان في رأس هذه الحركة المدنية علي كرم الله وجهه. والمدينة كانت تفوق مكة في هذا من حيث كانت العاصمة، والمثابة للمفكرين من المسلمين. ولا غرو اذا كان تجلي حياة الاسلام العلمية فيها أكبر وأظهر من تجليها في مكة. كان يحضر هذه المحاضرات النساء كالرجال. الخليفة وحضرة الفاروق وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وزيد بن ثابت والسيدة عائشة وأمثالهم من الواقفين على أسس الاسلام كانوا يحضرون هذه المجالس ويحلون المشاكل التي تطرأ (١٠) حرية التفكير كانت محترمة. وما كان يسفه أحد ولا يهان لرأي أبداه، حرية الفكر كانت محترمة كالحرية الشخصية. كان علماء الصحابة يجتهدون ويفسرون الاحكام بما يوافق المصلحة والزمان. وما كان يجبر أحد على اتباع أحد لم يقتنع بصحة فكره واجتهاده.

كأن يحصل في بعض الاحايين اختلاف في حل مسألة واحدة بين علماء الصحابة. فكان الناس على احترامهم للرأي المتعارضين يتبعون الرأي الذي يرجحه الاكثر (١) وكان هذا الاختلاف يقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. فيوافق اجتهاد بعض الصحابة دون بعض حتى الصديق أو الفاروق. وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من القولين أحقهما مع احترام الذي يترك اجتهاده. وقد جاء في الحديث « إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة » (٢) ثم كثرت الاختلافات في زمان الخلفاء الراشدين. ثم أتى زمان بدأ بعض أكابر العلماء يعمل باجتهاد نفسه كما يروي عن الامام البخاري (٣)

(١) كانوا يرجحون رأي الاكثر من أهل الشورى في المصالح العامة وأما المسائل الشخصية فكان كل أحد يعمل في المسائل الاجتهادية بما يراه هو البراجح ويتبع في النقل أو الفهم من يثق هو به ولم يستبيحوا إلزام أحد ان يأخذ بقول عالم معين فضلاً عن اكراه الجمهور على اتباع مذهب أو شخص معين هذا مخالف لاجماعهم.

(٢) لا أتذكر تخريجا لهذا الحديث الآن وقد كتب المترجم بآرائه من حاشية مسودته مانعه: لهذا الحديث الشريف الفت نظر رجال هذا العصر الذين لا يتركون في بحر السفة نقطة الا ويسكبونها على رأس من يدي حكمة تخالف آرائهم ولو كانت روح الحقيقة. اللهم اعد قومي لتجري الحق والمنطق. هذا ما أقوله وأتمناه فقط.

(٣) ان جميع أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلماء الامصار كانوا يعملون باجتهادهم فيما فيه مجال للاجتهاد وليس هذا خاصا بالبخاري ولا هو اول من فعله

في زمان رئاسة الحكومة من قبل الصديق كانت الامور العدلية (القضائية) والمالية للفاروق . أي كان ناظراً للعدلية والمالية . وأما المخبرات والامور الحربية فكانت في يد علي بن أبي طالب . أي كان ناظر الحربية وكتب الخليفة (١١) ان الاسلام بني على الاخاء والمساواة والحرية والشورى كما تقدم فكانت الكفاءة الذاتية هي المعتمدة في المصالح والولايات . لذلك نسب النبي (صلعم) أسامة الشاب قائداً لجيش المسلمين . وأمر الصديق والفاروق وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة وأمثالهم من عظماء الصحابة أن يأثمروا بأمر هذا القائد الشاب . وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم اعترض بعضهم على إمارة هذا الشاب على كبار المهاجرين والانصار وعد بعضهم هذا أمراً غريباً . الا أن أبا بكر أقنع المعترضين بأن الكفاءة والاقتدار مرجحة على كل شيء وأسكتهم . هكذا كانت المصاحبة العامة مقدمة على كل ما سواها لهذا كانت راية الاسلام في زمان الصديق والفاروق كلما ارتفعت في مكان تشرق عليه بها شمس الاخاء والحرية والمساواة والفضيلة وتنقش غيوم التشدد في الكلام والظلم في الاحكام .

وقد حقق حكماء المؤرخين أن سبب سرعة انتشار الدين المحمدي في بلاد قيصر وكسرى هو عدل الخالفتين وحكمتهما وحسن تدبير رؤساء الجيش . ولم يجدوا للظفر العسكري تأثيراً في ذلك الا الشيء الطفيف

نعم كل بلدة تنشر عليها راية الاسلام كان الاخاء والحرية يكتنفان تلك المدينة فيصونان أهلها من تحكم الكهنة والاحبار والاساقفة والرهبان والموبذانات المسيطرين على الابدان والارواح . لذلك كان الناس في ذلك الوقت ينظرون الى المسلمين نظرهم الى المنجي من الظلم والمحرر من الرق - وهو ما ينتحله بعض أدياء الافرنج اليوم بمحض الافك وقول الزور -

أثبت التاريخ ولا سيما السياسي منه أن التبدل في الحكومة يحدث ثورة في البلاد . على أنه قد دان للواء الاسلامي امبراطوريتان عظيمتان - امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس - ولم يحدث أدنى ثورة في بلادهما الواسعة على رافعي ذلك العلم بل لم يظهر من أحد من أهلها أدنى امتعاض يحمل على المقاومة ، على ما كان من قلة عدد الفاتحين وعددهم وبعدهم عن عقر دارهم ومركز سلطتهم ، وإنما سبب ذلك حسن الادارة والعمل باصول الاسلام العالية . حتى ان قادة

الجيوش الروم كانوا يلقون أنفسهم في حضن الاسلام أحيانا ولكن نقول مع الحزن والاسى: إن هذا الحال لم يدم بل لم يطل عهده هكذا . فعندما استولى الامويون في زمان ذي النورين على أمور الادارة أهملت العدالة الاسلامية وبدأت مقدمات التعدي تظهر وشوهت بوادر العصيان في أمكنة مختلفة وقصارى القول ان الناس كانوا في صدر الاسلام اخوانا متساوين في الحقوق وأحراراً في أنفسهم وفي أفكارهم اذا تنازعوا في أمر ردوه الى الكتاب والسنة - كما أمرهم الله تعالى - واذا أشكل الأمر يستفتون كبار العلماء . وأما مساحة التفكير فكانت واسعة ان يجول فيها العقل كما يشاء وأنى شاء . ولم يكن الحجر على العقل والضغط على الفكر مما يعرف في ذلك الزمان . وما كان أحد يفتات على غيره (١٢) الجمعية الاسلامية كانت مركبة من نساء ورجال متساوين في الحقوق . وكان موقع المرأة طاليا ومحترما . وكانت المكاملة والمعاملة بين النساء والرجال جائزة . فكانت النساء تجميع بيت الله مع الرجال ، وكانت التربية الاجتماعية مع هذا متينة بحيث يعد أقل تجاوز على أية امرأة من كبريات الجنايات . وكان طلب العلم فرضا على النسوان كالرجال . وقد جاء في الحديث الشريف « طلب العلم فريضة لكل مسلم ومسلمة » .^(١) وبناء على هذا الحديث المنيف نرى الكثيرات من النساء تصدين للتعليم وأرشدن الناس الى حقائق الامور . فالسيدة عائشة كانت في زمان الخلفاء الراشدين في مقدمة العالمات المرشدات من النساء . حتى إن علماء الصحابة كانوا يراجعونها عند الشبهة بشيء هام .

كان النساء يحضرن مجالس الوعظ . وكان يوجد بين تلاميذ ابن عباس الكثيرات منهن . كان النساء يحضرن وقائع الحرب والقتال ويشتركن فيها فعلا . وكان بعضهن يداوين الجرحى ويوزعن المياه على العطاش . وينشدن الاشعار الحماسية لتشجيع رجالهن واخواتهن .

(١٣) ان انشاء الشعر والغناء كان لها قيمة في ذلك العصر الذهبي . لانها غذاء الروح ، لذلك قال النبي (صلعم) « ان من البيان لسحراً » ، وكان صلى الله عليه وسلم يستمع ما ينشده أصحابه من الشعر بانسراح ، وقد كلل هام كعب

(١) الحديث روي عن ابن عباس وأنس وأبي سعيد الخدري عن طرق بعضها صحيح ولبعضها تمة وليس في شيء منها لفظ « ومسلمة » ولكنه مراد باتفاق العلماء وكل ما ورد من الاحكام في الرجال يشاركهم فيه النساء الا ما كان خاصا كالامامة مثلا

ابن زهير بالفخر عندما تلا على مسامعه الشريفة قصيدة البردة الشهيرة ، لذلك جاء في الحديث « وان من الشعر حكماً » ^(١) وروى أبو الليث السمرقندي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان أصحاب النبي عليه السلام يتناشدون الشعر والنبي عليه السلام بينهم جالس يتبسم ،

وكذلك الخطابة وطلاقة اللسان عدما صلى الله عليه وسلم من أسباب الجمال للرجال اذ قال : « الجمال في الرجل اللسان » ^(٢)

(١٤) خط عليه السلام للامة خط حركة أوصلها باطمئنان الى السلامة والمدنية بكل سرعة وهي « أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك » ^(٣) فبناء على هذا وعلى الحديث القائل « آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وامام جائر ومجتهد جاهل » ^(٤) كان المسلم العالم ورعاً تقياً والامير عادلاً منصفاً والناس دائبين في صناعاتهم وأعمالهم - هكذا كان المسلمون فهل نحن كذلك ؟ (١٥) السبل كان مقدماً على كل شيء ، حتى ان الله قال في كتابه المبين (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والظلم كان من أشنع الحركات ، وقد جاء في الفرقان الحكيم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ، وجاء في الحديث الشريف أيضاً تهديداً للظالمين « يا أيها الناس ! اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمناً الا انتقم الله منه يوم القيامة » ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الظلم أيضاً بقوله « اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافراً ، فانه ليس دونها حجاب » وقال أيضاً « اتق دعوة المظلوم فانها مستجابة »

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بمقاومة الظالمين أيضاً اذ قال « أحب الجهاد الى الله كلمة حق تقال لامام جائر » ، (رواه أحمد والطبراني عن أبي أمامة) فكان كل من يظلم يعاقب سواء كان كبيراً أو صغيراً بدون نظر الى موقع الظالم الاجتماعي ، لذلك جاء في الحديث الشريف « إنما هلك الدين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » (اتفق عليه الجماعة)
حسني عبد الهادي

(١) المنار : حديث « ان من البيان سحراً وان من الشعر حكماً » رواه أبو داود عن ابن عباس (٢) رواه الحاكم عن علي بن الحسين مرسلًا بسند صحيح (٣) رواه النزار والطبراني في الاوسط بسند حسن (٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس وأما أحاديث الظلم فمشهورة كثيرة صحيحة

الرحلة الاوربية

(١)

مقدمة

كادت أوربة تسود العالم الارضي وتستعبد جميع شعوب البشر وتسخرها لخدمتها لولا أن تفلت جل العالم الجديد في غربي الكرة (أميركة) من قبضة يدها وتلاه الشعب الياباني في شرقيها فساوى الشعوب الاوربية في العلم والصناعة والنظام، وإتقان فنون الحرب وآلات القتال، ووسائل الثروة وتدير المال، وأما سائر بلاد المشرق من اسيوية وافريقية فكانت خاضعة خائعة لدول الاستعمار الاوربية على تفاوت بينها في هذا الخضوع فمنها ما يعد ملكا خالصا لمن ومنها ما يسمى بالتصرف فيه حماية أو احتلالا ومنها ما يسمى بمناطق نفوذ سياسية أو اقتصادية أو امتيازات دولية — دع النفوذ العلمي الذي سيطروا فيه على الافكار بتأثير مدارسهم وانتشار لغاتهم وبث مطبوعاتهم والنفوذ الديني الذي سيطروا فيه على القلوب والارواح ببعثاتهم الدينية وما أنشئ لها من المدارس والمستشفيات والاندية وما يطبع لها من الكتب والصحف المنشرة، ولا تنس في هذا المقام تأثير تجارهم وسياحهم، ولا تأثير طادانهم، وازياتهم، ولا انحامى ذكر تأثير بغاياهم وفواجرهم، في افساد الاخلاق، وحاناتهم ومقامرهم واستنزاف الاموال

فهذه المزايا والصفات والمظاهر والافعال حسنها وقبيحها تنجذب قلوب الناس الى رؤية بلاد هؤلاء الناس على اختلاف المقاصد والنيات فهي كعبة طلاب العلوم والفنون والصناعات، كما أنها هيكل عباد الشهوات والتمتع بالذات، فترى الناس يرحلون اليها من جميع اقطار الارض، أفرادا ونبات واكثرهم يبتغون بالرحلة اليها التمتع بمشاهد عمرانها واحتساء كووس لذاتها، ومنهم من يؤمل الاستشفاء بهوائها ومياهها المعدنية، أو لعرض نفسه على أطبائها أولي الاختصاص في فروع الطب والجراحة، ومنهم من يلم بها لاستبضاع عروض التجارة أو غير ذلك من الاعمال المالية، ومنهم من يهاجر اليها لطلب العلوم الكونية والقانونية، والفنون والصناعات المختلفة، ومنهم من يتسلل اليها للقيام بأعمال سياسية.

ولعل أقل زائريها من ينوي تكميل عقله وتجاربه بالاختبار والاعتبار بما يرى ويسمع ، وأرجو أن أكون من هذا القليل وان كان المحرك لهذه الرحلة والداعي الى جعلها في الزمن الذي وقعت فيه والى المكان الذي كان جعلها فيه ليس الا الخدمة السياسية لوطن المولد والتربية

ذلك بأن حزب الاتحاد السوري — وهو أحد الاحزاب السياسية التي كنت من مؤسسيها والعاملين فيها قد قرر برأى وموافقتي أن يدعو الاحزاب السورية الاستقلالية الى عقد مؤتمر سوري في مدينة (جنيف) من بلاد (سويسرة) حيث تجتمع جمعية الامم — لاجل المطالبة بحق سورية في الحرية والاستقلال الصحيح المطلق من كل قيد ينافيه ولاجل جمع كلمة هذه الاحزاب وتعاونها على العمل دائماً — وبناء على هذا القرار نشر الحزب المنشور الآتي بامضائي واهضاء رئيسه

دعوة الحزب الى عقد مؤتمر سوري

« ان لجنة حزب الاتحاد السوري المركزية بصرة واثقة انكم كنتم وما زلتم مواطنين على مبادئكم القويمة الوطنية ومساعدكم الشريفة الى ان تكمل بالنجاح ويتحرر الوطن المحبوب ويصبح كما يريد ابناءؤه الاحرار العاملون وطناً حراً مستقلاً زاهراً برجاله ناهضاً بهمهم سائراً كل يوم الى الامام بفضل ما يبذله الاحرار العاملون في سبيله من التضحيات العديدة والمسااعي الجليلة

« وبعد فقد رأت لجنة حزب الاتحاد السوري التي كانت وما زالت تجاهد بجميع الطرق المشروعة للحصول على استقلال البلاد التام الذي هو امنية كل سوري أبي النفس ان تتآزر جميع الاحزاب والجمعيات السورية التي تعمل لغاية الاستقلال التام ووحدة البلاد سواء في سورية نفسها أو في المهاجر البعيدة المتفرقة وتتفاهم فيما بينها على أسس المبادئ والمسااعي معا وترفع صوتها في وقت واحد للعالم المتمدن بأسره بجميع الطرق المشروعة طالبة الحصول على حقها الوطني الطبيعي المؤيد بكثير من العهود والوعود من أقطاب السياسة في العالم المتمدن كله

« ولما كان مجلس عصبة الامم سيجتمع قريباً وينظر في شروط الوصاية المفروضة على سورية وغيرها من البلاد المنفصلة عن تركيا فقد قررت لجنة حزب الاتحاد السوري أن تدعو الجمعيات والاحزاب السورية الى عقد مؤتمر سوري عام في

(جنيف) مركز عصبة الامم في ١٠ حزيران (يونيو) المقبل لتبرهن بكل مالد بها من الوثائق والحجج والادلة على مالمسورية من الحق بالحرية والاستقلال وتوسل بالوسائل المشروعة لدى مجلس عصبة الامم لسماع رأي البلاد قبل ابرام الحكم عليها «فلجنة حزب الاتحاد السوري تدعوكم وتدعو سائر الجمعيات السورية للاشتراك في هذا المؤتمر وترجو منكم اشعارها بأسماء مندوبيكم وبميعاد سفرهم وبما ترغبون الاشتراك فيه من تفقات المؤتمر العامة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والسلام»

نائب الرئيس رئيس حزب الاتحاد السوري

محمد رشيد رضا ميشيل لطف الله

المانع والمقتضي والتمارف والترجيح

اتفق في أثناء نشرنا لهذه الدعوة أن مرض أولادي واحد بعد آخر ثم توفي صغيرهم وكنا أرجأنا السفر انتظاراً للعالم بموعد اجتماع عصبة الامم الرسمى الذي كان عين ثم ارجى ثم قرر أن يكون في أواخر شهر أغسطس فتقرر أن يسافر وفد حزبنا من الاسكندرية في ١٢ أغسطس . ثم اتفق أن أصيب ولدي محمد شفيع في أول أغسطس بحصى ممدية يحتاج علاجها الى دقة وعلم فكنت اتولى معالجته وتغديته بنفسى على أن والدته كانت تقساء وقرب الموعد ولما ينقه من مرضه فتددت في السفر ثم رجحت أن ارتبص ريثما ينقه الغلام وأسافر فلما حل الموعد رأيت أن مصلحة خدمة الوطن ينبغي ترجيحها على الامل والولد ، فعزمت وتوكلت وأزمعت الرحيل ، تاركا الاسرة تستقبل عيد الاضحى في حزن وتقاس وتمريض — كما تركت أعمال المطبعة التي هي مادة المعيشة، وغادرت القاهرة في اليوم الثامن من ذي الحجة (الموافق لليوم الثاني عشر من اغسطس) وهو يوم التروية ويليه يوم عرفة فعيد الاضحى فشق على وعلى الامل والصيلان ولكن سفري لم يكن منه بد باتفاق الاخوان من أعضاء الحزب وغيرهم ، وقد زارني قبله يومين رئيس الحزب وبالغ في وصف ما يراه من ضرورة سفري وما في تأخيرها عن هذا الوقت من الضرر

سافرت في قطار الضحى السريع من القاهرة فألقيت في الماركة التي ركبها من الدرجة الاولى ثلاثة من اصحابي علماء الشرع الاذكياء المشهورين وهم الشيخ محمد حسنين المدوي من هيئة كبار العلماء بالازهر والشيخ محمد المرافى من قضاة المحكمة الشرعية العليا والشيخ محمد الضواهرى شيخ الجامع الاحمدى

بطنطا فجلست اليهم وقطعنا المسافة في البحث والمذاكرة في المسائل العلمية والاجتماعية ولا سيما مسألة ضعف المسلمين واسبابه ووسائل معالجته وأهمها الإصلاح الديني

سفر البحر من الاسكندرية

ولما بلغت الاسكندرية ذهبت الى أحد فنادقها المجاورة للبحر فتفديت فيه ثم سألت بالمسرة (التليفون) عن الامير ميشيل بك لطف الله^(١) فعلمت أنه قد ذهب الى الباخرة التي اتفقنا على السفر فيها وانها تسافر من المرفأ عند انتهاء الساعة الثالثة بعد الظهر فيمضتها فألفيته هو ورفيقنا جورج افندي يوسف سالم ينتظران وكانا قد أرسلنا رسولا للبحث عني فصادفني بالقرب من الميناء فساعدني على إنهاء العمل المعتاد في الجمر ككالنظر في جواز السفر ورؤية الطبيب ومادون ذلك. ثم ركب الباخرة

الباخرة طليانية اسمها (كليوبطرة) وهي من البواخر المتوسطة في الكبر والاتقان فهي أكبر من بواخر الشركة الخديوية ودون الباخرة (عثمانية) منها اتقانا ولكنها دون أكثر البواخر التي تنقل الركاب بين مصر وأوربة . وكانت لدولة النمسة فأخذت منها فيما أخذته دول التحالف من غنائم الحرب. وكان يجراها من مرساها في الموعد المضروب لها (الساعة ٣ بعد الظهر)

كان الرفيقان في شك من سفري معهما لما علما من الموانم التي أهمها تمريض ولدي ولكنهما استأجرا مخدعين في الدرجة الاولى في أحدهما سريوان لي وليوسف سالم ان حضرت والا كان له وحده وهو واسم يمكن أن ينام فيه آخرون . وهذه الشركة في المخدع خيزلي من الافراد الذي كنت أفضله لو كنت أعرف لغة اصعب الباخرة فرفيقي يتكلم بلغتهم كما يتكلم بالفرنسية والانجليزية واتقانه للاخيرة أتم

كان الهواء عند مفرنا لطيفا لا يشكو منه الجالس على ظهرها ولكنه لا اثر له في مخادع النوم منها فلم اطق النوم في سرير مخدعنا لشدة الحر فتمت على ظهر الباخرة. وفي مساء اليوم الثاني (النبت) برد الهواء قليلا وطفقت أحشاء البحر تضطرب على ما كان من خفة الهواء وضعف حركته فارتأى بعض الناس (١) لقب «أعير» أنهم به ملك الحجاز على رجال بيت لطف الله وهذا الاتهام اختراع له فيه مباحث اجتماعية وأدبية ليس هذا محل بيانها

أن هذا اثر نوء سابق وبعضهم انه مبدأ نوء جديد وهو الصواب فقد اشتدت
الريح في ناشئة الليل وكانت باردة وانشأ البحر يعبث بالسفينة فلما شعرت
بالنودان لومت كرسي الاسلما على ظهرها ولم استطم العشاء مع الركاب على
المائدة بل اكلت وانا مسانق على الكرسي خشية الدوار الذي ادركتني بوادره ولكنها
وقعت عند حدها والله الحمد ، على ان الريح اشتدت في اليوم الثالث وزاد بردها
فلزمت المسانق عامة نهاره وقد تكلفت طعام الغداء والعشاء وأنا عليه تكافأ ،
وصلت الظهر والعصر قاعدا ، ولم اذهل عن كونه يوم العيد فكبرت الله تعالى
في أوقات متقطعة وتضرعت اليه داعيا إياه ان يثني ولدي ويخلفني في اهلي
ويلطف بنا وبمن معنا ، وقيل لنا ان اضطراب البحر في هذا المكان المحاذي
لقندية (كريد) معتاد . وفي اليوم الرابع (الاثنين) هدأت شدة الريح فصارت
اقرب الى اللطف منها الى العنف ، وزالت مقدمات الدوار والله الحمد ، وجملة
القول ان السفينة لم تضطرب من هذه الريح لانها شمالية غربية تناطح رأسها
مناطحة ولو صدمتها من احد جانبيها لكان النودان شديدا والدوار عتيدا

كنت شرعت في كتابة بعض المقالات للمنار وكتاب مطول لأهل البيت
فلما اضطرب البحر وكان من تأثيره ما ذكرت تركت الكتابة ثم أنمت ذلك كله
في يوم الثلاثاء إذ كان لطيف الحركة ، معتدلا بين البرد والحرارة ، حتى كنا
كأننا في جزيرة لا في سفينة ، فطاب لنا الطعام والكلام

لم يكن معنا من وجهاء المصريين في الباخرة غير أمين باشا يحيى أحد وجهاء
الاسكندرية وهو أشد انصار عدلي باشا ووفده الرسمي في الاسكندرية وكان قد
اشتد سخطه على سعد باشا زخلول وكثر تحامله عليه فخالف في ذلك والده أحمد يحيى
باشا الذي ما زال أقوى أنصار سعد باشا في الاسكندرية ومعه السواد الاعظم
من جيم الطبقات ، وبينى وبين كل من أحمد باشا وأمين باشا مودة قديمة فكنت
أكلم أمين باشا في المسألة المصرية بلسان الصديق له المعتدل في المسائل العامة
لا يطلب الا الحق ، وذكرت له أنني قد حررت القول في المسألة المصرية تحرير
من يرجح الحق والمصلحة العامة على كل شيء كما يعهد ، وأنني وصفت كلا من
سعد باشا وعدلي باشا وصفا لم أبخس فيه أحدا منهما شيئا من حقه ، وذكرت
له بعض ما قلته فأحب أن يرى جزء المنار الذي نشر فيه ذلك قبل عودته من
أوربه الى مصر ، وقد اتفقنا على أن شدة النطاعن والتشاحن بين الاحزاب والزعماء

مما يزيد في الشقاق وهو افتك اسلحة الخضم ، ويذهب بالوفاق وهو أمنم معاقل الامة
وأما طعام الباخرة فقد كانت أنواعه كثيرة أجودها السمك الطري والدجاج
وأردأها وأقلها الخضر ، وقد كان جورج يوسف سالم يقرأ لي جريدة الطعام
عند الجلوس على المائدة ويبين لي ما يخالطه منها لحم الخنزير لاختار بدلا منه
ليطلبه لي فكان هذا خير ما أشكره له من آداب الصحبة والمساعدة على أعباء
السفر وهو من أخبر الناس بها على ما أوتي من النشاط والهمة والمروءة في
خدمة أصحابه

قطعت باخرتنا المسافة بين الاسكندرية وتريسته في خمسة أيام بلياليها إلا
ثلاث ساعات ويقطعها غيرها من البواخر الجيدة في ثلاثة أيام وثلاث ساعات
فقد كانت بطيئة السير والبحر رهو فلما اضطرب زاد بطؤها حتى لم تكن
تقطع في الساعة الا زهاء ١٢ ميلا

قلما يحتاج المسافر الى أوربة في هذه البواخر الى بذل شيء من الجهد في
معرفة القبلة فان طاعة سيرها الى جهة الغرب الشمالي فتكون مستديرة للقبلة
فالذهاب الى أوربة يتجه الى مؤخر السفينة والعائد من أوربة الى مصر يتجه
الى مقدمتها ، وقلما يتغير هذا الوضع

تريسته وجرورها

وفي ضحوة يوم الاربعاء (١٣ ذي الحجة — ١٧ أغسطس) قابلنا ميناء
(تريسته) ثم أرسدت السفينة في مرساها من المرفأ في وقت الظهر وكانوا قد
هيأوا طعام الغداء للركاب قبل مواعده فتغدينا قبيل الظهر لنتمكن من النزول
عند الوصول . فلم نلبث ان نزلنا فدخلنا إدارة الجمر كفتح عماله بعض صناديقنا
وأسقاطنا دون بعض ، وقد فتح لي اثنان من خمس ، ولم يفتش منهما شيء ، ولا أولئك
العمال فراسة في الناس وفي متاعهم وأهم ما يبحثون عنه فيمن يجنيء من مصر
(سجاير الدخان) وكان الامير ميشيل قد حمل معه صندوقا كبيرا فيه الوف من هذه
السجاير المصرية ربما يبلغ مكسها الوفا من الليرات الطليانية لو كانت محمولة لتستهلك في
ايطالية وإنما هي محمولة الى (سويسرة) وما يمر من بلاد الى أخرى يعطى المكس عنه
في البلد المحمول اليه دون البلاد التي يمر منها ، وقد مكثنا في إدارة الجمر ك زمنا
طويلا لحل الرقيقين هذه المشكاة كما وقفونا لاجابها عندما بلغنا نهاية حدود ايطالية
وأول حدود سويسرة ، فقبج الله هذا الدخان ما أعظم ضرره وأكثر غوائله

(تريسته) حاضرة من أعظم حواضر البحر في سواحل أوربة، على شاطئ الشمال الشرقي من بحر الادرياتيك، مرفأ واسع، وثغر باسم، في سفح جبل شامخ، فهي كبيروت أوجوتية من سفح لبنان، وآين مرفأ بيروت الصغير من مرفئها الكبير ذي الارصفة الكثيرة، وكانت لدولة النمسة فلما مزقتها الحرب الاخيرة آلت فيما آل الى ايطالية مع بواخرها، وهي في الاصل من حواضر بلادها، كان أول عمل عملناه بعد الخروج من المكس ان أودعنا متاعنا في فندق (سافواي) من فنادقها الكبرى وبادرنا الى ارسال البرقيات الى أهلينا بمصر للاعلام بوصولنا سالمين وقد طلبت في برقيتي ان يخبروني بحالة محمد شفيق بيرية يرسلونها الى جنيف وأودعنا في البريد ما كتبنا اليهم من تفصيل أخبار سفرتنا وما كتبته من المقالات للعنار، ثم طوفنا في البلد ساعة من الزمان وعدنا الى الفندق، وقد عهدنا الى يوسف بك سالم بأن يأخذ لنا تذكرة السفر في صبيحة اليوم التالي في السكة الحديدية لما له من الخبرة ومعرفة اللغة ففعل وأقول في هذا المقام ان الانسان لا يعرف قدر معرفة اللغات الاجنبية كما يجب الا اذا سافر الى بلاد يعرف لغات أهلها فان معرفته بذلك في بلاده بين قومه لا تعدو النظريات الفكرية وشهوة التكمل والتوسع في العلم فاذا سافر وصار بين قوم لا يعرف لغتهم شعر بنقص الجهل بتلك اللغة ورأى أن ما كان يعمده كاليا قد صار من الحاجيات أو الضروريات — من الحاجيات اذا كان معه من الرفاق من يقضي له حاجه تارة ويترجم له كلام القوم أخرى — ومن الضروريات اذا فقد مثل هذا الرفيق، واذا كفاه المترجم مالا بد منه في شؤون طعامه وشرابه وتنقله من مكان الى آخر في البر والبحر فهو لا يكفيه كل ما يحتاج اليه من إفادة واستفادة وقلما يوجد مترجم بين متحاورين يستطيع أن يوصل الى كل منهما ما في نفس الآخر من علم ورأي وحجة وشعور، بل كان الاستاذ الامام مخبرهم بأن المرء قلما يستطيع ان يوصل الى نفس غيره بالخطاب أكثر من ٨٠ في المئة وبالكتاب تنعكس النسبة فاذا كان تبليغ المترجم عنه وسطا بين تعبيره عن نفسه بالخطاب وتعبيره بالكتاب فقد يؤدي النصف او اقل من النصف من نظريات السياسة والاجتماع والفلسفة والدين، وانما يؤدي المراد كله في الامور القطعية التي لا تختلف فيها الافكار كاثمان السلم وجهات الطرق ومواعيد السفر وما اشبه ذلك .

كوارث سورية في سنوات الحرب

من قتيل وتصليب ونخصة وتقي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان، هو الامير شكيب أرسلان

(مقدمة)

قد التقينا في أوربة بصديقنا القديم الامير شكيب أرسلان الشهير
بعد افتراق بضع سنين وكثر اجتماعنا به في جنيف (سويسري) بسبب
الاشتراك في أعمال المؤتمر السوري الفلسطيني وفي سياحته مع في سويسرة
وألمانية — وفي هذه الاثناء سمعنا منه أخباراً تفصيلية لفظائع جمال باشا في
سورية وما كان من مآرضته له بالحسن ثم بالمفاضلة، فتمنينا لو تنشر
هذه الوقائع لبيان الحقيقة التاريخية فان معرفة حقيقة تاريخ الامة هو
الوسيلة الاولى للنهوض بها والصعود في مراقي الحياة بين الامم، وضرر
الجهل به والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض
وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه. وقد كانت الحقائق التي سمعناها
منه ومن غيره في أوربة مؤيدة لرأينا في جمعية الاتحاد والترقي وفي تأثير
سياستها في الامة التركية والدولة الألمانية كما سنبينه في التعليق على هذا
المقال بعد، ولرأينا في الامير شكيب نفسه أيضاً وهو مانبينه في هذه المقدمة:
الامير شكيب من أشهر كتاب سورية وأدبائها بل لا أبالغ إذا قلت
إنه لا يُلزَّ به قرين منهم في مجموع مزاياه كجولان قلمه في جميع ميادين
المنظوم والمثور والوقوف على دقائق السياسة وشؤون الاجتماع والعمران —
وفصاحة اللسان في الخطابة والمناظرة. وله في الكتابة السياسية والاجتماعية
أسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون، وكانت سياسته
الوطنية السورية محصورة في وجوب الاخلاص للدولة العثمانية مهما
(المنار: ج ٢) (١٦) (المجلد الثالث والعشرون)

يكن حال سلطانها ورجالها في ادارتها وسياستها لاعتقادها أنها اذا زالت سيادة الدولة عن وطنه الخاص (لبنان) وسائر سورية وسقطت تحت سيطرة دولة أوروبية فانه يذل ويخزي . وكان له خصوم كثيرون في سياسته هذه أكثرهم من نصارى الجبل المشايخين لبعض الدول الأوروبية ، ومبغضون آخرون لامثير لبغضائهم الا الحسد أو التعصب الديني أو المذهبي . وهو من مريدي أستاذينا موقظي الشرق الأستاذ الامام المصري والسيد جمال الدين الافغاني ، وله غيرة على دينه الاسلامي ودفاع عنه لا يطيق صبراً على من نال منه بلسانه أو قلمه ، على أنه لطيف التساهل فكه المباشرة ، وله أصدقاء كثيرون في بلاده السورية وفي مصر والآستانة وأوربة مختلفو المال والاجناس ، ولكنه جديد المزاج ، ألد الخصام ، فهو كما قال ابن دريد : سهل اذا لويذت لذن معطفي أأوى اذا خوشذت مرهوب الشذى ولهذا يبالغ في وده أصدقاءه ، وينلو في عداوته خصماؤه . وإنما شذاه في نضال الأعداء ، هو ما يهد في مجالدة الأدياء ومجادلة العلماء ، لا يكاد يعدو كاوم الكلام ، بوخز اسلات الألسنة وأسنة الافلام ، فهو أديب متدين بنفر من الاعتداء على النفس والاموال ، وشجاع يرفع عن دنيئة السعاية والاغراء وقد كان الكثيرون من الناس يزعمون أنه ليس له مبدأ أو مذهب في السياسة ثابت وإنما يدهن للدولة ولكبراء رجالها لاجل المنفعة ، وأكثر هؤلاء من حساده او مخالفيه في مذهبه السياسي ، وبعضهم ممن كانوا ينكرون عايه مشايخته للحميديين في عهد عبد الحميد الذي كان يطريه بالنظم والنثر ، ثم مشايخته للاتحاديين عند ما صاروا في الدولة أصحاب النهي والامر ، وأنه لم يكن من طلاب الاصلاح للدولة في جملتها ، ولا

لبلاذه السورية أو العربية في خاصتها. وعندني أن مثله في هذا كمثل مسلمي مصر والهند وغيرهما من الاقطار البعيدة يريدون مشايمة من بيده زمام الدولة تأييدها على الاجانب لا الرضى بسوء الادارة أو السياسة. وقد كنت أنا من هؤلاء المنكرين عليه تشييع الاتحادين ودفاعه عنهم على علمي بما ذكرت من مذهبه السياسي في تفضيل الدولة على جميع الاجانب واشارم عليها مهما تكن حالها لأنني كنت على هذا المذهب منذ عقلت السياسة ولا أزار عليه مثله. وقد كان سيء الظن بحزب اللامركزية العثماني الذي كنت أحد مؤسسيه وطمأن في هذا الحزب حتى نالني من طعنه بالباطل. أنا نالني، على ما كان يحمد من خدمتي للاسلام واخلاصي للدولة، حتى إنه اطراني بمقال نشره في المؤيد بزعمه، انه اذا اختير من العالم الاسلامي مئة ثم من المئة عشرة ثم من العشرة واحد لمكنت ذلك الواحد ولم أورد عليه لعلمي بالشبهات التي مكنت ذلك الظن السيء في نفسه.

ولما علم ما كان من انباء تنكيل جمال باشا بالسوريين في أثناء الحرب أشيع أن الأمير شكيباً معه وأنه مساعد له على سياسته الطورانية في سورية لشبهات روجها أعداؤه وحساده حتى صدق التهمة غيرهم، ولما علمنا منه أخيراً أن الامر بضد ما قالوا اقترحنا عليه أن يكتب لنا مذكرة بما سمعناه منه أو مقالاً فيه لنشره في المنار انصافاً له وللتاريخ، وقطبنا لألسنة المنقولين، فاجاب طلبنا معتذراً عما استلزمه من تركية المرء لنفسه وقد نهى الله تعالى عنها، وقد جاء ما كذبه رسالة طويلة فجعلناها عدة فصول وضمنا لها عناوين من عندنا واختصرنا قليلاً منها، ومنه اعذار الكاتب وهضمه لنفسه في فاتحتها، وما نحن أولاء ننشرها تباعاً، قال الكاتب:

١ - التاليف بين السوريين واستمطاف الدولة على النصارى منهم

عند ما نشبت الحرب العامة وقبل دخول تركيا بها بل اثناء تأهبها للدخول كنت في الاستانة وكان قائد الفياق العثماني في سورية الفريق زكي باشا فأبرق الى أنور باشا ناظر الحربية يطلب تعجيل مجيئي الى سورية لاحتياج الحالة الى وجودي فيها يومئذ فأشار علي أنور باشا بسرعة السفر وافادته ما أراه مناسباً من التدابير فسافرت الى سورية وبعد وصولي بمدة دخلت الدولة في الحرب وحصل تخوف عظيم لاسيما عند اخواننا المسيحيين فتكلم معي كثير منهم في خطورة مركزهم وما يحتاج ضمائرهم فسكنت خواطرهم وأخذت على نفسي أنه لا يصيبهم أدنى سوء ما داموا هم ملازمين السكون والطاعة للدولة . ثم أخذت التي المواقظ على المسلمين وعلى غيرهم من الفرق الاسلامية ولا سيما الدروز بوجوب مصافاة المسيحيين وحسن معالمتهم أكثر مما يجب في كل وقت وأظن أن ألوقا من أهل جبل لبنان من كل طائفة يشهدون بذلك . ثم أبرقت الى أنور باشا بما عليه بطريقك الموارنة من الاخلاص للدولة وما لا يزال ينصح به طائفته من وجوب التمسك بالتابعة العثمانية ويأمر به كهنته من الدماء بنصر الجيش العثماني . وبرقتي هذه لا بد أن تكون مسجلة في سجلات بيت التلغراف في بيروت فلا أستشهد بشيء الا وشاهده حاضر لاي من أراد التحقيق

٢ - مسألة جمع اسلحة النصارى

استشارني زكي باشا القائد المشار اليه في جمع أسلحة النصارى بقوله إن عندهم في لبنان بنادق كثيرة وربما تنزل الاعداء عساكر في سواحل سورية فينضم النصارى اليهم . فحذرته من هذا العمل قائلاً إنه لا لزوم له ولا يكون له نتيجة سوى قلق الخواطر وسوء الظن بأن مقصد الدولة تجريدكم من السلاح لاجل الغدر بهم ، فلم يكتف بملاحظتي الشفوية التي قلتهالها في دمشق بل أمهلني ريثما ذهبت الى بيتي في جبل لبنان وحرر الي كتاباً رسمياً طلب مني فيه اذا كنت مصرّاً على عدم جمع سلاح النصارى أن اكفل عدم تحفزهم لقيام ما على الدولة . بخاوبته بما يؤيد كلامي له قبلاً واكدت له أنني اكفل بنفسي المسيحيين أن لا يأتوا بأدنى حركة على الدولة . ولاجل أن يزداد طمأنينة قلت له في جوابي على سبيل العرض إن بدا منهم شيء من هذا القبيل فاني

أمشي عليهم بالدروز قبل أن يزحف العسكر العثماني. فسكت عن هذه المسئلة من بعد هذا الجواب . وكتابه محفوظ عتدي ولا شك أن جوابي محفوظ في أوراق الحربية العثمانية. ولم أخبر بهذه المسئلة سوى بكر سامي بك الذي كان والي بيروت وقتئذ فصوب رأيي هذا ، وكذلك أسررت بها الى صديق حميم لي وهو الطيب الذكر المطران باسيلوس الحجار مطران الكاثوليك في صيدا وأوصيته جداً بكتمان هذا السر لانه من الاسرار التي يعاقب على افشائها بشد العقوبة فكتمه بالرغم منه لاقتناعي اياه بالخطر على حياتي اذا علمت الحكومة العسكرية بانني أطلعت عليه أحداً ، وكان يتلف الى ساعة وفاته على كونه لا يقدر أن يخبر النصاري بما كنت أسمى به لاجل المحافظة عليهم مع أن الكثيرين منهم يرموني بخلاف ذلك تحاملاً وتمصياً

٣ - حمل جمال باشا على احترام بطرك الموارنة

ولما نقلت الدولة زكي باشا من قيادة جيوش سورية وجعلت بدلا عنه احمد جمال باشا ورد علي بواسطة بكر سامي بك والي بيروت تلغراف رقي من أنور باشا بان جمال باشا عين قائداً للحملة المصرية وانه هو أي أنور أوصاه بي فحضر جمال الى الشام وأول ما واجهته قال لي أنه سيستقدم بطريك الموارنة الى دمشق ويأمر باقامته بها فبقيت يومين أراجعه بكلام يلين الجوامد وابين له مقدار مايكسر ذلك من خاطر الطائفة المارونية على حين ان هذه الطائفة ومائر المسيحيين لا يريدون شيئاً سوى رضى الدولة عنهم، فنظراً لكونه حديث العهد بالجيء وموصى بي من الاستانة اقتنع بكلامي ، وقال ماذا يصنع اذاً أفلا يأتي البطريرك للسلام علي ؟ قلت له ان البطريرك لا يأتي أن يسلم عليك لكنه عدا علو سنه مريض وسيرمل اليك أساقفة ينوبون عنه بالسلام عليك، فقال لا أقبل الا اذا كانوا من الدرجة الاولى فقلت له يأتي أكبر الاساقفة ومتى نقه البطريرك يقدم بنفسه . وهكذا حفظت شرف البطريرك من أن يعرض للغض وأخبرت عما جرى نجيب باشا الملاحدة الذي كان يومئذ بالشام وكان ذهب معي الى جمال باشا فقرح نجيب كثيراً بهذا الخير وقال لي اكتب التلغراف الذي تريده الي البطريرك لاجل أن امضيه فابرق الي البطريرك بارسال المطارين ، وبلغني أنه كتب اليه عما فعلت من جهة منم استقدامه لاني بعد عودتي الى الجبل صرت أسمع الثناء والشكر من أكثر من ألقى من

الموارنة ومن جملتهم حبيب باشا السعد الذي قال لي : لا تنسى محافظتك على بطركنا والرجل حي يرزق . والبطرك نفسه حي فلست مستشهداً بغائب ولا بميت والحمد لله .

ثم ان البطرك وحبيب باشا المشار اليه اقترحا علي ان يكون ذهاب وجوه النصاري من لبنان الي الشام للسلام على جمال باشا وفداً واحداً مع وجوه الدروز هذا اذا وافق ذلك هواي فاستحسن ذلك وانتخبوا هم الوفد المسيحي وانتخبني أنا الوفد الحمدي وتلاقى الوفدان بدمشق وكان المقصد مني ومن البطرك ومن حبيب باشا أن نعلن للحكومة العثمانية اتحادنا في لبنان وأنه ليس بيننا خلاف فلا تمتديد بالتضريب فيما بيننا وماأظن أحداً يقدر أن ينكر كون مثل هذه السياسة تدل على حسن النية وحب السلام

٤ - بدء جمال باشا بمؤاخذه بعض وجهاء لبنان

ثم ان جمال باشا استقدم عدة من وجوه الجبل الذين كان يبلغ الدولة منذ زمن طويل أنهم يحطبون في جبل الاجانب هذا في جبل الفرنسيين وذلك في جبل الانكليز الخ وأمر باقامتهم بدمشق وكنت يومئذ في لبنان أجمع متطوعين للذهاب الى حرب الترة فلما ذهبت بالمتطوعين الى دمشق تلاقيت مع حبيب باشا السعد في محطة البرامكة فقال لي ان جمال باشا أمر باقامتي بالشام مع غيري وانما أذن لي بالذهاب الى البيت لجلب ثيابي . فذهبت توالى الى جمال باشا وفتحت له هذه المسئلة أمام خلوصي بك الذي كان والياً بالشام واعترضت بحجة فأجاب انه لا يقبل مني تعرضاً لموضوع لم يسألني هو عنه . فقلت له انما تكلمت لكوفي أدري بأمر بلادتي وبعد الآن لا أتكلم بشيء ، وخرجت مغاضباً . وفي اليوم التالي ذهب جمال الى زحلة لاستعراض الجند فشاهد حبيب باشا فأذن له بالانصراف وعاد الى الشام وطيب خاطري وأنا سافرت الى الترة عن طريق معان وسافر جمال الى القدس ، وفي أثناء وجوده في القدس أبرق اليه بعض الاساقفة المارونيين يلتمسون اطلاق سراح الذين كانوا مأمورين بالاقامة بدمشق فغضب من تدخل الاساقفة فيما لا يعنيههم وأمر بنقل أولئك الجماعة الى القدس . ولما رجعنا من حملة الترة أمر جمال بمجيئنا الى القدس فوجدت الجماعة المذكورين هناك فرجوتهم أن يطلقهم مع ان بعضهم كانوا من الد خصوصي فلم يجب سؤالي الا في المرحومين خليل بك الخوري وسليم بك المعوشي وكانا

لم يصل الى القدس فأمر برجوعهما ، فطفق المفسدون يتقولون بكوني أنا الذي أشار بنفي . الآخرين .

هـ - رد شبهة عن الكتاب واستبداد جمال باشا

وطالما تشدقوا بهذا الاستدلال في مسائل أخرى قائلين اذا كان الامير شكيب قد أُنقذ فلاناً من النفي وفلاناً من القتل وفلاناً وفلاناً فهذا أوضح دليل على كون ما وقع من أعمال جمال القاسية هو برأي الامير شكيب . وكل من عنده ذرة من المنطق يعلم بأنه ان كان أحد من ذوي النفوذ تمكن بمخطوته لدى حكومة أو حاكم أو قائد أن يخلص فرداً أو أفراداً من عقوبة فلا يقتضي ذلك انه كان يقدر أن يخلص كل من يراد عقابه وأن يستولي على الدولة وأن يتصرف بالاحكام العرفية والمجالس العسكرية وبارادة القواد والولاة وهم مئات وألوف ، ونحن نرى ان أموراً قد يأتيا أحد العمال خلافاً لرأي رئيسه أو رؤسائه ولا يقدر أن يخلصه على منعه وان جمال باشا بالتخصيص قد أتى أموراً لم يكن يوافق عليها طلعت الذي كان روح السلطنة . ولا أنور الذي كان ناظر الحرية . وانه لما شنق الذين شنقهم ثاني مرة الزهراوى وشفيق المؤيد ورفقاءهما كان البرنس سعيد حليم الصدر الاعظم نفسه خالياً من علم هذه الحادثة فأبرق اليه محتجاً بشدة ويقال ان قتل أولئك الجماعة بدون قرار مجلس النظار كان سبب استعفاء خيرى افندي الاركوبي شيخ الاسلام . وكان السلطان محمد رشاد نفسه يرى نفسه من العلم بمقتل أولئك الجماعة . وأغرب من ذلك ان شلبي افندي شيخ المولوية (وهي أكبر طريقة في تركيا وكان المرحوم السلطان محمد رشاد ينتمي اليها) لما ذهب بألوف من مريديه مجاهداً في سورية رأى من غطرسة جمال مالم يعجبه فاستأذن في المجيء الى الاستانة فأذن له جمال على شرط الرجوع . وكان من المقربين جداً الى السلطان فشكا اليه الامر وظن ان السلطان يصدر ارادته السنية ببقائه في الاستانة فكان من السلطان أن همس في أذنه همساً قاتلاً له : لا ترجع الى سورية لكن لا تقل اني أنا قلت لك ذلك . أفلم يروا كيف ان جمالا شنق في استانبول صالح باشا خير الدين صهر الاسرة السلطانية في دعوى قتل محمود شوكت وجاءت امرأة صالح باشا وهي ابنة أخي السلطان تشكو اليه وتؤكد له براءة زوجها فتسكلم السلطان مع جمال في استبقاء صالح باشا في الحياة على الاقل فلم يقبلوا منه

وكان التشديد من جمال كما كان يروي ذلك هو عن نفسه. أفبعد هذا يقال لماذا لم يمنعه شكيب أرسلان عن قتل زيد ونفي عمرو ؟
ثم انه لما أراد اعادة الدين كانوا في القدس الى أوطانهم أبرق الى رضا باشا قائد لبنان أن يسألني رأيي في اطلاقهم فأجبت انه لا يوجد من ذلك أدنى محذور وأنا كفيل لهم (مع ان منهم خمسة أشخاص كان مقطوعاً بيني وبينهم حتى السلام والكلام) وأبرقنا بذلك الى القدس فأطلق نصفهم ثم قبل اطلاق النصف الآخر ألقوا على السؤال نفسه فأجبت كأول مرة وأظن ان هذه التلغرافات مقيدة مسجلة فلا تصعب مراجعتها
٦ - الشفاعة في التلة الاولى من ضحايا جمال

عند ما قبض جمال باشا على رضى بك الصلح وعبد الكريم الخليل وعدة من المتهمين الذين شنع منهم ١١ رجلاً وهي القافلة الاولى لم أترك وسيلة من الوسائل الا استعملتها لاجل اقناعه بالعمو عنهم وافهامه ما يترتب على فتح هذه المسئلة من الضرر للدولة والملة وفي احدى المرات بينما كنت ألح عليه في الرجاء وكنا في صوفر قال لي كنت أحب أن أطلعك على المكاتيب التي من بعضهم الى بعض بالحث على قتلك (يشير الى مكاتيب واردة الى سورية من حتي بك العظم يحث فيها على ذلك) فقلت له هذه كتابات لا ذنب لهم فيها ومم هذا فلسنا الا في ضغائن شخصية وإنما انظر الى المسئلة من وجهة سياسة الدولة فلا أجد فتح هذا الباب في محله. ولسكثرة مراجعتي اياه كتم غنى نيته الى أن أنفذهم ما اراد، ومن بعد ذلك ابتداء الخلاف بيني وبينه تدريجاً بحسب تزايد شدته ومن جملة من راجعهم في أمر نصحه بترك هذه الشدة من ولاة الدولة عزمي بك والي بيروت وخلوصي بك والي الشام وعزمي بك الآخر والي الشام بعد خلوصي وتحسين بك والي الشام بعد عزمي وعلي منيف بك متصرف لبنان وعلي فؤاد بك رئيس أركان حرب الفيلق الرابع وكلهم أحياء لم يموت منهم سوى خلوصي بك

ولما أرسلت الدولة سنة ١٩١٦ وفداً تركيا الى سورية مؤلفاً من بضعة عشر شخصاً من نواب الامة وأركان الدولة منهم صلاح جيمعجوز بك مبعوث الامتانة وعصمت بك مبعوثها أيضاً والي الاستانة سابقاً التمت منهم أن يتوسطوا في أمر الخمسة لي بالذهاب الى الاستانة لانه كان يمنعني الى ذلك

اليوم من الذهاب اليها بحجة احتياج المصلحة الي في سورية والحقيقة - وقد صرح بها أخيراً - انه كان يعلم اني لو وصلت الى الاستانة لظهرت هناك كل ماجرى وحملت على سياسته حملة شديدة ولا يقدر أن يتهمني هو بسوء النية لأن الدولة تعلم صداقتي لها ولذلك أخذ هو يتكلم مع صلاح جيسجوز وعصمت في أسباب الجفاء الذي حصل وانه من أجل التدابير الشديدة التي يراها ضرورية لسلامة المملكة مع اني أنا غالبية علي صفات الشاعرية ورقة القلب ويهمني أن أرضي أبناء وطني وأجيب رجاءهم ولو بخلاف المصلحة حتى تشفع الي لاناس كانوا يعملون لقتله وكاشفته بذلك فقال : لا تعلم مقدار اللذة التي يجدها الانسان في استحياء من كان يريد قتله .

٧ - الشفاعة في الثلة الثانية من ضحايا جمال باشا

لما قبض جمال على الفرقة الثانية العسلي والشمعة وشفيق المؤيد والزهراري ورفاقهم واجتمع في حاليه نحو من ٧٠ معتقلاً أخذنا نستعطف خاطره لاجل اطلاقهم ونبين له الفوائد السياسية في العفو عنهم وما تصاب به الدولة من الاضرار بالنكال بهم وحمّلنا علي فؤاد بك رئيس أركان الحرب على الكلام معه في هذا الموضوع لما كان له من نفاذ الكلمة لديه وأكّدنا الرجاء الشفوي بالرجاء كتابة أولاً وثانياً فلم تكن تعجبه هذه المساعي مني ولم تسوّه الا عند ما كلمت عزمي بك والي الشام في ذلك وكان تعيينه لتلك الولاية بدون علمه فاحتج على تعيينه وطلب صرفه فاستمهلوه ثلاثة أشهر بمدّها عاد عزمي المذكور الى الاستانة وقبل سفره من دمشق ذهبت اليه في دار الولاية وطلبت منه مقابلة سرية وقلت له في مبدإ خطابي انني مودع هذه الكلمات شرفك وارجو ان لا تعيدها الا الى طلعت بك ناظر الداخلية وهي ان تمادي جمال باشا في ارهاق الحد سيكون منه خطر على سورية وينشأ عنه شقاق طويل بين العرب والترك لا نهاية له . ولما كان جمال باشا لا يسمع ما نسمعه نحن أبناء البلاد ولا يجراً احد ان يقول له الحقيقة فهو يظن ان الناس راضون بأعماله وليس هناك من راض ولا من مستحسن حتى اتقاس الدين يمتدحون لديه أعماله ويملاؤن مجالسه نظماً ونثراً تراهم يتهامون فيما بينهم بوخامة العاقبة وانا صدقت الى اليوم مع هذه الدولة واعتدّ عدم تحذيري وانذاري اياكم بما ينفت في روعي (المنار: ج ٢) (١٧) (المجلد الثالث والعشرون)

من هذه الجهة خيالة واخشى ان تقولوا في يوم من الايام لماذا لم تنبه افكارنا وتجهز بالحقيقة ؟ فيها انا ذا آت لا قول لك الحقيقة بكل صراحة لتباغ طلعت بك ما قلته لك بتمامه . فتأمل قليلا وقال لماذا لم تراجع انت جمال باشا ؟ فقلت قد تكلمت معه مراراً وكتبت اليه تقارير واستعنت بعلي فؤاد بك ولم أر منه دليلا على الرضى ، واخاف ان يصيب هذه القافلة الثانية ما أصاب الاولى فتكون المصيبة أطم والعاقبة اوخم ، فقال لي أنا لا أقدر ان أشفاه بذلك طلعت بك كما تريد لأنه كالطمن في سياسة جمال باشا مع اننى انا احترم هذا الرجل وان شئت اقول انا لجمال باشا نفسه . فلم يسمعنى الا ان اقول له حسناً تفعل اذا نصحتك بشرط ان تجعل الكلام منك لا مني . وبعد يومين من هذه الجلسة جاءني احد الشرطة يدعوني الى (القرار كاه العمومي) اي محلة القائد العام وذلك بخلاف العادة الى ذلك الوقت اذ كان قبلها يدعوني دائماً بواسطة ياور من قبله فلما ذهبت وجدت لونه متغيراً وصك الباب وقال لي انه لم يحترم الى الآن أحداً في سورية نظيري لا لسبب سوى حسن اخلاقي الخ ولكن بدأت منذ مدة اتدخل بما لا يعنيني وأنتقد أعماله مع انه هو القائد وهو المسؤول وهو وهو الخ فقلت له انني غير موافق على خطة ارهاق الحد واخشى اذا سكت ان أكون مسؤولاً تجاه دولتي وملتي بل تجاه ضميري ، فقال لي قلت لي وكتبت وبينت فكرك وارتحت وجدانك وهذا كاف ولكنك لا تزال مواصلاً مساعيك غير راجع عن اصرارك حتى ذهبت تستنجد عزمي بك وتقول له هكذا بالحرف : قل لطلعت بك يكتب الى هذا الرجل ليخفف من هذه الشدة . فلم أنكر شيئاً من هذا الحديث وقلت له نعم لما قطعت أملي منك رأساً ظننت انني أقدر على استعطاف خاطرك بواسطة طلعت وانت تعلم انني شخصياً ممنون لك وانك لا تعامل أحداً في سورية بمثل ما تعاملني به من الرعاية اذاً لا يحملني على هذا السعي سبب شخصي بل مجرد اخلاصي لدولتي ووطني ولشخصك انت لانني اخشى ان يملوك في يوم من الايام جميع عبء هذه المسؤولية . فقال كن مستريحاً من جهتي ولا تظن انني مقيد بخاطر طلعت ولا غيره ، ثم سكت قليلا وقال أظن انني افعل ما افعل بدون مشاورة رفقاء لي ؟ ثم أنهى كلامه قائلاً انني اندرك بان لا يتدخل من بعد في هذه المسائل التي هي منوطة بي وحدي الخ

المنار : ج ٢ م ٢٣ مخالفة جمال لانور ولشكري بك رئيس الديوان العرفي ١٣١

٨ خيبة التوسل بأنور باشا وظهور خوفه من جمال باشا

ولما جاء أنور باشا سورية وكان السهم لما ينفذ في القافلة الثانية افترصت زيارته لخلاصهم فحرص جمال جد الحرص على منعه المخالطة له طول هذه السباحة من الاستانة الى المدينة المنورة ، حتى انني لما طلبت منه الاجتماع في جلسة سرية في (اوتل بترو) في دمشق لم أكّد أبداً معه بالحديث حتى عرف جمال باشا بواسطة احد عيونه الذين كانوا محيطين بأنور ليلاً نهراً فجاء ودخل علينا بغتة بدون استئذان وقال لانور : نحن مدعوون عند نخري باشا افلم يحسن الوقت للذهاب ؟ فنظر الي انور وقال : الا يمكن إرجاء الحديث الى الغد ؟ وكان صباح ذلك الغد موعد سفره فقلت له لي كلمات لا يأخذن الا بضع دقائق . فاصفر لون جمال حتى صار كالكهرباء وخرج وانا أكملت حديثي مع انور بمعنى العفو عن المعتقلين الذين في (عاليه) وجعل ذلك العفو احدى نتائج سياحته بحيث تكون له هذه المنة على ابناء العرب . على انه ان كان يرى انه لابد من الحكم فليكن بالنفي لا بالعدم لان النفي يلحقه العفو وأما العدم فهو غير قابل للتلافي . فلم يزد انور في جوابه على قوله سأوصي وابذل جهدي ، ولكن كان كلامه ضعيفاً وكانت عليه علامة الحيرة . فعلمت انه عاجز عن مقاومة جمال او ان هذا نال من اكثرية الرفاق قراراً أصبح مبرماً لا يقدر انور على تقضيه . ثم أسرع انور بالخروج ليري جمالاً ان الجلسة بيننا لم تطل وكان جمال واقفاً امام الباب ينتظر عمداً لكيلا تطول الجلسة . فقال له انور : يحكى لي شكيب بك في أمر الذخيرة (وهي القمّح في عرف الترك) فلم يجاوبه جمال لعلمه انني ما تكلمت الا في مسألة معتقلي عاليه . ورأيت أنا بعيني ساعتئذ من ضعف أنور بازاء جمال مالا أنساه وما أكّد لي ما كان يقال من انه كان يبرق اليه كثيراً من الاحين قائلاً : انا حر في منطقتي مسؤول عنها وليس لك ان تعترضني بشيء . على انني لم اكتف بهذه الكلمات مع انور بل ذهبت الى رئيس رفقائه القائم كاظم بك وأطلت معه القول في العفو عن المعتقلين ليلغيه اياه ثاني يوم حرفياً في اثناء الطريق . وقد عرف كثير من اعيان سورية يومئذ بما وقع وقالوا لي قد عملت الذي عليك

ثم عند ما صدم جمال على شفق الجماعة استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه علي ما علمت من شكري بك نفسه

أسماء ٤٠ شخصاً يجب ان يحكم عايهم بالموت؛ فراوده شكري بك كثيراً ودافم كثيراً فتهدده بالقتل (بحسب قوله) ولما قال له ان وجسداني لا يرتاح الى الحكم بالموت الا على ثلاثة وبالكثير على خمسة استحضر جمال باشا أعضاء الديوان وكلهم وهم ضباط شبان لا يخرجون عن أمره فلم يبق مع شكري بك الا القاء مقام ملحم بك حماده اللبناني البعلبكي وهو الذي كاشفني بذلك اذ قلت له مشجعاً لا تعبأ بتهديده لا يقدر على قتلك ولا يريد ان يريده وانما يريد اقناعك بالحكم. فقال ان الامر خرج من يدي وأكثرية المجاس صارت في يده وليس معي الا ابن وطنكم ملحم بك. ولما فشلت هذه الرسائل بقي أمام ضميري وسيلة مراجعة المانيا فذهبت الى (لوتفيد) قنصل المانيا واستحلفتني عينا بالشرف ان لا يخونني لان مثل هذا الامر فيه خطر على الحياة. فاقسم. فأخبرته بما وقع مع شكري بك من أوله الى آخره وانه قد ظهر تصميم جمال على القتل وأن هذه المسئلة وان كانت عثمانية داخلية لاحق لكم في التدخل بها فانها من جهة أخرى تضر المانيا ضرراً بليغاً اذ مما ينبغي أن تفهموا أن قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لا نهاية لها فتكونون زدتهم الدول الائتلافية قوة أمة جديدة هي الامة العربية. فأبرق القنصل بالارقام الى السفارة بكل ما قلت له. بعد ذلك بنحو جمعة وقم الشنق وكان في ليلة السبت وفي نهار الاحد وزارني القنصل في منزلي وقال لي: قد تحقق لي الآن أنك كنت على بينة مما تقول. ولم يرد جواب تلغرافي الى اليوم. ثم لقيته بعد أيام فقال لي ان سفارتنا لم تقدر أن تصنع شيئاً. ولكن الاتراك سيندمون على هذا العمل. وأخذ لوي تفيد يظهر أسفه مما حصل أمام الكثيرين من أهل الشام لينبرثوا المانية من هذه الحادثة ولعل الحكومة الالمانية بعد رجوع العلاقات الدولية الى ما كانت عليه تنشر مثل هذه المراسلات فبظهرها لعل المسيو كولمان السفير الالمانى الذي كان سنة ١٩١٧ في الاستانة قد أخبر به حكومته عما كنت قررته له من حقيقة هذه المسئلة فقد قال لي: أن المسموع أن هؤلاء الداس الذين شنقوا في سورية كانوا بمالئين لفرنسة على احتلال سورية: فقلت له: لا صحة لذلك، ربما يوجد في سورية من يتمنى باطننا احتلال فرنسا ولكن لا الزهراوي ولا شفيق المؤيد ولا العسلي ولا الشمعة الخ يريد احتلال فرنسا لسورية بل هم وطنيون مثلنا ويكرهون احتلال الاجانب لبلادنا كما نكرهه نحن وزيادة، نعم ان هؤلاء

قامو بحركة استقلال اداري داخلي وبطاب حقوق للعرب معلومة مع البقاء ضمن دائرة الدولة العثمانية وليس في ذلك خيانة تستحق العقوبة بالقتل فضلاً عن الخطأ السياسي العظيم الذي ارتكب في هذه الواقعة والذي أوجد هذا النفور بين العرب والترك . فسكت السفير لكلامي هذا الذي عززته بقولي اني لم أكن على مشرب واحد في السياسة انا واكثر من قتلوا ولكن حاشا ان أقول انهم خونة او انهم يبتغون احتلال الاجانب لبلادهم . والمسيو فون كولمان لا يزال حياً وهو شهير في المانيا يمكن أن يسأله من شاء عن ذلك وعن سعي آخر لي لديه ولدى خلفه في السفارة (وهو) :

٩ - السعي لجعل الترك والعرب كالنمسة والمجر

لما نشبت الثورة الروسية وخلعوا القيصر وشاع انه ربما ينمقد الصلح على قاعدة تمتع الامم بحريتها ويعم ذلك الجميع ذهبت الى المسيو كولمان هذا وافضت اليه بما يتناه العرب من الحصول على الحرية التي سيحصل عليها غيرهم فاجابني : كل ما تقوله مفيد وجدير بالاهتمام الا اننا لا تقدر ان تتدخل في مسائل تركية داخلية . وبمعكس ذلك (الكونت برنستورف) الذي جاء خلفاً لكولمان عند ما صار هذا ناظراً للخارجية في برلين فقد حادثته مراراً بمسئلة العرب ووجوب تغيير نظام السلطنة بعد الحرب العامة بحيث تكون البلاد العربية مع البلاد التركية كما هي البافيار وبروسيا والمجر واوستريا . وكان يصرح لي بكونه هو على هذا الرأي ، وانه فاض طلعت فيه ووجده قابلاً لهذه الفكرة ، وكان يعدني بالصراحة بأن المانيا ستساعد العرب بهد انتهاء العرب على تحقيق أمنيتهم هذه ، ومرة اجتمعت مع الكونت برنستورف في برلين قبل انتهاء الحرب ببضعة أشهر وكنا نازلين انا واياه في (اوتل آدلون) الشهير وكذلك طلعت باشا وكنا نجتمع كثيراً لتسوية خلاف كان وقع بين الدولة وبين المانيا يتعلق بالقافقاس ومدينة باكو . وبينما كنا نتحدث مرة اسرّ اليّ الكونت برنستورف خبراً قال لي انه خبر يسرك وهو انه وقعت مفاوضة بين الامير فيصل وبين الدولة على الصلح بواسطة القواد الذين بسورية، فطلب الامير فيصل ان يكون مركز العرب في الدولة مركز البافيار في المانيا، قال لي الكونت : وقد استشارني طلعت في هذه المسئلة فقات له : اسرعوا الي قبول هذا الوجه . وبهذا أراني قد تمت بما طالما وعدتكم به . والكونت

برنستورف في المانيا أشهر من نار على علم وهو الآن نائب في الرايستاغ فما على المرید الا أن يسأله كيف كان كلامنا معه في المسألة العربية .

ثم إنني كتبت في هذا تقريراً طويلاً تقدم الى نظارة الخارجية الالمانية بواسطة أحد أصدقائنا الالمان من المشتغلين بالامور الشرقية في أثناء زيارتي لالمانيا سنة ١٩١٧ وماخصه تشكيل امارات خمس عربية مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً مرتبطة مع الدولة العثمانية في الجيش وفي الامور الخارجية . وفي كل منها مجلس أمة ومجلس شيوخ . وفي الاستانة مجلس عام للسلطنة . والرجل الذي قدم هذا التقرير هو أيضاً في قيد الحياة وهو من أصدقاء الاستاذ صاحب المنار . . .

(شكيب ارسلان)

القياس في اللغة العربية

٢

القياس في العوامل

من البين ان الرفع والناصب للكلمة في الواقع إنما هو الالفاظ بها ، وما تسميه بالعامل كالفعل والحرف إنما هي اداة يلاحظها المتكلم ويأخذها بمنزلة الوسيلة لتلك الآثار انما هي من رفع ونصب وخفض وجزم

وحيث لم يكن تأثير هذه العوامل النحوية من قبيل تأثير الاسباب العقلية او الحسية وإنما هو بقصد المتكلم الى جعلها واسطة جاز تأخيرها عن المعمول واستقام لكل من اللفظين ان يكون عاملاً في صاحبه كاسم الشرط والفعل المجزوم به نحو « اياما تدعو » ولا يتوجه الاعتراض عليها بأن الاثر لا يوجد قبل علته الفاعلة — وساغ لهذا المعنى الذي انكشف في بيان العامل ان يتوارد عاملان على معمول واحد ولكنهم ضعفوا قول المبرد « ان الابتداء عامل في المبتدأ وهما عاملان في الخبر » من جهة السماع فقالوا ان توجه عاملين الى معمول واحد لا يمهده نظير في العربية . ولمثل هذا لم يأخذوا بما ذهب اليه القراء من ان زيدا في قولك : قام وقعد زيد — مرفوع بالفعلين ، واختاروا ان يكون فاعلاً بالثاني وجعلوا الفاعل في الاول ضميراً مقررّاً وأكثروا اختلافهم في تحقيق العامل لا يظهر له أثر في نظم الجملة ، وقد ينبغي

عليه الحكم بصحة بعض التراكيب كاختلاف الكوفيين والبصريين في الرفع
 لاسم كان الناسخة ، فمقتضى قول الكوفيين « ان الاسم لم يزل مرفوعاً
 بالابتداء وان كان انما عملت في الخبر » ان لا يجوز نحو كان زيد كاتباً وعمر
 شاعراً ، لما في هذا المثال من العطف على معمولين عاملين مختلفين وهما الابتداء
 وكان ، ولكنه بمقتضى مذهب البصريين يكون المثال عربياً فصيحاً . لان
 المعطوف عليهما وهما « زيد كاتباً » كلاهما معمول للفعل الناسخ وهو كان .
 وعطف اسمين على معمولي عامل واحد وان اختلف اعرابهما لامرية في صحته
 ولما كان تقرير العامل مما ينشأ عنه آثار في هيئة التراكيب ماغ لنا ان
 نأتي في هذه المقالات على أهم الاصول التي يراعيها في تحقيق العوامل فنقول
 ينقسم العامل الى قوي ووسط وضعيف فالقوي ما يتصدى للعمل من
 جهة صيغته ويكون له تعلق بالمعمول من حيث المعنى مثل الافعال والمصادر
 وما يشتق منها ، ولقوتها في العمل صبح لهم ان يسندوا اليها عملين مختلفين
 مثل كان واخواتها او ثلاثة آثار كالافعال الى تنصب ثلاثة مفاعيل

والوسط مثل الحروف وما يعمل من جهة موقعه من الاسماء كالمضاف
 يعمل في المضاف اليه ، والمبتدأ يعمل في الخبر ، والمميز المفرد يعمل في التمييز
 والضعيف مثل الابتداء والتجرد والاضافة في رأى بعض النحاة ثم
 ما يسيه الكوفيون بالصرف ، ومن هذا القبيل ما شابه الفعل في طلب العمل
 بمعناه كاسم الاشارة وحرف التنبيه في رأى من يجعلها عاملين في الحال ،
 وحرف النداء وما النافية عند من يعلق بهما الظرف او الجار والمجرور

ونبني على هذا التقسيم انه متى أمكن أن يكون العامل من الصنف الاول
 فلا نعدل عنه الى القول بعمل الصنف الثاني ، واذا ساغ أن يكون من الصنف
 الثاني فهو أحق من الصنف الثالث وأولى ، وبمراعاة هذا الترتيب يترجح قول
 البصريين أن العامل في المفعول معه هو الفعل لا واو المعية ، وأضعف من
 القول أن العامل هو الواو نفسها مذهب الكوفيين حيث أسندوا العمل الى ما
 هو من الصنف الثالث فقالوا هو منصوب على الخلاف ، ومن هذا النمط قول
 سيبويه « العامل في التابم هو العامل في المتبوع » فانه أقوى من قول الاخفش
 « أن العامل في التابم معنوي وهو كونه تابما »

واختار سيبويه في باب النداء أن يكون العامل من الصنف الاول ولو

مقدراً ورجحه على الصنف الثاني وإن كان ملفوظاً به حيث قال أن العامل في المنادى فعل مضمّر تقديره ادعوا . والتحقيق فيما نرى أن الموازنة بين الصنف الأول مقدراً والصنف الثاني مذكوراً ترجع إلى قوة النظر في المعنى وسرعة انتقال الخاطر إلى المقدر فإذا كان المدعي تقريره لا ينتقل إليه الذهن بسرعة أولاً يلتزم بنظم الكلام لو صرح به فالراجح نسبة العمل إلى الملفوظ به ولو كان من الصنف الثاني ، وهذا ما دعا المبرد إلى أن قال « العامل في المنادى حرف النداء نفسه »

والملفوظ من أي صنف يقدم على المضمّر الذي هو في رتبته بلاسمية ، وهذا الوجه مما يتقوى به قول سيبويه العامل في عطف النسق هو العامل في المتبوع خلافاً لقول ابن جني في سر الصناعة العامل مضمّر ويقدر من جنس العامل في المعطوف عليه ، ويترجح به قول الجمهور أن المفعول لأجله منصوب بالفعل المذكور قبله خلافاً للزجاج حيث أرجعه إلى المفعول المطلق وقدر له فعلاً من نوعه

ومما يجري على هذا النسق أن الجمهور يرون عامل الجزم في الفعل الواقع في جواب الطلب شرطاً مقدراً وذهب فريق إلى أن العامل هو الطلب نفسه . وأنت إذا أقمت موازنة بين المذهبين فربما دفعتك قوة المعنى إلى ترجيح قول الجمهور فإن أكرامك للمخاطب في مثل قولك « زرني أكرمك » معلق على حصول الزيارة ، وهذا المعنى لا يستقل بأفادته الأمر أو الاستفهام وحده فلا بد من ملاحظة شرط يستقيم به نظم الكلام ويوافق به المعنى الذي قصدت التعبير عنه . وللفريق الذي عزا عمل الجزم إلى الصيغة الملفوظ بها وشذ مذهب به بقول سيبويه في هذا المبحث من الكتاب « انجزم بالأمر » « انجزم بالاستفهام » « انجزم بالتمني » أن يجيب بأن ترتب الأكرام على الزيادة في ذلك المثال ودلالة الجملة على توقفه عليها يؤخذ بقرينة الجزم فيكون الجزم بمنزلة الفاء في مثل قولك « كن شريف الهمة فيكبر عملك » فكبر العمل موقوف على شرف الهمة وليس هنا شرط مقدر وإنما هي الفاء تنبيه عن هذا الارتباط الذي سميت من أجله فاء السببية

والأصل في الحروف المشتركة بين الأسماء والأفعال أن تكون معزولة عن العمل وخرج عن هذا الأصل ما ولا وإن النافيات فإنها من قبيل ما

يُشترك فيه النوعان وقد أعطاهما بعض العرب عمل « ليس » الناسخة ، فاذا وقع نزاع في نسبة العمل الى حرف مشترك فالاصل في جانب من ينفي عنه العمل ، ويظهر بهذا ضعف القول بان العامل في عطف النسق هو حرف العطف لأن العاطف لا يختص بأحد القليلين ، وعلى هذا الاصل ينبنى خلافهم في « أن » وأخواتها اذا اتصلت بها (ما) الزائدة فقد لمع العمل في « ليتما » فقط فاتفقوا على جوازه في هذا الحرف واختلفوا في بقية الحروف فمنعه سيبويه وأجازته الزجاج وابن سراج والكسائي ، ومذهب سيبويه قائم على أن ليتما لم تزل على اختصاصها بالاسماء فساغ إعمالها ولا يسوغ قياس الاحرف الباقية عليها لان ما أزال اختصاصها بالاسماء وهيأتها للدخول على الافعال

ومن أصولهم أن الحرف لا يعمل عملين مختلفين وإنما يعمل عملًا واحدًا كالحروف الخافضة للاسماء والناصبة للافعال أو عملين متماثلين ككثر الجوازم والحروف العاملة في المتبوع وتابعه ، وخرج عن هذا الاصل عند البصريين أن وأخواتها ، وحافظ عليه الكوفيون فطردوه في كل موضع وقالوا إن الناسخ عمل في الاسم وحده وأما الخبر فانه مرفوع بما ارتفع به قبل أن يرد عليه الناسخ وهو المبتدأ ومثل هذا قول سيبويه ان « لا » النافية للجنس انما عملت في الاسم وأما الخبر فانه مرفوع بكونه خبرا للمبتدأ

والاصل فيما يسند اليه العمل أن لا يتخلف عنه أثره أينما وجد فاذا احتمل وجه الاعراب أن ينسب الى ما يدور معه العمل حيثما تحقق أو يضاف الى ما لا يطرد في جميع مواقعه ترجح جانب العمل الاول ، ومن أمثلة هذا أن الكوفيين ومن تبعهم من النجداديين يقولون إن الفعل الواقع بعد واو المنية المسبوقة بطلب أو نفي منصوب بالخلاف المسمى عندهم بالصرف ، وبيان أن معنى « وتأتي » في مثل قول الشاعر « لا تنه عن خلق وتأتي مثله » لما كان مخالفاً لمعنى ما قبله في الايجاب والسلب خولف بينهما في الاعراب . وهذا المذهب مردود بان الخلاف قد ثبت في مواضع لم يظهر له فيها عمل كلافعال الواردة بعد لا ولكن العاطفتين

واذا دلت الصيغة على معنى وتقرر لها عمل خاص ثم جاءت صيغة اخرى توافقها في الدلالة على ذلك المعنى فليس لنا أن نلحقها بالاولى في إعطائها ذلك (المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثالث. والمشرور)

العمل اذ لا يلزم من الاتحاد في المعنى التماثل في العمل فانك ترى كثيراً من
الكلم تتحد معنى وهي تختلف في التعدى وال لزوم نحو صلى عليه ورحمه . ومما
يوضح هذا الغرض أن صيغة مفعول تعمل في الاسم الظاهر نحو مقتول
غلامه ومذبوح جزوره ، ويوافق هذه الصيغة في الدلالة على معناها صيغة
فعل نحو قتل وجريح وقد أبى الجمهور أن يلحقوه بشبيهه ويرفعوا به الظاهر
وقالوا لا يصح أن يقال مهرت برجل كحيل عينه أو قتل أبوه ، وأجاز ذلك
ابن عصفور . قال أبو حيان وهو محتاج الى نقل صحيح عن العرب . ونحن
نقول ان كان مستند ابن عصفور في هذه المسألة قياس فعيل على مفعول فقد
عرفت فساد اذ لا يلزم من الاتحاد في المعنى التوافق في العمل فيكون الاصل
بيد المانم حتى يأتي المجيز بشاهده ، وقد يقرر القياس في مذهب ابن عصفور
على وجه آخر وهو أن يقال قد انفقوا على أن صيغة فعيل ترفع الضمير فالحق
ابن عصفور به الاسماء الظاهرة ، وقياس الاسم الظاهر على الضمير في مثل
هذا الحكم أيسر من قياس فعيل على مفعول . وينتظم في هذا السالك صيغة
فعل نحو حذير فسيبويه يذهب الى أنه يعمل عمل الصيغة المحول عنها وهي اسم
الفاعل بخالقه الجمهور في ذلك وهم الواقفون بالاصل الذي كنا بصدد ايضاحه
وسيبويه هو المطالب باقامة شاهد على مذهبه ، وحيث تلا عليهم قول الشاعر
جذيرا امورا ما تخاف وآمن ما ليس ينجيه من الاقدار

ردوه بأن البيت مصنوع ، وحكوا عن اللاحقي أنه قال ان سيبويه
سألني عن شاهد في تعدى فعيل فعملت له هذا البيت

القياس في شرط العمل

قد يكون العمل مقارناً لوصف ولفظ خاص فيسمون ذلك الوصف أو
مقارنة اللفظ شرطاً له ، وهذا له حالان (احدهما) ما اذا فقد ذلك الشرط
بطل العمل وبقي العامل مهماً ، كما شرطوا في نصب « اذن » للمضارع أن
تكون في صدر الجملة فاذا فقدت الصدارة بطل النصب مع بقاء اذن في نظم
الكلام مهماً ، ومثل هذا النوع من الشروط لا تنبغي المخالفة فيه الا ممن لم
تبلغه الشواهد التي خلقت من الشرط فانعزل العامل عن العمل

(ثانيها) ما اذا فقد الشرط لم يصح أن يوثق بالعامل في نظم الكلام
البتة ، وهذا كما شرطوا لعمل ان وأخواتها الترتيب بين اسمها وخبرها فان

المتكلم اذا لم يوفق لها هذا الشرط لا يسوغ له أن يدخلها في التركيب ولو مع اهلها ، وهذا النوع من الشروط هو الذي يختلفون فيه كثيرا فان للمخالف في الشرطية أن يدعي أن مقارنة ذلك الوصف انما كانت على سبيل الاتفاق لا على وجه الزوم وبناء العمل عليه اذ لا يوجب ههنا صورة تبين كيف عزل العامل عن العمل من أجل تخلف ذلك الوصف مثلما عرفت في القسم الاول ولمدعي الشرطية أن يقول اني لم أر هذه الاداة عاملة الا مع هذا الوصف الخاص فاعده شرطا للعمل ومن ينفي الشرطية فعليه اقامة الدليل . ولا مقال لمنكر الشرطية في هذا المقام الا أن يسوق شاهدا على عمالها مع عدم ذلك الوصف أو يمنع أن يكون لارتباط العمل بذلك الوصف وجه مناسب فان سلك الطريقة الاولى وهي اقامة الشاهد على العمل مع تخلف الوصف فقد رمى بسهم صائب وأصبح مذهبه في حرز حارز من الصحة، وهذا كأن يقول الكوفي إن خبر كان لا يأتي فعلا ماضيا الا أن يقرن بقد . فيعارضه البصري في هذا الشرط ويتلو عليه مثل قوله تعالى (ان كان قبضه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) وقول زفر بن الحارث :

* وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة *

وقد يستمر مدعي الشرطية ماسكا برأيه ولو بعد أن تلقى عليه الشواهد البينة في إلغاء الشرط وقيام الحكم بدونه ذاهبا الى حمل الشواهد على غير ظاهرها كما زعم الكوفيون في هذه المسألة أن «قد» في تلك الشواهد مضرة . ومتى سقط مقال المناظر الى هذا الدرك من التعسف كان الاعراض عنه أبلغ جوابا وأحسن جدلا

واذا عجز المخالف في الشرطية عن الطريقة الاولى حيث أعوزته الشواهد وجنح الى الطريقة الثانية وهي المطالبة بالوجه المناسب لجعل ذلك الوصف شرطا فان أبدى القائل بالشرطية وجها صحيحا لارتباط الحكم بالوصف المقارن انقطع المخالف واستقر الشرط في محله ، وهذا كما يقول البصري أن الفعل الناسخ المقرون بما النافية لا يجوز تقديم خبره على ما . وهذا القول في معنى أن شرط عمل الناسخ المنفي بما أن يكون خبره مؤخر عنها . وقد نازع الكوفيون في هذا الشرط مع اعترافهم بأن الخبر لم يرد في السماع الا مؤخرا ، فما وسم البصري سوى أن قال في علة ربط العمل بهذا الشرط واختصاصه به : إن ما

النافية من الادوات المستحقة للصدارة فلا يتمكن ما بعدها من العمل فيما قبلها . ولو عجز القائل بالشرطية في أمثال هذه القضية عن بيان وجه الاشتراط لأمكن له مخالف أن يولي وجهه شرط القياس ، فإذا وجدته قريب المأخذة حسن الموقع جاز له أن يهدم به ذلك الشرط ويستمر الحكم على اطلاقه ، ومثال هذا أن يذكر الجمهور في شرط اعطاء ما النافية عمل «ليس» تقدم اسمها على خبرها فينبازهم ابن عصفور في ذلك ويستثنى الظرف والجار والمجرور الواقعين خبرا وبجيز تقديمها على الاسم . وإذا عدم الجمهور أمثلة من كلام العرب تشهد ببطلان عمل «ما» إذا قدم خبرها على الظرف أو الجار والمجرور ثم لم يبد وجهها يقتضي التزام الترتيب اتسم في وجه ابن عصفور مدخل القياس فألحق ما النافية بباب ان وأخواتها حيث يجوز تقديم خبرها على اسمها متى كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً ومن الأمثلة الجارية على هذا الوجه قولهم ان الفعل لا ينصب الضمير العائد الى نفس الفاعل الا اذا كان من النواسخ فيجوز : اظنني كاتباً وتحسبك شاعراً ، ولا يجوز اعادتي ، أو تحسن اليك . فان قام مخالف في اشتراط كون الفعل من النواسخ ولم يسق شاهداً على ما يدعي بل ذهب الى قياس نحو عاتب وأحسن على ما سدم في باب النواسخ تعين على سيويوه ومن اقتدى على أثر في هذه المسألة أن يتعرضوا للطعن في هذا القياس ببيان الفارق بين البابين وكذلك فعلوا فقالوا ان حسبت وأخواتها دخلت على مبتدأ وخبر لتجعل الحديث شكاً أو علماً فصارت بمنزلة ان وأخواتها في افادة معان زائدة على اصل المعنى الخبري ، وكما جاز : انني شاعر ، واعي كاتب ، جاز : حسبتني شاعراً ، وعلمتني كاتباً . وأما الافعال غير الناسخة فلم تحرز هذا المعنى اذ هي المقصودة بالحديث ومنزلتها من الاسماء المنصوبة بها منزلة المبتدأ من الخبر ، واذا تحقق الفارق بين المسألتين امتنع إلحاق احدهما بالآخر

القياس في الاعلام

المعروف في الاعلام أن أمرها موكول الى واضعها فيركبها في أي وزن شاء بدون أن يراعي فيها قانوناً أو يجري فيها على سنة قياس ، قال الشيخ ابن عرفة في تفسير قوله تعالى (عند سدره المنتهى) انتقد القرافي على الفخر ابن الخطيب تسمية كتابه باسم المحصول قائلاً ان فعل حصل لا يتعدى الابهرف الجر ومثل هذا لا يبنى منه اسم المفعول الا مصحوباً بالمجرور فكان حق

التسمية المحصول فيه . والجواب ان ذلك واجب في نظم الكلام وأما في التسمية فيجوز لانه يصبح تسمية الانسان ببعض الاسم فاحرى أن يسمى باسم المفعول غير مصحوب بحرف الجر كما سميت الشجرة بسدره المنتهى اليها ، وبمثل هذا يجاب من المعارض تسمية القاضي عياض كتابه بالشفاء وقال أن ما ورد محدودا كالشفاء لا يجوز قصره الا في ضرورة الشعر . والتحقيق أن انكار تسمية بعض المؤلفات برد المختار أو المقتطف انما يتوجه على واضع الاسم متى اعتقد صحة أخذ الفعل من مادة حار أو قطف . ولو علم أنه لا يقال مختار ومقتطف ثم عمد الى وضع أحدهما اسماً لتأليف بعينه لم يكن مخالفاً لقانون اللغة ، وعلى أي حال فالناطق بهما بعد أن صارا علمين لا يتوجه اليه اعتراض ولا يوصف بالخطأ الذي يوصف به القائل اقتطفت الثمرة واحترت في أمر كذا .

ولا أدري الى هذا اليوم ماذا أراد صاحب القاموس بالقياس في قوله « فقفس علم مرتجل قياسي » اذ لا نعلم فارقاً يميز فقفساً عن بقية الاعلام المرتجلة سوى أن مادته لم تستعمل الا في صيغة هذا العلم بخلاف غيره من المرتجلات كسماد وادد فانها مرتجلة نظراً الى صيغتها وأما مادة حروفها فانها مستعملة في معان أخرى بصور مختلفة (يتبع) محمد الخضر

الرحلة السورية الثانية

— ٨ —

الحديث مع سكرتير الجنرال غورو

مكثت مع موسيو رويير دو كيه ساعة وأربعين دقيقة ، وقد افتتح الكلام بالثناء علي بقوله إنه بلغه انني من اشهر علماء الاسلام في هذا العصر ومن الخطباء المؤثرين ، والكتاب فتلقت في الشكر والتنصل ونقل الحديث الى الموضوع فشرعت أولاً في مقدمات اجتماعية ، تتألف منها أقيسة منطقية ، نفهم من سياق الكلام ، وان لم تذكر بأسلوب تأليف المنتج من الاشكال ، واذكر المهم من ذلك باختصار ، قلت :

(١) ان للقوى الإلاديه تأثيراً في البشر لا تغني عنه القوى المادية

كما يرشد اليه قول المسيح عليه السلام : ليس بالخبز وحده يعيش الانسان ، ولذلك تجتهد الدول والامم العليمة بطبائهم الاجتماع في إعلان فضائلها وتبذل في ذلك مالا كثيراً بوسائل كثيرة كما تجتهد في الدفاع عن نفسها اذا وصفت بشيء من الرذائل ولو بحق ، وقد استفادت هذه الدول والامم فوائد عظيمة باقناع الكثير من الناس بأنها هي المقيمة لاركان العدل والحرية والمساواة بين الناس والقائمة بأمر تحرير الشعوب المظلومة من الظلم والاضطهاد خدمة للانسانية ، ولكن هذه الحرب الاخيرة قد هدمت منذ عقد الهدنة الى اليوم ما بنته هذه الامم ودولها في قرن بل في قرنين ، ولا سيما انكلترة وفرنسة اللتين ملأتا الدنيا دعوى ونفراً مدة اربع سنين بأنهما حاربتا لتحرير الامم والشعوب المظلومة وانهما لا تبغيان فتحاً ولا جرم منم ولا تحكيم القوة العسكرية في بلد ولا شعب بل القضاء على القوة العسكرية الخ فلما انتهت الحرب بظفرهما طفقتا تتسلمان جميع ما تقدران على الاستيلاء عليه بالقوة حتى بلاد حلفائهما وأصدقائهما باعترافهما... الخ (١) إن الانقلاب الاجتماعي الذي أحدثته الحرب في الشرق قد نفخ في جميع الشعوب روح الشعور بحقوقها في الحرية حتى حفزها لطلب استقلالها بكل ما يملك من الوسائل، وهذا الشعور اذا دب في الشعوب يتعذر معه دوام استعبادها، كما جربت دول أوربة في شعوبها ، فاذا لم تقدر الدول الاستعمارية هذا الانقلاب حق قدره ونجاري طبيعة العمران بترك سيطرة القوة فانها ستلاقي عقاباً كبيرة يتعسر أو يتعذر عليها اقتحامها ومشاكل عظيمة يصعب حلها الخ (٣) إن أوربة قد هدمت ما كان لها من حسن الصيت والمكانة الادبية في الشرق بما فعلته في هذه الحرب وبعد الحرب فلم يبق فيه احد يصدق للاوربيين قولاً أو يحسن بهم ظناً أو يراهم للفضل أو العدل اهلاً ، بل صار العوام متفقين مع الخواص على أن المدنية الاوربية مادية محضه لا يبالي اهلها بغير التمتع بالشهوات والتحكم في استعباد الضعفاء ، وانه لا يصد دولها عن الظلم والعدوان وتخريب العمران الا الضعف والعجز ، وان كل ما يتبجحون به من دعوى العدل والمساواة والحرية والانسانية افك وتزوير ، ورياء وتغريب ، وقد صار أشد الناس نفوراً من الترك في سورية يفضاونهم عليكم عن اعتقاد حتى ان بعض التجار وغيرهم من الناس الذين لا يحفلون بالسياسة يسألوني سؤال بحث على الحقيقة : لماذا كنا نعتقد أن الافرنج أرقى من الترك وأعدل

وأرحم وأبعد عن التعصب الديني والمحاباة مع أن الامر بالضد كما تبين لنا الآن وكنت أجيبهم ببيان الفرق بين الادارة في بلاد الدول وفي مستعمراتها وبيان حالة سورية الخاصة في هذا الوقت ...

(٤) إن السوريين وان اختلفت أديانهم ومذاهبهم وتربيتهم، وبعد بالاستقلال التام عهدهم، لا يرضون بأن يكونوا تحت سيادة أجنبية عنهم، أما الاكثرون منهم وهم المسلمون فانهم لم يكونوا يشعرون في عهد الترك بانهم خاضعون لسلطة أجنبية الا في السنين الاخيرة التي ظهرت فيها العصبية الجنسية التركية، وأما النصارى فجاءهم في لبنان الذي كان مستقلاً في ادارته ولم يكن في حكومته غير واحد او اثنين من الترك في مركز المتصرفية وكان ما يكلفون من الواجبات في الولايات أخف مما يكلف المسلمون، وقد كان الذين يملقون آمالهم فيكم منهم يظنون انكم ستؤسسون لهم ملكاً مسيحياً مستقلاً تلتزمون فيه حمايتهم من الخارج وتتركون لهم السيادة والسلطان في الداخل فبدأ لهم منكم مالم يكونوا يحتسبون من السيطرة التامة العامة في جميع أنحاء لبنان وثقل الضرائب المالية فبدأوا يتحولون عنكم حتى ان أحد أهل الاختبار من أنصاركم قال لي لو خير موارثة لبنان أنفسهم بين فرنسة والترك لفضل عثمانون في المئة منهم الترك. وسترون من السوريين مالم يكن يخطر في بالكم من الجهاد في سبيل الاستقلال في مشارق الارض ومغاربها

(٥) ان الاسماء الجديدة التي يختارها المستعمرون آنا بعد آن لتلطيف وقع سيطرتهم على الشعوب لم تعد تخدع شعباً مهما يكن جاهلاً فكيف يتخدع بها الشعب السوري الذي لا يخفى على زعمائه ولا على أدبائه شيء من أمور العالم وناهيك بالاسماء والاقوال التي تنقضها الافعال كافعالكم وافعال حلفائكم الانكليز باسم الانتداب، لمساعدة السوريين على النهوض بأمر استقلالهم المقرر في عهد عصبة الامم فانكم قبل ان يتم الصلح بينكما وبين أصحاب البلاد بحسب القانون الدولي وهم الترك وقبل ان يتقرر الانتداب المتوقف على هذا الصلح تتصرفون في البلاد تصرف المالك للاعيان الموروثة، وقد زدتم على تصرف الانكليز في سورية الجنوبية انكم رفعت علمكم على المعاهد الرسمية في ولاية بيروت ومتصرفية لبنان واستبدلتم بطوابع البريد الموقته طوابع حكومتكم وهو مالم تفعلوه في تونس وجعلتم لغتكم رسمية ... (هذا وما فكيف لو)

(٦) ان المعروف لدى جمهور الباحثين من الفرق بين الاستعمار الفرنسي والبريطاني ان جل ذئدة فرنسة منه اقتصادية وأما الانكليز فلهم وراء المنافع الاقتصادية مقاصد أخرى دينية وسياسية هي عندهم أهم من المنافع المالية فهم يطمعون في تنصير المسلمين وجعلهم انجيليين حتى أن رئيس وزارتهم قد استهوتة نشوة السرور بفتح القدس فصرح في مجلس الامة بأن هذه آخر حرب صليبية ، وهو ما كانوا يكتمونونه من قبل فلا عجب بعد هذا اذا أظهرت جميع كنائسهم الابتهاج بهذا الفتح الصليبي الديني ، ثم إنهم يطمعون في سيادة العالم كله ويظنون أنهم قد صاروا على مقربة من الوصول الى هذه الغاية ، ومن مبادئ ذلك اتمام تأسيس الامبراطورية الافريقية من رأس الرجاء الصالح الى الاسكندرية وجعل الامبراطورية الاسيوية من حدود الصين الى البحر الاحمر الذين يرون أنه قد صار بحرا بريطانيا صرفا ، وناهيك بما تقاسونه قبل كل أحد من احتلالهم للقسطنطينية والسيطرة على البحر الاسود مع البحر الابيض الذي لهم فيه السيادة العليا ولا تطمع فرنسة بشيء من ذلك

لاجل هذه المطامع يخاف المسلمون من الانكليز على دينهم كما يشهد عليهم فيلسوفهم ومؤرخهم الكبير غوستاف لوبون وملكهم ما لا يخافون من الفرنسيين وإن كانوا أشد منهم وطأة في الاستعمار ، ثم ان فرنسة قد خسرت في هذه الحرب من الرجال والاموال ما لم تخسر مثله انكلترة وخرب قسم عظيم من بلادها وهبطت الثقة بماليتها ولم تشاركها انكلترة في هاتين المصيبتين ففرنسة اذا أجدر من انكلترة بالشعور بالحاجة الى عطف الشعوب عليها ، وحصرهما في اصلاح ماليتها وتوفير مواردها وتعمير بلادها والتوسل الى ذلك باستعادة مكانتها الادبية في العالم ، وان استيلاءها على سورية واستعمارها اياها ينافي ذلك كله فانه يحملها نفقات كثيرة ويجعل العالم العربي كله خصامها وهي في غنى عن ذلك بما تقترحه عليها

(٧) قلت ان الشعوب الشرقية قد استيقظت من رقدتها الاجتماعية ، وتذكرت أنها أمة ، حقها أن تكون حرة لا أمة ، وفي مقدمتها الامة العربية ذات التاريخ المجيد ، من طريف وتليد ، وزعماء هذه الامة يقدرون ارتقاء النظام الاجتماعي والاقتصادي والفنون العملية في أوربة قدرها ، ويودون أن يقتبسوا لبلادهم ما تحتاج اليها منها ، ويرون أنه لا بد لهم من الاستعانة بأمة من الامم الغربية

الراقية في العلوم والفنون ولكنهم ينفرون من كل دولة لها مطامع استعمارية في بلادهم ويفضلون غيرها عليها وان لم تعتمد على استقلالهم، ولا أفضل عندهم من الامة التي تعترف بحكومتها لهم باستقلالهم وحريتهم، فهم يخطبون ودّها ويكافئونها على صداقتها لهم بكل ما يبلغه حولهم وقوتهم من المنافع الاقتصادية والادبية فيفضلون تجارتها ولغتها وفنونها وصناعاتها على غيرها ويضمنون لها ان تنتقم منهم بالصداقة، أضعاف ما ترجو بالعدوان الموجب للعداوة، بل يثبون الدعوة لجعلها صديقة الشرق والعالم الاسلامي كله، فالشعوب العربية عامة والشعب السوري خاصة من أقدر الشعوب على بث هذه الدعوة وعلى ما يقابلها ويضادها لما لهم في أنفسهم وفي بلادهم المقدسة من المزايا

وانني كنت قد عرضت هذه الصداقة على الدولة البريطانية بمذكرة أرسلتها الى رئيس وزرائها (مستر لويدي جورج) ذكرته فيها بما يهدد دولتهم من الاخطار وعداوة شعوب الشرق والغرب ولا سيما العالم الاسلامي الذي حاولوا هدم ما بقي من بناء استقلاله وصرحت لهم بأنهم اذا كانوا لا يحفلون بعداوة أمة يتجاوز عدد نفوسها ثلاثمائة مليون وهي المالكة لجل الشرق الادنى والاوسط بسبب ضعفها فليعلموا انها لن تكون أضعف من ميكروبات الامراض والابوثة التي تفنك بالاقوياء، وبأن صداقة هذه الامة لا يمكن ان تنال بمثل السياسة التي سلكوها في المسألة العربية وانما السبيل اليها واحدة وهي الاعتراف بالاستقلال المطلق للشعوب الاسلامية الكبرى: العرب والترك والفرس، ولم أنس تخصيص مصر بالذكر وان كانت عندي من الامة العربية، ويثبت له أن دولتهم ان فعلت ذلك باخلاص فانها تدرأ عن نفسها اخطار الشرق وتربح منه اضعاف ما تطمع فيه بالعيب باستقلال شعوبه ومحاولة وضعها تحت سيطرتها - الى آخر ما فصلته في تلك المذكرة. ولكن لويدي جورج لا يزال ثملا بخمرة الظفر بالدولة الالمانية، والاستعلاء على جميع الدول الاوربية، ويتوهم أنه قادر على حل جميع المشكلات بأخاديع الوعود، ونذر الوعيد، وضروب التفرير، وبدر الدنانير، (وان صيحة مصر، لا تزيد على صرخة طفل، وثورة العراق لا تعدو ثوران هرة، وان هيجة الهند، كهيجة دعد و هند، وغضبة الافغان، كغضبة فيروز ومرجان)

وغرضي الآن أن أعرض على قفرسة ما عرضته على انكلترا قبلها فهي أجدر بقبوله لانتفاء المانم وثبوت المقتضي الذين ذكرناهما آنفا، وليس من

المصلحة أن يعارضه الاستمساك باستعمار هذه الحصة التي أعطيتموها من سورية باسم الانتداب على ما فيها من المنقصات والمشكلات، فإذا طبتم نفسا باستقلالها أمكنكم أن تعترفوا باستقلال جميع هذه الشعوب الشرقية وفي مقدمتها العرب والترك وأن تبدنوا ذلك على ما كنتم تصرحون به منذ أوقدت نار الحرب الى أن أطفئت من الرغبة عن الفتح والاستعمار الى جعل الظن في الحرب قاضيا على الاستيلاء والاستعلاء بالقوة، ووسيلة الى حرية الشعوب واعطائها حق تقرير مصيرها واختيار شكل حكومتها وادارتها، وحينئذ تنفردون بالسلطة الادبية في العالم كله التي حاول الدكتور ويلسون أن يجعلها لامته فباء بالخيبة والخسار بعد أن كان منها قاب قوسين أو أدنى. وأنا أضد لكم اجماع الاحزاب السورية على ان يكون ربكم المادي والادبي من سورية باختيارها، فوق ما تمنون به أنفسكم بقوة احتلالكم إياها

ثم اننا دخلنا باب المناقشة في الموضوع بعد أن قال موسيو روبر دو كيه ان هذا مشروع عملي قابل للتنفيذ وليس خياليا ولكنه يفتقر الى بحث دقيق بين العقلاء من الفريقين (السوريين والفرنسيين) فان الاسراع في تنفيذه ولا سيما جلاء الجيش عاجلا كما تطالبون يعقب مشاكل كثيرة ربما تأتي بخلاف المراد. وليس لي أن أقول في هذه الرحلة كل ما قاله فان من الاصول المتبعة عند الكتاب ان يستأذنوا في نشر أمثال هذه المسائل من ينقلون عنهم آراءهم فيها ولا سيما اذا كان لهم صفة رسمية تلحقها تبعه ومسؤولية، وحسبي من تصرّحه هذه الكلمة المجاملة منه وهو ان استقلال سورية امر يمكن تنفيذه واعتراف فرنسا به باتفاق يضعه العقلاء من الفريقين. وقد صرحته بأن القطع في هذا الامر من جانب الفرنسيين لا تملكه الا حكومتهم العليا في باريس فما على مندوبيهم السامي في سورية ورجاله الا ان يمحضوه ثم يرفعوه الى حكومتهم العليا. واذا كان مثل موسيو روبر دو كيه يقول باسمه واسم الجنرال غورو الذي هو امين سره ان هذا المشروع حقيقي لا خيالي فأجدر بمثل موسيو بوانكاريه وموسيو مليران أن يقتنعوا به اذا حاول اقناعهم به من هم أهل لذلك، ولكن البحث في تمحيص المسألة وقف عند ذلك الحديث فلم يهتم احد من كبراء اهل بيروت ولا من غيرهم ان يعيدوا الكرة فيبحثوا مع الجنرال غورو في المسألة فيما أعلم على انني حدثت كل من رأيت أهلا للوقوف على ذلك فيه فسر به وقدره قدره

على تفاوت الافكار في اليأس منه والرجاء فيه

وأما عذري في ترك العودة الى البحث في ذلك فهو اني لما عدت من بيروت الى دمشق اشتغلت مع سائر أعضاء المؤتمر وغيرهم من الاحزاب السياسية في شأن إعلان استقلال البلاد السورية ووضع القانون الاساسي لحكومتها. وفي أثناء ذلك وقعت المصادمة والمحادثة بين الملك فيصل والجنرال غورو حتى انتهى ذلك بزحف الثاني بجنده على دمشق واخراج الاول منها، ثم عدت الى مصر في أول فرصة أمكنني فيها السفر كما أذكر بعد، على أن فرنسا شرعت بعد ذلك في عقد اتفاق بينها وبين حكومة انقرة التركية، فتركت للترك كليكية وجزءاً من ولاية حلب السورية، وتوسلت بذلك الى بث الدعوة بأنها صديقة الاسلام ونصرة الخلافة الاسلامية . (للرحلة بقية)

سعيد حليم باشا^{*}

شخصيته السياسية وشخصيته الفكرية

رسالة من مراسل جريدة الاخبار في (الاستانة في يوم ١٠ اديسمبر سنة ١٩٢١) وردت الانباء تلو الانباء عن مقتل الصدر الاعظم السابق سعيد حليم باشا في روما . فتأثرت جميع المحافل السياسية التركية والرأي العام العثماني من هذه العاقبة الفاجعة التي لقيها المرحوم ، وقد أفاضت الصحف المحلية في ذكر المرحوم وتاريخ حياته وتبارى كبار الكتاب العثمانيين في نشر المقالات عنه وعن سياسته وقد اتفقت جميع الآراء حول نقطة أساسية هي التأثر لما أصاب المرحوم من مفارقة الحياة الدنيا مخرجاً بدمائه بعد أن قضى شطراً من آخر سنيه معتقلاً في مالطه وشطراً قبله مسجوناً بأمر الديوان بالحربي العرفي في الاستانة لا ريب ان الحياة التي قضاها سمو الامير المرحوم سعيد باشا منذ عقد

(*) هو أحد أمراء الاسرة الوارثة لملك محمد علي بمصر، وانما نقلنا هذه الترجمة لما فيها من تأييد رأينا في زعماء الاتحاديين في الدولة العثمانية ولما هو عندنا فوق ذلك وهو آراء الامير الاجتماعية والسياسية الموافقة لرأينا وما نعتقد في نشرها من الفائدة

المهنة حياة مرة ، كئيبة ، مؤلمة ، لا تطاق : وقد ذاق سمو دخلها من أنواع المهانة والعذاب ما جعل خصومه وأنصاره يتحدثون في التماس تخليصه من تلك المصائب بيد أن الحياة التي قضها المرحوم في مقام الصدارة العظمى منذ توليها بعد مقتل المرحوم محمود شوكت باشا ، كانت من أعز الايام التي مرت عليه في حياته . ويصح أن يقال أنه كان آخر الصدور العظام الذين سمح لهم الزمان بأن يتمتعوا بأبهة مقامهم . ولقد كان لموكب سموه نخامة وعظمة تسترعي الانظار بل تأخذ بالابصار اذ يهبط من الباب العالم الى الجسر ليتقدم الى قصر السلطنة حيث كانت جياد الفرسان التي تتقدم عربته تدعو الناس بوقم أقدامها الموزون أن يتنجسوا عن الطريق ويعطلوا مسيرهم تحية لصدر الزمان ، واحتراما لناظم أمور السلطان

فالقدر قد خبا للصدر الاسبق حياة تنسبت شواهد العز والمجد ثم هبطت وهبطت حتي تجندلت برصاصة فتاة

* * *

للصدر الاسبق شخصية سياسية وشخصية فكرية ، وشخصية ثالثة اكتسبها باستشهاده برصاصة خائنة . أما شخصيته السياسية فاعلمنا أضعف شخصياته ، ولم نصادف أحدا يمتدح هذه الشخصية أو يذكرها مقرونة بحركة سياسية أو توفيق سياسي يستحق عليه المرحوم ثناء خاصا ، بل أن خصومه وأنصاره متحدون في اتهامه بضعف الارادة والتوغل في الغرور والحرص على الجاه الى حد ينسبه مهام واجباته ووظائفه السياسية ، بل الى حد يجعله على غير علم بما يحدث من الحوادث الخطيرة التي يتعهد مسئوليتها ازاء الامة وازاء ضميره وربه . بل انهم يقولون انه كان قد القى زمام الامور الى أيدي أخرى على أنها إنما القيت اليه . وهم يضربون لذلك من الامثال أنه لم يكن له علم بمحاذة البحر الاسود التي كانت سببا لدخول الدولة الحرب العامة ولا بحوادث الابعاد ولا بغير ذلك . ثم انهم يتهمونه بمخالفة مبادئه طمعا في البقاء في كرسي الصدارة ويبرهنون على ذلك بأنه استقال على أثر دخول تركيا في الحرب لمعارضته لها ولم يلبث أن عاد في استقالته بلا مبرر ، بل قد تحمل مسئولية اعلان الحرب أيضا بالرغم مما أبداه من شدة المخالفة لها ومما تكفل به لدى الدول من أن تركيا لن تدخل الحرب مادام على رأس حكومتها .

وأما ضعف إرادته وتحمله ما لا قبل له به فيقولون في الشواهد عليه أنه على كونه كان يعلم أنه لن يستطيع أن يكبح جناح طلعت باشا أو أنور باشا بتدبيره وكياسته على كونه رأى بعينيه أنهما لم يتركاه إلا التمتع بقلبه والاسترسال في أهته ونخامته قدرضى أن يشاركهما في أعمالهما وأن يذل إرادته لإرادتهما وأن يتقبل كل ما عملاه

ومن الصعب أن يتصدى الإنسان المدافع عن سعيد باشا ازاء هذه الامور التي تعزى اليه لكننا اذا قرأنا شيئاً من تصريحاته على أثر عقد الهدنة لدى الشعبة الخامسة من مجلس المبعوثين « أي الشعبة التي قامت لتحقيق في قضية المسؤولين عن الحرب وتهيئتهم للمحاكمة أمام ديوان عال » ظهر لنا أن أولئك الخصوم على حق فيما يقولونه عن هذه الشخصية السياسية : قال المرحوم اذ ذاك :

لما علمت بحادثة البحر الاسود قلت لزملائي انكم تلعبون بحياة البلاد وبما أتي المسئول عن ادارة البلاد فلا يمكنني أن ألبث على رأس واجبي لحظة واحدة وقد قدمت استقالي على أثر ذلك . نعم انهم يقولون الآن لماذا لم ينسحب بعد الاستقالة ؟ لقد فكرت اذ ذاك ولم أوافق على الانسحاب في وقت خاضت فيه البلاد غمار المصائب ، ولو لم افكر في ذلك خلعت نفسي ولكنني لم أر أن انسحب والبلاد تمخر في عباب المصائب . ولهذا فاني رضيت أن أسحب استقالي لما كلفوني ذلك على شرط أن أقدم الترضية للذين تمسهم هذه الحادثة وان أتلافى ما حدث وإذا قبلوا هذا الشرط راجعت الدول المتحالفة في الحال وأرسلت اليها بلاغاً نشرته نظارة الحربية عن كيفية وقوع الحادثة وقلت لهم إن ما حدث كان قضاء وقدر . ونحن نرضى أن تقوم لجنة بتعيين ما حدث من الخسائر وأن تقدم الترضية اللازمة حتى تعد الحادثة كأن لم تكن ، وإنما لم تثمر هذه المساعي لأن الدول المتحالفة أرادت أن تحل المسألة حلاً تاماً ، والحال أنني كنت أظن أنها تتقبل ذلك المسعى بسهولة اذ كانت تريد منا أن نلزم الحياد . كما أنني كنت أشعر بذلك من أقوال السفراء ، لم تتقبل الدول المتحالفة مساعي ، بيد أنني لم أقف عند ذلك الحد ، بل جمعت الوزراء وأعضاء اللجنة الادلرية لحزب الاتحاد في بيتي وقلت لهم « الآن قد وجب علينا أن نحافظ على حيادنا فعلاً بالمحافظة على حدودنا لا غير » ولكن لم ينفع كل ذلك وأنتم أعلم بالنتيجة وتدل تجاربي الآن

على أن مقام الصدارة لا حول له ولا طول ، بل هو في يد الوزراء الذين يفعلون ما يشاؤون دون أن يكون للصدر علم بما يفعلون . أما سبب بقائي في الصدارة بعد استقالي فهو أنني رأيت أن الصدارة لا تفوض الى أهلها بعدي ولهذا نعم البلاد في المهالك كما أن الدين أثق بهم كانوا يقولون لي « لا تنسحب والاساءات الامور . وهم يحترزون منك » لهذا بقيت في الصدارة «

لا ريب أن المرحوم سعيد حليم باشا قد أعطى بأقواله أو باعتراقاته هذه سلاحاً قاطعاً لخصومه . كما افشى سرائر ارادته وحقيقة ضعفه .

آراؤه في المتفرنجين وغوائل المدنية الغربية وفوائدها للمسلمين

وأما شخصيته الفكرية فان للمرحوم آثاراً جليلة تبرهن على فكره وتضلعه في التفكير في أهم الشؤون الاسلامية الاجتماعية . وقد انتشرت جميع آثاره في مجلد واحد وكان لها تأثير عميق في المحافل الفكرية والعلمية . فمن ذلك رسالة في « الضيقة الفكرية » العثمانية بحث فيها في موضوع حلول الافكار الغربية في الرؤوس الاسلامية وتأثير ذلك في حياتهم الفكرية ثم أفاض في شرح ما يعوز المسلمين أخذه واقتباسه من المدنية الغربية لاجياء المدنية الاسلامية واعلاء شأنها مرة أخرى . وقد انجى باللائمة في مؤلفه هذا على المفتتين بالغرب المنتظرين منه كل شيء ، الساعين لهدم كل ما بنته المدنية الاسلامية لاستبداله بما يروق لآعينهم في الغرب ، وقد شبه المفتنين بالمدنية الغربية بهذا التشبيه :

« حال المفتنين بالغرب كحال الذي توغل في مطالعة الكتب الطبية رجاء أن يتوقى الامراض . فاذا هو كما طالع بابا رأى نفسه مملولاً بمرض . فلا يخرج ذلك المطالم من أبواب الكتب الا وهو يعقد أن الحياة عبء ثقيل واضطراب مديد يتحمله الانسان تحملاً غريزياً . وهؤلاء المفتنون بالغرب من المفكرين يدرسون العلم أملاً في مداواة أمهم فاذا بهم يرونها مصابة بأقلمك الامراض . ولا يكون حالهم معها الا كحال المتوغل في الطب الذي لا يخرج منه الا كئيباً كاسف البال ، ذلك بأن معلوماتهم قائمة على غير أساس طبيعي أي أنها قائمة على جهل النفس ، فلذلك يختلط المرض ويكتسب شكلاً خاصاً به . ثم انه استرسل في شرح تلك الحال فقال

« للمعلومات التي يتلقاها أولئك المفتنون بالغرب قيمة فردية اذ ينشأ من

بينهم الاطباء والمهندسون وغيرهم، ولكن لا تكون لها قيمة اجتماعية، لان العلم لا يفيد الا اذا اقترن بالقياس والانسان بمقايضة الاشياء يفهم الامور الكونية ويدركها وينظم أموره بمقتضاها ، والعلم معناه القدرة على القياس ، فاذا لم نحصل على المعلومات التي نستطيع بها ان نقارن بين هيتنا الاجتماعية والهيئات الاخرى لم نزال نقاض والفروق ولم نتعرف واقع الداء فينا ، ومما قارنا بين الامم الاجنبية التي تفوقنا في الرقي ووصلنا الى نتائج علمية منطقية فلا ننفع من ذلك البتة ثم انه زاد آراءه ايضا بقوله :

« إن تقاليد الامم ومشخصاتها يتكون منها الوطن المعنوي الذي هو احز بكثير من الارض الثمينة التي نعيش عليها . لانها هي العوامل التي تجعل كل جماعة انسانية امة ، والامة التي تتسلط عليها الامم الاخرى يضيع استقلالها كما يضيع تقاليدها ومشخصاتها ، على انها لا تضطر الى المهاجرة من ارضها ، بل لا تنفك تلتقم منها فالانصراف عن الوطن المعنوي اضر شيء على البلاد ، نعم إن الزمان لا يقاومه شيء ، ولا بد ان تنهج تلك التقاليد والمؤسسات مبيد السكال ككل شيء ، وإعنا ينبغي الا تصرفنا تلك الحقيقة عن تقوية رابطتنا بها، وبذل الجهود للمحافظة عليها . فان تلك الرابطة لاتهن حتى تضمحل تلك التقاليد والمؤسسات وتكون نتيجة ذلك السقوط والهوان

فالضيقة الالمية التي حلت بأفكارنا ناجمة من قبولنا المدنية الغربية بلا قيد ولا شرط ومن نسياننا مدينتنا ، ولا زول هذه الضيقة الا اذا ادركنا ذلك الخطأ الفاحش واقدمنا على تصحيحه

« هنالك تتأمل في شخصيتنا وتقضي حياة خاصة بنا كما تكتب ارواحنا وعقولنا ما كانت تحظى به من الشراح واطمئنان وترتقي استعداداتنا في حال طبيعية وتبدأ بيننا حركة فكرية مشرقة نحصل منها على الاسباب التي نداوي بها جراحنا »

*

وأما ما يرى المرحوم أن نقتبسه من الغرب لترفيه مدينتنا والانتفاع به في تكامل قوة امعائنا وفكرنا واجتهادنا وتعلمنا فهو « الفكرة الفنية » و « أصول التجربة » وللمرحوم مؤلف آخر عن « حقيقة التعصب » بحث فيه عما يميز الى المسلمين من صفة التعصب وقد أشبع الموضوع بحثا وعمقا وأوضح أن علة هذه التهمة هو سقوط مستوى الامم الاسلامية عن الامم الغربية لا غير ثم ختم كلامه بقوله :

«لقد آن أن يعلم الجميع أن ما يعلنونه من النفور من تعصبنا ليس في الحقيقة ناشئا من نقص قوانيننا الاجتماعية أو بطلان عقائدنا الدينية . بل ان خصومة الغرب للشرق ناجمة من عجز الصليبيين عجزا نهائيا عن محق الشخصية الاسلامية التي حالت دون تحقق مطامعهم الدينية في اشرق كسد منيع دون تمكن الاوروبيين من تطبيق سياسة التمدن الغربي فيه (!) وكل ما يخيف الاوروبيين منا ويضطرهم الى استهمال سياسته المسف والجور فينا انما هو تغيظهم من تلك الشخصية المعنوية المجهزة بالتعاضد والتوكل ، أجل ان صبر أوروبا ينفذ أمام هذه الشخصية التي تفترق عن أية شخصية أخرى بغاياتها الحيوية والتي تجد وتكافح بالرغم من ظواهرها الخارجية وتقف أمام بغى الغرب وفتوحاته الاستعمارية وقمة المعارض والتي تمنى الصبر والقوة من غراس الحرمان والخسران وتعتقد أنها لا بد أن تتخلص يوما ما من أسر الغربيين كما تؤمن بمل قلبها باستحالة أن يتمكن الغرب من محققها أبدا فليس معنى تعصب الاسلام ، عدا المسلمين للمسيحيين بل عدا الغربيين للشرقيين» وللمرحوم مؤلفات أخرى «كالضائقة الاجتماعية» و«أسباب انحطاط الامم الاسلامية» و«الدستور» و«الاخذ بمبادئ الاسلام» وهي مؤلفات تتضح منها شخصيته الفكرية وتتجلى في أحسن صورة

وأما الشخصية الثالثة التي اكتسبها المرحوم باستشهاده وصعوده الى ربه بجروحا مضرجا بدمائه فإنها قد كللت حياته باكليل من المجد ورفعته الى مصاف البررة البكرام وجمعت الكلمة حول تبجيل ذكره

وعلى كل حال فقد فقدت الدولة رجلا تربى في منصب الصدارة في أخرج أيامها التاريخية . ولا شك انه كان مخاضا لبلاده ساعيا لخيرها (عمر) (المنار) نشرنا هذه الترجمة المفيدة بحروفها بل مع تصحيح لبعض عباراتها اللغوية ، وهي مؤيدة لرأينا الذي سبقنا الى بيانه في المنار عقب عودتنا من الآستانة في خطر زعماء جمعية الاتحاد والترقي على الدولة والاسلام ، وقد صار هذا من الامور المتفق عليها في بلاد الترك والعرب والمعجم وان كانت لا تزال خفية عن اكثر مسلمي مصر وتونس مع اكبارهم لشأن مصطفى باشا كمال وشيعته المنقذة للدولة والشعب التركي ، فان هؤلاء الجاهلين بحقيقة أحوال الدولة على إخلاصهم في حبها لا يصدقون أن مصطفى باشا كمال لا يأذن لاحد من زعماء الاتحاديين بدخول الاناضول وانه هو وحيد شيعته يمتدنون أنه لم يجبن أحد

من البشر على الدولة العثمانية والشعب التركي في دينه ودينه كجنايتهم ، وهؤلاء وأشباهم هم الذين كانوا يتشيعون للسلطان عبد الحميد على الاتحاديين وغيرهم من رجال الدولة ولم يعتزوا بظلمه واستبداده الا بعد خلعهم . ولنا نريد بهذه الكلمة إقناعهم بل تذكير المستعدين للفهم والحريصين على العلم بالحقائق بأن يتدبروا كل ما يقوله أهل البصيرة والعلم ولا يستعجلوا برد كل ما يخالف أهواءهم ومعلوماتهم الناقصة وان كانوا حذري النية فيها

وأما آراء الامير الاجتماعية فلو لم يكن له منها الا هذه الكلمات المختصرة التي ذكرت في هذه الترجمة الوجيزة لكانت وحدها شهادة عادية على تحقيقه وصحة نظره ودقة حكمه فكيف وقد فصلها في مصنفات جليلة لا غنى لاحد من طلاب الاصلاح للشرق والمسلمين عنها ، فينبغي لهم أن يبادروا الى ترجمتها بجميع اللغات التي تتكلم بها الشعوب الاسلامية ونشرها في جيم أقطارها ، وعلى المصريين ولا سيما أمراءهم أن يكونوا هم السابقين الى هذه الخدمة الجليلة التي يحق لهم الفخر بها ولا سيما اذا جمعوا بين نشرها والاعتبار والعمل بها .

السياسة الانكليزية في البلاد العربية

نشرت جريدة التيمس في لندن مقالات في القضية العربية لمراسلها من طهران بين انكلترا وفرنسة صرح فيها بحقائق لم يسبقه الى التصريح بها أحد من قومه وارتأى آراءه نوافقه على بعضها دون بعض وقد نشرت جريدة الاهرام بعض هذه المقالات مترجمة بالعربية فترتب على نشرها ما يأتي ذكره من الوثائق الرسمية في المسألة العربية

ومما قاله : إن انكلترا أرغمت العراق على قبول فيصل ملكا عليها وجزمت الحكومة البريطانية رأيها بعدم السماح بتأسيس جمهورية في العراق — ناكثة بذلك عهودها للعرب — ويعتقد الكثيرون أنه لو أخذ رأي أهل العراق بحرية لاسفر استفتاءهم عن رغبتهم في تأسيس حكومة جمهورية . ولذلك كانت استشارة الرأي العام هنالك صورية بأن سئل زعماء مشايخ القبائل وأعيان البلاد هل يقبلون نصب الامير فيصل ملكا دستوريا عليهم أو يرفضون ؟ ولم يكن من المنتظر أن يكون بينهم شيخ واحد تصل به الغباوة الى حدا لا جابة بالرفض

بعد أن رأى ما حل بالسيد طالب. (١) بل كان كل منهم يخشى على حياته إذا طارض في توليته فلم يعارض أحد بالرغم من أنهم جميعا يرفضونه فالعراق في هذه اللحظة ملكها البغض والحقد والرغبة في الانتقام «

ثم ذكر عودة على بدء طمع امراء الحجاز بتأسيس مملكة عربية من البحر الأحمر الى خليج فارس يدخل فيها شواطئ سورية وقال إن فسكرة الوحدة العربية الجنسية غير موجودة في هذه البلاد الآن وإن بعض رجال الانكليز في القاهرة ولندن وفلسطين والعراق يؤيدون هذا المشروع خلافا لخطة حكومتهم - المتفقة مع فرنسا على تقسيمها - وذكر ما سلم به مستر تشرشل وزير مستعمراتهم من ثبوت وجود تيار خفي من الترامي بالثبوت بين الموظفين البريطانيين والفرنسيين - قال : وستزداد الحال سوءا الى أن يكبح الرأي العام البريطاني جراح دعاة الجامعة العربية بيد قوية

ثم ذكر مهاجمة الملك حسين وابنه الامير عبدالله لابن سعود وكون ذلك نقضا لعهدهم الصريح بعدم التعدي على أحد من امراء البلاد العربية قال « ولكن الوهابيين هزموها ثلاث مرات هزيمة معيبة وصارت مكة في (مايو سنة ١٩١٩) تحت رحمتهم اذ انه لم يبق لهم الا السير اليها ودخولها ولكننا طابنا من ابن سعود أن يسحب قواته ففعل اجابة لطلبنا وطلاما صبر على تحمل الاعتداءات المتكررة التي يرتكبها الحجازيون اعتداء عليه. ويلوح لنا أنه لا شك في أن الوهابيين هم الاقوى وانهم يستطيعون في كل وقت ان يقضوا على قوات الملك حسين « وذكر من قوتهم انهم لو اتوا من المساعدة ما لقي الملك حسين لاستماعوا إخضاع جبل شمر . . . على أنهم قد أخضعوا هذا الجبل من غير مساعدة أحد ثم ذكر انهم انذروا المنتد البريطاني في العراق (السير برسي كوكس) بأنه عيل صبرهم وسيضطرون الى معاملة الملك حسين بمثل اعتدائه الا اذا استطعنا رد شكيمته وان ابن سعود لا يرضى بحمله بين نارين بوضع فيصل في العراق مع عبدالله خصما ثالثا في شرق الاردن (قال) فرد عليه السير برسي كوكس مخاطبا إياه بملك نجد . وبهذه المداهنة وبدفعة قدرها ستون ألف جنيه تدفم مؤخرا (كذا

(١) المنار: السيد طالب ابن نقيب البصرة كان ناظرا للداخلية في حكومة العراق الموقتة وكان الانكليز يعدونه من أصدقائهم واسكنهم تقوه من بغداد قبل الاستثناء لما عامروا انه يعارض ملكية فيصل

والصواب أنها تدفع مشاهرة كل شهر خمسة آلاف جنيه) يرجون إبقاءه سائنا. ثم دمرح الكاتب باستنكار هذه السياسة المالية وجزم بخيبتها ثم قال «لم تبق إلا خطة واحدة : يجب علينا أن نجلو عن العراق في الوقت الذي نستطيع فيه الجلاء وهذا النسب الاوقات نفي العراق حكومة عربية وحكم عربي» الخ ثم أيد هذا بما تستهدف له السياسة البريطانية في العراق من المشكلات والخسائر واتساع مسافة الخلاف بينهم وبين فرنسا وبحث في قواتهم العسكرية في العراق وتوقع حدوث حرب جديدة بينهم وبين العراقيين إن لم يقبل اقتراحه بعد أن أشار متهمًا بلطف إلى الأساطيل الهوائية الثمانية التي أوجدها في العراق لتحقيق فكرة مستر تشرشل الجميلة في المواصلات الهوائية فوق الصحراء ثم ألمّ بذكر الماعمة التي سيعقدونها مرفأً صلي محذراً من انتفاع أصحاب فكرة الجامعة العربية بها ، وذكر ما قرره مؤتمر القاهرة^(١) من إبقاء الجنود العربية تحت قيادة ضباط بريطانيين من حيث هم قوة امبراطورية وإباحته زيادة هذه الجنود . وذكر تجنيد الأكراد والكردانيين والأوربين وانفاقهم عليهم كثيراً من النفقات^(٢) وحذر من العاقبة ومن الاغترار بريح زيت البترول هذا ملخص هذه المغالة وقد نقلتها جريدة القبلة عن الأهرام بنصها في العدد ٥٥٣ الذي صدر بمكة في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ الموافق ٩ يناير سنة ١٩٢٢ وردت عليها في هذا العدد وفي العدد ٥٥٥ رداً طويلاً مملوطاً مشتملاً على الوثائق الرسمية التي أشرنا إليها في صدر هذا المقال . وهانحن أولاء ننشرها بعد مقدمة وجيزة ونقفى عليها ببعض ما كان من سوء تأثير نشرها :

وثائق رسمية ، في المسألة العربية

واخلاص ملك الحجاز للانكليز على خدائهم له والعرب

كان الملك حسين يكتم كل ما كان لديه من المكتوبات بينه وبين الحكومة الانكليزية التي كان يظن انه يملك بقوتها بلاد العرب كلها ويكون آمناً بحمايتها من (١) هو المؤتمر الذي عقده مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مع الوفد الذي جاء من العراق إلى القاهرة في العام الماضي وحضره جعفر باشا العسكري البغدادي — راجع ص ٤١٣ م ٢١ من المار (٢) خنق الانكليز هذا الجيش لأجل تفريق القوة وإيجاد الشقاق الديني فيها لتكون كلها آلة في أيديهم .

كل مقاومة ومعارضة. ومن العجيب أنه لا يزال طامعا على تلك الأمانى بالنواجذ وقد خذلت « العظمة البريطانية وحسياتها النجيبة » التي ينوء بها ويتكل عليها أشنع خذلان ولكنه يتوهم أنه يستميلها الى الوفاء له بما ينشره في جريدة القبلة وفي المکتوبات والمنشورات الرسمية التي يثبت بها آلامه وتمللاته من خذلها إياه، وقد اضطر المرة بعد المرة الى نشر بعض تلك المکتوبات الرسمية احتجاجا على الانكيز وتبرئة لنفسه لديهم مما تهمه به جرائدهم من نكث عهودهم وغير ذلك أولدى العالم الاسلامي والعرب من جنايته عليهما. فأما تبرئة نفسه من عدم الاخلال بشيء ينافي الاخلاص للانكيز أو « للعظمة البريطانية » فحجته عليهم فيه قوية، وأما التبرئة الثانية فكل ما نشر في سبيلها فهو حجة عليه لا له. ثم إننا لم نر من تلك المکتوبات الرسمية التي نشرها شيئا ينتقم به العرب في إقامة الحجة على الانكيز كالأوثيقة الثالثة من الوثائق الآتية

الوثيقة الاولى المصرحة بجعل الحجاز في حماية انكلترا

قالت جريدة القبلة في ردها على مقالة التيمس في عدد ٤٥٣

« أما ما يفهم من كل ما في قولكم ان لولا ردعكم ومنعكم له (أي ابن سعود) لاستولى على مكة فإنا عزاءنا ليس معنا ما نقوله بالاختصار عن الاطالة أو الخروج عن الصدد الا بيان عجونا عن شكر ذلك المنع ومنته وانه من مقتضى شهامة بريطانيا وشعبها النجيب فهو من مقتضيات مواد عهدنا الذي تقول فيه المادة الثانية ما يلي :

- (تعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها)
- (من أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخلها وسلاطة حدودها)
- (البرية والبحرية من أي تمد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي)
- (من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فهي تساعد الحكومة)
- (المذكورة مادة بمعنى على رفع ذلك القيام لحين اندفاعه . وهذه المساعدة)
- (في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم)

(للحكومة العربية المذكورة تشكياتها المادية) انتهى
وعليه وبصرف النظر عن مؤداها وكل ما اشتمل عليه مضبوطها
وصرائها قبل كل قبل فان شرف مفكرة ذلك العهد منزلة بطبيعتها
عن أقل مما رويتونا به بثبته برقية جلالة مولانا المنقذ الصادرة لمدير هيئة
شيفتتنا الموقرة التيمس ، ننقلها للقراء وما نقلها وأبيك الا لزيادة وقوف
المجموع عموما والشعب البريطاني خصوصا — على أن جلالة مولانا
المنقذ وشيخته منزهون بعنايته السبحانية عن أمراض الاغراض واللال
ودناءة النحل الا الغاية التي اعترفت لهم بها وانما هي الغاية التي قلم
باله عنها انكم ترفعون لها القبعات ، وهي الآمال والنيات التي عليها
نحي وعاليها نموت وهما هي البرقية المنوه عنها بتمدي :

الوثيقة الثانية المصرحة بكون ملك الحجاز موظفا انكليزيا (١)

(المدير العمومي لصحيفة التيمس)

(اطلمت على عددكم المشتمل الرد والقدح باتحاد العرب والزامكم)
(أحد امرائهم ، ولزيادة اقناع حكومة جلالة الملك وايضاح الحقيقة)
(لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلي بواسطتكم من)
(حكومة جلالاته تأكيد تعيين الامير المذكور أو من تراه ليستتم البلاد)
(فان غايي الراحة العمومية وخدمتها كما يعلم من أساسات قياسي)
(وشرائطه يؤيده طلي هذا المثبات للحقيقة من سائر وجهاتها)

(المنار) قول ملك الحجاز « اكرر طلي » الخ يفيد أنه قد سبق له مطالبة
الدولة البريطانية (والعظمة البريطانية كما يسميها هو) أن تنصب أميرا أو ملكا
غيره على الحجاز اذا كانت غير راضية عنه . وقد سبق لنا ان نقلنا عن القبله

(١) هذا العنوان للمنار والكلام متصل بما قبله

نص الكتاب الذي كان أرسله الى نائب ملك الانكايز بمصر في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ الذي يطالب فيه منها أن تختاره ولا ولاده بلدا يقيمون فيه وتنصب على الحجاز من تختاره له ؛ وقد تكرر نشر جريدة القبلة لذلك الكتاب ومفاخرتها به لأمم الارض كلها راجع من ٢٣٣ م ٢٢) وليس اقتذار هذه الجريدة الجاهلة بهذه المضامح الخزية بأغرب من وجود أناس محبين لاستقلال الامة العربية ويقرءون هذا وذلك في جريدة القبلة ثم لا يرون لانفسهم سياسة غير سياستها، ولا زعيما يتبع غير واضع هذه الوثائق لها

﴿ انتقاد الجرائد المصرية ، جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية ﴾

اطلع بعض مديري الجرائد الاسلامية بمصر على الوثيقة الاولى من هذه الوثائق فهاهم أمر جعل الحجاز تحت الحماية البريطانية فبعضهم تساءل بصيغة استفهام الانكار : هل يصح ان يكرن الحجاز تحت حماية دولة أجنبية غير اسلامية ؟ وهو ما اكتفت به جريدة الاخبار الشهيرة في العدد (٢٩٢) وبعضهم شدد في تغليظ الانكار كجريدة الامة في الاسكندرية

فلما وصلت هذه الجرائد الى مكة المكرمة صمد سائس جريدة القبلة الى الرد عليها كمادة فنشر في صدره : د ٥٦١ ردا على جريدة الاخبار عنوانه بقلم الثالث (فلا تك في ضيق مما يمحرون) — وصواب الآية الكريمة (ولا تك في ضيق) الخ قال فيه مانعه

« وما مثل الصحيفة المذكورة باسناد مزاعمها على المادة الثانية التي أوردتها (القبلة) الا كمثل من وقف على قوله تعالى (فويل للمصلين) دون أن يكمل الآية فسوَّغ لنفسه بذلك ترك الصلاة . وكذلك الجريدة المذكورة نظرت الى أول المادة المشار اليها دون ان تلتفت الى آخرها وهو : « وهذه المساعدة تكون مدنها محدودة لحين يتم للحكومة العربية تشكلاتها المادية » الخ

نقول ان هذا الرد لم ينف ما صرحت به المادة من جعل البلاد تحت حماية الدولة البريطانية في داخلها وخارجها بل أكدته وغايتها ان جعل المساعدة الداخلية مغيية باقتدار الحكومة المحلية المحمية على حفظ داخليتها بنفسها ، وأما الحماية الخارجية وحفظ الحدود البرية والبحرية فلم يقيده بهذه الغاية وكأن سبب السكوت عن تقييده علم واضع المادة (وهو الملك حسين نفسه) بأنه لا يستطيع

أن ينشئ أسطولاً ولا جيشاً قوياً يستطيع حماية الحدود فجعل ذلك حقاً دائماً للدولة البريطانية التي يتكل على « حسيانها الانجيبة » ولكنه وهب ما لا يملك هو ولا الدولة العثمانية التي كان هو تابعاً لها يوم وضع هذه المادة وغيرها مما يسميه (مقررات النهضة) لانه بنى عليه ما قام به من الثورة والخروج على الدولة ، ولكن الانكليز بنوا على هذه المادة تأسيس محافظة س.وها (محافظة البحر الاحمر) وجعلوا مركز محافظتها ثغر جدة ، على انهم لم يفوا لمن أعطاهم هذا الحق الذي لا يملكه بما طلبه منهم في مقاله وهو تأسيس دولة عربية له تكون ربيبة لهم وتحت كنفهم ووصايتهم بشرط الا يستولوا على شيء منها مباشرة الا على ولاية البصرة . . . وكان يجب على محور القبلة بل على ملك الحجاز ان يستفيد من هرب مصر من الحماية الانكليزية ومن تذكير جرائد مصر له ولا سيما مدير جريدة الاخبار العليم باصول السياسة الدولية ، الخبير بمخيمات الدسائس الانكليزية ، فيتبرأ من هذه « المقررات » التي تعدا كبرجانية على الحرمين الشريفين وعلى البلاد العربية والامة الاسلامية ، لا ان يعبر عن تذكيره ونصحه بالسفاسف ويصفه بالغز واللمز ، (وانما يتذكر من ينب)

الوثيقة الثالثة — وعود انكلترا باستقلال بلاد العرب

أرسل بعض قواد الترك في أثناء الحرب كتباً الى الاميرين فيصل وعبدالله لاستماتهما الى الصلح باعتراف الدولة باستقلال البلاد العربية مع الارتباط بها (كارتباط المجر بالنمسة على ما قيل) فالملك حسين أبي قبول الصلح وأرسل كل ما كتبه الترك الى ولديه الى نائب الملك البريطاني بمصر وهو أرسلها الى وزارة الخارجية فاجابت عنها بالكتاب الآتي الذي نشر في العدد ٥٥٥ من جريدة القبلة الصادر في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٢٢ في أثناء مقالة في الرد على مقالة جريدة الشمس المشار اليها آنفاً وهذا نصه

(برقية الحكومة الانكليزية ، في تأكيد الوعد باستقلال البلاد العربية)

جده في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ — ٢٧ — ٤ — ١٣٢٦

جلالة صاحب السيادة العظمى ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم بعد بيان ما يجب بيانه من الاحتشام والتوقير قد أمرني نخامة نائب جلالة الملك أن أبغ جلالتك البرقية التي وصلت الى نخامته من نظارة الخارجية البريطانية بلندن وقد عنوتها حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باسم جلالتك وهذا نصها بالحرف الواحد :

« ان الرغبة والعراحة التامة التي اتخذتموها جلالتم في ارسالكم التحريرات التي ارسلها القائد التركي في سورية الى سمو الامير فيصل وجعفر باشا (الصواب سمو الامير عبدالله بدل جعفر باشا) الى جناب نخامة نائب جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى . وان الاجراءات التي اتخذتموها جلالتم في هذا الصدد لم تكن الا رمزا يعبر عن تلك الصداقة والعراحة التي كانت دائما شاهد العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى . ومما لا يحتاج الى دليل أن السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الارتياح والشك بين دول الحلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم ارشادات جلالتم قد بذلوا الهمة الشماء ليظهروا باعادة حريتهم للقديمه . ان السياسة التركية لا تقتضى تفرس ذلك الارتياح بأن توسوس للعرب أن دول الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية وتلقي بأذهان دول الحلفاء أنه يمكن ارجاع العرب عن مصادمهم ولكن أقوال الدساسين لن تقوى على ايجاد الشقاق بين الذين اتجهت عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لكل نهضة تؤدي الى تحرير الامم المظلومة وهي مصممة ان تقف بجانب الامم العربية في جهادها لان تبني عالماعربيا (الذي) يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم العثماني وتتحيد (كذا) التنافس الصناعي الذي أحدثته الصفات الرسمية التركية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف بخصوص تحرير الامم العربية وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك سياسة التحرير وتقصد أن تستمر عليه بكل استقامة وتصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من السقوط في وهدة الدمار وتساعد العرب الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم » انتهى وفي الختام التمس قبول خالص التحيات وعظيم الاحتشامات ما (نائب المعتمد البريطاني بجده)

(المنار) هذا الكتاب الرسمي هو أقوى الوثائق التي نشرتها جريدة القبلة حجة على الدولة البريطانية ومن الغريب تأخير نشره الى الآن وأغرب من ذلك أنها نشرته في ضمن مقالة قالت إنها جاءت من أحد قرائها في جدة أقسم عليها الايمان الشديدة بأن تنشرها فبذرت قسبه! كأنها تعتذر بذلك عن ذنب!!! وهي لم تنشر منذ وجدت شيئا أنفع منه في إقامة الحججة على الانكاز وان كانت حجج الضمفاء لا تقنع هذه الدولة مهما تكن ناهضة، وإنما الذي يقنعها حجج الاقوياء وان كانت داحضة.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتنبئون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يؤتي الملكة من يشاء ومن يوت الملكة
تهد أولي خيراً كثيراً وما ينذكر
الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الإسلام صوي « وهنارا » كجمار الطريق —

٣٠ رجب ١٣٤٠ هـ - الجمل (١) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٩ مارس سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

فتحنأ هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمن إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . واننا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح في إغفاله

﴿ حرية الدين وقتل المرتد وانتفاع الوالدين بعمل أولادهم ﴾

(س ٩٠٨) من الشيخ محمد نصر الوكيل طالب العلم بالقسم الثانوي النظامي للآزهر (من أسطفا)

سيدي الرشيد ، ذو الرأي السديد ، خليفة الاستاذ الامام ، وحامي دمار الاسلام ، سلام عليكم من قى . معجب بالمنار ومتأثر بدعوة صاحبه الذي وقف بحياه ومماته لله رب العالمين ، ونصب للناس في ديجور الشرك صوى ومناراً به يهتدون ويهدون ، وأطلع لهم في ليالي السرار نجم الحقيقة في سماء الدين وبعد قلدي سؤالان أقدم بهما إلى موائله علمكم الشريف رجاء أن تحسنوا إلى محبكم بتوضيحية بضع دقائق من وقتكم المبارك تكتبون فيها جواباً على صفحات المنار الاغراً في كتاب خاص يكون ذخراً لديه من حكيم الاسلام وخادمه ومقر عين النبي ووارثه

(١) ان شريعتنا السمحة قد امتازت بالتسامح مع المخالفين في الاعتقاد والتساهل مع ذوي المذاهب والاديان ، وفي ذلك قال الله تعالى (لا اكراه في الدين . . الخ) وهذه الآية هي مفخرتنا على الغربيين في أن ديننا أتى بمبدأ حرية الاعتقاد ، ووسع صدره في الايام التي كان فيها قابضاً على ناصية الارض ومتقلداً صولجان العزة والملاك كل مخالف من غير أن يتعرض لعقيدته ، بل كان يستعين بالنصارى النسطوريين على نشر العلم واقامة المدارس في ربوع المملكة ،

ولكنني أعرض على نور معلوماتكم الدينية ، ومشكاة معارفكم القدسية الربانية ، مسألة المرتد فانها تعارضت عندي مع هذا الاصل الكريم وهذا هو السؤال :

هل في القرآن الشريف أو في السنة الصحيحة أمر بقتل المرتد؟ وإذا كان فكيف التوفيق بينه وبين النهي عن الاكراه في الدين؟ وإذا لم يكن فما مراد الشارع من قوله صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) وقوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الخ) وقوله تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الى أن قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وإذا لم يكن المراد من ذلك اكراه المرتد وكل مخالف على الدين فعلى أي أصل استند الفقهاء في وجوب قتل المرتد؟ وإذا قلتم انه من باب سد الذريعة واستئصال جذور الفتنة أفلا يصدق ذلك على الفلاسفة والعلماء الاحرار الافكار الذين قد يكتشفون نظريات علمية تخالف ظاهر الدين؟ وإذا كان لا يصدق أفلا يعد على كل حال عملاً منافياً لحرية الاعتقاد وما ساء مبدأ التسامح والتساهل الذي امتاز به الاسلام ؟

(٢) جاء في الجزء الاخير من المنار الاغر صفحة ٢٤ قولكم : ومما ينتفع به الانسان من عمل غيره بعد موته صوم ولده أو حجه عنه مستداين بقوله (ص) « من مات وعليه صيام فليصمه عنه وليه » أفلا يعد ذلك نسخاً لقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) بحديث الآحاد لانكم قلتم ان الحديث لا يصح الا من طريق عائشة (رضى الله عنها) وإذا لم يكن نسخاً وقلتم انه تخصيص أفلا يعد التخصيص نسخاً لبعض المفهوم الكلي الشامل في الآية ؟ وإذا كان لا يعد نسخاً فلم خصصتم في هذه الآية ولم تخصصوها في آية الطعام (قل لا أجد فيما أوحى الى محرماً... الخ) وإذا قلتم انه ينتفع بذلك من حيث يعد من قبيل عمله لانه كان سبباً فيه فلم لا تعد الصلاة كذلك وينتفع بها من هذه الحيثية ؟ وإذا قلتم ذلك مخالف للنص القطعي فكذلك انتفاعه بصوم الولد وحجه مخالف للنص القطعي وهو قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) ويعجبني في ذلك مبدأ السيدة عائشة حيث كانت ترد كل ما تراها مخالفاً للقرآن وتحمل رواية الصادق على خطأ السمع أو سوء الفهم وليكن كيف كان هذا مبدؤها وقد روت هي ما خالف القرآن

وهو حديث « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » على ان ذلك لا يمنعنا من أن نقول فيها ما قالته هي في ابن عمر : لقد حدثتوني عن غير كاذب ولا متهم ولكن خاتمه سمعه . أجيئوا لأزاتم هاديين مهديين والسلام محبكم الخاص
محمد نصر الوكيل

﴿ الجواب عن مسألة حرية الدين وقتل المرتد ﴾

ذكرت هذه المسألة في مواضع من المنار كالتفسير والفتاوي فنقول فيها هنا قولاً نلخص به ما تقدم نشره . فنقول (أولاً) انه ليس في القرآن أمر بقتل المرتد بل فيه ما يدل على عدم قتل المرتدين المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين ولا يخرجون عن طاعة الحكومة فقد جاء في تفسيرنا لقوله تعالى (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً) من سورة النساء مانصه : « وفي الآية من الاحكام — على قول من قالوا انهم كانوا مسلمين أو مظهرين للإسلام ثم ارتدوا — ان المرتدين لا يقتلون إذا كانوا مسلمين لا يقاتلون ولا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد فيجعل ناسخاً لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) الخ » نعم ثبت في الحديث الصحيح الامر بقتل من بدل دينه وعليه الجمهور، وفي نسخ القرآن بالسنة الخلاف المشهور، ويؤيد الحديث عمل الصحابة ، وقد يقال ان قتالهم للمرتدين في أول خلافة أبي بكر كان بالاجتهاد فانهم قاتلوا من تركوا الدين بالمرّة كطي وأسد ، وقاتلوا من منع الزكاة من تميم وهوازن ، لان الذين ارتدوا صاروا الى عادة الجاهلية حزباً لكل أحد لم يعاهدوه على ترك الحرب . والذين منعوا الزكاة كانوا مفرقين لجماعة الاسلام نافرين لنظامهم ، والرجل الواحد اذا ترك الزكاة لا يقتل عند الجمهور ، اهـ والتحقيق ان القرآن لا ينسخ بالسنة كما قال الشافعي ومن تبعه وخالفهم الكثيرون في السنة المتواترة

ويؤيد الحكم في هؤلاء الحكم فيمن ذكروا في الآية التالية لهذه الآية وهي (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا بكم ثم إذا رزقوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يفتروكم يلقوا اليكم السلم ويكنفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث

ثقتهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً (روى ابن جرير عن مجاهد أن هؤلاء ناس كانوا يأتون النبي (ص) فيسلمون رياء فيرجعون إلى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر بقتالهم أن لم يعتزلوا ويصلحوا : وروي عن ابن عباس أنه قال : كلما أرادوا أن يخرجوا من فنة أركسوا فيها : وذلك أن الرجل منهم كان يوجد قد تكلم بالاسلام فيقرب إلى العود والحجر وإلى العقرب والخنفساء فيقول له المشركون قل : هذا ربي للخنفساء والعقرب ، وقد جعل حكمهم حكم من سبقهم وهو أنهم إذا لزمو الحياض وهو ما عبر عنه باعتزال المسلمين والقاء السلم وكف الأيدي عن القتال — فلا سبيل إلى قتلهم ولا قتلوا حيث ثقفوا لانهم محاربون لا لانهم مرتدون فقط وقال (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) أي دون غيرهم من المسلمين والمهاجرين .

ونقلنا في تفسيرها عن الرازي أنه عزى القول بعدم قتال هؤلاء إلى الأكثرين ونظر له بآيات سورة الممتحنة وآية البقرة في أنه لا يقاتل إلا المقاتلون وقتلوا والظاهر أنه يعني بمقابل الأكثرين من يقول أن في الآيات نسخاً ولا يظهر فيها النسخ إلا بتكلف فما وجه الحرص على هذا التكلف ؟

وقد استفتينا في هذه المسألة قبل كتابة هذا التفسير بسنين فتجد في فتاوى المجلد العاشر من المنار (ص ٢٨٧ ج ٤ م ١٠) أسئلة من أحد علماء تونس منها السؤال عن حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » الخ ألا يعارض كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف كما يعتقد الجهلاء ؟ والسؤال عن حديث « من بدل دينه فاقتلوه » ألا ينافي كون الاسلام لا يضطهد أحداً لعقيدته ؟ وقد أجبنا عن الأول بأن الحديث ليس لبيان أصل مشروعية القتال فإن هذا مبين في قوله تعالى ٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (الآيات وقوله (٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) الآيات . بل هو لبيان غايته إذ الغرض منه بيان أن قول « لا إله إلا الله » كاف في حقن الدم حتى في أثناء القتال وإن لم يكن القاتل من المشركين معتقداً في الباطن لأن الأمر في ذلك مبني على الظاهر الخ وأجبنا عن الثاني بأن المرتد من مشركي العرب كان يعود إلى محاربة المسلمين

وان بعض اليهود كان يصد الناس عن الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقبل قوله بالطعن فيه . وذكرنا ما حكاه الله عنهم في هذا . وقلنا : فالظاهر ان الامر في الحديث بقتل المرتد كان لمنع المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لاسباب قضت بها سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصرنا سياسة عرقية عسكرية لا لاضطهاد بعض الناس في دينهم . ألم تر ان بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فمنعهم النبي (ص) بوحي من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزات آية (٢: ٢٥٦) لا إكراه في الدين) وأزيد هنا ما كنت ذكرته في تفسير هذه الآية وهو ان النبي (ص) أمر بتخيير أولئك المتهودين فمن اختار الاسلام بقي مع أهله المسلمين وكان منهم ومن اختار اليهودية جلا مع أهل دينه من اليهود وهو منهم . وراجع تفسير الآية وكلام الاستاذ الامام فيها (ص ٣٦ ج ٣ تفسير)

وقد أعدت ذكر هذه المسألة في تفسير (٣: ٦٥) وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فما ذكر يعلم السائل جواب سؤاله ومأخذ الفقهاء في قتل المرتد — وهو الحديث الذي أخذوه على إطلاقه — والجمع بين الحديثين اللذين ذكرهما وبين قاعدة التسامح والحرية في الاسلام .

وأما قوله تعالى (٩: ٥) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) الخ فهو يعلم أنه نزل في نذعهم الذين نكثوا العهد من المشركين وانهم أعطوا في الآية الاولى من هذه السورة (التوبة) مهلة الاربعة الاشهر الحرم وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم قال (فاذا انسلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الخ ومن الضروري ان يستثنى من ذلك من يتوب منهم عن الشرك ويدخل في الاسلام . ألا تراه استثنى من حافظوا على عهدهم من المشركين فقال (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) ثم ألا ترى كيف علل قتال الناكثين بقوله (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولادمة) الخ وفيها التصريح بأنهم هم المعتدون وانهم لا إيمان لهم أي لا عهد لهم تحفظ بل يجعلونها خداعا في وقت الضعف . ثم قال في هذا

التعليل (ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة)؟ والفقهاء الذين يقولون بقتل المرتد اختلفوا في بعض مسأله كالمترد ذي المنعة في قومه وغيره وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة . وقد قال الشيخ صالح اليافعي في رده على الدكتور محمد توفيق صدقي (رحمه الله تعالى) ما نصه

« قال الفاضل حفظه الله : أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول (لا اكراه في الدين * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على إطلاقه بل لو منعه الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومهادنة وبشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات » الخ (وهو في ص ٤٤٩ م ١٢ من المنار) وقد نقلنا في المجلد التاسع عن جريدة اللواء مقالة مترجمة عن جريدة (ريج) الروسية عنوانها (تسامح الدين الاسلامي) موضوعها أسئلة أقيمت على شيخ الاسلام في الاستانة منها هذه المسألة وأجاب عنها بما قاله بعد تشبيهه المرتد عندنا بالهار من العسكرية في الاسدياء من : «وليس أمرنا هذا مخالفا للحرية الدينية المبنية على أساس ان كل الناس مختارون في أمر الدين ولا نطلب بأي حال من الحكومات أن تعاقب الخارجين عن الدين الا بالحكم المأموري، ولا يمكن إجبار الناس لقبول الاسلام أو المسيحية، وإذا كان لشخص اختيار في الارتداد فلا يمنعنا مانع من اظهار كراهتنا له ونفورنا منه» اه المراد منه وقد ألم السائل في سؤاله باكتشاف أحرار العلماء لنظريات علمية تخالف ظاهر الدين هل يكونون بها مرتدين أم لا ؟ وتقول ان مخالفة بعض ظواهر النصوص الدينية وهي ما كان مدلوله غير قطعي فيها تفصيل فمن كان يعتمد ان كلام الله كله حق وكلام رسوله فيما يبلغه عنه حق وقام عنده دليل على ان بعض ظواهرها غير صحيح فصرف الكلام عنه الى معنى آخر رجح عنده بالدليل انه هو الصحيح المراد فلا يعد مرتد أبدا لا اثم عليه ولا حرج ، وإنما الردة تكذيب كلام الله أو تكذيب رسوله فيما جاء به من أمر الدين بنظريات فلسفية أو بغير ذلك . ونحن نعتقد اعتقادا جازما بأنه ليس في أصول الاسلام القطعية فيه شيء يمكن نقضه وقد بينا حقيقة الاسلام وحقيقة الكفر والردة في المجلد الثاني والعشرين الذي قبل هذا وفي غيره وهو أقرب ما يرجع

في المسألة . ومن أم الأحكام المتعلقة بالمسألة ان المجاهر بما يعد في الاسلام كفرا صريحاً لا تجزي عليه أحكام الاسلام في موت ولا حياة ولا زواج ولا ارث .

﴿ جواب السؤال المتعلق بعدم امتناع المرء بعمل غيره ﴾

لعل الأستاذ راك على هذه المسألة الذي نشرناه في الجزء الذي قبل هذا قد أغنى السائل عن جواب سؤاله هذا وعلم منه كون عمل الولد ملحقاً بعمل الوالد فان لم يكن أغناه فليكتب اليانا ثانية بما بقي عنده من إشكال ، وليراجع في تفسير آية محرمات الطعام مسألة امتناع نسخ الآيات المؤكدة

﴿ شرب الدخان (التبغ) والتذكير في المنائر ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في جزيرة البحرين

الى حضرة الاستاذ العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار بعد رفع جزيل السلام اللائق لمقامكم العالي ورحمة الله وبركاته على الدوام لا يخفى عند جميع الناس اشتغالك بالعلوم والمعارف الدينية النافعة وارشاداتك المفيدة المنشورة بمجتهدك لا بناء جلدتك في جميع البلدان — لذا كلفتني بعض اصحابي الذين هم من أهل السنة والجماعة أن أوجه اليك هذا السؤال وهو : ضمنى وجماعة من الاصحاب مجلس جرى فيه البحث في التذكير على المنائر قبل العشاء وقبل صلاة الفجر وفي شرب الدخان (التتن) واستمر الجدل ساعات ولم يقدر أحد الفريقين أن يقنع الآخر برأيه . . ولا عجب لسؤالنا لان علماءنا وتمصبيهم لا يقفون عند حد ، واحد يجوز والثاني يحرم ، ولا ندري أي الصواب لناخذ به . واسترضى الجميع أن نرسل اليك هذا السؤال لترشدنا من قرن علومك وآرائك الحرة الناضجة وتبين لنا الخطأ من الصواب انعمد عليه والله يحفظك على ابراهيم كانوا

الجواب عن مسألة شرب الدخان

اعلم أولاً أن التحريم والتحليل تشريع وهو حق الله تعالى وحده فمن استباح لنفسه أن يحرم على عباد الله تعالى شيئاً بغير حجة شرعية عن الله ورسوله فقد اقترى على الله وادعى الربوبية معه ومن أطاعه وتبعه في ذلك يكون قد اتخذ ربا كما ورد في الحديث تفسيراً لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

دون الله) وقد بيناهذه المسائل مراراً وآخر تفصيل لنا فيها تفسير آية محرمات الطعام — وثانياً — ان الاصل في الانتفاع بما خلقه الله لنا في هذه الارض الحل كما تدل عليه الآيات القرآنية فلا يحرم شيء منها الا ينص عن الله ورسوله صحيح الدلالة باللفظ أو الفحوى ولا نص في هذا الدخان المستول عنه بعينه، بل هو داخل في الاباحة العامة لكل ما خلقه الله لنا من هذه الارض الا اذا ثبت ضرره في الجسم أو العقل كالخشيشة والافيون والحقن بالمورفين فيثبت حظر القول بتحريمه كما أفتينا من قبل وفاقا لبعض الفقهاء وفي الحديث الصحيح « لا ضرر ولا ضرار » فاذا ثبت بشهادة الاطباء انه يضر كل من شر به ضرراً ذائماً شأن قالقول بتحريمه على الاطلاق وجيه واذا كان يضر بعض الناس كالمصدورين دون بعض فهو محرم على من يضره سواء علم ذلك بقول الطبيب أو بالتجربة والاختبار والا فلا. ويستدل بعض الناس على تحريمه بقوله تعالى (ويحرم عليهم الخبائث) بناء على تفسير الخبيث بالطبعي وهو ما تعافه الطباع السليمة وقيل العرب . والصواب انه الخبيث المعنوي الشرعي كالربا والخيانة والغلول كما فصلناه في تفسير آية محرمات الطعام أيضاً والا فان الثوم والبصل من الخبائث قطعاً وهما غير محرمين. ونحمد الله ان حمانا من هذا الدخان وننصح لكل من لم يتل به أن يجتنب تقليد الناس بشربه ولكل من ابتلي به أن يتركه اذا قدر ان كان يرى بالتجربة أنه لا يضره وأمله لا يخلوا من مظنة الضرر التي تقتضي كراهة التنزيه بما فيه من السم المسمى بالنيكوتين وهذا الضرر ظاهر لا محالة في أصحاب الامراض الصدرية وربما كان سبباً لها في المستعدين ، والله أعلم

التذكير على المنار

ان كل ما زاده الناس قبل الاذان المأثور وبعده من الاذكار والصلاة على النبي (ص) بدعة اشتبهت على العامة بالمشروع بل صارت عندهم من شعائر الدين فيجب تركها لان الزيادة في الدين كالنقص منه كلاهما شرع لم يأذن به الله وان كانت الزيادة في نفسها حسنة . ولو أبيع في الاسلام ان يزداد في كل ما شرعه الله تعالى من العبادات زيادات حسنة من ركوع وسجود وأذكار اختلفت الشرائع والشعائر في هذه الملة كالمثل السابقة وقد بينا هذا من قبل مراراً

الخلافة الإسلامية

وترجمه بالعربية
أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
الشيخ عبد الرزاق
الملّيح آبادي

محرر جريدة (بيغام) الهندية

ألفه باللغة الاوردية
أحد رعماء النهضة الهندية
مؤذنا بالكلام
محي الدين آزاد

صاحب مجلة الهلال الهندية

٣

فصل

﴿ طاعة الخليفة والتزام الجماعة ﴾

بعد هذه التوطئة الضرورية للبحث نقول ان الشريعة الغراء فرضت على المسلمين طاعة الخليفة ما لم يأمر بمعصية ، كما فرضت طاعة الله وطاعة رسوله ، ولا عجب . فان نظام الشريعة الاجتماعي يقتضي ذلك وهو مطابق لناموس الفطرة تمام المطابقة - بل هو حلقة من سلسلة هذا الناموس الالهي الذي يخضع له كل ما في السموات والارض ، وذلك لانا نرى كل شيء من هذا الكون البديع على نظام طبيعي مخصوص ، وهو الذي يسمونه « بناموس المركزية » او « بناموس الدوائر » ففي كل جهة من هذا الكون « مركز » تحيط به الاجسام والدوائر على شكل الدائرة ، وعلى هذا المركز تتوقف حياتها وبقاؤها ونماؤها فلو تحولت عنه هذه الدائرة او انحرفت عن طاعتها تنحل حالا ويعتريها الخراب والدمار في طرفة عين - وعن هذه الحقيقة عبر بعض الصوفية بقوله « ان الحقيقة كالكرة » وعنهما قال صاحب الفتوحات « بأنها دائرة قاب قوسين »

« ناموس المركزية » هذا نافذ في الكائنات كلها ، فما هذا النظام الشمسي الذي فوقنا ، وهذه السيارات العظيمة والنجوم الملائكة ، والكرات النيرة المتبعثرة على بساط السماء ، وهذه الحياة العجيبة والحركة المدهشة للمقول ؟

(المجلد الثالث والعشرون)

(٢٥)

(المنار : ج ٣)

ان هي الا مظهر من مظاهر هذا الناموس - فالنجوم لها دوائر ، وكل دائرة منها قائمة على نقطة في الشمس ، حولها حركتها ودورانها ، وعليها حياتها وبقاؤها ، وبها قيامها ودوامها - وستبقى هكذا مادامت مرتبطة بمركزها ومنقادة له - (ذلك تقدير العزيز العليم) وكذلك أرضنا حلقة من تلك الدائرة خاضعة لمركزها كل آن - فكل من الارض والسماوات يدور في محوره ويسبح في فلكه ويطير مركزه ولا يخرج عن دائرته ابدا حسب قوله تعالى (وله أسلم من في السماوات والارض) (٢ : ٨٣) وقوله ألم تر ان الله له يسجد من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم) الخ (٢٢ : ١٩) وقال (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) (٣٦ : ٤١)

ليست الكائنات العظيمة وحدها هي الخاضعة لناموس المركزية - بل الكائنات الحفيرة المنحطة مثلها فذلك العالم النباتي مثلا في كل شجرة ترى الاوراق والفروع والازهار والاشجار كلها مرتكزة على مركزها الذي هو أصل الشجرة - ومهما انفصلت ورقة أو غصن من الاصل ، حل به الموت والقضاء - هذا في عالم الآفاق - ثم انظر في عالم الانفس ، افلا ترى اعضاءك الخارجية والداخلية ومشاعرك الظاهرة والباطنة كلها تتحرك وتعمل عملها ، حتى كأنك مدينة مزدحمة بالاحياء لكل واحد منها حياة قائمة بذاته ووظيفة خاصة به - واكنها كلها خاضعة لمركزها الذي هو القلب ، به صلاحها وفسادها ، وعليه مدار حياتها وبقائها ، اذا صلح صلت كلها - واذا فسد فسدت كلها

وكما جعل الله سبحانه للكائنات ناموسا ونظاما ، كذلك جعل لسيادة النوع الانساني وهدايته ناموسا ونظاما وهو الاسلام ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولا بد ان يكون هذا الناموس المعنوي موافقا لذلك الناموس الصوري غير متعارض معه لانها صنم يد واحدة ، وتقدير العزيز العليم الذي لا ترى في خلقه من تفاوت ، فارجم البصر هل ترى فيه من فطور ؟ ولعمري انها كذلك فكما ترى نظام الكون قائما على ناموس المركزية كذلك نظام الاسلام قائم على ناموس المركزية سواء بسواء - وقد نبه القرآن الحكيم على هذه الحقيقة مرارا وهي أن النوع الانساني جماعته وآحاده وحياتهم الادبية والمادية قائمة بناموس المركزية - كسائر أنواع الاجسام ، فكما أن الشمس مركز لنجوم سياره في محيطها

جعل الله الانبياء مركزا لسعادة البشر ، وجعل حياتهم المعنوية و خلاص ارواحهم موقوفة على ارتباطهم بهذا المركز - قال الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) (٤ : ٦٨) وقال : فلا زربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويساموا تسليما » (٤ : ٦٩) وقال (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ثم جعل الله تعالى تحت هذا المركز الاعظم دوائر مختلفة وسرايز متعددة ، فجعل عقيدة التوحيد مركزاً لسائر العقائد ، فهي تحوم حولها قال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ٤١ / ٥ و جعل الصلاة مركزاً للعبادات عليها مدارها ونضياها ضياعها وبطلانها لقول النبي (ص) « فمن أقامها أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين » وفي حديث الترمذي : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الاعمال ركعة غير الصلاة » وقد جعل الكعبة مركزاً أرضياً لسائر الامم والشعوب والبلاد فقال تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ولذا أوجب أن تتوجه الى هذا المركز دوائر الناس ووجوههم فقال (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (٢ : ١٤٥) ثم لما كان للجسام والاشخاص والمعتقدات والاعمال مراكز ، وجب أن يكون للحياة الاجتماعية مركز ، فجعل الله لها مركزاً ، وجعل الامة حمله كالدائرة ، وأوجب عليها مرافقته وموافقته وطاعته ، فاذا نادى لبت ، واذا تحركت تحركت ، واذا وقف وقفت ، واذا نهض نهضت بخيالها ورجلها وسائر قواها - وجعل عصيانه من الجاهلية التي لا تخرج منها الا بطاعته والرجوع اليه ، وقد سمى المسلمون هذا المركز الاجتماعي « بالخليفة والامام » وفرض على المسلمين قاطبة أن يعينوه وينصروه ويطيعوه كما يطيعون الله ورسوله ، فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » (٤ : ٦٣)

فصل

في أولو الامر

أمر الله سبحانه في هذه الآية بثلاث طاعات : طاعة الله ، وطاعة الرسول وطاعة أولي الامر ، وقد علمنا أن طاعة الله تكون بطاعة كتابه ، وطاعة

الرسول بذاعة سننه القولية وتفعليه ، ومن أولو الامر الذين أمرنا بطاعتهم ؟ لقد تضامرت لادلة القطعية والبراهين الدالة على أن المراد بأولي الامر « الخليفة والامام » الذي ينفذ أحكام كتاب الله وسنة رسول الله ، ويقوم بمصالح الامة وبحكم ويستبسط الاحكام من الشريعة عند النوازل . أية واجتهاده ، وانما ذهبنا الى هذا القول لوجوه :

(١) قاعدة « القرآن يفسر بعضه بعضا » فاذا رجعنا اليه نجد في نفس هذه السورة قول الله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (٨٦:٤) ذكر الله سبحانه في هذه الآية تلك الآفة التي كانت تروج فيها أخبار الامن والخوف . والفتح والهزيمة ، فيسمعها الناس ، فيضطربون من أجلها اضطرابا شديداً ، وقد أشاع في عهد النبي (ص) بعض المنافقين مثل هذه الاخبار ، فسلم منها بعض ضعفة الايمان من المسلمين ، فأمرهم الله أن اذا سمعتم هذه الاشاعات ، فلا تأخذوها على شلتها ولا تصدقوها بل ردوها الى الرسول وإلى « أولي الامر » ليحققوها ويمحصوها ويستنبطوا منها ما يجب استنباطه . فالحالة التي ذكرت في هذه الآية : حالة الحرب والصلح والامن والخوف ولا يخفى على أحد ان النظر في هذه الحالة والاهتمام لها واتخاذ التدابير اللازمة لها من وظائف الامراء والحكام ، لا من وظائف العلماء والفقهاء ، لان المسئلة مسئلة نظام البلاد : وقيام الامن ، ونشوب الحرب ، لاسئلة الحلال والحرام التي ينظر فيها العلماء ، فاذن لا مناص من أن نسلم بأن المراد « بأولي الامر » هم الذين بيدهم الحرب والصلح وتنظيم البلاد وسياسة العباد ، والذين من شأنهم أن يحققوا مثل هذه الاخبار المؤثرة على السياسة العامة وما هم الا الامراء والحكام^(١) (٢) اذا تتبعنا الكتاب والسنة واللغة نجد أن كلمة « الامر » اذا استعملت

(١) المنار : هذا الوجه حجة على المكاتب لانه فان الرسول (ص) كان عند نزول الآية هو الامام الاعظم وصاحب الامر في السياسة وغيرها ولم يكن معه أمراء ولا حكام فتعين ان يكون المراد بأولي الامر أهل الشورى من زعماء الامة وأهل الرأي فيها اذ كان (ص) يأخذ برأيهم واستنباطهم في أمر الامن والخوف وسياسة الحرب وغيرها لقوله تعالى (وشاورهم في الامر) وهذا نص في موضع النزاع

هذا الاستعمال ، يكون معناها الحكومة والسلطان^(١) . وقد كثر استعمالها في هذا المعنى في الاحاديث النبوية كثرة زائدة لا يتقن معها محل لا ريب والشك وفي اللغة أيضا معنى « الامر » « الحكم » ولذا قال الامام البخاري « أولو الامر هم ذوو الامر » ومعلوم أن صاحب الحكم لا يكون الا صاحب الحكومة .

(٣) لقد ثبت بالاحاديث الصحيحة أن هذه الآية إنما نزلت في طاعة أمير الجماعة ، ففي الصحيحين « عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي اذ بعثه النبي (ص) في سرية » وروي ابن جرير الطبري في تفسيره « بأنها نزلت في قصة جرت لعمار مع خالد وكان خالد أميراً ، فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما » فعلم من هاتين الروايتين أن الآية إنما نزلت في طاعة الاسراء لا غير^(٢)

(٤) رويناه هذا التفسير عن كثير من الصحابة والتابعين ، ولم يؤثر عنهم غيره ، واما ما قيل في الآية فأنما هو من عند المفسرين المتأخرين ، فقد نقل الحافظ ابن حجر عن ابن عيينة انه قال « سألت زيد بن أسلم عنها ، ولم يكن بالمدينة احد يفسر القرآن بعد محمد بن كعب مثله ، فقال اقرأ ما قبلها تعرف ، فقرأت ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) فقال هذه في الولاية (فتح الباري ١٣ : ٩٩) فانظر كيف استدل زيد بن أسلم على أن المراد من « أولي الامر » الحكام والولاية بالآية التي قبلها والتي ذكر فيها الاسراء والحكام^(٣) وقد روى الطبري بسند صحيح عن ميمون ابن مهران وابي هريرة وغيرهما « أولو الامر هم الاسراء » وعدان حزم الصحابة والتابعين الذين نقل عنهم هذا التفسير قبلوا ثلاثة عشر رجلاً

(١) هذا الحكم غير صحيح وإنما الامر الشأن ومقابل التهي ويدخل فيها معنى الحكم القرينة تعين المراد كما تقدم فالأمر في الآيتين هنا عين الامر آية (وشاورهم في الامر) وآية (وأمرهم شورى بينهم) فوله الأمر في آية القرآن أشد الشورى الذين اضطاح العلماء على التعبير عنهم بأهل الحل والعقد وعم الذين لا يكون الخليفة اماماً للمسلمين الا بما يقرهم له (٢) هذا اخصر بل هذا الوجه غير صحيح كما علم من الحاشيتين اللتين قبل هذه وكانوا كثيراً ما يعنون بقولهم ان هذه الآية نزلت في كذا انها مبينة للحكم في مثله وذلك بحسب فهم القائل (٣) ليس في الآية التي قبلها ذكر للحكام والامراء وإنما هي خطاب للإمامة بأنه يجب على من آمن منهم على شيء ان يؤديه الى أهله وعلى من حكم بين الناس بولاية عامة أو خاصة أو يحكمهم من مضهم ان يحكم بالعدل

نعم قد روى عن بعض الصحابة والتابعين ان المراد من اولي الامر العلماء فقال جابر بن عبد الله (رض) «انهم أهل العلم والخير» وقال مجاهد وعطاء وابو العالية «انهم العلماء» ولكن لا تعارض بين التفسيرين ، وذلك لان الشريعة جمعت الحكومة والولاية مركزاً اسائر شؤون الامة الدينية والسياسية والعلمية ، ولم تكن المناصب والوظائف قد انقسمت الى ذاك الحين ، فأمر المؤمنين كما كان حاكماً وسائساً ، كذلك كان طالماً وفقياً ايضاً ، فالصحابة والتابعون الذين فسروا اولي الامر «بأهل العلم والخير» قد احسنوا التفسير ، اذ اثبتوا به أن أمراء المسلمين يجب أن يكونوا من أهل العلم والخير ، لا ما فهمه المتأخرون من هذا القول بأنهم قصدوا به تلك الفئة التي عرفت «بالعلماء والفقهاء» بعد انقراض ذلك العهد وانهدام نظام الجماعة الشرعي ، لان هذه الفئة لم تخطر على بال أحد من الصحابة والتابعين في الصدر الاول ، ومن هذا القبيل ما نقله ابن جرير ايضاً عن عكرمة أنه قال «أولو الامر ، هم أبو بكر وعمر» أي ان المراد من اولي الامر الخلفاء والائمة مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(١)

وهذا التفسير مطابق لحالة البلاد الاجتماعية اذ ذاك ، لان بلاد الحجاز كانت في الفوضى قبل الاسلام ولا سيما قریش مكة ، فانهم لم يكونوا يعرفون الامارة ولا ينتقادون لاحد من الناس ، فجاءهم الاسلام «بنظام الجماعة» و «نظام الامارة» وأوجب على كل الناس أن يطيعوا الامراء وياتزموا الجماعة والى هذا ذهب الامام الشافعي (رض) كما نقل عنه العسقلاني في الفتح حيث يقول «ورجح الشافعي الاول واحتج بأن قریشا كانوا لا يعرفون الامارة ولا ينتقادون لامير ، فأمروا بالطاعة لمن ولي الامر» ولذلك قال (ص) «من أطاع أميري فقد أطاعني» (فتح الباري ٨ : ١٩١) ^(٢)

(٥) هذا هو قول اكبر فقيه قام في الامة الاسلامية ، الا وهو الامام محمد ابن اسماعيل البخاري رضي الله عنه ، فقد بوب في كتاب الاحكام من صحيحه باباً على هذه الآية فقال «باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم»

(١) ليس هذا معنى قوله بل معناه هم أهل الشورى عند الرسول (ص) كابي بكر وعمر لانه كان يستشيرهما في كل امر (٢) ان طاعة الائمة والامراء واجبة في المعروف باجماع المسلمين والنصوص فيها معروفة ومنها هذا الحديث الصحيح ولكن هذا ليس دليلاً على تفسير الآية بما ذكر

وروى تحته حديث أبي هريرة « من أطاع أميري فقد أطاعني » فأثبت بهذا أن أولي الامر في مذهبه أيضاً هم الامراء والائمة لا الفقهاء والعلماء كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث « في هذا إشارة من المصنف الى ترجيح القول الصادر الى أن الآية نزلت في طاعة الامراء ، خلافاً لمن قال نزلت في العلماء » (فتح الباري ١٣ : ٩٩) ^(١)

(٦) أن أقدم التفاسير عهداً وأثراً مادة تفسير ابن جرير الطبري ، ومكانة صاحبه في مرفة تفسير الصحابة والتابعين واستقصائه معلومة ، وهو قد رجح هذا القول بعد أن ذكر سائر الاقوال - ^(١)

(٧) لا يذهبن عن بلاك أن الاقاويل الكثيرة في تفسير القرآن إنما جاءت من المتأخرين الذين سحرت ألبابهم الفاسفة اليونانية في زمن كانت العجمية المموجة قد اندمست في الفكر والنظر ، واستولت على العلوم والمعارف ، وتقهقرت العربية الخالصة الصالحة وهجرت علوم السنة وعشق الناس « التعمق » في كل شيء ، حتى في العلوم الدينية ، ذلك التعمق الذي ورد فيه « هلك المتعمقون » وأما السلف الصالح فلم تكن في عصرهم منازعات ولا مشاجرات ولا قيل ولا قال ، بل كانوا يفهمون كتاب الله بملكتهم اللغوية ، بدون أن يتكلفوا أو يتعمقوا ، أو يجهدوا أفكارهم في نحت المعاني البعيدة واختراع الاحتمالات الباردة ، فإذا سمعوا كلمة « أولي الامر » التي نحن بصدد فهمها فهموا منها بلا أدنى تكلف معناها المتبادر الى الذهن ، مثل ما يفهم الاعراب والرعاع -

ولكن الدهر كان خبياً أمثال نجر الدين الرازي الذين لا ترضيهم هذه السماحة والسذاجة ، لجأوا من بعدهم يخترعون لكل كلمة معاني عديدة واحتمالات كثيرة ويظهرون بذلك براعتهم وجودة ذهنهم ، فلا ترو عنك أقاويل المتأخرين واختلافهم لانهم إنما اتخذوا العلم صنعة لهم وممارسة بينهم ، بل ان كنت تشد الحق فعليك بالسنة النبوية الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، فما وافقهما فخذ وما خالفهما فاضرب به عرض الحائط - اذ صاحب القرآن (صلعم) اعلم به وكذلك أصحابه الذين شهد الله العالمين بعملهم وعملهم

(١) قد صرح الكاتب من قبل كغيره بان المسألة خلافية فترجيح بعض كبار العلماء لاحد الوجوه التي يحتملها اللفظ ليس حجة على غيرهم وإنما العبرة بقوة الدليل

ورضى الله عنهم ورضوا عنه^(١)

ومالي لا أعجب من هؤلاء الناس الذين يعرضون عن السلف الصالح ولا يقيمون لهم وزناً في تلك العلوم التي اخترعوها اختراعاً ، لاجل أنهم لم يكونوا يعلمون أصول الفقه وعلم الكلام اليوناني التالين ما أنزل الله بهما من سائر ! فلم لا يسلمون لهم في علم الكتاب الالهي ؟ أليس بحبيب أن يؤمنوا بأن القرآن نزل على محمد العربي (ص) ثم يستشهدوا في فهم معانيه بارسطاطليس اليوناني ؟ نعم ان هذا شيء عجاب !

وأما الذي حير الرازي وغيره في فهم الآية فانما هو ذكر الطاعة لولي الامر معطوفة على طاعة الله ورسوله - فقالوا كيف تكون طاعتهم مثل طاعة الله ورسوله ؟ وأين الملوك والولاة من هذا المقام الرفيع ؟ فاخترعوا لذلك معنى يوافق فاسفتهم ، وقالوا هم « العلماء والفقهاء »^(٢) ولقد تعبوا سدى . لان المسئلة واضحة جاية لا تحتاج في حائها وظهورها الى التفلسف البارد ، وذلك لان القرآن والسنة شريعة وقانون ، وماذا يجدي القانون اذا لم تكن وراءه قوة منغدة - فطاعة هذه القوة ، بطاعة القانون نفسه وطاعة واضعه - ولا يخفى على أحد من الناس حتى السوقة والاعراب أن طاعة والي البلد طاعة للملك الذي أرسله وعينه ، وعصيانه ، عصيان للملك بلا ذيب حتى إن الذي يعارض الشرطي في عمله الرسمي يعد مخائفاً لقتلونه ولقوة اتى سنته - وإنما تخبط الناس في فهم الآية لانهم لم يأنهوا انظام الشرعي الاجتماعي ، اذ أنهم لو امعنوا النظر فيه لما تحيروا بهذا التعبير ولما عوا حق العلم بأن لا بد لقيام الشريعة وبقاء الامة من قوة مركزية ، وما هي تلك القوة الا الخليفة والامام والامراء ونوابه ولو أنهم فعلوا ذلك لما خفي عليهم معنى « أولي الامر »^(٣)

(١) هذا الكلام حق ولكنه وضع هنا في غير موضعه اذ ليست هذه

المسألة مما خالف اشكف فيها اسلف ولا مما أكثر فيها الاقوال

(٢) قد نقل الكاتب هذا قول عن بعض السلف وجمع بينه وبين القول الاول الذي اختاره وأحال فيه فزوره الى الرازي خيراً وهبته صواباً فلماذا أنمى عليهم هذه الائمة في قول سبقه اليه من ذكر من السلف ؟ على ان الرازي على تفلسفه وكثرة غلطه قد اهتم في تفسير أولي الامر الى العوالب في الجملة كما بيناه في تفسير الآية في موضعها من التفسير (٣) الحق أنهم عرفتوا ما رامهم بجهله كما تقدم

وقد علمنا أيضا من آية «فان تنازعتم» الخ أن بين الخليفة الاسلامي والبابا المسيحي بونا شاسعا إذ البابا ليس بيده الخلافة الارضية بل هو صاحب السلطة في ملكوت السماء ، وقد عد الاسلام هذه العقيدة كفرا وشركا ، فقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وأما الخليفة الاسلامي فهو الحاكم والسلطان في الارض فقط ، يزود عن حوض الامة وينفذ أحكام الشريعة ولا يملك أدنى سلطة في السماء ، ولا بيده القوة التشريعية ، فهو لا يستطيع أن يغير من الشريعة شيئا : ولا أن يزيد فيها أو ينقص ، بل عليه أيضا مثل سائر آحاد الامة أن يخضع لها خضوعا تاما ، واذا تنازع في شيء مع المسلمين فلا حق له بأن يحملهم على حكمه ورأيه الخاص ، بل يجب عليه وعليهم جميعا أن يرجعوا الى كتاب الله وسنة رسول الله ، فيحكموا بها بينهم ويساموا لهما تساميا ، قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى الرسول) ففي هذه الحالة لا حكم للخليفة ، وإنما الحكم لله وللرسول ، وكذلك طاعته طاعة الله ورسوله ، ولاجل هذا كرر الفعل في الآية فقال (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ولم يكرره في (أولي الامر) ليعلم أن طاعتهما مطلوبة أصلا وطاعة أولي الامر ليست كذلك بل إنما جعلت ليطاع الله ورسوله (قاله الطيبي في الشرح) ولذلك لما أراد أمراء بني أمية أن يحملوا المسلمين على طاعتهم في المنكر والبدعة والظلم ، قائلين : أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله (وأولي الامر منكم) رد عليهم بمعنى الأئمة من التابعين أحسن رد فقال أليس قد نزع عنكم بقوله (فان تنازعتم) ؟

والجواب أن الله سبحانه فرض على الامة الاسلامية بهذه الآية طاعة الخليفة والامام ، اذ به قيام الجماعة ، وبقاء الهيئة الاجتماعية (*)

(المنار : من أراد الوقوف على ملخص أقوال السلف والخلف في أولي الامر وتحقيق الحق فيها وفهم الآية حق الفهم ومعرفة مصلحة المسلمين في ذلك اليوم وليراجع تفسيرها في الجزء الرابع من تفسيرنا من صفحة ١٨٠ — الى ٢٢٢)

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخصة ونفي
مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شبيب أرسلان

٢

ثم نعود الى حوادث سورية التي كنا في صددنا فنقول : —
عهدنا بالبيكبة شي شكري بك رئيس الديوان العرفي الذي كان في عايله انه
«حي يرزق» وكان قد تقرر بيننا وبينه أن نفتح بعد نهاية الحرب مسألة سورية
في مجالس المبعوثين في الاستانة ونطأب شهادته وانه يشهد بكل ماجرى معه .
على أن شكري هذا وان استظهر جمال عايله بما في ديوان الحرب من مستنطق
ومدخ عمومي رأ أكثر الاعضاء قد أمكنه إنقاذ بضعة عشر شخصا من الموت
لان جمالا طلب الحكم على أربعين كما تقدم فلما بالغ في المعارضة نزل معه جمال
الى عدد ٢٧ ووقف هناك ولكن شكري بك تمكن من تخليص ستة من هؤلاء
أيضا وتقدم ذكر رأيه فيهم . ولما نفذ الحكم استعفى حالا وذهب الى الاستانة
مغاضا لجمال باشا .

مسألة نفي السوريين الى الأناضول

قبل أن أنفذ الحكم بالقتل على الواحد والعشرين رجلا الذين صلبوا في
ساحة المرجة بالشام وساحة البرج في بيروت أخذ جمال نفي العائلات مثات وألوا
الى الأناضول من كل مدن سورية . وكان يعتمد في ذلك على جداول يقدمها
له مديرو البوليس وغيرهم من جواسيسه وشكل لجنة سماها « قوه سيون التهجير »^(١)

(١) المثار : المراد بالتهجير الحمل والا كراه على الهجرة أي الخروج من الوطن
الى غيره وهو استعمال جديد لم تنطق به العرب ولا المولدون لان الا كراه على الخروج
من الوطن يسمى في اللغة إجلاء وجلاء يقال أجلاهم وجلاهم ويقال جلاوا أيضا . وأما
التهجير في اللغة فهو الخروج في وقت الهجير أي الحر . والترك يتصرفون في أبنية
الأعمال العربية بحسب حاجتهم فيخطئون السباع والقياس تارة ويصيبون تارة

نحت رئاسة رجل اسمه توري بك كاز (مكتوبجيا) بالشام وكان من أشد الناس ضراوة بالضرر والفساد وكان يكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه يغري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم لعله ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي وقد نبهنا جمالا الى هذا الامر وحذرناه من توري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس وأعلمناه انهم لا يخبرونه الا بما يرون انه يقربهم اليه زلفى من السعائيات والوثائيات ، فلم يكن يعبا بكلامنا وكان يستقد انه لا تخفى عليه خافية ، حتى لوقات انه كان يظن نفسه مامما ومعصوما من الخطأ لما كنت مبالغا . ومن جملة من بدأ « بتهجيرهم » أسرة المرحوم الامير عبد القادر الجزائري ولما راجعته في ذلك قال لي ان عنده أدلة ووثائق خطية تثبت خيانتهم وخدمتهم لفرنسا في سورية ، فقلت له الذي أعلمه ان الامير سعيدا الجزائري كان لا شغل له الا شتم فرنسا فقال هذا من باب الاحتيال ، لاجل أن تسكت فرنسا بالمال ، فقلت له مهما يكن من الامر فان مراعاة هذا البيت واجبة لكون الامير عبد القادر له منزلة سامية في العالم الاسلامي فأجاني : « بكأنه » ومعناها هنا ماذا ينالني من ذلك

(المنار) وقد أطل الكاتب هنا في ذكر وقائع جزئية (منها) أنه لما بلغه أمر جمال باشا بنفي بعض وجهاء لبنان - وكان الامير توفيق ارسلان والامير فؤاد أرسلان ابنا عمه منهم - كلمه وكتب اليه محارلا صرفه عن هذا العزم فلم يأبه له فتوصل اليه بعزمي بك والي الشام كما ذكر أولا فنضب وأنذره أن لا يراجع في شيء من أمر المنفيين ونشر في الجريدة الرسمية أنه لا يسمح لاحد بالافتيات عليه في ذلك . وقد كاشف رئيس لجنة النفي (قواسيون التهجير) محمد فوزي باشا العظيم بأن المراد بانذار الجريدة هو الامير شكيب فنصح له الباشا بأن يقف عند ذلك الحد خوفا على حياته . وعلى ذلك بأنه يفعل ما يشاء بلا معارض ،

وهو على علمه بأن هذا الكلام حق لم يثن عن عزمه

(ومنها) انه على تعرضه للخطر بهذا السعي لهؤلاء كان بعضهم يتهمه بأنه هو الذي أغرى جمالا بهم ويستدلون على ذلك بأنه ليس في المنفيين أحد من حزبهم الارسلاني وان الجواب على ذلك سهل وهو ان الحزب الارسلاني معروف قديما وحديثا بأنه الحزب الماوي للاجانب على الاطلاق وأنه الحزب العثماني لوحيد في الجبال ، وسواء كان ذلك حسنة أو سيئة فهو حقيقة يعرفها كل أحد ، فغير مدع

تعهد الدولة الى رؤساء هذا الحزب فتتفهم مهما بلغ من خرمها

(ومنها) ان جمال باشا كان يعتمد في اختيار من ينفيهم على بلاغات الجواسيس الموظفين والمتطوعين وان علي منيف بك متصرف لبنان كان معارضا له في خطة النفي ، كلمه في ترك في أحد من الجبل فلما لم يقبل انتخب له من تواتر عنهم الميل الى الاجانب ومنهم من وحده في أوراق قنصلية فرنسة بيروت وثائق تبرح صداقتهم للدولة ومن تقدمت عليهم شهادات أخرى . وذكر الكاتب هنا تقارير الشرطة السرية وعيون الحكومات وانه كان للدولة منها بعض مالمحتلين في سورية وفلسطين الآن ...

(ومنها) انه لو كان للكاتب أدنى مشاركة أو مساعدة لجمال باشا على أفعاله لما أمكنه أن يشنع عليه في الآستانة ويسى لحاكمته ، وان كان جمال باشا يقول إنه كان قد أغراني بذلك وحسنه لي فأخذت بقوله وقول أمثاله لشقي بملهم بحال البلاد

ثم قال الكاتب :-

هذا ولما صدر الامر بنفي حبيب باشا السعد من جملة من صدر الامر بنفيهم من لبنان جاء دمشق وزارني في محلي. وقال لي انه سمع من اسبر أفندي شقير وغيره عن الجفوة التي جرت بيني وبين جمال باشا من أجل مسألة النفي والقتل فهو لذلك لا يكافتي الكلام معه في امره بل الكتابة الى علي منيف متصرف الجبل الذي هو صديقي لعله يتمكن من اقناعه فحكيت له كل ما جري وحررت لعل منيف كتابا بأن يبذل جهده في صرف جمال عن نفيه فان لم يمكن فليكن النفي الى اطنه لا الى داخل الاناضول ثم توجهت الى الجبل وبيروت وسألت علي منيف انك عن مسألة حبيب باشا وغيره فاحبني انه لم يدخر وسعا في صرف جمال باشا عن فكرة النفي فلم يفلح ولكنه خاض أناسا كثيرين وأما حبيب السعد فقد كتب الى والي اطنه جودت بك بأن لا يشخصه الى أبعد منها متى وصل اليها وهكذا تم وبقي حبيب في اطنه وتحاب مع جودت بك . ولقد صادف وصولي الى لبنان بقاء بعض المنفيين على أهبة السفر مثل رشيد بك نخله فاقنعت علي منيف بإبقائه لانحراف صحته فخلصه بالرغم من إلحاح جمال باشا بتسفيره ، وكان أخي عادل خلص عدة أشخاص بحجة المرض مثل أمين بك عبد الملك وخليل بك عقل شديد وغيرهما

وأما اسبر أفندي شقير فكان جمال باشا نفاه الى القدس ثم سمح له بالرجوع الى الشام وعاد ماصار في الشام تعبت كثيرا في اعادته الى بيته لانه كان بيني وبينه جفوة مزمنة وكنت أترقب فرصة لأجل ان أسدي اليه هذه اليد على ما بيننا من النفور . ولما كان جمال علق له رخصة الرجوع الى البيت على رضي متصرف لبنان ووالي بيروت راجعت بذلك كلا من علي منيف وعزمي بك وبالرغم مما أبداه عزمي من التصعيب اقنعتهما بالقبول على ان أكون كفيلا لاسبر أفندي فلما جاء جمال احدى جيئاته الى بيروت تكلم معه واليان المشار اليهما أمام أناس من بيت سرسق بشأن اسبر شقير واتني أنا الذي يلح في هذا الامر فغضب جمال وبدرت منه كلمات بحقي وأشاع أبناء سرسق ثاني يوم ان جمال باشا غضب علي بسبب اسبر أفندي . وخاف علي أصحابي بل جاءني فوزي بك ابن اسبر أفندي

ورجاني أن لا أعرض نفسي للغرر من أجلهم وانهم هم قد عرفوا صديقيهم من عدوهم ونجاحي في تخلص والدم وعدمه لا يقدمان ولا يؤخران شيئاً في امتنانهم مما جرى . ثم ذهبت بعدها الى الشام فكان كلام اسبر أفندي معي طبق كلام ولده فوزي . نعم انه تخلص فيما بعد بقرار حصاننا عليه بمساعدة طلعت بشأن عم جميع المنفيين الذين فوق الستين ومع هذا كان يعد حسن نيتي واخلاصي السعي له جملاً وينوه به . ويلوم من أساءوا الظن بي من المذكورين ويزيل مالمصق باذنهاتهم من الشبهات على حين كان الذين نفقتهم فعلاً ودفعت عنهم شرورا عظيمة وعاركت من أجلهم في مواقف عديدة قد نسي أكثرهم الجليل وأنكروه ومنهم من قابلوا الاحسان بالاساءة والود بالشتمات

ووجدت رجلاً آخر بلغت به الجرأة الادبية ان دافع غني بقله بعد الحرب إلا وهو المرحوم سليم بك المعوشي قائمقام جزين فقد كنت أيام الصفاء مع جمال لاول الحرب استرجعت أمر جمال بنفيه الى القدس ثم وجدت — أوراق في قنصلية فرنسا أوجبت القبض عليه وحجسه في عاليه فتمكنت بواسطة رئيس الديوان العرفي وأعضائه وباقتناعهم بكون هذه الاوراق لا بال لها ولايس فيها خيانة للدولة ان أطلق سراحه بدون ان يعلم بذلك جمال فكان هو الرجل الوحيد الذي نشر عند نهاية الحرب في احدى الجرائد ما معناه : انني أعلم ان كلامي لا يرضي الكثيرين ولكن الحق أولى أن يتبع وهو ان الامير شكيب ارسلان لم يشترك في شيء من أعمال جمال باشا بل خاصه وعائده من أجلها الخ

هذا ولو كانت الحرب انتهت بغير ما انتهت به لم أكن عرضة الآن لاقتراء بعض المفسدين المتعلمين للحلفاء ! وياليت الواقفين على أقاويلهم اليوم سمعوا نعمة الرؤساء والزعماء في لبنان أيام الحرب وهم يقولون في هذا العاجز على ضعفه وقصوره : هذا أمير البلاد وأبوها وأما وابن لم يحافظ عليها هو فمن ياتراه يحافظ عليها الخ . . . ولكن لما دارت الدائرة على المانيا وتركيا انقابت الحقيقة لديهم وصار الابيض أسود في نظرهم ، اذ أكثر الناس ينظرون من وراء لون الاحوال الحاضرة وكأن الحقائق وبالاسف هي أيضاً رهائن الاقوياء موقوفة لخدمتهم . . .

حال جمال باشا بعد ثورة الحجاز

هذا ولما ثار الشريف بالحجاز وسرت الحركة الى سورية خاف جمال العواقب فعدل عن الخاشنة الى المحاسنة واستدعاني أنا وكامل بك الاسعد وسليم باشا الاطرش ونسيب بك الاطرش وكنج أبا صالح شيخ مجدل شمس وغيرنا من الزعماء وتكلم معنا في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة . والتمس منا السهر على الامانة للدولة . وانا وان كنت لم أصدق كلامه في البراءة من السياعة الطورانية . . . لم أخالفه في الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفته لانكثرة وتصديقه لما هداما وقلت قبل الحرب وكررت في أثناء الحرب وبعد الحرب ولا أزال أقول : ان كل عربي يصدق ان دول الحلفاء يسمعون في استقلال العرب لا بل يقبلون ؟ باستقلال العرب . يكون في عقله خيال ، وانهم ما أردن الا فصل العرب عن الترك ليتسهل لهم ابتلاع الامتين ، هذه هي غايتهم : ولي بذلك قبل الحرب نظم من جملة قصيدة في مدبرة صلاح الدين الايوبي

وكيد على الاتراك قيل مدبر ولكن لصيد الامتين حباله

اذا غالت الجلى أخاك فانه لقد غالك الامر الذي هو غائله

وطلب مني جمال أن أرافقه في سياحة الى حوران وجبل الدروز واستصحب أيضا المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف وسامي باشا مردم بك وبعض العلماء والمعلمين وأراد أن يجلو ما كان أظلم بيني وبينه فلما كنا في مقعد السويداء بجبل الدروز وكان قبض قبل ذلك على شكري باشا الايوبي وعدة رجال منهم فارس افندي الخوري أحد المشار اليهم بالبنان في سورية علما وفضلا واتهمهم بمؤامرات سبقت لهم مع الامير فيصل (فانتشرت تلك الفرصة وتكلمت معه بشأن هذه القافلة الثالثة على مسمع من عبد الرحمن باشا اليوسف ووجيه افندي الايوبي وحيدر بك ابن سامي باشا مردم بك وما زلت ألح عليه بشأنهم حتى وعد بأن يطله في على أوراق وجدت معهم وانها تثبت خيانتهم ، ولما نزلنا الشام قال لي ان التحقيقات لم يتم فصرنا نراوحة الشفاعة ونقاديه ولا سيما بفارس افندي الخوري

والشيخ خضر حسين التونسي الاديب العالم الفاضل والمرحوم الشيخ صالح الرافعي وأناس من وجوه راشيا وآخرين من وجوه زحلة أوصلتهم الى السجن تقاريرات شاب طرابلسي ولعب في هذه المسئلة دوراً مهماً المسمى توفيق بك الذي جعله جمال باشا وكيل الولاية الشام فاجتهد هذا التوفيق — لا وفقه الله — كل الاجتهاد في اثبات ان هناك مؤامرة على قتل جمال وخلع طاعة الدولة . وكانوا يضربون الناس ضرباً مبرحاً ويعذبون الشهود ليقرروا ما يريدونه هم . وقيل ان هذا الجهد النافع لاثبات وجود المؤامرة هو لاجل اقناع رجال الدولة والرأي العام الذي كان بدأ يقيم النكير على جمال في الاستانة بأن جمالاً لم يعتد على أحد وأنه لا تزال المؤامرات وحركات الثورة في سورية متصلة ولكن جمالاً اضطر في هذه المرة الى الاكتفاء بالحبس ولم يتجاوز الى القتل ، فقيل ان شريف مكة أرسل ينذرهم انهم ان قتلوا في هذه المرة أحداً قتل هو جميع الاسرى الذين عنده من الاتراك وفي مقدمتهم الوالي غالب باشا . وقيل ان الاستانة أنذرت هذه النوبة انداراً شديداً بأن يعدل عن خطته المعهودة لانه قد طفح الكيل وقد كفى ماجرى ، فلذلك رأينا هذه الدعوى أخرجت في يوم من الايام من يد توفيق وكيل الولاية وتمحوت الى ديوان عرني في الشام أخذ ينظر فيها مجدداً ويطرح الشهادات المأخوذة بقوة الضرب والتعذيب ويسلك مسلك العدالة وأمكننا يومئذ اطلاق سبيل أناس من مشايخ راشيا وآخرين من زحلة وواحد من عرمون الغرب . ثم أطلق سبيل الشيخ صالح الرافعي والشيخ محمد خضر حسين التونسي الاذنين كان ذنبيهما انهما استفتيا في أحد المجالس في جواز الخروج على الدولة فلم يفتيا بذلك ولكن لم يبادرا بأخبار جمال باشا بوقوع هذا الاستفتاء ولو كان هذا الاستفتاء مجرد كلام فارغ من أناس لا شأن لهم . أما شكري الايوبي فكانت قضيته شديدة لانه اعترف بالاتصال بفصيل وكونه اشترك معه في انتقاد الاحوال . وأما فارس الخوري فذنبيه الوحيد انه سأل الشاب الطرابلسي رأيه في عمل ثورة فانكر هذا الامر ونباه عن الخوض فيه لكن جمالاً يقول : لو كان فارس الخوري أخبرني يومئذ بما سأل عنه املت بنية فيصل وقبضت عليه ولم أدعه يذهب الى الحجاز ولم تكن حصلت ثورة الحجاز ففارس الخوري هو

سبب هذه الثورة بسكونه، والحال ان فارسا الخوري قرر ونحن طالما أكدنا لجمال باشا ان ذهاب فيصل الى الحجاز كان قبل المسئلة التي سئل عنها فارس افندي ومع هذا بقي فارس نحو أربعة أشهر بين أربعة حيطان

(وهنا ذكر الكاتب محيي وقد الآ ستانة الى سورية وقول مبعوثها (صلاح بك جيجوز) الشهير بجهته ان موعد افتتاح المجلس قد حان ولا يرضون أن يكون أحد المبعوثين محبوسا وان هذا كان سببا لقبول جمال اطلاق فارس الخوري بكفالة الكاتب بشرط استقالته من المجلس)

مصادرة جمال باشا لفلال سورية

ثم انه خطر لجمال باشا خاطر غريب من جهة تأمين الجيش على ميرته وهو جمع حبوب البلاد كلها موسم سنة ١٩١٦ وادّخارها في أنبار العسكرية واعطاء الاهالي والعساكر جميعا حاجتهم من المنازل والاناير بموجب وثائق، وقد اقتدح هذا الرأي ولم يجرأ أحد لا من أعيان البلاد ولا من كبار المأمورين أن يبين له ضرر هذا التدبير الا أنا فراودته كثيراً أن يرجع عن هذا الفكر لاسباب عديدة (منها) أن الاهالي ولا سيما الفلاحين لا يمكن أن يقدموا جميع غلات أراضيهم ويصيروا حالة على المنزل كلما أرادوا أخذ مقدار من الحب لقوت عيالهم وعلف دوابهم اضطر الواحد الى تقديم وثيقة والانتظار أباما وليالي أمام باب المنزل فهذا الفلاح سيطر في الارض كل ما يقدر عليه من محصوله فيقل مجموع الموسم عما هو (ومنها) أنه ان كان المقصود هو تأمين الجيش على قوته فيمكنكم عمل حساب ما يلزم الجيش كل يوم ومن ثمة ما يلزمه طول السنة الواحدة وقسم من العام القابل وبعد معرفة مجموع اللازم طرحه على الولايات والالوية بحسب درجات غلاتها واقبال مواسمها واما أخذكم الجميع سواء احتاج الجيش الى كل هذا المقدار أم لا فانه يوم الناس أن مقصودكم إماتهم جوعا والآن يذيع كثير من المفسدين بين العامة انكم ترسلون بجانب من الحبوب الى المانيا وعقول الساذجين تصدق هذه الفرية، فلم يقبل النصيحة، وحصل كل ما كنت تكهنت به لان الذي أعطى جميع حاصلاته احتاج الحب فكان يذهب الى المنزل فلا يأخذ من القمح الا بعد الثنا والتي وان الا كثيرين

طمروا في الارض أكثر حاصلاتهم فتصور جمال أنه بانذاره الاهالي أن من يخفي منهم شيئا من الحبوب يجرى بالقتل يخاف الاهالي فيقدمون كل ما عندهم من القلة والحال ان هذا الانذار لم يزدكم الا تبكنا في العمل فصار الواحد يطمر الحب في جوف الليل تحت الارض ويأخذ منه حاجته لعياله ودوابه واذا جاءه أي كان وطلب منه حننة من الحب بحجة أن أولاده يموتون جوعا انكر ان يكون عنده شيء خوفا من أن يكون ذلك الطالب جاسوسا يقصد استكشاف سره أو يذهب فيقول ان هذا القميص هو من عند فلان جزاء الله خيرا فيصل الخبر الى الحكومة المحلية ويجري بالشنق. وجمال باشا اذا قال فعل. فأصبح اناس يدورون في البراري في طلب القوت ولا يجدونه وآخرون عندهم أكدا من الحب مخبوءة تحت الارض. ولا أقصد بذلك أن هذا هو السبب الاصيل في مجاعة سورية كلا بل ان هذا التدبير السيئ المبني على الاستبداد والفرور بالنفس كان من جملة أسباب المجاعة ولكن السبب الاهم هو الحرب من حيث هي وقلة الايدي العاملة وقد البذر والابقار والحصار البحري وأعظم المسؤولية في شدة المسغبة وموت الالوف جوعا بسببها تعود على الخلفاء الذين رفضوا اغاثة سورية من جهة البحر وإيصال اعانات أميركا واسبانيا والبابا وأحبوا أن يلصقوا ذنب التجويع بالحكومة العثمانية ظلما وزورا كما سيأتي في كلامنا على المجاعة

على أننا لما كنا نذكر كلا بفعله نقول إن هذا التدبير الذي قرره جمال باشا لتلافي تخيبة الغلال كان تدبيرا قاتلا وأنى بعكس المقصود ومن جملة نتائجه أن أهل حوران ثاروا على الحكومة. وذلك أنه فرض على لواء حوران ٨٠ مليون كيلو جعلتها تحت التزام ميشيل إبراهيم سرسق مبعوث بيروت ووضع تحت طلب ميشيل القوة العسكرية فجمع هذا ٢٠ مليون كيلو ووقف حمار الشيخ في العقبة فأخذوا حينئذ بالعسف والتضييق وأخرجوا الاهالي قثاروا وضربوا الجندرية فساقوا عليهم العسكر فتضاربوا والعسكر وقطعوا اسلاك البرق وخربوا سكة الحديد واستفحل الامر وكان جمال في حلب فخف أن تمتد الفتنة ويشترك فيها العربان والدروز فأبرق إلي — وكنت في لبنان — أن اذهب الى حوران وأن اشترك مع حافظ جمال

باشا في تسكين الثورة فلم أستطع الا الذهاب و لم أذهب لم يبعد عليه أن يجمعني مسؤولا عما وقع. ولما وصلت الى درعا (أذرعات) امتدعت مشايخ الدروز فحضروا في الف وخمسمائة فارس وأكثروا طاعتهم للدوة وأبرقت الى جمال بالخبر فورد الي جوابه بالشكر والسري رثم راسلت مسلمي حوران فحضر مشايخهم وقالوا لي نحن كنا أخبرنا الحكومة أنه لا يقدر على تسكين هذه الثورة الا الامير شبيب قال الحمد لله على قدومك وان أكثر الثائرين متجمعون في قرية نوى فبعثت الى جمال بريقة أعرض فيها عليه رأي العفر عن الثائرين واعادة الامن الى انصابه وانني أتعهد في مقابلة ذلك بادخالهم جميعا في الطاعة فأجابني بريقة مريجة بأن من أطاع الى نهاية أربعة أيام وحضر الى مركز الحكومة فهو معفو عنه فأمرعت بكتابة خطاب الى الثائرين المحتشدن في نوى أدعوم فيه الى الطاعة وأعظمهم وأبين لهم عواقب العصيان فأجابوني الى ما أردت وطلبوا أن تتلاقى أولا في قرية الرمثاء .

وبينما نريد تعيين يوم للاجتماع هناك اذ ورد لي خبر بكون حافظ جمال باشا القائد العسكري في حوران المأمور بقمع الثورة قد ساق عدة توابير على نوى فكبسوها بيانا وضر بوها بالمدافع وقتلوا نحو ثمانين نفسا ، فلم أصدق هذا الخبر ولم يهضم عقلي ان جمال باشا يأذن لي بتأمين الثائرين على نيل العفو ويضرب لي لذلك موعداً ربعة أيام وقبل انقضاء الموعد يسوق عليهم العساكر ويغربهم واذا بالوالي تحسين ألك وبمحافظ جمال باشا (وكانوا يقولون له جمال باشا الثالث لانه كان في سوربة احمد جمال باشا القائد العام وجمال باشا المرسيني الذي صار بعد الحرب العامة ناظراً للحرية في الاستانة ونفاه الانكليز الى مالطه وجمال باشا هذا) قد حضرا الى أذرعات وعلمنا ان واقعة نوى هذه قد حصلت فكان بيني وبينهما في دار الحكومة في أذرعات خصام عظيم ارتفعت فيه الاصوات وبلغت الحدة أقصاها على مسمع الجمهور وانما ظهر ان جمال باشا الثالث هذا في يده أمر برقي بالضرب خلافا للامر الذي بيدي بالتأمين ، فعند ذلك أبرقت الى جمال باشا القائد العام أبين له مزبذ استغرابي من هذه الواقعة التي وقعت ضمن المدة التي أعطاني إياها لتأمين الثائرين ومقدار الفظاعة في قتل نحو ٨٠ شخصا منهم بعض نساء وهمدم

بيوت في بلدة الامام النووي رضى الله عنه . وتلغرافي هذا مسجل ولا شك في بيت التلغراف بأذرعات . فغضب جمال من هذا الخطاب وزاده غضباً أن الشيخ أسعد شقير الذي كان أرسله مراقباً له على حركات الجميع في حوران حضر الخصومة بيني وبين الوالي وجمال باشا الثالث (كان ممن اجتهد في كفت النزاع ولكنه ثاني يوم برح حوران الى عكا ويقال انه أبرق الى جمال بما حصل بيني وبين ممثلي الحكومة الملكية والعسكرية واتني أغلظت لهم القول رقلت اني لا بد أن أفتح هذه المسائل في المجلس بالاستانة وأشرح كل ماجرى الخ فبرق جمال الى بالحضور الى صوفر وكان قدم اليها من حلب وهناك أرغى وأزبد وأشرف على من سماء عظموته فلم أجاب به لانفيا ولا اقراراً وقت منصرفا فكذنه وجدني سكوني دليلاً على اخمار السوء فقام وتبعني وحاول استرضائي وعدل عن المحاشنة الى الملاينة وبقيت ساكتاً وصممت أن أذهب الى الاستانة وأن لا أعرد الى سورية مادام جمال فيها ...^(١) (للمقال بقية)

من الخرافات الى الحقيقة



الاسلامية والمجوسية

أو

العرب والمجسم

ان السبب الاول لدخول الخرافات في الاسلام هو روح مجوسية القرس : الدين الاسلامي دين حر ساذج ، ولكن حال لونه الاصلي في محيط ايران ، ولما دخلت الاصول الاسلامية بلاد اليونان ومصر والروم تعقدت سذاجته العالية وأخذ شكلاً غريباً ممزوجاً بنظريات تلك الشعوب الدينية والفلسفية ولا سيما اليهود الذين كانوا كلما دخل أحد منهم في محيط الاسلام يدخل معه خرافات دينه هنا يجب على الباحث عن جراثيم مرض التحيزات الاسلامية أن يجول ،

(١) حذف من هذا الموضع ذكر الوسائل التي توصل بها الكتاب الى الذهاب الى الاستانة مع منع جمال للسفر بدون اذنه

وحينئذ يجد أن أشد الضربات وأجزم النكبات قد هبت ريحها على الإسلامية من جهة إيران .

كان الفكر الديني ذو السلطان الروحي في محيط إيران وهو مذهب (زردشت) محافظاً على قوته وصولته بعد أفول نجم الفرس السياسي . نعم إن ظفر المسلمين بالفرس في القادسية قد دك دين زردشت كما نزل عرش ملوكه إلا كاسرة فان الفرس كانوا يدخلون في دين الله أفواجا ولكنه لم يعب أثره بل أصر عليه كثيرون ولا يزال له أتباع في بلاد الهند في شبه جزيرة كجرات وفي فيا في إيران وعلى ساحل بحر الخزر يدينون دين زردشت . فبالك بما كان من بقية تأثيره في أنفس الذين آثروا الإسلام عليه من حيث لا يشعرون

كان للفرس إلهان (أهريمان) أي خالق الشر، و(هرموز) أي خالق الخير، وفي عام ٢٢٤ ميلادية في زمان الدولة الساسانية اتحدت في إيران السلطة السياسية والسلطة الدينية وظلتا متحدتين حتى دخول الإسلام في ديار إيران. كان الأهليون يقسمون في تلك الأزمنة أربع طبقات :

(١) طاجيه (٢) شارجه (٣) دهقين (٤) موبدان
فالأولى طبقة العوام والثانية طبقة الخواص والثالثة طبقة رجال الحكمة والرابعة طبقة رؤساء الدين والاشراف والوجوه
وكان القضاء للرئيس الديني المسمى (موبد موبدان)
كانت عاصمة الفرس اذ ذاك بلدة اصطخر . وكان للعرب هناك حكومة عاصمتها الحيرة لادولة (وبين مدلول كلمة حكومة ومدلول كلمة دولة بون شاسم) هكذا كانت التنظيمات الاجتماعية والسياسية في إيران عند دخول الإسلام فيها . وكانت هذه التنظيمات منطبقة على روح الإيرانيين طبعا بمرور الزمان . وكل تشكيل سياسي أو اجتماعي يتولد من روح الأمة الاجتماعي لا يمكن تعديله . ولو أرادوا ذلك لما استطاعوا إليه سبيلا

كان الفرس ينظرون إلى دولة الأمويين وإلى حكومتهم شراً لسببين رئيسيين:
(١) أن تأليف امتهم أحسن ترتيباً وأتم نظاماً من تأليف الأمة الحاكمة
(٢) أنهم كانوا يعدون الأمويين غاصبين لاستقلالهم السياسي . ولكنهم يسترون ذلك بالباس بغصهم إياهم لباس التشيم لآل البيت النبوي الكريم .
لذلك كان الإيرانيون دائماً يترقبون الفرس لكي يستردوا سلطنتهم

المادية، ولم يجدوا سبيلا يوصلهم الى مقصدهم الاصيلي اقنصر من تكليف قواعد الدين الخفيف بأشكال توافق احتياجاتهم الروحية .

وفي سنة احدى واربعين للهجرة اضطر سيدنا الحسن السبط الى ترك الخلافة لخصمه معاوية ، ثم خلف يزيد ابا معاوية ، وما عثم يزيد ان فعل فعلته الشنعاء في سيدنا الحسين رضي الله عنه . فكانت كجذوة نار القيت على مستودع بارود النقور والكراهة الخزوين في قلوب المسلمين لسلطنة بني أمية، فانهز الايرانيون هذه الفرصة فاتخذوها ذريعة لتنفير المسلمين من اخلاف معاوية ، وبذلوا كل ما أوتوه من قوة لنشر هذه الدعوة .

وفي أثناء بث دعوتهم شعروا بالحاجة الى قوة يتكثرون عليها فعملوا مسألة (التثمين لآل البيت الكريم) مذهبا دينيا .

ثم تمخضت الايام بل الاعوام بهذا الجدال والجلاد حتى وضعت حملها فظهر أبو مسلم الخراساني الذي تجلت جميع آمالهم بشخصه ، فكان ظهوره كاتفجار القذائف النارية فلم يلبث أن فاز بازالة السلطنة الاموية واقامة سلطنة العباسيين الذين يمثلون نفوذ الفرس مكانها ^(١)

وكان من أعوان أبي مسلم على إعادة النفوذ الفارسي اغني أهل زمانه (ابو سلمة الخلال) . بذل ماله وجاهه بكل سخاء في سبيل فوز أبي مسلم . ولكن العاقبة لم تكن كما كان يروم الفرس من كل وجه فطرقوا بابا آخر وهو باب (العلوية) فاستمر الجدال والجلاد وتوالت الفجائع الدموية . ومع كل هذا لم ينل الفرس كل مبتغاهم من أنهار الدماء التي فجروها تفجيرا ، اذ لم يكن القصد في الباطن الا ادارة ملك العرب كما يشاءون ترويجا لسياستهم . ولكن العباسيين عرفوا سر الامر، ولم ينقادوا كل الاتقياد للفرس ، وحينئذ ظهر هؤلاء بمظهر جديد وهو مظهر (العلوية) . وبهذا الشكل توالت الفجائع ، وتعاقب سيل الدماء

وهذه السياسة قد فشلت أيضا فلما رأوا ان بلادهم قد ملكت ، ودمائهم قد سفكت ، ولم ينالوا شيئا — عمدوا الى سياسة أخرى . وهي سياسة اجتثاث

(١) ليعتبر العربي بهذا الكيلا يساق في سبيل مصالح الاجبي . مخدوعا بأنها مصلحته ، فيخسر ما كان بيده و^١ يستفيد عوضا عما خسر شيئا كما جرى في أثناء الحرب العالمية — حاشية لامتريجم

شجرة الدين، وقلعة من أسسه وهو التوحيد، فوضعوا مذهب التعليم الباطني على أسس الحلول، وحاولوا اصطياذ قلوب ملوك العرب بالدين والدهاء. الى ان ينالوا المرام، ويأخذوا بأزمة الادارة وينفردوا مع صنائعهم بالاحكام، ... على هذه السلم صعدت البرامكة الى صرح وزارة التفويض، والاستبداد بالتنفيذ، كان جدهم (خالد) قائداً من قواد جيش أبي مسلم الخراساني. وكان ناراً تتقد غيظاً وحقداً على العرب. وهو ابن رجل مجوسي اسمه (برمك) وكان متولياً أوقاف (نيران) مدينة بلخ. وانما أظهر خالد الاسلام عند التحاقه بأبي مسلم وكان شديد الغيرة والحرص على احياء مجد الفرس السياسي والديني. وكان من الدهاء والحنكة بحيث إن السفاح الخليفة العباسي أعجب به وجعله وزيراً له. ثم انتقلت الوزارة من بعده لابنه (يحيى) ثم لحفيده (جعفر). وقد نجح الفرس في هذه السياسة سياسة اصطياذ قلوب العرب الذين تروج عليهم الدسائس بكل سهولة. حتى ان الدولة العربية في زمان السلالة العباسية كانت في أيدي الفرس، فكان الولاة والقواد فرسا كالوزراء. وقد اشتهر في الادارة العربية عدة فصائل عجيبة ادارت الملك مثل (١) فصيلة برمك (٢) وفصيلة وهب (٣) وفصيلة قحطبة (٤) وفصيلة سهل (٥) وفصيلة طاهر فكانت الدولة عربية اسماً، وفارسية جسماً، أو مسلمة ظاهراً، ومجوسية باطناً، وقد تجلّى النفوذ الفارسي عند جلوس المأمون على كرسي الخلافة أكمل التجلي حتى إن بعضهم كان يتخيل أن الفرس سيعيدون ملك الكاكرة بلا جدال الا أن الاسلام لما كان قد تمكن من مباءته في قلوب الناس لم يتجرأ منافقو المجوس على ابراز جميع مكنونات قلوبهم بوضوح، بل حاولوا الاستفادة من الاسلام بطريقة خفية تدنيهم من آمالهم السياسية بالتدريج، وهذا كان ممكناً ومعقولاً. لذلك اكتسب اصراء الفرس كسوة الاسلام ورفعوا علم الخلافة والامامة وظهروا بمظهر جديد يحلو لبسطاء العرب ويجذب قلوبهم. على هذه الطريقة ساروا الى خدمة مقام الامامة والخلافة، وبعض العرب يركض وراءهم مجذوباً بمجاذبة الآمال الخلابية.

إذا دقق الانسان النظر في التاريخ تدقيقاً جيداً يجد أن غلو الفرس في آل البيت النبوي وتقلبهم بين العباسيين والعلويين، لم يكن اللعبة سياسة لعبوها خلف ستار الدين، تأمينا لاعادة مجدهم الذي قوضه العرب. ومن الآيات الدالة

على ذلك أن جعفر البرمكي وزير هارون الرشيد قال مرة لمن كانوا يستحسنون أفعال أبي مسلم الخراساني: «إن ما عمله أبو مسلم ليس شيئاً مهماً، لأنه نقل السلطنة من سلالة إلى سلالة، متحدتين في المشيرة وفي الديانة. وإنما الماهرة هي نقل السلطنة من أمة إلى أمة أخرى لا تتحد معها لساناً ولا ديناً». وكان قصده من هذا الفخر أن امرته تنقل السلطنة من العرب إلى العجم، ثم إن فضل ابن سهل السرخسي أشهر رجال المأمون كان مجوسياً تقلد خدمة الحكومة ولاجل تأمين مصالح الفرس أسلم عام ١٩٠ إسلامية وتقلد مذهب الشيعة الذي أحدثه قومه. وبعد إسلامه بثماني سنين ألف جيشاً بقيادة (طاهر بن حسين) وفتح بغداد وقهر الأمين لأن أمه عربية، واجلس المأمون ابن الفارسية. ولم يكتف الفضل بن سهل بهذا بل قرر في عام ٢٠١ جعل علي بن موسى ولي عهد ثم أزال شعار المباسيين وهو السواد واستبدل به شعار الفرس الأخضر بحجة أنه شعار آل البيت.

وظلت فتوحات الفرس في قلوب أهل المملكة تزداد وتهويشاتهم لأمور الدين الإسلامي تكاثرت حتى زمان الخليفة المعتصم فاستعان بالترك على الفرس فجري بين الفرس والترك ما جرى وانتهى الأمر بدخول الترك بغداد مظفرين بعد أن سحقوا قوة الفرس المجوسية وكان هذا بزعامة طغرل بك الساجوق في زمان الخليفة القائم بأمر الله^(١)

عند ذلك انتقلت المناصب من أيدي الفرس إلى أيدي الترك، فانسحب أمراء الفرس من ميدان السياسة ودخلوا ميدان الجندية وأعلنوا الاستقلال وأظهروا مكنونات قلبهم القديمة. انقوا في خراسان دولة الطاهرية وفي فارس الصفارية وفي ما وراء النهر السامانية وفي آذربايجان الساجية وفي جرجان الزيارية وجميع هذه الدويلات كانت كراة تتجلى فيها الروح الفارسية منذ عهد الأمويين إلى زمن إعلانها. وكانت جميع دويلات الفرس ضعيفة بالنسبة إلى قوة المركز العربية ما عدا دولة (آل بويه) التي ظهرت عام ٣٢٠

ونتيجة ما تقدم أن بذور التفريق التي غرسها الفرس قد نمت وأثمرت وقوع الشقاق بين المسلمين فكانوا فرقتين يتنازعان السيادة بينهما، وكان يدافع

(١) (المترجم: كنت هنا أحب أن أبحث عن سر مراجعة المعتصم للترك دون العرب، لولاموانم منعتني لذلك أتركه لغيري)

عن الحزب الايراني أو الشيعي الفرس ، وعن الحزب العربي أو السني الترك ، وقد كان الفوز لهؤلاء في المراكب الصوري والمادي ، ولا وئلك في التنازع المعنوي . لأن الايراني كان ادهى من التركي في السياسة وبهذا تمكنوا من إلقاء بذور التشيع في قلوب الترك انفسهم .

ثم دالت دويلة آل بويه ، ولكن فكرة مجد كسرى ظلت باقية في ادمغة المعجم ، فكانوا كلما سنحت لهم فرصة مناسبة او وجدوا بيئة موافقة يظهرون بمظهر ديني مرتدين رداء نصرة آل البيت النبوي الكريم . هكذا كان الاسلام يتدحرج بين يدي المعجم والترك .

فكرة إعادة مجد الفرس ظلت تنمو وتكبر منذ زمان الفاروق الاعظم وقصت في طريق نموها اجنحة العرب وبقيت مثابرة على غاياتها تركض خلف بغيتها غير ملتفتة الى شيء حتى عام ٩٠٥ في تلك السنة أعلن اسماعيل الصفوي رسمياً مذهب الشيعة واعيد مجد كسرى فعلاً : فالإسطاء كانوا يظنون أن المنتصر هو حزب آل البيت النبوي الكريم والحال أن المنتصر كان ورثة كسرى^(١) والمغلوب ورثة عدنان - ﴿ بل قوم رسول الله (ص) و لغة كتاب الله ، فإذا استفاد آل الرسول عليهم السلام من اتخاذهم وسيلة لذلك الملك ؟ هل تحولت الامامة اليهم ، وصار أمر الدين والدنيا في أيديهم وفقاً لدعوة دعاة الفرس لهم ؟ أم يغنيهم عن ذلك سب أبي بكر وعمر وزيري جدم وأعز أنصاره وناشري دينه ومؤسسي ملك شريعته وسبب هداية الفرس الى الايمان به ؟ ﴾

ثم تكرر الاصطدام بين السنة والشيعة أي الحزبين الاسلاميين المتظاهرين بنصرة مبدأ ديني . والحقيقة أن التصادم كان بين شعبين يريدان الاستفادة من غفلة العرب لتوطيد نفوذهما السياسي وهما الترك والفرس وكانت العاقبة اقتصر الترك ، الا أن ظهور نوادر من بين الفرس مثل الشاه طهماسب والشاه عباس

(١) حاشية للمترجم : لا أدري أين كان عقلاء العرب ودهاهم عند ما كان الفرس والترك يتنازعون على سطرتهم بحجة المحافظة عليه ، ويتنادرون الى الذهن أن تنازع الانكابر والفرنسيس علينا اليوم بحجة ترقيتنا يشبه ذلك التنازع حتى باسم الاسلام فالانكابر يزعمون أنهم يرقون العرب وأهل البيت النبوي شرفاء مكة والفرنسيس يزعمون أنهم يؤدون الترك محفظة على سطرة الاسلام وخدفة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

والغناه نادر جمل الغلب دينيا فقط ، وظل البناء السياسي قائما
أكثر العارفين بدقائق الأمور في زماننا يرون أن علة تأخر كل من الترك
والفرس عن شوط الأوربيين محصورة في هذا النزاع الهائل الذي شغل العنصرين
المسلمين مدة طويلة . فبينما كان الأوروبيون يصلحون ما اختل من أمورهم
العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان المسلمون يقتل بعضهم بعضا
باسم اختلاف عرضي ، ثم سبق الترك الإيرانيين في الانتباه لوخامة هذا الاختلاف
وظفقوا يقوّمون ما أعوج من أمورهم منذ عام ١٢٥٤ هـ ثم تبعهم الإيرانيون
بعد مدة : ولكن الإصلاحات المصرية وجدت في الاناضول تربة أخصب من
تربة بلاد إيران

والحاصل أن الإيرانيين ناضلوا عن استقلالهم مدة لا تنقص عن ألف سنة
بأساليب مختلفة وطرائق متنوعة أتعبوا بها الإسلام والمسلمين وأتعبوا أنفسهم .
ولا يلوم المؤرخون ولا الاجتماعيون رجال العجم على ما فعلوه في سبيل
استعادة مجدهم . ولكن الطرق التي سلكوها كانت مضرّة بالإسلام لأن اللقاء
بذور التفرقة بين المسلمين وبشتيت وحدتهم السياسية أنتج نتائج سيئة جداً .
وعواقب الحروب التي وقعت بين أهل السنة والشيعة لم تزل مؤثرة في حياة
المسلمين الاقتصادية والسياسية إلى يومنا هذا ولا سيما الدماء التي سفكها
الآخوان في الإسلام التي لو سكبت في بحر أنحرز لكفت لجملة أحر قانياً فهي
وأسفاه لم تكف لفتح عيون المسلمين وإراءتهم سوء نتائج الاختلافات
المذهبية ليرجعوا عن أسبابها^(١)

حسني عبد الهادي

(١) المنار : نحمد الله أن أَرانا ما لم يره مؤلف الكتاب من نقطة المسلمين في
هذه الأيام وشروعهم في شد أواخي الآخاء والوحدة بين أهل السنة والشيعة عامة
وبين الترك والفرس خاصة كما نوهنا بذلك من عهد قريب في تفسير قوله تعالى (أن
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأئثرنا إليه بعد هذه المقالة في
الكلام على جمعية الرابطة الشرقية

جمعية الرابطة الشرقية

من سنن الله تعالى في (الاجتماع البشري) ان يتآلف الافراد والجماعات من الناس ويتعاونوا بقدر ما يكون بينهم من خروب المشاركة في الصفات التي تميزهم من غيرهم وفي مرافق الحياة الخاصة بهم كما هو مشاهد في تكوين البيوت والعشائر والقبائل والشعوب وقد اتسعت في هذا العصر هذه المشاركات حتى صارت الشعوب الكثيرة التي تجمعها بقعة كبيرة كاقسام الارض المسماة بالقارات تتحد وتتعاون على ما هو خاص بها دون القارات الاخرى وبناء على هذه السنة وضع موزو قاعدة (أميركة للاميركيين) وزى الاوربيين من عهد بعيد يتعاونون فيما بينهم متفقين على وضع سلطانهم على رقاب الاسيويين والافريقيين على ما بين دولهم من التمادي والتنازع في ذلك وفي غيره . ثم انهم لكثرة الروابط بينهم وبين الممالك الاميركية قسموا العالم قسمين أطلقوا على احدهما اسم الغرب ويعنون به أوروبا وأميركة وعلى آخر اسم الشرق ويعنون به آسيا وأفريقية ، وهم يفضلون الغرب على الشرق ويجهدون في جعله تحت سيطرته وسيادته في الحكم وهذا خاص بأوربة وفي الشؤون الاقتصادية والادبية والدينية وهذا مشترك بين الاوربيين والاميركيين . وقد ظل الشرقيون غافلين عن انفسهم خاضعين للغربيين في كل ما يبغيون منهم الى هذا العصر الذي تنبته فيه الشعوب الشرقية الى وجودها والخطر عليها وقد كانت الحرب الاخيرة أقوى المنبهات للشرقيين اذ ظهر لهم ان الدول الاوربية الظافرة تريد ان تقضي على بقية الدول الشرقية الي انهكت قواها من قبل بالحروب وبالتدخل السياسي والاقتصادي والعلمي والديني ، فشددت أواخي التعاون السياسي بين الترك والفرس والافغان والروس وغيرهم من شعوب الشرق وفي أوائل هذا العام الهجري نبنت في مصر فكرة تأليف جمعية للتعارف والتعاون العلمي والادبي والاقتصادي بين الشعوب الشرقية — نبنت هذه الفكرة في حفلة كرم فيها أحد وجهاء الايرانيين في مصر كاتباً أديباً ايرانياً أراد العودة الى بلاده . هذا الاديب هو عبدالحمد صاحب جريدة (جهرنما) الفارسية المصرية وذلك الوجيه هو ميرزا مهدي بك رفيع مشكفي أمين التجار

وقد أتى بالأسود أكثر من جيل المولد والاداء، وجاء من المصريين وغيرهم دعيت الى هذه الحملة فرافقته بعد السروع الخط - فدعيت الى الخطابة اذ كان اسمي مطبوعا في البرنامج فوقفت فألقيت جملا وحيزة في معنى الاحتفال رجوت فيها أن يكون المحتفل به رسول تعارف وتآلف بين البلاد المصرية العربية التي أقام فيها عزيزاً كريماً وبين البلاد التي ريد السفر اليها (وهي فارس والافغان) ثم قلت لأدري هل الموقف يسمح لي بحرية القول في وجه الحاجة الى هذا التعارف والتآلف، فصاح أحمد زكي باشا علم كلنا طلاب حرية ذلك أن تقول ما شئت حينئذ ذكرت انني قريب عهد بأوربة وانني رأيت فيها جميع عقلاء الشعوب الشرقية يعتقدون روابط التآلف فيما بينها من شعور بشدة الحاجة الى ذلك وان مصر على مكانتها العالية في بلاد الشرق لا تزال مقصرة في ذلك، وأفضت في ذلك بما ألهمت من القول ثم تبارى الخطباء في ذلك وكان أوسعهم فيه قولاً وطولاً أحمد زكي باشا والشيخ مصطفى القاياتي - فأفضى ذلك الى اقتراح تأليف لجنة لوضع مشروع جمعية فتألفت اللجنة ثم شرعت تجتمع في دار السيد عبد الحميد البكري فوضعت القانون الاساسي الآتي مع مقدمته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن من يتأمل في حالة الشرق وما أصبحت عليه أممه ويقارن ذلك بماضي التاريخ، يدهش للانحطاط الذي وصلت اليه هذه الامم، على ما كان لها - جلها إن لم يكن كلها - من التاريخ المجيد الحافل بدلائل العظمة . قد يقول بعضهم : ان هذه سنة الطبيعة وان حكم الامم في ذلك حكم

الافراد : تولد وتشب وتهرم وتموت

قول يبعث على اليأس !

ولكن في حياة الامم - ولا حد لحياتها - نواويس ترقى بمقتضاها أو تنحط، تبعاً للعوامل المؤثرة في كل حالة. فبتطور الامة منها بهذه العوامل

قد ينتابها التحلل الجزئي ، ولكنها لا تموت ، بل تستطيع التي فقدت مجدها بعامل من عوامل الضعف الطارئة عايتها ، أن تسترد مكانها الاولى بفضل عوامل القوة الكامنة فيها ، اذا احسنت استخدامها ، وفي الايمان بهذه القاعدة ما يبعث على الامل « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وقد لوحظ مع الاسف أن الشرقي لا يزال قليل العلم بشؤون بلاده التي أعقبتها إهماله الاهتمام بأحوال شعوبها والعوامل المؤثرة فيها، إلا قليلا ، على ما بين الشرقيين عامة — بالرغم من اختلاف الاجناس والعقائد واللغات — من الاشتراك في كثير من المميزات والصفات الخاصة بالشرق: من حيث التقاليد والمدارك ووجهة النظر الفلسفية في امور الحياة. على أن كثيراً من شعوبه متحدة في الجنس أو العقيدة أو اللغة ، وكلهم مشتركون في المنافع أو المصالح بحكم المجاورة أو المبادلة التجارية أو غير ذلك من الاسباب . وهذه العوامل من شأنها أن تشرك الجميع في الشعور بما يلم بهم عامة من اسباب الانحطاط، وبما يصيب كل شعب منهم خاصة من جراء ذلك . وقد بدت بوادر هذا الشعور في زماننا بالتصامن الضمني أو الصريح بين بعض هذه الشعوب للتعاون على النهوض في سبيل الرقي لخير العالم . ولما كانت الغرب بريقه المادي والفكري متما للشرق ولا غنى لاحدهما عن الآخر وان اختلفت الاديان ، أصبح من مصلحة الانسانية أن يكونا صديقين متضامنين في خدمتهما، لا خصمين عاملين على شقاقهما . لهذا رثي أنه قد حان الوقت لتأليف جمعية شرقية يكون غرضها

نشر علوم الشرق وآدابها والبحث في شؤونها : للعمل على ترقية شعوبه ،
وتكوين صلة تعارف بين أرباب الرأي والقلم منهم على اختلاف اجناسهم
لتبادل الآراء والمعلومات في هذه السبيل ؛ ثم لتكون رسول سلام وتعارف
بين الامم الشرقية التي لها من سوابق توارىخها المجيدة وحضاراتها القديمة
وتقاليدها القوية ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثمينة ما تستطيع
به أن يخدم بعضها بعضا وأن تتضامن في سبيل اسعاد المجتمع الانساني
وترقيته لخير جميع الاجناس والاديان .

ولهذا الغرض تألفت بمصر القاهرة جمعية الى ابطت الشرقية
المسطر قانونها بعد . وقد اختيرت مصر مركزا لها لمكانة موقعها الجغرافي
الخاص الذي كانت به ملتقى الامم من اهل المشرق والمغرب المارين بها
أو المقيمين فيها . ومن ثم كانت هي الواسطة بين الشرق والغرب ،
وعولت الجمعية على الوصول الى غرضها السلمي العمري بالوسائل
العملية العملية . وهي تقبل في عضويتها كل طالب من اهل الفكر واجاء يعمل
على تحقيق أغراضها بالتمييز بين العقائد والاجناس

وستجعل في مقدمة منهاجها دراسة جغرافية الشرق وتاريخه ، وكذا
علوم الامم الشرقية وآدابها وحضاراتها ، والتنقيب عن عاداتها وآثارها ،
والبحث في علل تدهور هذه الامم ، وعقد المؤتمرات الدورية للنظر في
وسائل رقيها الادبي والمادي ، وتسهيل التعامل وتبادل المنافع بينها ، ثم
التوفيق بين حضاراتها وآدابها وبين الحضارة الغربية وآدابها بما تقتضيه
مصلحة الوقت ، لتوثيق روابط الوداد والاتلاف بين الشرق والغرب .
والله المسؤول أن يوفقها لما تريد وأن يؤيدها بروح من عنده

قانون جمعية الرابطة الشرقية

إن الموقعين على هذا ، قد نظروا فيما آلت اليه أحوال الامم الشرقية من التخاذل والانحطاط فأرأوا بعد البحث أن يسعوا الى تلافى ذلك بتأسيس جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية الامم الشرقية : بالعلم الذي هو أساس كل فلاح ، وبإحكام الروابط بين هذه الامم ، وبإحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضائله ، مع الأخذ بما في مدينة الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية . وذلك بمقتضى المواد الآتية :

- ١ - ألقت في القاهرة جمعية علمية اجتماعية باسم «جمعية الرابطة الشرقية»
- ٢ - شعار الجمعية «الارواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» .
- ٣ - غرض الجمعية نشر المعارف والآداب والفنون الشرقية ، وتعميمها وتوسيع نطاقها ، وتوثيق روابط التعارف والتضامن بين الامم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها
- ٤ - يشترط في أعضاء الجمعية أن يكونوا من أهل المسكاة والجماه في الشرق أو من أهل الرأي في المصلحة العامة ، أو من أرباب القلم في أي لغة من لغات الشرق ويجب أن يكونوا من أولي الحرص والعمل على تحقيق غرض الجمعية .
- ٥ - تتوصل الجمعية الى غرضها بالوسائل العلمية والاقتصادية . وتبث دعوتها بالقلم واللسان ، وتشر ما ترى فيه المصلحة بأي لغة تراها .
- ٦ - تنشر الجمعية مجلة تتضمن محاضراتها ومباحثها العلمية والادبية والاقتصادية والآثرية ، وتحيي بواسطتها آثار السلف ، وتدون فيها أيضا ما ترى منه فائدة لتحقيق غرضها .
- ٧ - المركز الرئيسي للجمعية مدينة القاهرة .
- ٨ - تكون للجمعية شعب في كل قطر من الاقطار الشرقية . وللجنة المركزية ولكل شعبة انشاء ما تراه من الفروع في المدائن الداخلة في دائرتها

٩ - يتألف مجلس ادارة الجمعية في القاهرة من رئيس ونائبي رئيس وأمين صندوق وكاتب سر عام وثلاثة مساعدين (عربي وتري وفارسي) ومن سبعة أعضاء يعينون بطريق الاقتراع المصري . على أن يكون ثلاثة منهم من الشرقيين غير المصريين

١٠ - يتخذ المجلس الادارة من مركزه ناديا للاجتماعات العامة والخاصة ولانقاء المحاضرات . ويدعو اليه ويستقبل فيه الوافدين على ديار مصر من نبراء الشرقيين والمستشرقين وفضلائهم لاحكام روابط التعارف والتضامن .
١١ - تعقد الجمعية في كل ثلاث سنوات مؤتمرا شرقيا عاما يتألف أعضاؤه من جميع الامم التي ينتظم افراد منها في سلك الرابطة الشرقية : لاجل التعارف والتألف ، وتبادل الافكار والمعارف ، والبحث في الاعمال والوسائل التي اتخذت في المركز العام وفي سائر الشعب والفروع لتحقيق غرض الجمعية .

ويجوز عقده هذا المؤتمر بصفة فوق العادة . اذا دعت الحاجة الماسة الى ذلك
١٢ - يكون من أغراض المؤتمر الاساسية توحيد الاصطلاحات اللغوية التي تقضي بها الاحوال العمرانية في هذا الزمان ، وتوحيد الخط العربي وترقيته بين الشعوب التي تكتب به لغاتها بحيث يكون وافيا بالحاجات التي طرأت على هذه الشعوب بعد تقريره على الحالة المعهودة للآن ، والسعي لوضع وحدة للمعاملات بين الامم الشرقية من حيث النقود والموازين والمقاييس والمساكيل ونحو ذلك من الامور التي تزيد في أسباب التفاهم بين الامم الشرقية مما تدعو اليه التجارة والتعامل وكل الاسباب الاقتصادية العامة .

١٣ - على كل شعبة أن تقدم الى المركز العام بالقاهرة تقريراً سنوياً في خلاصة أعمالها . وهذه التقارير تعرض على المؤتمر العام عند انعقاده .

١٤ - ينعقد المؤتمر العام أول مرة بمدينة القاهرة في الموعد الذي يحدده مجلس ادارة الجمعية . وقبل ختامه ينتدب لجنة من أقطار مختلفة لتقرير محل الاجتماع التالي في عاصمة قطر آخر أو في مدينة من كبرى مدنه . وعلى هذا السن يكون كل اجتماع دوايك .

١٥ - يكون لكل شعبة في كل قطر عقده مؤتمر محلي قبل المؤتمر العام بستة أشهر على الأقل . تبسط فيه ما يتعلق بشؤون أمتها الخاصة والمسائل التي يجب عرضها على المؤتمر العام القادم .

ولكل شعبة اصدار مجلة خاصة بها لتحقيق غرض الرابطة في دائرة حدودها
١٦ - تفاصيل العمل بهذا القانون موكولة الى مجلس ادارة الجمعية بمصر .
وكل شعبة مستقلة في وضع لائحتها الداخلية وادارة اعمالها ، بشرط أن
لا تخرج عن القواعد الاساسية المقررة في هذا القانون .

الاعضاء المؤسسون (مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء)

احمد زكي باشا كاتب السر الموقت

صالح جودت بك

عبد الحميد البكري (السيد) الرئيس الموقت

محجوب ثابت بك (الدكتور)

محمد بنحيت (الشيخ)

محمد التفتازاني الغنيمي (السيد)

محمد رشيد رضا (السيد) طرابلس الشام

مهدي رفيع مشكي (ميرزا) فارس

نور الدين ، صطفى بك توكية

﴿ تأليف الجمعية بالفعل ﴾

بعد وضع المؤسسين لهذا القانون أرسلت نسخ منه الى مئين من أهل
العلم والادب ومن الوجهاء وطلب منهم أن يكتبوا الى كاتب السر الموقت
(أحمد زكي باشا) بالرغبة في الانتظام بسلك الجمعية من شاء منهم ذلك . ثم دعي
جميع من أجاب الدعوة الى الاجتماع في دار الرئيس الموقت للجنة المؤسسة
ليبدوا رأيهم في القانون وينتخبوا أعضاء مجلس الادارة بأنهم هم الجمعية العامة
وقد اجتمع عدد كبير بعد ظهر يوم الاحد ٢٢ جمادى الآخرة الماضي (١٩
فبراير) بدار صاحب السماحة الرئيس الموقت وكان في مقدمة الحاضرين
الاميران الجليلان يوسف كمال واسماعيل داود وافتتحت الجلسة بتلاوة آي
الذكر الحكيم ثم ألقى حضرة صاحب السماحة السيد البكري خطبة افتتاحية
نوه فيها بفضل الشرق والشرقيين وما كان لهم من المنزلة في الحكمة
والعلم والادب ثم أبان الغرض من الاجتماع ودعا الحاضرين الى اقرار قانون

الجمعية وانتخاب أعضاء مجلس الإدارة. وبعد المناقشة أقرت أغلبية الحاضرين القانون وشرع في الانتخاب بطريقة الاقتراع السري، ثم أعلنت نتيجة الانتخاب في الجلسة وبلغت بعد ذلك للصنف وهي :

صاحب السباحة السيد عبد الحميد البكري رئيس وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بنحيت نائب رئيس وصاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا نائب رئيس وأصحاب السعادة والعزة أحمد زكي باشا كاتب السر العام وميرزا مهدي بك رفيع مشكي أمين التجار أمين الصندوق والسيد محمد الفخيمى التفتازاني مساعد عربي لكاتب السر العام ونور الدين بك مصطفى مساعد تركي لكاتب السر العام ومحمد رضا قزويني افندي ناصر التجار مساعد فارسي لكاتب السر العام وصالح جودت بك والاستاذ الدكتور محبوب ثابت وأحمد شفيق باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق والامير حبيب لطف الله وأميل زيدان افندي والشيخ عبد المحسن الكاظمي أعضاء

العبر التاريخية في اطوار المسألة المصرية

٢

نشرنا تحت هذا العنوان في الجزء الاول نص البلاغ الرسمي الذي رفعه عدلي باشا رئيس الوفد الرسمي المصري الى السلطان بشأن مفاوضاته مع الدولة البريطانية في عاصمتها وفيه ترجمة المذكرة التي وضعتها نظارة خارجيتها لمشروع الاتفاق بينها وبين مصر وترجمة رد الوفد المصري عليها وعدم قبوله إياها وانقطاع المفاوضات بذلك

ثم ترجمة البلاغ الذي أنهأه نائب ملك الانكليز الى سلطان مصر في شأن تفسير مشروع نظارة الخارجية البريطانية وتأيمده، وقفينا عليه بتعليق وجيز في بيان سوء تأثير المشروع وبلاغ نائب الملك في الامة المصرية وتفعله إياها باجماع الكلمة على رده والاستعصاء بالاستقلال التام للبلاد حتى أشد الناس مقاومة لسعد باشا وحزبه ورغبة في الاتفاق مع الانكليز

وقد كنا نريد أن نكتب مقالا مطولا في تفنيد الشبهات البريطانية وما فيها من العبر لنا في مصر والعراق وسورية وسائر بلاد العرب التي يدب فيها

ديب الدسائس البريطانية والمطامع الاستعمارية ، ولكن اجماع كلمة الامة المصرية على مقاومته المشروع البريطاني بكل شدة وعدم الخنوع لما فيه من تهديد الفطرسه والعظمة وشروعها في مقاطعة التجارة الانكليزية وكل ما هو انكليزي من الاشياء والاناسي واغتيال الموظفين والجند عند الامكان وتعذر تأليف وزارة تكون آله المستشارين ونائب الملك في استمرار الادارة السابقة.. قد حمل نائب الملك (لورد اللاني) على السفر الى عاصمة حكومته بأمرها ليطلعها على حقيقة الحال في هذا القطر وما يراه من وجوب الاعتراف باستقلال وترك ادارة البلاد لاهلها ، مع قيود تحفظ بها المصالح البريطانية فيها ، فذهب يصحبه اثنان من أعقل رجالهم في هذه الديار وهما مستشار الداخلية الجنرال جلبرت كليتون ومسترايس مستشار الحقانية فمكثا أياما قليلة في لندن أقنعا فيها الوزارة بوضع المشروع الآتي الذي جاء به . وهذا نص البلاغ الرسمي فيه :

الى ثيقتة الاولى

﴿ كتاب اللورد اللاني الى عظمة السلطان ﴾

يا صاحب العظمة :

- ١ — أتشرف بان أعرض لمقام عظمتكم ان الياس قد ذهبوا في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها الى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها وهو ما آسف له أشد الاسف
- ٢ — واقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة ان كثيراً من المصريين ألقى في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك ان ترجع في نيتها القائمة على التسامح والعطف على الاماني المصرية وانها تنوي الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسي اداري لا يتفق والحربات التي وعدت بها
- ٣ — غير انه لا شيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة بل ان الاساس الذي بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التي تطلبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكماً وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد

المستقلة من مميزات أهلية ومن مركز دولي

٤ — واذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات أنها تجاوزت الحد الذي يلتزم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم ان انجلترا إنما ألجأها الى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تطلب منها أشد الحذر خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية . على ان الاحوال التي يربها العالم الآن لن تدوم ولا يلبث كذلك ان يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة ، والامل وطيد في ان الاحوال العالمية صائرة الى التحسن ، هذا من جانب ومن جانب آخر، فكما قيل^(١) في المذكرة : سيجي وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هي من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الاجنبية

٥ — اما ان تكون انجلترا راغبة في التدخل في ادارة مصر الداخلية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولا تزال تقول ان اصدق رغباتها وأخلصها هو ان تترك للمصريين ادارة شؤونهم . ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذي عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى ، واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزاري المالية والحقانية فان الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما لتدخل في شؤون مصر ، وكل ما قصده هو أن تستبقي اداة اتصال تستدعيها حماية للمصالح الاجنبية

٦ — هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية ولم تصدر هذه الضمانات قط

عن رغبة في الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة في حكومة أهلية

٧ — فاذا كانت هذه هي نية انجلترا فلا يمكن لاحد ان ينكر ان انجلترا

يفرّ عليها أن ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الاجل الذي يبلغون فيه

مطمعاً ترغب فيه انجلترا كما تتوق اليه مصر ، أو ان ينكر انها تكره ان ترى

نفسها مضطرة الى التدخل لرد الامن الى نصابه كلما أدركه اختلال يثير مخاوف

الاجانب ويجعل مصالح الدول في خطر ، وانه ليكون مما يؤسف له ان يرى

المصريون في التدابير الاستثنائية التي اتخذت أخيراً أي مساس بمطامعهم الاسمي

(١) قوله : هذا من جانب الخ تركيب غير صحيح في اللغة

أرأية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التي سبق بيانها ، فان الحكومة البريطانية لم يعل غرضها أن تصع حداً لتبييغ ضار قد يكون اتوجيهه الى اهواء العامة نتائج تذهب بشمرة الجهود القومية المصرية ، ولذلك كان الذي روعي بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية التي تستفيد من ان البحث فيها يجري في جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص

٨ — والا ن وقد بدأت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكومة التي هي قوام الخلق المصري ، والتي تتغلب في الساعات الحاسمة ، فاني اسعيد أن أنهي الى عظمتكم ان حكومة جلالة الملك تنوى أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا والتي على يقين بان هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الاساس لحل المسألة المصرية حلاً نهائياً مرضياً

٩ — وايسأت ما يمنع الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسي والاقتصادي لمصر

١٠ — اما انشاء برلمان يشتمع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة في حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالامر فيه يرجع الى عظمتكم والى الشعب المصري

واذا أبطأ لاي سبب من الاسباب انفاذ قانون التضمينات (اقرار الاجراءات التي اتخذت باسم الساطة العسكرية) الساري على جميع ساكني مصر والذي أشير اليه في التصريح الملحق بهذا فاني أود أن أحيط عظمتكم علماً بانني الى ان يتم انفاء الاعلان الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ سأكون على استعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية في جميع الامور المتعلقة بحرية المصريين في التمتع بحقوقهم السياسية

١١ — فالكلمة الآن لمصر واته ليرجي انها وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونيتها تسترشد في أمرها بالعقل والروية لا بعامل الاهواء ولي مزيد الشرف أن أكون الخادم المطيع

(اللبني فيلد مارشال)

القاهرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢

الوثيقة الثانية

(مرفوعة من لدن فخامة المندوب السامي الى عظمة سلطان مصر باسم
تصريح لمصر)

« بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنيتها التي جاهرت بها ترغب في الحال
في الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة

وبما ان للعلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية
بالامبراطورية البريطانية ، فبموجب هذا تعلن المبادئ الآتية :

١ — انتهت الحماية البريطانية على مصر . وتكون مصر دولة مستقلة
ذات سيادة

٢ — حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار الاجراءات التي
اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ الفعل على جميع ساكني مصر تلغى الاحكام
العرفية التي أعلنت في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤

٣ — الى أن يحين الوقت الذي يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة
الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالامور الآتية بيانها وذلك بمفاوضات
ودية غير مفيدة بين الفريقين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولي
هذه الامور وهي :

- أ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر
- ب الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بواسطة
- ج حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات
- د السودان

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحال فيما يتعلق بهذه الامور على ما هي
عليه الآن»

﴿ تأليف الوزارة الجديدة ﴾

﴿ أمر كريم نمرة ١٣ لسنة ١٩٢٢ ﴾

(صادر لحضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا)

عزيزي عبد الخالق ثروت باشا :

ان الفرار الذي ابلغنا اياه حضرة صاحب المقام الجليل المندوب السامي للدولة بريطانيا العظمى فيما يختص بانتهاء الحماية البريطانية على مصر وبالاعتراف بهادولة مستقلة ذات سيادة يحقق أحر أمنية لنا واثعبنا العزيز وهو ثمرة الجهاد القومي الذي نعهدناه على الدوام بالتشجيع والتأييد . ولا ريب عندنا في ان استمساك الامة بروابط الوئام والاتحاد والتزامها بجانب الحكمة في هذا الدور الجديد من حياتها السياسية كفيل بتحقيق كامل امانها

ونظراً لما نعرفه لكم من الجهد المشكور في خدمة القضية المصرية ولما لنا من الثقة التامة بكم وما نعهدده فيكم من الجدارة الكاملة للقيام بمهام الامور — اقتضت ارادتنا السلطانية توجيه سند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة اهمدتك . وقد أصدرنا أمراً هذا لدوائكم الاخذ في تأليف وزارة جديدة يكون من بينها وزير للخارجية وعرض مشروعه لجانبنا لصدور مرسومنا العالي به

ولما كان من أجل رغباتنا أن يكون للبلاد نظام دستوري يحقق التعاون بين الامة والحكومة لذلك يكون من أول ما تعنى به الوزارة اعداد مشروع ذلك النظام وانا نسأل الله العلي القدير أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا ورحاياتنا بالخير والسعادة وهو المستعان

الامضاء

صدر به سراي عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ — أول مارس سنة ١٩٢٢ فؤاد

﴿ برنامج الوزارة ﴾

يا صاحب العظمة :

أتقدم الي سدة عطمتكم بفائق الشكر على ما تفضلت فأوليته من الثقة السامية اذ عهدت الي بتأليف الوزارة الجديدة ووجهت لي رتبة الرئاسة الجليلة

واني لا تشرف بأن أعرض على عظمتكم أسماء الوزراء الذين تتألف منهم
هيئة الوزارة وقد قبلوا مشاركتي في العمل وهم : —

اسماعيل صدقي باشا	وزارة المالية
وابراهيم فتحي باشا	» المارينية والبحرية
وجعفر والي باشا	» الاوقاف
ومصطفى ماهر باشا	» المعارف العمومية
ومحمد شكري باشا	» الزراعة
ومصطفى فتحي باشا	» الحفانية
وحسين واصف باشا	» الاشغال العمومية
وواصل سميك بك	» المواصلات

وقد احتفظت بوزاري الداخلية والخارجية

فاذا وقع هذا الاختيار موقع الاستحسان لدى عظمتكم يصدر المرسوم العالي
بالتصديق عليه

يا صاحب العظمة :

لا يكن لزملائي ولي ونحن نشاطر الامة امانيتها في الاستقلال الا أن نقر الوفد
الرسمي الذي تولى المفاوضات اعقد اتفاق مع بريطانيا العظمى على ما فعل . فلم
يكن يسعنا أن نتولى اعباء الحكم مادامت المبادئ التي تسترشد الحكومة البريطانية
في سياستها نحو مصر هي تلك التي كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام
الماضي ومن المذكرة التفسيرية التي تلتها . فان تولى الحكم في ظل مثل هذه المبادئ
قد يكون فيه معنى القبول بها

غير ان الكتاب الذي رفعه نخامة المنسذوب السامي البريطاني الى عظمة بكم
وتصریح الحكومة البريطانية في البرلمان قد أحدثا في الحالة تغييراً كبيراً . فأصبح
من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذاً نرى أن الشعور القومي أصاب أرضية من
هاتين الوثيقتين لا من ناحية الاعتراف باستقلال مصر حالاً وقبل أي اتفاق
فحسب بل ولأن المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأي عهد سابق

أما وقد جزنا هذا الدور بخير فلم يبق على مصر الا أن تثبت لبريطانيا العظمى أن ليس بها في سبيل حماية مصالحها من حاجة لاتشدد في طاب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات في هذا الصدد وأجابه أثرأهي حسن نية مصر ومصالحتها في حفظ العهد

على ان الوزارة ترى انه لكي تكون جهود البلاد في سبيل تحقيق كامل أمانها بحيث تؤتي جميع ثمرها يجب أن يؤلف بين عمل الحكومة وبين عمل هيئة تنوب عن الامة وان تسعى الهيئتان متساندتين لاغراض متحدة

ولذلك فان^(١) الوزارة عملاً بأوامر عظمتكم ستأخذ في الحال في اعداد مشروع دستور طبقاً لمبادئ القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسؤولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسي المقبل وغني عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضي إلغاء الاحكام العرفية وأنه على أي حال يجب أن تجري الانتخابات في أحوال عادية وفي ظل نظام تتمتع معه جميع التدابير الاستثنائية، وقد سلمت بهذا الوثيقتان اللتان أبلغتما أخيراً الى عظمتكم وستتخذ الوزارة بلا امهال ما يدعو اليه الامر في ذلك من التدابير كما انها ستبذل جهودها اعتماداً على حسن موقف الامة في الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية عملاً بالاحكام العرفية

هذا وان إعادة منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسي والقنصلي لمصر في الخارج

ونظراً لان النظام الاداري الحالي لا يتفق مع النظام السياسي الجديد ومع الانظمة الديمقراطية التي شتمنحها البلاد فان الوزارة قد اعترفت أن تتولى الامر بنفسها وبلاشريك في الحكم الذي ستتحمل كل مسؤوليته امام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها في ادارة شؤون الامة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها

والوزارة موقنة بأن أكبر عامل لنجاح مصر في تسوية المسائل التي بقي حلها

(١) هذا التعبير يكثر في الجرائد وكتب أهل هذا العصر وهو خطأ وما بعد انفاء لا يعمل فيما قبلها. وفاء السببية تقدم على لام التعليل اذا احتيج اليهما معا

وأقوى حجة تستعين بها في تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد
متحدة الكلمة مؤلفة القلوب وان تأخذ بدواعي النظام وتلتزم جانب الحكمة
والوزارة تحيي العصر الجديد الذي كان لعظمتكم أجل أثر في طلوعه على
الامة بفضل ما بذلته عظمتكم من المساعي الوطنية العالية وهي واثقة أن ستلقى من
لدى عظمتكم كل تأييد في عمل القيد وانها تترجو أن يجيء مكالا لمجهود البلاد
واني لأزال لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم الخاص الامين ثروت
القاهرة في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)
(المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة)

نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على الامر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ وبعد
الاطلاع على امرنا الكريم الصادر في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ (أول مارس سنة ١٩٢٢)
وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء
رسمنا ما هو آت : المادة الاولى

عين عبد الخالق ثروت باشا وزيراً للداخلية والخارجية
اسماعيل صدقي باشا وزيراً للمالية ابراهيم فتحي باشا وزيراً للحربية والبحرية
جعفر باشا والي » للاوقاف مصطفى ماهر باشا » المعارف العمومية
محمد شكري باشا » للزراعة مصطفى فتحي باشا » للحقانية
حسين واصف باشا » للاشغال العمومية واصف سميكه بك » المواصلات
المادة الثانية — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا

صدر بسراي عابدين في ٢ رجب سنة ١٣٤٠ أول مارس سنة ١٣٤٠ (فؤاد)

بأمر الحضرة السلطانية رئيس مجلس الوزراء ثروت

(المنار) — هذا ما نشرته الحكومة في الصحف وعلم مما نشر قبله أنه
كان نتيجة لسمي جماعة رشدي باشا وعدلي باشا ولكن الذي تولى العمل
وظهر به في هذه الكرة عبد الخالق ثروت باشا فهو الذي أخذ على عاتقه
مواصلة المفاوضة مع الاورد اللبني في أمر تأليف وزارة بالشروط التي يقترحها

مفتئنا فرصة فشل الانكليز في تأليف وزارة يتخذونها آلة لإدارة البلاد كدأبهم منذ تمكنوا في أرض مصر وما زالت المساومة في ذلك دائرة بين القاهر ولندن حتى انتهت بما ذكرنا في مقدمة هذه البلاغات الرسمية من سفر اللورد اللنبي الى لندن وعودته بهذا المشروع وعلم بذلك ان ثروت باشا ذو شجاعة أدبية يقل مثله فيها كما أنه ذو ذكاء وفطنة نافذة - وقد انبرى لهذا العمل وهو يعلم ان المعارضين يكيدون له ويستعدون لاغتياله وقد شرعوا في ذلك بالفعل فأنجاه الله من الموت واكتشفت الجمعية التي تواطأت على ذلك وحاولته وحكم على بعض أفرادها بعقاب شديد هذا وان الامة قد قابلت هذا التصريح البريطاني بالفاء الحماية على مصر والاعتراف باستقلالها التام وتأليف الوزارة بفتور وتغور، وعدوه خداعاً بريطانياً وان لم يشترط على مصر أن تعترف لهم في مقابلته بحق من الحقوق، ذلك بأنه تم على أيدي أصدقاء الانكليز، وبأنهم أخرجوا سعد باشا وبعض بطاقته وأنصاره من البلاد ووضعوه في جزيرة صغيرة في أقصى البحار، وبأن الاحتلال العسكري باق والحكم العربي باق، وبأن ما حفظوه لانفسهم من الحقوق مثار لاخطار كثيرة ولاسيما مسألة السودان . وسنذكر في جزء آخر ما فيه المبرة من الانباء والآراء في هذا الطور الجديد

الرحلة السورية الثانية

— ٩ —

جريت فيما كتبت من هذه الرحلة على طريقة بيان أحوال سورية الاجتماعية والادبية والسياسية في هذا الطور الجديد الذي دخلت فيه بعد الحرب لاعلى طريقة بيان تنقلي في البلاد بتاريخه وذكر المشاهدات وما يتبعها من الآراء تبعاً له كما اعتاد المؤرخون. وقد كان كل ما كتبت من فصول الرحلة بياناً لما فيه الفائدة مما رأيت وخبرت وجرى لي في الساحل مدة إقامتي فيه متردداً بين بيروت وطرابلس وأخرت الكلام على دمشق وما يتبعها عمداً، وكنت عازماً على اطالة الكلام في شأنها. وقد بدا لي الآن أن أختصر لما كان من التراخي في كتابة الرحلة ونشرها ولا تني ذكرت بعض ما حدث في الشام بعد ذلك في بعض المقالات التي قبضت الحال يبيان بعض

حقائق المسألة العربية فيها، وكان مرضعها اللائق بها الرحلة لولا الضرورة فأقول :

الحال العامة بدمشق في سنتي ١٣٣٧ و ١٣٣٨

قد علم من النبذة الثانية من هذه الرحلة التي نشرت في المجلد الحادي والعشرين (ص ٤٢٨ ..) ان وصولي الى دمشق كان (في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٧ — ١٤ سبتمبر سنة ١٩١٩) وانه اتفق ان اعلان عقبه كل من انكاثرة وفرنسة انهما اتفقتا نهائيا على تنفيذ معاهدة (سايكس وبيكو) المعروفة باتفاق سنة ١٩١٦ وان انكاثرة ستخرج جنودها من المنطقتين الشرقية والغربية من سورية وتترك الاولى للجيش العربي الحجازي والثانية للجيش الفرنسي — وان اهل سورية عامة كانوا يظنون قبل هذا الاعلان ان الدولتين الحليقتين عدلتا عن تنفيذ هذا الاتفاق لما راوه من تنازع سياستيهما أثناء مجيئ اللجنة الاميركية لاستفتاء اهل البلاد . وكنت بينت في تلك النبذة ان الناس احفوني بالسؤال عن سبب هذا الانقلاب وذكرت فيها ملخص جوابي لاهل الرأي منهم ولكن المراقبة على المطبوعات بمصر في ذلك العهد منعت نشر ذلك كله وانما نشر منه بعض المقدمات فكان الكلام أبتر غير مفيد ولم أعلم بذلك الا عند مراجعته الآن وسألخص ما حذف منه في موضعه

لقد كان الفرور بخديمة الانكليز للسوريين وغيرهم من العرب في أثناء الحرب بأن استقلالهم سيكون مكفولا بانتصار الحلفاء في الحرب بما بينهم وبين ملك الحجاز من العهود والحلف، فلما جلا الترك عن سورية وكان أول من دخلها الامير فيصل بجنده المؤلف من السوريين والعراقيين والحجازيين اعتقدوا أن الاستقلال قد تم والسلطنة العربية قد تم أمرها ونصب عرشها، ولم يكن نزاع العلم العربي من بيروت وغيرها من السواحل — ولا خطب سايكس — وبيكو الخادعة ولا استيلاء السلطة العسكرية الفرنسية في الساحل على الادارة — بذهاب بذلك الوهم الخادع . وقد ألمنا بشيء من هذا المعنى في الفصاين السادس والسابع من الرحلة ومنه يعلم أن الريب دب ديبه الى اهل الساحل ثم انتشر فيهم أولا بتأثير السلطة الفرنسية المحتملة

نعم ان الاذكياء في دمشق قد اضطربوا لاعلان الدولتين الاتفاق على تنفيذ اتفاق (سايكس وبيكو) وكانوا قد عرفوا حقيقته ولذلك كثر سؤالهم اياي عن رأيي

فيه وهل يعقل أن تنقلب سياسة انكلترة بهذه السرعة فتسمح بسورية لفرنسة . وقد ذكر في النبذة الثانية من جوابي لهم ان السياسة البريطانية لم تتغير في المسألة وایس لعقل أن يظن انها تفضل العرب على فرنسة وانما عرض لفرنسة أمل بأخذ سورية كلها بحجة إجماع السوريين على وحدة البلاد وعدم تقسيمها . وأما بقية الجواب الذي منعت المراقبة نشره يومئذ فهو ان انكلترة لما شعرت بهذا الطمع من فرنسة استعانت بالامير فيصل وحزبه على نبذ السواد الاعظم من أهل المناطق السورية الثلاث للانتداب الفرنسي والمساعدة الفرنسية وقد تم هذا وظهر باستفتاء اللجنة الاميركية لأهل البلاد . وغرض انكلترة من ذلك أن تعلم فرنسة أنها اذا شدت عن الاتفاق معها وحاولت أخذ فلسطين بحجة اتفاق الاهالي على طلب وحدة البلاد فانها هي قادرة على حرمانها من كل شيء برأي أهل البلاد الذي جعل له الاعتبار الاول في عهد عصبة الامم ! فلما رأت فرنسة ذلك قنعت بنصيبها في اتفاق سايكس بيكو حتى بعد تعديله بما هو في مصلحة الانكليز

مع هذا كان أهل المنطقة الشرقية عامة وأهل دمشق خاصة يظنون أن استقلال منطقتهم مضمون فان قاتهم إلحاق المنطقتين الآخرين بهم فلن يفوتهم التمتع بالسلطان القومي في منطقتهم . وازداد شعورهم قوة بهذا بعد جلاء الجيش البريطاني وما تلاه من ترك المراقبة على الحكومة وان كانت لا تزال عسكرية تابعة للقائد العام للجيش البريطاني

كانت مظاهر هذا الشعور بالاستقلال، تبعث في أنفس الشعب السرور وتقوي الآمال فقد صارت دواوين الحكومة ومصالحها عربية والتعليم في المدارس الرسمية كغيرها بالعربية ، وتلاميذ المدارس كانوا يتعلمون أناشيد الاستقلال، فيتربون بها صباح مساء، وكانت البرقيات المبشرات والمسكنات ترد على الحكومة من الامير فيصل أو من مندوبه النائب عنه لدى الحلفاء وفي مؤتمراتهم (أحمد رستم بك حيدر) وكانت الاجتماعات والمظاهرات حرة تنفخ في هذه الاماني روحاً حياً، كل ذلك كان يبعث السرور في كل نفس لم تستشف شيئاً مما وراءه حتى ان سليم بك شاهين أحد أصحاب المقطم قال لي في بيروت إني أقمت في دمشق يوماً واحداً فبعث في روح حياة عربية

ووطنية جديدة ، ولا أرى هنا إلا أمارات الذل والموت التي تبعث الحزن والاسى
لقد كنت أعلم ما لا يعلم أهل وطني من نية الخلفاء فيهم وتواطؤهم على بلادهم ومن بناء
عهدهم على الدخول وعودهم على الغش ، وأنهم اذا وفوا لملك الحجاز بما وعدوه به ولو
على الوجه الذي طلبه منهم فيما يسميه « مقررّات النهضة » لم تكن البلاد العربية
ولا الحجاز منها الا مستعبدة تحت نير السلطة الاجنبية ، فلماذا لم أكن أشعر بشيء
مما يشعر به الجمهور من السرور ، المنبعث عن الفرور وانما كنت أعتقد أن الامة لا يزال
يمكنها أن تعمل لاستقلالها عملاً تضطر الطامعين الى احترامه اذا وجد فيها عدد
من الرجال الاكفاء وهذا ما كنت أبعده وأعيده للسائلين ولا سيما من هم مظنة
العمل من الاخوان ، حتى بعد ان تم ماسعيت اليه معهم من اعلان الاستقلال ، فاني
لم أكن أعده الا تقوية لحرية العمل باخراج الحكومة من مضيق العسكرية التابعة
للقادة البريطانية الى فضاء الحرية الوطنية ، لتكوين قوة من الجند المنظم ومن العشائر
والقبائل التي يمكن تنظيمها لتوطيد الامن والنظام ، وإقامة الحجة المحترمة لدى الخلفاء
على القدرة على الاستقلال ، وهذا ما كنت أبعده وأسعى اليه ولم يوجد في رجال الحكومة
من هو أهل للبهوض به ، ولذلك كان لساني صامتاً في كل تلك الاحتفالات العظيمة
التي أقامتها الحكومة وكذا الشعب فلم أخطب في شيء منها على ما كان من الالحاح
علي في كل احتفال بطلب ذلك . وانني اذكر مسألة صرحت فيها برأبي بعدم الثقة
بمالة البلاد قبل اعلان الاستقلال ، وهي

دعوتي الى تولي المصالح الشرعية بدمشق

لم أكداً أستريح في دمشق من لقاء وفرد الزائرين حتى كاشفتي الحماكم العسكري
العام (علي رضا باشا الركابي) بما يرغبون أن ينيطوه بي من مساعدة الحكومة العربية
وهو تولي اصلاح (دوائر الامور الشرعية) ففي يوم الاحد ٢٦ ذي الحجة
(٢١ سبتمبر) وعدني بأن يزورني زيارة خاصة للمذاكرة والاستشارة في شؤون الحكومة
وما يطلب من مساعدتي لها وفي اليوم التالي أعاد الكلام معي فيما ينبغي من تقليدي
ادارة الامور الشرعية وهي الاوقاف والمحاكم الشرعية والتعليم الديني والمفتين ، وقال
انه طالبي من الانكليز خمس مرات وكان يظن ان الامتناع مني . فأخبرته بأن الانكليزية

لم تخاطبني بذلك البتة وانهم يصل الى منه الا الكتاب الذي أرسله في ضمن مكتوبات الحكومة لمدوبها التجاري بمصر الدكتور بشير القصار، وذكرته بما كتبتة اليه في الجواب عنه وهواني مستعد لمساعدة الحكومة العربية بكل ما استطيعه بشرط أن لا أتقيد بعمل رسمي. وذكرت مشربى وتريتي الصوفية التي بسببها وطنت نفسي على أن لا أقبل وظيفة ولا عملاً للحكومة ولا رتبة ولا وساماً طول عمري. . . ثم قلت له بعد محادثة طويلة: ضع لي مذكرة بالعمل لا رى رأيي فيه

وفي يوم الخميس (٣٠ ذي الحجة) أخبرني أن المشروع الذي تضعه الحكومة لإدارة الأمور الشرعية يتم يوم السبت الآتي ويقدمه لي ، وأنه كان كلم فيه الأمير فيصل قبل سفره الى أوربة فوافق هو ونائبه الأمير زيد على نوطه بي — فاعتذرت بمشربي الخاص و بالموانع العامة الأخرى وهي سوء حالة البلاد الداخلية والخارجية وعدم استقرار الحال السياسية . إذ البلاد لا تزال بحسب القانون الدولي تابعة للدولة العثمانية — والمستقبل مجهول — ثم بضعف الحكومة والإمارة وبأن الإصلاح الصحيح يلقي معارضة قوية من أهل الأهواء الذين يرتزقون بهذه المصالح الشرعية فإذا لم يكن للمصالح ركن شديد من قوة الحكومة لا يستطيع عملاً ، فاعترف بذلك وقال إنه هو الحجة التي يستند اليها في وجوب وجود مثلي، وإنتي سأكون حرافى عملي، وإن الإصلاح الذي تبنيه البلاد منى لا يتم الا بالقيام به بنفسى لان الارشاد بالقول والكتابة لا ينفع الا اذا وجد رجال أكفاء يقدرون على العمل به وهم غير موجودين (قال) يجب أن تستفيد بلادك من علمك الواسع واختبارك الدقيق مدة اقامتك بمصر بتطور البلاد المصرية وارتقاء الادارة والنظام فيها. وان ما نعلمه فيك من الغيرة وحب الإصلاح يحملنا على الاعتقاد بأن لا يخيب أمل وطنك فيك

وفي يوم السبت (٢ المحرم سنة ١٣٣٨) زارني الأمير زيد في الفندق بعد العصر ودار الكلام بيننا في حالتنا العامة فذكرت له ملخص ما أعلم من اتفاق والده مع الانكليز وأنه يتاني مصلحة العرب . ثم انتقلنا الى الكلام في سورية فكلمنى الأمير في شدة حاجة الحكومة الى مساعدتي لها فاعتذرت له بمثل ما اعتذرت لعلى رضا باشا فأجاب بمثل جوابه، ومما قاله ان الاخلاق في الشام ضعيفة جداً فان أكبر الرجال يرهبه أقل تخويف ويستميله أقل نفع ، فإذا لم

ينفخ مثلث ... بالاصلاح فمن ؟ ...

فقات له ان حجتكم علي وان كانت عندي ضعيفة من حيث مباغتكم في حسن الظن بي هي أقوى من حجتي عليكم بالتوصل من العمل ، واتني على علمي بضعفي لا أرتاب في قوة إخلاصي وحرصي على الاصلاح لذاته ، ولكن الاصلاح العام يعوزه الاعوان الا كفاء علماء ونزاهة وإخلاصاوم قليلون متفرقون وسأفاوض من أثق به منهم قولاً وكتابة ثم أبني على ذلك ما يتجدد من الرأي ، ولا أعد الآن بشي .
وسألني هل أحضر الاسرة وانتقل عملي من مصر الى الشام ؟ فقلت ان قببات المكث الآن في الشام للمساعدة فلا يمكنني أن أنقل أسرتي لما يقتضيه نقلها من النفقة الكثيرة والخسارة التي لا يسمح بها لمكث موقت ومركزنا في مصر ثابت لا يمكن التفريط فيه فلا بد من ابقائه على حاله حتى يستقر الامر في الشام على أساس ثابت . فأقرني على ذلك وجاءته وهو عندي برقية من أخيه الأمير فيصل يؤكده فيها وجوب السكنى في البلاد — اذ علموا ان الاهالي في اضطراب من جراء الاتفاق بين الانكليز والفرنسيين

وفي هذا اليوم أعطاني علي رضا باشا المذكرة التي وضعها لادارة الامور الشرعية وهي خاصة بالادارة والعاملين فيها — ادارة المدير العام — ومحكمة التمييز الشرعية — ولجنة التوجيه والانتخاب والامتحان والتدقيق والمعاهد والمدارس الدينية — وادارة الاوقاف العامة — وقلم الرسائل . وبلي ذلك الامور المالية لهذه الادارات ومن هذه القضية يعلم رأيي في حالة البلاد وحكومتها في سورية على حين كان الوجهاء والمتعلمون يعتقدون ان لها دولة ثابتة يتهافتون على مناصبها ووظائفها . وقد كان التزامهم على ادارة الامور الشرعية بعد مجيء الأمير فيصل وبعدها اعلان الاستقلال أعظم ، والتزامهم أشد ، وكان كثير من العلماء يختلفون الي للبحث فيها وقد كتبوا لي زهاء أربعين اسما قالوا إنهم على رأي واحد في أن يكونوا أنصارا لي ، ولا يدعون في رئاسة الامور العلمية لغيري ، فكان ذلك مما زادني فيها زهدا ، وعنها بعدا ، وذكرت لهم رأيي ومشربي كما ذكرته للملك فيصل بمناسبة ذكر هذه المسألة . وانتهى الامر فيها بعد الاستقلال وتأليف الوزارة الى إحداث وظيفة مدير للعلمية ، ليس له شأن في الاوقاف ولا المحاكم الشرعية . (للرحلة بقية)

بقرني المسكنة من يعاء ومن يوت المسكنة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

المسكنة
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ شعبان ١٣٤٠ - ٦ الثور (٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٢٧ أبريل سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

(س ١٢-١٧) أسئلة من الاستاذ صاحب الامضاء في سجادون (المنوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه
باحسان الى يوم الدين : من طالب الارشاد صاحب الامضاء الى حضرة صاحب
الفضيلة السيد محمد رشيد رضا محرر المنار، سلام عليكم (أما بعد) فأرجو الافادة التامة
الموضحة بالادلة القطعية على الاسئلة الآتية لازاتم محط رحال السائلين وناطقا

بالصواب ومعلينا شأن الاسلام والمسلمين : ونص الاسئلة هو

(١) ما سبب التعارض الواقع في كتب المذاهب الاربعة عند الكلام على تعدد الجمعة من حيث جوازه ومنعه؟ فمثلا روي في كتب الشافعية ان مذهب الامام الذي نص عليه هو منع التعدد مطلقا ، وقول بجوازه بشرط الحاجة ، وقول بالجواز مطلقا . ولم أر الاخير الا في كتاب صغير اسمه مرقاة الصعود للشيخ (نووي) مع خلوة الكتب الواسعة منه . وهي أقوال ظاهرة التناقض . وقد ورد في كتب المالكية ان للامام مالك قولاً واحداً وهو المنع ، ثم اذا قرأت في كتبهم تجد ما يقتضي قولهم بجواز التعدد بشرط الحاجة ، ثم بالجواز المطلق . ومثل ذلك في كتب الحنبلية . وفي كتب الحنفية ان للامام ثلاثة أقوال ويدكرون القول بالمنع وروايتين في الجواز انما يفيدان الجواز بشرط الحاجة ، ثم يدكرون القول بالجواز المطلق ، وأن عليه الامام السرخسي الحنفي وأتباعه هل ذلك التضارب وقع من نفس أئمة المذاهب؟ وعليه فما تأويله؟ أو وقع من المقلدين وعليه فما سببه؟ وفي أي عصر وقع . وما عين الصواب في المسألة وما وجهه وما دليله؟

(٢) هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أو سنة أو بدعة؟ واذا قلتم بالثاني أو بالاول فما دليله الصريح من الكتاب أو السنة ، وهل يقبل في العبادات ما يحتمل أن يكون دليلا، وهل عمل السلف الصالح — أهل القرون الثلاثة الاولى المشهود لهم بالخيرية ، والمأمورون نحن باتباع سنة الرسول وستتهم — بهذه الصلاة أو ثبت أن أحداً منهم أو من الائمة المجتهدين كان يصليها بعد صلاته الجمعة وهل صلاها الامام الشافعي ولو مرة؟ واذا قلتم بالثالث فمن اخترعها ولاي سبب وفي أي عصر وهل يعمل بقوله ويحمل الناس خصوصا العوام على فعلها واعتقاد وجوبها أو سنيتهما وهل اذا رد حنفي على شافعي بأن هذه الصلاة بدعة اخترعها بعض المتأخرين عند ما اعتورهم الشك في صحة الجمعة وأن في فعلها والقول بها افساداً لعقيدة العوام اذ هم يعتقدون فرضيتها وتعدد الغرض في اليوم؟ وهل يصح من الشافعي أن يقول ان مذهبنا غير مذهبكم ولا يُردّ بمذهب على مذهب ، وهل لقوله هذا دليل من القواعد الاصولية المتفق عليها أو من الكتاب أو السنة؟

(٤٣) هل المصلحة اليوم في العمل باعتبار الطلاق الثلاث بالقسط واحد واحداً كما هو طريقة رسول الله وأبي بكر وعمر في أول خلافته أو العمل باعتباره ثلاثاً كما أمضاه عمر — للتخلص من المحلل والحيل التي يعملها فقهاء البلاد من اعتبار العقد الأول باطلاً بالنسبة لمذهب الشافعي وتجديد العقد عليه أو من اعتبار مجرد العقد على غير الزوج كافياً في التحليل بدون ذوق عسلته أو من اعتبار مجرد الخلوة بزواج صغير لم يبلغ الحلم وبيات المرأة عنده ليلة أو أكثر تحليلاً . وما قيمة تلك الحيل من الصحة والفساد . وما جزاء فاعلها شرعاً وقانوناً ؟

(٦٥) هل شرع الطلاق لغير حل عقدة النكاح عند اليأس من التوفيق بين الزوجين بعد التحكيم حتى أصبح الرجل في حل من أن يطلق امرأته بأقل سبب وبدونه من غير تحكيم ؟ وهل ينعقد اليمين بغير الله تعالى أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته ؟ حتى أصبح الطلاق ، وأيمان المسلمين ، ورسول الله ، والنبي ، ودينه وذمته وغير ذلك أيماناً مغلظة يحنث الحالف بها إذا لم يبر بالمحلف عليه وهل كان ذلك معروفاً عند أهل القرون الثلاثة الأولى . وما معنى حديث (من حلف بغير الله فقد عظمه ومن عظم غير الله فقد كفر) وما مقتضاه

(٧) ما معنى « لا فضل لعربي على عجمي ولا لآحمر على أسود إلا بالتقوى » و « المسلمون متكافئون في الحقوق » وغير ذلك من أحاديث الرسول مع اعتبار الفقهاء الكفاءة في النكاح في الحسب والنسب والحرفة والثروة أمراً ضرورياً بطلبه الدين مع ظهور التضاد إذ أحد الطرفين يقول بالمساواة وعدم الامتياز إلا بالتقوى والطرف الآخر يقول بالتفريق بين بعض الناس وبعض في غير التقوى

(٨) وما هو المقياس الذي قيست به الحرف حتى حكم على بعضها بالخسة وبعضها بالشرف مع كونها لا بد منها جميعاً بل ربما كانت الحرفة التي نقول بنخستها ألزم من حرفة نقول بشرفها . وما سبب الحديث القائل « كسب الحجام خبيث » مع كونه يتفر الناس من تعاطي صناعة الحجام ، وهذا ربما يستلزم إبطالها مع شدة الحاجة إليها ، مع أن في حديث آخر ما يقتضي تعاطيها وهو « لو كان في شيء مما يشهدوا به الناس خير لكان في شرطة محجم » الخ

(١٠٩) هل في قوله تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) نص صريح على حل أنواع التحية من نهارك سعيد وليلتك سعيدة وغير ذلك أو هنالك حديث صحيح بين المراد من الآية ويمنع غير (السلام عليكم) وعليه فما هو . وهل يرد السلام على من ابتدأ به من غير المسلمين — والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته طالب الارشاد

محمد مقبول حلوه

﴿ الجواب عن المسألتين المتعلقتين بتعدد الجمعة وصلاة الظهر معها ﴾

الخلاف بين المذاهب في هذه المسألة كغيره من الخلاف والتعارض في المسائل الاجتهادية، وأسبابه معروفة وقد ألف بعضهم فيها رسائل خاصة ، ولا نرى من حاجة الى ذكر جميع مسائل الخلاف في الجمعة ودلائل المختافين أو تعليلاتهم وشبهاتهم وأشخاصهم لانها اضاءة للوقت فيما لا يتعلق به عمل ، وليس فيها أدلة قطعية اذ لا خلاف في القطعي وانما بنى الخلاف على أمر متفق عليه وهو أن عدم التعدد مطلوب شرعا اذا تيسر وانما المفيد هو الجواب عن المسألة الثانية وهي: هل صلاة الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم بدعة . والجواب عنها انها بدعة لانها ما حدث بعد الصدر الاول ، ولم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا اجماع من الصحابة وهو الاجماع الذي يعتد به في المسائل الدينية دون سواه ، ولا هي مما يثبت بالقياس لانها من المسائل التعبدية الموقوفة على النص اذ لو جاز ان تثبت العبادات بظنون المجتهدين وأقيستهم لمسا صح ان يكون قد أكمل الله الدين على لسان رسوله ، ولكن اكمل الدين ثابت في محكم القرآن وبالاجماع — ولجاز أن تتجدد في الدين عبادات كثيرة يكون المتعبدون بها أكمل ديناً من الرسول وأصحابه وذلك مما يعلم بطلانه بضرورة الدين ، ولكن القائل بوجوب صلاة الظهر أو سنتيها بالشرط الذي أداه اليه اجتهاده معذور في اجتهاده اذا لم يدع أحدا الى تقليده فيه ، ومثل هذا التقليد لم يدع اليه ولم يقل به أحد من الائمة المجتهدين ولم ينقل اليها ان أحداً من الصحابة أو علماء السلف المجتهدين صلى الظهر بعد الجمعة وقد جاء الشافعي بغداد وفيها عدة مساجد ولم ينقل انه كان يصلي الظهر بعد الجمعة ولو فعل لم يكن فعله شرباً يتهم

وقد فصلنا القول في المسألة في المجلدين السابع والثامن فليراجعها الاستاذ السائل وان وجد بعد مراجعتها حاجة الى سؤال آخر مفيد في المسألة فله ذلك

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق الثلاث باللفظ الواحد ﴾

لا يمتري أحد من المختبرين لحالة المسلمين في هذا العصر ولا سببا في مثل هذه البلاد في ان مفاسد امضاء وقوع الطلاق الثلاث باللفظ الواحد قد كثرت وان عدم امضائه والعمل فيه بما كان على عهد النبي (ص) ومدة خلافة أبي بكر وأول خلافة عمر هو أصلح مما جروا عليه في آخر خلافة عمر، وان ما كان يقصد اليه عمر من منع الناس به من طلاق البدعة ومخالفة السنة إن كان قد أفاد في عصره فامتنع الناس كلهم أو جلهم من ذلك الطلاق - فالامر في هذا الزمان على خلاف ذلك، اذ عمّت البدع، وجهلت السنن، وكثر خراب البيوت وفسادها بكثرة الطلاق، وتحليل المطلقات، واستغلال المرتزقين بالفتوى والتحليل ووكالة الدعاوى والقضاء لجهل الناس بتحليل ما يعتقدون تحريمه بالحيل الباطلة

﴿ الجواب عن مسألة الحيل وتحليل المطلقات وأمثاله ﴾

وأما هذه الحيل التي يسمونها شرعية فلو كانت مشروعة في دين الله باطلاق لكان الشرع هادما لنفسه، وجميع الحقوق والحدود فيه أمورا صورية يمكن لكل أحد التفصي منها، والتمتع بالمفاسد التي وردت النصوص القطعية بحظرها، والاغراء بالفسق والفجور وأكل أموال الناس بالباطل وبالكفر أيضا - فان من هذه الحيل ان ترتد المرأة عن الاسلام لينسخ نكاحها، وأن تمكن المرأة ابن زوجها من نفسها لينسخ نكاحها ونحرم عليه أبداً - وان يسكر مريد الزنا ثم يزني ليسلم من الحد بناء على قول من يقول ان السكران لا يؤخذ ان كان متعديا بسكره، وأن يهب المكلف بالزكاة أو الحج ماله الذي ثبت به ذلك عليه لامراته أو ولده قبيل انتهاء حول الزكاة أو خروج ركب الحج ثم يسترده بعد ذلك - وأمثال هذه المفاسد كثير. ولما ظهرت في بلاد الاسلام، وعلم بها بعض الائمة الاعلام، قالوا: ان

من أفتى بها فقد قلب الاسلام ظهرا لبطن، وتنقض دين الله عروة عروة، بل صرحوا بان الذي يقول بذلك أو يرضى به يكون كافراً خارجاً من هذه الملة وقد صح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس على منبر رسول الله (ص) وقال : لا أوتى بمحال ولا محال له الا رجعتهما . وقد أقره سائر الصحابة على ذلك فلم يخالفه فيه أحد كما خالفه ابن عباس وغيره في امضاء الطلاق الثلاث باللفظ الواحد . والروايات عن الصحابة والتابعين وعلماء الامصار في بطلان هذه الحيل كثيرة . وقد استقصى المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) دلائل بطلان الحيل وما احتج به المجوزون لها مع الرد عليهم وابطل شبهاتهم .

وأظهر أسباب هذا الفساد في الامة التقليد الذي مقتضاه اتباع العلماء في كل آرائهم وظنونهم الاجتهادية — والاجتهاد كله ظنون وبعض الظن إثم — وليس أحد منهم معصوما في اجتهاده بل لكل عالم زلات . حتى ان اجماع المجتهدين بعد الصحابة لم يقم دليل قطعي على انه حجة فهو غير مجمع عليه وقد خالف جمهور أئمة الفقه كثيراً من علماء الصحابة والتابعين ، فقاعدة التقليد التي عليها المنتمون الى المذاهب — وهو انه يجب على كل منتم الى مذهب ان يعمل بكل ما اعتمد المؤلفون فيه — بدعة لم يقل بها إمام مجتهد قط بل خرّمها جميع الائمة أي أثبتوا تحريم الله لها ولكن المقلدين يخالفونهم في أصول مذاهبهم وهم لا يشعرون هذا وان من الاحكام التي تدخل في عموم الحيل ما هو صحيح وهو مالا يخل بمدلول نصوص الشرع ولا ينقض حكمته فيه ومراده من درء المفسد وحفظ المصالح، وقد جعل ابن القيم الحيل قسمين محرمة وجائزة، فالاولى أن تكون الحيلة نفسها محرّمة والمقصود بها محرم، أو تكون مباحة ويقصد بها المحرم، والثانية ان تكون الوسيلة مشروعة والمقصود بها مشروعا، وقد سرد أمثلة كثيرة لكل قسم منهما واهلنا نعود الى تلخيص ذلك في مقالة أو مقالات فانه مما يحتاج اليه كل من يجب أن يكون على بصيرة من دينه

وما ذكره السائل من الحيل المألوفة في تحليل المطلقة كله باطل — فاما اعتبار العقد الاول باطلا على قول بعض الفقهاء الذين يشترطون في صحة العقد مالا

يشترطه غيرهم — كاشتراط الشافعي الولي العدل والشهود العدول — وجعل الطلاق غير واقع لانتهاء الزوجية فهو مفسدة ظاهرة ، فان الزوجين يلزمهما ما التزمنا من العقد وما يترتب عليه بعد العمل بمقتضاه مع اعتقاد صحته وهو المعاشرة الزوجية واستحلال البضع ، حتى اذا فرض انهما كانا قد تعاقدتا على مذهب قام الدليل عندهما على صحته ثم تغير اعتقادهما فان هذا التغيير لا يؤثر بعد انتهاء العمل ، فلا يجب على من كان يمسح برأسه في الوضوء أن يعيد كل صلاة صلاها اذا صار يعتقد أن مسح جميع الرأس واجب ، بل يجب أن يعمل بهذا الاعتقاد بعد ظهور ترجيحه له ، والمسائل المدنية أولى بالنفاذ والمضي على الصحة بالزامها والعمل بها لما يترتب على عدم الالتزام من المفاسد المتعلقة بالنسب والارث وغير ذلك ، وقد صرح بعض العلماء المحققين بان العمل ببعض المسائل المختلف فيها وحكم الحاكم بها يرفعان الخلاف حتى كأنه لم يكن ، ولا يتسع هذا الموضع للتطويل بالاستدلال ونقل الشواهد على ما ذكر وأما التحليل بمجرد العقد أو الخلوة بزواج صغير لم يبلغ الحلم فهو مخالف لنصوص الكتاب والسنة المثبتة بان التي طلقت ثلاث مرات لا تحل للاول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا عن رغبة وهو لا يتحقق الا بدوق العسيلة ، وقد أطال شيخنا الاسلام ابن تيمية في كتاب ابطال التحليل وابن القيم في اعلام الموقعين في بيان ذلك ودفع شبهات المشتبهين وتأويلات المختالين. ويستحق أولئك المحللون التعزير ولكن أين من يفعله؟

﴿ الجواب عن مسألة الطلاق قبل التحكيم ﴾

انما شرع الطلاق مع عده مكروها شرعا ومبغضا من الله عز وجل لاجل حل عقدة الزوجية اذا تعذر أو تعسر على الزوجين إقامة حدود الله تعالى في الزوجية بأن يقع بينهما من التباغض والشقاق مالا يستطيعان عليه صبرا. واردة الاصلاح والاستعانة عليها بتحكيم حكم من أهله وحكم من أهلها مما شرعه الله تعالى بنص كتابه ، ولكن ليس في هذا النص ولا في غيره دليل على توقف صحة الطلاق على تقديم التحكيم عليه والياس من الاصلاح به ، وأما ما جرى عليه الناس في مثل

هذه البلاد المصرية من الاسراف في الطلاق ، وبنائه على أوهى الاسباب ، فهو مما ينفذه الله ويكرهه شرعه وينبغي لحكام المسلمين اتخاذ الوسائل لتلافيه ، سدا لذرائع الفساد فيه

﴿ الجواب عن مسألة الحلف بغير الله ﴾

لا يجوز في الاسلام الحلف بغير الله وأسمائه وصفاته ، وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على ذلك ، وقال بعض العلماء ان عدم الجواز فيه يشمل التحريم والكراهة ، وقد فصلنا القول في هذه المسألة من قبل فراجعه في تفسير آية الايمان من أواخر سورة المائدة (ص ٣٣ — ٤٨ ج ٧ تفسير) وفي المنار وأما الحديث الذي ذكره السائل فقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث ابن عمر بلفظ « من حلف بغير الله فقد كفر » وفي رواية أحمد فقد أشرك . ولا أذكر له رواية باللفظ الذي أورده . فان لم تكن الزيادة التي ذكرها مروية فهي تفسير . اذ المراد على وجه ان من يحلف بغير الله لانه يعظمه كما يعظم الله ويتدين بالحلف به ويلتزم البر تعظيما له كما كانوا يحافون بالاصنام وبالكعبة فقد كفر ، وأوله بعض العلماء تأويلا آخر

﴿ الجواب عن مسألة التفاضل بالتقوى ومعارضته بكفاءة النكاح ﴾

لا شك في ان الاسلام قد أبطل ما جرى عليه كثير من الامم من تفضيل بعض الناس على بعض بأنسابهم أو حصر بعض المناصب الدينية أو المدنية فيهم ، أو بقوتهم وثروتهم ، وقرر ان الناس انما يتفاضلون بالعمل الصالح المبرر عنه بتقوى الله تعالى كما قال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وبالايمان والعلم كما قال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ولا يتعارض هذا مع الكفاءة في الزواج لان مسألة الكفاءة من المسائل التي يراعي فيها عرف الناس طرق عيشتهم وعلائق التواد والتعاب بالمصاهرة بينهم ، فاذا حكم بأن الرجل الفقير ليس كفؤا للمرأة الغنية فليس معنى ذلك انها أفضل عند الله منه أو أحق

بالتكريم من الناس بل معناه أنه لا يستطيع أن يقوم بنفقتها بما تعودت من أساليب المعيشة في طعامها ولباسها، وإن هذا قد يعود بالضرر والعار على أهلها، فكان لهم أن يعارضوا في تزوجها به يقال مثل ذلك في انتفاء الكفاءة بين الطبقات الدنيا من الصنّاع والعمال وبين بهوت الشرف والامارة، فإن كان في هذا شيء من متقد فالذنب فيه على الرأي العام والعرف المحكم بينهم، وقد فصلنا القول في ذلك بمقال كتبناه بمناسبة تزوج الشيخ علي يوسف (رحمه الله) بنت السيد عبد الخالق السادات وفسخ القاضي العقد بدعوى عدم الكفاءة. وقد نشرت تلك المقالة في الجزء العاشر من مجلد المنار السابع. ومما بيناه فيها أن المسألة اجتهادية، وليست من أصول الشريعة المنصوصة في الكتاب والسنة، وإن العبرة فيها بالتعبير الذي يخشى أن يكون سبباً للشقاق في الأسرة. فإذا رضيت المرأة وأولياؤها أن تزج بمن لا يعد كفواً لها في العرف صح ذلك. فكيف تعد هذه المسألة الاجتهادية العرفية معارضة لأصل ثابت بنصوص الكتاب والسنة ؟

﴿الجواب عن مسألة الحرف الخسيصة والشريفة وكسب الحجّام﴾

إن حاجة الناس إلى جميع الحرف لم يمنع اتفاقهم في كل زمان ومكان على أن بعضها شريف وبعضها ذليل أو خسيس فلا يوجد أحد من البشر يسوي بين ربان السفينة وراقد النار فيها، ولا يجعل الكناسة والكساحة، بمنزلة الطبابة أو الصحافة، وإن من حكم الله في خلق البشر متفاوتين في الاستعداد العقلي والنفسي أن يقوم كل فريق منهم بما يحتاج إليه المجموع من العلوم والأعمال، ولذلك اختلف العلماء في الجمع بين حديث «كسب الحجّام خبيث» وقرنه بمهر البغي وثمن الكلب وهو في صحيح مسلم والسنن الثلاث وبين مدحه (ص) للحجامة وحده عليها وإعطائه الحجّام أجره حجه له. وفي حديث أنس المتفق عليه أنه (ص) احتجم - حجه أبو طيبة فأعطاه صاعين من طعام وكلم مواليه تخففوا عنه. وكذلك حديث ابن عباس المتفق عليه قال: احتجم النبي (ص) وأعطى الحجّام أجره - ولو كان سحناً لم يعطه. وفي لفظ للبخاري في البيوع: ولو كان حراماً لم يعطه، وفي لفظ له في الإجارة: ولو علم كراهية لم يعطه. وجمهور المسلمين

من السلف والخلف على ان كسب الحجّام حلال، وأجابوا عن حديث مسلم المذكور أنّها وما في معناه بأجوبة (منها) ان الحجامة مكروهة كراهة تنزيه لدناءتها في العرف وخص الكراهة بعضهم — ومنهم الامام احمد — بالاحرار دون العبيد (ومنها) ان النهي عن احترامها وكسبها منسوخ ورجحه الطحاوي الحنفي (ومنها) انها مما يجب من اعانة المرء لآخيه فيكره أخذ أجر عليها لانه ينافي المروءة قاله ابن الجوزي الحنبلي (ومنها) ان محل الجواز اذا كانت الاجرة على عمل معلوم ومحل الزجر اذا كان مجهولاً قاله ابن العربي المالكي

﴿ الجواب عن مسائل التحية والسلام بدءا وردا ﴾

بيننا في تفسير الآية ان لفظ التحية فيها على اطلاقه بصدق بكل ما يحبي الناس به بعضهم بعضا . وان ما ورد في التحية بلفظ السلام وكونه تحية الاسلام ليس في شيء منه ما يدل على تقييد الاطلاق في الآية ولا سيما الرد وانما غايته أنه يستحب تفضيله على غيره من التحيات ولا سيما تحيات غيرنا اذ الاسلام يرفعنا عن دركة الامم التابعة الى درجة الائمة المتبوعين وان السلام على غير المسلمين بدءا وردا مشروع أيضا وقد اختلف فيه الفقهاء اختلافا بينا لتحقيق الحق فيه من قبل في فتوى نشرت في مجلد المنار الخامس وذكرناها في تفسير آية التحية المشار اليها آنفا . ومما أوردناه فيها دليلا لذلك حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي « ان الله تعالى جعل السلام تحية لامتنا وأمانا لاهل ذمتنا » ولكن سنده ضعيف، وحديث الصحيحين « وان تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » فراجع التفصيل في جزء التفسير الرابع أو في المجلد الرابع عشر من المنار (ص ٤٩٥ — ٥٠٠)

﴿ منع الحج هل يجوز لاحد ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء « المكي » بمصر

أيها السيد الرشيد

ما قولكم دام فضلكم في السؤال الآتي : هل يجوز لاي مسلم منع مسلم من أداء فريضة من فرائض الاسلام في أي مكان كان وفي أي ظرف كان ؟ أفيدونا بالجواب في مجلتكم المنار الاغرا نار الله بها المسلمين وهداهم وأثابكم بأحسن الاعمال خيرا عظيما

« المكي »

(المنار : ج ٤) (٣٤) (المجلد الثالث والعشرون)

(ج) قد علمنا من السائل أنه يريد بسؤاله منع ملك الحجاز حسين بن علي للترك واهل نجد من أداء فريضة الحج لما بينه وبين الفريقين من العداوة السياسية. والجواب عن هذا من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة وهو انه لا يجوز لاحد منع احد من إقامة دينه وأداء فرائضه ومن استحل ذلك فحكمه معلوم بالضرورة لاختلاف فيه بين المسلمين في كفره . ونحن لا نعتقد أن ملك الحجاز يستحل هذا العمل مطلقاً ، ولكنه يعذر نفسه ، بأن في دخول أعدائه الحجاز خطراً على ملكه ، ويقال انه يأذن للنجديين في دخول الحجاز لاجل الحج عزلاً وهم لا يأمنون على انفسهم من انتقامه اذ لم يكونوا مستعدين للدفاع عن انفسهم في بلاده ، ولم يبلغنا من غير السائل أنه يمنع افراد الترك من الحج . أولاً يظن انه يخاف منهم ضرراً اذ ليس في استطاعتهم أن يؤذوه الا بالكلام وازالة هذا الاذى في إبانة واخذه برأيه هنالك من أسرار الأمور عليه لكثرة جواسيسه في البلاد على ان السياسة لا تتفق عند حدود الدين ولذلك بينا في المنار ان الحجاز يجب ان يكون على الحياد لا يحارب احداً ولا يحاربه احد ، ولا يصح ان يكون دار ملك يعادي ويعادى ويقا تل ويقا تل ، لان ذلك يفضي الى منع كثير من المسلمين من إقامة ركن من اهم اركان دينهم ، واذا لم يسع المسلمون الى تأمين حرم الله تعالى وتمكين كل مسلم من أداء فريضة الحج اذا ارادها يكونون آثمين كلهم . نعم ان الذي يجب عليه هذا قبل كل أحد هو إمام المسلمين وخليفتهم ، ولكن ليس لهم في هذا الزمن إمام مطاع ، والذي يعترف له أكثر المسلمين بالخلافة واقع تحت سيطرة بعض الدول غير المسلمة ، ولذلك أفتى بعض علماء الهند والقواس بسقوط فريضة الحج في هذه الايام ، معللين ذلك بخروج الحرمين من سلطة الاسلام ، ووقوعها تحت سيطرة غير المسلمين ، وسنبين ما في فتواهم من الخطأ في جزء آخر . وقد أذاع بعض الاجانب الذين اتخذوا ملك الحجاز عدواً لهم أن بلاد الحجاز غير آمنة ، وان حكومتها تصدر الحجاج ، والحق ان الحجاز في أمن تام وأن الملك حسيننا يعني بأمر الامن كل العناية ، وما تأخذه حكومة الحجاز من الرسوم لنفسها وما سمحت به من زيادة اجور الجمال التي تنقل الحجاج كل ذلك مما يسهل احتمالها ، وهي لا تصدر فيما نعلم الا النقود الفضية العثمانية فمن كان لا يملك غيرها ويلحقه غبن يبيعها بأقل من ثمنها فربما يعد غير مستطيم للحج في هذه الحال

الاسلام والنصرانية

هو سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿

كتب اليينا من بيروت ان مجلة المشرق الجزويتية قد صارت تصرح بالظعن في الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح ، فتتوارى أحياناً وراء ما يمتثل التأويل من تعريض وتلويح ، ورجعوا اليينا في الرد عليها لان الدفاع عن الاسلام من أهم مقاصد المنار، ويرون أن السكوت عنها ربما يفضي الى التماذي الضار ، ولما كانت أعمالنا الكثيرة لا تترك لنا وقتاً لمطالعة هذه المجلة كلها للاطلاع على كل ما تنشره نطلب منهم أن يبينوا لنا ذلك الظعن بنقله أو تعيين مواضعه من أجزاءها .

هذا وان دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الظعن في الاسلام والتنفير عنه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها لتشابهها في الضعف والسخف والتكرار ، وهذا هو سبب سكوتنا عنهم في هذه الآونة مع رفع المراقبة عن الصحف لا إيدائهم لنا بما نجحوا به من منع المنار من دخول السودان ، الذي قام حجة على رياء الانكليز المتبعجين بدعوى حرية الاديان .

وقد صرحنا من قبل بأننا لانرى في هذه المطامع ضرراً على المسلمين في نفس دينهم ولا في استمالتهم الى النصرانية بل هي أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد المعارفين بدينهم اعتصاماً به ومحافظة عليه ، وإنما نخشى منها احدى مفسدتين (الاولى) فساد عقيدة بعض المسلمين وصيرورتهم مناققين أو اباحيين (والثانية) أن تكون سبباً للتعاذي والتباغض الضار بين أبناء الوطن الواحد ، فلهذا نذكر إخواننا في سورية بأنه ينبغي لهم أن يوطنوا أنفسهم على حرية البحث والنقد ، واحتمال أذى الظعن والرد ، وأن لا يجعلوا المناظرات الكلامية ، مؤثرة في العلاقات الوطنية ، وأن يعلموا أن حرية البحث اذا كانت عامة فان الفلج والظفر فيها إنما يكون لصاحب الحق ، ولا سيما اذا التزم الإدب في القول والفعل ، وأن الاسلام هو دين الفطرة

والعلم والعقل ، وان النصرانية الحاضرة مبنية على وجوب التقليد للكنيسة بلا ممارسة ولا بحث ، وان من يتركون التقليد من أهلها ، ويناقشون الكنيسة في تعليمها ، ويطالبونها أو يطالبون أنفسهم بالدليل ، واستقلال العقل في فهم الدين ، فانهم لا محالة ينتهون الى ما جاء به الاسلام ، سواء علموا أو لم يعلموا تلك الحقائق التي قررها القرآن ، وهذا واقع في بعض البلاد الاوربية الآن ، كما يعلم ذلك من الشاهد الذي نقله هنا عن جريدة (الدبلي تلغراف) وسينتهي التماذي في أمثال هذه المباحث الى عقيدة التوحيد ، والرجوع عن التثليث وتأليه المسيح ، والاخذ فيه بما قرره القرآن ، وتعميم الاهتداء به في كل مكان ، والنجاة به من مساوئ المادية ، ومفاسد الشيوعية ، وينجز الله وعده الحق ، بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ، وان المقدمات والاسباب لذلك قد صارت كثيرة ، وان منها ماهي صحيحة وما هي غير صحيحة ، وسيمتاز الصريح بتكرار المحض ، فيذهب الزبد ويبقى المحض ، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

كتب رجل مسلم بصير مقيم في أوربة مراقب لتطورها الديني والادبي والاجتماعي كتابا الى صديق له قال فيه :

« أعرفك ان مسألة ألوهية المسيح أصبحت في بلاد الانكليز موضوعا لام المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولا سيما رجال الاكايروس الانجليكاني كما يتضح ذلك مما يشير في هذه الايام الاخيرة على صفحات الجرائد الانكليزية واني أرسل اليك طي هذا نموذجاً لهذه المناقشات اقتطفناه من جريدة الديلي تلغراف . واني على تمام اليقين من ان الانكليز والامريكان سيرجعون في القريب العاجل عن (عقيدتي) التثليث وألوهية المسيح كما رجعوا من قبل عن كثير من مثلها من و التي كان ينهي عن مثلها الاسلام هم بها متمسكون .

(١) المنار : حذفنا من هذا الموضع ومن موضع آخر بعده كلمات لا نستحسن نشر مثلها في الصحف العامة اذ ليست كالكتب الخاصة .

« فيا أيها الاخ الحكيم اذا صرفت نظرك برهة عن مسرح السياسة العالمية الذي أخذ بلبك ، وتوجهت اليه بكل قواك وحواسك ، وتأملت مليا فيما يدور ويجري في الخفاء بين الجماعات البشرية في الغرب — يظهر لك ان الشرق المغلوب المقهور الذي يئن تحت نير الظلم والاستبداد الغربي هو مع ذلك يهاجم في هذه الآونة العالم المسيحي من جميع الانحاء بجيوش جرارة تفوق جيوش صدر الاسلام قوة وفيالق آل عثمان عند مادوخوا أوربة بأسا ، ولكنها في هذه المرة ليست مسلحة بالسيف البتار ، بل بأسلحة معنوية ، مثل الفلسفة الهندية ، والمبادئ الصوفية ، والتعاليم البهائية ، والمذاهب التيوسوفية والانتروپوسوفية ، وغير ذلك من الافكار والمبادئ الروحانية ، التي تتسرب كل يوم بطريقة غير محسوسة الى أذهان الغرب وقلوب أبنائه من حيث لا يشعرون

« ولا بد أن يأتي يوم — إخاله قريبا — يفتح فيه الشرق الغرب فتحا معنويا مبينا فيقوم أهله قومة صادقة يكسرون بأيديهم تماثيلهم... ويهدنون كنائسهم و... ليقبوا مكانها المعابد الحقيقية التي لا يعبد فيها الا الواحد القهار ، طبقا لشريعة سيد الانام ، محمد عليه الصلاة والسلام ، فطوبى لمن يعيش ويرى يوما يتعانق فيه الشرق والغرب ويصبح عباد الله إخوانا في التوحيد والاسلام »
وهذه ترجمة ما اقتطفه الكتاب من جريدة الديلي تلغراف

علاقة المسيح بالله

كبريدج لمراسلنا الخاص بتاريخ ١٣ - ٨ - ١٩٢١

ان درجة ابتعاد اللاهوتيين المصريين عن العقائد التقليدية الموروثة قد ظهرت اليوم ظهورا واضحا في مؤتمر رجال الكنيسة فقد تكلم ذو الاحترام الكلي (هاستنس راشدول) مطران كارليل في مسألة « المسيح كلمة الله وابنه » فقال ان الطلب يزداد على اللاهوتيين الاحرار^(١) ليوضحوا بعبارات صريحة ما يصدقونه

(١) المنار : يقابل هؤلاء الاحرار المقلدون الذين لا يمررون الادلة التفاتا ، وقوله بعده بعبارات صريحة يشير الى ان بعض الاحرار لا يتجرءون على التصريح بما يثبت عندهم من بطلان تقيال دينهم فيعبرون عنه بالكناية والتعريض المحتمل للتأويل

حقيقة عند ما يستعملون العبارات التقليدية عن ألوهية المسيح . وبدأ الدكتور (راشدول) يبحث في السؤال من وجهته السلبية فقال : ان المسيح لم يدع الالهية لنفسه . نعم انه ربما دعا نفسه أو تسامح على الارجح بأن يدعى «مسيّا»^(١) أو ابن الله ولكن لم يرد في الاقول الثابتة عنه شئ يدل على انه كان يرى علاقته بالله غير علاقة رجل بالله . وهي العلاقة التي كان يريد أن يستشعرها كل انسان . فيستخرج من هذا القول ان المسيح كان انسانا بكل معنى الكلمة ولم يكن انسانا بجسمه فقط بل كانت نفسه وعقله وارادته انسانية أيضا . ولم تكن تعترف الكنيسة بذلك دائما وان كان كثيرون من الآباء اليونانيين (كادانا يوس واثناسيوس)^(٢) قد تمثلوه كلمة الله مقيمة في جسم بشري ، وانكرت المجامع التي عقدت بعد ذلك هذا التعريف بزعامة أبوليناريوس ولا يمكن الغلو في ان يؤكد من نقطة النظر اللاهوتية بعد ذلك ان اثناسيوس كان من مذهب (أبوليناريوس) وأخشى أن يكون كثير من الناس الذين يظنون انهم مستقيموا الرأي ليسوا سوى أبوليناريين . وقد عرفت كثيرا من الكاثوليك المتتورين يجهلون ان الكنيسة تعلم ان للمسيح نفسا بشرية فكثير مما يسمى استقامة في الرأي « ليس سوى أبولينارية . وبعض المدافعين عن العقائد الكاثوليكية الواقفين عليها وقوفنا يحول دون جعلهم أبوليناريين صريحين هم في الحقيقة تحت تأثير تلك المبادئ في شكلها الاخير المعدل الذي ينكر ان المسيح كان ذا ارادة بشرية

ثم قال : وليس من الاستقامة في الرأي البتة ان يفرض أن نفس المسيح البشرية كانت موجودة من قبل ، إذ لا أساس لعقيدة كهذه ، فمنذ قبلت الكنيسة مبدءا كون المسيح كلمة الله تعين ان الذي كان موجودا في ماسبق هو الكلمة الالهية

- (١) مسيا بتشديد الياء المسيح وهو الملك الذي كان اليهود ولا يزالون ينتظرونه
- (٢) اثناسيوس بطرك الاسكندرونة في القرن الرابع المسيحي كان اتهم بآراء آريوس الذي أنكر في القرن الثالث ألوهية المسيح . وأبوليناريوس من أساقفة اللاذقية وقد تبع بعض آراء آريوس ولكن له فلسفة خاصة في المسيحية وقد حرم تعليمه في المجمع الاسكندري سنة ٣٦٢ والمجمع الروماني سنة ٣٧٣ وله أتباع ينسبون اليه .

لا المسيح البشري . ان ألوهية المسيح لا تتضمن بالضرورة الولادة من عذراء أو أي معجزة أخرى . فالولادة من عذراء اذا أمكن اثباتها تاريخيا لا تكون مظهرا لألوهية المسيح ولا بوقوع عدم اثباتها ريبا في تلك العقيدة ، كما ان ألوهية المسيح لا تتضمن أن يحيط بكل شيء علما . ولم تبق حاجة للكلام في هذا الموضوع بعد ظهور الخطب التي ألقاها المطران (بنخور) في (بامبتون) بالرغم من كون عقيدة تحديد علم المسيح لم ترسخ بعد في أذهان العامة .

ان النظريات الحديثة في اليوم الآخر قد زادت في ضرورة التسليم بأن ذلك التحديد يجب أن يكون أعظم مما ذكره المطران (غور) ومن على رأيه . وعلى فرض انهم جعلوا الاقوال الثابتة عن المسيح في اليوم الآخر أقل ما يمكن — وهذا ما كان المطران نفسه يميل الى فعله — فمن الصعب إنكار ان المسيح كان يتوقع حدوث أشياء في المستقبل لم يحققها التاريخ — فحقيقة الرأي العصري اذن في العلاقة بين الله والانسان ؟ هو ان الانسان ليس خائفة لله يتسلى بها ، وان جميع العقول البشرية نسخة في شكل محدود عن العقل الالهي ، وان في جميع التفكرات البشرية الصحيحة نقلا عن الفكر الالهي ، وان في اسمى المقاصد التي يعترف بها الضمير البشري جلاء للمقصد السامي الخالد في الفكر الالهي — هذه هي الفروض التي يمكن ان يفسر بها وحدها معنى تلك العقيدة . واذا كنا نعتقد ان كل نفس بشرية تنقل عن الله وتجلوه وتجسده الى درجة معينة — واذا كنا نعتقد أن الله يتجلى لكبراء معلمي الآداب في البشر ولزعهاء الدين ومؤسسي الأديان ومصلحيها أكثر مما يتجلى لسواهم — فمن الممكن اذن أن نعتقد ان شخصا واحدا كالمسيح امتاز عن سواه في علاقته الشخصية بالله فكانت سامية فريدة رفيعة عن سواها . وان صفات المسيح وتعاليمه تحتوي خير ما يتجلى من صفات الله نفسه وارادته في البشر — هذا هو المعنى الحقيقي الذي نفهمه من ألوهية المسيح^(١)

(١) المنار : ملخص هذه العقيدة بعبارة اسلامية صوفية ان هذه المخلوقات مظهر من مظاهر صفات الله تعالى كعلمه وحكمته وان خيار البشر كالانبياء والعديدين قد تجلى فيهم من آثار الكمال الالهي في البشر ما لم يتجلى في غيرهم فظهر ذلك في صفاتهم

شعور المسيح

وتلاه القس ه. د. ا. ماجور رئيس ريبون هول (ا كسفررد) وخص كلامه بنظرية «المسيح في البنوة الالهية» فقال ان من المشا كل العويصة في نقد الانجيل معرفة ماهية رأي المسيح نفسه في بنوته لله . انه قد ذكر بصراحة تامة انه لا يعتبر مهمته سياسية ، وقد خدم الاستاذ (ليك) الانجيل خدمة حقيقية باظهاره مافي تعاليم المسيح من الصفات المعارضة للسياسة تجاه الدعوة السياسية التي كان يابنها المتعصبون . كان المسيح يعتبر انه هو (مسيّا) ويعتقد انه وكيل مملكة واكن لم تكن له علاقة بالسياسة بالمعنى المفهوم من سياسة مملكة لانه كان معارضا لنظريتها الاقتصادية

ثم تناول الخطيب مسألة ما اذا كان المسيح ادعى انه كان ذا شعور ومعرفة سابقين لوجوده كما هو مثبت في الانجيل الرابع فقال انه يوى انهم اليوم يستطيعون ان يصرحوا ان شعور المسيح كان شعوراً بشرياً تاماً — تاركاً مسألة الشعور السابق الوجود بدون حل — وانه ليس فيه من خوارق الطبيعة والمعجزات مالا يمكن أن يعزى الى سواء من البشر . وأما كونه ابن الله فقد سوغ لهم أن يدعوه «الهي» كما دعي في الانجيل الرابع ، فان القس ماجور يظن ان لغة المحبة والتعظيم تسمح بذلك ، ولكن مثل هذا التعبير لم يقره المسيح ولا يظن ان المسيح كان يهتم بما كان يلقب به . ولا شك في ان الذين لم يعرفوا المسيح بالاسم ولكن اظهروا للناس روح الخدمة والتضحية التي هي روح المسيح أقرب اليه من الذين لم يظهروا روحه في شؤون حياتهم اليومية وان كانوا متمسكين بأعظم الآراء غلوًا في شخص المسيح اهـ ما جاء في رسالة الديلي لتغراف . ومن الظاهر البين منه أنهم يرجعون فيه الى التحقيق والاصلاح الذي بينه الله لعباده على اسان روح الحق الذي بشر به المسيح وقال انه يعلمهم كل شيء . والحمد لله رب العالمين

وتعاليمهم وأعمالهم ، فلا غرو إذن أن يكون ما تجلى من ذلك في المسيح عليه الصلاة والسلام ، ممتازا عما كان قد تجلى في سائر الصالحين من الناس.

رسالة

تطهير الاعتقاد ، عن أدران الالحاد

(تأليف) الامام المحدث الشهير محمد بن اسماعيل الامير الخميني الصنعائي

بسم الله الرحمن الرحيم وهو المستعان

الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ر بوبيته من العباد . حتى يفردوه بتوحيد
العبادة كل الافراد . من اتخاذ الالنداد . فلا يتخذون له ندا . ولا يدعون معه أحداً :
ولا يتكلمون الا عليه . ولا يفزعون في كل حال الا اليه . ولا يدعونه بغير أسمائه
الحسنى . ولا يتوصلون اليه بالشفعا . (من ذا الذي يشفع عنده لا باذنه) وأشهد
أن لا إله الا الله ر باً معبوداً . وأن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول (قل
لا أملك انفسى ذنباً ولا نفعا الا ما شاء الله) — وكفى بالله شهيداً . صلى الله
عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب . وتطهير القلوب عن اعتقاد
كل شيء بشوب

(وبعد) فهذا (تطهير الاعتقاد . عن ادران الالحاد) وجب علي
تأليفه . وتعين علي ترصيفه . لما رأيت وعلمته من اتخاذ العباد الالنداد . في
الامصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الاسلام .
وهو الاعتقاد في القبور . وفي الاحياء ممن يدعي العلم بالمقبيات والمكاشفات وهو
من أهل الفجور .^(١) لا يحضر المسلمين مسجداً . ولا يرى لله راكمها ولا ساجداً .
ولا يعرف السنة ولا الكتاب . ولا يهاب البعث ولا الحساب . فوجب علي أن أنكر
ما أوجب الله انكاره . ولا أكون من الذين يكتُمون ما أوجب الله اظهاره . فاعلم
أن ههنا أصولاً هي من قواعد الدين . ومن أهم ما يجب معرفته على الموحدين

(١) المنار : هذه صفة بكاشفة مان هؤلاء الادعياء كلهم أو جلهم كذلك
لان التقي الصالح لا يدعي هذه الدعوى ولو ادعاها خرج بها عن الصلاح فهي
دعوى لا تقبل من أحد وان كان ما يسمونه المكاشفة يقيم أحياناً وهو من
فراصة المؤمن الثابتة في الحديث

﴿ الاصل الاول ﴾ انه قد علم من ضرورة الدين ان كل ما في القرآن فهو حق لا باطل ، وصدق لا كذب ، وهدى لا ضلالة ، وعلم لا جهالة ، ويقين لا شك فيه . فهذا الاصل اصل لا يتم اسلام أحد ولا إيمانه إلا بالاقرار بهذا الاصل ^(١) وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه

﴿ الاصل الثاني ﴾ ان رسل الله وأنبياءه من أولهم الى آخرهم بعثوا للدعاء العباد الى توحيد الله بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول ما يقرع به اجماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره — أن لا تعبدوا إلا الله — أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذي تضمنه قول لا إله إلا الله فانما دعيت الرسل أممها الى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان ، ومعناها هو أفراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه والبرائة منه . وهذا الاصل لامرية في ما تضمنه ولا شك فيه وانه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه

﴿ الاصل الثالث ﴾ ان التوحيد قسمان القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها ومعناها ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به كما سيأتي في الاصل الرابع . والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناها أفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء واغفلوا الشريك يشهر بالاقرار بالله تعالى . فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول ودعاء المشركين الى الثاني مثل قولهم في خطاب المشركين (أفى الله شك ؟ هل من خالق غير الله ؟) ونهيمهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله) أي قائلين لا إله إلا الله فافاد بقوله « في كل أمة » ان جميع الامم لم ترسل اليهم الرسل الا اطالب توحيد العبادة لا التعريف بان الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض فانهم مقرون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير نحو (هل من خالق غير الله ؟ — أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ — أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ — أغير الله أن يجزئ وليا فاطر السموات والارض ؟ — أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ — أروني ماذا خلقوا

(١) الظاهر هنا الاضمار وهو أن يقول الا به

من الارض ؟) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ، وبهذا تعرف ان المشركين لم يتخذوا الاصنام والاثاثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لانهم أشركوهم في خلق السموات والارض بل اتخذوهم لانهم يقربونهم الى الله زافى كقائلهم - فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم - وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (قل أنبئوني الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتحادهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد الا بإذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئا

في الاصل الرابع : ان المشركين الذين بعث الله الرسل اليهم مقرون ان الله خالقهم (وان سألهم من خلقهم ليقولن الله) وانه الذي خالق السموات والارض (وان سألهم من خلق السموات والارض ليقولن خالقهن العزيز العليم) وانه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وانه الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وانه الذي يملك السمع والابصار والافئدة (قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولن الله ، فقل أفلا تتقون — قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وهذا فرعون مع غلبه في كفره ودعواه أقبح دعوى ونطقه بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكما عن موسى عليه السلام (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) وقال إيليس (اني أخاف الله رب العالمين) وقال (رب بما أغويتني) وقال (رب أنظرنى) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه خالق السموات والارض وربهم ورب ما فيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وقولهم (ان الذين تدعون من دون الله ان

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرون

(الاصل الخامس) ان العبادة أقصى باب الخضوع والتذال ولم تستعمل إلا في الخضوع لله لانه مولي أعظم النعم وكان ^(١) حقيقا بأقصى غاية الخضوع كما في الكشف. ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهو قول لا إله الا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفي والبراءة من كل معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى لانهم أهل اللسان العربي فقالوا (اجعل الآلهة إلهها واحداً ان هذا شيء عجاب)

(فصل) اذا عرفت هذه الاصول فاعلم ان الله تعالى له جعل العبادة له أنواعا (اعتقادية) وهي أساسها وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الاحد الذي له الخلق والامر، ويده النفع والضر، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد لا باذنه، وانه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك مما يجب من لوازم الالهية (ومنها اللفظية) وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله وكان كالبليس فانه يعتقد التوحيد بل ويقربه كما أسلفناه عنه إلا انه لا يمثل أمر الله فكفر ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسبه الى الله وحكمه حكم المنافقين (و بدنية) كالقيام والركوع والسجود في الصلاة (ومنها) الصوم وأفعال الحج والطواف (ومالية) كإخراج جزء من المال امتثالاً لأمر الله تعالى به . وأنواع الواجبات والمندوبات في الاموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة لكن هذه أماتها

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى إفراد الله تعالى بالعبادة لا الى إثبات أنه خلقهم ونحوه ^(٢) اذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه ولذا قالوا (أجئتنا لنعبدا الله وحده) أي لنفرد به بالعبادة ويختص بها من دون الاوثان ، فلم ينكروا الا طالب الرسل منهم إفراد العبادة لله ولم ينكروا الله تعالى ولا انه لا يعبد بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا

(١) المنار: الظاهر أن يقال فكان (٢) أي فقط فانه تحصيل حاصل

قال تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له .
 وكانوا يقولون في تلبيةهم للحجج : ليس لك لا شريك لك ، الا شريكاً هو لك ،
 ند له وما لك : وكان يسمونهم النبي صلى الله عليه وسلم عند قولهم لا شريك لك
 ويقول : قد أفردوه جبال جبالاً لو تركوا قولهم الا شريكاً هو لك . فنفس
 شركهم بالله تعالى اقرار به تعالى قال تعالى (أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون)
 ادعوا شركاءكم من دون الله — قل ادعوا شركاءكم كم كيدون فلا تنظرون)
 فمن اتخذ الشركاء اقرار بالله تعالى ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب
 بالذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقربهم من الله زائناً وتشفع لهم لديه فأرسل
 الله الرسل تأمر بتترك عبادة كل ماسوا وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في
 الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون الا الله وحده وهذا هو توحيد
 العبادة وقد كانوا مقرين كما عرفت في الاصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو ان الله
 هو الخالق وحده ، والرازق وحده ، ومن هذا تعرف ان التوحيد الذي دعيتهم
 اليه الرسل من أولهم — وهو نوح عليه السلام — الى آخرهم — وهو محمد صلى
 الله عليه وسلم — هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل (ألا تعبدوا الا الله —
 اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة
 ويناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً ^(١) ويهتف بها عند الشدائد ،
 فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما
 أفردوه بالربوبية أي ربوبية السموات والارض ، وأن يفردوه بكلمة « لا إله
 الا الله » معتقدين معناها عاملين بمتقضاها ، وأن لا يدعوا مع الله أحداً . وقال تعالى
 (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وقال تعالى
 وعلى الله فتتركوا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق بالله أن لا يتوكلوا الا

(١) المسار : الاحجار لم تعبد لذاتها وانما كانت تماثيل لبعض البدالحين ومذكرات
 بهم أو منسوبة اليهم كأحد أعمدة الرخام في المسجد الحسيني بمصر يسمح به
 للبركة والاستشفاء لانه منسوب الى السيد البدوي فهو يعرف بعمود السيد

عليه وان يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار، وأمر الله عباده أن يقولوا (اياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله تعالى والا كان كاذبا منيها عن ان يقول هذه الكلمة اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معني قوله (فإياي فاعبدون — وإياي فاتقون) كما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر أي لا تعبدوا الا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تشقوا غيره (٥) كما في الكشف، فأفرد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم الا بان يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون الا لله وحده، والاستعانة بالله وحده والالجا الى الله والنذر والنجر له تعالى، وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذالا لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والخلق والتقصير كله لا يكون الا لله عز وجل، ومن فعل ذلك المخلوق حي أو ميت أو جاد أو غيره فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور الها ما يدبره سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرا أو قبرا أو جنيا أو حيا أو ميتا وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقربا لله وعبدته، بخان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سبك دمائهم وسبي ذرائعهم ونهب أموالهم قال (١) الله تعالى «أنا أغني الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره

(فصل) إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الاقرار بالله مع اشراكهم في العبادة ولا ينفي عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضررون وينفعون وأنهم يقربونهم الى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى فنجروا

(*) المنار: الحصر جامع بين الاثبات والنفي والمعنى اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره واتقوه ولا تتقوا غيره فايراد صيغتي النفي إما تحريف من النسخ وهو الأرجح وإما سبق قلم من المؤلف.

(١) قوله قال الله تعالى أي في الحديث القدسي ونفذه (قال رسول الله ص) يقول الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم كتيبه محمد محمد فاضل

لم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متدللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالر بوبية وأنه الخالق ولكنهم كما أشركوا في عبادته جعلهم شركيين ولم يعتد بأقرارهم هذا لانه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية. فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرد بتوحيد العبادة فإذا لم يفعل ذلك فالأقرار الاول باطل، وقد عرفوا وهم في طبقات النار وقالوا (تالله إن كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) مع انهم لم يسوؤهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين لكنهم علوا وهم في قعر جهنم أن خاطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الاصنام، وبين رب الانام، قال الله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) أي ما يقر أكثرهم في اقراره بالله وبأنه خالق السموات والارض لا وهو مشرك بعبادة الاوثان^(١) بل سمي الله الرياء في الطاعات شركا مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها الا الله تعالى وانما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خاط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس فلم تقبل له عبادة وجماعها شركا كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمي الله التسمية بعبد الحارث شركا كما قال تعالى (فلما آتاهما صالحا جلا له شركاء فيما آتاها) فانه أخرج الامام أحمد والترمذي من حديث سمرة أنه قال صلى الله عليه وسلم « لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد - طاف بها ابليس وقال : لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث فسمته فعاشر وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره فأنزل الله الآيات ومن هذه التسمية شركا وكان ابليس تسمى بالحارث » والفصحة في الدر المنثور وغيره^(٢)

(فصل) قد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو غير

(١) المنازل : أي بعبادة غيره تعالى معه اذ لا فرق بين الاوثان وغيرها في ذلك
(٢) الحديث ملول من وجوه كما بينه ابن كثير في تفسيره ولكن المعنى الذي قصده المؤلف صحيح

أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل الى الرب تعالى — الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك^(١) فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان فضلاً عما ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك مالا يطلب الا من الله تعالى من الحاجات من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لاي مطلب من المطالب فان هذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الاصنام . والنذور بالمسال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كان تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصناً وفعله القبوريون لما يسمونه وايا وقبراً ومشهداً . والاسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني — ضرورة لغوية وعقلية وشرعية ، فان من شرب الخمر وسماها ماء ما شرب الا خمراً وعقابه عقاب شارب ، الخمر وامله يريد عقابه للتدليس والكذب في التسمية : وقد ثبت في الاحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فانه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمون ابليداً وأول من سمي مافيه غضب الله وعصيانه بالاسماء المحبوبة عند السماء حين ابليس لعنه الله فانه قال لابي البشر آدم عليه السلام (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فسمى الشجرة التي نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذبا لطبعه اليها ، وهزاً انشأه الى قربانها ، وتدلها عليه بالاسم الذي اختبره لها ، كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظالم ما يفضونه من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً ادباً فيقولون أدب القتل : أدب السرقة : أدب التهمة : يتحريف اسم الظلم الى اسم الادب كما يحرفونه في بعض المقبوضات الى اسم النفاة وفي بعضها الى اسم السبابة وفي بعضها أدب المكاييل والمواريث . وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان كما يعرفه من شم رائحة

(١) المراد حديث توسل الاعمى والرواية القوية ليس فيها ما يخل بالتوحيد كما بينه شيخ الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة وهو كتاب لا يستغني عن قراءته أو سماعه مسلم في هذا العصر

الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن ابليس حيث سمي الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد

وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا يخرججه^(١) عن اسم الصنم والوثن اذ هم معابدون لها^(٢) معاملة المشركين للاصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببیت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لاركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي وأهل التهام لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون يا زيلعي يا ابن المعجل، وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي — يا بدوي — والسادة البكرية: وأهل الجبال يا أبا طير: وأهل اليمن يا ابن علوان. وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهو^(٣) بعينه فعل المشركين في الاصنام كما قلنا في الايات النجدية

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
ولم نحروا في سوحها من نحيرة أهلت لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلاً وياتمس الاركان منهم بالأيدي
فان قال انما نحررت لله وذكر اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلا شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه؟ هل أردت بذلك تعظيمه؟ ان^(١) قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل أشركت مع الله تعالى غيره، وان لم ترد تعظيمه فهل أردت توسيع باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه؟ أنت تعلم يقيناً انك ما أردت ذلك أبصلاً ولا أردت الا الاول ولا خرجت من بيتك الا لقصد، ثم كذلك دعاؤهم له فهذا الذي عليه ولا شرك بلاريب (لها بقية)

(١) وفي نسخة: وهذا لا يخرججه (٢) وفي نسخة: بها. هذا وان القرآن قد يخبر عن تلك المعبودات بالاولياء ونهى عن اتخاذ الاولياء من دونه. (٣) وفي نسخة: وهذا بعينه (٣) بشئ ذلك (٤) أم لا فان قال (المنار: ج ٤) (٣٦) (المجلد الثالث والعشرون)

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولا نانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	الملّيح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بينام) الهندية

فصل

﴿ شرح حديث الحارث الاشعري ﴾

أما طاعة الخليفة في السنة ، فقد تضافرت الاحاديث الصحيحة في وجوبها واشتهرت اشتهاً عظيماً حتى أنه لم يصل حكم بعد عقيدة التوحيد والرسالة الى هذه الشهرة والتواتر .

وها أنا ذا ذاكر ههنا أولاً حديثاً من مسند الامام أحمد وسنن الترمذي يوضح نظام الاسلام الاجتماعي توضيحاً حسناً ، - فأقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله - فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلم ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع - ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جنى جهنم - قالوا يا رسول الله : وإن صام وصلى ؟ قال وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم من حديث الحارث الاشعري على شرط الصحيحين ، قال ابن كثير هذا حديث حسن وله شواهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بخمس :

أولهن « الجماعة » أي يجب على الأمة أن تجتمع على الامام وتمشي مرتبطة بمركزها الاجتماعي ، وسترى كثيراً من الاحاديث التي تحذر من الوحدة والفرقة

وتعدها حياة جاهلية شيطانية ، اذ الاعلام لا يحسب الحياة الفردية حياة ، وإنما الحياة عنده « الحياة الاجتماعية »

ما « الجماعة » كتلة من الآحاد ، تربط بعضهم ببعض رابطة « الاتحاد » و « الائتلاف » ويكون فيهم « الامتزاج » و « النظام »

هاتيك الجماعة ولوازمها الاربعة : الاتحاد والائتلاف والامتزاج والنظام أما « الاتحاد » فهو أن يكون الافراد متصلا بعضهم ببعض ، فلا عوامل التفرقة ، تفرقهم ولا التشتت يبددهم ، بل يكونوا جميعا متقاربين ، وأن تكون أعمالهم كذلك متوافقة غير متخالفة ، وجهتها واحدة وغايتها واحدة

وأما « الائتلاف » فهو أخص من « الاتحاد » اذ الاتحاد مجرد الاتصال ، و « الائتلاف » هو الاجتماع والاتصال بتناسب صحيح وترتيب حسن ، فيقدم فيه ما حقه أن يقدم ، ويؤخر فيه ما حقه أن يؤخر ، ويوضع الفرد في الجماعة

بالمكان الذي يؤهله له استعداداته وقوته ، فلا يستخدم في الشرطة من هو أهل للسيادة والقيادة ، ولا يرفع — الى رئاسة السياسة — من لا يصلح الا للشرطة

وأما « الامتزاج » فهو أخص منهما ، ويراعى فيه اتحاد الكيف أكثر من اتحاد الكم — أي ينظر في طبائع الافراد حيث استعدادهم الاجتماعي ، فيلحق كل واحد بالذي يكون أكثر موافقة لطبعه ليتحد تمام الاتحاد ، اذ لو لم يراع ذلك لا يتأتى الاتحاد بين افراد مختلفة الامزجة والطبائع ، كما لا يتحد الزيت

والماء — وإن الله سبحانه كما خلق العناصر ليتكون باجتماعها المناسب مركب مخصوص ، كذلك خلق الافراد ليكونوا باجتماعهم « جماعة » فالافراد « عناصر »

والجماعة « مركب » وكما أن العناصر لا تكون « مركبا » الا اذا امتزجت امتزاجا تاما ، كذلك الافراد لا تكون « جمعة » الا بهذا « الامتزاج » —

فاذن يجب أن يمازج الافراد بعضهم ببعض وينفوا وجودهم في سبيل تكوين الجماعة بحيث يحسبهم من يراهم شيئا واحدا ، ولا يكون ذلك الا بعد

الامتزاج التام

وأما « النظام » فهو ان يحل كل فرد في الجماعة محله ، يدور في دائرته ويسعى في داخل حدوده ويعمل عمله الاجتماعي فيه

ولا نتحقق هذه الامور اذا لم تكن قوة مهيمنة على الاجتماع ، ويدت مدبرة للجماعة ، فتوحيد الآحاد المنتشرة وتؤلف بينهم وتمزج بعضهم ببعض

وتخربطهم في نظام الجماعة — فلا بد إذاً من «امام وخليفة» ولا نفر للافراد من طاعته والخضوع ، اذا كانوا يريدون ان يحيا حياة اجتماعية طيبة — فمقام الامام أو الخليفة في الهيئة الاجتماعية مقام النقطة من الدائرة ، وعماله بمنزلة الدائرة نفسها ، فأحاد الامة يدورون حول هذه الدائرة ، وهي تدور حول تلك النقطة — وبهذه الصورة تتكون من اجتماع الافراد ، « الجماعة » ويصيرون كتلة واحدة وجسم واحد حيا ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد — وبهذا أمر المسلمون ومنعوا من الوحدة والفرقة وأوجب عليهم أن لا يعيشوا بدون إمام ، سواء كثروا أم قلوا ، حتى لو كانوا ثلاثة وجب عليهم أن يؤمروا أحدهم لقوله صلعم « اذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » وقد جعل الله سبحانه صلاة الجماعة — التي هي عماد الدين ومثال كامل للعقائد والأعمال — نموذجا ليهتدي بها المسلمون الى تنظيم حياتهم الاجتماعية فانظر كيف يجتمع مئات وألوف أوطانهم متناثية ، وجهاتهم متباعدة ، وألوانهم متغايرة ، وألبستهم متخالفة ، فيما هم في هذه الحالة ، اذ تفرع سمعهم التكبير فيتحول الانتشار الى الاجتماع والتفرق الى الائتلاف ، فهم وقوف في صف واحد ، أجسامهم متلامسة ، أكتافهم متلاصقة ، أقدامهم متقاربة ، ووجوههم متوجهة الى جهة واحدة ، اذا كانوا قياما ، فكلهم قيام . كأنهم بنيان مرصوص ، واذا كانوا قعودا فكلهم قعود ، باطنهم كظاهريهم متحد وموثلف ، قلوبهم بذكر واحد مشغولة ، وألسنتهم للفظ واحد مرددة . ثم انظر أمامهم فلا ترى هنالك الا زجلا واحدا يؤمهم ويقودهم ، متى شاء أقامهم ، ومتى شاء أقعدهم ، كلهم طوع أمره وسماعون لكلمته ، لا يخالفونه ولا ينازعونه ، بل يتبعونه ويقتدون به ويطيعون له ^(١)

هذه هي « الجماعة » التي يطالب بها الاسلام ، ويأمر المسلمين أن يجعلوا هيئتهم الاجتماعية على أسلوبها لا كما يزدحم الهمج في الاسواق — هذا وكل ما ذكرناه من أوصاف الجماعة وخصائصها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وقد أغفلنا ذكر الشواهد عمداً لضيق المقام وعدم الحاجة اليها

(١) المنار: وظاهر ان هذا الاتباع يتقيد به الامام كالمأموم بنصوص الشرع فشيئته فيه لاقامة المأمومين وافعالهم ليست مطلقة فاذا خرج عن الشرع فارقه وأدبوه، وكذلك الإمام الأعظم وهو الخليفة وقد أشار السكاكبي الى ذلك في الكلام على الطاعة

(٢) ثانيهن «السمع» وهو أن نستمع الأمانة أوامر الامام ونستهدي به، وكلمة «السمع» توحيح أن مقام الامام في الامة مقام المعلم والمرشد - فعليها أن تتلقى أوامره بالقبول واحترشده به في مهماتها -

(٣) ثالثهن «الطاعة» وهي أن يطاع الامام طاعة تامة، ويفوض اليه جميع القوى العامة تفويضاً كلياً^(١) ويعمل كل فرد من الامة بأمره بدون أدنى عذر ولا ضجر. ومعلوم أن الطاعة في المعروف لا في المنكر

(٤) رابعهن «الهجرة» وهي من «المهجر» ومعناه «الترك» ففي المفردات «المهجر والمهجران مفارقة الانسان غيره، اما بالبدن أو باللسان أو بالقلب - والمهاجرة مغازاة الغير ومشاركته» (صفحة ٥٥٨) وأما في الشريعة فهي أن يترك رجل أوجاعه الملاذ الدنيوية والراغبات النفسية في سبيل الحق والسعادة^(٢) مثلاً اذا ترك أحد لفرض سام وقصد عال ماله وراحته وأهله وأقاربه وعشيرته وبيته ووطنه، يسمى عمله هذا في الشريعة «الهجرة الى الله والذهاب الى الله» وقد غلب استعمال «الهجرة» في ترك الوطن، لأن تركه يستلزم ترك المال والاهل والأصدقاء وكل ما يحب ويؤلف في الوطن - ولذا اذا أطلقت يكون معناها ترك الوطن، واذا أضيفت الى شيء يفهم معناها حسب الاضافة، قال النبي صلى الله عليه وسلم «وإنما لكل امرئ ما نوى»، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله، فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه (البخاري عن عمر - رضي) فالهجرة أنواع وأقسام تجدها مبينة في الكتاب والسنة وليس هنا محل تفصيلها

(٥) خامسهن «الجهاد في سبيل الله» وهو من «الجهد» ومعناه «استفراغ الوسع في مدافعة العدو ظاهراً أو بائناً» (مفردات) فالجهاد هو السعي البليغ

(١) المنار: الحق ان الخليقة مقيد في الاسلام بمشاوره أهل الحل والعقد كما انه مقيد بالشرع، فتقويضه ليس مطلقاً

(٢) الهجرة الشرعية هي ترك دار الكفر الى دار الاسلام وكذا كل مكان لا تستطيع فيه ان يقيم دينه بحرية نوايس هو المعنى الشرعي الأصلي ويحتجون له بحديث «والمهاجر من هجر السوء» وهو وصف للمهاجر الكامل كحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»، فان لم يهجر السوء لا يكون صادقاً في هجره ووطنه لاجل الحق الذي رضى الله تعالى كما يؤخذ من حديث النية

لدفن الأعداء والذود عن الأمة ، ويكون باللسان والمال والنفس ، فكل ما يبذله الرجل في سبيل الله حسب الحاجة والضرورة فهو جهاد في سبيل الله كما قال النبي صلى الله عليه «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» (رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن أنس رضي الله عنه)

ولسنا في حاجة الى أن نثبت أن على هذه الخمسة تتوقف حياة الأمم وقيامها وبقاؤها ، اذ كل من له ذرة من العقل يعلم حق العلم أنه لا تستطيع أمة أن تفوز في معترك الحياة بدونها ، أو تنجح في أعمالها صغيرة كانت أو كبيرة بغيرها ، فسواء عليها أن تسعى لحصول خير من البر ، أو تذهب لكشف القطب الشمالي ، فهي على كل حال تحتاج الى هذه الأصول الخمسة ، والتي تعرض عنها تخسر ثم تسقط حتما ، وان كل ما نراه الآن في هذه المعمورة العظيمة من الحضارة والرقى والصناعة ، نتيجة لهذه الخمسة : الجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد ان النزاع والخلاف الذي ملأ الخافقين ، انما هو ناتج عن شيء واحد ، وهو تعدد الاسماء لمسمى واحد ، وكثرة المصطلحات لحقيقة واحدة ، فانك ان دقت النظر في جدال الناس ، ترى معظمهم متشاجرين في الاسماء والالفاظ والمصطلحات ، مع أنهم لو جردوا الحقيقة عن الطواهر لعلموا أنها واحدة ، وعند الجميع سواء ، لكنهم لسوء الحظ لا يفعلون ذلك فيتخبطون طول عمرهم في تيهاء الالفاظ والمصطلحات ويتناطحون عليها

وقد كثر مثل هذا النزاع في العلوم والمعارف ، والموفق من لا يخذعه الطواهر ، فلا يرى الحقيقة بمنظاره الخاص المصنوع من الالفاظ والمصطلحات ، بل يراها مجردة كما هي — وهذا المقام مقام الرسوخ في العلم ويسميه الشيخ أحمد ولي الله صاحب « حجة الله البالغة » « بعلم الجهم بين المختلفات » وعامة أصحاب السلوك والاشارات يسمونه « بمشهد الوحدة » ويقصدون به نفس هذا المقام الذي يصله السالك بعد زوال الحجب والاستار عن عينيه

فاذا بحثت بعد هذا ، تعلم أن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد — من تلك الحقائق العامة المسلمة التي لا ينكرها أحد من البشر — والامم بأجمعها سائرة عليها من أول خلقها و متمسكة بها أشد التمسك — وانما النزاع فيها والانكار عليها جاء من تلك البلية التي ذكرناها آنفا ، أي التشبث بالاسماء والمصطلحات . فلاجل هذا أنكرها كثير من الناس لاسمائها الإسلامية ، ولكنهم يقولونها

ويعلمون بها بغير هذه الاسماء. والذي يرد هذه الحقائق نفسها يحرم من الحياة، ولا يرى في دناء الا الخيبة والامسran

وها أنا ذا أسوقها اليك واحدة واحدة مع بيان وجيز لتفهم ما مرنحق الفهم، فانظر الى أولهن، وهي «الجماعة» التي علمت معناها وخصائصها، فقل أي شيء يتم بدون الجماعة والاجتماع؟ دع ما قالت فيها الفلاسفة والحكماء فانه دقيق يخفى على كثير من الناس، وألق عليها نظرة عامة ترى أن الغرض من البيئات والاحزاب والجمعيات المنتديات والمجالس والمحافل والبرلمان، بل من الامة والوطن والجيش «الجماعة»، والالتزام بالجماعة» أي يمكن لاحد أن يستغني عن الجماعة؟ حتى ان أولئك الذين يعيشون في الغابات عزاة متوحشين يضطرون الى الاجتماع اذا أهمهم أمر، أو وقع فيهم شقاق؟ يجتمعون للبحث في شؤوهم واملاح ذات بينهم، ولو تحت شجرة على التراب — فتلك «الجماعة»

ولكن ماذا تفني الجماعة اذا لم يوجد من رأسها ويرشدها؟ ولذا اذا اجتمع بضع رجال لاسر جامع بينهم، تبادروا الى انتخاب الرئيس وقالوا اذا لم يرأس الجماعة أحد لا تكون قانونية ونظامية، وكذلك اذا أرادوا تنظيم جيش فسبوه فرقا من ألف ومائة وعشرة، وجعلوا على كل منهارؤساء (اي تابعين لرئيس واحد وهو القائد العام) وقالوا بدون هذا لا يكون الجيش جيشا، ولا يستطيع أن يعمل عملا، فاذا كان قولهم هذا عن جماعة من عشرة او خمسة، فاذا يقال عن أمة مكونة من ثوف وملايين من الرجال والنساء أفلا تحتاج الى قائد يقودها ورئيس يرأسها؟ وهل تقدر على عمل اجتماعي بدون الامير؟ ثم أي فائدة من الامير اذا لم يطع؟ خذ لك أقرب مثال اليك وهو بيتك الذي تسكنه مع زوجتك وولده — فان عصت الزوجة أمرك وتنمر عليك أولادك. أفلا تنعصب عليهم وتقول والناس معك هذا بيت لا يفلح أهله أبدا، لانه لا نظام فيه ولا راحة، بل هو مبتلى بحرب أهلية؛ وهل هذا الذي تقول غير «الجماعة، والسلم والطاعة» — فكما أن هذا البيت لا يفلح، كذلك لا تفلح الامة التي لا جماعة فيها ولا سلم ولا طاعة —

وأما «المهجرة» فينفر منها كثير من الناس، لانهم يحسبوننها من بقايا ذلك العهد الذي كان فيه الانسان في حبل ووحشية وهمجية ومصابا بالجنون الديني — فكان يهلك نفسه ويقتل عواطفه ويترك راحته لاجل الدين — ولكنهم يندسون أن ما يفرون منه، تدعو اليه البشر مدينهم أيضا، وانك

قد علمت معنى « الهجرة » وهو أن يؤثر الانسان المقاصد العليا الدنيا - وأن اضطر في هذه السبيل الى هجران أهله وماله ووطنه وأمته وملاذه هجرها فرحاً مطمئناً ، فقل أي نجاح يصادف الانسان في العلم والعمل إن لم يكن صدره مملوءاً بهذه العاطفة العالية ؟ وما هذا التقدم المدني والعلمي ، وما هذه الاختراعات العجيبة والاكتشافات المدهشة ، والاموال الكثيرة ، والتجارة الواسعة ، والمستعمرات العظيمة ، ووسائل المعيشة المتنوعة ، وورق البلاد ، وعلو الامم ، ونسمة المدنية ؟ أليست نتائج « الهجرة » وثمراتها ؟ وذلك لان الانسان - أفراد وجماعات - لم يؤثر المقاصد العالية والمزايم الكبيرة على راحته وأهله ووطنه ولم يهجر كل شيء في سبيلها لما رأينا اليوم ما نراه في الدنيا ، بل رأينا الجهل مقام العلم ، والوحشية مقام المدنية ، والخراب مقام العمران - وما قولك في علم الطب وتقويم البلدان وعلم الحياة الانساني ؟ أكان يمكن أن تصل هذه العلوم الى ما وصلت اليه ، لو لم يهاجر كثير من البشر في سبيلها ، لاجل معرفة تفاصيلها واستقراء جزئياتها ؟ لو لم يهاجر كوكلبوس لما علمنا عن نصف الدنيا شيئاً ، ولو لم يهاجر الغربيون لما شاهدنا في واشنطن ونيويورك المباني الفخمة والقصور العالية ، ولو لم تهاجر الامم الاوربية لما أصبحت أغنى الامم - عجباً ! اذ رأوا المهاجرين زرافات ووحيدان يقصدون الى منطقة القطب الشمالي قالوا هؤلاء عظماء الرجال حقاً كل العلم فيهم ، وحلت الوطنية الصادقة في قلوبهم - ثم اذا علموا أنهم هلكوا على بكرة أبيهم دون أن ينالوا بغيتهم ، أقاموا عليهم المآتم ورثوهم وبكوا عليهم وقالوا مات النجباء ! ولكن اذا سمعوا الشريعة الالهية تسمى مثل هذا العمل « بالهجرة » وتدعو الناس اليه - تفروا منه وأنكروا واسودت وجوههم - تراهم يمجدون أولئك الرجال الذين هجروا أوطانهم لكشف منبع النيل وهلكوا في مجاهيل أفريقية ، ولكن اذا علموا رجال هاجروا في سبيل الحق واعلاء كلمة الله ، ذمواهم أشد الذم وسموهم « مجانين وهمجاً » ثم اذا رأوا نيوتن يهجر نومه ويسهر الليالي الطويلة ليحقق « ناموس الشغل » أعظموه وسموه بأسماء كريهة ، ولكن إن رأوا رجلاً يجهد نفسه مثل نيوتن لناموس الشغل بل لناموس نجاة العالم وسعادته وهدايته أسكروا عليه عمله وهدوه من الوحوش ! فما هذا الجنون ؟ وما هذا التساقض يا ترى ؟ نرى اليوم الامم الغربية تعتقد أن فلاحها وحياتها في الاستعمار (كانونيل سستم)

وتتصايد وتتناطح ويهلك بعضها بعضا لاجل المستعمرات — ولكن ما الاستعمار؟ أليس الغرض منه ترك الوطن والهجرة من أرض إلى أخرى وتعميرها واستحصاال الثروة منها، وتكثير غنى الامة بها؟ فما رأيك بعد هذا؟ أليست الدنيا كلها متمسكة بنظام « الجماعة والسمع والطاعة والهجرة؟ نعم هي متمسكة بها الا أنها لا تسميها بأسمائها الاسلامية!

وأما « الجهاد » فما أكثر استفظاع بعض الناس له، وما أشد انكارهم عليه! اذا سمعوه جعلوا أصابعهم في آذانهم واضطربوا منه اضطرابا شديدا، وقالوا الاسلام يستحل الدماء البريئة، ويدعو البشر الى القساوة والبربرية، والمجزرة الانسانية، فهو دين وحشية وهمجية — ولكن ما أشد استماعهم لقول دارون ورسل ووياس « ان من الحقائق الثابتة « ناموس تنازع البقاء » « وناموس انتخاب الطبيعة » « وناموس بقاء الاصلح » فاذا سمعوا هذه الكلمات اصغوا اليها هادئين، ساكنين، وآمنوا بها مصدقين، موقنين، ولم ينزعجوا من هذه النواميس القتالة والداعية الى سفك الدماء، بل قالوا انها كلها حق، ومؤيده بالبراهين القوية، والمشاهد العينية، لانا نرى الحياة كلها عمرا كامراحة، والانسان وما دونه من الاحياء كله يزاحم معارضة في الحياة ويدافع غيره ويهلكه ويحل محله، وهذا طبيعي، ولا بقاء لحى بدونه! ثم اذا أخبرهم بأن النواميس التي يخضع لها سائر الموجودات يخضع لها الجنس البشري، وأن الامة التي تثبت أنها أصلح للقيام بالحق والهداية، تمش وتحمي، والامة الفاسدة وغير الصالحة تهلك وتفتى! وتحل محلها الاولى « ليظهره على الدين كله » لم يقبلوا هذا وتولوا عنه مدبرين، ولو رجعوا الى رشدهم لضحكوا على أنفسهم اذ الذي يردونه باسم « الجهاد »^(١) يقلونه بأسماء أخرى نافضة الدلالة على مساهاتها! والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل!

(١) المنار: أوجز الكاتب واختصر في بيان هذه المسألة وأسهب فيما عداها وأطنب. صواب القول في الجهاد الاسلامي أنه بذل الجهد في حفظ الحق ودفع الباطل، لتقرير المصالح وإزالة المفاسد، وأما الجهاد العام، غير المقيد بهداية الاسلام فهو بذل الجهد من كل حي لحفظ حياته ومنافعه شخصا كان أو جماعة بالحق أو بالباطل، ولكن قصروا في بيان حقيقة الاسلام حتى لاهله، وأعداءهم جدوا وشعروا في تصويره بضد حقيقة فنفروا منه حتى الكثير من اللابسين للباسه

(المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الثالث والعشرون)

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصيب ومخصة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شكيب أرسلان



تشيع الكاتب على جمال باشا بالاستانة

وما وصلت الى الاستانة حتى بدأت بشرح ماجري في سورية من أفعال الشدة والقسوة وارهاف الحد وذكرت ذلك في جميع المراكز بدون استثناء ولا يوجد تقريباً واحد من كبار رجال الدولة القدماء أو الجدد إلا وهو يعلم انني كنت منتقداً ادارة جمال في سورية مشدداً النكير على الدولة في اركانها العنان لهذا الرجل الى هذا الحد . ويصعب على الآن استقصاء شهودي على ذلك سواء من الفئة المعارضة للاتحاديين أو الفئة الموافقة لهم فان ذلك يطول جداً وانما اجتزىء بالاستشهاد بجلالة السلطان وحيد الدين نفسه الذي بقيت بين يديه أكثر من ساعتين أبسط له ما حدث في سورية من الامور وأبين له وجه الظلم والخطأ فيها وكذلك بولي عهد السلطنة الامير عبد المجيد افندي الذي تكلمت معه في هذا الشأن مراراً وكان كل منهما يتنفس الصعداء ويتأوه ويمد يبذل جهده بأصلاح الامور وإيتاء العرب حقوقهم وانصافهم من ظالمهم وذلك عند ما تضع الحرب أوزارها وينتصب الميزان ويبدأ بالحساب . وبقيت في الاستانة من أوائل سنة ١٩١٧ الى نهاية الحرب واستحضرت عائلتي اليها وتحملت نفقات الغربة حتى لا أعود الى سورية وجمال باشا فيها مع اني كنت أصرح امام الجميع اني من جهتي الشخصية لا أقدر أن أشتكي منه بشيء بل يجب عليّ الشكر له لمزيد الرعاية وبالغ العناية اللتين كنت أراهما منه نحوي وانما أشكو بطشه وعنفه وسفكه للدماء وشدة استبداده وما يعود بذلك من الضرر بالدولة وبالجامعة العثمانية

ولما حضرت الى المانيا أولهم مرة سنة ١٩١٧ سميت باقناع الالمان في طلب صرفه عن سورية وكان لهم بذلك يد وأرسلوا الجنرال (فالنكنهاين) قائداً لفلسطين وقطعوا علاقة جمال بالجيش المرابط فيها وما زال تفوذ جمال يقل

ودائرة اختصاصه تضيق الى أن طلب هو الرجوع الى الاستانة وذلك قبل دخول الانكسار بقليل ولما جاء الى الاستانة ووجد التكبير عليه عاماً كان كان اسنقظ من مسام ، وتبدل مرارة الحقائق بحلاوة الاحلام ، وربما تذكر ما كنت أنحله إياه من النصيحة وأنهاه به عن الشدة والبطش ولا سيما عن القنصل لانه غير قابل التلافي وما شعرت يوماً الا وأحد أصحابي وأصحابه يتكلم معي في الذهاب الى نظارة البحرية للسلام على جمال باشا ويلح جداً بذلك فقلت ليس بيننا أدنى شيء يوجب النفور شخصياً وانما كان النفور منبعثاً عن اختلاف في الرأي وانه كان يرى الشدة ضرورية لحفظ سلامة المملكة وأنا كنت أرى الذي أتاه معجلاً في تجرئتها . وذهبت وسلمت عليه وتصلحت معه وعانيني على حملائي عليه وقال لي ان رفقاءه كانوا يقولون له إن شكيب أرسلان بك هو أيضاً في مقدمة الناقدين الناقين وهو ممن لاشك في صدقهم وانه هو كان يجاوبهم نعم انه مخاص ولكن رقيق القلب ويريد أخذ الامور كلها بالعفو . فدار بيني وبينه جدال طويل أنذكر منه انني قلت له يامولانا عند ما أتيتم بالزهرراوي من باريس وجعلتموه في مجلس الاعيان كنت أنا مستقداً هذا العمل ولكن بعد ان عفوت عنه ومضى على ذلك ثلاث سنين تأخذونه من مجلس الاعيان وتشتقونه : هذا انتقده أكثر ، لانه خطأ أعظم من الاول ، ثم لا يكفي شتم الزهرراوي بتلك الصورة حتى ينهى الى الا ناضول والده البالغ من العمر نحو ٩٠ سنة فكيف تريد أن لا أنتقد هذه الاعمال : وقد دافع عن نفسه ببعض أجوبة لا تخرج عن الترداير العسكرية التي يعملها كل قائد في أثناء الحرب . وأنا لا أنكر ان جمالا تصرف تصرف أي قائد أوربي أودع اليه أسر مستعمرة آسيوية أو أفريقية وليس في قواد فرنسا ولا انكلترة كثير يقدر ان يرموا جمالا بحجر كما يقال او ان يعيبوا مظالمه لانهم جميعاً تقريباً يسلكون هذا المسلك وأفظم منه وهذا تاريخ استعمارهم في الهند وفي مصر وفي الجزائر وفي تونس وفي الكونغو الخ أصدق شاهد على ما تقول وفي الحرب العامة قد جرت من فريقى الدول المتحاربة كلما علت يد فريق على آخر من المناكير والموبقات وغرائب القسوة والوحشية ما يزيد على أعمال جمال ولكن جمالا تركي عيبه ظاهر ، ولا يوجد له ساتر ، وأما القائد الانكليزي أو الفرنسي فلهذا مسموح له عند بعض أبناء وطننا بأن يفعل ما يشاء فلا يتعرض بذلك

لا انتقاد أحد منهم ولو فات الوحوش في أعماله لأنه كما ورد في المثل العامي :
« من بيت القرفور ، ذنبه مغفور »

على أن وجه انتقادنا على جمال هو كون سورية ليست مستعمرة ولا الدولة العثمانية هي دولة أوربية فإن الدول المعهودة اذا قدم من عملايين يدي العار كان لمن من القوة المادية ومن الثروة ومن البسطة ما يغطيه ^(١) وأما الدولة فليس عندها من القوة ما يغطي عيوبها ولو فازت المانيا وتركيا بهذه الحرب لما وجدت أحداً انتقد جمالاً من هؤلاء الذين يملأون الدنيا سخبا عليه اليوم بل يقحمون في زمرته اناساً أيديهم طاهرة من جميع ما عمله ولسكانوا اليوم ينوهون بمثابة جمال واقدامه وحزمه

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأُم المخطي الهبل
مسألة محاولة جعل سورية تركية

قال لي بديع بك المؤيد بمبعوث الشام عقب عودتي الى الاستانة انه يوجد قانون مراد الحكومة إلقاؤه الى المجلس المناقشة فيه وتصديقه وهو يتضمن جواز تبديل أملاك المبعدين بدون تعيين وانه بعد تصديق هذا القانون يمكن الحكومة نزع أملاك المبعدين من سورية واعطاؤهم عوضاً عنها في الاناضول وكان شاع أن جمالاً ينوي هذه النية وانه أسس (قومسيون التهجير) لهذه الغاية ، وأخذوا باحصاء أملاك المبعدين ، فذهبت الى نجم الدين بك ملا رئيس الشعبة الخامسة في مجلس الامة وحكى له القصة فلم يعتقد أن المراد بهذا القانون منفيو سورية ولكنه أشار علي بمذاكرة طلعت ، ثم ذهبت الى الحاج عادل بك رئيس مجلس الامة فأشار علي بمراجعة الحكومة وصرفها عن هذا المشروع قبل طرحه في المجلس ، فعصاف أني مرضت بهاتيك الامة ^(٢) ولزمت محلي

(١) المزار : اسنى الكاتب هنا الافك وقلب الحقائق فيما تذييعه البرقيات والجرائد فهذا لا ينطلي مظالمهم فقط بل يحيل السيئات حسنات بمنون بها على المظلومين المقهورين
(٢) كذا في الاصل فهل هو محرف عن الآونة أم استعمال الكاتب الامة بمعنى الحين كما قال بعضهم في تفسير قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) وقوله (وادكر بعد أمة) والصواب عندنا في تفسيره ما جرى عليه البيضاوي من انه بمعنى الطائفة من الزمن فهو استعمال للامة في غير الاحياء فتفسرها بالحين تفسير بالامنى في الجملة لا لغوي ، قال الراغب : وحقيقة ذلك أي في الآية الاولى : بعد انقضاء أهل عصر أو أدل دين ام . ولكن هذا الوجه لا يظهر في الآية الاخرى

فجاءني سعد الله بك الملا بمبعوث طراباس وأخبرني أن القانون عند حامد بك بمبعوث حلب وقد روجع في تأخيرهِ إلى أن أكون شفيث من وعكتي وذهبت إلى المجلس فأتيت وأنه إن طرح القانون في المجلس خيف تصديقه بالأكثرية فاصطدرت أن أقوم من فراش مرضي وأذهب إلى الباب العالي وكان طالعبت تولى الفسادة جديداً فإما حكيت له القصة أجابني فوراً : هذا قانون لن يذهب إلى المجلس أبداً كن مستريحاً. ثم سحبه وانهطوت هذه المسألة التي كنت أنا السبب الوحيد في دفعها كما يعلم كثيرون الرأى وما كنت لأتمنى ذلك هذه الخدمة ونشر مكنونات لم يكن في البال اظهارها بحرف ذرية النيجيج لولا تشدق بعض الاعضاء بما يتشددون به من الافتراء والافتئات، وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أناح لها السنة أمثالهم

إعادة السوريين المنفيين

كذلك القرار الاول بإعادة منفيي سورية إلى أوطانهم حصلت عليه بواسطة طلعت و خليل ونسيبي وجاويد ولم يكن لي فيه شريك مطلقاً وقدمت تقريراً بواسطة جاويد - أقول فيه أنه لا يوجد أدنى محذور من إعادة هؤلاء المنفيين إلى سورية وإني أكتفاهم بنفسي كفالة عامة وأقدم عن كل شخص منهم بمفرده كفالة خاصة من رجل مأمون . فرد جمال هذا القرار وكان يومئذ لم يزل في سورية وكان انكسار الانكليز عن فلسطين في واقعتي غزة الاوليين قد كسب جمالا جمالا ورونقا فلم يريدوا أن يكسروا كلمته وقد انذرهم بالاستعفاء ذا أصر مجلس النظار على هذا القرار ، وذهب انور بنفسه ثاني نوبة إلى سورية ومدحت شكري ناموس جمعية الاتحاد والترقي ولم يقدر على اقناعه فماد بالحنيني حينئذ ، وبلغني الخبر فذهبت إلى طلعت وقلت له صبح ان جمالا لم يقبل قراركم رجائي ان اصبر عليه شهرين فقط وأنه بعد ذلك يتغذه . ثم اخذ يأذن لانس من المنفيين بالنقل من مكان إلى آخر كلما راجعناه في قضية واحد اجاب الطلب . كذلك انور صار يتعاهد المنفيين بالاحسان والفضل وكانت سنين عسيرة اثناء الحرب كما لا يخفى فاضفت زيادات كثيرة على مرتبات قسم من المنفيين من جبل لبنان كانوا باسكيشهر وآخرين من المدينة المنورة كانوا بكوتاهية وعشاق وازمير وغيرها وكانت هذه العلاوات كلها من دائرة التشكيلات التي كانت تابعة لنظارة الحربية وكنت في آخر كل شهر اطالب بها وارسلها كما انني كنت اتردد دائماً إلى منة المهاجرين في الباب العالي استنجر دفين شريات المنفيين بأجمعهم فكانت

الدولة تنقدم كل شهر ١٥٠ ألف ليرة وكنت اقول لرجال الدولة : ما سمعت ان دولة في الدنيا تشترى عداوة قسم من تبعها بمائة وحسين ألف ليرة شهريا اصرفوا هؤلاء الناس الى اوطانهم يصيروا شاكرين داعمين لكم وتوفروا على خزانة الدولة اكثر من مليون ونصف مليون ليرة في السنة . ولم يكن احديهم بأمر المنفيين ويخاطبهم سواي لان الآخرين يخافون مقبة العلاقة معهم فكنت اقضي ليلي ونهارى في تحرير الاجوبة والبرقيات بقضاء حاجاتهم وكانت ترد على منهم مئات من الرسائل ممن بأزمير ومغيسية وبروسة وباليكسروقره شهر واسكيشهر وكوتاهية وعشاق وسيواس وتوقات وكنفري وادرنه . وما زلنا نكافح بلاءهم ، ونخفف من مفضل غربتهم ، الى أن تحول جمال من سورية الى الاستانة فأخذ طلعت بتسريح المنفيين تدريجاً . وحدث أن الحكومة احتاجت الى أصواتنا (أي مبعوثي العرب) في مسألة تتعلق بتجديد مدة الامتياز لشركة حصر الدخان فاشتراطت أنا والمرحوم فريد الشام محمد باشا العظم أن يطلقوا لنا سراح المنفيين لمنعطيهم أصواتنا وصرنا نعقد بعد ذلك اجتماعات يحضرها جميع مبعوثي سورية وفي احدى الجلسات قرر المبعوثون تفويض ثلاثة بمفاوضة الحكومة في شأن المنفيين وهم المرحوم محمد باشا العظم بمبعوث الشام وابو علي سلام بمبعوث بيروت وهذا العاجز

— ٤ —

المجاعة في سورية اثناء الحرب

ومن هم المسؤولون الحقيقيون عنها

لا جرم أن من أعظم حوادث هذه الحرب ونتائجها على الانسانية هي المجاعة التي عشت بأنيابها كثيراً من الامم ، وألغقت مئات ألوف بل ملايين من النسم ، وكان لسورية منها نصيب واف لم يحدث التاريخ منذ قرون عديدة بأن سورية أصيبت بمثلها . فقد وصل الامر الى أن بعض الناس أكلوا الميتة وبعضهم فتكوا بالاطفال وطعموا من لحمهم وبعضهم اختلط عقله فذبح ابنته وأكلها كما حصل لرجل من معلقة الدامور . ولما كان وقوع هذه المسغبة في أواخر دور الدولة العثمانية بسورية كان بدهياً أن ينقم الناس أمر هذه المصيبة

على هذه الدولة لان الناس متى حلت بهم المصائب ينهالون بالقذف والظمن
 في كل شيء على حكومتهم الحاضرة . ولان سحرا الانكاز والفرنسيس وغيرهم
 من الخلفاء كان لا يزال ماشياً الى ذلك الوقت على السوريين . وكان لهم في البلاد
 سمعة يستثمرون جهالة الدامة وأغراض الخاصة في تحويل تبعة هذه الفادحة
 على الدولة الدثانية خاصة دون سواها . ولما كان المصائب كما يقال ينسب عن
 العوالب كان السواد الاعظم من المصائبين ميالين الى تصديق ذلك الحديث
 المفترى . ثم لما انتهت الحرب بانتصار الخلفاء وصار الناس في سورية يتزاحمون
 بالمناكب في مواكب إجلالهم ويتسابقون على جراد القرامح في ميدان التزلف
 اليهم ، كانت في مقدمة أسباب الزلزال قضية هذه المجاعة يذكرها أهوالها
 الحلفاء بكثرة وأصيلاً ، ليفذوا منها الى التنظير بينهم وبين الاتراك بأن
 هؤلاء أماتهم جوعاً قصداً وعمداً ، وقطعوا عنهم الميرة لانتلاف بخضرائهم
 تصوراً وتصميماً ، وان الخلفاء جاؤا بمد الفتح والظفر فأغنوهم من فقر ،
 وأسمنوهم من جوع ، وآمنوهم من خوف ، واندفعت جرائد سورية الاماندر ،
 تضرب على هذا الوتر ، وانبرى كل من أراد اظهار المودة للحلفاء يسرد قصص
 المصائب التي صلبها الاتراك على نصارى لبنان نظراً لتعلقهم بفرنسا . وكيف انهم
 جوعوهم وأزهدوا من أزواحهم نحواً من ٢٠٠ الف نسمة كلها ذهبت في حب
 فرنسا ولا عجب — فأولهُ سقم وآخرهُ قتل — وانه لولا حب هذه الفئة
 فرنسا لكان الاتراك أشبهوها ولم يهملوها إذ كان الخير والميرة فائضين لديهم
 وانما قتلوا على اللبنانيين ليستأصلوهم أو لينقصوا عددهم نقصاً عظيماً يستريحون
 بعده من وجودهم . وبالاختصار فائت الف شهيد هذه كلها تكلمت بالشهادة
 في حب فرنسا لا غير . . . وقد سرت هذه الاوهام الى أناس من أنفس
 الأوروبيين ولا سيما من الرئيس حتى قرأت لهم في هذا الموضوع كلاماً كثيراً
 وردد صداد مجلس البرلمان الفرنسي . فاللبناني من هذه الفئة كلما
 أراد ان يعتد بخدمة لقومه في هذه الحرب قال : واقد امات ما الاتراك
 ٢٠٠ الف نسمة أثناء الحرب من اجل استمسا كنا بمرورة الخلفاء ولا سيما فرنسا
 ولعدم انحرافنا عن مبادئنا . والفرنساوي كلما أراد ادعاء حق في سورية وحاول
 تبرير احتلاله اباًها نادى : والما نحن الرئيس هناك اصداقاً مرتبطون بنا
 منذ احقاب . متطاولة وطالما سيرا الخلفاء والمران من احاثنا وتحملنا الانتقام

والاضطهاد وناهيك انه في اثناء هذه الحرب قد اهلك منهم الاتراك مائتي الف حوفاً من اجل محبتهم لفرنسا .

وهكذا تتواتر هذه الكلمات وتكرر وتعاد وتصل وتنفخ وتضطرب وكلما جرى ذكر الحرب العامة وما اصاب السوريين فيها كانت هذه الدعوى ويسمونها « التجويع » اول ما يستفتح به الخطاب ويعتمد به من المن على الحلفاء . حتى ان كثيرين ممن لا يحبون فرنسا ولا انكلترا اذا طالبوها بتحرير سورية وتركها لاهلها وذكروا سابقة السوريين في خدمتهما ومناصحتهم للحلفاء في الحرب العامة جعلوا من جملة هذه الخدمات الجلى والمناصحات المثلث هذا « التجويع » الذي اجراه الاتراك على سورية انتقاماً من اهلها

ولقد آن لكل انسان يحترم نفسه ويحاسب وجدانه ، ولا يرضى ان يكون ذليلاً للباطل وهو يعلمه ، ولا أن يقارَّ على البهتان وهو يشهده ، ان يشور في وجه هذه الاكذوبة التي طال امرها وتمادى اجلها ، ويمضي سلطة هذه الاغراض مهما كان وراءها من دول وملل ، وسيف وقلم ، فان القليل بالحق كثير ، وان العزيز مع الباطل ذليل ، وان الحق اولى ان يتبع ولو انهزم اتباعه ، وان الضلال لا جدر بأن يتشكك ولو انتصر اشياعه ، ولا سيما وان صولة الباطل ساعة ، وجولة الحق الى قيام الساعة ، فالى متى نداهن الحلفاء بأن الاتراك هم الذين اماتونا ، وانهم هم الذين احيونا ، وتبصيص اليهم بقولنا ان الاتراك كان بوسعهم ان يميرونا ، لولا تعمدهم تنقيص اعدادنا ، وتقليل سوادنا ، وانهم انما اماتونا على بينة واهل كوننا وهم قادرون على استحيائنا ، كل ذلك من اجل محبتنا لفرنسا وانكلترا . والله لقد اصبحتنا أمثلة في العالمين ، واضحوكة في الاولين والآخرين ، وجمالنا لسورية في التذلل والتماق تاربخاً تضرب به امثال المتشائمين ، فكيفانا يا قوم حرباً لفخائرتنا ، ومكابرة لحواسنا . انه ليس المقصود هنا الدفاع عن الترك الذين خسروا من الامور ما هو اهم من عطفنا ومودتنا واصبح لا يهمهم حبنا لهم او كرهنا ايهم . وانما المقصود هو تقرير حقيقة وتحرير واقع ، وابطال غسة ملتها الاسماع ، وطافتها الطباع ، لا سيما مع شدة اعرافها في الباطل ومحض ضدورها عن الهوى ، فان الجماعه اثناء الحرب كانت عامة شاملة طامة غير خاصة بمحلا دون آخر وانما كانت شدتها على درجات متفارقة وذلك على مقدار تحمل البلدان وقابليتها وقد عمت السلطنة العثمانية

بأجمعها شرقيها وغربيها ، وشماليتها وجنوبيها ، فلم ينج من مخابها مكان ، ولا سلم سكان ، الا انه مما لامرية فيه ان السهول والبقاع التي تكثرفيها البسائط لزرع الحبوب كانت اوفر تحملا واقل بلاء من الجبال والبقاع القاحلة التي هي عيال على البحر من جهة وعلى السهل من جهة اخرى لاجل ميرتها ، لذلك لا يمكن ان يتصور العقل ان بلدة من الشام او حلب مثلاً تجوع بقدر جبل لبنان الذي كل ما ينبت من الحبوب يكفي اهله شهرين من السنة فقط ويضطر لمؤونة العشرة الا شهر الباقية الى الجلب من البحر او من داخل البلاد . اما البحر فان دول الحلفاء قد سدت ابوابه على الاهالي سداً محكما فلم تسمح حتى للاطانات الخيرية ان تدخل الى سورية ، لا يقدر ان يكابر في ذلك احد . واما الداخل فان الحبوب التي عاش منها اهل بيروت ولبنان وسكان السواحل صموما اثناء الحرب كانت ترد منه وحده ، وان قيل انه لم يرد من الداخل الا القليل ولذلك مات الوف من اهل السواحل جوعاً فالجواب : من قال لكم ان الداخل لم يشتد به الغلاء ولم يخف اهله من الموت جوعاً ؛ واي عقل يصدق ان اهل الداخل يسمحون بحبوبهم ان ترسل الى السواحل وبغلاطهم ان تؤخذ من بين ايديهم ويكونون هم انفسهم تحت خطر المجاعة . فقد عاجلنا هذه المسئلة جيذا وتعاركنا مع اهل الشام وحماه وحلب مراراً اثناء الحرب لاجل المقدار الذي نحتاجه من الحبوب من بلادهم وكانوا دائماً يعارضون اشد المعارضة في فتح الباب على مصراعيه ، وبعد اللتيا والتي يسمحون بشاحنتين من الحبوب يوميا ويرون ذلك كثيراً ، وكم مرة اصدرت الحكومة التركية الاوامر المشددة المؤكدة بشحن كذا وكذا من الحنطة الى بيروت ولبنان وكان مجلس ادارة الشام ومجلس ادارة حلب يملآن الدنيا صراخا بكون بلادها لا تتحملان اخراج هذه الكميات منها وانهم لا يرضون ان يجوعوا هم لاجل ان يشبع اهل لبنان وبيروت والمثل يقول : ابدأ بنفسك ثم بأخيك . وكانوا يحتجون بأن البلاد الداخلية قد تلقت قسماً عظيماً من سكان الجبل والسواحل وآوتهم واطعمتهم ولم تقصر في رفقهم . فنقول ان مجالس الشام وحلب وحماه وحمص الادارية التي هي مركبة من اعيان البلاد من مسلمين ومسيحيين ويهود هل كانوا يقصدون «التجويم» وينوون به استئصال نصارى لبنان؟ وهل سكان السواحل كلهم نصارى؟ لا، إن الاحصاء يثبت ان المسلمين في السواحل اذا اعتبرت كلها منقضة مع لبنان يزيدون على (المنار: ج ٤) (٣٨) (المجلد الثالث والعشرون)

النصارى في العدد^(١) أفنقول ان مسلمي الداخل ارادوا اهلاك مسلمي السواحل جوعاً ، وقد يرد بأن اهالي حلب والشام وحماء وحمص لم يكونوا يمانعين اخراج الحبوب وانما هم الاتراك الذين كانوا يضعون العوائق . والحقيقة التي لا مرية فيها ان الاتراك كانوا يأمرؤن باصدار الحبوب المرة تلو المرة وكانت المعارضة تقع من اهل تلك الولايات بحجة ان مواسمها لا تكفيها وان اهلها اولي بها فلا يموتون هم جوعاً لاجل شعب غيرهم . وهو كلام معقول لا غبار عليه . وكم من مرة ذهب علي منيف بك متصرف لبنان بنفسه وعزى بك والي بيروت بذاته وغيرهما الى الشام والي حماه والي حلب واقاموا الايام الطوال يتنازعون مع المجالس الادارية في تلك الجهات فأحياناً يظفرون بشيء واحياناً يمودون بخفي حزين . وبلغ الامر في الآخر ان صاروا يطوفون بانفسهم على القرى في تلك البلاد ومعهم القوة العسكرية لاخذ ما يجدونه من الحنطة قسراً فكان الفلاحون يطمرونها في الارض ويخفونها بكل وسيلة وينكرون وجودها . وهذا جمال باشا نفسه على ما كان عليه من القسوة والغلظة اصدر اوامر لاتعد ولا تحصى بارسال المقادير اللازمة الى لبنان وتولى هو بنفسه ارسال كميات عظيمة عدة مرار ولكن تشديدا لاوامر وصدورها ولو ممن اشتهر بقط الرقاب لا يكفيان في ايجاد القمح من العدم حينما المجاعة تكشر للجميع عن انيابها والموت الابيض واقف على الابواب

ومن جملة اعتراضات بعضهم قولهم : يا للعجب كيف أن سورية التي كانت تدير أهلها وتصدر منها حبوب الى الخارج تعجز فيما بعد عن ميرة أهلها ويموت منهم الالوف المؤلفة جوعاً ! وهذا الاعتراض يكاد يكون من السخف بحيث لا يستحق الجواب . فان الذين يقولون مثل هذا القول ينسون الحرب الكبرى ويففلون أو يتغافلون عما كان من نتائجها في كل الدنيا لاني سورية فقط . ولقد اعطت سورية وحدها خمسمائة الف جندي الى الدولة هم لباب الامة وقوتها

(١) النار: ان قرية القلمون في ساحل لبنان بقرب طرابلس الشام وأهلها كلهم مسلمون وأكثرهم شرفاء من ذرية الرسول (ص) وروى لنا الثقات عن رأي اسمها في دركنار الدولة بالباب العالي انها سميت فيه بسيدة القرى والمزارع - ولقد مات ثلثا أهلها جوعاً ووجد فيها من أكل الجيف وامراً اذا كلت من لحم أولادها ، على انهم كانوا قبل شدة المجاعة يفيضون على جيران قريتهم النصارى فضل قوتهم

واصحاب الايدي العاملة فيها، واكثر الباقي كان من الشيوخ والنساء والاطفال وقد يقال ان قسماً كبيراً من هؤلاء الخمسمائة الف فروا من خدمة الاتراك . والجواب ان الفارين كانوا يختبئون فلا يقدرّون أن يظهرّوا ولا أن يتعاطوا الاشغال الزراعية فلا فائدة منهم . على أن الحرث والزرع لا يقومان بالايدي العاملة فقط . فلا يقال هاقد حضر الزارع فحسب فان البلاد اعوزها البذر والبقر وكل ما به قوام الغلة لكون الحرب جرفت اكثر المواشي بماساقت منها العسكرية لاجل جرم المدافع وحمل الاثقال ولجل اكل الجنود على مدة اربع سنوات واستأصلت حرب ترعة السويس وحدها ٣٠ الف جمل كنت اراها بنفسى تموت بالمشرات على الطريق وأنا عائد من قلعة النخل الى معان مع المتطوعين الذين سرت بهم الى تلك الحملة . ولماذا نعني انفسنا بسرد هذه الاسباب التي كل اهل سورية يعرفونها ويعرفون انها هي السبب الاصيل في المجاعة وان الجوع عم البلاد كلها فالسهول التي مثل حوران وحمص وحماه وحلب والبقاع والغور ومرج ابن عامر كان الخطب فيها ايسر من الجبال التي كلبنان وجبل القدس ومن المدن التي ك بيروت وصيدا الخ ولا ننس أنه في سنة ١٩١٥ جاء جراد سد الآفاق وعم البلاد كلها واهلك الزرع والضرع ولم يبق من بعد بذر كاف للمستقبل فكان من اقوى عوامل الجوع في السنين التي بعدها .

إذا فالجوع الذي اصببت به سورية لم يكن سببه سوء نية الاتراك كما يقولون بل سببه حالة الحرب العامة والحصر البحري وذلك الجراد الذي لم يسبق له مثيل فامتص خير البلاد من اول سنة، وأعثرها عثرة صعبت من بعدها اقاتها . ولقد اشتد الفلاء في جميع القطر الشامي حتى في دمشق الشام التي كانت منذ وجدت أرهى بلاد الله عيشاً وأرخصها اسعاراً ومات فيها وفي نواحيها الوف من الجوع ومن الامراض التي قواها سوء الغذاء ولكن ليس كما حصل في الساحل لان درجات الشدة كانت بحسب درجات قابلية الاراضي لزرع الحبوب كما قلنا وقد بلغ من رطل الحنطة في حوران وهي ام الحنطة نحو ١٨ و ٢٠ غر شا ذهباً وذلك على البيادر فماذا تقول في البلاد التي ليست تقاس بحوران في قليل ولا كثير؟

(للسكلام بقية)

من الخرافات الى الحقيقة

٥

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام^(*)

(١٦) شعور الاخاء كان بالغاً أعلى الدرجات بين المسلمين . ألم الواحد كان يؤلم المجموع . لانهم اتخذوا لحالتهم الاجتماعية منهاجاً رسمه لهم النبي (ص) اذ قال « ان حقاً على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يؤلم الجسد الرأس »^(١) كان الناس يعيشون على هذا المنهاج الاجتماعي بكل إخلاص . أما نحن (وأسفاه) فهل يتذكر أحدنا ان جاء المسلمين ضربة الا وكانت عن يد مسلم ؟ هذا تاريخنا الماضي لنقرأه باكين^(٢)

(١٧) اللقاء بذور الشقاق والتفريق بين المسلمين كان ممقوتاً أشد المقت حتى ان الهادي الاكرم أخرج المفرقين من بين أفراد العائلة الاسلامية . اذ قال « من فرق فليس منا »^(٣) وأما في زماننا فواحد رناه قد أصبح التفريق بين المسلمين يهد من حسن الحزم ودهاء السياسة فينا !

❖ وقلبوا الحقيقة فخصوا المفرق باسم (المنقذ) . كان الخروج من التالعية الاسلامية والدخول في حماية غير المسلمين (انقاذ !!!) - لاحول ولا- (المرجم) ❖

(*) المنار : لاندري لماذا تصرف المترجم في الاصل بالتقديم والتأخير ومنه الفصل بين ما هنا وما سبقه من آداب الاسلام بالكلام في تأثير الفرس والترک في السياسة الاسلامية ؟ (١) رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب مرسلًا بأسناد حسن ، وفي معناه أحاديث موصولة في الصحيح هي أولى منه بالتمثيل كحديث النعمان بن بشير في مسند احمد وصحيح مسلم الذي يأتي قريباً في ع-د (٢١) (٢) أن حالنا الحاضرة ليست أمثل من تاريخ تعادينا الماضي وإيقاعنا بامتنا فكل ما أصابنا من استيلاء الأعداء على بلادنا قد وقع بتخاذلنا وتخريب بيوتنا بأيدينا وأيدي أعدائنا الذين واليناهم وساعدناهم على أنفسنا كما أشار اليه المترجم في جملة التي ذيل بها حديث التفريق الذي بعد هذا (٣) الحديث رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار بسند صحيح وهو مأخوذ من قول الله تعالى لرسوله (ص) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) والاحاديث في الحث على الاعتصام والنهي عن التفريق كثيرة والآيات في ذلك معروفة

(١٨) كانت النخبة بين الناس من أشنع المنكرات . لأن سيد الخلق قال « إياكم والعصاة النخبة القالة بين الناس »^(١)

(١٩) الظن السيء في الناس الذين لم تثبت تهمتهم كان من أسوأ الأخلاق والتجسس على الناس كان معدوداً من المقاسد المنافية للتأليف مع الاسلام . لحديث « إياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله اخوانا »^(٢) وأما نحن فأقل اشارة تبدو من أخينا المسلم تكون سبباً لاغراقنا إياه في أمواج الظنون المختلفة . فهل صار ديننا البعد عن هدي نبينا ونبذ آداب ديننا ؟

كلا ان حسن الظن بالناس قد عد من حسن العبادة في ديننا اذ قال نبينا عليه صلوات الله وسلامه « حسن الظن من حسن العبادة »^(٣) وكان الناس يعدون الانقياد لهذا الهدي النبوي من أقدس الواجبات ، فليتدبره العقلاء وليحكموا على أنفسهم أو لها

(٢٠) كانوا يكرهون التفرق في المجلس الواحد ويستحبون الاجتماع والمشاركة فيه . لأن النبي (ص) كان يحب مرأى أمته وهم مجتمعون . وقد دخل المسجد مرة فرأى المسلمين جالسين خمسة خمسة أو ستة ستة . فلم يرقه هذا المنظر فقال « مالي أراكم عزيزين »^(٤) . لأن هذا المنظر يؤهم الاعداء وقوع التفرقة ظل المسلمون مهتدين بهذا الهدي محافظين على وصية الاجتماع والاعتصام الى زمان ذي النورين . وهناك بدأت التفرقة . ومنذ ذلك التاريخ تهاطل التفرقة على رأس المسلمين وابل النكبات والمصائب . أين العقلاء ؟

(٢١) أهم ما كان يرغب اليه النبي (ص) أن يؤلف المسلمون جسماً معنوياً واحداً يتحابون ويتراحمون فيكونون كأعضاء الجسد الواحد . لذلك قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه

(١) رواه أبو الشيخ في التوبيخ عن عبيد الله بن مسعود بسند حسن . وفي النهي عن النخبة أحاديث صحيحة معروفة والعصاة كعزة وسيأتي . (٢) رواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة قالوا ان التجسس بالمهمة هو التجسس بالواسطة وهو في أصل اللغة طلب الحس والاحساس بالشيء . (٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة (٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن كبرة . وعزيز جمع عزة بوزن عدة وجمعه هذا سماعي

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وأما نحن فلم تفقد التحاب والتراحم فقط بل صرنا نجهل أحوال اخواننا المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكيف تتراحم قبل أن تتعارف من منا يعرف أحوال مسلمي جاوه وما جاورها من دينية وإدارية واقتصادية ؟ من منا يطلب من الجرائد أن تبحث له عنها أو عن غيرها من بلاد المسلمين كما تبحث عن أمم أوربة وأميركا ؟ أين الكتب التي تبحث عن جغرافية تلك البلاد وتاريخها ؟ وكيف طوّق عنقها بقيود الحماية الغربية ؟ كيف ولماذا أصيبت بهذه المصيبة ؟ من منا — الا قليل — تشعر نفسه بالحاجة الى ما ذكر ؟ وبعد هذا الامال أنحن مسلمون؟^(*)

رب قائل يقول ان الجرائد غير الاسلامية تهمل البحث عن المسلمين وأحوالهم وأحداث بلادهم لعدم العلاقة بينها وبينهم وتتملاً أدمغتنا بما يتعلق باروبا وأميركا ، فامتلاً الخلاء . ولكن ما قولنا في الجرائد الاسلامية ؟ هل فأت أصعبها النابغين ان ماحث عليه النبي (ص) من التراحم والتعاطف يتوقف على التعارف قبل كل شيء ؟ كيف أعطف على قوم لا أعرفهم ؟ لذلك أرى التبعة تقع على عاتق مؤلفي الجغرافية والتاريخ وكتاب الصحف قبل كل الناس (٢٢) الاتحاد من أقصى مقاصد الدين لان التعالي السياسي لا يكون بدونه أبداً . لذلك^(١) أمر الله تعالى به بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (٢٣) الاجتماع كان محبوباً جداً عنده صلى الله عليه وسلم . جاء في الحديث « اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة » .^(٢) لذلك لم يكن أحد من السلف يفكر في شخصه وحده . بل كان

(*) المنار : لو اطلع المؤلف أو المترجم على حديث « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » لا ورده هنا وهو عند الطبراني وأبي نعيم في الحلية بل رواه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً بمعناه

(١) المنار : هذا التمليل من لوازم حكمة الدين ومقصده من الامر بالاعتصام والاتفاق والنهي عن التفرق والشقاق أو أحد المقاصد ، وليس هو العلة الاولى الامر والنهي بل علمتهما الاولى ان الدين نفسه لا يحفظ ولا يقوم ولا تقترب عليه آثاره من سعادة الدارين الا بذلك (٢) رواه احمد عن أبي ذر بسند صحيح والاحاديث في وجوب التزام الجماعة وحظر الفرقة كثيرة

الناس يفتشون على سعادتهم بين سعادة المجموع
(٢٤) كان المرء والجدال لتأييد أهواء الانفس من أقبح الخصال المذمومة
لانه يثير الاحقاد ، ويعمي البصائر والابصار عن رؤية الحقائق ، ومما ورد
من الاحاديث الصحيحة في ذمه والتنفير عنه قوله صلى الله عليه وسلم « ابغض
الرجال الى الله الالذ الخضم »^(١)

(٢٥) معاملة الجار بالحسنى وعمل المعروف كان من أهم الآداب التي يحافظ
عليها المسلمون لوصايا القرآن والسنة به ومنها حديث « احسن الى جارك تكن
مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً »^(٢)

(٢٦) كان افراد الامة صرّيجين في أقوالهم أحرار في أطوارهم. وأظهر سجايا
الاسلام في طوره الاول هذه السجية . كان كل فرد مسلم يقول الحق بصراحة.
ولو كان مخاطبه نفس الخليفة . وكانوا يتزهون عن الكذب لانه أقوى دهائم
النفق وقد قال (ص). « آية المنافق ثلاث: اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ،
واذا ائتمن خان »^(٣)

(٢٧) انماض العين على الباطل محاباة والتلق للظلمة مداراة والغش والخداع
للناس — كل ذلك كان يعد من صفات المجرمين والمنافقين ، المناقية لآداب
الاسلام وصفات المؤمنين، وقد أخرج النبي (ص) كل من يغش مسلماً أو يخدعه
أو يحتال عليه من الجمعية الاسلامية اذ قال « ليس منا من غش مسلماً أو ضره
أو ماكره »^(٤)

(٢٨) أخذ الموظفين الهدية وقبول الحكام الرشوة كان من أكبر الجرائم

(١) رواه احمد والشيخان وغيرهما (٢) هذا بعض حديث أوله « اتق المحارم » الخ
رواه الترمذي وغيره من رواية حسن البصري عن أبي هريرة وهو لم يسمع منه وفي
الباب أحاديث صحيحة كثيرة

(٣) : رواه الشيخان البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .
وفي معناه أحاديث أخرى كثيرة صرح فيها بكون اكرام الجار من آيات الايمان
وكون ايذائه ينافي الايمان (٤) رواه الرافعي من حديث علي بسند حسن وفي
معناه أحاديث أخرى منها « من غش أمي فليس منا » رواه الترمذي عن أبي
هريرة بسند صحيح وهو عام في غش المسلمين وغيرهم

المذمومة . قال (ص) : «أخذ الأمير الهدية سحت وقبول القاضي الرشوة كفر»^(١)
وما قول أمراء هذا الزمان الذين يعدون قبول الهدايا أمراً غير منهي
عنه ؟ رب ارحم أمة يدير أمورها أناس لا يفقهون أحكام الشرع !!
(٢٩) الاستقامة على الحق كانت من أس الواجبات وركن المعاملات . حتى
ان النبي (ص) قال في آية (فاستقم كما أمرت) إنها شيبته تعظيماً لشأن
الاستقامة . وعلى من يريد أن يقف على روح الاسلام ويتأمل في صعوبة
الاستقامة ، ويدرك درجة عظمة المستقيمين فما عليه إلا أن يتأمل معاملة
الفاروق للمرأة التي رآها جائعة وكيف حمل لها كيس الطحين على ظهره وكيف
طبخ لها بيديه الشريفتين . من يتأمل فيما أودعته هذه الواقعة من المعاني يدرك
عظمة الاستقامة وكيفية تلقاها عند المسلمين وعندئذ تتضح له أسباب تعاليمهم
بكل سهولة^(٢)

(٣٠) العدل كان غاية من كل مسلم ، لان الله قال في كتابه العزيز (اعدلوا
هو أقرب للتقوى)^(٣)

(٣١) روح الاسلام حسن الخلق ، لذلك أمرنا (ص) بقوله « استقم
وليحسن خلقك للناس »^(٤) وقوله « الاسلام حسن الخلق »^(٥) وقال تعالى

(١) رواه أحمد في الزهد من حديث علي كرم الله وجهه بسند حسن . والمراد
أنه من أعمال الكفار التي يتجنبها المسلمون لانه خروج من الملة
(٢) قد يخفى جعل هذه المنقبة من مناقب الفاروق مثلاً للاستقامة التي هي
عبارة عن الثبات على الحق والفضيلة ولعله أراد بذلك أن هذا العمل وان كان
حدثاً زائلاً بعد أدل الدلائل على استقامة الفاروق على منتهى آداب الشرع وكال
فضائله من حيث إن الخلافة التي هي أعلى المناصب لم تكن صارفة لأمير المؤمنين
عن منتهى النجدة والتواضع وخدمة أضعف أفراد الامة

(٣) ينبغي أن تجمل هذه المسألة هكذا : كان العدل مع البعيد والقريب ، والعدو
والصديق ، والبغض والحبيب ، فرضاً لازماً على كل مسلم في هذا الدين لان الله قال
في كتابه العزيز (ولا تجرم منكم شئاً من قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب
للتقوى) أي لا يحملنكم بغض قوم لكم أو بغضهم -م-كم على ترك العدل فيهم
بل اعدلوا مع كل أحد لان العدل وهو ميزان صلاح العالم أقرب للتقوى فيبقى به
من شر الشئ ما لا يبقى بتركه أو بضده

(٤) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وحسنوه (٥) رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري

مادحاً نبيه (وانك لعلى خلق عظيم) وقال (ص) «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً»^(١)

(٢٢) التعدي والتجاوز على الناس كان منهيّاً (ومنهياً) عنه لان النبي قال (ص) «أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من يده ولسانه وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢). وهذا تأمينا لحرية الافراد من أي تعد خارجي (٣٣) حسن الخلق كان يوصل صاحبه الى أعلى درجات التقوى التي لا تنال الا بقيام الليل وصيام النهار لان النبي (ص) قال «ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم»^(٣)

(٣٤) علو الهمة والسماحة من مكارم الاخلاق العالية عند المسلمين فقد جاء في الحديث «اسمعوا يسمع لكم»^(٤) لكي تقابل المكارم بمثلها .

(٣٥) كان المسلمون يسلم بعضهم على بعض عند التلاقي بكل لطف وبشاشة واخلاص ، لاجل استمالة القلوب ودوام التحاب ، ومما ورد من الحديث في ذلك «افشوا السلام بينكم تحابوا»^(٥)

(٣٦) الرفق واللين كان الاساس لجميع المعاملات ، لان النبي (ص) قال «ان الله يحب الرفق في الامر كله»^(٦)

(٣٧) إن البشاشة في الوجوه عند اللقاء كانت من الآداب العامة المطلوبة للتحاب وكان التعبيس والتقطيب من الخصال الممقوتة قال (ص) «ان الله تعالى يبغض المعبس في وجوه اخوانه»^(٧) (لا كلام بقية)

- (١) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر بسند صحيح
- (٢) رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بسند صحيح وله تمة
- (٣) رواه أبو داود وابن حبان من حديث عائشة (٤) رواه عبد الرزاق في جامعه مرسل بسند صحيح (٥) رواه الحاكم من حديث أبي موسى وصححه (٦) رواه البخاري من حديث عائشة (٧) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي

الرحلة الاوربية

٢

السفر من تريسته

سافرنا من تريسته يوم الخميس في الربيع الاخير من الساعة السابعة صباحا (٦ س و ٤٥ د) في قطار أوربة الاكبر وكان مواعده قبل ساعة ولكنه تأخر لتأخر مجيئه من الاستانة

سار بنا القطار في خيف شجير ، من ذلك الجبل النضير ، فكانت شجراؤه عن يميننا في الجبل وعن يسارنا فوق البحر ، وما زال يتسلق بنا متلويا كالارقم في الاجم ، حتى استوى على تلك السهول الفيحاء ، والسهوب الشجراء ، ذات المروج الخضراء ، والرياض الغناء ، الكثيرة النوار ، والمفتحة الازهار ، حتى كان الزمان قد استدار ، فتحول الشطر الثاني من آب الى مثله من نيسان وأوائل أيار — وهي السهول المعروفة بسهول لومباردية — ، وبعد أربع ساعات وصل الى مدينة البندقية (فينيسية) وهو يدخل اليها على طريق ييس في رقراق من الماء يسير فيه خمس دقائق يقطع فيها زهاء أربعة أميال (أوه كيلو) ثم عاد بنا القهقري في ذلك الماء بعدوقوف دقائق في المحطة ثم وصلنا الى مدينة (ميلان) وقت العصر (الساعة ٣ و ٤٥ دقيقة) ومكث في محطتها نصف ساعة تزود فيها ما يحتاج اليه من الفحم والماء ، وبين البندقية وميلان بلاد وقرى كثيرة عامرة لا يقف عليها القطار العام السريع وإنما المواصلات بينها بالقطر الوطنية . وأما هاتان المدينتان فهما من أعظم المدن ذات الصناعات الجميلة والآثار التاريخية التي يقصدها السياح من الاقطار ولوشئنا لنقلنا من كتب التاريخ شيئا من وصفها كما يفعل كثير من الناس فيما يكتبون في رحلاتهم ، ولسنا من مستحسني هذه الطريقة باطلاق ، وإنما يحسن فيها تقييد بعض الشوارد المبعثرة ، والنواد التي لاتنال باليسير من المرجعة ، والنواد التي تزدان بها المحاضرة ، وما يستنبطه السائح من العبرة والفائدة ، حتى فيما صورته الفكاهة والتسلية

ومما لاحظته في نبات هذه الارض ان اكثر شجرها صغير ومتوسط العمر لعل اكبره لا يتجاوز عشر سنين وذلك أنهم يتناولونه بالقطع للاستفادة من خشبه ولكن بالقرب من ميلان أدواها عظيمة باسقة ، كأنهم يستبقونها

للزينة، ورأيهم يختلون خلالها (أي يقطعون حشيشها) بآلات تستأصله من وجه الأرض ويجففونه ويحملونه اكداسا كاكداس حصيد القمح والشعير، ولا يلبث أن ينمي مكانه ويطول لأن المكان مجاج الثرى ريان بالماء

ولم أرفي تلك الحقول الخضراء زرا غير الذرة وهي غضة حسنة النماء فيما قبل ميلان من الأرض وأكثرها ضئيل فيما بعدها، وبالقرب من المدن والقرى حقول وبساتين مزروعة بقولا كالفاصوليا والكرنب والطماطم وأما شجرها فثمة التفاح والكمثرى وقد أينع ثمره وطابت فاكهته

وأجمل مناظر هذه البلاد على الإطلاق البحيرات فقد مررنا ببعضها عن بعد وبيع بعضها عن كثب، ولم أنس لا أنسى أصيل ذلك اليوم اذ بلغنا بحيرة ماجورأو (ميجارو) فراعني ذلك المنظر البهيج، الذي لم أر له فيما سبق من همري من شبيه ولا نظير، وانما رأيت نظيره بعد ذلك في سويسرة، فأقول: إن مثل هذه البحيرة وبحيرة (لوسرن) من البحيرات التي بين الجبال هو أجمل ما خلقه الله في هذه الأرض

البحيرة واسعة، بين جبال شاهقة، مزدانة بالجئات الالفاف، والاجم الغيباء، من أدنى الغور المساوي للماء، الى الشماريح التي تناطح السماء، وترى فيما يدنو منك من هذه الجئات، المعروشات منها وغير المعروشات، أصناف الاعناب وأنواع الثمرات، وهي ذات تماريج كثيرة، وفيها جزائر صغيرة، بنيت فيها قصور نضيرة، يصلون اليها بزوارق جميلة، ومياها زرقاء صافية، وهي تتسع في مكان وتضيق في آخر، وأخفاف الجبال المحيطة بها تمتد على بعض الضفاف وتتقلص عن بعض، ولبعضها السنة مستطيلة فيها، ورءوس مقنعة في بعض نواحيها، والقطار يسيرها في جوانبها، ويلتف على معاطفها، فيدنو ويبعد، ويعبر وينجد، ويصوب ويصعد، ونحن فيه متلعو الرؤس شاخصوا الابصار، نقرب الطرف ذات اليمين وذات اليسار، فنظر البحيرة العجيب عن إيماننا، ومنظر الجبال الغريب عن شمائلنا، وفي كل منهما آيات للناظرين، ومعاني للمتفكرين، تشير في الخيال هواجس الشعر، وتنفت في الوهم رقي السحر، وتلقي في العقول معاني الفنون، وتوحي الى القلوب حقائق الايمان بمن يقول للشيء كن فيكون،

تذكرت برؤية تلك الجئات الغناء، والغابات الغيباء، والرياض الفيحاء،

وصني لروضة من روضات الوطن في مقصوري وهو:

وروضة تجلي بثوب سندس رصعها النور بأصناف الحلى^{١)}
 ماصوح البارح غصن نجمها وناصر الافنان منها ماذوى^{٢)}
 والباسقات رفعت أ كفها تستنزل الغيث وتطلب الندى^{٣)}
 تمتلج (الكربون) من ضرع الهوا نثرنا بالا كسجين المتقى^{٤)}
 مدت على الصعيد ظلاً وارفا فلا ذأى العود ولا الظل أذى^{٥)}
 والشمس تبدو من خلال دوحها آونة تخفى وتارة ترى^{٦)}
 كفاة وضاحة قد أنلمت من خلل الشجر تنو والكوى^{٧)}

(١) الروضة الموضع المعجب بالزهور قاله في المصباح وأصله مجتمع الماء ثم أطلق على ما يحدثه الماء من النبات والزهر وهو الترويض . والنور بالفتح زهر النبات والشجر واحده نورة فهو كتمر وتمره وجمعه أنوار ونوار بوزن تفاح . والحلى بالكسر وبالضم جمع حلية بالكسر وهي ما يزين به النساء من الجواهر . والترصيع تزيين الحلى والحلل بالجواهر التي شبه بها هنا أصناف النوار (٢) البارح الريح الحارة وتصبوحها للنبات تخفيفه والنجم النبات الذي لا ساق له ويتأمله الشجر وأشير اليه بالافنان وهي الاغصان وذوى بذوى ذبل (٣) الباسقات جمع باسق وباسقة وهو ما ارتفع وذهب في الافق طولاً وارتفاعاً وأكثر ما استعمل في وصف النخل والسحاب والمراد هنا كل ما ارتفع من الشجر كالخور والسرو، وأ كفها أغصانها المورقة، وارتفاع الشجر سبب من اسباب المطر، والذي المطر أو مادون الغيث من ماء السماء أي ما يتكاثف من بخار الماء بالتدريج فيحدث بللاً . ومنه الندى بمعنى الجود والسخاء . وفي اللفظ هنا تورية لطيفة، على ما فيه وفيما قبله من استعارات طريفة ، (٤) تمتلج ترتضع والكربون عنصر كيمياوي يكثر في الفحم والا كسجين عنصر آخر يدخل في تركيب الهواء والماء وهو علة أو سبب من أسباب حياة الحيوان والنبات ، واستنشاقه في الهواء يطهر الدم من المواد السامة والشجر ينتشق حمض الكربون السام من الهواء ويفرز الا كسجين النافع المطهر للدم منه ومن غيره (٥) الصعيد وجه الارض والظل الوارف المتسع الممتد . وذأى ذأياً وذأواً ذبل كزوى ، وأزى يأزى وأنا يازوا تبحن وتقلص (٦) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة (٧) الغادة الحساء الناعمة اللينة العنق والقوام واتامت مدت عنها متطاولة لتنظر . والسجوف جمع سجف بفتح السين وكسرهما وهي الستور التي

تأقي على الروض نثير عسجد فتحسب الروض عروساً تجتلي^{٨١}
 وأين هذا الوصف القاصر ، من هذا المنظر الناضر ، والجمال الساحر ،
 وأنى لي بتخيل مثله في طرابلس والقلمون ، وان كانت كثيرة الجنات جارية العيون .
 كل هذا الجمال والجلال ، الذي تجلى علينا بمنظر البحيرة وما يحيط بها
 من الجبال ، وما يزين ضفافها وجزائرها من القصور والفنادق ، والجنات
 والحدائق ، والفلك والزوارق ، وما تولده من المعاني الشعرية ، والخواطر
 الاجتماعية والروحية ، لم تكن لتنسيني أن ولدي مريض ما أدري ما فعل الله
 به ، ولا تصرفني عن الخوف عليه والدعاء له ، ولا سيما في أعقاب الصلوات ،
 وما وفقت له من تلاوة القرآن . والوضوء والصلاة في هذه القطر من أسهل
 الامور ، ومعرفة سمت القبلة فيها ميسور ،

وانتهينا عند الساعة السابعة مساء الى محطة وقف فيها القطار نصف ساعة
 لانكسار مركبة الطعام هنالك وقد ظننا انها اصلحت في تلك المدة ولكن
 خاب الظن وبقينا بغير عشاء ، على اننا مكثنا زمنا طويلا في المحطة التي بعدها
 وهي آخر محطة طليانية وفيها مطعم عام ، الا اننا شغلنا عن الطعام فيها بعرض
 جوازات السفر وتفتيش الصناديق وبما اتخذ من المعاملات الجمركية بشأن لفائف
 التبغ التي يحملها الرفاق

ثم سار القطار بنا ولم يلبث أن دخل في النفق الكبير الفاصل بين ايطالية
 وسويسرة ومكث في بطن الارض ٢٥ دقيقة ثم تجاوزه ووقف بنا بعد نصف ساعة في
 أول محطة سويسرية فمكثنا فيها مدة لاجل معاملات الاجوزة وقد أخذوها منا
 واعدين باعادتها لنا في جنيف . ثم سرنا فوصلنا الى مدينة (لوزان) في منتصف الليل
 فلم ندرك القطار الذي يسافر ليلا الى جنيف لتأخرنا عن الموعد فبيتنا بقية ليلتنا في
 فندق (فيكتوريا) بقرب المحطة وقد طلبنا فيه طعاماً فقيل لنا أن المطعم قد
 أقفل ولا طعام الا الخبز والجبن والزبد والمربي والفاكهة فجاؤنا من ذلك

تنصب على الابواب والنوافذ مؤلفاً كل منها من سترين بينهما فرجة وقيل السجف
 الشق بين السترين المقرونين . والكوى بالضم جمع كوة وهي النافذة الصغيرة . والحال
 بالتحريك ما بين الاشياء من فرجة . ورنا اليه وله رنا وزنوا نظر ، بل هو اطالة
 النظر مع سكون الطرف كنظر العاشق (٨) المسجد الذهب . والنثار والنثر ما ينثر
 أي بلقي متفرقا وكانوا ينثرون الدنانير حول العروس

بأفضل أنواعه مع الماء المثلوج والثلج لتبريد الفاكهة وهي موز وتفتح وكثير
فكان هذا العشاء أشهى وألذ من كل طعام أكلناه في أوربة اذ كان عقب
جوع صحيح وتعب طويل

أكلنا طعاماً لطيفاً لذيذاً ، ونمنا نوماً هادئاً مريحاً ، على سرر مرفوعة
وفرش وثيرة نظيفة ، ولكل حجرة من حجرات النوم حمام خاص ، تمتعنا
بها في ليلنا وفي صبيحته

كان الجو في ذلك اليوم الذي قطعنا به أرض ايطالية يوم صيف معتدل ،
وان كانت أرضها أرض ربيع مديرا ومقبل ، ولولا غمام رقيق كان يكفكف بعض
أشعة الشمس ، لعد هنالك من أيام الحر ، وقد تغير الجو علينا في سويسرة
بعد نصف الليل فهب الهواء البليل ، ولما أصبحنا رأينا السحاب يتكاثف في
الافق ، ثم طفق يجود برذاذ لطيف ، ثم تكاثف السحاب قبل الظهر ، واشتد
المطر بعد العصر ، فكان كما وصفه ابن دريد بقوله :

جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الْجَنُوبُ جَانِبًا مِنْهَا وَاصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبَا^١
نَاءَ يَمَانِيَا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كِسْرَاهُ غَطَا^٢

(١) قوله جون صفة لمخدوف تقديره سحاب جون وهو فاعل لقوله ستنى
الصديق الخ في بيت سابق. والجون الاسود ويطلق على الابيض فهو من أسماء
الاضداد التي يتعين المراد منها بالقرينة والمراد بالجنوب الريح التي تهب من جهة
الجنوب فتجيء بالمطر ، والصبا الريح الشرقية ، وهي تتحد مع الجنوبية كثيراً
وتشبهها كما أن الريح الغربية تتحد مع الشمالية وتشبهها ويكثر مجيء المطر بعدهما في
نصف الأرض الشمالي كما يكثر مجيء المطر بعد الاولين في النصف الجنوبي .
وواصله والمعنى ان هذا السحاب بدأت الجنوب بآثارته بحركتها ، وبتلقيحه بردها
ثم واصلت الصبا بمواصلة بدأت به أختها (٢) ناء نهض بشغل وجهه وبالامر نهض
به بتعب ومشقة وأحضان الشيء نواحيه وأصله مادون الابط الى الكشف من الانسان ،
والكسر بكسر الكاف وفتحها ما تكسر وتدل من الخباء الى جهة الأرض ، وهو
استمارة جملة . وغطا يغطو ارتفع وقيل انبسط ، والمعنى ان هذا السحاب الجون
ناء بحمل الماء حال كونه يمانيا اذ اليمن من بلاد العرب في الجنوب وقد بدأ ظهوره
منها فلما انتشرت جوانبه بمواصلة الصبا ومواصلتها لعمل الجنوب فيه وامتد كسراه
الجنوبي والشرقي في سائر الافق ارتفع اذ خفف حمله بما أفرغ من ثقله أو انتشر وصار

وجال الأفق فكل جانب منها كأن من تطره المزن حبا^(٣)
وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث في هاتأوى^(٤)
إذا خبت بروقه عنت له ريح الصبا تشب منه ماخبا^(٥)
وان وانت رعوده حدا بها حادي الجنوب فحدت كما حدا^(٦)
كأنت في أمضائه وبركه بر كأتداعى بين سجن وروحي^(٧)

عاما كما صرح به في البيتين التاليين لهذا (٣) جال الأفق غطاه وعمه بستره إياه ، والمزن السحاب المطر . وحبا زحف ودنا يقال حبا الصبي إذا زحف ، والمعنى انه بعد ان عم الأفق وجلله صار كل قطر من أقطاره كان المزن قد زحف بصيبه منه اذ لم يعد خاصا بالجنوب حيث نهض ولا بالشرق حيث امتد (٤) طبق الأرض غطاها وجلالها بطره كما طبق هو الأفق بنفسه - وعده في الأساس مجازاً - فكل بقعة منها تقول ان الغيث قد ثوى في هذه دون غيرها كما يؤخذ من تقديم الظرف والمعنى يقتضيه . وهانا اسم اشارة للمؤنث معروف كهذه وهذى وتستعمل كلها بدون هاء التنبيه أيضا (٥) خبا البرق سكن كالسراج اذا طفي . يقول اذا خبت بروق هذا الجون عنت وعرضت له ريح الصبا فاعادت وميضه ولمعانه كما تشب النار السراج بعد انطفائه (٦) وانت ضعفت او فترت ، وحدا الابل وحدا بها غنى لها ينشطها على السر : وحادي الجنوب وفي رواية راعي الجنوب معناه الجنوب الذي هو كالحادي أو الراعي للابل لانه هو الذي يسوق السحاب . يقول : وان ضعفت أو فترت رعوده انبرى له من ريح الجنوب عاصفة ما يصيح به كما يصيح حادي الابل بها اذا ونت وضعف سيرها فاعادت تجاجل بصوتها كأنها تحييه عن حدائه بمثله . وإيس المراد ان البرق ومض بتأثير ريح الصبا وحدها في السحاب والرعد بقصف بتأثير ريح الجنوب وحدها ، بل المراد ان هذا السحاب الذي تعاونت الجنوب والصبا على اثارته ولفحته يردّها فحمل القطر ثم ألقى حملة على الأرض تتعاون الريحان في شب بروقه وقصف رعوده بجمعهما بين زوحي الكهر بائية الايجابي والسلبى الذي يشب البرق فيحدث بشبو به تفرغ الهواء الذي هو سبب الرعد . وفي الكلام من ظريف الاستعارات ما ترى وتسمع . وقد فسر الاستعارات من مكينة وتمثيلية بالتشبيه الصريح في البيت التالي وبما بعده (٧) البرك الاول الصدر والثاني جماعة الابل الباركة . وانما يقال برك البعير لانه يلقي بصدرة الى الأرض ، وتداعى أصله تداعى أي يدعو بعضها بعضاً

لم تر كالمزن سَوَامًا مُبْهَلًا تحسبها رعية وهي سدى^١
 يقول للأجر أراز لما استوسقت بسوقه ثقي بري وحيا^٢
 فأوسع الأُحْدَابَ سَيْبًا مُجْسِبًا وطبقَ البَطْنَانِ بالماء الرؤى^٣

والسجور والسجور حنين الناقة وجعله الراغب استعارة من سجر النار لالتها بها في العدو . وفي مجاز الاساس : سجرت الناقة سجرأ وسجرت تسجراً امدت حنينها في أمر ولدها وملاّت به فاها . قال :

حننت الى برق فقلت لها قري بعض الحنين فان سجرك سائق
 وانما قيد الحنين هنا بالمتد الذي يلاّ النعم لان حقيقة السجر الملّ يقال سجر
 التنوير اذا ملاها لهباً وسجر المطر الوادي اذا ملاه والبحر المسجور الممتلئ . وقوله
 « قري » في الشاهد أمر من الوقار والسكون يقول للناقة لا تجعلي حنينك ممتداً
 دائماً بل اكتفي ببعضه وانزعي أمله فان سجرك يشوقني الى وطني ومن أحب فيه
 فأحن اليه كما تحنين الى فصيلك . والوحى كنفى الصوت الذي ينقضي بسرعة ، والعجلة
 والسرعة ، ويقال الوحى الوحى والوحاء الوحاء في طلب النجدة والالغاة السريعة .
 والمعنى كان ما في جوانب ذلك الجون وفي صدره وهو وسطه من قطع السحاب
 التي تجتمع وتنفرد وتتحول من جانب من جوانب الافق الى آخر بين وميض
 البروق وقمة الرعود التي تمتد وتقوى أحياناً وتنقضي أحياناً بسرعة - كأن في
 ذلك - ابلا بركة يدعو بعضها بعضاً الى التحول والانتقال فتنتقل بين حنين
 خفي قصير وحنين ممتد طويل

(١) السوام الابل السائمة أي الراعية وأسامها رعاها فهو مسيم ، والبهل
 التي لم تحلب فهي ملأى الضروع بالالبان وناقة باهل غير مخلوبة ولا مصرورة أي
 ولا مربوطة الضرع ، يحلبها من شاء ، وقيل المتروكة الرعي ، والسدي المهمة التي لاراعي ،
 لها . والمعنى أن هذه السحب الممطرة في كل مكان ، التي تشبه السوام البهل المبدول لبنها لكل
 انسان ، تحسبها في انتفاها وحركاتها بتأثير الريح كالرعية التي يسوقها الراعي الى حيث يشاء
 وهي في نفس الامر سدى مهمة لاراعي لها لان الريح ليس لها ارادة في تحريكها
 وسوقها . (٢) الاجراز جمع جرز (بضمهتين) وهو الارض اليابسة التي لا نبات فيها الجفاف ،
 واستوسقت حملت من أوساق الماء ما جمعت ، واليوسق جمع المنفرق ومنه الوسق
 بالضم للكيل المعلوم . والري بالكسر الشيع من الشرب ، والحيا بالقصر يطلق على
 المطر وتلى ما ينشأ عنه من النبات والخصب والمني ظاهر (٣) الاحْدَاب جمع
 حدب وهو ما ارتفع من الارض والبطنان بالضم جمع بطن ، والسيب المطاء والحسب

كأنما البیداء غِيبَ صَوْبَهُ بِحَرِّ طَلَا تِيَارِهِ ثُمَّ سَجَا^(٤)
 هذا واننا كنا نريد أن نساغر الى جنيف قبل الظهر ولكن جاء منها
 لاستقبالنا من كان فيها من إخواننا السوريين - نجيب بك شقير وصلاح الدين
 افندي قاسم وتوفيق افندي اليازجي الذي كان سبق من قبل حزبنا للاستعداد
 للمؤتمر فتأخرنا الى المساء، ولم نتمكن من التجوال في لوزان لشدة المطر، ثم
 سافرنا عند انتهاء الساعة الخامسة مساء والمطريم ظل والريح تمنعنا من فتح نوافذ
 القطار، ومناظر سويسرة تأخذ بأبصارنا ذات اليمين وذات اليسار، فوصلنا الى
 جنيف في خمسين دقيقة (للكلام بقية)

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

(١٠)

حكومة دمشق العربية

كنت قبل سفري الى سورية سألت عن حكومتها بعض من جاء منها الى مصر
 من السوريين والاجانب الذين يوثق بعلمهم ورأيهم — ومنهم الجنرال كليتون
 الشهير والدكتور بشير القصار منا — فقالوا انها ليست رديئة وليست كما يجب من كل
 وجه، وهي شهادة حسنة للحكومة الجديدة، هذه حقيقة حالها في ذاتها، ففيها ضعف
 بالنسبة الى ما يجب ان تكون عليه كل حكومة في هذا العصر. ولكنها كانت
 على ما فيها من ضعف وقصور خيراً من حكومتي الاحتلال، في المنطقتين الاخرين :
 الجنوبية (فلسطين) الانكليزية، والغربية (لبنان وساحل سورية) الفرنسية
 كانت هذه الحكومة العربية الطفلة أقرب الى العدل والحرية والمساواة
 والاصلاح، وأبعد عن التعصب والمحاباة والافساد الادبي والاقتصادي من حكومتي
 الكافي الذي يحمل المعطى على أن يقول حبي حسي . والماء الرومي كمر الرأه
 المشددة والقصر — الغزير المروي كروي ورواء بالفتح، والمعنى أنه أروى ظاهر
 الارض وباطنها وأحداها وأبقاعها التي ينحدر عنها الماء فلا ترتوي الا بالغزير المتصل
 (٤) البیداء الصخراء، وصوب المطر نزوله وانحداره، وطما ارتفع، وتياره
 موجهه، وسجسا سكن. والمعنى ان البیداء كانت غيب نزوله اي بعده كبحر ارتفع
 موجهه واضطرب، وسكن بعد ذلك ثم ذهب، وبذلك كان رحمة لا نقمة

الدولتين اللتين ابتدعتا لنا بدعة الانتداب لاصلاح بلادنا بحجة اننا عاجزون عن النهوض بأمر أنفسنا ، ولقد كانت هذه الحكومة بعد زوال السيطرة البريطانية ولا سيما بعد اعلان الاستقلال خيرا منها قبل ذلك : كانت متوجهة الى الاصلاح الاداري والعلمي ، وكانت الحرية بجميع أنواعها ولا سيما حرية الاجتماع والخطابة والنشر مما تحسدها عليه سائر البلاد السورية ومصر ، وزال من دمشق ما كانت مشهورة به من المبالغة في الحفاوة والتعظيم للحكام والوجهاء ، وشعر الشعب بحرمته وكرامته ، وقد كان لتواضع فيصل وآدابه الشخصية العالية تأثير عظيم في ذلك

كان اليهودي الصهيوني يحابي في فلسطين فيقدم على المسلم والمسيحي بغير حق ، وكان الكاثوليكي يحابي في الساحل كذلك ، ولم يكن المسلم يحابي في حكومة الشام ، ولا شكنا مسيحي ولا يهودي من الحكومة ولا من الاهالي تعصبا عليه ، ولا ظمالة من المسلمين ، ولم يكن المسلمون يرجون من الوزراء ورؤساء الحكومة المسلمين مالا يرجون من الوزراء والرؤساء من النصارى . وما أبرئ هذه الحكومة من عيب محاباة الكبراء وقبول شفاعتهم في طلاب وظائفها بدءا وترقية ، وكان أكبر هذا الضعف في الوزراء والرؤساء بازاء الملك فيصل وعشيرته والمقرين منه فان هؤلاء قد اعتادوا على عهد سلطتهم العسكرية المطلقة أن يتصرفوا في الاعمال والاموال بما شاؤوا وكيف شاؤوا ، فصعب عليهم بعد اعلان الاستقلال أن يتقيدوا بقانون ونظام ، ولم يكن للوزراء من الشجاعة الادبية والتكافل ما يؤهلهم لتقييدهم وتعويدهم الوقوف عند حدود سلطتهم الرسمية ، اذ كانوا هم قدامعتادوا في عهد الترك أن يميلوا مع أهواء الرؤساء والكبراء ، ومع هذا أمكن لحكومة الاستقلال أن تقيد الملك براتب محدود لم يكن راضيا به على كثرته ، وكان يستهلك راتب كل شهر في أوله أو قبل بدو هلاله ، ويطلب من وزارة المالية سلفة بعد سلفة فلا ينال كل ما يطلب ولا أكثره بسهولة . وقد كان نفوذه في بعض الوزارات أقوى منه في غيرها ، واختلف مع الوزارة في عدة مسائل من أهمها انه كان يريد ارسال حملة من الجيش السوري الجديد لقتال ابن سعود انجادا لوالده — اذا ثبت ما كان أشيع من عزم الاخوان النجديين على الاستيلاء على المدينة المنورة — فلما كاشف الوزراء بذلك حاروا في أمرهم ، وبعد مشاور وتدبر قرروا الرد عليه بأنه لا سبيل الى ارسال حملة من جند الحكومة ، ولا اتفاق شيء من ما لهافي

هذه السبيل، وإنما يمكن جمع حملة متطوعة بمال الحجاز، وكان هذا أفضل موقف للوزارة الاتاسية مع الملك فيصل أشدة اهتمامه بهذا الأمر وتصريحه للاتاسي وغيره بأنه إذا وقع القتال بين والده وبين ابن سعود فإنه يغادر سورية ويذهب بنفسه للقتال سواء ساعدته حكومة الشام أم لا، وإلا يكن لم يقع ما كان يتوقع ولو وقع فأصر فواتته الوزارة لهجزت عن التنفيذ وكان هذا رأيي إذ شاررتني في الأمر

لو وجدت في الشام وزارة حازمة بصيرة لا يمكنها أن تعمل في البلاد عملاً عظيماً في فرصة الاستقلال وارتفاع السيطرة العسكرية البريطانية عن المنطقة الشرقية، وقد كان لي أمل كبير في وزارة علي رضا باشا الركابي - لا أدري أكان للصلة الودية بيننا تأثير فيه أم لا - ولا أدري كنه السبب لحيية هذا الأمل. كان بعض الناس يبالغ لي في الطعن فيه وبعضهم يدافع عنه، ولم أستطع الوقوف على حقيقة رأيه في موقف البلاد السياسي، ولا فيما يجب أن تكون عليه الحكومة على ما كان من احترامه إياي وحسن اعتقاده الذي هو فوق ما أشرت إليه في الفصل الذي قبل هذا، وإنما كنت أعجب لكلمة سمعتها منه مرة أو مرتين وهي إن استقلالنا مضمون وانكسرة وفرنسة متفقتان عليه!! وقد اقترحت عليه شيئاً واحداً من الإصلاح، وهو وضع إدارة منظمة للعشائر والقبائل بينت له بعض مسائلها وما يرجي منها، فأظهر لي منتهى الاستحسان لها، ووافق بما طل ويسوف فيها مع إقناعي للملك فيصل بوجوب العناية بها، وأمره بإياه بتنفيذها، ولم يفعل. وقد كثر بعد الاستقلال المتقدمون له حتى صار أكثر أعضاء المؤتمر وأفراد حزب الجمعية التي ينتمي هو إليها وهو حزب الاستقلال العربي عليه، وانتهى ذلك بانحراف الملك عنه، وعقدت اجتماعات سرية للبحث في إسقاط وزارته حضر بعضها الملك فيصل وتقرر فيها استبدال وزارة قوية بها، فتألفت وزارة هاشم بك الاتاسي ودخل فيها الدكتور عبد الرحمن شهبندر والمرحوم يوسف بك العظمه وكان الكاتب هو المقترح الأول لادخالهما في هذه الوزارة. وأما الرئيس فاختاره الملك فيصل، وقد كان أحد أعضاء لجنة الشورى السرية

قد استطاع هاشم بك بدماثته ولطفه إرضاء الملك، وإلا لكانه لم يكن بالرئيس الذي يرضاه في هذا الوقت المؤتمر ولا الأحزاب وفي مقدمتها حزب الاستقلال العربي الذي

هو منه، لان الجميع كانوا يطلبون وزارة دفاعية تصرف جل جهدها في الاستعداد للدفاع عن الاستقلال اذا اعتدي عليه ، أو يكون لاستعداد سببا لعدم الاعتداء . فلم يلبث أن ضايقه المؤتمر والحزب، وتوجه رأي الاكثريين الى وجوب تبديل وزارته وكثير الانتقاد في المؤتمر عليها، والاقتراحات في أمر استيضاحها عن موقف البلاد، والاستعداد للدفاع، وكنت أجتهد في حمل المؤتمر على الاناة والتروي والحزب الغالب يظاهرن في ولما علم حزب الاستقلال بانذار الجنرال غورو للملك فيصل اجتمعت الجمعية العامة له في الليلة ٢٧ من شوال (١٣ يوليو) وانتخبت وفدا مؤلفا من أعضاء اللجنة المركزية وسبعة من غيرهم لا يبلغ الملك فيصل وجوب تبديل الوزارة فان لم يجب بكتاب هاشم بك أن يستقيل ويقنع الملك بأن يكلف ياسين باشا الهاشمي تأليف وزارة دفاعية. وكان كاتب هذا رئيسا لتلك الجلسة ثم الوفد، فلما بلغنا الملك ذلك أجاب جوابا جافا خلاصته أنه لا يعمل برأي جمعية ولا حزب ولا المؤتمر، وأجيبته جوابا أشد من جوابه وأجف وأجفى، ولا حاجة الآن الى تفصيل ذلك، ثم كلمت رئيس الوزارة الاستقالة باسم الوطن واسم الاخوان فأجاب بالقبول — قال ولكن أليس يجب الاتفاق قبل ذلك على من يخلفنا لئلا يكونوا ممن تنكرون منهم ما لا تنكرون منا ؟ فأنتم تثقون بوطني ولا تشكون مني الا الضعف عن النهوض باعباء الحال الحاضرة، وربما كان الخلف الذي يرضاه الملك أضعف وغير موثوق بوطنيته، وقال ان الملك لن يولي الهاشمي الوزارة بل اجتهدنا في اقناعه بأن يولي وزارة الداخلية فأبى إنما موضوع كلامي هنا بيان ضعف الوزارة لا ترجمة الملك فيصل، ولا تاريخ تلك الايام المفصل . وقد كنت كلمت الامير زيدا في ذلك اذ خلوت به مرتين في أيام فرصة عيد الفطر — احدهما في داري والاخرى في البلاط — وكان يشكو من ذلك مثلنا . فقلت له : إن الاصلاح لن يكون الا بترك الملك التدخل في أعمال الوزارة بنفذه الشخصي — فاعتذر عن تدخل الملك بأن سببه ضعف الوزارة وعجزها، فقلت له : إنما يجب عليه إصلاحيها لا التصرف الشخصي في جزئيات أعمالها الذي يزيد ها خلا. وقد كان الملك فيصل راضيا كل الرضى عن وزارة الاتاسي، ولا سيما وزير الخارجية الدكتور عبد الرحمن شهنبر الذي كان من قبل يكرهه ويظن

أنه عدوله حتى إنه قال لي يوما : إنني لما عرفت شهيداً راحترت جميع أهل الشام ، ولكن رضاه في ذلك الوقت ، كان سبباً لاسخط جمهور الشعب .

وقد أفضى ضعف الحكومة وإينها وطعم الطامعين فيها الى ان تجرأ السباخون عليها من الطامعين في المناصب والمواهب الملكية على الطعن فيها ؛ وتأليف الاحزاب لمقاومتها ، وكان بعض العلماء والعامة ، يكترون الطعن في وزير المعارف خاصة ، ويزعمون إنه يريد اضعاف الدين في المدارس وتعويد البنات فيها على التهلك ، وطالما راجعوني في هذا قبل اعلان الاستقلال وبعده متوسلين بي الى السعي مهم لدى الامير ثم الملك بعزله ، فكنت أنصح لهم بالتأني وأحسب حساباً لتعود الشعب الاقتيات على الحكومة ولا سيما الطامعين منه في أعمالها ومناصبها ، وأرى أن السعي لتلافي الخلل واقناع الحكومة باصلاح ما ينتقد عليها بحق أحسن عاقبة من إطماعهم فيها . وقد ذكرت رأيي هذا لمدير المعارف ثم وزيرها ليكون على بصيرة من أمره . ولم يقف تأثير ضعف الحكومة في الشعب عند هذا الحد بل أفضى أخيراً بالسباخطين والطامعين أن تجرأوا على السعي لهدم الاستقلال والتزلف الى الاجانب فقوي الحزب الوطني المتهم بموالاته فرنسة وهو الذي كان يرأسه عبدالرحمن باشا اليوسف . حتى إنه بلغ الحكومة أنهم عزموا على تأليف وفد فيه سبعة من حملة العمامة ، وسكنة الاثواب العباغب ، يرسلونه الى باريس لطلب الانتداب الفرنسي على جميع البلاد السورية ، ولم تفعل الحكومة شيئاً — وأغرب من هذا ان بعض الموظفين في بلاط الملك سرق دقتر الخزينة الخاصة مرتين ولم يشك أحد علم بذلك في سببه ... ولم يعاقب بل لم يحاكم بل لم يجر في البلاط تحقيق بشأنه وكان بعض الوزراء كيوسف بك العظمة (رحمه الله) ينحس وزير الداخلية بالتقصير في ايقاف الاحزاب المعارضة عند حدها فقلت لهم كلا ان هذا يطلب من الوزارة كلها لامن الداخلية وحدها

أكتفي بهذه الخلاصة من بيان ضعفنا وتعليل عدم نجاحنا ، عسى أن نعتبر به في مستقبل أمرنا ، وأعيد القول بأن حكوماتنا كانت مع هذا خيراً من حكومتي المنطقتين الاخرين من بلادنا أمناً وعدلاً ومساواة وتقدماً في العلم والاقتصاد وسأتكلم في الفصل الآتي على المؤتمر

احوال العالم الاسلامي

لم يبق ريب ما في أن الشعوب الاسلامية قد استيقظت من رقادها السياسي الذي كاد يكون موتاً زوأمًا، وذلك بعد أن بلغ الضيم فيها غايته بهذه الحرب الاخيرة، وأحيط بها أوكاد، ولا يزال الطامعون يحاولون الاجهاز عليها، والقضاء على ما بقي من ملكها، لئلا تحيا بهذه اليقظة حياة جديدة تنال بها حريتها، وتحفظ حقيقتها، ولكنهم غير متفقين على قسمة الغنيمة، وشعوبهم تناقشهم الحساب على ما ينفقون في سبيل التوسع في الاستعمار، وسياسة الشعوب بقوة الحديد والنار، لان هذه الحرب قد أكلت ثروتها، وضاعفت الضرائب عليها، فهذه فرصة يجب على الشعوب الاسلامية اغتنامها بتقوية أنفسهم، وتعاونها فيما بينها وبين سائر الشعوب الشرقية المجاورة لها، والظاهر أن كلا منها يبذل جهده بقدر ما يصل اليه علمه وقدرته

الافغان

واننا نرى الشعب الافغاني خيراً من غيره فهو لا يهاجم الآن ولا يقاوم من الخارج، ولا شقاق يعرقل عمله في الداخل، وقد سلك طريقة الحياة المثلى اذ جعل همه الاول في تنظيم القوة العسكرية عالماً أن خصمه لا يحترم غير القوة، ثم في التعليم وتنمية الثروة لان القوة وسائر شؤون العمران متوقفة عليها، وهو مع هذا يعتصم بولاء اخوانه من الشعوب القريبة منه كالفرس والترك. ومن توفيق الله تعالى ان كان أميره في هذا الطور من أفضل أمراء الشرق علماً وعقلاً وأخلاقاً وهمة وحزماً وعزماً وديناً

الفرس

ويسوءنا أن جاره الشعب الايراني لا يزال مصاباً بالشقاق الداخلي الذي كان سببه الباطن تأثير التعاليم الافرنجية، والدسائس الانكليزية والروسية جميعاً، فعسى أن يوفق في هذه الفرصة السانحة الى جمع كلمته، واتفاق زعمائه على خطة واحدة ينحون فيها نحو جيرانهم الافغانين. ونذكر الزعماء المختلفين أن دوام الخلاف باصرار كل فريق منهم على تنفيذ رأيه دون غيره أشد خطراً على البلاد من الاتفاق على خطة يرى بعضهم أن فيها شيئاً من الخطأ فان الشقاق الداخلي اكبر المهالك. ولا سيما في مثل هذه الايام والاحوال التي هم فيها

الترك

أما الترك فهم على كونهم قد استفادوا من العبر بهذه الحرب أكثر من غيرهم ، وعلى كونهم لا يزالون أعظم استعدادا من غيرهم لحماية حقيقةتهم ، والدفاع عن بيضتهم ، وعلى انتفاعهم بعطف العالم الاسلامي كله — ولا سيما مسلمي الهند — عليهم ، وعلى تسخير الله الدولة الروسية عدوتهم التاريخية الكبرى في عهد القياصرة الى مساعدتهم ، وعلى استفادتهم من الخلاف السياسي بين فرنسا وانكلترا — هم على هذا كله — لا يزالون على خطر من اصرار الدولة البريطانية على ثل عرشهم (رفعه الله) وتقويض دعائم ملكهم (حماه الله) ولا تزال اليونان محتلة لجزء عظيم من بلادهم . وذلك يوجب عليهم من الخدق والدهاء في السياسة مع الاستعداد الحربي ومن التفاني في الاصرار على الاستقلال المطلق ، والحرص على استدامة صداقة الشعوب التي عطفت عليهم والسعي لاكتساب مودة غيرها ما نرجو أن يكون فيهم من الرجال من يقوم به كله

مصر

وأما مصر فقد استفادت من جهادها رفع الانكيز للحماية الباطلة عنها ، واعترافهم بالاستقلال والسيادة القومية لها ، وتلا ذلك اعتراف الدول بذلك واحدة بعد أخرى ، فصارت أقدر على الجهاد في سبيل ازالة الاحتلال الاجنبي عنها وعن سودانها الذي هو مصدر حياتها ، اذا هي وحدث أحزابها وعرفت كنه قوتها ، وانما هي قوة سلبية اقتصادية ، لا حرية ولا عدوانية

العرب

وأما سائر العرب فلا يزالون على ما شكونا منه من تفرقهم الا أن اخواننا العراقيين قد أقروا أعيننا بما علمنا من اتفاق السواد الاعظم منهم على الاستقلال المطلق من قيود الحماية والوصاية والانتداب ، وعجز الدسائس الاجنبية عن تفريق كلمتهم وعن خداعهم بجمل السيطرة عليهم بموهة في شكل معاهدة ، ولكن ساء ناغفلة الكثيرين منهم عما تبغيه من ايقاع العداوة والبغضاء بينهم وبين جيرانهم النجديين ، وما يجب من تحامي ذلك والحذر من لباسه لباس الدين ، ونرجو أن يفتن لذلك سلطان نجد الحكيم ، ويعلم أن الاجانب يخوفون العراقيين من عدوانه عليهم ليرضوهم ببقائهم تحت سيطرتهم العسكرية . وانا نعتقد أن دينه وعقله يأيدان عليه أن يجعل نفوذه آلة حرية للاجنبي يخضع بها أخصب بلاد العرب وأوسمها لسلطته

وهو لا يجهل ان استتباب السلطة الاجنبية في العراق والشام خطر على استقلال نجد وسائر جزيرة العرب ، وقاض على كل سلطة للاسلام فيها ، ولا سيما اذا امتدت فيها السكك الحديدية العسكرية ، وقواعد الطائرات الحربية ، التي تؤسسها السلطة البريطانية في العراق وشرق الاردن من سورية ، ولكن الحجازيين يجتهدون في بث الدعوة (البوربغندية) لتشويه سمعته ، والطمع فيه وفي أهل بلاده ، ويوهمون الناس انهم وحوش ضارية يستحلون سفك الدماء بغير حق ، فيعاقبون بالقتل على أقل ذنب ، أو مالا يعد عند غيرهم بذنب ، وغير ذلك من الزور والبهتان والكذب ، وقد راجت هذه الدسائس حتى في سورية وفلسطين ومصر

والحق انه لا يوجد فيما نعلم من أمر بلاد الاسلام قطر يقام فيه الاسلام مثل نجد ، سواء في ذلك الاعمال الشخصية والقضائية أو بث الدعوة ومقاومة البداوة ، والزام البدو بال عمران والحضارة ، ومنعهم من الغزو والعدوان بغير حق ، لاجل الارتزاق والكسب ، وإنما يقاتل النجديين البدو لاجل هذا ، ولم يتعدوا على حكومة منظمة لاجل فتح بلادها ، وإنما أزالوا امارة ابن الرشيد لانه لا يجوز أن يكون في قطر واحد حكومتان مختلفتان ، وآل سعود هم الامراء الشرعيون لهذه البلاد ، وقد اختاروا في ازالتها أخف الضررين وهو الحصار وأما اليمين فلا يزال العداء والشقاق بين اماميها بحبي والادريسي مستمرا ، والقتال آونة بعد أخرى مستحرا ، وقد اتفق الثاني مع صاحب نجد وتحالفا فاشتمد ازره ، وكان صاحب الحجاز يطمع في جعلهما تابعين له ولو في السياسة على كونهما أقوى منه وأعز ، ثم حاول الارتباط معهما بمخالفة هجومه دفاعية وانتهى الامر بوفاق اقتصادي وهو لا يبلغه غرضه من تدويع نجد ، ولا يؤمنه تغلبها على الحجاز ، ولا يرتاح مع ذلك الى الصلح والاتفاق مع صاحبها ، لانه يخاف ان يبت دعوة التدين في سائر بدو الحجاز وحضره آمننا والبلاد مستعدة لذلك ولا سيما الاعراب فيها ، ولعله لولا رجاؤه في جمع قوته الى قوة ولديه في العراق وشرق الاردن للاحاطة بنجد وازالة سلطانها لجنح الى السلم ورضي بالاتفاق ، وهم يبتون الدعوة في هذه الاقطار الثلاث وما جاورها من سورية ومصر تمهيدا لذلك ، ويعتقد انهم اذا استولوا على نجد يتم له تأسيس الامبراطورية العربية ، في ظل الدولة البريطانية ، تنفيذاً لمقررات نهضته الرسمية فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فينبعول احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المناجاة

١٣١٥

يقضي الحكمة من بقاء ومن يوتى الحكمة
فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا اولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي «ومنازاة» كمنار الطريق —

٣٠ رمضان ١٣٤٠ - ٥ الجوزاء (٣) سنة ١٣٠٠ هـ ٢٧ مايو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ تعريف المنطق وعدم اطراد ماذ كروه من غايته ﴾

(س ١٩) من صاحب الامضاء في لنجة (الخليج الفارسي)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المصلح الوحيد الامام، والاستاذ العلامة الهمام، السيد محمد رشيد
رضا منشيء مجلة المنار الاعظم لزال كهفا للانام ومؤيدا للاسلام
وبعد فقد اطلعنا على جوابكم عن اشكال بيت جرير وكان الجواب كجواب
حضرة الوالد حرفا بحرف فحصل به اطمئنان خاطر، ثم إنه عرض لي اشكال ولم
أر من تنبه له ولا من أجاب عنه فعرضناه على خليفكم وشاكر احسانكم الوالد
فأمرني باستجداء الجواب عن حضرتكم، فالمرجو كشف الغمة لازلتكم كما أملتم.
الاشكال هو أن مؤلفي فن المنطق اتفقوا في تعريفه بأنه آلة قانونية تعصم
مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر واتفقوا فيما أعلم أن واضع هذا الفن الحكماء
اليونانيون وكونهم قائلين بقدوم العالم على قدم، فلا يخلو من امور اما عدم صحة

التعريف، واما ادعاء أن الواضعين لم يراعوها، وإما كونهم محقين في ذلك. على كل أزيلوا الاشكال كما جعلكم الله تعالى كهفا ومنارا

(ج) اننا نجزم بأن ما ذكرناه في تعريف المنطق لا يصح باطراد، وأن حكماء اليونان وغيرهم ممن كانوا يحاولون إثبات العلوم العقلية بأنواعها حتى الالهيات بتطبيقها على قواعد المنطق لم يستطيعوا مراعاة أحكامه، لا في التصورات ولا في التصديقات، فتحدد الكليات التي يؤلف منها الحد والرسم في التصورات، ومقدمات القياس ولا سيما البرهان الذي عليه مدار صحة النتيجة في التصديقات، كلاهما من أعسر الامور وأبعدها عن المنال. وليس خطأهم محصورا في قولهم بقدم العالم بل هو غير محصور، على أنهم لم يكونوا يدعون ان كل مسألة من مسائل فلسفتهم وقضية من قضايا علومهم من اليقينيات الثابتة بالبرهان وأكثر ما كان يفيدهم المنطق في المناظرات، التي تقوم فيها المسلمات مقام اليقينيات. وبيان هذا بالتفصيل وتوضيحه بالامثلة لا يتم الا في مقال طويل،

وحسبك ان تتأمل اليقينيات الست لتعلم ما يقع فيها من الغلط والتلبيس ومثل علم المنطق في هذا علم الشرع فانك ترى الخطأ في تطبيق الاحكام الشرعية على الوقائع العملية كثيرا جدا وترى فهم الناس للاحكام يختلف باختلاف معارفهم وأخلاقهم وعاداتهم والعرف العام عندهم حتى إنهم ليستدلون بالحكم على ضد ما يدل عليه أحيانا كما هو شأنهم في البدع فما من بدعة فشت الا وأهلها يستدلون عليها بأدلة تشبه الشرعية وما هي بشرعية. هذا شأنهم في نصوص الشرع الواضحة ولم تصرفهم عنها قواعد أئمة العلماء الذين يدعون تقليدهم كما بيناه في الفتوى الثانية من فتاوى المجلد الثاني والعشرين

﴿ اطلاق أسماء الله تعالى على بعض خلقه ﴾

(س ٢٠) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة مولانا الاستاذ السيد محمد رشيد افندي رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

سلام الله عليكم وتحياته وبركاته وبعد أرفع افضيلتكم ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه وهو :

(المنار : ج ٥) (٤٣) (المجلد الثالث والعشرون)

ألفاظ تستعملها الناس عند مخاطبة العلماء والرؤساء وأصحاب الرتب العالية كالسلاطين والوزراء وغيرهم مثل : العليم . الحكيم . الرحيم . مولانا . صاحب العظمة صاحب السعادة . صاحب العزة . ولي النعم . رب الفضل وغير ذلك فهل يجوز مخاطبة العبيد ومدحهم بهذه الصفات مع انها من صفات الله سبحانه وتعالى أم لا
م . ط . ل

(ج) أسماء الله تعالى منها ما هو خاص به عز وجل كاسم الجلالة (الله) و (الرحمن) و (الرب) بالتعريف وغيرها فلا يجوز وصف غيره بها ، ومنها ما هو غير خاص به كالرحيم والعليم والحليم وقد وصف الله تعالى رسوله بقوله (بالمشيدين رؤف رحيم) و إبراهيم بالحليم وكذا ولده اسماعيل اذ قال فيه (فبشرناه بغلام حليم) وولده اسحق بقوله (وبشرناه بغلام عليم) وآتى داود الحكمة وقال (يؤتي الحكمة من يشاء) ومن اوتياها كان حكيما ومن هذه الالفاظ المشتركة في الاستعمال « المولى » قل تعالى في رسوله (ص) (فان الله هو مولاه وجبريل وصالحو المؤمنين) وأما صاحب العظمة وصاحب السعادة وصاحب العزة وولي النعم ورب الفضل فلم يرد في الكتاب ولا في السنة إطلاقها على الله تعالى ولكن ورد (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وورد (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) وثم آيتان أخريان كنهه ، وفي اسناده لله وغيره قوله (والله العزة ورسوله وللمؤمنين) ووصف عرش بلقيس بانه عرش عظيم . وكتب النبي (ص) الى هرقل فوصفه بقوله « عظيم الروم » والى المقوقس « عظيم القبط » والى غيرهما من الملوك والرؤساء بمثل ذلك ويظهر انه لا يجوز وصف غيره تعالى بعدة صفات من الصفات المشتركة اذا كان باجتماعها يعلم من سمعها لا يجتمع لخلق بحيث يظن اذا لم يعرف الموصوف بها انها لله تعالى
(لبس العمامة سنة أم لا ؟)

(س ٢١) ومنه : هل لبس العمامة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أحاديث صحيحة معتمدة أم لا ؟ وهل من يلبس العمامة يشاب على لبسها ؟ وهل العمامة البيضاء والخضراء والسوداء والحمراء كلها سواء أم أيها أفضل
(ج) ثبت في السنة أن النبي (ص) كان يلبس العمامة تارة فوق القلنسوة وهو

الاكثر وتارة بغير قلنسوة وانه كان يلبس القلنسوة تارة بغير عمامة وانه دخل مكة وعليه عمامة سوداء . وورد انه كان يرخي طرفها وهو الذؤابة بين كتفيه . وانه كان يلتجئ بها تحت الحنك كما يفعل المغاربة . ولم يرد الامر بلبسها على سبيل التدين والتشريع ، فمن اعتم كما كان يعتم بنية التشبه به (ص) في لباسه حبا فيه عليه صلوات الله وسلامه كانت هذا النية مما يثاب عليه وهكذا التشبه به (ص) في سائر عاداته التي لم يقيم الدليل على شرعها ديننا لنا بشرط أن لا يتخذ ديننا لانه يكون حينئذ تشريعا وكل مباح يفعل بنية صالحة يثاب عليه المؤمن . وقد سبق هذا البحث في المنار من قبل فلا نطيل به

﴿ مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ﴾

(س ٢٢) ومنه: وهل مؤلفات الشيخ أحمد بن يمية الحراني الحنبلي والشيخ محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية صحيحة معتمدة يجوز العمل بها أم لا ؟ أفقونا ماجورين

(ج) : اننا لم نطلع على جميع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم ونشهد على ما اطلعنا عليه منها انها من أفضل ما كتب علماء الاسلام هداية وبحقيا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها ألفت بعد فشو البدع في الامة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول وكان أكثر علماء المعقول مقصرين في علم السنة وآثار السلف الصالح ، وأكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرين في العلوم العقلية ، فبعدت الهوة بين الفريقين وكثر الخلط والخبط في علوم الشرع حتى جاء أول هذين الشيخين فكان ممن جمع الله لهم بين سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولاغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملاكة الاستنباط ولا نعرف له نظيرا في هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم ابن القيم ولا سيما في العلوم الشرعية . فكانت كتبهما كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول وأقوى رد على جميع ما خالف السنة وسيرة السلف الصالح ، لا نعرف لها نظيرا في ذلك فلو اهتمدى بها المسلمون علما وعملا لأماوا البدع وأحيوا السنن وحسنت حالهم في دينهم ودنياهم . ولدخل الناس في

دين الله أفواجاً. ولكنهما غير معصومين من الخطأ فقد أنكرنا في تفسير هذا الجزء عبارة للاول تابع فيها غيره من غير أن يتنبه الى حاجته الى الاستقلال في الاستدلال عليها، وخالفنا الثاني في مسألة اهدا، ثواب الاعمال الى الموتى في آخر تفسير سورة الانعام. ولم يؤلف أحد كتاباً وافقه كل الناس على كل ما فيه وخير الكتب ما قل فيه الخطأ. على ان كثيراً من المخطئين انهم يكونون هم المخطئون وغيرهم المصيب، وما كل من أصاب بتخطئة غيره في مسألة أو أكثر يكون أعلم منه مطلقاً ولا مثله وإنما العصمة لمن عصم الله فيما عصم. ولو شئنا أن نؤلف كتاباً حافلاً في فضل مؤلفات الشيخين وشدة حاجة الامة اليها في هذا العصر لفعلنا

﴿ أكل الحرام كالربا والقمار وإرثه والعقاب عايه ﴾

(س ٢٣ و ٢٤) — ومنه

رجل جمع مالا من طرق غير مشروعة كرباً وقمار ولعب بالبورصة (مايسمونها بالكونتراتات) وغير ذلك هل يجوز الاكل عنده واذا مات وترك أولاداً يعلمون بحال أشغاله فهل يكون المال حلالاً للأولاد بالميراث أم لا ؟ واذا مات رجل وعليه ديون ومظالم لأناس ولم تسامحه أربابها في الحياة الدنيا فما حكمه يوم القيامة ؟ وهل يعذب في قبره بسبب ذلك أم عذابه في الآخرة ؟ واذا سامحه أرباب الديون والمظالم في الدنيا فهل يرفع عنه العذاب ؟ وهل يجوز مسامحته في ذلك يوم القيامة أم لا ؟ تفضلوا بالجواب ، ولكم من الله عظيم الاجر والثواب

(ج) — من علم أن مال زهد من الناس حرام كاله لم يجز له أن يأكل من طعامه ولا أن يعامله بهذا المال . ولكن قلما يوجد أحد جميع ماله حرام . ومن ترك لأولاده مالا يعلمون انه مغصوب أو مسروق مثلاً ويعرفون أصحابه فالواجب عليهم رده اليهم . وأما ما لا يعرف له مالك والمأخوذ بالعقود الفاسدة شرعاً كالربا والمضاربات فيملكونه وان كان في الفقهاء من يقول بأنها لا تفيد الملك للمتعاقدين بها فهذا لا يسري الى من تنتقل اليه منهم بسبب شرعي صحيح كالارث ولا سيما اذا كان مختلطاً بغيره غير متميز فعلى هذا لا يأثم وريثة هذا الميت بأخذ ما تركه لهم اذا لم يقتدوا به في أكل الحرام . والله تعالى يأخذ من حسنات من

ملت وعليه حقوق للناس أو يحمله من سيئاتهم يوم القيامة إلا أن يحلوه منها وتقدم في تفسير هذا الجزء حديث صحيح في ذلك. وإذا عفا أصحاب الحقوق عنه فعفو الله تعالى عن حقه بمخالفة شرعه أرجى فهو مرجو غير مقطوع به. ويجوز أن يعذبه عليها في الآخرة ولم ير أنها سبب عذاب القبر.

هنا أجواب إجمالية بالمشهور عند العلماء في المسألتين، والأدلى تخمّل بمخاطوينا في مسألة المال الحرام المختلط بالحلال نذكر منه على سبيل المثال ما تشد الحاجة إلى معرفته فنقول إن من علم أن بعض مال زيد حلال وبعضه حرام وتميز عنده أحدهما من الآخر وجب عليه اجتناب ما علم أنه حرام كمن علم أن زيدا سرق شاة أو ديكا رومياً ودعاه إلى العشاء معه فلا يجوز له أن يجيبه كما لا يجوز له أن يشتري منه ذلك ويأكله. وأما إذا تعذر تمييز الحلال من الحرام كالذي يقرض ماله الحلال في الأصل بالربا فهل يغاب الحرام فيجتنب جميع ما له أو الحلال فيعد الحرام كأنه غير موجود؟

لهذه المسألة صور كثيرة مختلفة الأحكام. فالحرام أنواع منه الظلم المحض كالغصب والسرقة ومنه المأخوذ بمقدور فاسدة مع التراضي كالربا والقمار كما تقدم، والاختلاط أما يكون فيه كل من الحلال والحرام محصوراً أو غير محصور، وتجد أحكام هذه الأقسام مفصلة في كتاب الحلال والحرام من الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي، وتجد أيضاً في رسالة الحلال والحرام لشيخ الإسلام ابن تيمية أصولاً وقواعد تفيدك علماً تفصيلياً في المسألة. وأنا ننقل هنا بعض ما قاله أبو حامد الغزالي في اختلاط الحرام بالحلال غير المحصورين بعد أن قسمه إلى عدة أقسام، وهو —

(القسم الثالث) أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به. والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقرن بتلك العين علامة تدل على أنه من

الحرام فان لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله. ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم لى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس فأما الاثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت أثمان الخور ودرهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الاموال وكذا غلول الغنيمة^(١) ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا اذ قال «أول ربا أضعه ربا العباس» ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخور وسائر المعاصي حتى روي ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه: امن الله فلانا هو أول من سن بيع الخمر اذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها - وقال صلى الله عليه وسلم «ان فلاناً يجر في النار عبادة قد غابا» وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غابا وكذلك أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشاراً اليه في الورع والا كثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في أيام الظلمة. ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه تفتن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موشوس مختل العقل، ولو جاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن وشعر الخنزير^(٢) وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الاشياء الستة. وذلك محال فانهم أولى بفهم الشرع من غيرهم

وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات وخرب العالم اذا الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببها في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لامحالة الى الاختلاط. (فان قيل) فقد نقاتم انه صلى الله عليه

(١) الغلول الخيانة فيها (٢) مسألة الشعر فيها خلاف وكذلك مسألة الربا في غير الستة المذكورة في الحديث

وسلم امتنع من الضب وقال أخشى أن يكون مماسخه الله^(١) وهو في اختلاط غير المحصور (قلنا) يحمل ذلك على الشدة والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول

(فان قيل) هذا معلوم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقه والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة الى الحلال فماذا نقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة فمن أخذ مالا لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا

(فأقول) ليس ذلك حراما وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع اذا كان قليلا ولكن الجواب عن هذا ان قول القائل أكثر الاموال حرام في زماننا غلط محض منشأه الغفلة عن الفرق بين الكثير والاكثر فأكثر الناس بل أكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر (مثاله) ان الخنثى فيما بين الخلق نادر واذا أضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من لاعذار النادرة ومعلم أن المرض ليس بنادر وليس بالاكثر أيضا بل هو كثير والفقهاء اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط والصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر. فاذا فهم هذا فنقول قول القائل الحرام أكثر باطل لان مستند هذا القائل اما أن يكون كثرة الظلمة والجنسية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام الى زماننا هذا على أصول الاموال الموجودة اليوم

(١) حملت هذه الرواية على الشك منه (ص) قبل ان يعلم امتناع ان يكون الضب من سلالة ما مسخ وقد صح ان رجلا قال يا رسول الله القردة والخنزير هي مماسخ الله فقال «ان الله لم يهلك او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا» رواه مسلم

أما المستند الاول فباطل فان الظلم^(١) كثير وليس هو بالاكثر فانهم الجنديّة اذ لا يظلم الا ذو غابة وشوكة وهم اذا أضيفوا الى كل العالم لم يبالغوا عشر عشرهم فكل ساطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلاً فيملك أقلها يجمع ألف ألف وزيادة وأمل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلاً مع تنعمهم بالمعيشة ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فان البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل

وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضاً كثيرة وليست بالاكثر اذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعددهم لا أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الا أن يطلب الانسان بوجهه في البلد مخصوصاً بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيراً فليس بالاكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضاً عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها، وهذا مقطوع به لمن تأمله، وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادراً حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتمخيل انهم الاكثرون وهو خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة

(المنار) لكلام الغزالي هذا بقية نفيسة فيها مباحث في الحكومة والمصلحة العامة وعمران الكون ونظريات الاشتراكية وأهل الورع والزهد

(١) وفي بعض النسخ فان الظالم الخ والمراد جنسه ولذلك فان بعده فانه الجنديّة وعلى نسختنا يرجع الضمير الى أهل الظلم كما قدره الشارح

تطهير الاعتقاد

عن ادران الاحاد (*)

وقد يعتقدون في بعض فسقة الاحياء ، وينادونهم في الشدة والرّخاء ، وهو
ع كف على القبائح^(١) لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ،
ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالاً
ويضمّ الى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويحجب اليه ابليس جماعة قد عشت في
قلوبهم وباض فيها وفرّخ ، يصدقون بهتاناً ، ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً
لرب العالمين ومثلاً . فيا للعقول أين ذهبت ، ويا للشرائع كيف جهلت ، (ان الذين
تدعون من دون الله عباداً أمثالكم)

فان قلت : أفصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والاولياء والفسقة والخلفاء
مشرّكين كالذين يعتقدون في الاصنام قلت : نعم قد حصل منهم^(٢) ما حصل من
أولئك وساوهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والالتقياد والاستعباد فلا فرق بينهم
فان قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له
نداً والالتجاء الى الاولياء ليس شركاً . قلت : نعم (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم
لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الاولياء ونحرم النحائر لهم شرك
والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أي لا لغيره كما يفيد تقديم الظرف ويقول
تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) وقد عرفت بما قدمنا قريبا أنه سمي الرياء شركاً
فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذي يفعلونه لاوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا
به مشركين ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئاً لان فعلهم أكذب قولهم .

فان قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه . قلت : قد خرّج الفقهاء في
كتب الفقه في باب الردة أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها
وهذا دال^(٣) على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ

(*) تابع لما نشر في ص ٢٧٣ من الجزء الرابع (١) وفي نسخة الفضائح

(٢) وفي نسخة فيهم ما حصل في (٣) وفي نسخة دل

كفاراً كفراً أصلياً ، فالله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا الا الله) وإخلاصها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعا . ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فان الدعاء من العبادة وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) بعد قوله (ادعوني أستجب لكم)

فان قلت : فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ماسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين : قلت : الى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم فقلوا يجب أولاً دعاؤهم الى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئاً ، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك لا يتم الايمان بما جاءت به الرسل الا بتركه والتوبة منه وافراد التوحيد اعتقاداً وعملاً لله وحده . وهذا واجب على العلماء (أي) بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه الذنور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لاصنامهم . فاذا أبانت العلماء (ذلك) للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة الى إخلاص التوحيد فمن رجع وأقر حقن عليه دمه وماله وذراياه ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين

(فان قلت) : الاستغانة قد ثبتت في الاحاديث فانه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بآبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد اعتذار كل واحد من الانبياء فهذا دليل على أن الاستغانة بغير الله ليست بمنكر : قلت : هذا تلبيس فان الاستغانة بالخلق والاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وانما الكلام في استغانة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المربض وغيرها . بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الاحياء ومن أتباع من يعتقدون فيه يجعلون له حصّة من الولد ان عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ اليها المشركون : ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاء انسان بدراهم وحلقة نسائه

وقال (هذه لسيدة فلان) يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتي لاني زوجتها وكنت ملكة نصفها فلانا : يريد صاحب القبر : ^(١) وهذا شيء ما بلغ اليه عباد الاصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب — نعم استغاثت العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء اما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه (أعني) طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً : « لا تنسنا يا أخي . من دعائك » وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم : يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وسلم وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه والكلام في طلب القبوريين من الاموات أو من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم انقاذاً لا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا على حبالهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا زرع مواشيهم، ويحفظوا هاهنا العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى — هؤلاء الذين قال الله فيهم (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفُسهم ينصرون — ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب من الجماد أو من حي الجماد خير منه لانه لا تكليف عليه. وهذا يبين مافعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية وقال (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون) هؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد الا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً اليهم — وهذه

(١) وهذه الذنوب بالاموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه تلاً في بعض الجهات اليمنية وهذا شيء الخ

هي أنواع العبادات التي عرفناك — ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم لا استبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيماً له وعبادة ويقسمون بأسمائهم. بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عباد الأصنام (وإذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول : لا إله إلا الله — وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك كما قررنا في سبيل السلام شرح بلوغ المرام . وفي منحة الغفار :

فان قلت : لا سواء لان هؤلاء قد قالوا : لا إله إلا الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » وقال لاسامة بن زيد « قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله » ؟ وهؤلاء يصلون ويعصمون ويذكرون ويحجون بخلاف المشركين (قلت) قد قال صلى الله عليه وسلم إلا بحقها وحققها أفراد الألوهية والعبودية لله تعالى والقبوريون لم يفرّدوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الأنبياء وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة — ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا : ان مسيلة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوه فكيف بمن يجعل للولي خاصة الإلهية ويناديه للمهمات . وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم بل عاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة فإنه حفر لهم الحفائر وأجج لهم نارا والقاهم فيها وقال

اني اذا رأيت أمرا منكرا أجبت ناري ودعوت قنبر

وقال الشاعر في عصره

لترم بي المنية حيث شاءت اذا لم ترم بي في الحفرتين
اذا ما أججوا فيهن نارا رأيت الموت نقدا غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير. وقد وقع اجماع الامة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله الا الله فكيف من يجعل لله ندا. فان قلت: قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال لا إله الا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسير قلت لاشك أن من قال: لا إله الا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله ولذا أنزل الله في قصة (يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية فأمرهم الله تعالى بالثبوت في شأن من قال: كلمة التوحيد فان التزم لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وإن تبين خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ. وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه الى أن يتبين منه ما يخالف ذلك فاذا تبين لم تنفع هذه الكلمة بمجرد ذلك لم تنفع اليهود ولا نفعت الخوارج مع ما انضم اليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم وقال «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء كما ثبت به الاحاديث، فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لا ارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله

(فان قلت) القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجه لهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد الا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا ن الحج (قلت) هذا جهل بمعنى العبادة فانها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقدا ويصنعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والхلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء أن من تزكى بزبي الكفار صار كافرا ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقادا وقولا وفعلا (فان قلت) هذه النذور والنحوائر ما حكمها: (قلت) قد علم كل عاقل أن

الاموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية ، ويقطعون
 الفيافي من أذن الأرض والاقاصي فلا يبذل أحد من ماله شيئا الا معتقدا جلب
 نفع أكثر منه أو دفع ضرر. فالنادر للقبر ما أخرج من ماله الا لذلك وهذا
 اعتقاد باطل، ولو عرف النادر بطلان ما أراده ما أخرج درهما فان الامول عزيزة
 عند أهلها قال تعالى (ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحلفكم تبخلوا ويخرج
 أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه اضاعة لماله وأنه لا ينفعه
 ما يخرج به ولا يدفع عنه ضررا وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لا يأتي بخير
 وإنما يستخرج به من البخيل) ويجب رده اليه ، وأما القابض للنذر فانه حرام عليه
 قبضه لانه أكل لمال النادر بالباطل لافي مقابلة شيء وقد قال تعالى (ولأنأكلوا
 أموالكم بينكم بالباطل) ولانه تقرير للنادر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك
 ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (ان الله لا يغفر أن يشرك به) الآية فهو مثل
 حلوان الكاهن ومهر البغي ولانه تدليس على النادر وإيهام له ان الولي ينفعه ويضره
 فأني تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأي تدليس أعظم وأي رضاء
 بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا وما
 كانت النذور للاصنام والاوثان الا على هذا الاسلوب يعتقد النادر جلب النفع
 في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزورا من ماله ويقاسمه في غلات أطيانه ويأتي
 به الى سدة الاصنام فيقبضونه منه وبهيمونه حقيقة عقيدته . وكذلك يأتي يبيحيرته
 فينحرها بباب الصنم . وهذه الافعال هي الي بعث الله الرسل لزالتها ومحائثها
 واتلافها والنهي عنها

فان قلت : ان النادر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب اخراجه للنذر وبذله
 — قلت كذلك الاصنام قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا وهو الخطاب من خوفها
 والاخبار ببعض ما يكتمه الانسان فان كان هذا دليلا على حقيقة القبور وصحة
 الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقيقة الاصنام وهذا هدم للاسلام ، وتشديد لاركان
 الاصنام . والتحقيق أن لا بليس وجنوده من الجن والانس أعظم العناية في إضلال
 العباد وقد مكن الله ابليس من الدخول في الابدان والوشوسة في الصدور والتقام

القلب بخزطومه فكذلك يدخل أجواف الاصنام ويلقى الكلام اسماع الاقوام ومثله يصنعه في عند القبوريين فان الله تعالى قد اخذ له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الاموال والاولاد . وثبت في الاحاديث ان الشيطان يسترق السمع بالامر الذي يحدثه الله فيلقيه الى الكهان وهم الذين يخبرون بالمعيات ويزيدون فيما يلقى الشيطان من عند انفسهم . فانه كذبة ويقتصد شياطين الجن شياطين الانس من سدة القبور وغيرهم فيقولون ان الولي فعل وفعل يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه وترى العامة ملوك الاقطار وولاة الامصار مزينين لذلك ويولون المال لقبض النذور . وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أوقاض أو مفت أو شيخ صوفي فيتم التديس لا يلبس وتقر عينه بهذا التلبس (فان قلت) هذا أمر عم البلاد، واجتمعت عليه سكان الاغوار والانهجاء، وما بق الارض شرقا وغربا، وبعنا وشاما، وجنوبا وعدنا^(١) بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتدون بأسمائها ويحلفون بها ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الا ورا دوا لرياحين ويلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يتقدرون عليه من العبادة لها وما في معناها والتعظيم والخضوع والخشوع والتذال والافتقار اليها . بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو قريب منه أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر، ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الرطاة في جميع جنبات الدنيا (قلت) ان أردت الانصاف، وتركت متابعة الاسلاف، وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل، وقبلا بعد قبيل فاعلم ان هذه الامور التي تدندن حول انكارها، ونسعى في هبم منارها، صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعة لهم من غير فرق بين دني ومثيل . ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل تربيته وأصحاب بلدته يلقونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به الى محل قبره ويأطخونه بترايه

(١) كان المناسب أن يقول : وجنوبا وشمالا

٣٥٣ سكوت جمهور المسلمين على المنكرات حتى في الحرم المنار : ج ٤ م ٢٣

ويجعلونه طائفا على قبره، فينشأ وقد قر في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير، بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة، أو الأمانة والحكومة معظما لما يعظمونه مكرما لما يكرمونه، قابضا للتدور، آكلا ما ينحر على القبور، فيظن ان هذا دين الاسلام وانه رأس الدين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والاثار ان سكوت العالم أو العالم على وقوع منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر ولنضرب لك مثلا من ذلك وهي هذه المكوس المسماة بالمجاني المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قدامات الدبار والبقاع، وصارت أمرا مانوسا لا يلج انكارها الى سمع من الاسماع، وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين لاداء فريضة الاسلام، ويلقون في البلد الحرام كل فعل حرام، وسكانها من فضلاء الانام، والعلماء والحكام، ساكتون عن الانكار، معرضون عن ايراده والاصدار. أف يكون السكوت دليلا على أخذها واحرازها؟ هذا لا يقوله من له أدنى ادراك.

بل أضرب لك مثلا آخر هذا حرّم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال هذه المقامات الاربعة التي فرقت لعبادات العباد، واشتملت على ما لا يحصىه الا الله عز وجل من الفساد، وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كاللعل المختلفة في الدين، بدعة قرت بهاءين ابليس الامين، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين، وقد سكت الناس عليها، ووقف علماء الآفاق والابدال والاقطاب اليها، وشاهدها كل ذي عينين، وسمع بها كل ذي أذنين، أف هذا السكوت دليل على جوازها؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبور بين (فان قلت) يلزم من هذا ان الامة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكنت عن انكارها لا عظم جهالة (قلت) الاجماع حقيقته اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره وفقهاء المذاهب الاربعة يحيلون

الاجتهاد من بعد الاربعة وان كان هذا قولاً باطلاً، وكلاماً لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلاً، فعلى زعمهم لا اجماع أبداً من بعد الأئمة الاربعة فلا يرد السؤال، فان هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الاربعة وعلى ماحققه فالاجماع وقوعه محال فان الامة المحمدية قد ملأت الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم فعلماءها المحققون لا ينحسرون ولا يتم لاحد معرفة أحوالهم، فمن ادعى الاجماع بعد انتشار الدين، وكثرة علماء المسلمين، فانها دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق

ثم لو فرض انهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن انكاره لما دل سكوتهم على جوازه فانه قد علم من قواعد الشريعة ان وظائف الانكار ثلاثة (أولها) الانكار باليد وذلك بتغيير المنكر وإزالته (ثانيها) الانكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير (ثالثها) الانكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان، فان انتفى أحدهما لم يثب الآخر. ومثاله مرور فرد من افراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان، لانه إنما يكون سخرة لأهل العصيان فانتفى شرط الانكار بالوظيفتين ولم يبق الا الانكار بالقلب الذي هو أضعف الايمان. فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً على الانكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار ان يعتقد أنه تعذر عليه الانكار باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه، فاز حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب فالداخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الابنية الشيطانية التي فرقت كلمة الدين، وشتمت صلوات المسلمين، معذورون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلون عليه انه وقع ولم ينكر فكان اجماعاً. ووجه اختلاله ان قولهم ولم ينكر رجم بالغيب فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تمذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت تشاهد في رمانك انه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك وأنت منكراً له بقلبك ويقول

الجاهل اذا راك تشاهده سكت فلان عن الانكار بقوله اما لا ئما أو متأسيا بسكوته
فالسكوت لا يستدل به عارف وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال: فعل
فلان كذا وسكت الباقيون فكان اجماعا — مختل من جهتين (الاولى) دعوى ان
سكوت الباقيين تقرير لفعل فلان لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقدير
(الثانية) قولهم فكان اجماعا فان الاجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
والساكت لا ينسب اليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه اسانه . قال بعض
الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت مالك لا تقول
كما يقولون فقال ان تكلمت خالفتم فما كل سكوت رضى فان هذه منكرات
أسسها من بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلبه، واعراضهم
تحت قوله وكلمه، فكيف يقوى فزد من الافراد، على دفعه عما أراد، فان هذه القباب
والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة الى الشرك والاحاد وأكبر وسيلة الى هدم
الاسلام وخراب بنيانه غالب^(١) بل كل من يعمرها هم الملوك والسلطين والرؤساء
والولاة اما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي
أو فقير أو شيخ أو كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون
توسل به ولا هتف باسمه بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو
أكثرهم فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع
وفرش بالفراش الفاخر وأرخت عليه الستور، وألقيت عليه الاوراد والزهور،
فيعتقدان ذلك لنفع أو لدفع ضرر ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بانه فعل وفعل
وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع حتى يفرسوا في جباته كل باطل ولهذا الامر
ثبت في الاحاديث النبوية اللعن على من سرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها
وأحاديث ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة الى مفسدة عظيمة
(فان قلت) هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة

(١) قوله غالب خبر قوله : فان هذه القباب اي ان اكثر من يعمر هذه القباب
بل كل من يعمرها هم الملوك والامراء . والاضراب مبالغة فان الذين اقتدوا بهم
كثروا ايضا وامله كذلك في بلاد المؤلف

عظيمة أنفقت فيها الاموال (قلت) هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء أئمة ملته بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من ابنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور في سنة ثمان وسبعين وستمائة ذكره في (تحقيق النصره بتأخيصة عالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دلييلة يتبع فيها الآخر الاول

وهذا آخر ما أردناه بما أردناه لما عمت البلوى واتبعنا الالهواء وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم، ومالوا الى مآلات العامة اليه وصار المنكر معروفًا والمعروف منكراً، ولم نجد من الاعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً

(فان قلت) قد يتفق للاحياء وللأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الافعال يتسمون بالمجاذيب فما حكم ما يأتون من تلك الامور فانها مما جلبت القلوب الى ^(١) الاعتقاد بها (قلت) أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد ابليس اللعين ومن أعظم حمر ^(٢) الكون الذين البستهم ^(٣) حال التلبس والتزيين، لما أن اطلاق الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم الله الله ليس بكلام ولا توحيد وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف باخراجه عن لفظه العربي ثم اخلاؤها عن معنى من المعاني ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يسمى زيد وصار جماعة يقولون زيد زيد بعد ذلك استهزاء واهانة وسخرية، ولا سيما اذا زادوا الى ذلك تحريف اللفظ ثم انظر هل أتى في لفظه من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها اذ الذي فيها هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتلهيل وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشبهق والنبيق والنعيق الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله صلى الله عليه وسلم وسمته ودله في مكان سحيق، ثم قد يضيفون

(١) الحمر بوزن كتب جمع حمار (٢) اما ان يكون الاصل جلبت القلوب بتقديم اللام على الباء، واما يكون جلبت القلوب على الاعتقاد (٣) وفي نسخة البستهم واصل الأصل البستهم السنتهم

الى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس بل قد انتهى الحال الى أنهم يفرون الى أهل القبور من الظلم والجوراء كعلي رومان وعلي الأحمر وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن ادخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر (فان قلت) إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ويضيفون اليها أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم ووجاههم لمثل الخنش والحية والعقرب وأكلهم النار ومسهم ايها بالأيدي وتقلبهم فيها بالاجسام (قلت) هذه أحوال شيطانية وانك للملبوس^(١) عليك ان ظننتها كرامات للاموات أو حسنات للاحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أندادا وشركاء له في الخلق والامرء فهؤلاء الموتى أذنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى فهل يرضى ولي الله أن يجعله المذبذب أو السالك شريكاً له تعالى ونذا ؟ ان زعمت ذلك فقد جئت شيئا إداً، وصيرت هؤلاء الاموات شركيين وأخرجتهم — وحاشاهم عن ذلك — عن دائرة الاسلام والدين حيث جعلتهم يجعلهم أنداد الله راضين فرحين وزعمت أن هذه كرامات هؤلاء المجاذيب الضلال المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين بين بحار الرذائل، الذين لا يسجدون لله سجدة، ولا يذكرون الله وحده، فان زعمت هذا فقد أثبت الكرامات المشركين الكافرين المجانين وهدمت بذلك ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين .

واذا عرفت بطلان هذين الأمرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية ، وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لاخوانهم من هؤلاء الضالين معاونين من الفريقين ، وقد ثبت في الأحاديث ان الشياطين والجان يتشككون بأشكال الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه فهم الثعابين التي يشاهدها في أيدي المجاذيب الانسان وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع وتعلمه ليس بالعسير بل بآية الاعظم الكفر بالله وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في

كثيف ونحوه، فلا يفتزم من يشاهد ما يعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق فان للسحر تأثيرا عظيما في الأفعال، وهكذا الذين يعلبون الأعيان بالاسحار وغيرها وقد ملا سحرة فرعون الوادي بالثغابين والحيات^(١) حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام وقد^(٢) وصفه الله بأنه سحر عظيم، والسحر يفعل أعظم من هذا فانه قد ذكر ابن بطرطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما وقد لهم النار العظيمة فيلبسون^(٣) الثياب الرقيقة^(٤) ويخوضون في تلك النار ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء بل ذكر أنه رأى انسانا عند بعض ملوك الهند أنى بولدين معه ثم قطعهما عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو الى جهة فراق حتى لم ير أحد شيئا من تلك الأعضاء ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون الا وقد نزل كل عضو على انفراده وانغم الى الآخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا ذكر هذا في حلقته وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت - طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة والف أملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله

وفي الأغاني لابي الفرج الاسفهاني بسنده أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة نعل يدخل في جوف بقرة ويخرج فراه جندب رضي الله عنه فذهب الى بيته فاشتمل ل سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب أتأتون السحرة أنتم تبصرون ثم ضرب سوط البقرة فقطع الساحر معها فاندعر الناس فحبسه الوليد وكتب بذلك الى بان رضي الله عنه وكان على السجن رجل نصراني فلما رأى جندبا يقوم الليل يصبح صائما قال النصراني والله ان قوما هذا شرهم لتقوم صدق فوكلي بالسجن فلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا الاشعث بن قيس فاستضافه بنى أبا محمد يعني الاشعث بنام الليل ويصبح فيدعوا بقدائه، فخرج من عنده ال أي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا جرير بن عبد الله فوجدته بنام الليل ثم يح فيدعوا بقدائه فاستقبل القباة فقال ربي رب جندب وديني دين جندب لم وأخرجها اليه في السنن الكبرى بمقابلة في القصة فذكر بسنده الى الأسود الوائدي بن عقبة كان بالعراق يامب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل

(١) والجانشان (٢) وحتى وجد الخ (٣) ويلبسون (٤) الرقيقة

ثم يصبح به فيقوم صارخا فيرد اليه رأسه فقال الناس سبحان الله يحيى (الموت) وآه رجل من صالحى المهاجرين فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب ^(١) يلعب ابيه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال ان كان صادقا فليحي نفسه فأمر به الوليد ديناراً ^(٢) صاحب السجن فسجنه انتهى بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي باسناده في قصة طويلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكيين ببابل هاروت وماروت وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد أن ألقته في الارض اطلع فطلع فقالت: أحقل فاحقل ثم تركته ثم قالت أليس فييس ثم قالت له اطحن فأطحن ثم قالت له اختبز فاخترز. وكانت لا تريد شيئا الا كان. والاحوال الشيطانية لا تنحصر وكفى بما يأتي به الدجال والميعاد. اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولا وآخرأ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تذييل للمزار وتقريره للرسالة ﴾

إن هذه الاعمال الغريبة التي تسمى بالسحر حيل صناعية تتلقى بالتعليم والتمرين، وليست من خوارق المعاديات حقيقة بل صورة، فهي كما قال تعالى في سحرة فرعون (سحروا أعين الناس) بأن أروها أشياء على غير حقيقتها، لتخييل الجبال والعصي متحركة بأرادتها (يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى) والخوارق لا تكون صناعة تعليمية. وإنما يكثر هذا السحر في البلاد التي يغاب على أهلها الجهل بعلوم الكون وسنن الله في الخلق، كبلاد الزنوج في أفريقية والشعوب المشابهة لها في العباوة والجهل، وتقل في غيرها أو تنعدم وما يبقى منها يكون حرفة لبعض المشعوذين يعرضون ما يتقنونه من أعمالها على الناس فيرضخون لهم بقليل من النقد، فمنهم من يلحس حديدة محماة بالنار حتى تبرد وذلك أنه يتمرن على إدنائها من لسانه واصابته بالعاية من غير أن تمس اللسان ولكنهم يفعلون ذلك بسرعة تخيل للرائي أن اللسان

(١) وفي نسخة فذهب الساحر يلعب الخ (٢) دمار السجن

يمسها، ومنه اقتحام النار كما بناه في بعض فتاوى المجلد الثاني والعشرين، وأكثر هذه الشعوذة صناعية يدوية

ومن فنون السحر ما يستعان عليه بعلوم خواص الاشياء . ولو ذهب الآن بعض علماء الكيمياء وغيرها كخواص الكهرباء الى بعض تلك البلاد التي تجهل هذه العلوم جهلاً مطلقاً لفتنهم واستعبدوهم — ولا سيما اذا كان معهم من الآلات والادوات ما يمكنهم من أعمالها المعروفة — المشهور منها كالتلغراف والتليفون والانلاك وغير المشهور . وقد صار جميع العارفين بأمر السحر يعلمون أن جميع هذه الاعمال الغريبة صناعة لها أسباب يعرفون بعضها ويقيسون . ألم يعرفوا على ما عرفوا

هذا وإن الاسلام — والله الحمد — مبني على الحقائق ورفض الخرافات والخرعيات التي عبر عنها بالجبوت وبالسحر، وابطال كل ما يظني الناس بافساد اخلاقهم وآدابهم وحملهم على الاعمال المنكرة وهو ما عبر عنه بالطاغوت . فالؤمن بالتقي هو السليم العقل والاخلاق القائم بالاعمال الصالحة التي يصلح به حاله وحال الناس الذين يعيشون معه على منهاج الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة الصالح، وكل ما زاد على ذلك باسم الدين فهو بدعة ضلالة اما فسق واما كفر

وأما أمور الدنيا المحضة فقد قال انا الرسول عليه الصلاة والسلام « أنتم أعلم بأمر دنياكم » فلا ينكر العارف بالاسلام على أحد من افراد المسلمين ولا من جماعاتهم ما استحدثوا فيها من طعام وشراب ولباس وآنية وماءون وأثاث ومراكب برية وبحرية وهوائية وآلات صناعة وأعمال زراعة وطرق نجارة وأسلحة حرب وغير ذلك مع المحافظة على حدود الشريعة في الحلال والحرام وحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال

وقد ابتلي الاسلام ببجبال لبسوه مقلوباً كالقرو، فاكثروا من الابتداع في الدين، وشوهوه بالخرافات، وزادوا فيه ما لم يرد في سنة ولا كتاب ولا عرفه الرسول ولا أصحابه ولا غيرهم من أئمة السلف حتى صار البله والسخف والخروج عن المعقول والوساخة والخرافات والبدع من علامات الصالحين التي لا تنكر، وما أباحه الله وفوض الامر فيه رسوله للناس فقد أنكروه وضلوا أهله باسم الدين

ولله در مؤلف هذه الرسالة الامام المحقق فقد أتى فيها بما لم يأت به من ألفوا المختصرات والمطولات في موضوعها وهو كشف شبهة الذين يزعمون ان علماء المسلمين قد أجازوا ضلالات القبوريين منذ قرون فصار ذلك اجماعا عليها ، فبين انه لا يمكن الحكم بأنهم سكتوا جميعاً فكم منهم من أنكر ذلك قولاً وكتابةً ، وأن سكتوا فلا حجة في سكوتهم ولا سيما مع العلم بأن هنالك منكرات أخرى لا يقول هؤلاء القبوريون ولا غيرهم بجوازها وهي مسكوت عنها ، اما للعجز عن انكارها ، واما للجهل والتهاون في أمر الدين لان المعروف صار منكراً ، والمنكر صار معروفاً كما ورد في اعلام النبوة ، وهذه الحجة أظهر في زماننا وبلادنا منها في غيرها من زمان ومكان ، فان العلماء الذين لا ينكرون ما وردت الاحاديث الصحيحة بحظره من تشييد القبور وكسوتها ، وإيقاد السرج والشموع عليها وعبادتها بدعاء أصحابها والطواف بها والنذر لهم — لا ينكرون أيضاً ما فشا في البلاد من البدع والفواحش والمنكرات التي لا خلاف في شيء منها ، بل لا ينكرون ما يرون ، ويسمعون من الكفر البواح ، والاحاد الصراح ، بل يعظمون من يعتقدون كفرهم وإلحادهم ، ويعلمون أولادهم القوانين التي يعتقدون أنها مشتملة على ما هو محرم بالاجماع ، وان استعلا لردة ، وخروج من الملة ، لاجل أن يحكموا بها وهو حكم بغير ما أنزل الله ، وهم يتلون في ذلك آيات الله ، فهل يحتاج بسكوت أمثال هؤلاء قوا أو أكثر أو لا حجة في سكوت المجتهدين وهم ليسوا منهم ، ولا في أقوالهم على القول المشهور في الاصول الا اذا أمكن حصرهم وإجماعهم على حكم من الاحكام لا يشذ منهم عن القول به أحد ، على ما في حجته اذا أمكن وقوعه والعلم به من النظر ؟ ؟

اللهم انا نبرأ اليك من كل قول وعمل واقرار في أمر ما من أمور الدين لم يكن مما أنزلته على رسولك محمد خاتم النبيين والمرسلين ، ومن كل فهم وعمل فيه يخالف لسلف الامة الصالحين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الخلافة الإسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محيي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بينام) الهندية

٥

فصل

(الجماعة والتزام الجماعة)

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده أمرهم يستحق أن نتأمل فيه ، وهو أن الشريعة نصت على أن الحياة الإسلامية إنما هي في التزام الجماعة وطاعة الخليفة ، والحياة الجاهلية في الانحراف عنها — ولقد أوضح القرآن أن الجاهلية هي التفرق والتشتت وانتشار الكلمة وعدم الاجتماع على مركز واحد ، وأن الحياة الإسلامية هي الحياة الاجتماعية والاتحاد والائتلاف بين الأمة واجتماع الآحاد المنتشرة — قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الخ

فالجاهلية الفرقة ، والاسلام الجماعة ، ولذا أكد النبي عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة أن من يحيد عن الجماعة وينزع يده عن طاعة الخليفة ، يكاد يخرج من الاسلام ، وتكون ميته على الجاهلية لا على الاسلام وان صلى وصام وزعم أنه مسلم

وها هي ذي بعض الأحاديث الصحيحة المشهورة في هذا الباب :

(المنار : ج ٥) (٤٦) (المجلد الثالث والعشرون)

قال (ص) « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع اميري فقد أطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وفي رواية أخرى لمسلم « من أطاع الامير » أي اطاع امام المسلمين وقال « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » (البخاري ومسلم عن أنس)

يظهر أن هذه الجملة كثيرا ماكان يكررها صلى الله عليه وسلم ولا سيما في خطبه ولذا تجدها مروية بألفاظ مختلفة ونسبت الى مواقع مختلفة، وقد قال يوم الحج الاكبر في حجة الوداع التي كانت مشهدا عظيما للمسلمين ، والتي لم يعيش (ص) بعدها الا بضعة أشهر « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله ، اسمعوا وأطيعوا » (مسلم)

وقال « من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية » وفي لفظ « فانه ليس احد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه الامات ميتة جاهلية » (متفق عليه) ومعلوم ان الجاهلية كانت قبل الاسلام ، فعنى الحديث انه مات على ضلالة عرب الجاهلية — والعياذ بالله ! وفي رواية عبد الله بن عمر (رض) « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »

وقال « من فارق الجماعة شبرا فمات ميتة جاهلية » (الترمذي) وفي رواية « دخل النار » (اخرجها الحاكم على شرط الصحيحين) وقال « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون — قالوا فماتنا مرنا قال — فو بيعة الاول فالاول ، ثم اعطوهم حقهم ، فان الله يسألهم عما استرعاهم » (متفق عليه) وغير هذا كثير من الاحاديث التي لا تحصى ، وشواهد الاجماع ونصوص كتب العقائد والفقه لسنا في حاجة اليها بعد الحديث

فصل

(في شروط الامامة والخلافة)

اذا استقصيت نصوص الكتاب والسنة واجماع الامة ، تعلم ان الشريعة لاسلامية اعتبرت الامامة والخلافة على شكلين متضادين ، واحد منهما اصلي

ومطلوب ، والثاني اضطراري

وبيان هذا ان الشكل الاصلي المطلوب هو انتخاب الامة خليفة بها بحيث تجتمع آحادها واهل الحل والعقد والرأي والبصيرة منها، فيتباحثون ويتشاورون طبقاً للآية (وامرهم شورى بينهم) ثم ينتخبون الخليفة مراعين فيه شروط الخلافة الشرعية ، ومقاصدها الاساسية ، غير ناظرين الى الوجاهة الذاتية والجنسية النسبية ^(١) اذ الشريعة تعتبر في الانتخاب شورى الامة ، لاجنسية الخليفة وعشيرته ونسبه — وقد تأسست الخلافة الراشدة على هذا الاساس الجمهوري ، فالخليفة الاول انتخبته الامة مباشرة ، والخليفة الثاني انتخبه الخليفة الاول ^(٢) ورضي به اهل الحل والعقد من الامة ، والخليفة الثالث انتخبته جماعة الشورى ، والرابع بايعته الجماعة بأسرها — فانتخاب هؤلاء الخلفاء الاربعة كان انتخاباً شرعياً وجمهورياً ، ولم ترع فيه الجنسية والقبيلة والعهد البتة ولوروعي فيه شيء من هذا القبيل لبقيت الخلافة في بيت الخليفة الاول ولم تخرج منه الى آخر الدهر . ولكن لم يكن شيء من ذلك ، بل لم يدع الخليفة الثاني مجالاً للامة في ان تنتخب ابنه خليفة لانه منع وأوصى بذلك وصية حين احتضاره — رضى الله عنه وعنهم اجمعين

فاذا كان الامر على هذا النهج الجمهوري واستطاعت الامة انتخاب خليفة لها فقد شرطت الشريعة فيه شروطاً تراعى عند الانتخاب

واما الشكل الثاني وهو اذا تغلب متغلب بقوته وعصبيته على الخلافة ولم يترك مجالاً للانتخاب فحينئذ ما ذا يجب على الامة اذا كان المتغلب غير أهل لها وظالماً وفاقداً لشروطها ؟ فهل يجب عليها ان تخرج عليه وتقاتله ؟ ام يجب عليها ان تطيمه وتنقاد له وتؤدي اليه الزكاة وتقيم وراءه الجمعة والجماعة وتعمل تحت سيطرته سائر الاعمال التي لا تتم الا بوجود الخليفة والامام ؟

لما كانت هذه المسئلة اهم المسائل الحيوية ، وأساس حياة الامة الاجتماعي

(١) أي لم يراع فيه الاشرف نسبا من بيوت قريش التي حصر الرسول الخلافة في جملتها بل يرجحون كفاءته من أي بيت منهم كان ، وسيعله بعد بأسها لو جعلت وراثية في بيت معين لبقيت في بيت الخليفة الاول كما هو الشأن في بيوت الملوك الى عهدنا هذا وضرب له المثل بالخلفاء الراشدين (٢) يعني أنه رشحه والامة رضيته فبايعته

لم تكن الشريعة لتغفل عنها وتترك الأمة بلا هداية ولا بصيرة فيها ولذا تجدها قد اهتمت بها أشد الاهتمام وبينتها بيانا وافيا بعبارات واضحة وأنصوص صريحة ومن أجل ذلك لم يتردد الصحابة رضوان الله عليهم في تعيين خطتهم لما قامت الخلافة الاموية الاستبدادية بعد انقراض الخلافة الراشدة ، فعاملوها معاملة واحدة كأنهم كانوا عينوها من قبل ، وصارت تلك المعاملة سنة لمن بعدهم ، وأجمعت الأمة على استحسانها ، واتخذتها خطة اجتماعية لها . نعم قد اختلف بعض الفرق الاسلامية في الشكل الاول للخلافة ، ولكن لم يختلف أحد منهم في الشكل الثاني لا قولا ولا عملا^(١)

وقد شرطت الشريعة في الشكل الاول الجمهوري شروطا بالغة في السكال منتهاه ، وأوجبت على الأمة أن تنظر في الخليفة كل الامور التي تلزم لهذا المنصب الرفيع ، وهذه المسؤولية العظيمة . وقد اشتهرت شروط الخلافة هذه اشتهارا عظيما حتى انك تجدها في عامة كتب العقائد والفقه التي يتداولها طلبة العلم في المدارس الدينية — فترى فيها « ويشترط أن يكون (الخليفة) من أهل الولاية المطلقة الكاملة بأن يكون مسلما ، حرا ، ذكرا ، عاقلا ، بالغاً ، سائسا بقوة رأيه ورويته ومعوثة بأسه وشوكته ، قادرا بعلمه وعدالته وكفايته وشجاعته على تنفيذ الاحكام ، وحفظ حدود الاسلام ، وانصاف المظلوم من الظالم ، عند حدوث المظالم » الخ — راجع شرح المواقف والنسفي والتمهيد وشرح الفقه الاكبر للقاري وشرح المقاصد — ومن كتب المحدثين شرح عقيدة ابن عقيل وفتح الباري وشرح منظومة الآداب وخلاصة ابن مفلح ونيل الاوطار ووبل المرام للشوكاني والاقناع وشرحه وغيرها من الكتب ، وأما شرط القرشية ففيه اختلاف^(٢) وقد كان يقول به أكثر العلماء

(١) اطلاق النفي خطأ فالخلافا وقع قولا وعملا ذهب كثيرون الى مقاومة السلطة الجائرة وغير الشرعية ، وكثيرون الى طاعتها ، وسيأتي تحقيقه . وما زالوا يستعدون لاسقاط خلافة الامويين حتى أستطوها وهي في ريق شبابها

(٢) يظهر ان للكاتب — عفا الله عنه — ميلا الى اضعاف هذا الشرط الذي أجمع عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الشقاق في الأمة وهم أهل الاجماع الصحيح دون غيرهم والا حاذيت الصحيح فيه كثيرة متفق عليها وقد ذكر حديثا واحدا منها لم يقرنه بذكر من خرج من رواية الصحيح ، وقد صرحت الكتب التي ذكرها كلها بشرط القرشية

والفقهاء الى زمن الدولة العباسية وبعدها ييسر (سنة ٦٤٠ هـ سنة ١٢٤٣ م) لقوله (ص) « ان هذا الامر في قریش » ولذا ذهبت الامامية الى ان الخليفة يجب أن يكون من أهل بيت النبي (ص) ونقول على هذه القاعدة ان الخلافة

== ولما ذكرنا أن الخوارج وبعض المعتزلة خالفوا سائر المسلمين في اشتراط القرشية ردوا عليهم بأن الاجماع كان قد انعقد على ذلك من عهد الصحابة مستندا الى النص فلا عبرة بخلافه

قال السعد التمنازاني في شرح المقاصد : ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية سميما بصيرا ناطقا قرشيا فان لم يوجد من قریش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من بني اسماعيل فان لم يوجد فرجل من العجم الخ (ص ٢٧١ ج ٢ طبع الاستانة) وقال الحافظ في شرح البخاري بعد ايراد الاحاديث في حصر الامامة في قریش المؤيدة لما رواه البخاري منها ما نصه :

« ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على افادة المفهوم للحصر خلافا لمن أنكر ذلك والى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الامام أن يكون قرشيا — ثم ذكر من قيده ببعض قریش كالشيعية ورأي الخوارج وبعض المعتزلة بعدم اشتراط القرشية وتعقبه بقوله « قال أبو بكر بن الطيب لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث « الائمة من قریش » وعمل المسلمين به قرنا بعد قرن وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف (ص ٥٨١ ج ٢٩ طبعة الهند)

ثم ذكر الحافظ ما رواه أحمد عن عمر من ميله الى استخلاف أبي عبيدة وهو غير قرشي أو معاذ بن جبل وهو أنصاري وجمع بينه وبين نقلهم للاجماع باحتمال أن يكون رجع عن ذلك أو يكون الاجماع قد انعقد بعده. والصواب أن أبا بكر قد احتج على الانصار — وعمر يظاھرہ — بحديث حصر الائمة في قریش فأذعنوا ولم يعارض فيه أحد منهم ولا من غيرهم فانعقد الاجماع من ذلك اليوم ويكفي هذا اعلاالا لرواية قول عمر إنه كان يجب أن يستخلف أحد الرجلين . وهل يوجد شيء رد به أثر آحادي أقوى من هذا الاجماع وهذه النصوص المتفق عليها؟

وذكر الحافظ قبل ذلك ما أورد على حديث « لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان » على القول بأنه خبر محض من أنه تولى أمر المسلمين كثير من غير قریش وأجاب عنه أولا بأن تولى هؤلاء لم يمنع وجود أئمة من قریش في اليمن والمغرب وغيرها وأن بعض أولئك كان يدعي القرشية كبني عبيد ثم قال « وأما سائر من ذكر ومن لم يذكر فهم من المتغلبين وحكمهم حكم البغاة فلا عبرة بهم (قال)

لعل عليه السلام ثم لائمة العترة، رضوان الله عليهم أجمعين — وذهبت الزيدية إلى أن الخلافة في بني فاطمة كلهم ولا خصوصية فيها لائمة أهل البيت فالامامية تشترط في الخليفة مع سائر الشروط المذكورة آنفاً، أن يكون من أهل البيت النبوي، والزيدية توسع فيها وتقول كل بني فاطمة أهل للخلافة وهم يستحقونها دون غيرهم

ولا تنسين أن هذا الاختلاف في الشكل الاول. اما في الشكل الثاني — أي اذا لم تقدر الامة على انتخاب الخليفة لتغلب المتغلبين — فلا خلاف فيه بين المسلمين لكثرة الاحاديث الصحيحة واجماع الصحابة وأئمة أهل البيت في هذا الباب ولذا ترى الامة قد اتفقت كلمتها على أنه اذا استولى مسلم بقوته وشوكته وعصبيته على الخلافة وتمكن فيها وقامت حكومته وقوي أمره وجب على الامة أن تطيعه وتسمع له وتخضع لخلافته مثل ما لو كان أصابها بحق، ولا يجوز لأحد الخروج عليه والقيام على وجهه، ومن يفعل ذلك يقاتله المسلمون ويعينون الخليفة عليه، مهما كان الخارج ذا فضل وصلاح وأهلية، لأنه مفارق للجماعة وخارج على السلطان^(١)

هذا هو حكم الشريعة في هذه الصورة، وحكمته واضحة جلية، وهي أن قيام الشريعة وبقاء الامة يتوقف على الحكومة القوية. اذ هي أساس للحياة الاجتماعية، وقد جعلت لها الشريعة نظاماً في غاية من الكمال والجودة، فنحوت للامة حق انتخاب الامير، وجعلت الشورى أساساً للانتخاب، وشرطت شروطاً في الامير، ولم تعتمد في الامارة على امتيازات الجنس والمصيبة والملوكية. بل جعلتها حرة وجمهورية محضة لا يشوبها الاستبداد والضغط أبداً، ثم حذرت

== وقال القرطبي هذا الحديث خبر عن المشروعية أي لا تنقد الامامة الكبرى الا لقرشي مهما وجد منهم أحد. وكأنه جنج الى انه خبر بمعنى الامر وقد ورد الامر بذلك في حديث «قدموا قريشاً ولا تقدموها» أخرجه البيهقي. وذكر له شواهد من الصحاح وغيرها (ص ٥٨١ ج ٢٩ ايضاً)

(١) حكاية الاجماع باطلة كما أشرنا اليه في حاشية سابقة، وإن الحافظ ابن حجر قال انهم يعدون المتغلبين على الخلافة من البغاة لخارجين على السلطة الاسلامية وسيأتي مزيد بيان لذلك

الناس من أن يتصدوا لها ، ويرشحوا أنفسهم لاجلها ، وينافسوا فيها ويتطلعوا إليها ، فيقاتلوا ويحاربوا عليها ، ويسفكوا الدماء في سبيلها — وقد كان رسول الله (ص) يبايع الناس على هذا فيقول « لا ينافع الأمر أهله »^(١) هذه كلمة صغيرة في ظاهرها ، كبيرة في ذاتها ، وكافية لإبطال الحروب والمنازعات بأسرها. وقد بوب البخاري في صحيحه عليها بابا فقال «باب ما يكره من الحرص على الأمانة» وروى فيه حديث أبي موسى الأشعري قال : قال النبي (ص) «انا لانولي هذا الأمر من سألني ولا من حرص عليه» وكان الغرض من هذا التحذير والمنع لان الناس اذا لم يحرصوا عليها ، سهل للامة انتخاب الاصلح والاهل لها

هذا هو النظام الحقيقي الذي جعلته الشريعة للخلافة الاسلامية ولو بقي معمولاً به لصلحت الدنيا كلها ، ولكن النبي (ص) كان يعلم أنه لا يدوم اكثر من ثلاثين سنة فبين للامة ما يجب عليهم عندما ينهدم ذلك ويحل محله الاستبداد والقهر لنفحص المسئلة فحفا جيدا ، لنرى أية خطة أحسن عند تغلب المتغلبين على الخلافة ، فان هنا خطتين (احدهما) أن يقبل الاستبداد ويخضع له صيانة للجماعة وحفظ النفوس الامة وذودا عن البلاد الاسلامية من الاعداء وصونا لأوامر الشريعة من التعطيل وغيرها كثير من المصالح العامة ولا تنس أن هذه الحكومة وان كانت مستبدة قاهرة الا انها اسلامية تفار على الدين وترفع شأن الامة في نظر الاعداء ، نعم تنتقل الحكومة الاسلامية في هذه الصورة الى مستبد تغلب عليها ولم يبال بالنظام الشرعي لها ولا يرب في أنه تنشأ عن هذا مفسد كثيرة^(٢)

وأما الخطة الثانية فهي أن يقاتل المتغلب ويخرج عليه وترد الخلافة الى من هو أصلح لها منه . ولكن اذا فعل ذلك جرت الدماء انهارا في حروب تشيب من هولها الولدان ، واختلت المصالح العامة ، وتزلزلت الهيئة الاجتماعية ، وبطل الأمن ، وعمت الفوضى ، وتعطلت أوامر الشريعة ، وهدمت الجوامع ،

(١) يتأمل كلمة أهله ويراد بها شرعاهل يمكن أن يكون منها المظالمون المستبدون ؟

(٢) اكثر هذه المفسد على جرئومتها أن الأمر يجري على القوة لا على الشريعة ،

واي حاكم تخضع له الامة خضوعا اعمى — يقف عند حدود الحق والعدل ، فلا يتهدها

على علم ولا عن جهل

ونهب البيوت ، وخربت البلاد ، وانصبت على رأس الامة المصائب ، وأصابها كل ما يصيب الامم في مثل هذه الحروب التي تثيرها الالهواء والشهوات . ومع هذا لا يعرف متى يستتب الامن وتعود الراحة ؟ اذ كل صاحب عصبية وذو مطامع كبيرة ينهض قائلا : أنا أحق بالخلافة من صاحبها ، فعلى الناس أن يبايعوني ويقاتلوا في صني وينصروني على عدوي ! « ^(١) فإذا تكون حال الامة اذ ذاك ؟ ألا تكون كالريشة في مهب العواصف تقلبها الرياح كيف شاءت ؟ أولا تصبح كسفينة في بحر محيط لاربان عليها ، تتقاذفها الامواج بمنة ويسرة فتعلو تارة وتسفل اخرى ويخشى عليها الفرق كل آن ؟ ولا ينكر أن مع هذه المخاوف والاهوال يحتمل أن ترد الخلافة الى الاصلاح لها ، فأني صورة أحق أن ترجحها الشريعة الغراء ؟ أتلك التي مصالح الامة فيها مصونة مضمونة ، والمفاسد محتملة ؟ أم هذه التي الخراب والدمار فيها محقق ، ورد الحق الى اهلها محتمل ؟ كل من له أدنى حظ من العقل الصحيح لا يتردد في الجواب بأن الصورة الاولى أحق أن تقبل وتعول عليها في مثل هذه الحالات ، وقد فعلت الشريعة ذلك جريا على قاعدة « المنافع تجلب والمضار تدفع » واذا اختلطت المصالح والمفاسد ، تختار الشريعة طريقا أقل مضرّة وأكثر مصلحة وترجح أهون الشرين ، اذ لو لم تفعل ذلك وفرضت على الامة عدم الخضوع لاحد سوى جامع شروط الخلافة والمنتخب على الطريقة الجمهورية الصحيحة لقام كما قلنا كل من اتخذ الله هواه لنيل الخلافة وقال هذا الخليفة ليس بأهل وأنا أحق منه وأجمع للشروط — ثم ماذا كان بعد ذلك ؟ القتل والسلب واهراق الدماء وزهق النفوس وانهدام الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان الامة . فمن كان يحافظ على البلاد ويحكم بين العباد ويعاقب المجرمين ويحصد السراق وقطاع الطريق

(١) الصواب أن هذا من لوازم الخضوع اكل قوي يغلب إذ لو كان أصحاب هذه المطامع يعامون أن الامة انما تخضع للحق لا للقوة وأنها لا تزال تقاوم المستبد الخارج حتى يهلك او تهلك لا يخرج عليها خارج ، ولا تغلب مستبد ظالم ، وكلام الاستاذ أبي الكلام هنا متعارض متدافع ، وبإرض ما فرضه من صور المسألة غير متعين الوقوع بل نادر ، ومقاومة الظلم والاستبداد وتغيير المنكر فرض لازم ، ولكن براءى في تنفيذه ارتكاب أخف الضررين عند التعارض

ويأخذ الزكاة ويقيم الجمعة والعيدين ويدافع عن الثغور ويرابط على الحدود؟
 وأيم الله لو كان كذلك لتداعت الامم الاكالة على المسلمين ولاحتلت بلادهم
 وخضدت شوكتهم واستعبدتهم وأذلهم وفعلت بهم ما فعلت ! فقبول خلافة
 المتغلب أحسن وأهون ، أم هذا الخراب والدمار الذي ليس فوقه خراب ولا
 دمار ؟ ولذا امرت الشريعة بطاعة الخليفة المسلم مهما كان ظلما ومستبدا وكيفما
 كانت سيرته وسريته ما لم يأمر بمعصية الله ، وما أقام الصلاة — والله تعالى
 أعلم بما يأمر وهو بصير بمصالح العباد ! *

(*) الكاتب فرض صورة للتعارض بين الحق والتغلب لا تطرد بل قلما تقع
 وجعلها قاعدة للترجيح ، : ان مجموع الاحاديث الواردة في الامامة والامارة تدل
 على أمور يعز أن تجدها مجموعة في مكان واحد فتجتمع بها بين ما يترأى لك فيها
 من التعارض (١) ان الامام الاعظم (الخليفة) يجب أن يكون من قريش (٢) ان
 طاعة الامام واجبة شرعا مادام مسلما يقيم الصلاة بالناس ويقودهم بكتاب الله وانما الطاعة
 بالمعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٣) ان طاعة الامراء والولاة والعمال الذين
 يوليهم الامام قيادة الجيوش والادارة والقضاة والحماية يطاعون وتؤدي اليهم الحقوق
 بالشرط الذي يطاع فيه الامام بالاولى. وفي حديث يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين
 بنت اسحق الاحمسية أنها سمعت النبي (ص) يخطب في حجة الوداع وهو يقول
 « ولو استعمل عايكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » رواه مسلم وفي
 أحاديث أخرى ولو كان عبدا حبشيا مجدها اطراف ومنه حديث علي عند الحاكم
 مرفوعا بأسناد جيد ورجح الدارقطني وقفه قال في آخره « وان أمرت قريش فيكم
 عبدا حبشيا مجدها فاسمعوا له وأطيعوا » (٤) ان ظلم الائمة والأمراء وفسقهم
 وأثرهم لا تبيح لافراد الامة عصيانهم فيما يأمر به من المعروف لان ذلك
 يستلزم ما هو شر منه وهو الفوضى وفساد جميع الامور العامة . فكل ما ورد في
 كتب الكلام والفقه وشروح الاحاديث من وجوب الطاعة فالمراد به ما ذكرنا لما
 علناه به (٥) ان ذلك كله لا يدل على وجوب رضى الامة بالظلم والبغى، والآثرة ولو
 من قريش ، ولا على الخضوع لكل قوي مستبد ، ويستحيل أن يكون هذا
 حكم الدين وهو يهدم الحق والعدل والفضيلة ويفسد على الامة دينها ودنياها ،
 ولا يمكن ترجيح احاديث الطاعة المطلقة على الاحاديث المقيدة لها بالمعروف
 والشرع وعلى سائر النصوص المعلومة من الدين بالضرورة . وانما يظهر الجمع
 بينها بان على الافراد السمع والطاعة وعلى أهل الحل والعقد من زعماء الامة التي
 (المنار : ج ٥) (٤٧) (المجلد الثالث والعشرون)

فصل

(نصوص السنة واجماع الامة)

من يلقي نظرة سطحية على الاحاديث النبوية يرى أن رسول الله (ص) كان يخبر بما سيكون في المستقبل من انقلاب الحال وتغير الناس ، ويبين لكل حالة وكل دور علائم وآيات ، ويرسم للامة خطة تناسب كل وقت وزمان . وان هذا لمن اكبر الادلة على صدقه وصدق نبوته ، اذ كل ما اخبر جاء كفلق الصبح ، وان كان الناس لا يصدقون بذلك فبأي دليل يثبتون ما جرى في الزمان الغابر ، فكل احد يستطيع ان ينكر حينئذ وجود الاسكندر المقدوني والدولة الرومانية ، بل نابليون وحرب واترلو

والحاصل أن رسول الله (ص) كان يعلم بما يقع بعده ، ولذا جعل لكل حالة ووقت امرا وحكما ، وأمر الامة بامثال أمره ، فيجب على الباحث أن لا يخلط بين الاوامر والاحوال خلطا ، بل يضع كلا منها في موضعه ، والذين لم يفعلوا ذلك أخطأوا وغلطوا في فهم الاحاديث ولم يستطيعوا التوفيق والتطبيق بينها يرى الناظر أولا الاحاديث التي ذكرت فيها الخلافة الراشدة ، ولكونها كانت معلومة لديه بأنها ستقوم على منهاج النبوة تماما ، اوصى الامة بطاعتها واتخاذ أعمالها قدوة وسنة كسنته نفسه (ص) ففيها - روى عراب بن سارية حديثه المشهور قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فوعظنا موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقليل يارسول الله ! وعظمتنا موعظة مودع فاعهد اليها بهد ، فقال « عليكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان كان عبدا حبشيا ، وسترون بعدي اختلافا شديدا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ » (ابن ماجه والترمذي) وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الخ وحديث « أما طبقتي وطبقة أصحابي

= هي صاحبة السلطان وهم أهل الشورى والزعامة فيها أن يوقفوا الامة والامراء عند ما أوجب الله من الحق والعدل والتزام الشرع بما دون الخلع لغير الكافر ان أمكن وأن يستمدوا لذلك بما ترجح به المصلحة على المفسدة . وكذلك فعلت كل الامة التي استقام امر حكومتها ولم توطن امة نفسها على الخضوع الا كانت من الهالكين واطلاق القول بالخضوع للمستبدين الجائرين لاجل قوتهم خطأ عظيم واية حكومة قامت بالقوة ثم قاومتها الامة برأي زعمائها ولم تسقط ؟ وسياتي ما يقرب من هذا الجمع من النووي

فأهل علم وإيمان « الخ (رواه البغوي عن انس) وحديث عبد الله بن مسعود « ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا وكان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » الخ (مسلم) وغيرها كثير

ففي هذا الدور أمرت الامة بأمرين : الطاعة والافتداء بالخلفاء — ثم تأتي بعده أحاديث الدور الثاني ، فيبقى حكم الطاعة على حاله فتطيع الامة خلفاء هذا الدور أيضا مثل طاعتها لخلفاء الدور الاول ، ولكن يتغير الحكم الثاني ، أي حكم الافتداء ، فلا يقتدى بهم ولا تتخذ أعمالهم سنة متبعة ، لانه كان معلوما من قبل أنهم لا يناولون الخلافة على النظام الشرعي ، ولا يكون سيرهم طبقا للكتاب والسنة ، فيكون فيهم الصالح والطالح والقيح والحسن ، فلذا أمرت بطاعتهم ، ونهيت عن اتباعهم والافتداء بهم — بل اذا قاموا لشر بدعتهم ، وترويح فسادهم وجب على كل أحد السعي لسد فسادهم ومنع منكرهم بيده ولسانه ، وان لم يستطع فبقائه يبغض أعمالهم « وذلك أضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان جبة خردل فعن عبادة بن الصامت (رض) قال « ياينا رسول الله (ص) على السم والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا ، وأن لا تنازع الامرأهله ، الا أن تروا كفرا بواحا ، عندكم فيه من الله برهان » (متفق عليه) أي يطاع الامام في كل حال الا أن يظهر منه كفر صريح

وقال خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » قال قلنا أفلا ننايذهم عند ذلك ؟ قال : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، الا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يدا من طاعة » (رواه أحمد ومسلم)

وعن حذيفة قال قال (صلعم) « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال : قلت : كيف يارسول الله ان أدركت ذلك ؟ قال « تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (أحمد ومسلم)

وقال (صلعم) « ستكون بعدي اثرة وأمر تنكرونها — قالوا فما تأمرنا ؟ قال تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » (متفق عليه عن ابن مسعود وأخرجه أيضا الحارث بن وهب وأورده الحافظ في التلخيص)

وعن جابر بن عتيك مرفوعاً عند أبي داود بلفظ «سيأتاكم ركب مبعوضون فاذا أتوكم فرحبوا بهم واخلوا بينهم وبين ما يبتغون ، فان عدلوا فلا تفسهم وان ظلموا فمليهم»

وعن وائل بن حجر قال «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورجل يسأله فقال أرأيت ان كان علينا أمراء يمنعوننا حقنا ويسألونا حقهم؟ قال «اسمعوا وأطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم» (مسلم والترمذي وصححه) قال صلى الله عليه وسلم «على المرء المسلم ، السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا ان يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر) - اذ لا يعصى الله خالق السموات والارض في شيء مهما صغر وقل ، لمخلوق مهما كبر وعظم وارتفع شأنه - وان هذا ما قاله الاسلام وجميع الاديان وكل العقلاء والحكماء

ولذا أمرت الشريعة بأداء الصدقات والزكاة الى العاملين عليها ، مهما كانوا ظلمة وفسقة وخونة ، ولا يجوز منعها عنهم لاجل ذلك - نعم يجوز السعي عند الامام في عزلهم ولكن ماداموا على عملهم لا يجوز منع الزكاة عنهم لئلا يختل نظام الامة - كما في رواية بشير بن خصاصة أنه قال قلنا «ان قوما من أصحاب الصدقة يعتدون علينا أفنكتم من أموالنا بقدر ما يعتدون علينا؟ فقال «لا» (قال أبو داود رفعه عبد الرزاق عن معمر) وفي رواية سعد بن أبي وقاص ، قال «أدفعوا اليهم ما صلوا» وروى ابن أبي شيبه انه قال رجل لابن عمر: الى من تؤدي الزكاة؟ قال الى الأمراء ، فقال الرجل «اذا يتخذون بها ثياباً وطيباً» قال وان فعلوا ذلك اد اليهم الزكاة !

ولذا ترجم أصحاب الحديث «باب براءة رب المال بالدفع الى السلطان مع العدل والجور» (كما في المنتقى) وبه قال جمهور الفقهاء وأئمة اهل البيت . كما نقل عن الامام الباقر عليه السلام في الاصول والى هذا ذهب المحققون من الامامية والزيدية^(١)

(١) قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الاصل عند قوله فيه من كتاب الفتن «وان لا تنازع الامر أهله» أي الملك والامارة ، ثم ذكر زيادات في الحديث من روايات أخرى منها «وان تقوم بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم»

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخصة ونفي

مجاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شبيب أرسلان

٦

ثم لا ينبغي ان ننسى ان لجبل لبنان علة ثانية زادت وبال على وبال وهي ولوع أهله بتربية التوت وترفيههم هذه الشجرة ما استطاعوا اليه نبيلاً. وهم معذورون في ذلك لان الجبل بضيق أراضيه ووعورتها لا يلام أهله في اعتمادهم على التوت الذي

= وذكري شرح قوله « إلا أن تروا كفرا بواحا » روايات أخرى بلفظ المعصية والاثم بدل الكفر ثم قال : وفي رواية اسماعيل بن عبدالله عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته عن أبيه عن أبي عن عبادة « سيلى أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون ، وينكرون عليكم ما تعرفون . فلا طاعة لمن عصى الله » وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله عن عبادة رفعه « سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون و يفعلون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة »

وقال في شرح قوله « عندكم من الله فيه برهان » أي من نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل . قال النووي : المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاية الامور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فانكروا عليهم وقولوا بالحق حينما كنتم اه وقال غيره المراد بالاثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان الا اذا وقع في الكفر الظاهر . والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه عما يقدر في الولاية الا اذا ارتكب الكفر ، وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية فاذا لم يقدر في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك اذا كان قادراً والله أعلم . ونقل ابن التين عن الداودي قال . الذي عليه العلماء في امراء الجور أنه اذا قدر على خائمه بغير فتنة ولا ظلم وجب والا فالواجب الصبر . وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، فان أحدث جوراً بعد ان كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا أن يكفر فيجب الخروج عليه . اه (ص ٥٢٤ ج ٢٩ طبعة الهند)

منه الحرير. وهذا القليل منه يعنى عن الكثير من غيره. ولكن حال الحرب ليست كحال السلم. فلما نشبت الحرب العامة نسوا ان البحر سيصبح سدوداً في وجههم وان البر من الداخل ستقل فيه المزروعات بسبب ذهاب الشبان كلهم الى العسكرية وأخذ الجيش للبقر والجمال. وربما لم ينتظروا أن يكون أمد الحرب سنوات متعددة بل ظنوه بضعة أشهر فلم يعملوا شيئاً من الحيلة لانفسهم وبقوا يعاملون التوت كالاول وكما لو لم تكن حرب، ويأبون ان يزرعوا ببر شجره قمحاً أو شعيراً لئلاً يلحق من ذلك ضعف بالشجر وكذلك بين شجر الزيتون وغيره من الاشجار. وظنوا في انفسهم ان الدولة لا بد ان تديرهم من حوران والشام وحلب وغيرها. وكانوا يقولون: ان السلطان بلاده واسعة فلا يعجز أن يبعث اليها بمحتاجتنا من الحبوب. وفاتهم ان أكثر بلاد السلطان بعيدة عنهم وانه لا يربطها بهم سوى خط حديدي واحد لا يقدر ان يقوم بنقل مئات الالوف من العساكر مع مدافعها وأثقالها وبشحن جميع لوازم الاهالي، وان رجال العسكرية في الحرب لا يقدر ان يشغلوا على شغل الحرب. غفلوا عن هذه الامور وتوهموا أحوال الحرب كاحوال السلم فقتلهم الجهل. وعندي ألوف من الشهود من أهل الجبل اتى من أول الحرب حتى من قبل خوض الدولة غمراتها كنت أطوف على اللبنانيين وأعظمهم وأبصرهم العواقب قائلاً لهم ازرعوا جميع أراضكم ولا تعفوا ولا على ما يتخال منها التوت أو الزيتون فان الهم يتقدم على المهم، واني أخشى بشدة ترفيهمكم لا شجاركم ان تموتوا جوعاً والشجر ليس بأغلى من البشر. فلم يستبينوا النصيح الا ثالث سنة عند مامستهم اللاؤلاء ورأوا انفسهم هالكين ان لم يفعلوا. ولكن كان الضعف يومئذ قد استولى على كل شيء، ونضبت أكثره وارد الانفاق فلم يبق من قوة لزرع جميع تلك الاراضي التي لوزرعوها من أول سنة مع ما ينالها من الري الوافي لجاءت بغلال تحجب عين الشمس، ولكانت قوة لهم للسنين الشديدة التي جاءت فيما بعد. فانت ترى ان الجهل باحوال الحروب وبعواقبها، والاعتقاد بكون الدولة تقدر على كل شيء كانا من أسباب هذه المصيبة الكبرى. وكيف تقدر الدولة ان تطعمهم كفايتهم وقد عجزت في الآخر عن اطعام جيشها، وكان الجوع من أفعال الاسباب في فشل الدولة بالحرب. ولقد علم القاصي

والداني كيف كانت الالوف تفرّ من الجيش العثماني في فلسطين من قلة القوات . وكيف كانوا فيه يقتاتون الحشائش ، ويموتون ألوفاً من سوء التغذية ، وكيف كان الولاة بانفسهم يذهبون الى جبل الدروز بايديهم الذهب الرنان الاصفر يعرضونه على أهله ليأخذوا بدله ما يميرون به العسكر وكثيراً ما كانوا يخفون في سعيهم . وبقيت الاقوات مدة مديدة ترد على جيش فلسطين من قونيه من قارب الاناضول وذلك لخلو سورية ثم حلب ثم أطنه نفسها مما يكفي الجيش والاهالي معا . فالذي يقصد «التجويع» لا بد ان يكون هو شعبان لاجئاً . والا فلا يكون قصد التجويع بل يكون أصيب هو بالجوع وعجز عن الميرة . ومن عجز عن كفاية نفسه فهو عن كفاية غيره أعجز . وربما قيل ما دامت الاناضول فيها أرزاق فلماذا بخلت بها الدولة على أهل سورية ، والجواب لم يكن في الاناضول أرزاق تفيض عن حاجة أهلها بل اشتد الغلاء في كثير من ديار الاناضول ووقعت المجاعة في القسم الشرقي منه ومات مئات ألوف من أهله جوعاً ، وكثير من السوريين الذين كانوا منفيين في الاناضول ولا سيما في جهات سهواس وطوقات يشهدون بذلك . فان قلنا ان الأتراك أماتوا نصارى لبنان تجويعاً لمحببتهم فرنسا فقد مات ألوف مؤلفة من مسلمي سورية من الجوع أو من الامراض الناشئة من فقد الغذاء والدواء (وأكثر الموت الذي وقع في لبنان هو أيضاً بالامراض الناشئة عن ذلك ومات بعض بالجوع رأساً) فهل قتلت الدولة هؤلاء المساكين أيضاً لحبهم لفرنسا ؟ وان رد بأنها تعدت قتل هؤلاء لكونهم عرباً فهل تعدت قتل اترك الاناضول ومهاجري ارضروم ووان وبتليس الخ وهم اترك واكراد وجميع ارضكنا هو عليهم ؟ وهل كان هؤلاء الأتراك والاكراد الى تلك الدرجة ذائبين في حب فرنسا !! حتى قتلتهم الدولة ؟ واذا كانت الموصل التي هي من أخصب بلاد الله وأوفرها زرعاً وادرها ضرعاً بلغ من شدتها أثناء الحرب ان أكل الناس فيها لحوم البشر فهل يعجب الانسان من ان تمس المجاعة أهل جبل لبنان الذي أكثره صخور صماء وأتربة جرداء ؟ كئنا في لاستانة سنة ١٩١٧ و١٩١٨ وكان كثير من الفقراء فيها يموتون جوعاً ، وهي عاصمة الملاك وكان الاغنياء يوزع عليهم الخبز الاسود المجهول الماهية بمقادير قليلة ولولا فتح

المانيا وحلفائها بلاد رومانيا الغنية بالحنطة والذرة وجاب الاتراك منها ما نفّس قليلا من خناق الآستمانه لم يكن أحد يعلم ماذا كانت تؤول اليه حالة الاعاشة في نفس العاصمة .

مع هذا كله يوجد كثيرون ممن يقرأون كلامي هذا سيتميزون من الفيظ لاجتهادي في اثبات كون المجاعة في سورية حصاة من حالة الحرب الطبيعية وبتواليها بضع سنين، وبالحصار البحري المحكم، وان مثلها وأشد منها قد أصاب بلاداً أخرى من ممالك الدولة العثمانية ومن غير الممالك العثمانية مثل مكدونية والصرب أو بولونية وروسية ولولا كثرة الخطوط الحديدية لقلنا النمسا والمانيا الخ ويقولون لماذا أحاول أن أنفي كون الاتراك جوعوا أهل لبنان عمداً ونصميا لمجرد حبهم لفرنسا وليكون أكثرهم نصارى فهذه الاشاعة يحبون ان تبقى سارية ماشية رائجة وهذا الحجاب يودون لو يبقى دائما على حقيقة الحال مسدولا كرها بالدولة السابقة في سريرة وتحببا وتقربا الى الدول المحتلة

والجواب ان الحق يجب أن يعلم ولا يعلى، واذا كانوا هم يفضون الاتراك فليفضوهم ماشاءوا ولكن ليحبوا الحق الذي لا يجوز أن يحدد بفضا بزيد ولا حبا بعمره . والاتراك لهم سيئات كثيرة وجمال باشا اى أعمالا ذكرناها وقبحناها ولكن ذنب التجويع هذا هم أبرياء منه . فان كان لبعض الناس أغراض سياسية في ديمومة هذه الاشاعة إما تزلفا الى الحلفاء وامّا تمهيدا للعذر من النفور من كل حكومة اسلامية بدعواهم كون الحكومة العثمانية قتلت بالجوع ألوقا من مسيحي لبنان . . . فهذه الاغراض السياسية ليست عندنا لا بل يجب علينا أن نبينها ونشرحها ونزبه الى خطرهما وما يترتب عليها من مضار التفرقة بين الامتين اللتين يجب أن تكونا متحدتين أن أرادتا عمران هذا الوطن . فقد طالعت مرة مجلة « مراسلات الشرق » المحررة بالفرنسوية التي ينشرها بباريز هذا المسمى بالسمنة فوجدت من جملة ترهاثها ان باخرة مشحونة أرزاقا جاءت الى سورية أثناء الحرب فأفرغت مشحونها ووزعه جمال باشا على المسلمين وحرّم النصارى فالذي تبلغ به قبة الافتراء وهوس التفرقة بين المسلمين والنصارى أن يزعم كون الباخرة

التي وردت من أميركا بأرزاق لاهل السواحل ووقفها الانكليز في الاسكندرية ولم يسمحوا بوصولها الى بيروت قد وصلت وأفرغت واستفاد منها المسلمون دون المسيحيين لا عجب أن يكون هو واضرا به مروجين لحديث « التجويع » المقصود ولا غرو أن نكون نحن ممن يتوخى فضيحة تلك الاضاليل حتى يزول أثرها السيء من الاذهان .

انه سيظهر لك أيها القارئ مما سيأتي بالدليل القاطع والبرهان الساطع انه لو شاء الخلفاء لاوصلوا الاعانات الى سواحل سورية كما أوصولها الى ممالك أخرى عضها الجوع بنابه أثناء الحرب ولوقوا من الموت أولئك الالوف الذين ماتوا من مسلمين ونصارى . ان الخلفاء مع كونهم في حال حرب مع المانيا أمكنهم أن يتفقوا معها على اعاشة بلجيكا وتعينت لذلك لجنة مؤلفة من متحايدين اسبانيين وهولانديين كانت تأتي بالحبوب والارزاق من أميركا وتوزعها على المعوزين في بلجيكا وعلى كل من ينقصه شيء فلم يمنع وجودهم محاربين للامان من أن يتفقوا معهم على اغاثة أمة أشفقوا أن يمسيها الجوع . ولقد ثبت انهم أرسلوا الى البولونيين بامدادات وافرة والى الصربيين والى غيرهم . فلو كانوا يحبون أهل لبنان كما يدعون لاتفقوا مع الدولة العثمانية وقتلوا وأغاثوهم ولو بسداد من عوز، ولانقذوا تلك الخلائق من الموت، أو سمحوا على الأقل بتسريب الاعانة التي أرسلتها أميركا لاجل سورية والاعانة التي كان البابا ينوي إرسالها الى المسيحيين وهم كانوا الحائلين من دونها، أف تكون هذه هي الحقيقة وتكون التبعة العظمى في عدم دفع هذه المجاعة عليهم ونأتي نحن لاغراض في الانفس فنبههم من جناية هم أنفسهم أدرى بأنهم كانوا قاعليها لاسباب حرية وسياسية قامت في نفوسهم، ونقول لهم: كلا إنما اجاءنا الاتراك وأنتم أولاء أحييتهمونا ؟ والكثرة ما تردد امامهم هذه الكلمة يبلغ بهم الامر أن يظنوا كونهم صاروا أحق بالبلاد من أهلها وأن يصارحونا بقولهم : لولانا لكانتم جميعا هلكتم جوعا . كما ردوا ذلك مرارا، وآخر مرة أعلنها الجنرال غورو على مائدة غبطة البطريك الماروني في الديمان بدون محابة

هذا ولقد آن لنا أن نستشهد على أسباب هذه المجاعة بكلام عظيم هو بطريك

الطائفة المارونية من تقرير أرسل به الى جمال باشا سنة ١٩١٦ وبعث هذا بصورته مع صور المكتب التي وردته من سائر البطارقة الى الفاتيكان ليطلع حضرة البابا عليها، فالبطريرك الحويك يطري الدولة العثمانية اطراء اعظما في امراجها ومكارمها وشخص جمال باشا في ادارته ويدافع عن أعماله ويبررها ثم يقول ماتعريبه (لان أصل التقرير باللغة الفرنسية) بالحرف

شهادة بطرك الموارنة للترك وجمال باشا

« أما ما يوجهونه من التهم بشأن وسائل الضغط والتضييق التي يزعمهم قد استعملتها الحكومة بحق السوريين ولا سيما الموارنة اللبنانيين كالأجاعة والنفي فانا نجد من العبث الاجتهاد في ابطالها وانما نأسف من كون هذه الازاحيف المصطنعة هي عمل بعض ذوي المآرب، ولذلك نعان عدم موافقتنا لهم وننتدب من تلقاء أنفسنا وبكل حرية للدفاع عن الحقيقة المقدسة والعدالة السامية »

« انه كما حصل في جميع الممالك المحاربة قد وقعت عندنا أيضا نوازل هامة ومصائب بطبيعة الحال، وذلك مثل الجراد الذي أكل مواسم البلاد، والحصار البحري، وحجز دول الائتلاف ما يرد باسم السوريين من الحوالات من أميركا، وغلاء الاسعار، وقلة مواد الرزق الوطنية، وتعذر اصدار محصول الحرير - فهذه المحن جاءت كلها دفعة واحدة وبدون اختيار الحكومة العثمانية ووضعت البلاد في مركز ضئيل . ولكن لحسن الحظ قد تمهدت جميع هذه العقبات بعناية للدولة الابوية وما آتتها الخيرية، ولا سيما بالمساعي المتواصلة والتدابير المؤثرة التي كان يأتياها حضرة صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائدنا الشهير ناظر البحرية وقائد قواد الفيلق الرابع الذي كرم سجيته منقوش على صفحات القلوب، وصدى أعماله الخيرية سير من مدة أعصر طويلة من أعلى جبل لبنان الشهير . نعم انه بحق يعد أهل سورية ولا سيما المسيحيون منهم وجود دولته في بلادهم احسانا عظيما ونعمة من الله »

« وأما الاسطورة التي معناها أن الموت جوعا قد فشا في الشعب اللبناني بسبب الحصار المقصود الذي تجريه الحكومة، فهذا افتراء فظيع، واقتد بينا أسباب

ذلك . كذلك لم تحشد جنود في الجبل لاجل التضييق على أحد من الاهالي بل بالعكس قد كان هذا الجند المرباط لاجل الدفاع عن البلاد ذا فائدة عظيمة في توطيد الامن العام الذي لم يوجد قط في لبنان قبل الحرب كما وجد الآن ، وكانت سيرة هذا الجند التي هي مثال الادب فوق مدح كل مادح مما اقتضى عرفان الجليل «

« كذلك يعززون الى الحكومة كونها تصرفت بشدة بحق أشخاص اتهموا بالخيانة وقد ثبتت برئيتهم، وتوضحت بوثائق رسمية. والذي لا بد من الاعتراف به هو أن مثل هذه التدابير الشديدة التي لا مناص منها في هذه الاحوال هي مما يجريه جميع الممالك المتعدنة (هنا مثل لاتيني مذكور بنصه ومعناه): ان أسمى عدالة هي سلامة الوطن «

« كذلك نرد صريحاً هذه الاشاعة الغريبة، وهي اننا قد أشخصنا بذاتنا الى الديوان الحربي في حلب نحن الذين لانزال موضوع الكرامة العظيمة والبر من قبل حكومتنا العزيزة وممثلها قائدنا العظيم «

« وبالنهاية بجميع قوة عواطفنا ومن صميم فؤادنا نعلن انه ليس لنا الا أمنية واحدة ودعاء واحد وهي ان القادر على كل شيء يحرس السلطنة السنية، ويقودها من نصر الى نصر الى الظفر النهائي ، ونضم الى هذا الدعاء التأكيدي باسمنا وباسم جميع الموارنة بالتخصيص انه ان كانت فرنسا يوماً من الايام أو عدوة أخرى أبة كانت تجسر ان تعرض لهذه البلاد من اجزاء سلطنتنا فلتعلم اننا بجمعنا مستعدون للقتال في صفوف حكومتنا العزيزة، وابذل جميع مجاهديننا، ولتحمل كل مناداة طوعاً واختياراً، ولنسفك دماننا ان مست الحاجة الى آخر نقطة «

الياس بطرس الحويك البطرك الماروني

وربما قيل ان هذا التقرير فيه استطراد الى غير مسئلة المجاعة فما معنى نشره كله والجواب اننا لم ننشره كله لطوله بل نشرنا القسم الاخير منه لما فيه من جلاء الشبهات ويكون الكلام آخذاً ببعضه برقاب بعض فلا يحسن اقتضابه ، وان شاء القراء ننشره من اوله الى آخره بالحرف لانه وثيقة تاريخية عظيمة القيمة كما اننا

بعد شهادة البطريرك الماروني هذه تنشر الآن تقرير غبطة بطريرك الروم الارثوذكس المتقدم الى جمال باشا أيضاً مع كتاب خاص وهذا نص الكتاب معرباً بالحرف

كتاب بطرك الارثوذكس لجمال باشا

« يا صاحب الدولة

« اننا باسمنا وباسم الشعب الارثوذكسي في سورية وفلسطين نتشرف بأن نرفع الى معارف معاليكم ما يأتي

« لقد أثرت بنا جداً العبارات الجارحة التي دارت بحق حكومتنا السنية في البرلمان الفرنسي ورددتها الصحافة الفرنسية ، والتي صدها يجرح كرامتنا نحن العثمانيين الصادقين فلذلك جئنا بالوثائق الملاحقة محتجين علناً على هذه الأكاذيب الوقحة مفندين هذه المزاعم الباطلة »

« وهكذا فلاجل شرف الامة العثمانية وبمقتضى الحرارة الوطنية المقدسة جئنا نرجو من دولتكم أتم حامي سورية وفلسطين وأعظم المحسنين عليهما أن تأذنوا بنشر هذه الوثائق لاجل نصرة الحقيقة »

« وفي جميع الاحوال نبتهل الى الله القادر على كل شيء بأن يحفظ شخص دولتكم ويرفعكم من مجد الى مجد لاجل سعادة وطننا العزيز »

« دمشق - الرابع عشر من اكتوبر السنة الالف والتسعمائة والسادسة عشرة غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

أما التقرير التابع للكتاب فهو ما يأتي معرباً بالحرف

« الى دولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع »

« في هذا اليوم لا يجهل أحد ما قيل في البرلمان الفرنسي وما رددته الصحف الفرنسية بشأن المسيحيين عموماً في سورية وفلسطين »

زعموا أن لفرنسا نفوذاً سائداً في هذه البلاد الجميلة التاريخية التي هي جزء من السلطنة العثمانية وادعوا ان الحكومة العثمانية تستعمل وسائل القهر والتضييق على المسيحيين في هذه الديار قاصدة ملاماتهم بطرق متنوعة كالتجوير والنفي الخ

« فنحن على ثقة بأن فرنسا تحاول أن تقف عنا موقف دفاع لا فائدة له من أجل غرض في نفسها. واننا نحن معاصر العثمانيين العائشين منذ قرون عديدة في هذه السلطنة أدري بأمورنا وأولى بالدفاع عن حقوقنا »

« نسأل الله أن لا يجعل مصيرنا أبداً مرهونا الى رأفتهم »

« فباسمنا نحن بطريرك الكنيسة الارثوذكسية في سورية وفي كل المشرق التي هي أقدم كنيسة في الشرق نحتج بكل قوتنا على ما قيل بغير حق عن حكومتنا العثمانية العادلة »

« لا يلزمنا أن نبحث في التاريخ وأن نسأل الا عصر الماضية لاجل ابطال هذا الحق التاريخي التي تدعيه فرنسا . فنصارى سورية لم يزالوا هم قرابين أولئك الذين يزعمون انهم حماة »

« أي فرنسا هل تقدرين أن تقولي لنا عما اذا كانت حرية الاديان محترمة تحت ظل شرائعك كما هي محترمة عندنا ؟ وهل الكنيسة والاكليروس متمتعان في أرضك بالحماية التي تحوطنا بها نحن الاكليروس والشعب المسيحي بحكومتنا السنية ؟ »
« نحن اذا مفتخرون بان نعلن على الملأ انه في ظل مكارم حكومتنا العثمانية السلطانية وعنايتها الابوية لا مسيحيو سورية وفلسطين فقط بل الاكليروس المنسوب الى فرنسا الحرة نفسها يتمتعون في ظل هذه العناية بما هم محرومون منه في بلادهم »

« وبناء على ما تقدم كان لنا الحق أن نرى فرنسا تدفعنا الى تجديد شكرنا لدولتنا العلية بدلا من ان نعزو اليها تهماً باطلة ونضيف الى ذلك القول بأن مسيحيي سورية وفلسطين هم من عناية حكومتهم الابوية في غنى عن كل عضد آخر »
« أصبح أن يكون لنا ضلع الى حكومة أجنبية عند ما نكون عارفين يقيناً ان دولتنا هي أعدل وأفضل من الحكومة التي نريد أن نختارها ؟ اذاً يكون ذلك منا فداء السعادة »

« ونسأل من صميم القلب الاله القادر على كل شيء أن يحرس الى الابد حكومتنا المحبوبة وان يوفقها الى تحقيق جميع مقاصدها الشريفة »

«وأما الحالة الحاضرة وما أوجدته من الازمات فنعترف بأن مثل هذه الازمات هي من شأن آونة كهذه على انها تلطفت كثيراً بعناية حكومتنا وليس من حكومة يحق لها أن تفتخر بالاعتناء بمثل ذلك برعاياها»

«وبوصولنا الى هذه النقطة لا يسعنا أن نضرب صفحاً عن ذكر علة سعادتنا والمحسن العظيم على النصرانية في هذه البلاد صاحب الدولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الفيلق الرابع الذي صورته السامية تبقى مرسومة أبداً في قلوب المسيحيين وماآثره مكتوبة بأحرف من ذهب في تاريخ بلادنا»

غريغوريوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق وهناك تقرير ثالث مصحوب بكتاب أيضاً الى أحمد جمال باشا من (نيافة) المطران ديمتريوس القاضي قائم مقام البطريركي للروم الكاثوليك لاجابة الى تعرييه ونشره لانه طويل وأشبه بأخويه السابقين، ويزيد بكونه لا يعرف للكاثوليك الشرقيين علاقة لا بفرنسا، ولا بدولة أخرى أجنبية بل بالبابا فقط . وهذه العلاقة مع الكرسي البابوي هي دينية محضة . وربما قيل ان تقارير البطارقة هذه لا عبرة بها لانها استكثبت تحت الضغط والاكراه في زمان كان السيف فيه ينطف دما . والجواب ان أمثال هؤلاء الرؤساء المبجلين يجلون عن ان يكتبوا خلاف اعتقادهم ولم نسمع قط يومئذ ان أحداً أجبرهم على هذه الكتابة أو أنذرهم بشر ان تأبوا ان يعطوا هذه الشهادات ، وكانت كرامتهم دائماً محفوظة أيام الحرب وتوقيرهم تاما . ومرة تكلم أمامي انا جمال باشا مع بطريرك الارثوذكس في ان يحرق شيئاً في جريدة الشرق فلم يجاوبه البطريرك أصلاً، وكنت أراه معه في غاية المتانة، فرجل كهذا لا يصرح بهذه الشهادة الطويلة العريضة ان خالفت وجدانه . وقصارى مافي الامر ان يكون جمال باشا أرسل اليهم بأنه في مجلس البرلمان الفرنسي قيل كذا وكذا فماذا يقولون هم ؟ ثم ان قيل ان هذه الكتابة من غبطة البطارقة وقعت يومئذ بالاكره والاجبار—وهو مالم يقع— فلماذا لا يقال ان انكار بطريركي الارثوذكس والموارنة للمؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف هو واقع أيضاً تحت مثل هذا الضغط من الجنرال غورو، ولماذا تبجح بذلك فرنسا واذانها ويمدونه حجة علينا؟..

الرحلة الأوربية

(٣)

الفنادق في سويسرة

كان الأمير ميشيل بك لطف الله أوصى توفيق أفندي اليازجي بأن يحجر لنا حجرات في فندق من أرقى فنادق (جنيف) وأحسنها إذ كان بلغنا أن هذه الفنادق ستكتظ على كثرتها بالمسافرين عند اجتماع عصبة الأمم ، وأن يستأجرها إذا توقف حجرتها على استئجارها ، وصح ما قيل من تسابق الناس إلى مثل ذلك . فلما وصلنا إلى جنيف ذهب بنا إلى فندق انكلترا وهو من الفنادق الوسطى ، وموقعه أمام البحيرة جميل ، فلم يعجب الأمير ميشيل بك وعاتب توفيقا على انزالنا فيه ، فاعتذر بأن الخديو كان ينزل فيه . فقلنا لعله كان يراه أعون له على التنكر ، وقد نزل فيه في وقتنا الأمير عزيز حسن . ثم عهد الأمير ميشيل إلى جورج أفندي يوسف سالم بأن يبحث لنا عن حجرات في فندق من الدرجة الأولى يكثرفيه كبار أعضاء جمعية الأمم ليسهل التعرف بهم ، ويكون وجودنا معهم مذكرا لهم دائما بوجود وفد سوري يطالب باستقلال بلاده ، وبعد جهد في البحث والتجوال وجد لنا مطلوبنا في فندق (دي برك) وكان الأمير ميشيل قد أوصاه بأن يساوم صاحب الفندق في اجرة الحجرات وثمان الطعام واجرة غسل الثياب فلم يعن بالتدقيق في ذلك بل رضي بأن نعلمهم بالتعريفة التي يطلبونها لظنه أن ذلك محدود كما يقولون . ثم تبين أن الأمير ميشيل هو المصيب ، وأنه أعلم بشؤون البلاد من سالم الذي هو أكثر منه أسفارا ونجوالا في الممالك كما قلنا من قبل ، وأنه كان يمكن أن يقتصد بالمساومة مبلغا من الجنيهاات لا ينبغي التسامح في مثله

وقبل أن آين الفائدة التي أقصد إليها من ذكر هذه المسألة أذكر دقيقة أخرى للأمير ميشيل هي دورها في باب الاقتصاد ، ولسكنها تدل على حذق وذكاء واختبار وهي أن أصحاب فندق فيكتوريا في مدينة لوزان لما قدموا لنا جريدة الطعام ، وهي مطبوعة الفينافيا الألمان المطبوعة مرحة وبجانها أثمان مكتوبة بالخبر هي أكثر منها فلم ينتبه أحد منا إلى سبب ذلك غيره فقد قال ان هذه الأثمان المطبوعة هي أثمان الطعام لأهل البلد ، وأنهم زادوا

فيها لاجاننا ، فان لاهل سويسرة حذقا في اجتلاب الاموال من السياح لا يضارعهم فيه غيرهم ، وسبب ذلك أن ما يربحونه من الاجانب معظمه من الذين يقصدون بلادهم من جميع أقطار العالم المدني للتمتع بمناظر جبالها ومرتوجها الخضراء ، وبحيراتها الزرقاء ، واستنشاق نسيمها العليل ، وتفيؤ ظل حدائقها الظليل ، فما ينفقه فيها السائحون والسائحات ، هو عند أهلها من قبيل دخل الصادرات ، وأما الصادرات التي تخرج منها الى غيرها فهي قليلة أهمها الساعات من المصنوعات المعدنية فهي أشهر بلاد أوربة اتقاناً لها ، والزبدة والجبن والفاكهة من نتائج الزراعة ،

هذا وان جميع الاسعار في بلاد سويسرة محدودة لجميع أنواع البضائع وأهلها يغلب عليهم الصدق والامانة ، وقد قيل لنا ان أكثر بلاد أوربة ولا سيما العواصم والثغور العظيمة كباريس ومارسيلية يبيعون الغرباء بأسعار اعلى من الاسعار التي يبيعون بها الوطنيين ، واما سويسرة فقلما تجد هذه المعاملة فيها للغرباء في غير الفنادق ، ومن اسباب ذلك ان أكثر اصحابها من اليهود

اما بعد فان غرضنا من الامام بهذا البحث تنبيه القراء الى ما يجب على المسافر من بلاده الى أوربة وغيرها من الدقة والاقتصاد في النفقة ، وحفظ ماله ان يضيع فيما لا يفيد صاحبه حمدا في الدنيا ولا ثوابا في الآخرة ، بل هو من اسراف الغباوة الذي يحترق فاعله كل عاقل وقف على حاله

ان من لا يعرف ميشيل لطف الله اذا سمع أنه يساوم في اثمان طعام الفنادق ، ويندبه من يوليه امر نفقته الى امثال هذه الدقائق ، يظن انه ممن يصح ان تكتب اخبارهم في نوادر البخلاء ، أو ان الدافم له الى مثل هذا التوفير الفقر والاملاق ، اما وكل من يعرف الرجل يعلم انه من اكبر اهل النعمة والثراء ، ومن اشهر الاجواد والاسخياء ، وانه مقري الضيوف ، ووهاب الالوف ، فكيف يفهمون بعد هذا منه ، ما روينا من هذه الدقة في التوفير عنه ؟

لا شك ان سفهاء الوارثين المعروفين في هذه البلاد ، وهم لا يعقلون معنى لكلمتي التوفير والاقتصاد ، الذي عليه مدار ثروة الامم والافراد ، يعدون ذلك من الهنات المستهجنات ، ويكثرون التنادير بها ، واختراع النكات لها واما اهل العلم والبصيرة ، فهم الذين يقدرونه قدره ، ويعلمون انه من العقل

والحكمة ، والشكر الذي تدوم به النعمة ، وانني قبل التثريب على أولئك السفهاء المسرفين ، أذكر لهم مثلاً من قصد الاجواد المتقدمين والمتأخرين ، روي في مناقب الامام الحسن السبط عليه السلام أنه جاء المدينة المنورة تاجر من العراق بأجمال من أجود الثياب ، فاشتراها منه الحسن بعد أن بالغ في المساومة معه ولم يترك له من الربح الا القليل ، ثم أخذ منها ثوباً أو ثوبين ووزع الباقي على الحاضرين ، فقال له التاجر يا ابن رسول الله لقد بالغت في مساومتي حتى لم يكن لي من الربح على تعبي الا القليل وقد كنت أحق من هؤلاء الناس بمثل ما أعطيتهم — أو ما هذا معناه — فقال له الحسن : « المغبون لا محمود ولا مأجور » أي لا هو مهدي هدية فيحمد ولا متصدق فيؤجر . وهذا حديث مرفوع رواه الخطيب عن أبيه والطبراني عنه وأبو يعلى عن أخيه الحسين عليهم السلام

ومارأيت أحداً من الاغنياء العقلاء أشبه بالامير ميشيل في إنفاقه وتوفيره ، من الشيخ قاسم آل ابراهيم التاجر العربي الشهير في بومبي (الهند) فقد عهدناه ينفق من سمته في الاعمال العامة كالمدارس والاعانات للدولة العثمانية فيهب المئات والالوف من الجنيهات ، ولا يطمع أهل الكدية والاستجداء منه بدينار ولا درهم وان وقف على بابه طول النهار ، وأطراه بالبليغ من الاشعار ، على أن ميشيل لطف الله كثيراً ما يعطي الشعراء والادباء ، ولكن دون ما يهب للمدارس والجمعيات الخيرية ، والاعمال السياسية ،

فأمثال هؤلاء الاغنياء هم الذين يعرفون كيف يحفظون نعمة الله عليهم بالثروة ، ويكونون أهلاً للزكاة فيها على كثرة النفقة

هذا وان ما يمكن توفيره من نفقات السفر في أوروبة من غير إضرار بصاحبه ، ولا نقص في تمتعه ، ليس بالشيء التافه الذي لا يعتد به ، وناهيك باختيار المواقع ، ومساومة أصحاب المنازل والفنادق . وقد علمنا أن أهم سبب غلاء المواد الغذائية في سويسرة وغيرها وارتفاع اجور الفنادق هو جعل ورقها النقدي (بنك نوت) بسعر الذهب لا ينقص شيئاً — وقد كان هذا سبباً لقلّة قصد السائحين اليها بعد الحرب كما كان يعهد قبلها حتى سائحي الانكليز والاميركيين الذين هم أكثر الشعوب سياحة وأوسعهم فيها نفقة فقد تجولنا بعد

فض مؤتمرنا في أشهر بلادها ، ورأينا أشهر فنادقها فلم نجد الا القليل من السائحين فيها، ولما ذهبنا الى ألمانيا وجدنا الفنادق غاصة بالناس من أهل سويسرة وغيرهم، حتى انك لتطوف على الكثير منها فلا تجد لك حجرة فيها كما سيأتي في محله . وانما أثر الغرباء في مدينة جنيف وحدها لما ذكرنا من اجتماع جمعية الامم فيها، وكثرة قصد المشتغلين بالسياسة اليها .

الفرنك السويسري كالفرنك الفرنسي والليرة الايطالية وغيرها من نقد دول الاتحاد اللاتيني، كلها متساوية في وزنها الفضي وسعرها الذهبي، ولكن التعامل العام قد انحصر منذ اشتعلت نار الحرب في الورق وهو مختلف السعر الآن حتى في البلاد التي يطعم فيها بحسب الثقة المالية قوة وضعفاء والمعيار العام في أوربة لهذا الورق (البون) الانكليزي لان المالية انكلترة اثبتت من غيرها من الدول الاوربية التي اشتركت في الحرب ولا يعلوها في ذلك الا الولايات المتحدة وسويسرة فانها كالولايات المتحدة في سعر القطع ففرنكها لا يقل عن اربعة قروش مصربة صحيحة

وان شئت مثالا من امثلة غلاء الفنادق الغريب في سويسرة فاعلم ان ثمن البيضة في السوق قرشان مصريان كما اخبرنا توفيق افندي اليازجي وهي في الفندق أغلى ، وأن اجرة غسل بعض الثياب في شهر واحد قد يزيد على ثمنها ضعفا او ضعفين او اكثر، فان اجرة غسل كل من المنديل والجورب وكيه لا يقل عن فرنكين سويسريين كاجرة القميص واللباس وقد يكون في بعضها أكثر، افليس شراء جديد بدلا من المتسخ هنالك خيرا من غسله كلما استعمل كما هي العادة؟ وقد هال رياض بك صلح انه دفع جنبيين اجرة لغسل ثيابه في الفندق الذي نقيم فيه (أوتيل دي برج) ومتوسط نفقة الطعام في سويسرة جنيه انكليزي او مصري في اليوم وفي فندقنا وما مثله أكثر، وفي بعض مطاعم السوق أقل . وهذا الفندق من اغلى الفنادق اجرة وطعاما ان لم يكن اغلاها ، والطعام فيه اجود واكثر منه في فندق فيكتوريا الذي نزلنا فيه اولا (وكتب اولا فندق انكلترة سهوا وطبع) فالالوان هنالك قليلة وهما كثيرة جدا، ولكن لكل يوم بل كل وجبة الوانا معدودة لها ثمن معين ومن طلب غيرها بما يوجد دائما رهن الطلب كالقراخ والسمك والطيروساثر الاجوم بأنواعها فعليه ان يدفع ثمنه . ومن عاف شيئا من طعام الوجبة فله ان يطلب بدلا منه بغير ثمن جديد،

وكننت دائما اطلب بدلا من الالوان التي يدخل فيها لحم الخنزير ، والجبن من متمات الطعام يجوز ان يستبدل به بعض العماكة — وهي كثيرة وجيدة الاليتين فانه قليل ورديء، وقيل انما انه يأتي من اسبانية واكثر العنب غير جيد ايضا (استطراد في اغبياء الاغنياء المسرفين)

هؤلاء الاغنياء المسرفون هم الذين يبذرون الاموال في سبيل الشهوات المحرمة، والفخفة الجديرين بأن يسلبوا ما وهبوا من النعمة ، يتوهم الجاهل المغرور منهم أن الشرف والفخار، في استمالة الفواجر والفجار، وتعلق سماسة الفسق من قواد وخمار، وشخص الا بصار على موائد القمار، واطراء المخادعين من الطامعين والسطار، وتغريب السماسرة الاشرار، فتراهم بينهم يعطي باليمن واليسار، ويشترى سلعة الدرهم بالدينار

الا ان هؤلاء الاغنياء الاغبياء ، والمبذرون السفهاء ، هم أعداء الله تعالى وأعداء دينه ، وأعداء أوليائه من فضلاء الناس وخيارهم، وأولياء أعدائه من أشرارهم ، وأعداء امتهم ووطنهم ، وأعداء ذوي قرباهم ، ولا سيما ازواجهم واولادهم ، فهم اذا اعدى اعداء انفسهم .

أما كونهم اعداء الله واعداء دينه فهو انهم يكفرون نعمه عليهم بالمال وبالجوارح والمشاعر والحواس باستعمالها فيما يخالف شرعه الحكيم ، ويضل عن صراطه المستقيم ، وقد وصفهم في كتابه بقوله (ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ويدخلون في عموم قوله (وأن المسرفين هم اصحاب النار) ولا نطيل في تذكيرهم بآيات ربهم فهم عن ذكره معرضون واما كونهم اعداء اولياء الله اهل الفضائل ، فهو ان الاسراف قد هبط بهم الى اسفل دركات الرذائل ، وانما يجب الانسان شبيهه ، ويكره بمقتضى الطبع مخالفه وضده ، ولهذا وصفهم الله بأنهم اخوان الشياطين ، وهو يصدق بشياطين الانس والجن ولذلك جمع ، فأما شياطين الجن فهي ما يجدون اثره في خواطرهم، ووساوس انفسهم، التي تزين لهم الفسق وتلبس عليهم الحقائق، بتسمية الرذائل بأسماء الفضائل، كتسمية الاسراف جيودا وكرما ، وتعلق المنافقين (النصابين) جاها ومجدا ، وتهافت العواهر وخدمة الحانات والمواخير عزا وشرفا ، واما شياطين الانس فهم قرناء السوء المنافقون المتملقون الذين يتهافتون على الاغنياء المسرفين ، ولا سيما الشبان الوارثين ، فيزينون لهم في

الظاهر، ما يوسوس به الشيطان في الباطن، فهم شرمنه واقدروا على الاغواء، لان التناسب بين شيطان الجن والشرير من الناس نفساني فقط، واما التناسب بينه وبين شيطان الانس فهو نفساني وجسداني، ذلك يشغل قلبه وخطره، وهذا يملك باطنه وظاهره، فيشغل سمعه وبصره، وذوقه ولمسه، ويكون قدوة سيئة له في جميع الرذائل، وشاغلا بل منفراً له عن معاشره الافاضل،

واما كونهم اعداء وطنهم وامتهم فله مظاهر كثيرة اديية، كسوء القدوة في إفساد الاخلاق وشرحه يطول - واقتصادية كتحويل ثروة البلاد الى الاجانب انما في نخلة باشا المطران في القسطنطينية سنة ١٣٢٩ قال انبأني رجل من كبار المسالين في باريس ان متوسط ما تربحه باريس وحدها من المصريين في كل صيف ثلاثون مليون فرنك (وهو مليون ونصف مليون دينار) افرسي من الذهب) ومثل هذا الاحصاء خاص بما يمكن العلم به ويتناوله الاحصاء عادة كأجور الفنادق والملاهي والملاعب والحانات، وربما كان منه مواخير البغاء الرسمية دون ما يعطى للاخدان، ويقال انه قلما يوجد رجل من الذين اعتادوا الاصطياف في اوروبا من المصريين لاجل التمتع بالشهوات ليس له خدن يكثر الاخلاف اليها في بيتها او تختلف اليه في البيت الذي يقيم فيه من الفنادق العامة او الدور الخاصة التي يعرف واحدها (بالبنسيون)

ولتقار مقامر عامة يمكن احصاء ربحها وخسائر الشعوب فيها ولكن المبطلين به لا يحصرون مقامرهم فيها بل يقامرون اصدقاءهم واخدانهم من النساء والرجال في البيوت والملاهي والمنزهات، وقد بلغنا ان صمر باشا سلطان قد خسر بالمقامرة في صيف سنة واحدة (اعلمها السنة التي مات فيها او السنة التي قبلها) ثلاثين الف جنيه مصري

ان اكثر الاغنياء الاغبياء ولا سيما الشبان الوارثين منهم يخوضون بحار هذه الموبقات بغير عقل ولا حساب ولا تقدير، فهم ليسوا كالأفرنج الذين لهم من العلم والتربية ما يقف بهم عند حدود من الاقتصاد فيها كغيرها من النفقات المشروعة : بلغني ان المقامرين منهم يضعون في ميزانية نفقاتهم السنوية مبلغا معيناً من الدخل يوزعونه على الاشهر لا يتجاوزون قسط الشهر ويحسبوا ام خسروا . والمقامرون ولا سيما المسلمين الجغرافيين والرسامين من أهل بلادنا قلما يقف احد منهم عند حد او يتقيد بنظام، وان خسر دخل السنة كلها

في اساييم او ايام ، بل يقترض بعد ذلك بالربا الفاحش ويرهن املاكه لعدم قدرته على كبح جماح نفسه ، والوقوف بها عند حد من شهواته ، ولو ان الجرائد تنشر اخبار هؤلاء السفهاء وما يخسرون في القمار وسائر طرق الفسق والفجور لكان لها تأثير عظيم في ردعهم ، واعتبار الناس بسوء حالهم .

ان آخر ما سمعت من اخبار هؤلاء المسرفين خبر شاب من الوارثين كان قد انفق مبلغا عظيما في سبيل العلم فظننت انه سيكون كالشيخ قاسم ابراهيم في جده وعقله في بذله ، وبعده عن اللهو الباطل واهله ، او كالامير لطف الله في جمعه بين منتهى ابهة التمتع بزينة الدنيا وطيباتها ، وبين اعمال البر والمعروف مع النظام والتدبير فيهما ، ولكن خاب الامل فيه اذ علمت انه غلا في الاسراف والتبذير غلوا كبيرا ، لعله لا يدع له فتيل ولا تقيرا ولا قطيرا ، فهو ينفق أضعاف ما ترك له والده الحريص من الدخل الكبير ، وطقق يقترض بالربا الفاحش ويرهن ويبيع ، فخرت وأنا لأعرفه عليه ، وتمنيت لو تخلص مثل هذه النصيحة اليه ، وأن لا يكون إن نصح ممن قال الله فيهم (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون — ومن قال فيهم — ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ، ولو أسمهم لتولوا وهم معرضون)

وكذلك ما ينفقه هؤلاء في وطنهم يتسرب أكثره الى جيوب الاجانب أيضا فانه انما يذهب في الفجور وأكثر الفواجر منهم ، والخبور وجميعها من صادرات بلادهم ، والقمار وهم أصحاب القمح المعلى فيه ، أو ربا الديون وهم أصحاب المصارف ورءوس الاموال له ،

أي عداوة الوطن وجناية عليه اكبر من نزع ثروته منه وإعطائها للاجانب ؟ ولو أن هؤلاء السفهاء يجعلون ما ينفقون في غير الضار لهم من شهواتهم وفيما ينفع الوطن من المشروعات العامة والعملية لا مكن لمصر أن تضارع أوربة وتباريها في زمن قصير ، سواء كان هذا البذل تبرعا في سبيل المصالح العامة أو استغلالا للمال فيما يرقى الزراعة والصناعة والتجارة ويحفظ ثروة البلاد من الضياع ، ولو أنهم يشترون به سندات دين الحكومة وسهام الشركات والمصارف المقارية وغيرها لا مكنهم إعتاق حكومتهم وأمتهم من استرقاق الافرنج الاقتصادي لها وجعلها حرة مستقلة في ادارة ثروتها ، والاستقلال الاقتصادي أنجح ذرائع الاستقلال السياسي اذا كان مفقودا ، وأقوى دعائمه اذا كان موجودا ،

وأما عداوة هؤلاء الاغنياء الاغنياء لاهلهم واولادهم فهي انهم اسوأ الناس قدوة لهم في الفساد الذي اشرنا اليه واقلمهم عناية بتربيتهم الصالحة، فكثيرا ما يفتنون ثروتهم كلها في حياتهم فلا يتركون لاولادهم ما يعيشون به كما اعتادوا فيكونون اشقى الناس. ونتيجة ما ذكر انهم أعدى أعداء انفسهم والجناء عليها في دنياها وآخرتها

اننا بالتجوال في أوربة ورؤية مناظرها الجميلة والتمتع بهوائها المعتدل في فصل الصيف ووجدان جميع أسباب الراحة عرفنا تجربة ذوق واختبار عذر أغنيائنا في اقبالهم على الاصطيف فيها هربا من حر قطرم وغباره ولكننا لا نرى لاحد منهم عذرا ما في اتفاق شيء من ثروة الوطن في غير اثمان ما يتمتعون به من طيبات الرزق وأجور السكن والتنقل في البر والبحر، الا أن يكون فيما فيه منعمة معنوية لهم اولامتهم ووطنهم في علم أو ثروة أو سياسة، فان في أوربة من ينال العلم ومصادر المعارف ومجال الاعمال السياسية ما ليس في مصر ولا في غيرها من البلاد ولكن لا يكاد يوجد فيها شيء من اللذات الجسدية لا يوجد مثله في مصر، وسيأتي بيان ما يمتاز به في مكان آخر

الرحلة السورية الثانية

١٠

المؤتمر السوري العام

انتخب أعضاء هذا المؤتمر في أوائل سنة ١٩١٩ من جميع الولايات والمتصرفيات السورية في المناطق الثلاث التي قسمها الحلفاء اليها. وكان انتخابهم فيما عدا متصرفية جبل لبنان التي كانت مستقلة في ادارتها الداخلية على طريقة انتخاب مجلس المبعوثين العثماني بل انتخبهم المنتخبون الاولون الذين انتخبوا المبعوثين في الدورة الاخيرة، وأما جبل لبنان الذي لم يكن ينتخب منه أعضاء لمجلس المبعوثين فقد انتخب من بعض بلادهم — لا كلها — أعضاء للمؤتمر انتخبهم الوجهاء وشيوخ الصلح الذين ينتخبون أعضاء مجلس ادارة لبنان وكان الغرض من تأليف هذا المؤتمر المنتخب بطريقة نيابية عن الشعب السوري كله أن يبين رأي الشعب السوري في مصير البلاد وشكل حكومتها وما يفرضه عليها دول الاحلاف من المساعدة . . . وقد اجتمع المؤتمر لأول

مرة في دمشق عند مجيء اللجنة الامريكانية من أوربة في تلك السنة لاستفتاء الشعب السوري في ذلك . وخبر هذه اللجنة في تأليفها وامتناع دولتي فرنسا وانكلترا من الاشتراك فيها بعد أن كان قد تقرر جعلها مشتركة وطواها مناطق البلاد واطلاعا على رأي جميع الطبقات والجماعات فيها بالمشافهة وقرار المؤتمر العام الذي قدمه لها في دمشق واجماع الرأي العام في هذه المناطق كلها على طلب الاستقلال التام للبلاد كلها واتحادها ورفض كل مساعدة تنافي هذا الاستقلال — كل ذلك معروف مشهور قد نشر في جميع الجرائد السورية في ذلك الوقت وتقلته عنها الجرائد العربية بمصر وأمريكة وغيرها ونوه به كثير من الجرائد الافرنجية في البلاد المختلفة وسبق له ذكر في المنار وليس هو مما يعنيننا هنا وإنما الذي نريد أن نقوله هو أن الجماعات والافراد أولي الشأن الذين قابلوا اللجنة الامريكية في جميع المناطق قد أيدوا المؤتمر السوري العام فكان ذلك من الشهادات المتواترة على ثقة الشعب كله بالمؤتمر وكونه ينطق باسمه ويعبر عن رأيه

لاجل هذا قرر حزب الاستقلال العربي عند البحث في طريقة إعلان استقلال البلاد أن يكون المؤتمر السوري العام هو الذي يقوم به في العاصمة (دمشق) مستظها بعلامتها ورؤسائها الروحانيين وكبار رجالها من جميع الطبقات والأحزاب — وأنه لا حاجة الى انتخاب جديد — كما اقترح بعضهم — وكذلك كان ، وقد نشرنا خبره مفصلا في وقته

ولما اجتمع المؤتمر وأعلن الاستقلال أيده الشعب في جميع المناطق السورية وصارت له بمظاهرة الشعب له صفة الجمعية الوطنية التأسيسية، وقد كان من رأي الامير فيصل أن ينفذ بعد إعلان الاستقلال وكاشف الذين كانوا يتولون مراجعته ومذاكرته في الامر من كبار أعضاء الحزب بذلك فلم يوافق أحد وكاد يصر لولا أن قيل له ان هذا الامر لا يمكن البت فيه الا بعد اجتماع المؤتمر والاتفاق مع الأكثر من أعضائه وهم من حزبنا على ما يحسن في ذلك؛ ثم كثر البحث في ذلك بعد اجتماعه وقبل الاتفاق على وضع صيغة إعلان الاستقلال حتى تم الاتفاق على الصيغة التي وضعت في قرار المؤتمر التاريخي الذي أعلن به الاستقلال — وقد نشرناه في المجلد الحادي والعشرين من المنار (ص ٤٤١) — وهذا نصها بعد ذكر اختيار فيصل ملكا

« وأعلننا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث على أن يقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس (أي المؤتمر) في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام الى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي على أن تدار هذه البلاد على طريقة اللامركزية » فان جعل الحكومة مسؤولة تجاه المجلس كان يراد وضعه مطلقا فلم يقبل الامير فيصل بذلك وبعد المراجعة والاصغاء رضي بأن يكون ذلك مقيدا بما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام ورضي اكثر الاعضاء بذلك وبعد أن تألفت الحكومة وانتظمت جلسات المؤتمر اقترح بعض أعضائه وضع قرار بطلب تقديم الوزارة بيان خطتها للمؤتمر طلبا لاعتماده اياها من حيث هي حكومة نيابية بمقتضى قراره فقبل الاقتراح وتقرر بأغلبية كادت تكون اتفاقا ولما بلغ رئيس الوزارة قرار المؤتمر عرضه على الملك فأنكره وأبى أن تجيب الوزارة الطلب حتى أقنعت به بذلك بعد مناظرة حادة حضرها احسان بك الجابري رئيس أمنائه - وكان فيها يالا لرأيي - وسمع بعضها الامير زيد ذلك أنني زرتة صباحا كالعادة فذكر لي قرار المؤتمر وقال انه ليس له هذا الحق لانه ليس مجلسا نيابيا وانني أمرت الوزارة بعدم إجابة طلبه . فقلت له يا مولاي ان هذا الاقتراح عرض ثبأ في المؤتمر ولم يبحث حزبنا فيه ولا علم به قبل عرضه، وانني لم أكن من المقرين له ولا المعارضين فيه لاني لا أزال مترددا في الترجيح بين كفاءة الوزارة وكفاءة المؤتمر وناظر اليهما بعين النقد والتجربة ، ولكن يجب أن ينفذ قرار المؤتمر بعد أن قرره وبلغه ولا يجوز رده البتة قال انه لا حق في هذا الطلب لانه ليس مجلسا نيابيا - قلت بل له هذا الحق لانه أعظم سلطة من المجلس النيابي ، إنه جمعية وطنية تأسيسية، قال انني أنا الذي أوجدته فلا أعطيه هذا الحق الذي يعرقل عمل الحكومة قلت بل هو الذي أوجدك ، فقد كنت قائدا من قواد الحلفاء تحت قيادة الجنرال ألنبي فجعلك ملكا لسورية . نعم ان لك فضلا بالسماح بجمعه اذ كنت تحكم هذه البلاد حكومة عسكرية باسم الحلفاء - أما وقد اجتمع باسم الامة وهي صاحبة السلطان الاعلى بمقتضى اصول الشرع الاسلامي الذي تدبى الله به وبمقتضى جميع اصول القوانين المصرية الراقية ، وقد اشترط في تأسيسه لهذه الحكومة التي اختارك ملكا لها أن تكون مسؤولة تجاهه في كل ما يتعلق بأساس

الاستقلال ، وبرنامج الوزارة السياسي يتعاقب بأساس الاستقلال مباشرة وبرنامجها الاداري يتعلق بحفظ الاستقلال بالتبع أيضاً. فأرجو أن لا تحدث لنا أزمة في أول طريقنا . وما تخشاه من عرقلة الحكومة بتدخل المؤتمر وسيطرته عليها فأمره سهل ، فان اكثرية المجلس من حزبنا وأعضاء الوزارة من حزبنا أيضاً ونحن نضمن التوفيق بينهما وعدم فتح هذا الباب الآن . وبعد التأمل في هذا الكلام الذي يعتقد اخلاص قائله وصدقه وعلمه بأن المؤتمر لا يسكت عن تنفيذ قراره رضي ، ثم قدمت الوزارة بيانها على الوجه الذي يتفق مع رأي الحزب ونالت الاعتماد المطلوب ثم كان من أمرها بعد ذلك ما ذكرناه من قبل والغرض من ذكر هذه الحادثة بيان صفة المؤتمر لا التعريض بميل الملك فيصل الى الاستبداد، بل أقول إنني كنت أخاف ما يخاف هو من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلة لاعمالها وهي في طور التكون ، فان استبداد الجماعة قد يكون أشد ضرراً من استبداد الافراد، والشواهد على هذا معروفة في التاريخ القديم والحديث، وحسبنا من الحديث استبداد الاتحاديين بالحكومة العثمانية الذي أدى الى هدم سلطنتها (أمبراطوريتها) العظيمة . وحب الاستبداد فطري في نفوس البشر خيارهم وشرارهم ، وربما كان بعض الاخيار أمضى فيه وأثبت قدما من غيرهم، لعذرهم أنفسهم فيه بما يجدون فيها من حسن النية ، والشرير قد يلوم نفسه عليه اذا كان فيه بقية من الخير ، ولا يصرف الناس عن الاستبداد الا التقيد بشرع أو قانون ورائه قوة تحافظ على تنفيذه وتراقب المنفذين له، وهذا معروف لا يحتاج الى شرح ، ولما كانت مراقبة الملوك وايقافهم عند حدود الشرائع والقوانين مع الاعتراف لهم بالسلطة العليا من أشق الامور بل تكاد تكون متعذرة — سلبت الامم الراقية السلطتين منهم وجعلتهما للمجالس النيابية وجماعة الوزراء ... قلت مرة لمستمر متشل إنس وكيل المالية بمصر في عهد كرومر انكم قد ظلمتم الخديو وقيدتم سلطته حتى لم تتركوا له من النفوذ الفعلي في الحكومة شيئاً . فتعال لـكـنـنا تركنا له جميع مظاهر الملك وعظمته وهل تريد أن نعطيه ما ليس لملكنا مثله فيستبد في الاعمال ، فوالله لو أن ملكنا استطاع أن يستبد في أمر من الامور في يومه لما أخره الى الغد . ومعقول ان يكون الملك فيصل أجدر من غيره بحب الاستبداد وقد صرح بأنه ندم أن لم يكن استبد في سورية ولكن من غرائزه وأخلاقه ما يصدده عنه اذا كان طريقه غير معبد له، وآية لي على ذلك أنه سمع مني ما ذكرت من معارضته فرجع

(المنار : ج ٥) (٥٠) (المجلد الثالث والعشرون)

الى قولي ، ولم ينقص ذلك شيئاً من مودته واحترامه لي ، ولو كان الاستبداد راسخاً فيه كرسوخه في آشور ممن نعرف من الامراء وكان قوي الشكيمة فيسه لما استطعت معاشرته والعمل معه بعد ذلك ، ولكن حقد علي بهذه المعارضة وكاد لي كيدا ، اذا لم يستطع ايذاءني جهرا ، على أنه رأى مني بعد ذلك معارضة اشد وأخشن ولم يكن ذلك بصارف له عن مكاشفتي عند توديعه ليلة خروجه من دمشق بأعمق اسراره التي اكد لي انه لم يذكرها لاخيه كما ذكرت ذلك من قبل ولعله لولا يقينه الصحيح باخلاصي للامة وله وانني ليس لي ادنى هوى نفسي في ذلك — لما بقيت لي عنده هذه المودة ، وقلما تجد هذا عند غيره من الملوك والامراء ، بل عند الافراد والنظرء ، بل عند من دونهم ؟ ولنعود بعد هذا الاستطراد الى الكلام عن المؤتمر

المؤتمر والحكومة في سورية

قلت انني كنت أخاف ما يخاف الملك فيصل من تحكم المؤتمر في الحكومة وعرقلته لأعمالها ، وانني كنت اراقب كلا منهما مراقبة المختبر الشاك في كفاءة الفريقين وفي الترجيح بينهما ، وقد تكون وجهة النظر عندي في ذلك مخالفة لوجهة النظر عند الملك فيصل ، وقد بينت بالاجمال ما ظهر لي من كفاءة الحكومة والانتقاد عليها بالاعتدال البريء من التحامل والمحاباة

وأما المؤتمر فقد ظهر أنه ليس أدنى من المستوى الذي فيه الشعب بل هو مثال مطابق له ، فقد كان الرأي العام فيه في مسألة الاستقلال التام الناجز ورفض كل سيطرة أجنبية هو رأي الشعب بعينه ، بل لم يكن فيه أدنى مظهر للفتنة القليلة في الامة التي تميل الى قبول الوصاية الأجنبية الموقته — وهل لدى الدول الطامحة الى ذلك سيطرة موقته الا عند العجز عن الدائمة ؟ — وقد يظفونها بتسميتها مساعدة ، نعم قد اتهم أفراد من الاعضاء بأنهم من الحزب الوطني الذي ألفه بعض الاغنياء. ولكن بعض وزراء الحكومة على قلتهم كانوا يصرحون لبعض الناس بأن رأيهم قبول الوصاية ومنهم ساطع بك الحصري وزير المعارف الذي كان أحد رسل الملك فيصل الى الجنرال غورو وعلاء الدين الدروبي قتييل خربة الغزالة وتقدم ذكر ذلك. بل كانت وطأة المؤتمر شديدة في مقاومة الانتداب في كل من سورية الجنوبية والشمالية ولم يكن هذا محل خلاف بين حزبيه ولا بين أحد من أفرادهما وكان فيه العدد الكافي من دارسي علم الحقوق واصول القوانين ومن ذوي الالمام بالشريعة الاسلامية ومن الاذكياء المتعلمين في مدارس الدولة

العثمانية أو بعض المدارس الأجنبية فكان بذلك كفؤا لوضع القانون الاساسي للبلاد وأهلا لوضع غيرها من القوانين أو تنقيح القوانين العثمانية . وكان فيه طائفة من المحافظين على القديم من أمور الامة وتقاليدها وطائفة من المولعين بالجديد الاوروبي وطائفة من المعتدلين بين جمود اولئك وخفة هؤلاء ، ومن المولعين بالجديد من يودون السير من وراء حدود الدين وان يستظهروا في ذلك بالقانون بل قاوم كثيرون منهم تقييد الحرية الشخصية بشرط المحافظة على الآداب العامة وكان رأي بعضهم أنه شرط لاحاجة اليه لئلا يتوسل به الى منع السكر في المقاهي والملاهي واختلاط النساء بالرجال فيها ، ورأي آخري أن شرط حسن ولكن لا ينبغي ذكره في القانون الاساسي فكان رأي الفريقين أفلح فرجح على رأي المخالفين لهم لان أكثر هؤلاء كان ضعيف الفهم قليل الحزم

أشرت آنفا الى انه كان في المؤتمر حزبان ، وهما حزب التقدم الذي يمثل حزب الاستقلال العربي وجمعيته وحزب الاعتدال ، ثم انفرد أفراد سموا أنفسهم حزب الاستقلال — أي الاستقلال في الرأي — ولكن الذين لا يتقيدون ببرنامج حزب يؤبدون رأي الاكثر من أفرادها اذا قرروه لا يمكن أن يؤلفوا حزبا من أنفسهم . ولو أمكن أن يكون هؤلاء حزبا لكنت منهم قبل أن أكون رئيس المؤتمر فاني من أشد الناس استمساكا باستقلالي فيما أراه هو الصواب ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن الاشتراك في تأليف حزب التقدم الذي يمثل الجماعة التي أنا مرتبط بمذهبها السياسي وهو استقلال البلاد العربية وقد انتخبت رئيسا لهذا الحزب عند تأسيسه ، وكنت أستعين به على تنفيذ رأيي في المسائل الخلافية في اجتماعاته الخاصة فان لم يتيسر لي اقناع الاكثرين في بعض المسائل ولم يتيسر لهم اقناعي فاني أتخذ قرارهم عملا بالنظام ولكنني لا أنصره بالاحتجاج له والدفاع عنه على منبر المؤتمر ولا في مناقشة الافراد ، بل كنت أصرح لهم بما أعتقد انه الصواب ، وأقول هذا رأيي وذاك قرار الحزب . وقد استطعت بما لي من المسكاة الشخصية عند الاخوان أن أقنعهم بارجاء البت في بعض المسائل الخلافية الى أجل ساعدتنا فيه الايام على الاتفاق فيها ولقد دعيت الى المساعدة على تأليف الحزب الآخر عند الشروع فيه على أن أكون رئيسا له فلم أقبل ، وقد كان الداعي الاول الى تأليفه كتب أسماء

أكثر الذين لا ينتمون الى حزب الاستقلال العربي ليدعوهم الى تأليف حزب مخالف له في المؤتمر لئلا ينفرد بالنفوذ فيه كما انفرد بالنفوذ في الحكومة وفي بلاط الملك، على أن يتقاسموا ليكوننّ إلّبا واحدا وكلمة واحدة على كل ما يقررونه فيما بينهم لا يشذ أحد عن رفع صوته به ، ولم أكن أعرف لهم رأياً جامعاً غير ما ذكرت وهو ما يتعذر عليّ على أنه قد دخل في حزبهم بعض أعضاء جماعتنا برضى من حزبهم بقصد الإصلاح وتقديراً من توسيع مسافة الخلاف ، وقد كان أفراد هذا الحزب وهم الأقلون عدداً أكثر اتفاقاً وتناصرأ من الآخرين وهم الاكثرون عدداً وعلماء الا في المسائل المهمة ومنهم أكثر أهل العلم والرأي والخطباء

سيرتي في المؤتمر

ولما صرت رئيساً للمؤتمر وجب على أن أساوي بين الحزبين في كل شيء يتعلق به وفي احترام أفرادها حتى في خارجه وإعطاء كل ذي حق حقه، وإيتاء كل ذي فضل فضله ، بل تركت رئاسة حزب التقدم مع المحافظة على نصرا الجماعة التي ينتمي اليها ، وقد كان الذين استأوا من تشديدي عليهم في حفظ نظام الجلسات أو في المنع في بعض الاحيان من الكلام والخطابة أكثرهم من أفراد جماعتنا وأقلهم من الحزب الآخر ، بل ربما كان أكثرهم من أصدقائي وما كلهم من أفراد جماعتنا ولا كل أفراد جماعتنا منهم ، ومن العادات الراسخة في نفسي أن أشتد مع الاصدقاء أيهم أشد حباً و إخلاصاً في الصداقة مالا أشتد مع غيرهم في الاقناع بالحق والمطالبة بالوقوف عنده ، لانهم أقرب الي حسن الظن ، وأبعد عن الظنة (التهمة) التي قد تبعث على مكابرة الحق ، وكم أغضب عليّ هذا الخلق من صديق ساء لي إغضابه ، وسرني استعتابه ، وكم وجه الي من عتب محب لم يتعذر عليّ إعتابه ، وربما فاتي من ذلك ما أجهله او أعذر نفسي بحسن النية فيه وان لم تعلم . وقد اتهمني بعض من صاحبت وواددت من أعضاء المؤتمر وغيرهم بالمحاباة في تنفيذ وظيفة الرئاسة فيهم ، وكانت هذه التهمة باطلة ، فوايم الحق ، اني كنت دائماً محايداً على تحري الحق والعدل ، ولكنني لأبريء نفسي من التساهل أحياناً مداراة لبعض شديدي الالتماع والغضب أو محبي المشاغبة كراهة أن تكسر فتسوء سمعة المؤتمر ، ومنهم من أغراه ذلك بالاجاج بالتمادي حتى اضطرت الى ما كنت أكره من الانذار وراء الانذار ، الذي لا يبيح القانون فيه للرئيس اخراج المنذر من الجلسة بقوة الشرطة (الكلام بقية)

مصابنا بشقيقنا

السَّيِّدُ الصَّالِحُ مُحَمَّدٌ رَضِيَ

الامر لله . ولا حول ولا قوة الا بالله . انا لله وانا اليه راجعون . ربنا
أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين

في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان رزئنا بوفاة شقيقنا وربنا ورفيق
حياتنا وأخلص الرجال لنا السيد صالح آل رضا تغمده الله برحمته ورضوانه
بعد أن أصيب بألم في الحنجرة كان عرضه الاول بحجة في الصوت صبر عليها
بضعة أشهر لم يعرض نفسه فيها على طبيب . وكان يظن كما نظن أنه عرض
لا يلبث أن يزول ، ثم الفيناه يزداد بالتدريج البطيء وكنت أنصح له باستشارة
الاطباء فيه والعناية بما يصفون من معالجته ، وكان يتهاون بذلك كدأبه ، وهو
من أشد الناس صبراً وجلداً واحتمالاً للآلام . ثم اشتد عليه الألم وضيق النفس
فعرض نفسه على عدة أطباء من المصريين واليهود والافرنج فاختلف رأيهم
أولاً ثم ظهر ان المرض ورم سرطاني واختلف القائلون بهذا في استئصاله هل هو
خطر على الحياة أم لا ، فكان ذلك سبباً لتردده في العملية الجراحية الى أن ضعف
بدنه بقلّة الغذاء اذ كان يشق عليه ازدراد الطعام حتى انه ليألم من شرب الماء واللبن
وحينئذ رضي بأن تعمل له العملية الجراحية واخترنا لها الطبيب الاخصائي
الشهير الدكتور حسن بك شاهين ولكنه أبى أن يعملها لجزمه بأن البنية لم
تعد تحتمل ذلك واكتفى بأن فتح له ثغرة في نحره لاجل التنفس وقال انه قد يعيش
في هذه الحالة عدة أشهر ممتعاً ببعض الراحة ، ولكن أجله المحتوم لم يكن قد
بقي منه الا أيام معدودة لا تبلغ الاسبوع فتوفاه الله تعالى وهو في أحسن
حال كان عليها من الايمان به والتوجه اليه واخلاص العبادة له حتى انه كان
يصلي الصلوات في سريره قاعداً ، فكان هذا مع العلم بأنه لم يعد له راحة في
الحياة مع هذا الداء العضال أكبر المعزيات لنا في مصابنا به

تعالاه وتربيته :

كان رحمه الله نادر الذكاء سريع الفهم سريع الحفظ بطيء النسيان . تلقى
مبادئ التعليم الاولى في بلدنا القلمون على أحد شيوخها فلم يكديحذق حروف

الهجاء وتركيب الكلم حتى صار يقرأ كل ما أقرأه بسرعة عجيبة فها يطل
 الدرس الذي يلقيه اياه الاستاذ يميده بعد اقراءه اياه مرة واحدة فلو شاء أن
 يقرئه كل يوم جزءا كاملا من القرآن لفعل ، فكان يفوقنا كلنا في ذلك . ثم
 طلب العلم في طرابلس فكان محل إعجاب شيوخه بذكائه وفهمه فتلقى من الفنون
 العربية والعلوم الشرعية ما كان يظهر قليلا من فضله ما لا يظهر اضعافه في تحصيل غيره ،
 وقرأ كثيرا من كتب التربية والتعليم فكان ذا رأي وذوق في هذا الفن ، وطالم
 كثيرا من كتب الادب والتاريخ وكتب الديانة المسيحية فحفظ من ذلك كله
 ما كان به خير نديم وسمير ، وكان معاشره في سورية ثم في مصر يعجبون من
 سعة حفظه وحسن اختياره فيه ومعرفة استحضاره له وحسن القائه اياه ، ويستغرب
 النصارى منهم كثرة ما يحفظه من كتبهم ويعرفه من تقاليدهم الدينية على اختلاف
 مذاهبهم ، وكان يجيد الكتابة نثرا ونظما ولكنه كان كسولا فلما أمسك القلم بيده
 وله مقالات قليلة وتقاريف لبعض المطبوعات في المنار استتبع بعضها ترجمة
 صديقه الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله تعالى ترجمة انتقادية دقيقة غير مألوفة
 في هذا العصر فانتقدتها بعض أدباء دمشق على اعترافه بأنها حق ، شرع في
 وضع تفسير لمفردات القرآن الكريم ولكنه لم يكتب منه الا وريقات قليلة . وفي
 ضبط ديوان من الشعر وشرح لغريبه لاجل طبعه ولم يتم منه شيئا يذكر وقد كان
 عين مديرا لبعض المدارس الابتدائية التي أنشئت بأمر السلطان عبد الحميد وثقته
 لمسلمي لبنان — وهي مدرسة الكورة — فسلك في تربية تلاميذها وتعليمهم
 مسلكا حسنا نافعا . وقد أودى من اضطهاد حكومة طرابلس لاهل بيتنا في
 العهد الحميدي أشد مما أودى غيره فكان ذلك مبغضاله في تلك البلاد ومرغبا
 له في الهجرة الى مصر ، فلما سنحت الفرصة لحق بي فيها

آراؤه وأخلاقه :

وكان مستقل الفكر في الدين والآداب وكل ما للرأي فيه مجال ، قليل المبالاة
 بكل شؤون الحياة ، يأكل ما وجد متى جاع لا ينتظر ما هو أطيب منه ، وينام
 حيث نرس من ليل او نهار ، سواء كان في الحقول والبساتين او الاندية
 والسمار ، ويتأنق في اللباس تارة ويتبذل أخرى غير حريص على ان يلقي
 الناس متزينا ، ولا خجل من أن يروه متبذلا ، ولا مبال ان يرتاض في عذق
 الارض او قطع الشجر متأنقا ، سخي النفس ربما يهود بكل ما في يده على من

يراه محتاجاً اليه ويؤثره على نفسه وان لم تكن حاجته فوق حاجته ، شديد الرحمة لمن يراه محلاً لها وشديد القسوة اذا غضب ، وقد يعود فيسترضي من يعاقبه اذا اعتقده ظلم ، راقب مرة لصاً كان يسرق الليمون من بستان لنا حتى اذا ظفر به وهو يسرق ضربه ضرباً مبرحاً وأخذ منه مقدار ثمن ماسرق من قبل كما قدره ، ولكنه خاف أن يكون مخطئاً في التقدير أو يكون قد سبقه لص آخر فبال من اللص ما وجد يده بالثمن الذي تقاضاه منه ، وحمله على إحلاله والسماح عنه ، وله نوادر من مثل هذه الفتوى او الحيلة الشرعية فيما يرضي به اعتقاده وهو اهواءه ككنت أخطئه في بعضه

وكان نخوراً بنسبه وبمناقب آل البيت الطاهرين من أجداده ويتشيع لهم ويبغض بني أمية الذين ظلموهم وآذوهم وهضموا حقوقهم ، وهو على هذا يحجل الشيخين ويبرئهما من كل ما رماهما به الرافضة وما رموا به جمهور الصحابة رضوان الله عليهم ويعلم أن هذا قد كان بتأثير دعوة المجوس أعداء الاسلام والعرب ، وقد كان في هذا الفخر والتشيع كالمرحوم الوالد بل يفوقه فيهما ، وليس في أسرتنا من يضارعهما في ذلك

ولا اهتمامه بأمر النسب والتاريخ غني بالبحث عن الدخلاء في بلدنا القلمون وهم من غير السلالة الطاهرة فعرفهم بيتاً بيتاً وفرداً وفرداً فكان يميز بين أهلها الأصليين وكاهنهم من السادة الشرفاء وبين الدخلاء فيهم . وليس هذه العناية لاجل ضبط أفراد أسرتنا فانهم معروفون لا يجهل أحد من الاهالي أحداً منهم لقلتهم وامتيازهم على سائر البيوت بالعلم والارشاد ، وان ترك أكثرهم ذلك في هذه السنين الاخيرة . وكان يعرف من تاريخ لبنان الحديث ما لا يعرف الا القليل من أهله تلقى ذلك من أفواه الشيوخ الذين كان يلتقاهم في دارنا أو في قرى الكورة وغيرها

وأما ما كان بيني وبينه من الصلة والمحبة والعشرة فهو ما يقل نظيره بين اخوين ، ولقد كان أقدر على بيانه مني لو كتبه ، كنا نعيش معاً ، وكنت أكثر منه اشتغالا بالعلم والعبادة وكان لذلك يجلي كاجلاله لوالده واساتذته بل أشد لانه إجلال اعتقاد روحي ومحبة أخوية ، وعشرة لازقة كنا في سن المراهقة نقضي بعض أيام رمضان في كرم لنا على مسافة ميلين عن القرية فكنت أصرف كل النهار في قراءة القرآن والصلاة ، وكان لا يصلي معي الا الرواتب بل يلح

علي بأن أَلعب معه فلا أفعل، فاذا أطلت الصلاة قام أمامي فيها يبنى لي محراباً .
وكنيت في بعض الايام أقرأ القرآن كله فان قرأت نصفه عاتبت نفسي على
التقصير . كان يذكرني بهذا ويذكره لغيري يقول : كنت اعتقد ان أخي نبي
من الانبياء ، فلما كبرت وعلمت ان النبوة قد ختمت بنبينا (ص) صرت أعتقد
انه ولي من أعظم الاولياء . ولما فقهته في التحصيل حضر علي بعض الكتب في
الفنون وكان يحضر دروسي الدينية في المسجد متملماً ويعدني أخاً وأستاذاً ،
وما زال يكرهني في الاعياد وعند التلاقي بعد سفر على السماح له بتقبيل يدي
على علمه بكرهتي لذلك فان تعودنا على تقبيل أيدينا من الصغر لم يجعله محبباً
عندي في الصغر ولا في الكبر

وكنيت أقول اني لا أعرف أحداً يحبني كحب أخي السيد صالح الا أن
تكون الوالدة . واما انا فظالماً انني لم أشمر قط بأنني كنت أملك في الدنيا شيئاً
من دونه ، ولعلمه بذلك كان يتصرف بكل ما هو لي تصرف المالك حتى انه
يهب ويهدي ويتصدق ولا يرى انه في حاجة الى إعلام ولا استشارة . ولم
أحفظ شيئاً مما علمته من ذلك الا أن صديقاً لي كان قد أهدى الى شيئاً مما يحفظ
لذكرى فتفقدته مرة فلم أجده فسألت عنه فعلمت انه أهداه الى صاحب له
نعم اننا كنا شقيقين صديقين بلغت عواطف الاخوة والصداقة والاخلاص
بيننا الغاية التي لا نعرفها عن غيرنا ، وكان أشد مني عاطفة لانه عصبي المزاج
وأنا معتدل ، لا اخلاصاً ولا قياماً بالحقوق . ولولا المزاج لكان الاصل في
عاطفة الاخوة وأنسها المساواة اذا كانت التربية واحدة . وقد قلت في بيان حكمة
محرمات النكاح من التفسير ان أنس أحد الاخوين بالآخر أنس مساواة لا يضاهيه
انس آخراذ لا يوجد بين البشر صلة اخرى فيها هذا النوع من المساواة السكاملة ،
وعواطف الود والثقة المتبادلة الخ

وقد تزوج رحمه الله وغفر له في أول سن الشباب ولم يكن مغتبطاً بالزواج
وقد توهمت زوجته وهي من شرائف القامون بعد أن ولدت له غلاماً وجارية
وكان شديد الحب لهما والحدب عليهما حتى كاد يخرج بذلك عن سنن أشد
الوالدات عطفاً وعاطفة ، وقد زوج ابنته بمصر من رجل فاضل كريم ولها أولاد
جعلهم قرّة عين لها ولوالدهم . وولده السيد محيي الدين تربى في دار الدعوة
والارشاد وهو كاتب أديب مقيم معنا ويراسل بعض الجرائد في أقطار أخرى
وفقه الله تعالى ورحم والده فقيدنا الكريم رحمة واسعة وجعلنا جميعاً مع السيدة
الوالدة من الصابرين المأجورين .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

يقضي الحكمة من بقاء ومن يوتى الحكمة
فقد آتني خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى «ومئذ را» كنار الطريق —

٢٩ شوال ١٣٤٠ - ٣ السرطان (ص ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ تنمة كلام الغزالي في مسألة الحلال والحرام ﴾

من جواب الفتوى ٢٣ و ٢٤

وأما المستند الثالث وهو أخيلها ^(١) أن يقال الاموال إنما تحصل من المعادن والنبات . والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يخلو هذا أن يتطرق الى أصل من تلك الاصول غصب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن يسلم أصولها عن تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا الى أول الشرع ، ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك الى أول زمان النبوة حلالا . وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الاموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة بل المعادن في أيدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غصبا ^(٢) فاذا نظر الى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ^(٣) ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى اذا حلال الا الصيد والحشيش في الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر الى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا (والجواب) ان هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن

(١) قال شارح الاحياء أي أكثرها تخيلا في النفوس (٢) زاد الشارح: ويقاصصون في الاجر . وهذا مبني على أن هذه المعادن مباحة للناس وان مستخرجيها يملكونها ولهم حرية التصرف في بيعها فأخذ لحكام اياها منهم والزامهم قبول ما يأخذونه من الاجور وان قلت ظلم يخالف للشرع كما سيأتي وما أقرب هذا الى الاشتراك (٣) المراد بالنيل الحيازة له باخراجه من معدنه

٤٢٢ تعارض الاصل والغالب في الحرام والنجاسة ومقابلتهما المنار: ج ٦ م ٢٣

النمط الذي نحن فيه والتحقق بما عددناه من قبل وهو تعارض الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجها عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القواين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع اذا لم يجد نجاسة فان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من أواني المشركين جائز وان الصلاة في المقابر المنيوشة جائزة^(١) فنثبت هذا أولاً ثم نقيس مانحن فيه عليه وبديل على ذلك توضؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحتززون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم؟ بل نقول نعلم قطعاً أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقل ما يخلص منها وكانوا يركبون الدواب وهي تمرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة نمرغها في النجاسات، بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كانت يحتز عنها، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهم ويستنزهون منه، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها، ولا ينبغي أن نظن أن الاغصار أو الامصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس عن الدواب هيات فذلك معلوم استحالة بالعادة قطعاً فدل على أنهم لم يحتزوا الا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين، فأما الظن الغالب الذي يستبان من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه. وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع اذ لم يزل الصحابة يدخلون

(١) أي صحيحة لا مباحة

المنازل: ج ٣٢ م ٣٢ ترجيح الاصل على الغالب وكون اكثر الاموال حلالا ٤٢٣

الجمامات وبتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الغرض. ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرّة نصرانية ثبت جواز حكم شر به والتحق حكم الحل بحكم النجاسة

فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه (قلنا) ان أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعاقب بعين مافية النظر مطرح . وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك مالا بأس به مخافة ما به بأس لان أمر الاموال مخوف والناس تميل اليها ان لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه وقد حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالاقتراب في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه على أنا نجري في هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الاكثر هو الحرام لان المال وان كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في اصوله حرام. بل الاموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم الى اصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالاضافة الى غيره أقل ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام أكثر ولم تنزل اصول الحلال أكثر من اصول الحرام . وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم. واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام ؟

هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فأنها مخلاقة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الاقل لا محالة لا الاكثر ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة. والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء اذا حاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذا النيل^(١) فاذا فرعنا على هذا لم تحرم عين الذهب الا أن يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة . ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظلما ببقاء الاجرة في ذمته

وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ماسمود اليهم الا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالاضافة الى مال التجار أقل لا محالة . نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بحسنة السلطان فما يأخذه عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشير فيكون هو الاكثر

فهذه أغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر ائز بينها جماعة ممن رقد دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال ، وذلك عين البدعة والضلال ، فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقاون فيه اذا لم يكن في العين المتناوئة علامة خاصة (فنقول) الذي نراه ان تركه ورع وان أخذه ليس بحرام لان الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل أزيد وأقول لو طبق الحرام الدنيا حتى علم بيقينا أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده ، فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه انه اذا وقعت

المنار: ج ٦ م ٢٣ الاحتمالات في المال الحرام اذا عم وترجيح وضع اليد ٤٢٥

هذه الواقعة فلاحتمالات خمسة

أحدها — أن يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم
الثاني — أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها يا مال الموت
الثالث — أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من
غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة

الرابع — أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار
على قدر الحاجة

الخامس — أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة
أما الاول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على
سد الرمي وزجوا أوقاتهم على الضعف فشافيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات
وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة
وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ
مصالح الدنيا لئتم بها مصالح الدين

وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية
بين مال ومال بالغصب والسرقه والتراضي وكيف ما اتفق فهو رفع لحكم الشرع
وفتح لباب سده الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد ، فتتمد الأيدي بالغصب
والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يميز صاحب اليد باستحقاق عنا
فانه حرام عليه وعلينا وذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا أيضا محتاجون
وان كان الذي أخذته في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقتة ممن هو زائد على حاجة يومه ،
واذا لم نراع حاجة اليوم والسنة فما الذي نراعي؟ وكيف يضبط؟ وهذا يؤدي الى
بطلان سياسة الشرع واغراء أهل الفساد بالفساد.

فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده ويقال
هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه ، والتراضي هو
طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فالتراضي أيضا مناج في الشرع تتعلق
به المصالح فان لم يعتبر فلم يميز بين أصل التراضي وتعطل تفصيله

(المنار: ج ٦) (٥٤) (المجلد الثالث والعشرون)

وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريقة الآخرة، ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية، ولا دخاله في فتوى العامة، لأن أيدي الظلم تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق، وكل من غلب سلب، وكل من وجد فرصة سرق، ويقول لاحق له الا في قدر الحاجة، وأنا محتاج. ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الاموال يوما فيوما أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال

أما تكليف الشطط فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلا، وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلتقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم؟ ثم يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطة باقنى عن الناس اذا أصبح الناس لا يملكون الا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح.

بل أقول لو ورد نبي في هذا الزمان - ضربا للمثل - لوجب عليه أن يستأنف الامر ويهد تفصيل أسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويعدل ما يفعله لو وجد جميع الاموال حلالا من غير فرق. وأعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم اذ لا يتم الصلاح برد الكفاية الى قدر الضرورة والحاجة اليه فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا، ونحن نجز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم، فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء، ولكننا نقدر الامر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الانبياء اصلاح الدين والدنيا

ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره؟ فلو قد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون الى مكذبين له من اليهود وعبداء الاوثان والى مصدقين له قدشاع

للعوي الدين، وهو المثلث الآخرون في طائفة الملاحم الذين على الدين أيضاً، فليس لهم، فشيء طين
 سلاح مئة الدين العلم أنه يعرض إلى كثر من عن طائفةهم، ويستعملوا بأشياء من الدنيا وذلك
 قسبة لما بقيت بها إلى المشيئة الإلهية بالاشتراك في قولهم (الحزن لعدم ما يملكون من ما يشتهون)
 في الجليل الذي لا يورثون من بعضهم فلو أن بعض من جبالهم إلى الجبال بعضهم ببعضاً من الجبال
 (فان قيل) لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى لغيره كل شيء فقلنا

غير واقع كما هو معلوم من قولنا شاك في أني اليه حق حرام للخلق ألبعض من الدنيا لا العمل أو
اللا أكثر وفيه ما يثار ويطلب من قوة من شأنه لا أقل لجملة الاستغناء نال في الشكل ثم ينجي أو يسكن كما
لا بد من ذلك في شاك على شجوا الزق بلحق في موهبة المطالب في المراجعة كما أوفاه ذلك كونه من شأنه
التقسيم حيث كان مقتضى ما هو لتي في لابل بلحاظ من استبعاد ما يلحق في عينه كما ينبغي يكون من دية
الدليل في مقبول لا اتفاق في ان يظن العلماء لا يقبل الصلح في المصلحة في ذات الحق لا بد به الذي
نبي (أقول) يانك سلم أني الحولم هو الأقل في كميته من طائفة من سائر سائر الله تعالى الله عليه السلام
وسئل في الاستحباب ما هو قبحه الربا والمقترقة والمفول في قوله تعالى في الزمان فيكون الآية كثران
هو الحرام في محل المتعارف في بعض خبره ههنا ثلاثة أمور يجب كما في الحق رية الزمان كما نده
(الاول) التقسيم الذي حصرناه وأبطلناه منه أربعة أنواع في التقسيم الخامس في أن تقبلا

ذلك اننا لم نجد في هذا الكتاب من الحلال ما كان الحرام في غيره من الكتب
الا في كتبه اولاً قبل وقوعه في القتل وهو المصاحف فمرسومها هو ان لا يقرأ
لا (ج) قبله الميثاق ولا في ذكره المصاحف ولا في ذكره المصاحف ولا في ذكره المصاحف
منها: جعله الطوفان الخبيث المصاحف من الأدلة الشريفة بل في المصاحف الملائمة
على النص (ص ٧٤٥-٧٧٠ م) ومنها تحقيق صاحب الامام المالك المصاحف
المصاحف المرسلة التي هي مذهب مالك (ص ٣٣٣ - ٨٥٢ م) ومنها
ما حققناه في تفسيره (لا تقسوا على الله شيئا) من سورة المائدة (ص ١٩٢ ج ٧)
تفسيره وضمنه كالمثل في المصاحف (لا تقسوا على الله شيئا) من سورة المائدة (ص ١٩٢ ج ٧)

والذي يحققه الغنى الجدي في الأصول وإشاد البيهقي هو أن الأصلحة تدعو في حجة
حجج الشرع وأصوله إذا كانت ضرورية قطعية كلية فالضرورة أن تكون إحدى
الكليات الخمس التي عاينها مدار الشرع وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والحيوة
والتنبيه (أي السبل الشرعية) ويدخل فيه تحريم الزنا والأوطار (والقطعية هي المحزوم
بمحصول المصلحة فيها دون ما كانت مظنونه - والكلية ما كانت شاكلتها عامة للإلزام
لا لشخص معين

تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به، فاننا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ، ولا شك في أن رد كافة الناس الى قدر الضرورة أو الحاجة أو الى الحشيش والصيد مخرب لادنيا أولاد الدين بواسطة الدنيا نازيا، فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الاشخاص

(البرهان الثاني) أن يعال بقياس مخبر مردود الى أصل يتفق الفقهاء الآ نسون بالاقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقة عند المخلصين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره بحرب العالم . والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجزرة النصرانية وأواني المشركين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة . وقولنا انقطعت العلامات المعينة احتراز عن الاواني التي يتطرق الاجتهاد اليها ، وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية

(فان قيل) كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم أن الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم (فنقول) الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خاق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه ولا فرق بين الامرين

والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على المالك نازلة منزلة الاستصحاب أقوى منه ، بدليل أن الشرع ألحقه به اذ من ادعي عليه دين قال قول قوله لان الاصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده قال قول ايضا قوله اقامة اليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه . الم يدل على خلافه غلامه معينة

(البرهان الثالث) هو ان كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وان كان قطعاً فبأن لا يعتبر اذا دل بطريق الظن اولى . ويبيانه ان ما علم انه ملك زيد فحقه يمنع من التصرف فيه بغير اذنه، ولو علم ان له مالاً في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة، ولو دل على أن له مالاً محصوراً في عشرة مثلاً أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة، فالذي يشك في أن له مالاً سوى صاحب اليد أم لا، لا يزيد على الذي يتيقن قطعاً أن له مالاً ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالاً يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم، فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه، فلو سرقه منه سارق قطع يده، فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير؟ ايس ذلك الاحكام بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة؟

(فان قيل) ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان (فنقول) والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه؟ لا سبب له الا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضيعه وصرفه الى مهم، والصرف الى مهم أصح من التضيع فرجح عليه، والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الايدي، اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه. وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى ان المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف مادارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذ في أعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في ملك الاعيان كما لم يؤخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الاملاك في هذا المعنى. فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم اهـ

كتاب اسلام الاغاجم عامة والترك خاصة

(من ٢٥٠) من خلاصها الايضاح (في اكنة ايام)

يا صاحب الفضيلة جليل الشرف اني اعرض عليك على مسألتكم، وتناحدا لنا فاحدة
 سمن عظميتكم، وانتم اهل لها لكي تستقيم الحق، وترهق الباطل، وتشرح الصدور
 بدينكم الاجر والدرجات، ورفعكم العز والوهاب في شايحة منة دهم سدا المخرج دية
 دية سلفه خاتبة الفضيلة بسوفاي بكمكم العالي عن الامراك والاضاحم بديناهم بجل
 سمن لسلامكم كما سمن بكمكم، واهل بكمكم صادقون اسرا وجهرا في بكمكم، فلم يفسد احد منكم في هذه
 الامام ان الاتوال لخصوا غير اسلام لا سمن الله بذلك، وهذا خلاف ما عهد
 دهم بكمكم في هذه الايام، دهم بكمكم هذا من رجال كذا دهم بكمكم قواما للامة
 سمنهم بالفاضل بكمكم في كتاب مخصوص في بهذا الامر، ان القوم هم اخذوا
 الاسلام وانه يجب ان لا يهتم بهم ولا مصطفي بكمكم وقوله عنه باخذوا التاري.
 ما وانهم ابي الامير الد (م سمن) ان الخطا في اسلام الى هذه الحالة، وان السلطان الفاع
 في هذا الحالة مع فريدين اهل في كل سرت الاندلس وانه رابط البعور وسدا المنافذ
 في بكمكم من بكمكم من اهل بكمكم حتى اتموا جميعا بالخ، وقوله عن السلطان عند الجيد
 سمنهم بكمكم في الايام، فكم يخالف الدين بكمكم ان بكمكم او تعبيرهم الرزي الى الان بكمكم
 في بكمكم بكمكم عن الوضوء من صبيح الياسين في الله اكرم ذلك سمن بكمكم السلطان
 بكمكم السلطان سمن الاولين وبعيد في الخلافة من العباسي الفاطمي بكمكم بكمكم
 بكمكم الاممات بكمكم بكمكم في لا يقول بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم
 بكمكم بكمكم التي بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم
 بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم

ن، سمن بكمكم في الفاطميين الذين اكرموا بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم
 بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم
 بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم
 بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم بكمكم

فيما رآوه خطأ أو صوابا معززا للمكهم فقد سبقهم العرب الى مثل ذلك في حصار الامويين لمسكة وهدمهم للكعبة المشرفة ، واستباحتهم للمدينة المنورة ، وفي ظلمهم وظلم العباسيين من بعدهم لآل بيت الرسول (ص) وسفك دماء الكثير منهم ومن غيرهم بالشبهة ونهم السياسة .

وأما البدع في الدين والفسق عنه فقد فشيا في جميع الشعوب الاسلامية في القديم والحديث حتى صار الماشدد في تركها وانكارها على أصحابها يرمى بالابتداع كما يفعل أهل مكة وأهل الشام وغيرهم إذ يسمون أهل نجد مبتدعة ويسمون أنفسهم سنية

ثم اعلم أيها السائل الخاص أن سبب طعن بعض العرب في الترك في هذه السنين الاخيرة هو السياسة ، وأن الذي أثار هذه الفتنة جمعية الاتحاد والترقي التي فتنت بالعصبية الجنسية الطورانية أشد فتنة ، ولا شك عندي في أن بعض زعمائها من الملاحدة ، ولا في أنهم حاربوا الاسلام وأرادوا إضعاف سلطانه الروحي ، تمهيداً لازالة سلطانه السياسي ، ولا في أنهم هم الذين نشروا تلك الكتب الكثيرة المشتملة على الطعن فيه ، وصد الترك عنه ، وان في متفرنجي الترك كثيرا من المرتدين الذين راجت هذه الدعوة فيهم ، وقد بينا هذا من قبل لانكار المنكر والامر بالمعروف والتحذير من عواقب هذه الفتنة ، ائلا تكون هي القاضية على الدولة ، التي هي على ضعفها أقوى سياج لهذه الملة (الاسلامية) ، وقد وقع ما توقعناه من شرها ، وحذرنا الترك منه مشافهة لسكبرائهم في الآستانة وكتابة في جرائدها وفي المنار . ولولا هذه الفتنة التي اصطلت بنارها ألوف من شبان العرب وكوهم في الآستانة ثم في غيرها ، وما كان من فظائع جمال باشا في سورية بسببها لما وقعت الثورة الحجازية ، وكانت أحد أسباب ما وقع من المصائب على الامة الاسلامية ، التي كان ضررها على العرب أشد من ضررها على الترك

ثم أخبرك مع هذا بأن في شبان العرب الذين ناهضوا الترك وعادوهم ملاحدة كمن ذكرنا من الترك لانهم تعلموا وتربوا في مدارس واحدة ، ولما نصحننا لمن لجأ منهم الى الحجاز في أثناء الثورة بأن يحترموا بيت الله ولا يظهروا شيئا من (المنار : ج ٦) (٥٥) (المجلد الثالث والعشرون)

إلحادهم فيه غضب عليا ملك الحجاز ومنع المنار من الحجاز كما بينا ذلك من قبل ، ثم أخبرك أن الاتحاديين قد عرفوا بعد الانكسار في الحرب العامة خطأهم واعترف لي من اقيت في أوربة منهم بذلك ، وهم يجتهدون الآن في إحياء الجامعة الإسلامية لا يختلف في ذلك المتدين منهم بالفعل مع غيره حتى ان جمال باشا وهو أشدهم اجراما وعصبية طورانية قد خدم الدواة الأفغانية الإسلامية الفتاة أجل خدمة . كما أخبرك أن جمهور الترك كانوا قد سخطوا عليهم في أثناء الحرب وأظهروا الطعن فيهم وعزموا على الثورة عليهم والتتكيل بهم . وأكد لي بعض المؤمنين منهم في أوربة أن الدولة لو انتصرت لقامت فيها ثورة داخلية بسبب حق السواد الأعظم من الترك عليهم

وجملة القول إن الترك كالعرب السواد الأعظم منهما مسلمون مقلدون ، وفي كل منهما علماء مستقلون ومتمذهبون ، وفي كل منهما ملاحدة ومبتدعون ، وصالحون وفاسقون ، وأن الترك خير من العرب استمسا كما يجب من المحافظة على الاستقلال والسلطان القومي والعمل للجامعة الإسلامية . وأنه لا فائدة لاحد من الفريقين في الطعن بالآخر والبحث عن عيوبه القديمة والجديدة الآن بل ذلك ضار بهما وفيد لأعدائهما ، فلاحاجة اذا إلى البحث فيما كان من تقصير السلطان محمد الفاتح في إغاثة مسلمي الاندلس والدفاع عنهم أو مساعدته على القضاء عليهم ، ولا في قسوة حجاج الترك السلطان سليم واسرافه في سفك الدماء على انه أعز دولة الاسلام وأذل أعداءها فكان خيرا من حجاجنا — وأما الطعن في دين السلطان محمود بتأييده للزبي العثماني الرسمي واستبداله الزبي الافرنجي به فهو ظلم مبين ، فان الزبي العثماني السابق لم يكن زيا دينيا والدين لم يأمر بالانزاع زبي خاص ، وما صح من نهينا عن التشبه بغيرنا يراد به ان الاسلام قد جعلنا أئمة متبوعين لا تابعين لغيرنا ولو في المباح كالزبي . ولكن التشبه لا يتحقق الا باقصد والمحاكاة التي يشبه فيها المتشبه بالمتشبه به فيما فيه التشبه ولا يسهل تطبيق ذلك على عمل السلطان محمود الذي أدخل به الاصلاح العسكري الجديد في الدولة فأنقذها من فوضى الانكشارية التي كادت تقضي عليها . ولم يكن الزبي الذي اختاره عائقا عن الصلاة وإنما

يعوق عنها مما أحدث بعد ذلك من السير أو يلائق الجازقة (الضاغطة) كالتى راسها
ضباط الشرطة (الدوليين) بخص، وقد فصلنا القول في اللباس والنشئة من قبل
وأما ادعاء أن السلطان محمود والسلطان عبد الحميد أباحا مخالفة الدين فلا
يُدري من أين جاء بها ذلك الذى كتبها اليكم وكان ينبغي لكم أن تسألوه عن حقيقته
علموا المشهور عن مخالفة ذلك حتى أن الترك يضربون المثل بشدة تدبير عبد الحميد
بكل ما يفهم به الدين جهاهير المسلمين عن الترك والعرب على أن هذا الوقت لا يفيدنا
فيه أن نذكر القصور، ونحصل بها فى الصلوة ولا حل بحسب التاريخ فى هذا الموضوع،
فكيف إذا كان الغرض من البحث إثارة العداوة بين أكر شعوب المسلمين وهو
أقرب الطرق لاستدلال الأجنبي لهما جميعا. فهذا ما نراه من الجواب موافقا لمقتضى
الحال والسلام على من اتبع الهدى، وهو حج الحق على الهوى!

ملخص القوانين

السلامة والمصلحة، إلى مبدأ بقية التشريعات الإسلامية

(مقدمة تمهيدية)

ما قررت الدولة البريطانية إلغاء الحماية التى كانت خيرتها على مصر، وأعترفت
لها بأنها دولة دستورية ذات سيادة، وأعترف لها بذلك الدول الكبرى وقتها.
وأقرت الحكومة المصرية لجنة لوضع قانون أساس للدولة المصرية، وكان مما
وضعت هذه اللجنة من مواد الدستور الأساسية أن دين الدولة المصرية الإسلام هو
دين الإسلام وأنه شرط فى ملكها أن يكون مسلما، وأثبت النسب فى بيت الملك
المصرى بزواج شرعى، فسارت هذه المبادئ بعض ملاحدة المتفرجين المقلدين لأعداء
الإسلام، الذين لا فرق فى الدعوة إلى التفرغ من دينهم ولا سيما الإسلامية
والاجتماعية منها، وهى التى يدقون بها العيون فى أنظار الرعايا لا يستلزم
لذا إبطالها ومحوها من الامة، ولكنها تضعف وترتكب أهلا والتدريج إذ لم يكن مكنه لهم ولا

مسألة التزوج بالكتابية وعدم تزويج الكتابي

إن أهون ما في مطالبة الحكومة المصرية بجعل قانون الأحوال الشخصية مدنيا لادينيا ذلك الاستدلال الضعيف على الحاجة الى ذلك بدعوى عدم عدل الشريعة في مسألة أو مسألتين من النكاح فلم تعرف حكمة للشريعة في الفرق بين المسألتين تقتضي عدم تساوي الحكم فيهما لما جاز للعاقل أن يعترض عليها ويعدها غير عادة ولا مساوية بين المسلم وغيره لأن المساواة إنما تطلب في الأحكام المفروضة على متبهي الشريعة والمتقاضين الى أحكامها ، وهذه المسألة خاصة بما يباح للمسلم وما يحرم عليه في النكاح ديناء وغير المسلم لا يخاطب بالعمل بفروع الشريعة فيما يباح له ويحظر عليه مما هو خاص به ، لتساوي بينه وبين المسلم فيه ، وهي لا توجب على المسلم أن يتزوج كتابية ولا تلزم الكتابي أن يزوجه ابنته إذا طلبها ، ففي استطاعة الكتابي أن يكون مساويا للمسلم اذا رأى ذلك خيرا له ، بأن لا يزوجه

على ان النص القطعي في القرآن إنما ورد بالنهاي عن نكاح المشركات وانكاح المشركين وبحل نكاح المحصنات من أهل الكتاب ولم يصرح بتحريم إنكاحهم ولكن ذهب بعض الفقهاء ان المشركين والمشركات في آية البقرة يشمل أهل الكتاب ثم جاءت آية المائدة بحل نكاح الكتابيات فكيف كانت ناسخة أو مخصصة لآية البقرة والشيعية يحرمون نكاح الكتابية ، والتحقيق أن المراد بالمشركين والمشركات في الآية خاص بالعرب منهم كما روي عن قتادة وغيره واختاره ابن جرير — وان أهل الكتاب وان أسند اليهم الشرك فعنوان المشركين عند اطلاقه لا يعبرهم . ومن الفقهاء من يقول ان العدة في تحريم إنكاح غير المسلمين ان الاصل في النكاح التحريم حتى يرد النص ولم يرد الا بالثبوت والكتابية . ويمكن النزاع في هذا الاصل وان يقال ان الاصل في جميع عقود الناس الصحة والحل حتى يرد شرع بخلاف ذلك وان يستدل على ذلك باقرار من يدخل في الاسلام على نكاحه قبله وباقرار أهل الذمة على أنكحتهم والحكم بمقتضى ذلك عند تحاكمهم اليها وبقوله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء . (وأحل لكم ما وراء ذلكم) . وغرضنا من هذا انه لو لم يكن لدينا من الدلائل والحكم ما يؤيد به المسألة المعترض عليها

٤٣٨ حكمة حل نكاح السكتانية وتحريم انكاح الكتابي المنار: ج ٦ م ٢٣

اكان انا أن نقول: إن الاعتراض لا يرد على أصل الشرع القطعي بل على مسألة فرعية من مسائله اتفقت فيها المذاهب اسد ذريعة الفساد الذي سببته وهو ما مل به النهي عن مناكحة المشركين في الهن ، على ما بينهم وبين غيرهم من الفرق ، بل نقول إن هؤلاء المتفرجين ولا سيما علماء القانون منهم لو عرفوا جميع ما يتعلق بهذه المسألة من الاحكام والحكم لعدوها مما يفاخر به المسلمون جميع أهل المال والاديان بحرية الدين ، وترغيبه في مودة غير المسلمين ، فان الاسلام قد جاء لاصلاح ما فسد البشر من دين الرسل واتكميله واتمامه ، وقد كانت جميع الامم عند بعثة خاتم الرسل (ص) تحقر النساء وتهضم حقوقهن فجاء الاسلام بالقاعدة العليا التي لا تلوهما وان تعلوها قاعدة وهي قوله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) أي درجة الولاية ورياسة الاسرة . وكانت حرية الدين موقودة عند جميع الملل فجاء بالقاعدة العليا فيها وهي قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فالشرعية تفرض على المسلم الذي يتزوج امرأة غير مسلمة أن يسمح لها بأداء عبادات دينها في الدار وفي المعبد كما تشاء ، ولا يخشى أن تسمع منه تكذيبا لأصل كتابها ولا للرسول الذين يؤمن بهم وتحبهم ، لانه يؤمن بذلك فهو اذا تزوجها واقام أحكام الشريعة وحكمها فيها يكون ذلك الزواج من أكبر أسباب التآلف والمودة بين الزوجين لان روح الزواج وسره الادي هو ما بينه تعالى بقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقد يسري التآلف من الزوجين الى عشائرها والى أقوامها ولو تزوج غير المسلم بالمسامة .. وهو لا يدين الله كالمسلم بحرية الدين التي توجب عليه أن يسمح لها بأداء واجبات دينها واقامة شعائره ، ولا يدين الله كالمسلم بمساواة النساء للرجال بالمعروف فيما عدا تلك الدرجة فقط ، ولا يؤمن أن يفتنها وينطق امامها بتكذيب كتابها ورسولها ، اكان ذلك ظلما لها في دينها ودنياها ، وسببا للضغائن والعداوة بين العشيرتين ، واذا تعدد يكون سببا لانتشار العداوة في أهل الملتين ولا يعترض على هذا باختلاف أحوال الامم وكون الكثيرين من مسامي زماننا يظلمون النساء في دينهن ودنياهن وكثير من غيرهم لا يظلمهن ظلمهم بل

الرحلة الاوربية

(٤)

احمد عزت باشا العابد

لما وصلنا الى جنيف كان قد جاءها من باريس احمد عزت باشا العابد من كبار وجهاء وأغنياء سورية والذي كان الكاتب الثاني عند السلطان عبد الحميد . فاجتمعنا به زائرين ودعواناه الى حضور المؤتمر فاعتذر بأنه مضطرا الى السفر الى باريس لاعمال مالية يضره تأخيرها وقال انه يشرح لنا رأيه فيما ينبغي أن نطلبه من تخفيف وطأة الوصاية على سورية وهو ما كان طلبه بنفسه من وزراء فرنسا . فرددت عليه بأننا نحن طلاب استقلال مطلق من قيود الوصاية لطلاب وصاية خفيفة ، واكبر عار على السوريين أن يقبلوا الوصاية أو يسكتوا عن رفضها ويقعدوا عن السعي لدفع نائبتها ،

ثم قلت له سرا إنني أعلم أنك تخاف الفرنسيين أن يضروك اذا اتحدت معنا وانتظمت في مؤتمرنا ويمكنك أن تتلافى هذا الضرر بأن تمن عليهم بأنك حاولت أن تخدمهم بالتوسط بيننا وبينهم وجعل دخول المؤتمر وسيلة الى ذلك ، ويمكنك أن تذكر ذلك لمن تلقاه منهم في باريس حتى الرئيس موسيو بريان فلعلمهم يأذنون لك بالعودة الى هنا ومساعدتنا على هذه الخدمة الوطنية وأنت بمأمن من الضرر والاعتداء على أملاكك في الشام

قال : ولي الباطن أكون مع من ؟ قلت أنت بالطبع منا ومعنا في خدمة وطنك وكل يسلك طريقا والغاية واحدة . فأعجبه هذا الرأي فيما ظهري من وجهه وقوله اذ قال إنه يجتهد أن يعود من باريس اذا تمكن من اتمام عمله قبل انقضاء المؤتمر

كان هذا الحديث في يوم السبت (٢٠ أغسطس) وفي اليوم التالي زارنا قبل ذهابه الى المحطة للسفر الى باريس فأعدت الحديث معه في وجوب مساعدة المؤتمر بنفسه وماله ، وأتيته بدلائل وآيات ، دينيات وعقليات وأدبيات ، حتى حلف لي بالطلاق بأنه سيجتهد في العودة اليها ، وان أدري أيجتهد في اقناع الحكومة الفرنسية وارضاءها بذلك أم في غير ذلك . وأما المساعدة المالية فقال انه مستعد لها ولكن مثل هذا العمل يجب أن يشترك فيه جميع أغنياء

البلاد ومن هو اكبر منهم كالمملك حسين . قلت نعم ان ذلك واجب على الجميع وعلى الملك حسين وأولاده الذين كانوا من أسباب وقوع البلاء في هذه البلاد ولكن تقصير بعض الناس فيما يجب عليهم لا يكون عذرا لغيرهم ، وعلى كل أحد أن يطالب نفسه بالواجب قبل أن ينظر الى غيره... وما أشبه هذا الكلام ، الذي قابله بالتسايم والاستحسان ، ثم سافر الى باريس ومنها الى الآستانة لاجل تعاهد أملاكه فيها ومطالبة الدولة بعرف ما يستحقه من المعاش (التقاعد) على ماهي عليه من الفقر وما منيت به من المصائب والنوائب ومنها فقد البلاد العربية كلها ، على أن معظم ثروته العظيمة من خيرها وفضائها .

زيارة رئيس لجنة الوصايات في جمعية الامم

وفي أصيل يوم الاربعاء (٢٤ أغسطس) زرنا رئيس لجنة الوصايات لجمعية الامم (موسيو رابار) وهو من علماء سويسرة وأغنيائها مستقل الفكر مهذب الاخلاق وكان توفيق أفندي اليازجي أخذ لنا موعدا منه بهذه الزيارة لانه عرفه من قبل ، وذهب معنا رفيقانا وهي أفندي العيسي ويوسف أفندي سالم وأما الامير ميشيل فكان قد خرج من جنيف لزيارة شقيقته في مصطافها . وبعد التعارف دار الحديث بيني وبينه في مسائلنا وكان المترجم بيننا زميلنا وهي أفندي العيسي وشاركه في ذلك الرفيقان الآخران

بدأت الكلام ببيان نظرية الرئيس وياسون في مشروع جمعية الامم التي اقترحها ومكيدة الدولتين الاستعماريتين وخطا عهاله بادخال مسألة الوصاية (الانتداب) في عهدهما ليكون منفذا لهما الى ما تعاهدتا عليه من استعمار البلاد واقتسامها بينهما ، وان هذا مناف للغرض الاول منها وهو السلم الدائم بحرية الاقوام . ثم انتقلت من ذلك الى سعي هاتين الدولتين الى ابطال ثقة الشعوب المعتدى عليها وغيرها بجمعية الامم واقناعهم بأنها آلة في أيدي رجالها ، واننا مع ذلك لم نياس من فائدتها ونفعها ولا نجزم بأنه سهل عليهما تسخير هذا العدد العظيم من مندوبي الدول الكثيرة لتحقيق مطامع دولتين لولا مطامعهما لما وقعت اكثر الحروب في أوربة بجعلهم استعبادها للاقوام قانونيا مؤيدا من العالم المدني كله

ثم انتقلت من هذه المقدمات الى ان آمالنا في جمعية الامم هي التي حملتنا على المجيء الى جنيف لاجل بيان حقيقة الحال في سورية وفلسطين لها . ثم شرحت

له خلاصة تصرف الدولتين في سورية وفلسطين وانه من قبيل تصرف المالك في ملكه على أن وجودهما هناك بحسب القانون الدولي احتلال مؤقت في بلاد الاعداء لاجل حفظ النظام الى ان يتم الصلح بينهما وبين الدولة صاحبة البلاد (ولا حاجة الى ذكر ما قيل هنا لانه مما أودع بعد في النداء الذي وضعه المؤتمر وقدم للعصبة)

ومما سألتني عنه موسيور ابار في أثناء الحديث : رأيت اذا خرج الجيش المحتل من بلادكم وترك امرها اليكم اتقديرون على حفظ الامن فيها والقيام بشؤون الادارة ؟ قلت نعم وأستدل على قولي بالحق الواقع لا بدعائوي تحتل المناقشة . ذلك بأن الترك قد جلوا عن سورية وتركوها لاهلها قبل وصول الحلفاء اليها ولم يبق فيها احد من ضباطهم ولا من رجال الادارة والقضاء منهم وقد قام الاهالي السوريون بحفظ الامن وسائر اعمال الحكومة عدة ايام الى ان احتلها الجيش العربي المؤلف من السوريين وغيرهم وكانت جل الاعمال الادارية في أيديهم الى ان شاركهم الجيشان البريطاني والفرنسي في احتلال البلاد . ولم يقع في هذين المهددين خلل ولا تعد على احد كما صار يقر كثيرا بعد احتلال الحلفاء . وذلك ان الحكومة كانت في عهد الترك بيد الاهالي ولم يكن فيها الا عدد قليل من موظفيهم يوجد فيها من اهلها من هم مثلهم وارقى منهم كما يوجد في ولاياتهم من موظفيهم المخلصين لهذا شأن لم نكن نعرفه ... وبعد انتهاء الحديث شكرتالة غناينة بجماع حديثنا وحسن لقائنا وودعنا كما وودعنا بيشاشة الاخلاص ، وكنا كما تلقينا بعد ذلك يسلم بضمنا على بعض سلام الاصدقاء .

المؤتمر السوري الفلسطيني

لم نكد نلقي عصا التسيار في جنيف حتى بحثنا عن مكان لائق لنعقد فيه المؤتمر الذي دعونا اليه وجئنا هذا الباد لاجله فاهتدينا الى بهو عظيم في دار كبيرة لبلدية المدينة مهددة للاحتفالات والمراقص والمقاصف وغير ذلك من الاجتماعات العامة فطلبناه فأجيب طلبنا ، وبادرنا الى عقد الجلسة الاولى في الموعد الذي ضربناه لعقد في الدعوة العامة اليه (٢٧ أغسطس) ولكن لم نلبث ان تلقينا برقية من ترستة بامضاء (رياض الصلح) ينبي فيها بأنه سيوصل البناغدا حاملا وثائق التوكيل من بعض الاحزاب السورية لنفسه

ولمندوبين آخرين ، و برقية أخرى من الوفد العربي الفلسطيني المقيم بلندن
 يذبح فيها بأن شطر الوفد قد سافر الى جنيف لمشاركتنا في المؤتمر وبقي الشطر
 الآخر في لندن لمتابعة السعي في المسألة الفلسطينية من الوجهة البريطانية —
 وكنت قد كتبت الى الامير شكيب أرسلان عقب وصولي الى جنيف كتابا
 الى برلين انبئه فيه بوصولنا واسأله عن موعد مجيئه وكان على علم بالمشروع وبأنه
 من المختارين لحضوره فجاءني منه كتاب باستعداده للسفر وموافاتنا على جناح
 الطائر — (وبعد ذلك بأيام جاءت برقية من طعان بك العماد مندوب حزب
 الاستقلال العربي في الارجننتين تنبيء بأنه قادم لحضور المؤتمر وكان قد وصل
 الى إيطاليا)

لاجل ذلك جعلنا الجلسة الاولى بالفعل جلسة تحضيرية بحثنا فيها في
 النظام الاداري التمهيدي للعمل وقررنا انتظار الوفود الجائئة والنظر فيما تحمله
 من أوراق اعتمادها وانتدابها لحضور المؤتمر من قبل أحزابها ثم تأليف المؤتمر
 من جميع المندوبين المعتمدين وجعل الجلسة الاولى للتعارف فانتخاب الرئيس
 ونائب الرئيس والكاتب العام (السكرتير) ومساعديه

ثم لم تلبث الوفود أن حضرت في المواعيد التي انبأت بها وكان وفد
 فلسطين مؤلفا من الحاج توفيق حماد وأمين بك التيمي وشبلي افندي الجمل
 ولما أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا علمنا أن وفدهم يرجح التفاعل على التشاؤم
 في قضيتهم ، وأنه يرجو رجاء قويا أن تكون فلسطين أسبق البلاد العربية الى
 نيل الاستقلال، وهذا خلاف ما اعتقدوا ونقده وقد ذكر بعد ذلك البحث فيه
 استطراد في مكانة فلسطين عند الانكليز

ولما صرح لي بعضهم بذلك قلت انني أمتنى ذلك الا أنه لا يعقل أن
 يقع الا بعد وقوع الانكليز في هوة العجز فان الدولة البريطانية الطامعة في البلاد
 العربية من مصر الى منتهى ساحل خليج فارس تهتم بأرض البلاد المقدسة
 (فلسطين) ما لا تهتم ببقعة أخرى من البلاد العربية لاسباب دينية وأدبية
 وتاريخية ومالية وجغرافية وحربية — فانها مهد المسيحية ، وميدان
 الحروب الصليبية الاسلامية ، وحيث قرر ملكها (ريكارد) قلب الاسد
 في حربه مع السلطان صلاح الدين ، وبها استمالت اليها اليهود وتمتعت بالملايين
 من أموالهم ، واجتذبتوا بسميهم الولايات المتحدة الى انقاذها من ألمانية

وبكيدهم وقعت الثورة الاشتراكية في الاسطول الالماني الذي كان مستمدا لتدمير الاسطول البريطاني ، ثم في العمال الذين ألجؤا الحكومة الالمانية الى طلب الصلح ، على حين كانت ظافرة في الحرب - وهي مع ذلك متصلة بمصر وبالبحر الاحمر - فاذا كان لهذه البلاد كل هذه المزايا وترى بريطانيا العظمى أنها قد فتحتها فتحة أخذت به ثأر قلب الاسد والصليب واستخدمت في فتحها من المسلمين المحاربين الهنود - ومن العمال المصريين - في مد السكك الحديدية وأنابيب المياه وسائر الاعمال الحربية أضعاف من استخدمت من البريطانيين المسيحيين كما أنها استعانت على هذا الفتح بنفوذ شريف مكة وأولاده وأنصارهم من الحجازيين والعراقيين والسوريين ، - واذا كانت جيم الكنائس البريطانية قد احتفلت بهذا الفتح الديني وافتخرت به - واذا كان وزير بريطانيا الاكبر قد صرح في مجلس أمتهم الاعظم بأن هذا الفتح خاتمة الحروب الصليبية - أي لا يرجى أن يكون بعده للمسلمين دولة قوية عزيزة تحارب في هذه البلاد بل ولا في غيرها - أرأيت مع هذا كله تسمح بريطانيا العظمى بخسارة بأن تكون هذه البلاد مستقلة تابعة لدولة عربية ذات ا كثرية اسلامية ساحقة فتترك هذه المزايا راغبة عنها ، وتغضب النصرانية في بلادها وسائر أوربة وأمريكا ، وتنفر اليهود وهي في أشد الحاجة اليهم في تعزيز مالياتها والثقة بها ؟ وماذا تفعل هذا ؟ لأجل فضيلة الوفاء للعرب ؟ أم لأجل ما يعتمد عليه ملك الحجاز من « الحسيات النجيبة البريطانية » ؟ ؟

الانكليز أقدر من خلق الله من الانس والجن على الخداع فكيف وقد عززم فيه خداع اليهود وكيدهم ، ومن العجيب ان قد فضحت عواقب هذه الحرب كيدهم وخداعهم ومع هذا نرى أجدر الناس بالحذر من هذا الخداع لا يزال الكثير منهم مخدوعين

ومن أساليب الخداع الانكليزي الخفية ما سبق موقظ الشرق وحكيمه السيد جمال الدين الى بيانه منذ عشرات من السنين : اذ قال لا يظلم الانكليز قوماً الا ويقوم افراد منهم يرفعون اصواتهم في الصحف وعلى مقاعد مجلسي النواب والاعيان باستنكار ذلك الظلم وعدل حكومتهم عليه ومطالبتهم بإيها برفعه ، لأجل ان تظل آمال المظلوم معلقة بهم ، لا يطلب العدل والرحمة الا من قبلهم ، ومن آفات هذه الخدعة انها تصرف المظلومين عن مقاومة الظلم بما آتاهم الله من

القوى الذاتية وبسائر الوسائل التي تهديهم اليها سنن الله في الاجتماع البشري وتدعهم متكئين على خصمهم متوهمين انهم يجدون من قومه عوناً لهم عليه ، ويحذرون ان يغضبوا ذلك العون الموهوم لئلا يخسروا عطفه ، وكل مقاومة لحكومته لا بد أن تغضبه .

هذا ما كان من رأي السيد الحكيم في انتصار بعض رجال الانكاز لمن تظلمهم حكومتهم ، وهو واقم ولكنه غير مطرد ، وغرضه منه التحذير من الانخداع ، ولم يبق ذوبصيرة ينخدع بعهودهم ووعودهم الرسمية بعد ما أظهرت عاقبة هذه الحرب من نكثهم واختلافهم فيها ، فكيف تنخدع بقول بعض الافراد وكتاب الصحف غير المسؤولين وان قالوا ما قالوا لمخالفتهم للحكومة في الرأي ، أو انتصارا لبعض الاحزاب على بعض ؟ ولكن من الناس من تنفتح عين بصيرته إلا بعد طول التجربة بنفسه . وقد أطلنا في هذا الاستطراد اشدة الحاجة اليه في هذا الوقت ، ولا نحسب الا أن الوفد العربي الفلسطيني قد انتهى أو ينتهي في جهاده في لندن الى معرفة كنه هذا الامر ، وأنه أفاد في إطلاع كثير من خواص الشعب البريطاني على خطأ حكومته في المسألة الصهيونية

اختلاف نظريتي الاتحاد السوري والوفد الفلسطيني

دارت المذاكرة بيننا وبين أعضاء الوفد الفلسطيني على مقاصد المؤتمر وغايته واسمه فذكرناهم بأن دعوة حزب الاتحاد السوري الى عقد المؤتمر مبنية على قواعده الاساسية في استقلال البلاد السورية ووحدتها وشكل حكومتها وأن لا مندوحة عن تسميته بالمؤتمر السوري الاول ، فقالوا ان الدول قد فصلت بعض مناطق البلاد من بعض ووضعت لكل منها اسما فاذا أطلق اسم سورية الآن لا تدخل فلسطين في مسماه فنتترح أن يسمى المؤتمر السوري الفلسطيني بل نشترط ذلك ، فقبلنا بعد جدال طويل . وقالوا أن الوحدة السورية قد تتعارض مع الوحدة العربية التي يطلبها أهل فلسطين ، واذا استقامت فلسطين دون سورية أو قبلها كما ينتظر — فان ارتباطها بالوحدة السورية يكون ارتباطا ببلاد غير مستقلة فينافي استقلالها ، فلا بد اذا من طلب الوحدة العربية أو طلب الاستقلال لكل من سورية وفلسطين على حدة ، فعز هذا الطلب على الامير ميشيل لطف الله لانه رآه هادما لاساس حزب الاتحاد السوري فلم يقبله ، فوقع الخلاف ، وطال فيه الجدل ، وكان الامير شكيب في مقام التوفيق والجمع بين الرأيين ، وذكر

في هذا المقام مسألة لبنان ، وان من أهله من سبقوا الفلسطينيين في رفض الاتحاد مع سائر سورية ، وكنت أنا حريصا على ارضاء كل من السوريين واللبنانيين وجعل المقصد الاهم جمع كلمة الجميع على الحرية والاستقلال التام الناجز وتقويض أمر الوحدة الى الرأي العام في الشعب بعد أن يصير أمره بيده ، وأرى أن هذا ليس ناقضا لاساس حزب الاتحاد السوري لان له أن يظل يسمى الى اقناع الشعب برأيه في وجوب الوحدة والشعب هو صاحب الرأي الاخير في شكل حكومته ووحدة البلاد وعدمها ، وأن مطالب الاحزاب والمؤتمرات لا تقيده بما لا يقتنم به

وبعد طول البحث والمناقشة اتفقنا على الاساس الذي بنينا عليه أركان مطالب المؤتمر التي وضعناها بعد ذلك في النداء الذي وجهناه الى جمعية الامم ومنها رفض الانتداب على كل من سورية وفلسطين ولبنان وما يلزمه من اخراج الجيوش المحتلة لها منها . وكنا نخشى أن يعارض الفلسطينيون في هذا ، لا لانهم يقبلون الانتداب ويرضونه — حاشاهم الله من ذلك بصدق ووطنيتهم واخلاص عقيدتهم — وانما قيل ان من سياسة وفدهم في أوربة السكوت عن الانتداب والحملة على وعد بلفور بالوطن القومي لليهود عسى أن يستميلوا اليهم كثيرا من البريطانيين الذين يكرهون أن يكون لليهود نفوذ ممتاز في مهد النصرانية — ولكن موضع هذه السياسة لندن لا جنيف وقد رضي أعضاء الوفد كلهم برفض الانتداب ولله الحمد

أقول « كلهم » تسجيلاً لهذه الفضيلة لكل فرد منهم اذ من المعلوم المعروف أن ما تقرره الجماعات بالبحث والتشاور لا يكون كله باجماع منهم بل بعضه يكون باتفاق الرأي وبعضه بترجيح رأي الاكثرين على الاقلين وان كان ينسب الى الجميع لانهم بتضامنهم يعدون كالشخص الواحد ، وههنا أقول إن المطالب المدونة في نداء المؤتمر الآتي كلها متفق عليها بين الاحزاب وافرادها وانما كان الخلاف الذي هو ضروري في أمثال هذه المجامع محصورا في بعض المسائل الجزئية ، أو في العبارة التي تؤدي بها في لغتنا العربية أو تنقل بها الى اللغة الفرنسية . مثال ذلك في الجزئيات الثمول بأن لبناناً كان مستقلاً منذ أربعة عشر قرناً ، هو قول أخذ من مذكرة زميلنا سليمان بك كنعان عضو مجلس ادارة لبنان والموكل من قبل ألوف من أهله ، وأنا أول منكر لهذه الدعوى على التاريخ ولكن الاكثرين رأوا العضو اللبناني الذي نعده زكناً

من الاركان متمسكاً بهذه الدعوى فوافقوه عليها لانها لا تنقض شيئاً من مقاصدنا
الجلسة الاولى للمؤتمر وانتخاب الرئيس

بعد الاتفاق على أساس مقاصد المؤتمر واسمه عقدنا الجلسة الرسمية الاولى (في
٢٧ اغسطس) وكان في أول ما وضع من برنامجها في الجلسة التمهيدية أو التحضيرية
انتخاب الرئيس ونائبين له الخ وكنا قد تحدثنا قبل الجلسة في مسألة الرئاسة واتفق
المسلمون منا على انتخاب الامير ميشيل لطف الله لعدة أسباب (أهمها) ثبات
التكافل والتضامن الوطني بيننا في المسائل الوطنية العامة بحيث يتفق على ذلك
جماعة منهم يكبرونه في السن منهم الامير العريق في مجد الامارة التليد ،
المزین بمجد البراعة في السياسة والادب الطريف — كلاً مير شكيب ارسلان —
والوجيه الزعيم في وطنه بصفاته الذاتية ومجده أسرته — كالحاج توفيق بك
حماد — وكذلك احسان بك الجابري ومكانته في أسرته من وجهاء حلب وفي
شخصه ومناصبه معروفة — والعالم الديني ذو النسب النبوي كصاحب المنار
ومنها اننا كلنا نعترف بأن الامير ميشيل ليس له من المنافع في استقلال
سورية مثل ما لنا ولا مثالنا ممن لهم في البلاد أهل وأملأك وأوقاف — ولا عليه
من المضار في عدم استقلالها مثل الذي علينا وعلى أمثالنا — فكان فضله في
انجهد النفس وبذل الوقت والمال في سبيل استقلالها أكبر من فضل غيره من
الساعين الى ذلك ، وناهيك بأكثر أغنياء البلاد الاشحة بالبخل الاندال ،
الذين لا يعملون ولا يساعدون الغاملين ببذل قليل من المال ،

هذا الاتفاق على الرئاسة منعنا أن نجعل الانتخاب مريباً بورق يكتب ولما
صرح بعضنا به وافق الآخرون بالإجماع ثم اقترح بعضهم ان يكون كل من
صاحب المنار والحاج توفيق بك حماد نائبين رئيس والامير شكيب الكاتب العام
(السكرتير) فوافق الاعضاء على ذلك بالإجماع واختير توفيق افندي اليازجي
مساعداً ، للسكرتير ، ثم وقف الرئيس فشكر للاعضاء ثقتهم به وانتخابهم اياه
بعبارة يزينها ما عهد فيه من الادب والتواضع ، ثم انعقدت الجلسة وانتخبت
اللجان للعمل ، وتوالت بعدها الجلسات

ولما كان المؤتمر قد قرر ان تدون اعماله في كتاب خاص يطبع نكتفي بهذه الخلاصة
من خبر تكوينه ونقفي عليها بنشر النداء الذي وضعه في عدة جلسات ووزعه على
رئيس جميع الامة واعضاؤها وارسله الى وزارات دولها والدول غير الممثلة فيها والى
جرائد سورية واشهر جرائد العالم — ليحفظ اثره تاريخياً في مجلتنا وهذا نصه :

(نص النداء الذي قدمه المؤتمر الى المجمع الثاني العام لجمعية الأمم)

جنيف في ٢١ سبتمبر ١٩٢١

الى سعادة هـ . ا . هـ فان كارن بك رئيس المجمع الثاني العام لجمعية الامم
والى حضرات مندوبي الدول في هذا المجمع
يا حضرة الرئيس ويا حضرات الاعضاء

اننا نحن الموقعين أدناه ممثلي الاحزاب والفرق السياسية في سورية ولبنان
ومعتمدي أهالي فلسطين من المسلمين والمسيحيين الناطقين بلسان أهالي هذه
البلاد نتشرف بان نلجأ الى سلطة جمعيتكم العليا باسم المؤتمر السوري الفلسطيني
المنعقد الآن في جنيف في بسط الحالة السيئة التي آلت اليها امتنا واستمداد
معاونتكم لها بجعل حقوقها محترمة ومعترفا بها

تقرع باب جمعيتكم واثقين بالمبادئ التي كانت أساساً لبناء جمعية الامم،
والتي أتمشت في جميع الاقطار آمالاً مشروعة، ألا وهي احترام القوميات وحق
الامم في تقرير مصيرها، واقامة العدل ومراعاة الشرف في العلاقات الدولية،
ونبذ سياسة الفتع، والدقة في رعاية اليهود في الصلات المتبادلة بين الشعوب المنظمة
نلجأ الى جمعيتكم عالمين أنها بموجب الخصائص التي خولها إياها عهد جمعية
الامم الموقع عليه في فرساي في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ مرجع لقضيتنا هذه
ولها فيها حق النظر والحكم وفقاً لروح هذا العهد

ان سورية وفلسطين ولبنان تسألکم بادئ بدء الالتفات اليها والاعتراف
بحقها في طلب الاستقلال التام المطلق بمقتضى القواعد العامة لحقوق الشعوب
واليهود الخاصة المقطوعة لها في السنوات الاخيرة

ان الحرب الطويلة التي وضعت أوزارها وأنجبت جمعية الامم كانت صراعا
بين فكرتين — فكرة القوة والغصب وفكرة الحق والحرية — فالامم التي كانت
تقاتل تحت لواء الحق وضعت مبدأ استقلال الشعوب في طليعة مقاصدها من
الحرب وكان كبراء رجال الامم المتحالفة يعلنون واحدا بعد آخر على منابر
مجالسهم النيابية أن الحرب لن تؤدي الى فتوحات جديدة أو الى ضم أقطار
(المنار : ج ٦) (٥٧) (المجلد الثالث والعشرون)

جديدة، وإنما يجب أن تسفر عن ظفر الحضارة واستقلال الشعوب ولقد مسمع الشعب السوري هذه التصريحات فتقبلها بثقة تامة، وخاصة ما يضمن منها للشعوب الخاضعة لسلطة التركية السلامة التامة لحياتها وحرية الارتقاء بدون عائق (مواد الرئيس ولسون الاربع عشرة)

فالشعب السوري المؤيد بهذه التصريحات يمتد الى الامم بتاريخ ومقومات تؤهل أن يطالب بالاستفادة من تلك التصريحات وبالاعتراف بسيادته وفقاً للمبادئ التي كان لها الفوز

واذا كان تعريف الامة — هو كما قرر كثير من كبار المشترعين — مجموع أفراد من عنصر واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة أولى إرث تاريخي شامل عام وشعور بارادة تأليف جماعة سياسية واحدة فان سورية اذاً أمة واذا كان تحديد القومية هو الشعور بأخوة متينة واشجة المروق وحب متوارد لمسقط الرأس فالامة السورية هي ذات شعور قومي

ان وحدتي السلالة واللغة مؤكدتان بكون السحنة واحدة في جميع البلاد وبكون اللسان العربي لسان الجميع. والغرباء الذين في البلاد لا يتجاوزون واحداً في المائة، كما ان الحضارة العربية هي السائدة في البلاد وهي احد فروع شجرة المدنية الذي كان مع الفرعين اليوناني والروماني أصل الهيئة الاجتماعية الحاضرة وسبب ازدهارها. ثم انها لم تقف في سيرها: فالتعليم العربي منتشر في جميع البلاد بعشرات من المدارس العليا ومئات من المدارس الثانوية وألوف من المدارس الابتدائية، وهناك مدرستان جامعتان و ٦٢٠ مدرسة مختلفة الدرجة من مؤسسات الاجانب تضم مجهوداتها الى عمل المدارس الوطنية. وكان نحو من مائة جريدة تصدر في أنحاء سورية الى حين انفجار الحرب العامة. ويقدر عدد القارئين والكاتبين في أكثر المقاطعات بستين في المئة. وأما الطبقة المستنيرة من أدباء وشعراء ومؤلفين وحقوقيين وأطباء ومهندسين فعدد رجالها عظيم، وكثيرون منهم نالوا شهاداتهم من أوروبا، ولهم في البلاد مركز رفيع. كما ان في البلاد جما غفيرة من الضباط المتخرجين من مدارس الحرية في الاستانة وفي أوروبا قد أثبتوا كفاءتهم في تنظيم مصالح الأمن العام. ولما جلا الترك فجأة عن البلاد قام أهالي سورية بمهمة تنظيم بلادهم المحررة وتشكلت في الحال لجان ادارية في كل ناحية فوطدت أركان النظام

والأمن العام الى أن احتلت جنود الحلفاء البلاد . ولما أُلقيت بعد ذلك متاليد الادارة في المنطقة الداخلية الى حكومة وطنية كان الأمن والنظام فيها أثبت وأتم منه في المناطق المحتلة كما شهد بذلك الاجانب الذين زاروا البلاد في تلك الاثناء

ان تراث مجد السوريين المشترك لغني عن الاشارة اليه . أية مدينة كانت أبهى وأبهر من حضارة عصر عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وصالح الدين الايوبي وخلفائهم . ومن ذا الذي لا يتذكر تآلق أنوارها على سواحل بحر الروم ولا يشهد تأثيرها العالق بناصرية الحمراء وبقباب كنائس بلرم (صقلية) الى اليوم . ولا يمكن انكار ما في شعبنا من الكفاءة السياسية والادراك السياسي حتى ان حياتنا الاقليمية وتقاليدها المحلية ظلت باقية لنا في عهد الحكم التركي نفسه

وفي سنة ١٩٠٨ اعلن الانتخاب العام (في السلطنة العثمانية) فتمتع السوريون بجميع حقوقه فكان عدد نواب العرب في الندوة العثمانية يتجاوز ثلث اعضائها وكان لهم دور مهم في جلساتها وفي لجائها . وكانت سورية قبل الحرب تقوم بنفقات ادارتها بل كانت الضرائب التي تدفعها تزيد عنها فتفيض على ميزانية السلطنة العامة

ان شعور سورية القومي لم يزل ينمو منذ اوائل هذا العصر ، وكانت الدعوة اليه تبث بنشاط من قبل الصحف والجمعيات الوطنية ، وقد جاد فريق كبير من كبراء البلاد بأرواحهم على مشائخ الترك تكفيراً عن جرم التفكير في استقلال وطنهم

وان القومية السورية متجلية فيما وراء الحدود والبحار أيضاً فهناك جاليات سورية عديدة منتشرة في جميع القارات ولا سيما في العالم الجديد ولها صحفها وجمعياتها وأنديةها

وعند نشوب الحرب أعلن جلالة الملك حسين الاول استقلال العرب بالاتفاق مع معظم الجمعيات السياسية في سورية ، ومنذ سنة ١٩١٦ قامت القوات العربية بمساعدة الانكليز على هدم السلطنة التركية

وكان المقسالة من العرب واثقين بأنهم يسمون لاستقلالهم لأن الحلفاء كانوا يعلنون انهم يكافحون دفاعاً عن حقوق الشعوب ولم تكن آمال هؤلاء

المقاتلة مبنية على تصريحات رجال السياسة فقط بل على الوعود الصريحة التي قطعها للملك حسين السر هنري مكماهون العميد البريطاني في مصر باسم انكايذة احدى دول الحلفاء سنة ١٩١٥ وقد ضمنت هذه الوعود الاعتراف باستقلال بلادنا . فكل تلك الوعود والدماء التي أهرقت في سبيل الغاية المشتركة كانت تعزز الامل بانشاء دولة سورية قائمة على النظام والحرية والسلام ولكن لم يتم لسوء الحظ شيء مما كنا نؤمله حتى ان لبنانا الذي كان يتمتع باستقلال ذاتي تام تضمنه الدول العظام قد سلب منه استقلاله — فطفق الشعب السوري ينظر الى ماضيه والخيبة ملء فؤاده

ولم تمر بضعة شهور على اليوم الذي ضمن فيه السر هنري مكماهون للعرب استقلالهم السياسي حتى عقد اتفاق سري بين مسيو جورج بيكو المندوب الفرنسي والسر مارك سايكس ممثل الحكومة البريطانية ظل اصحابه ينكرونه على ما كان من تنبئته في ٩ مايو سنة ١٩١٦ برسائل تبودلت بين مسيو بول كامبون والسير ادوارد غراي — هذا الاتفاق قضى على وحدة سورية وشطرها الى منطقتي نفوذ احدهما فرنسية والاخرى انكليزية ، وهو يسلب الحكومة العربية حريتها الاقتصادية بما أعطى للدولتين المتعاقبتين من حق الاولوية في المشروعات والقروض والسكك الحديدية . وشرع لأمم مناطق الساحل ادارات فرنسية وانكليزية تتولى الامور مباشرة أو بشكل حماية حقيقية على الأقل

وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر تصريح من الحكومة البريطانية بوعد اليهود في فلسطين بامتيازات لا تتفق مع حقوق اصحاب البلاد ثم إنه بعد التوقيع على معاهدة فرساي وعهد جمعية الامم في شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ وقع التواطؤ بين المستر لويد جورج والمسيو كليمانصو على ما يؤيد اتفاق سايكس — بيكو، وعلى قسمة سورية نهائيا الى مناطق غريب بعضها عن بعض (انظر الملحق رقم ٢)

وان الامور التي جرت على أثر هذا الاتفاق والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد قد حققت وبالأأسف كل المخاوف التي أحدثها هذا الاتفاق على اننا نريد أن نوجه نظركم قبل كل شيء الى كون سورية التي هي أمة حقيقية وقد وعدت بالاستقلال تستحق بأن تطالبكم بالاعتراف بسلطانها القومي واستقلالها

ان المادة الثامنة والعشرين من عهد جمعية الامم تنص على « ان بعض الجماعات التي كانت من السلطنة العثمانية في ماسبق قد بلغت درجة من الارتقاء يمكن أن يعترف معها مؤقتاً بكونها أمة مستقلة على شرط أن تسترشد ادارتها بنصائح ومساعدة تستمدّها من دولة منتدبة الى أن تصبح أهلاً للسير وحدها »

فبهذا النص قد وضع بعض الجماعات تحت الانتداب وأما الجماعات الأخرى — كالحجاز وأرمينية مثلاً — فقد اعتبرت بالغة درجة كافية من الارتقاء تغنيها عن دولة منتدبة

الا ان سورية أيها السادة تقيم لكم الدليل على رشدّها السياسي وحقها في السيادة تجنباً للانتداب كآرمينية والحجاز، فهي بما أهرقته من دماء خيرة أبنائها وبمظاهرها مدنيّتها الموروثة خلفاً عن سلف وبارتقاء تنظيماتها السياسية المحلية والايالية وبانتشار تجارتها وصناعاتها — قد أثبتت انها أمة رشيدة قد بلغت أشدّها وأهليّتها للحرية فنطلب منكم أن تعلنوا في جمعيتكم بمقتضى الحق الذي لا يمكن أن يماريكم فيه أحد تحرير أمة حقيقية من انتداب لا فائدة منه

— ٢ —

نوجه اليكم هذه العريضة بأصدق عزيمة وأرسخ ايمان بأنكم سترون من الوقائع التي نبسطها لكم ما يجعلكم تعرفون الى أيّ حد قضى الانتداب الذي ينفذون حكمه فينا على استقلالنا وكيف أصبح يهوي بنا الى دركة مستمرة من مستعمرات المنتدبين علينا

جاء في الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين التي تعين حدود الانتداب المختص بالجماعات العثمانية ما يأتي :

(١) ان هذه الجماعات قد بلغت درجة من الارتقاء يصح معها الاعتراف بكونها أمة مستقلة

(٢) ان مهمة المنتدب قاصرة على المساعدة والنصح

(٣) ان رغائب الجماعات يجب أن توضع أولاً موضع الاعتبار عند اختيار الدولة المنتدبة

وسترون كما نرى ان هذه القيود المعينة في الانتداب لم يحترم شيء منها

وان استقلالنا ليس سوى لغو من القول
لقد قسمت بلادنا الى مناطق كما ذكر آنفا عملاً بمعاهدة سايكس - بيكو
المؤيدة باتفاق لويد جورج وكليمانسو في سنة ١٩١٩ فأخذ الانكليز فلسطين
والساحل الفلسطيني وأخذ الفرنسيين ساحل سورية الشمالية واحتفظ الامير
فيصل بالمنطقة الداخلية - فاسفرت هذه الوقائع عن إحراج صدور الاهلين
والتأم في دمشق مؤتمر سوري عام في شكل مجلس مؤسس يتألف من مندوبين
انتخبوا من المناطق الثلاث - وقد عقد هذا المؤتمر برغبة الرأي العام الشديدة
جلسة عامة وأعلن بالاتفاق مع الزعماء السياسيين والرؤساء الروحيين من جميع
الملل والنحل في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية التام بمحدودها الطبيعية
اي مع فلسطين ولبنان ونادى بالامير فيصل ملكاً دستورياً على البلاد وانصرف
الى سن القوانين وتنظيم الحكومة الوطنية التي كان لديها ممثلون للحكومات
الاجنبية . على أن هذه السيادة على المنطقة الداخلية ما لبثت أن انتزعت في
صيف سنة ١٩٢٠ كما تعلمون

بعت الجبهة الغورو بانذار نهائي الى الملك فيصل في ١٤ يولييه سنة ١٩٢٠
طلب منه فيه حل جيشه وقبول سلطته بلا قيد ولا شرط فلرغبة الملك في
اجتناب سفك الدماء قبل شروط الانذار على شدة المعارضة من المؤتمر والشعب
ولكن الجنرال غورو انتحل لنفسه حجة نافية للزحف بجيوشه على دمشق
واحتلالها ففعل ولم يلبث أن عقد محاكم عسكرية حكمت حكماً غيائياً بالاعدام
على ستة وثلاثين شخصاً من الوطنيين بدعوى التواطؤ مع العدو ، وفرض
على البلد غرامة حربية تدفع ذهباً وطقق يتصرف في البلاد بعد ذلك تصرف الفاتح
وفي ١٠ يولييه سنة ١٩٢٠ اعتقلت السلطة العسكرية الفرنسية أعضاء
مجلس لبنان الاداري المنتخب من الشعب اللبناني ودفعتهم الى مجلس حربي
فرساوي حكم عليهم بالنفي بسبب قرار أصدره ذلك المجلس اللبناني في ٩
يولييه سنة ١٩٢٠ طلب فيه المحافظة على استقلال لبنان وحياده العسكري
و ضمان الدول له . وعلاوة على ذلك أصدرت السلطة الفرنسية أمراً بالغاء
هذا المجلس فقضت بذلك على نظام التمثيل النيابي في جبل لبنان

وقد قسم الشعب السوري الآن الى قسمين تحت سلطة سيدين مختلفين
تتولاه ادارة عسكرية أشد وطأة من أية ادارة في أي بلاد مغلوبة في الحرب

وقد زال كل ما كان يتمتع به الاهلون من الحرية في الولايات والالوية في زمن الترك

تمنع العلم السوري ورفع على الابنية الرسمية علم وضعته السلطة الفرنسية لكل من الدول التي أحدثتها ونقشت فيه العلم المثلث الالوان . ورفع العلم البريطاني في فلسطين ، واشتدت وطأة القسوة والارهاب عقابا على أبسط الأحداث ، وترون في الملحقات المربوطة بهذا مثالا من المعاملات الجائرة التي يعامل بها أهالي بلادنا

يخيل الى الانسان انه في حلم عند ما يسم الجبال غورو يصرح بأنه يوطد الوصاية بالدم ، وعند ما يرى ست قري و ١٧ مزرعة تدمر بسبب اعتداء شخصي (انظر الملحق الاول)

وأما ما كان في الامور التجارية والمالية فخيرات البلاد تستنزف بدون وازع . وثمة جيش من الموظفين يغلب في رجاله أنهم أقل كفاءة ودراية من سكان البلاد يسومون الاهالي أنواع الخسف (انظر الملحق الثالث) والمندوب السامي يحاكم بأمره بيده أوسع سلطة ، والذين أرادوا القدوم الى أوروبا من أهل وطننا طلباً للعدل حرموا حرية السفر

نذكر لكم بمنتهى الحزن هذه الوقائم التي أنتجتها إرحاء العنان لإدارة عسكرية مطلقة اليد ونغتتم هذه الفرصة لتوجيه نظر مندوبي الدولتين المحتلتين اليها

ان لنا من عظيم الثقة بالشعبين الفرنسي والانكليزي اللذين دافعا عن حرية الشعوب في اليونان وايطاليا وبلجيكا والبلقان ما لا يجعل لنا سبيلا الى الظن بأن الرأي العام فيهما لا يعطف علينا نفس ذلك العطف عندما يقف على الحقيقة نبسط هذه الوقائع لعصبة الامم فهي تقترف باسمها ولا شك أنكم تأبون أيها السادة المندوبون أن يستعبد شعب بأسره باسم مقاصدكم السامية وباسم أوطانكم وباسم انتدابكم . العهد ناطق بأن مهمة المنتدبين قاصرة على المساعدة والمشورة ، ولم يكن في التصور أن يدخل في معناه إكراه أمم مستقلة على الخضوع لمثل نظام المفوضية السامية المطلقة في التصرف بسلطة مماثلة لسلطةناكم في مستعمرة ان أحد المؤلفين المرتابين في عاقبة نهمكم قد عرف الانتداب في كتاب حديث وضعه في حقوق الدول (مارسل موان - سراسي - باريس ١٩٢١)

صفحة ٧٢) فقال «هو مظهر من أخاديع السياسة الدولية يقصد به التلبيس في الاستيلاء على مستعمرة مشتبهة»

ولكن في نفوسنا من الاحترام لسمو الغاية التي تتوخاها جمعية الامم ما لا يفسح لنا مجالاً للاعتقاد بأنكم لا تقنطرون هذا التعريف المغيب الذي طالما تشدق به شر خصوم جمعية الامم

ان السلطة التي تستمدونها من المواد ١١ و ١٢ و ٢٢ من عصبة الامم تخولكم أن تأخذوا قضية بلادنا هذه في أيديكم وتسيروا بها في سبيل الحق نتشرف بأن نلجأ الى سلطتكم العليا لنتطلب منكم أن تجعلوا الدفاع عن حقوق لبنان واستقلاله تحت حمايتكم فهو مهدد بنظام الوصايات المذكور في المادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم ومهدد أيضاً بالاسلوب الجائر الذي تقسره الدولة المنتدبة نصوص الانتداب

لقد كان لبنان منذ ١٤ قرناً وحدة سياسية مستقلة متمتعاً بسيادته التامة وكانت الحكومة العثمانية كلما حاولت تحديد حقوقه تبوء بالفشل المبين ففي سنة ١٨٤٢ جربت تركيا وضع عمر باشا مندوباً سامياً فاضطر الى الرجوع بعد قدومه ببضعة اشهر وهو الموظف الوحيد الذي رآه لبنان حتى سنة ١٨٦١

وتجنباً لاتفراد احدى الدول العظمى في التحكم في لبنان وضع المجمع الاوربي الدولي سنة ١٨٦١ نظاماً اساسياً له تقرر فيه مبدأ سيادته وحكمه الذاتي وهذا النظام مؤسس على النقاط الآتية

١ — الاستقلال الاداري والاقتصادي

ب — الحياد السياسي

ج — ضمان الدول له

د — سيادة تركيا الاسمية

ثم أن سيادة تركيا زالت بعد الحرب فلم يبق بد من أن تكون للبنان سيادته التامة مؤسسة على المبادئ الثلاثة الاولى المذكورة آنفاً، ولكن لم يكن شيء من هذا القبيل ويا للأسف: ان استقلال لبنان قد خرق باحتلال الجنود الفرنسية البلاد احتلالاً عسكرياً وخرق بتحكم الادارة الفرنسية في جميع شؤون البلاد

وهذان الخرقان من الاعمال القاضية على نظم لبنان الاساسية المحترمة
من جيم الدول الى هذا العهد

— ٣ —

ثم اننا نوجه نظركم الى اعطاء الحكومة البريطانية عهداً لليهود في ٢ نوفمبر
سنة ١٩١٧ بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين وهذا العهد قد تكرر في المادة
٩٥ من معاهدة سيفر المعقودة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٢١
ان هذا العهد مخالف لحقوق الامم ولا يتفق مع الوعود التي نالها الشعب
العربي من السير هنري مكماهون المندوب البريطاني باسم الحلفاء
كان الشعب السوري مستعداً دائماً لمقابلة الاجانب بحسن الوفاة ولكن
لا يجوز اكرام العرب أصحاب البلاد منذ أجيال على اعطاء اليهود وطناً قومياً
في فلسطين (أنظر الملحق الثالث)

كان اليهود قبل عشرين قرناً قد ملكوا بين غيرهم من الشعوب قسماً من
فلسطين فهما يكن قدر ما نالته الحضارة من اليهود فليس تمت مشروع ضليم
يجرأ على الادعاء أن تملكاً زال منذ عهد الامبراطور تيطس يخول سلائل
أصحابه الاقدمين حقوقاً ضد الوطنيين أصحاب البلاد الشرعيين الآن ؟
فاذا فتح الباب لمثل هذه الدعوى فالى أين المنتهى ؟ ألا يجب عندئذ أن يسمح
للعرب باسترجاع الاندلس واليونان باستعادة سيراكوسة المدينة اليونانية
في عهد أرخميدس ؟

— ٤ —

فالمؤتمر السوري الفلسطيني يطلب اذاً منكم أيها الرئيس والاعضاء
الكرام ما يأتي =

- (١) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان ولقاسطين
 - (٢) الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة
- أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في
شكل ولايات متحدة (فيدراسيون)

(٣) اعلان إلغاء الانتداب حالا

(٤) جلاء الجنود الفرنسية والانجليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

(٥) إلغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين.

فاذا لم يكن لدى عصبة الامم الاستنارة الكافية وأرادت أن توقن أن ما بسطناه هو رغائب الشعب الحقيقية فنحن نرجوها أن ترسل الى سورية ولبنان وفلسطين لجنة تحقيق ذات سلطة كافية لتتمكن من اجراء تحقيق نزيه . وأن يعطى أهالي سورية من جمعية الامم ضمانا بأن يكونوا آمنين من انتقام المحتلين واضطهادهم اذا أبدوا آراءهم بحرية ، وذلك بأن تأمر بجلاء الجنود التي تضغط على الاهالي . وتفضلوا أيها السادة الرئيس والاعضاء بقبول فائق احترامنا من الامير ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري ومندوبها

رئيس

رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق . ونائب رئيس

السيد رشيد رضا

الاتحاد السوري ومندوبه

نائب رئيس

مبعوث سابق — رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس (فلسطين) مندوب المؤتمر الفلسطيني الممثل الاهالي المسلمين والمسيحيين

الحاج توفيق حماد

نائب رئيس

الامير شكيب أرسلان

مبعوث سورية سابقا — مندوب حزب الاستقلال العربي

سلار تبر عام

عضو مجلس لبنان الاداري

عضو سليمان كنعان

سكرتير سابق لسلطان تركيا — رئيس سابق لبلدية

حلب ولتشرىفات البلاط السوري — مندوب حزب الاستقلال العربي

عضو احسان الجابري

عضو في الوفد العربي الفلسطيني ومندوبه — مستشار رئيس الوزارة في دمشق سابقا — مفتش ملكي في السلطنة العثمانية سابقا

» أمين التميمي

رئيس اللجنة الفلسطينية بمصر ومندوبها

» وهبه العيسى

مندوب الوفد العربي الفلسطيني وكرتيره وأحد أعضائه

» شبلي الجمل

مندوب حزب الاستقلال العربي

» رياض الصلح

» » » »

» نجيب شقير

صلاح عز الدين عضو مندوب الجمعية السورية الوطنية في بوسطن
طعان العماد » الحزب الوطني العربي في الأرجنتين
جورج يوسف سالم » حزب تحرير سورية في نيويورك
توفيق اليازجي » » استقلال سورية ووحدةها في سانتياغو (شيلي)
(المنار) صرفنا النظر عن نشر ملحقات هذا النداء في الرحلة وقد طبع مع
على حدة ووزعت مجاناً

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصايب ومخصة ونفي

مجاهدات ومجاهدات شاهد عيان ، هو الامير شبيب أرسلان



ولنعد الآن الى اكمال حديث المجاعة : لا يسعني ان أحصي المساعي التي
سعيناها لاجل جلب الاقوات اللازمة من الداخل الى لبنان والساحل ، وفي هذا
المعنى لا بد ان تكون برقياتي أيضاً مسجلة في دفاتر التلغراف ، ثم لما جاء بطريقك
الموارنة الى صوفر للسلام على جمال باشا ، وهذا أبدي له مزيد الحفاوة ، وكان معه
المطران بولس عوادور هط من أعوانه — تكلمت مع جمال أمامهم بما يتهدد البلاد
من الجوع — وكان الشيء على أوله — وكان كلامي بصراحة تامة ، فشكر لي
البطريق فيما بعد هذه المهمة كثيراً . ثم اني لما رأيت علي منيف بك متصرف
لبنان قد أسس في الجبل عدة ملاجيء لا طعام الاولاد وهياً لها لوازمها وكانت كلها
في كسروان والمثني طلبت منه المساعدة في تأسيس مثلها في الشوف ، وأسست ملجأ
في عين عنوب وآخر في مغوية بقرب شرتون وآخر في بريح ، وجمعت لها جميع الثياب
والاغطية والاكسية اللازمة من بيوت أرباب الحمية من ذوي اليسار ، وأجرى عليها
المتصرف الارزاق الكافية من ادارة الاعاشة ، وعجاش بها مئآت من الاحداث ممن

لا ملجأ لهم ، وكان نحو ٩٠ في المائة من الاولاد الذين عاشوا في هذه الملاجئ مسيحيين مع ان الالبسة والمفروشات جي باكثرها من بيوت الدروز ، ولكن لم تكن تشعر بهذا الفرق أصلاً ولا سيما أيام الحرب . ثم لما وجدنا الامر اشتد عن ذي قبل ، وانه لا مناص من شر هذه المسغبة الا بالاتفاق مع الحلفاء على الاذن بتسريب الاعانات من طريق البحر ، راجعنا متصرف لبنان ووالي بيروت وهما راجعا الباب العالي وجرت مساع من الباب العالي لكي يغاث أهل سورية كما أغاث أهل بلجيكا وغيرها بواسطة الحلفاء فذهبت جميع مساعي الباب العالي سدى . واذا بأميركا قد أرسلت باخرة وقيل باخرتين مشحونتين أقواتاً وألبسة بناءً على إلحاح السوريين في أميركا ، ووصلت هاتان الى ميناء الاسكندرية ، وذلك في أواخر سنة ١٩١٦ وانعقدت الآمال بهما لا بل نزلت أسعار الدقيق قليلا في بيروت بمجرد اشاعة وصولهما الى نهر الاسكندرية . وتألفت في بيروت لجنة من مسلمين ومسيحيين لاجل استقبال هذه الارزاق وتوزيعها على المعوزين من جميع الطوائف ، وبات الناس يرقبون وصولها والاعناق مشرئبة والعيون محدقة نحو البحر وهذه الارزاق لاتصل . وكان مجلس النواب العثماني قد افتتح ، وتأخرت عن ميعاد الافتتاح نحو شهر بسبب اشتغالي بتأسيس الملاجئ . ثم ذهبت الى الاستانة فأول شيء عملته وقبل ان أرى أحداً من رجال الدولة هو انني قابلت سفير الولايات المتحدة ، وسألته عن سبب تأخر هذه الارزاق في الاسكندرية ، فأجابني بكون حكومته تأبى تسليم هذه الارزاق الا على شريطة توزيعها بمعرفة قنصل أميركا في بيروت ، والحكومة العثمانية تستنكف من ذلك فصددت كلامه ولكنني قلت له : ان كان مرادكم عمل الخير واجابة طلب السوريين الذين في أميركا فلا يجوز أن تتوقفوا بعامل كهذه . ثم ذهبت الى طلعت باشا أعاتبه على مثل هذه التصعيبات والعلات التي لا طائل تحتها عند ما يكون الناس يموتون جوعاً . فأجابني هذا طلب كنا طلبناه في الاول ثم بناء على إلحاح سفارة أميركا رجعنا عنه وها أنا ذا افوض اليك ان تتفق مع سفير امريكا على الشرط الذي يريده وأنا أنفذه . فذهبت الى السفير وأخبرته بما جرى فقال انه يريد مكاتبة بذلك من

المنار : ح ٦ م ٢٣ الانكليز هم الذين منعوا أميركا من اغاثة سورية ٤٦١

نظارة الخارجية ، فذهبت الى احمد نسيبي بك ناظر الخارجية وهو أخ حميد لي ، فاستكتبته الذي أراده السفير ، ثم عدت الى السفير وقالت له : هل بقي شيء الآن ؟ فقد أجبناك الى طلبك فلم يبق الا أن تأمر بارسال البواخر الى بيروت ، فقال لكن أمامنا عقبة ثانية قات : ما هي ؟ قال : نخاف من أن غواصات الالمان المنتشرة في البحر المتوسط تفرق السفن المذكورة . قلت نأني بأمر من المانيا الى الغواصات فذهبت الى سفير المانيا فون كولمان ، وحكيت له القصة فأخذني بنفسه الى الملحق البحري بالسفارة فون هومان (وهو الان المحرز السياسي الاول في جريدة دوتش الغاين تسابتونغ) وقال له : اكتب له ما يشاء ، فأخبرته بطلب سفير أميركا واستكتبته الانهاء المعجل بعدم تعرض الغواصات للبواخر المحملة أرزاقا سورية ، وبعد أيام ذهبت أسأل عن الجواب فتأخر الجواب نحو ٢٠ يوما لان البرقيات اللاسلكية اذا أرسلت الى الغواصات وهي في البحر جائلة قد يقع فيها غلط فلا بد من انتظارها حتى ترفأ الى مراسيها . فلما ورد الجواب أبلغته السفارة الالمانية الى السفارة الاميركية ، وجئت أنا أستنجز سفير أميركا وعده ، فبدلا من أن يفرح بانحلال العقدة رأيت ضجر وتبرم ، وقال لكن بقيت الغواصات النمساوية فقلت له لا يوجد للنمسا غواصات الا في بحر الادرياتيك لحماية أسطولها ولم يبق ثمة من خطر ، فقال لا بد من الامر لها أيضا فحصلنا على الامر من النمسا بواسطة سفارة المانيا ورجعنا اليه . ولكن كنت بدأت أصدق ما كان قاله لي طلعت من كون المانع الحقيقي ليس من الدولة العثمانية بل من الانكليز . فلما أخبرناه بأن العقدة الاخيرة هذه قد انحلت قال لكننا أصبحنا لا تقدر على ارسال هذه البواخر لان الولايات المتحدة قررت اعلان الحرب على المانيا فقلنا له هذه مسألة سبقت اعلان الحرب بأشهر ، على ان الحرب لما تعلن فيمكنك أن تأمر بارسال البواخر من الاسكندرية الى بيروت ، وكل ذلك يتم في يومين قبل شهر الحرب منكم على الالمان ، فلم يقتنع ، فقلنا له أنتم ستعلنون الحرب على المانيا لاعلى تركيا فلا معنى لحبس هذه الارزاق عنا بهذه العلة ونحن من المملكة العثمانية لامن المانيا فبقي براوغ ، فقلت له حولوا هذه المسئلة الى دولة متحايدة كاسبانيا أو هولاندا

فإنها مسألة انسانية لا مدخل لها في السياسة فلم يجاب بالاجاب، وعندها صرحت له بقولي : قد تحققت كون طلعت باشا هو الذي قال الحقيقة وان تركيا ليست هي المانعة لوصول الارزاق بل أنتم لا تريدون ايصالها وتحبون أن تعتذروا للسوريين الذين في أميركا بكونكم عمائم الذي عليكم وإنما تركيا وقفت سداً في وجه هذا الخير . ولكن الحقيقة ان تخفى وكنت في جميع هذه المساعي وحدي من المبعوثين السوريين لم يشاركني أحد من زملائي لا لنقص في حميتهم ومروءتهم بل لاعتمادهم على واعتقادهم بنفاذ كلامي . ثم لما قطعنا الامل من جهة أميركا حولناه نحو اسبانيا وأشرنا على ناظر الخارجية بمفاتيح سفير هذه الدولة فلم يمكن عمل شيء ثم دفعت أنور باشا أن يراجع البابا بواسطة القاصد البابوي في الاستانة فاستدعاه وقال له : ان قلة الاقوات في البلاد بسبب تطاول الحرب قد أعجزتنا عن ميرة جيشنا والاهالي معا ، وقد بدأ الجوع في سورية لاسيما في لبنان وغداً انا مات جماعات من المسيحيين نجعلون الائمة علينا، فهانحن أولاء نخبركم بالواقع ولا يصعب على الحضرة البابوية أن تنال من الخلفاء الاذن بارسال باخرة مشحونة أرزاقا كل شهر مرة لاجل نصارى سورية ولا سيما لبنان . وان احتج الخلفاء بكون المقصود هو توزيع أكثرها على المسلمين فنحن نعهد بترك التوزيع الى قاصد البابا في بيروت والى البطارقة ولا ندخل في هذه المسئلة أصلاً ، وان ظهر من أول بعثة تأتي انا مددنا يدنا الى شيء منها فعليكم أن لا تعيدوا التجربة ثم ان كان البابا لا يريد أو لا يقدر أن يؤدي ممن هذه الارزاق فانا أوذيها اليك أيها القاصد من صندوق الحرية . فشكره القاصد كثيراً وذهب وكتب الى القاتيكان فلم يرد شيء فراجعت أنور فقال لي انه فاض القاصد ولا يزال منتظراً الجواب ، ثم استدعاه ثانية فقال له القاصد قد بلغت مرجعي كل ما ذكرتم ولكن الى اليوم ما جاءني جواب . وسترون فيما يأتي السبب في عدم الجواب

عند ما ذهبت الى المانيا سنة ١٩١٧ دعني الحكومة الالمانية ان أعمل سياحة في عواصمها الشهيرة مثل هامبورغ وفرانكفورت وكولونيه ولايبزيغ ومونيخ وغيرها وأرسلت معي رفيقا خاصا من نظارة الخارجية وأبرقوا الى كل الاماكن بالاحتفاء

بنا كما يعملون للضيوف الاعزاء ، ولما وصلنا الى مونيخ أدبت لنا البلدية مأدبة عظيمة
حضرها نحو ٣٠ رجلا من وزراء الحكومة البافارية ورجال السيف والقلم ، ثم طلب
منا المسيو كرينج قنصل تركيا وهو من أعيان مونيخ أن نلقي محاضرة بحضور ملك
البافار وجمع من أعيانها وذلك في الليلة الثانية فالتقينا محاضرة في فندق (باير شرف)
حضرها الملك وكثير من رجال تلك الدولة ومن الوجوه وأرباب الاقلام وكان
موضوعها (سورية في أثناء الحرب) وقد اخترت أنا هذا الموضوع قصداً لاذكر
ما جرى فيها من أهوال المجاعة بحيث ذكرت الجرائد ثاني يوم ان الملك رق جدا
لسماع هذه المحاضرة ، ثم جاءني المسيو كرينج فيما بعد وقال لي : انه قد حدث قاصد
البابا في مونيخ وهو من مشهوري الكرادلة وقص عليه ما ذكرته من كون الحكومة
العثمانية سمعت بواسطة بعض الدول المتحايدة لدى الحلفاء في جلب أقوات من
طريق البحر الى سواحل سورية ، وكون أنور باشا استدعى القاصد البابوي في
الاستانة وكلفه ان يعرض الامر الى حضرة البابا ، وانه الى هذه الساعة لم تحصل أدنى
نتيجة . فطلب قاصد مونيخ من المسيو كرينج تقريراً بذلك فجاءني وأعطيته التقرير
اللازم مفصلاً بامضائي وذكرت فيه اني أتعهد بالنيابة عن الحكومة العثمانية
انه مهما ورد من الارزاق بواسطة الحضرة البابوية الى سورية فلا تتعرض له الدولة
لا في قليل ولا في كثير ولا يتناول منه أحد من المسلمين حبة واحدة

نعم لنا من ذلك فائدتان الاولى وقاية اخواننا وأبناء وطننا المسيحيين من المجاعة ،
والثانية كون القليل الوارد الينا من الداخل والذي نتقاسمه واياهم الآن ولا يسد
حاجتنا ولا حاجتهم يصير فيه كفاية نوعاً . ثم ذكرت في هذا التقرير جملة مؤثرة ، وهي
ان الحضرة البابوية ان لم تنه نصارى الشرق في أزمة كهذه اللازمة فتمتد يرجون
إذا مساعدتها ؟

وبعد نحو ١٥ يوماً من كتابة هذا التقرير بينما انا في فندق أدلون الشهير في
برلين اذ جاءني تليفراف من المسيو كرينج ينبي فيه بورود جواب الفاتيكان ، وان
مآله سيرد علي في كتاب مضمون . ثم لم يلبث ان ورد الكتاب وهو من المسيو
كرينج نفسه يذكر فيه ملخص ماورد من الفاتيكان على قاصد مونيخ من الجواب

على تقريره حتى انه يضم بعض العبارات بين قوسين اشارة الى انها هي الواردة بعينها من الكرسي البابوي . ومآل الكتاب ان البابا سعى من قبل مراراً وكرر السعي هذه المرة ولكن دولة . . . (وأشار الى احدى دول الحلفاء) لا تزال تعارض في ارسال هذه الاقوات الى سورية لذلك « فؤاد الاب الاقدس مجروح من خطة هذه الدولة » ثم يقول : وسيعلم مسيحيو الشرق فيما بعد ان الخبر الاعظم لم يهملهم في أزمته هذه ولكن ... الخ

واقطع اطلع بعض صحافي الالمان على هذا الكتاب فاجابوا ان ينشروه فلم أجبههم الى ذلك خشية ان أثير مشكلة ، واجعل قبلاً وقالوا بين البابا وتلك الدولة . ولكن هذا الكتاب لا يزال عندي والمسيو كرينج لا يزال حياً . وبعد اياي الى الاساتذة حررت الخبر الى لبنان ، وأتذكر انني كتبت الى الشيخ بان الخازن من وجوه الموارنة . وكلفته أن يطلع عليه غبطة البطريرك

وبالاختصار إن المسؤولية الحقيقية تقع في مجاعة سورية على أولئك الذين أبوا ادخال الاعانات الى سورية وهم معروفون وكان جل مقصدهم بذلك ان يعضوا الدولة العثمانية الى الاهالي ويجعلوهم منتظرين زوالها ومحيثهم هم ، وان يقتلوا الناس جوعاً ليقولوا ان الاتراك هم الذين قتلوهم . وأغرب من عملهم هذا ان اناسا يعتذرون عنهم باعتذار واهية^(١) ، ويزعمون أنهم لم يكونوا يقدرون على اغاثة جوع سورية ، وقد اقيمت منذئذ في برن رجال سور يامقيما بالقطر المصري يقول ان سبب عدم ارسال الارزاق الى سورية هو كون البواخر لا تقدر ان ترفأ الى سواحل سورية من الانعام . . . فليس سم الانسان هذه الاضاحيك واثأمل . وأغرب من هذا الاغرب ان اناسا يعرفون الحقيقة ويكتمونها ويستمرّون على نعمة ان الاتراك هم سبب المجاعة وان الحلفاء أرادوا رد سورية ولا تترك رفضوا . وقد بلغ الامر من تضيق الحصر البحري على سورية ان بعض السوريين بمصر جمعوا إعانات مقدمة لارسالها الى سورية وحيل بينهم وبين مشروعهم وهذا أيضا معروف بمصر مع انها نقود لا حبوب . ويقال ان الفرنسيين كانوا يرسلون دراهم خفية الى الموارنة من جزيرة ارواد ولكن الذي

كان يعوزهم هو القوت بعينه لا الدرهم، فان الدولة كانت تتعهد بدفع ائتمان جميع الاقوات بشرط وجودها، فكان على الفرنسيين ان يفرغوا باخرة مشحونة طعاما ذلك خير من ارسال حجارة رنانة لا تؤكل

هذا ما عندنا من الادلة والبراهين على كون المجاعة هي ناشئة عن الحالة الحربية وعلى كون استمرارها نشأ عن الحصر البحري ورفض بعض الدول ايصال شيء من القوت الى الجياع. فان كان عند غيرنا أدلة على العكس فليأتوا بها بدلا من أن يتشدقوا بالاقتوال الفارغة ان كانوا يقدرون أن يثبتوا ان الدولة كان عندها في الحرب الارزاق الكافية وان المجاعة لم تشتد الا في لبنان فقط وأنه لم يموت مسلمون من الجوع كمات من النصارى بل أكثر وان مئات ألوف من أتراك الاناضول لم يموتوا - فليدلوا على ذلك بحجتهم

ان كانوا يقدرون أن يثبتوا كون العسكر العثماني نفسه قل في الآخر غذاؤه وصار الجنود يفرون بالآلاف من قلعة الطعام مع الجهد والقتال مما لا يبقى معه محل للشك بكون المجاعة ناجمة لانجوعهم - فليأتوا ببرهانهم

ان كانوا يقدرون أن يثبتوا كون الارزاق التي أرسلت من أميركا لاجل سورية وقفت في الاسكندرية ولم يكن السبب في وقفها هناك الترك بل غيرهم وكذلك النقود التي جمعت بمصر لاجل الفقراء من السوريين لم يرخص في ارسالها الى سورية - فليطونا على ذلك بيئة واحدة

ان كانوا في شك مما ذكرناه من مساعي أنور باشا مع قاصد البابا في الانتانة ومساعدتنا مع قاصده في مونيخ لاجل اغاثة مسيحيي لبنان خاصة، وكيف فشلت وبسبب من فشلت تلك المساعي؟ فليسالوا الفاتيكان نفسه

نحن عمالنا الذي عملناه أثناء الحرب من خدمة وطننا ومعاونة أبناء وطننا قياماً بواجب الانسانية والوطنية لا نريد من أحد جزاء ولا شكورا - ولم نكن نتصور ان نساق في يوم من الايام الى التلويح أو الالماع بخدماتنا هذه لانه لا يوجد شيء أسمى من عمل الخير والمن به - ولكن أبى حسد الحساد وبغض الذين في قلوبهم مرض الا أن يحملونا بافترائهم ومباهاتهم على نشر حقائق كنا نود لو بقيت مطوية

ولقد حررنا منها ما اقتضاه المقام الآن وسنستوفي الباقي في كتاب عن ذكريات الحرب. واننا نراهن ونخاطر كل أحديكم الانكار أن يأتي بدليل واحد على كوننا اشتركنا أثناء الحرب بأذى أقل مخلوق من أبناء وطننا أيا كان في أي موضوع كان، بل نراهن ونخاطر كل من شاء أن يأتي بحجة تبطل دعوانا بما بذلناه من المساعدات وقدمنا من الخدمات (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)
(الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

شكيب أرسلان

برلين في ٤ يناير سنة ١٩٢٢

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بينغام) الهندية

﴿ فصل ﴾

(اذا بويح الخليفةتان فاقتلوا آخرهما)

أي اذا قامت خلافة خليفة وتمكنت حكومته في الارض فلا يجوز لاحد الخروج عليه، ومن يخرج يجب قتله، لانه غادر وفتنة ومهلكة للهيئة الاجتماعية، يريد أن يفرق بين المسلمين ويهدم النظام القائم (والفتنة أشد من القتل)^(١)

(١) المنار : الفتنة المرادة من الآية هي ما كان من اكراه المشركين للمسلمين على الرجوع عن الاسلام بالتمسذيب والنفى من الوطن فاللام فيها للعهد لا الجنس

وعن عرقة الاشجعي قال : سمعت رسول الله (ص) يقول « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه » (احمد ومسلم)

ولذا اتفقت كلمة المسلمين ^(١) ان الخليفة سواء كان أهلاً أو غير أهل اذا قامت خلافته ، لا يخرج عليه ، ومن يخرج يقتل بعد اتمام الحجة عليه والدعوة الى الصلح (فقاتلوا التي تبغي) (٤٩ : ٩)

وفي نيل الاوطار : قد حكى في البحر عن العترة جميعاً ان جهادهم أفضل من جهاد الكفار في ديارهم ، اذ فعلهم في دار الاسلام كفعل الفاحشة في المسجد (ج ٧ ص ٨٠)

وحكمة هذا الحكم ظاهرة ، لانه لو لم يسد باب الخروج بتاتا لاتسلم الحكومة الاسلامية من الخارجين والناشرين مهما كانت صالحة وحسنة ، ومهما كان صاحبها أهلاً وجامعاً للشروط ، اذ كل ذي عصبية يدعى لنفسه الحق والفضيلة أكثر منه والناس لا يستطيعون التفاضل بينهما فيتفرقون حزينين حزب مع هذا وحزب مع ذاك ، ثم يخوضون غمار حروب لا تنتهي أبداً فوجب أن يمنع الخروج منعاً تاماً ، ويعاقب الخارج عقاباً شديداً ليكون عبرة لغيره ، فقتل نفس واحدة خير من قتل الالوف ، وقد أشير الى هذه الحكمة في الحديث « يريد أن يشق عصاكم » —

وقد وردت في هذا الباب أحاديث كثيرة من يرد الاطلاع عليها فليراجع كتب الصحاح —

﴿ فصل ﴾

(اجماع الامة وجمهور الفقهاء)

قد قامت حكومة أمراء بني أمية على القهر والاستبداد في زمن كان أصحاب النبي (ص) وأئمة أهل بيته موجودين فيه بكثرة زائدة ، ثم تلتها الخلافة العباسية وظلت خمسة قرون . وفي عصرها دونت العلوم الشرعية ، وألفت الكتب الدينية ، ووجدت أئمة المذاهب ، بيد أنه لم يختلف طول هذا الزمن أحد من الصحابة والعترة ، والأئمة والفقهاء في هذه المسئلة بل كانهم

(١) المسئلة خلافية فيما ذكره وهو أعم مما ورد في الحديث

أجمعوا على قول واحد ، وعمل واحد ، ولعله لا يوجد بعد العقائد الاساسية وأركان الاسلام الاربعة إجماع على شيء غير هذا —

فعمل الصحابة معلوم ومشهور كان مروان بن الحكم والياً على المدينة وأبو هريرة صحابي رسول الله (ص) مؤذناً في المسجد النبوي وكان مروان يستعجل في الصلاة التي درجة لا يقول « التأمين » استئثالا ، ولا يقف بعد الفاتحة وقفة ليقوله المأمومون بل يسرع ويبدأ بعد أم الكتاب بسورة أخرى ، مع أن فضل التأمين ثابت في السنة كما في حديث « فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » (بخاري) ولكن مع هذا لم يتخلف أبو هريرة عن الصلاة ورائه ولم يخرج من طاعته — الا أنه كان يأخذ عليه العهد فيقول « لا تقتني بآمين »^(١)

وكذلك كان الناس في عهد بني أمية يكرهون سماع خطبهم الخرافية ، فكانوا يتفرقون بعد صلاة العيد ولا ينتظرون الخطبة فأراد مروان أن يخطب قبل الصلاة ليضطر الناس الى سماعها — فقام رجل في وجهه وأنكر عليه عمله فروى اذ ذاك ابو سعيد الخدري رضي الله عنه حديثه « من رأى منك منكم منكراً فليغيره الخ »^(٢)

وهكذا كان أمراء بني أمية يخالفون صريح السنة كل يوم ، وينكروا عليهم الصحابة بكل جرأة وشجاعة ، ولا يتركون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن مع كل هذا لا ينزعون اليد عن طاعتهم ولا يخرجون عليهم ، ولا ينكرون خلافتهم لاجل أن خالفوا النظام الشرعي وتسلطوا على الخلافة بغير حق وحادوا عن الصراط السوي

(١) استدل على دعوى الاجماع بسكوت الافراد وسكونهم ومن الضروري أن الفرد لا يقاوم الدولة لهجزه وقد روى البخاري وغيره أن أبا هريرة كان يكتي ويعرض بما سمع من النبي (ص) في افساد أغيلة من قريش لأمر هذه الامة — وهم هم — ويقول انه لو صرح لقطع بلعومه ولا شك في أنه لو كان له قوة من الامة لاسقط بها امارتهم كما فعل المسلمون بعد ذلك عندما أسسوا العصبيية والمراد أن المسلمين لم يجمعوا على الخضوع لاهل الجور والباطل وتقدم نقل الخلاف في حاشية سابقة

و (٢) المنار : تنمة الحديث — « بيده فان لم يستطع فبأسانه فان لم يستطع فبقلمه ذلك أضعف الإيمان »

وكان سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول في بني مروان « يجيعون الناس ويشبعون الكلاب (تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٤٧) ويعاقب بأنواع من العذاب ولكن يطيعهم ولا ينكر خلافتهم (١) »
وقد قامت فتنة القول بخاق القرآن في عهد المأمون والمعتصم ، وابتلي بها علماء السنة ابتلاء شديدا ، فجلد الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ثمانين جلدة وحبس في السجن سنين عديدة ، ولكن لا داهن المأمون والمعتصم في بدعتها ولا خرج عن طاعتها بل كتب في وصيته « والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ، ولا تخرج عليهم بالسيف ، ولا تقاتلهم في الفتنة » كذا نقل عنه ابن الجوزي في سيرته -

وقد نقل ابن حجر العسقلاني قولاً لابن التين يخالف ما قلناه من الاجماع فقال وقد أجمعوا أنه (أي الخليفة) اذا دعا الى كفر أو بدعة أنه يقام عليه ثم رد عليه قائلاً : ما أدعاه من الاجماع على القيام فيما اذا دعا الى البدعة مردود الا اذا حمل على بدعة تؤدي الى صريح الكفر والا فقد دعا المأمون والمعتصم والواثق الى بدعة القول بخلق القرآن ، وعاقبوا العلماء من أجابها بالقتل والضرب والحبس وأنواع الاهانة ، ولم يقل أحد بوجوب الخروج عليهم بسبب ذلك ، ودام الامر بضم عشرة سنة حتى ولي المتوكل الخلافة فابطل المحنة « (فتح ج ١٣ : ١٠٣)

والحقيقة التي لا مرء فيها أن كل ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر به من طاعة الخلفاء وما ينبغي أن يعاملوا به ، فسره السلف الصالح بعملهم الحق ، وقد علمت في الفصول الماضية الاحاديث التي تبين أدوار الخلافة الاسلامية وما لكل دور من الاحكام ، فدور الخلافة الراشدة كان دور رحمة واسعة للامة ، وأما دور الملك العضوض فكانت خصائصه المتضادة ، وأحواله المتناقضة ، ابتلاء عظيم لها ، فكان ذا وجهين مختلفين اجتمع فيه البياض والسواد ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، ويستلزم الحب والبغض ، والترك والطلب والقطع والوصل والطاعة والخلاف - وطولبت الامة بالقيام بكل منهما في وقته ومحلها فتطيع هؤلاء الملوك وتسمع لهم لانهم أولياء الامور والقائمون بالحكومة الاسلامية ، فلا تخرج عليهم ولا تقوم في وجههم ، ونهيت من جهة اخرى أن تتبعهم وتقتدي بهم لان أعمالهم لا تكون مرضية ، فتطيعهم ولكن لاتستن بسنتهم ، وإن دعوا

٤٧٠ المحافظة على الطاعة لآتتافي القيام بواجب الانكار المنار : ج ٦ م ٢٣

الى المنكر ردت دعوتهم، وخالفتم في ذلك باليد واللسان والقلب ولا تزيغ عن الحق ابتغاء لمرضايتهم -

فما أصعب هذا المقام ! ولعمري إن الانسان ايزل قدمه دون أن يبلغ هذا ، فكيف السبيل الى القيام فيه ؟ لان الانسان طوع عواطفه فلا يستطيع أن يجمع بين عاطفتين متناقضتين، فانه إما أن يحب ويطيع واما أن يبغض ويعصى ، فمن يحسبه أهلاً لحبه وطاعته يحلو منه كل شيء في عينه فيطيعه بكل قلبه ولا يعصى له أمراً، ومن يبغضه يبغضه بكل قلبه فلا يطيعه البتة. نعم لا سبيل الى النجاح الا أن يدركه الله بتوفيقه ، فيجعل كل عاطفة في محلها ، ولا يدع بعضها يغلب بعضها الاخر فيهلك ويضل ضلالاً بعيداً - لانه لو تجاوز الحد في الطاعة دخل في الاقتداء والتأسي الذي يجر الى الغلو في الباطل والانحراف عن الحق، ثم انه لو تصلب في المخالفة وغلا في الامر بالمعروف خشى عليه الخروج من الطاعة ومن ثم الولوح في الحروب وقتل النفوس والفوضى ، وهذه هي علة تلك الفتن التي لا تزال تنزل بهذه الامة من ثلاثة عشر قرناً، لان الناس لا يستطيعون التوازن بين العواطف، فكم من أناس غلوا في التمسك بالحق والامر بالمعروف فخرجوا على السلاطين والخلفاء ، وأضعفوا بعملهم هذا الخلافة والامة معاً، وكم مثلهم من غلوا في الطاعة فجعلوا الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، مداراة للامراء والملوك فافسدوا بذلك نظام الامة

ولقد ابيضت عين الدهر ولم تر أمة سارت على مثل هذا الطريق الاجتماعي المحفوف بالمصائب والمصاعب سالمة آمنة الا الامة الاسلامية ، فانها ولا شك سارت عليه بكل فوز ونجاح وسلامة، مراعية كل جوانبه، متجنبه جميع مزالقه، فعملت في آن واحد عمليين متناقضين فأطاعت الخليفة وخالفته ، أطاعت فيما يجب فيه طاعته، وخالفت فيما يجب فيه مخالفته، وقد شرحت بعملها مسألة «الاقتداء والطاعة» والفرق بينهما بكل وضاحة تحير منها علماء الاخلاق اذ لم يكونوا وفقوا الى حلها من قبل -

وأى طاعة للحكومة القومية تكون أكمل من طاعة الصحابة والتابعين للامراء الجائرين المستبدين من بني امية، ثم من بعدهم من طاعة علماء السلف لدعاة البدعة من الخلفاء العباسيين ؟ فقد عذبوا بأنواع من الظلم والعسف ، وحبسوا في السجون ، وقتلوا واذوا بكل ما كان يمكن أن يؤذوا به ولكنهم

يحملوا كل ذلك ولم يخرجوا عن الطاعة قيد شبر، بل اذا حرضهم أحد على العصيان قالوا « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة ونحن بايعناهم »

هكذا كانت حالهم في الطاعة ، أما التمسك بالحق والامر بالمعروف والعمل بالسنة فكانوا فيه كالجبال راسخين ، فلم يهابوا سيف عبد الملك ولا قهر الحجاج ولا تنمر المأمون والمعتصم ، فاذا نطقوا نطقوا بالحق ، واذا عملوا عملوا بالحق ، ولم يكن في قلبهم سعة لشيء الا لكتاب الله وسنة رسول الله ، فهم عملوا بكل دقة على أمر « تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع » (مسلم) وعلى أمر « فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وأمر « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (مسلم)

وحسبنا محنة الامام احمد بن حنبل عبرة ، فقد كان يجلد ظهره تسعة رجال والمعتصم واقف على رأسه ينظر الى دمه الطاهر الذي يفوز من جسمه فوراً ويأمره بأن يقول كلمة في القرآن ما قالها الله ولا رسوله ولا أمر بها ، فكان يتحمل كل هذا العقاب الشديد ولكن لا يفوه بشيء الا قوله « أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول ! »^(١)

(١) المنار : قد سدد الكاتب في آخر هذا الفصل وقارب ، ولا شك في أن عمل علماء الصدر الاول من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار كالامام أحمد خير قدوة في كل محنة - ولا شك في أن أفراد الامة لا يجوز لهم الخروج على أمرائهم وان ظلموا ، ولا يجوز لهم طاعتهم في معصية الله الا من أكره بالتعذيب أو القتل على الشيء وحكمه وشروطه معروفة وأما جماعة أهل الحل والعقد من زعماء الامة الذين لا تنعقد الخلافة الا ببيعتهم ويتقيد الخليفة بمشورتهم فحكمهم غير حكم الأفراد - هؤلاء هم الجماعة يمثلون الامة صاحبة السلطة في الاجماع الواجب الاتباع الذين عناهم الخليفة الاول بقوله في خطبته الاولى بعد البيعة : فاذا استقمتم فاعينوني واذا زغت قوموني . فعليهم أن يقوموا الخليفة فان لم يستقم بتقويمهم خلعهوه وولوا غيره . فاذا غلبهم المستبد المتغلب على أمرهم أو فقدوا من الامة شدة الجور والقهر فقد زالت الجماعة وصار أمر الافراد أمر ضرورة والضرورة تقدر بقدرها ، ويجب السعي الدائم لازالتها

باب الانتقاد على المنار

﴿ مسألة ثواب القراءة للموتى ﴾

أرسل الينا صديقنا الرحالة الجليل السيد محمد بن عقيل من (المكاد)
مايأتي بغير امضاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب في المنار في الصحيفة ٨١ وما بعدها من ج ٢ م ٢٣ سنة ١٤٣٠م مقالة
مطلوبة في عدم وصول ثواب قراءة أحد من الناس الى شخص آخر مطابقا وكثير
مما نقله غيره صحيح فيما نرى

وقد عن لنا أن نرقم شيئا خطر بالبال عند قراءة ما جاء في المنار فنقول
أولا ان الاعمال ما لم تكن خالصة لله تعالى لا تقبل وما لا يقبل فلا ثواب
فيه فقراءة المستأجر أو صاحب الوقف إنما هي من باب طالب الدنيا بعمل الآخرة
وهو مذموم فأبي ثواب يهبه هذا الممرور

ثانيا بعض أعمال المكاف لا يمكن أن ينفك عنه ثوابها ولا يمكنه أن ينتفع
بأمر آخر بدونها وذلك الايمان وأعني به المقدار الذي لا يخلد في النار من اتصف
به وقريب من هذا ما تنصبغ به النفوس من آثار الاعمال

ثالثا يدور كلام المنار في منع الاهداء للثواب على شبهتين (أولاهما) ما فهموه
غلطا من الحصر في نحو قوله تعالى : (وأن ليس للانسان الا ما سعى : لهما ما
كسبت وعليهما ما اكتسبت) ومن الاحاديث الواردة في هذا المعنى وهذا الحصر
انما معناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب فيما ذكر طبق العدل الالهي والامر
في الدنيا هكذا أيضا لكل مكاف ربح عمله وعليه تبعته والكن ليس في شيء من
الادلة ما يمنع أن يتكرم الله سبحانه وتعالى بحجود منه وفضل على عبد من عبيده

ابتداء منه طولا ورحمة لا بسابق عمل ولا سعي وهذا غير التضعيف الذي نواته صالح الاعمال، كما أنه ليس فيها ما يمنع أن يفوز المؤمن بشفاعته من يأذن له بالشفاعة ثوابا ودرجات وأن ينال بسبب دعاء من يقبل الله دعاءه ما لم يسع فيه أو يخطر له ببال، وكذلك ليس فيها أنه لا يصل إليه من الثواب ما يهديه إليه اخوانه من عمل صالح مقبول والشبهة الثانية ان اعمال المكلف ليست من ممتلكاته كعروض التجارة الخ والجواب عليها اننا نعلم أن ثواب الاعمال الصالحة لا يجري مجرى عروض التجارة ولكنه مع ذلك قابل للانتقل من شخص الى آخر فينتفع به غير عامله أي ما خلا ما استثنينا دأفنا— كما ورد من أخذ حسنات الظالم واعطاها للمظلوم وأخذ سيئات المظلوم ووضعها على الظالم وهل هذا الا من التصرف. وأما دليلنا فيما استثنيناه فهو أننا لم نطاع على نص يفيد سلب ايمان أحد ليعطى لآخر فبدخل هذا في النار وذلك في الجنة بخلاف ثواب الاعمال وعقابها. وأما مطلق المنع فعليه فيما أفهم شمة من قول الوعيدية ويوضح ما رجحناه من جواز الهبة وانتفاع المكلف بعمل غيره آية الاحاق (ألحقنا بهم ذرياتهم) والاحاديث الواردة في ذلك المعنى وفي بعضها «كنت أعمل لي ولهم» واذا صح أن ينتفع الشخص بعمل قريبه من أصل أو فرع صح أن ينتفع بما وهب له فذلك كالميراث وهذا هو الهدية أو الهبة أو الصدقة أو الصلة أو ما شئت . جعلنا الله ممن غمره جود جوده في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه . وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله اه

[المنار] إننا بسطنا أدلة ما قررناه في هذه المسألة وبيننا بالبراهين الصريحة من القرآن أن من أصول دين الله تعالى على السنة جميع رسله (أن لا تزر وازرة وزر اخرى وأن ليس الانسان الا ماسعى) وأن أصل الاديان الوثنية التي سرت عدواها الى كثير من أهل الكتب السماوية هي أن المجرمين انما ينجون بعمل الصالحين أو بجاههم لا بأعمال أنفسهم . وبيننا ان الله تعالى ألحق بالمؤمنين ذرياتهم ، وأنه شرع للمؤمنين أن يدعوا بعضهم لبعض ، وان النبي (ص) اذن لبعض الاولاد بناء على الحاق الله اباهم بوالديهم ان يقضوا عنهم بعض حقوقه تعالى عليهم الخ فما قررناه مبني على الاخذ بصريح النصوص الثابتة في الكتاب والسنة مع مراعاة

القاعدة المعروفة وهي ان أمور الآخرة لا تعلم الا من كلام الله وكلام رسوله وانه ليس للأراء العقلية حكم فيها ولا هي مما يعلم بالاقيسة الاحتشادية كمسائل البيع والاجارة ، فظنون المجتهدين لا مجال لها في عالم الغيب ولا في شيء من مسائل العقائد

وصاحب هذه الرسالة قد زعم ان كثيراً مما قلناه وما نقلناه غير صحيح . فاما النقل فلم يستطع اثبات زعمه في شيء منه البتة . وأما غيره فقد وافقنا فيه في أمور وانفرد بمسائل ليست من موضوع البحث كقوله ليس في النصوص ما يمنع أن يتكرم الله على عبد من عبده الخ وهل يمكن لعبد أن يحجر على ربه أن يتكرم ؟ لا وليس لعبد أن يفتات على ربه بمحض رأيه أيضاً فيخبر عنه بما لم يخبر سبحانه به عن نفسه في كتابه ولا على لسان رسوله أو يقيد ما أطلقه وهو يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم) ويقول في بيان أصول الجرائم والكفر (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو قد حصر ما زعمه من تخطئة المنار في شبهتين (احدهما) الاخذ بما فهمه المحققون من العلماء - كالامام الشافعي رحمه الله تعالى - من الحصر في آية النجم وما في معناها من الآيات والاحاديث ، وزعم ان هذا الفهم غلط قال وانما معناه قصر الاستحقاق على سبيل الوجوب الخ وهو تقييد لحصر مطلق لا دليل له عليه ، ولا سلف له فيه ، وهو في آيات كثيرة وردت في بيان الجزاء الذي يجب الايمان به كقوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) لا في بيان ما يجب عليه تعالى منه وما لا يجب ، والحق انه تعالى لا يجب عليه شيء الا ما أوجبه على نفسه ، أي اثبته وأكده في وحيه بمشيئته التي تتعارض مع حكمته . ومسألة الوجوب على الله تعالى عقلاً يقول بها المعتزلة وينكرها أهل السنة

(والشبهة الثانية) التي زعمها مسألة جعل عبادات المؤمنين كمروض التجارة يتصرف فيها وفي ثوابها المجهول في الآخرة فهو قد ادعى ان ثوابها قابل للانتقال وللعامل أن يتصرف فيه قبل أن يملكه بأن يهبه وهو في الدنيا أو يتصدق به . واستدل عليه بأخذ الله تعالى من حسنات الظالم للمظلوم دون أخذ إيمانه وجعله لغيره ، وهو استدلال باطل لانه قاس فيه تصرف العبد في الدنيا بما لم يملكه ولا يعلمه من أمر الزيب على تصرف الرب في الآخرة (يوم لا تملك نفس لنفس

شيئا والامر يومئذ الله) كما قاس عمل كل عامل على عمل الوالدين الاولاد الذين أحقهم الله بهم وعد النبي (ص) عملهم من عملهم ، لانهم سبب وجودهم وما تبعه من أعمالهم. وكلاهما من القياس مع الفارق والفرق مثل الصبح ظاهر ، ولو صح ان القصاص يوم القيامة معارض الآية لم يكن حجة علينا لانه خارج عن محل النزاع ولاننا نحن نستثنى من عموم النصوص ما خصصها من كتاب أو سنة صحيحة بالشروط الثابتة في تخصيص العام من الاصول لا بالرأي وهوى النفس ، ولولا الشرع لكنا نهوى ان نقدر على نفع امواتنا وأن يقدر أحيائنا على نفعنا بعد موتنا ، وهل عم هذه البدعة الا كونها موافقة للاهواء ؟ والصواب أنه لا تعارض وأن المقاصة في الآخرة كحكم الشرع في الغرامات في الدنيا فهو لا ينافي أن لكل إنسان ملكه ولا حق له في ملك غيره ، وانه لا يملك الا ما جعله الشرع ماله ولا يؤخذ منه باختياره وبغير اختياره الا ما أذن به الشرع . قال الامام المازري في حديث مسلم في المقاصة بالحسنات والسيئات الذي نقلناه في تفسير هذا الجزء : وزعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بيته لانه انما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عبادته فأخذ قدرها من سيئات خصومه فعوقب به في النار فحقيقة العقوبة انما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه . وهذا كله مذهب اهل السنة والله اعلم . اهـ من شرح النووي على صحيح مسلم

﴿ انتقاد آخر في الموضوع ﴾

من صاحب الامضاء الرمزي في بيتن زورغ (جاوه) في ٣٢ شوال ١٣٤٠

حضرة الفاضل المحترم السيد محمد رشيد رضا حفظه الله

بعد السلام والتحية والاكرام اني اطلعت على ما ذكرتم في عدد ٨١ من المنار في مسألة انتفاع اموات المسامين بما يهدي لهم من ثواب قراءة او ذكر وذكرتم أن جواب ابن القيم عن هذه الحجة ضعيف جدا وأطلم الكلام في

ذلك وهذا الشيء معمول به في سائر الاقطار الاسلامية بل يؤجرون على ذلك لمن يقرأ القرآن على الختمة شيء معلوم (كذا) وعلى التهليل من جاب ٧٠ الف مرة فله كذا وكذا ويهدي ذلك الى ارواح الاموات ولا أحد يعترض عليهم في ذلك لان وصول ثوابه الى الاموات وعدم وصوله وقبوله عند الله تعالى من الامور الغيبية التي لا يعلمها الا الله وأنتم تقولون إنه لا يصل اليهم ثواب القراءة والذكر فمن أطلعكم على ذلك وفضل الله واسع والظن بالله جميل ومع ذلك انكم خطأتم ابن القيم وأكثرتم الادلة والتأويلات في هذه المسئلة ولو فرضنا انها بدعة كما ذكرتم فهي من البدع الحسنة وليس يأثم من قرأ القرآن والذكر واهدى ثوابه للاموات بل يثاب وليس هي من البدع المضرة في الدين وقد ورد في الخبر «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» أو ما هذا معناه . وقال الامام الشافعي رحمه الله البدع بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة وتنقسم البدع الى خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة وهذه المسئلة ترجع الى أي قسم من هذه الاقسام أفيدوني وأجركم على الله وأرجو أن تنشروا جوابكم في المنار على ما ذكر

ا. ح. ب. ر.

(المنازل) اعلم أيها الاخ المستفهم أن أصول دين الله تعالى وفروعه مبنية على أساسين (أحدهما) ان لا يعبد الا الله تعالى (ثانيهما) ان لا يعبد الا بما شرعه . ونحن قد بنينا على هذا الاصل ولم نتجراً على عالم الغيب ، وانما وقفنا عند النصوص فعبادات الدين لا تثبت الا بنص من كتاب الله تعالى او سنة رسوله (ص) وليس لاحد ان يزيد فيها برأيه شيئاً فان الله تعالى قد اكمل دينه على لسان رسوله بنص الآية المشهورة . وكل بدعة في الدين فهي ضلالة بنص الحديث الصحيح ، واجماع علماء الامة ، واما البدعة التي قالوا انها تكون حسنة وسيئة المشار اليها بحديث «من سن سنة حسنة» فهي في المستحدثات الدنيوية فالحسن منها هو النافع كبناء القناطر والمدارس والمستشفيات وتدوين العلوم والصناعات والحرف ، والقبيح منها هو الضار في الدين أو الدنيا ، والحسن يكون واجبا أو مستحباً ، والقبيح يكون حراماً أو مكروهاً ، وما ليس من هذا ولا ذاك فهو المباح كستحدثات الزينة غير المحرمة والطيبات من الرزق . وهذه انما تسمى بدعا في اللغة لا في عرف الشرع ومن صرح بأن البدعة اللغوية هي التي تعتبرها

الاحكام الخمسة ، والبدعة اللغوية لا تكون الا ضلالة - ابن حجر المكي الهيثمي في ص ٢٠٦ من الفتاوى الحديثية المطبوعة بمصر. ولو ابيح للناس ان يزيدوا في العبادات لضاع الاسلام كما ضاعت اديان الرسل السابقين بتصرف اتباعهم فيها. وكل هذه المسائل مبينة في مواضع كثيرة من المنار بدلائلها التفصيلية ويمكنكم مراجعتها مستدلين عليها بالفهارس

ثم اعلم ايها الاخ ان عمل الناس بغير المشروع وسكوتهم على انكار المنكر لا يغير حكم الله في ذلك ولعلمكم رأيتم ما حققه في هذه المسألة السيد محمد اسماعيل الامير في رسالته (تطهير الاعتقاد) التي نشرناها في الاجزاء الاخيرة وهو ان الناس يعملون منكرات كثيرة تجمع على تحريمها وقد صارت قاشية في جميع بلاد الاسلام. ولكن الامة لا تجمع على السكوت على المنكر ولهذا تجدون في كل عصر من ينكر كل بدعة تحدث. وقد نقلنا عن العلماء انكار هذه البدعة ومن لم ينكرها اجتهادا فهو معذور



تعزيتان

جاءتنا كتب وبرقيات كثيرة في التعزية عن شقيقنا السيد صالح من هذا القطر ومن أقطار أخرى. فرأينا أن ننشر كتابين منها لكاتبين في الذروة من خواص أدباءنا، والصفوة من أصدقائنا، لما فيهما من رثاء فقيدنا، وبيان بعض مكانته عندهم وعندنا، الاول من ملك دولة البيان، الامير شكيب أرسلان، والثاني من أبي حنيفة العصر، ورب النظم والنثر، الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ الطرابلسي وهو أعز أخلاء الفقيد

﴿ الكتاب الاول ﴾

رومة ١١ يونيو ١٩٢٢

سيدي الاخ الاستاذ

أنت تعلم أن أقل حادث يسؤك ويكدر صفو خاطرك يسؤني جدا، ويحملني أدا، فكيف اذا كان رزعا عظيما كالذي رزئته، وخطبأفادحا كالذي تحملت وقره، وكانت الفجيمة بالاخ الخطير، والصنو الجليل، والركن الذي كان يعتمد عليه البيت الرضوي الاصيل، لا جرم اني اشاطرك بأوفر سهم من وقم ذلك السهم الاليم، واكرع معك مرارة تلك الكاس وما يكرع معك الحميم الا الحميم، لقد كنت منذ مدة أعجب لا تقطاع كتبك غني ولا أقدر لذلك سبباً سوى

عدواء الاشغال ، فاذا به عدوان الدهر ، ومصائب الايام ، واذا بي أقرأ خبراً
عرفت منه سبب انقطاع اخبارك ، واحتباس آثارك ، الا وهو انتقال المرحوم
السيد صالح الى جوار ربه ، فنزل علي ذلك النعي الفجائي نزول الصواعق ،
وان كنت اعلم ان الدنيا كلها ان هي الا مجال لغراب البين الناعق ، وتخيلت لهذا
حزنك وارتماضك لهذا المصاب ، بما انت عليه من رقة الشعور وفرط الحنان ،
وشغوف شغاف الجنان ، وبمكان الاخ الراحل بذاته من الفضل والنبيل ، وانه
الذي يؤسف على مثله لذاته وصفاته ، قبل علاقاته ومضافاته ، فلا حول ولا
قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون ، ليس لنا الا التأمل في زوال الدنيا وانها
دار قلع ، وان هذا اليوم لا بد منه ان لم يكن اليوم فغداً ، فاخلأق كلهم موتى
منذ الآن من ليس يميت فعلاً فهو ميت حكاماً ، وقافلة واحدة منها واصل
ومنها من هو على أهبة الوصول ، وكلاهما بالغ امداه جزماً ، اذا ليس للتعخلف
منا أن تذهب نفسه حسرات على أمر كلنا بالغه ، وفراق كلنا وارده ، بل قد
يكون السابق منا أسعد حالاً بمغادرة حياة هي اشبه بالممات ، وبغمض عين هو
عين اليقظة وان كان يظن انه سبات ، فضلاً عما هناك من فضيلة الصبر التي مثل
الاستاذ السيد من تحلى بحليتها ، واشتمل بحملتها ، لا بل من حث تلاميذه
الكثيرين ومريديه المديدن على التمسك بسذتها ، نسأل الله ان يحسن مشوى
المزير الراحل ويكرم نزله ، ويبلغه من سمادة المنقلب امله ، وان يجعل في
السيد الرشيد العزاء ، ويطيل عمره لهذه الامة ويجزل ثوابه ، ومنى واجب التعزية
لحضرة السيدة الوالدة أجزل الله أجرها ، وجبر قلبها والى حضرة السيد عاصم
والسيد محي الدين واطال المولى بقاءكم جميعاً

الكتاب الثاني

سیدی الاخ الرشید اعظم له ولي الاجر ، والهمني واياه الصبر ، على فواجع الدهر
بلغني الخبر الذي صدع القلب وقعه ، واصم الآذان سمعه ، وضاعف الاحزان ،
التي ما زالت تلدها احداث هذا الزمان ، ولو وصل الي يقينه دفعة لاصباني
الكمد ، ولما بقي لي هذا الدماء القليل من الجلد ، ولكنني سمعته لاول الامر
من لا يتثبت في حديثه فرجحت أنه غلط عن المرض الحنجري الذي كان ألم
بالفقيد المزير عوضه الله الجنة — أو طاب لنفس أن ترجع ذلك ضناً منها
بتلك الحياة الثمينة ، وبقيت في حالة الشك مدة لقيت فيها السيد ابراهيم آدم

غير مرة، وسألته عن ورود كتاب من قبلكم، ولم أستطع أن أخرج في السؤال عن هذا الحد خشية أن أسمع من الجواب ما ينقلني من أعراف الشك الى جحيم ذلك اليقين، وهو حرسه الله لم يشأ أن يزيدني مما عنده اشفاقا علي، وتفاديا من مبادهتي بوقوع ذلك الخطب الجليل، ولكن لم يلبث ذلك الشك والهف نفسي أن صار يقيناً محرقاً، أو سهماً مصمياً

الشك أبرد للحمى من مثله يألئ شكي فيه دام وطالا
وهناك عالجت من الاجزان الفادحة ما لو كان بالروض الاريض لاذواه،
أو بالصخر الاصم، لا بلاه وعلمت كيف يسطو الكد على الاكباد فيذيبها، وكيف يبيط الجزع بالانفس فيحول بينها وبين الصبر حتى لا تهدي اليه سبيلا، ولا تجد عليه دليلا، ولعمري إن الرزء بالفقيد العزيز فقيد الفضيلة والادب، فقيد الشرف والحسب، فقيد الصدق والوفاء، فقيد الشمم والآباء، ليس مما يستطاع الصبر عليه، أو يتسرب السلوان اليه، وليس مما تخفف الايام آلامه عندي، أو تكاد تغني آثاره من نفسي، بل هو ألم الدهر، وحزن الابد، وكيف أجند سلوا ممن لا أجند الفضائل اجتمعت في شخص اجتماعها فيه، بل كيف أجند سلوا ممن لو نعت له لقضى عمره حشرات، وأفاض من شؤونه عبرات وأي عبرات، فوالهف نفس ولهف الوفاء والمروءة عليه، ويأطول حزني وحزن الكرم، ومحاسن الشيم، ويأما أحوجني عند هذه الممة الفادحة أن تعيرني أيها السيد الكريم جانبا من ثباتك، وذروا من صبرك وأثباتك، وأن ترفدني بحكمتك العالية أحسن الله اليك المراء، وأحسن ذلك لسيدتي والدتك المحترمة ولنجل الفقيد النجيب السيد محي الدين حرسه الله تعالى وأودته فضائل والده، وأحسن ذلك لشقيقه السيد حسن ولشقيقته الفاضلة السيدة حفصة ولكافة الاسرة الكريمة وألهمنا جميعا الصبر على فراقه وأسكنه فراديس الجنان، بين روح وربحان، وجنات ذات أفنان، وأطال الله تعالى بقاءكم والسلام عليكم وعلى من اليكم ورحمة الله وبركاته

﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

العراق ومصر

ان بين مصر والعراق شهما في مطالب أهلهما وفيما تبغيه السياسة البريطانية

منهما ، فأما الاهالي في القطرين فيطالبون لا تقسهما الحرية القومية والاستقلال السياسي والاقتصادي والاداري ولا يأبون في حال موثاة الدولة البريطانية لهم على ذلك أن يتخذوها صديقة ويفضلونها وشعبها على سائر الدول والشعوب بمنافرة عظيمة مضمونة ، وكل منهما قد ثار على السلطة البريطانية بحسب حاله — فتور مصر كانت سياسية اجتماعية؛ وثورة العراق كانت حرية ، وقد قاومت السلطة البريطانية العسكرية كلاهما بغاية القسوة والشدة فكانت الخسارة ثم اضطرت بعد ذلك الى سلوك سبيل اللين بأن تسمح لكل من القطرين بأن يكون ذا دولة مستقلة في المظهر لها ملك ووزارة مسؤولة ومجلس شورى منتخب ودستور بشرط أن تقرر هذه الهيئات كلها وتضمن للدولة البريطانية كل ما تطلبه من الحقوق والمنافع في البلاد وتكون تحت رحمة جيش بريطاني محش في قلب البلاد أو بعض أطرافها يمكنه في كل وقت تنفيذ ما عسى أن تأمر به دولته من التغيير والتبديل ومن سلب السلطة الوطنية ما ترى سلبه منها بالحجج التي تقيمها هي على أن لها الحق في ذلك . وهذه الحجج قد صارت معروفة الأنواع كدعوى ظهور عجز الاهالي عن القيام بشؤون بلادهم بغير مساعدة أجنبي ، ودعوى ظلمهم للأقليات الدينية والجنسية ،

وهذه التجربة لم تنجح في العراق فقد علم أن الرأي العام فيها كاره للانتداب رافض له وكثير الحديث في عقد معاهدة بين الحكومتين لا يذكر فيها الانتداب يضمن فيها للدولة البريطانية كل ما تبغيه باسمه من سلطة ومنفعة ، وقد قيل مراراً أن المعاهدة قد وضعت وأن الحكومة العراقية المؤقتة لم تقبلها ، فلم تتفق مع المندوب البريطاني السامي على انتخاب الجمعية الوطنية التي يشترط أن تقررها وهو لا يسمح بانتخابها الا بعد الاتفاق مع الملك فيصل ووزرائه على المعاهدة وعلى كفالة ايجاد جمعية وطنية ترضاها وتقررها ، ولم تضمن له الحكومة ذلك وقد ظهر بهذا أن الرأي العراقي العام — وكذا الخاص — لا يهتم بالالفاظ والمظاهر دون الحقائق كما يزعم الانجليز في الشرقيين اذ قالوا في المصريين انهم ينفرون من كلمة الحماية لا من معناها ، والامر المهم الذي يريد أن نذكر اخواننا العراقيين به هو أن الحقوق التي تعطى العراق للانكليز اذا كانت مخلة بالاستقلال التام المطلق فتقيدها بالانتداب أقل خطراً عليها من جعلها مطلقة لا يحاسب الانكليز عليها محاسب ، ولا ينازعهم فيها منازع .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبشروا أحسن أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

الملوك

١٣١٥

يؤني الملكة من بناء ومن يوث الملك
قد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان لا يـ... معنى «وعدنا» كمنار الطريق —

٣٠ ذي القعدة ١٣٤٠ — ٤ الأسد (ص ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ أسئلة من بيروت ﴾

(س ٢١ — ٣١) من صاحب الامضاء

حضرة العالم العلامة والجهيد الفهامة مولانا الاستاذ السيد محمد أفندي رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله

(١) ما حكم الله تعالى ورسوله في رجل يمضي وقتاً كل يوم في قهوة عمومية
بها مسكرات وامب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع أنه لا يتعاطى شيئاً من ذلك.
كله وينكر ذلك بقلبه بل قصده تمضية وقت فهل يجوز له الجلوس أم لا ؟

(٢) وهل سماع الادوار الغنائية من الرجال وضرب النساء على البيانو والعود
حرام أم لا ؟ — (٣) وهل الخمر نجسة وما الاحاديث الصحيحة الواردة في
نجاستها ؟ (٤) وهل الاسبيرتو والبزير نجس أم لا — (٥) وهل صلاة
الظهر بعد الجمعة واجبة أم سنة أم مستحبة ؟ وهل ورد في ذلك أحاديث من
النبي صلى الله عليه وسلم أم لا — (٦) وهل يجوز المسح على الخف المقطع وعلى

(١) ههنا يجب التدقيق فيما جزم به الصمداني كيف زامه مع النقل عنهم بالمعنى

وهل كل صحابي بلغه النهي عن تصديقهم

الجواب (ما يسمونها العامة بالشرابات) الصوف والقطن أم لا ؟ تفضلوا ببيان
ما جاءت به الشريعة المطهرة والله يتولى مثوبتكم
السائل
م . ط . ل

﴿ الجواب عن مسألة القعود مع مرتكبي كبائر المعاصي وشاهدتهم ﴾

قل الله تعالى (٦ : ٦٨) وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم الظالمين (٦٩) وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
ذكرى لهم يتقون (٧٠) وذر الذين اتخذوا دينهم هروا ولعبا وغرتهم
الحياة الدنيا) الخ وقال تعالى (٤ : ١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الآية
هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره ، وهو أنه منهي
عن القعود مع أهله ، لأن أقل ما في قعوده إقرار ما يرى ويسمع واحترام أهله ولا استئناس
به وهو نوع من المشاركة فيه وراجع تفسير الآيات في ص ٢٦٣ من جزء التفسير
الخامس و ص ٥٠٣ من الجزء السادس أو في المنار

وقال رسول الله (ص) « من رأى منك منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم وغيره من حديث
أبي مسعود البصري (رض) قال (ص) « إياكم واجلوس بالطرقات » قالوا
يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا
الطريق حقه » قالوا وما حقه ؟ قال « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر » رواه البخاري ومسلم . والاحاديث في هذا كثيرة وهي
واضحة المعنى ، ولما واظب أحد على مجالسة أهل المعاصي والانس بهم الا وشاركهم
في معاصيهم ولو بعد حين . وما يجده أولا من إكثار القلب وتوبيق الضمير الذي
هو أضعف الإيمان يزول بالتدريج ، فليترك العاقل ربه ولا يغشى مجالس المكرات

ويجالس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت. وتقطع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة ، بل الوقت آمن ما يترك العقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه في دينه أو دنياه، لا فيما يعد وسيلة الى اضرارهما جميعا

﴿ الجواب عن مسألة سماع الغناء وآلات طرب ﴾

مسألة السماع فيها تفصيل ، بخلاف عريض طويل ، وأكثر فقهاء المذاهب المشهورة يكرهون سماع الغناء أو كثرته ويحرمون ما زف المزمار ولا وتار ، والتحقيق ان الاصل فيها الاباحة ، وانها تعرض لما أحوال تكون بافتنة - وذرائع لمفسد تكون بها محرمة أو مكروية ، وقد فصلنا القول فيها بذكر أدلة الحافظين والمبيحين وتمييز صحيحها من سقيمها ووزن رواياتها بيزان الجرح والتعديل في الجزئين الاول والثاني من مجلد المار التاسع من ص ٣٥ - ٥١ و ٤ - ١٤٧ وفي الصفحة الاخيرة منها خلاصة الفتوى في عشر مسائل وله ثمة وكشف شبهات معترض في (ص ١٨٥) من المجلد السابع عشر

﴿ الجواب عن مسألتى نجاسة الخمر والسبيرتو ﴾

أكثر الفقهاء قالوا بنجاسة الخمر وقال بعضهم بطهارتها ومنهم ربيعة شيخ الامام مالك من علماء السلف والفاضل الشوكاني والسيد حسن صديق من فقهاء الحديث المتأخرين . ولا يوجد حديث صحيح ولا حسن مخرج بنجاستها ، وقد فصلنا القول فيها من قبل في المجلد الرابع (ص ٥٠٠ و ٨٢١ وفي غيره ومنه) ص ١٨٤ م ١٧ (والسبيرتو لم يكن في عصر أئمة هذه المذاهب ولكن فقهاءها يقولون بنجاسته بناء على أنه نوع منها أو مستخرج منها ، وفي ذلك ما بحث طويلا فيما أشرنا اليه من فترى المجلد الرابع وما تبعها . ولدي الآن فترى من الهند بنجاسة كل من الخمر والكحول (السبيرتو) سألنا عنها ونجيب في جزء تل ان شاء الله

﴿ صلاة الظهر بعد الجمعة ﴾

(ج) صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لم يرد فيها حديث صحيح ولا ضعيف بل هي مسألة اجتهادية في مذهب الامام الشافعي (رض) وقد فصلنا القول فيها مرارا (راجع فهارس المجلد السابع وما بعده

﴿ المسح على الخف المقطع والجوارب ﴾

(ج) اذا تقطع الخف فلم يعد ساترا للرجلين فلا يختلف الفقهاء في عدم جواز المسح عليه لان علته سترهما مع مشقة نزعهما وحكمته انهما بالستر يظلان طاهرتين نظيفتين وكلتا هما تزول بهذا التقطع . والمسح على الجوارب الساترة جائز وقد فعله النبي (ص) كما رواه أحمد وأصحاب السنن من حديث المغيرة ابن شعبة وعمره حمزة الترمذي ويجوز السائل هذا البحث وما يتعلق به مفصلا في تفسير آية الوضوء من سورة المائدة وهو في الجزء السادس من التفسير (ص ٥) والمجلد السادس عشر من المنار (ص ٦٥٧ - ٦٦٥)

﴿ استدلال مشايخ الطرق لا تباعهم ونحكمهم في دينهم ودنياهم ﴾

(ص ٣٧) من صاحب الامضاء بالاسكندرية

حضرة صاحب الفضيلة العلامة السيد محمد رشيد رضا حفظه الله بعد تقديم واجبات الاحترام لمقام فضيلتكم السامي : لا يخفى على مسلم اشتغالكم بالعلوم والمعارف سيما ما هو خاص منها بالشريعة الاسلامية السمحة وما جبلتم عليه من كرم الاخلاق وطهارة النفس ولذا جئت اليكم بالسؤال الآتي لازتم ملجأ لكل قاصد ودليلا لكل حائر آمين واني أستحلفكم بالدين الحنيف السمح لاجاتي على هذا السؤال على صفحات أول عدد يصدر من مجلتكم القراء وهو :

(١) هل ورد نص شرعي يبيح لمشايخ الطرق أن يكلفوا المريدين أن

(المنار : ج ٧) (٦٣) (المجلد الثالث شرون)

يقبلوا رجل شيخهم باطنا وظاهرا ؟ (٢) وهل يجوز لشيخ أن ينهى أولاده أو دراويشه أن يتعلموا العلم لأن العلم على زعمه يوجد الكبر في النفس ؟ وأن يمنع أحدهم أن يشتغل إلا بمهنة واحدة بمعنى أن النجار مثلا لا يجوز له أن يشتغل بالحدادة ولا للحداد أن يمارس النجارة لأن ذلك محرم على زعمه . وإن هذا الشيخ حرم على أولاده بأن يذكروا الله ببعض أسماء الله الحسنى مع ترك باقي أسمائه تعالى . وإذا سئل عن تفسير آية أو حديث يفسر مسائل عنه وهو يدخن سيجارته ماذا أحدى رجله أو كليهما معا ، وإن هذا الشيخ جمع لاجتماع عظيم من البسائط وذوي القلوب الضعيفة وعمل له طريقا وهو يتجول من بلد إلى أخرى لتقويته فهل هذا الطريق شرعي ؟

هذا هو السؤال وضحته لفضيلتكم ملتصقا بالإجابة عليه كما ذكرت مع الشكر والثناء لاني في الحقيقة عامل مشتغل بالصناعة ويهمني كثيرا أمر ديني ، وفاتني أن أذكر لكم أن هذا الشيخ يزعم أن هذا الذكر مطابق للشرع وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع جمعا من أصحابه رضوان الله عليهم وذكرهم هذا الذكر اه وختاماً تفضلوا بقبول مزيد احترامي عبده منصور قنديل

(الجواب) أن من المصائب والنوائب أن يصل الجاهل بضروريات الاسلام في مثل هذه البلاد المصرية الى أن يحتاج بعض الناس الى السؤال عن هذه الضلالات والجهالات هل ورد فيها نص شرعي وإن كان الغرض منه جعله وسيلة الى إنكارها — كما نظن — عسى أن يهتدي بما ينشر فيها من الإنكار بعض أوائك العوام لمساكين الذين يصدقون كل من يتظاهر بالصلاح في كل ما يدعيه ويسلمون له كل ما يعزوه الى الشريعة وبمحكيه عن الله تعالى وعن رسوله (ص) وهو يكذب في ذلك ويختلق بغير علم ولا حياء من الله ولا خوف من مسلم يعرف ضروريات الدين أن يذكر عليه كذبه على الله ورسوله وإفساده على العامة دينهم كالشيخ المشار اليه بهذا السؤال ، والعلماء الرسميون الذين احتكروا رئاسة الدين بقوانين الحكومة قلما يفتي أحد منهم أقل عناية بأمر العامة ببحث أو سؤال ، أو هدي

وإرشاد ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهم يعلمون راعليه الناس ، فان ذكر على مسامعهم مافشا في الناس من البدع المكفرة والمفسدة حوقلوا وتبرموا وقالوا : آخر زمان . ولكن اذا تصدى أحد لارشاد العامة وبيان حقيقة دينها لها وقال : هذا إيمان وذاك كفر ، وهذه سنة وتلك بدعة ، ورأوا له تأثيرا في العامة ، لا يهدم من أكبرهم عمائم وأطولهم لحى من يقوم في وجهه وينتصر للعامة عليه — فاذا ذكر بدع القبور بين ومنكراتهم التي تعد بالعشرات والمئات صاحوا في وجهه إنك تنكر زيارة القبور وكرامات الاولياء — واذا أنكر خرافات مشايخ الطريق اتى قباؤها لدين رأسا على عقب هاجوا عليه العامة : هذا مبتدع أو معتزلي أو وهابي ينكر كرامات الاولياء !! فبحماية استحباب زيارة القبور للرجال لاجل تذكر الموت والآخرة التي لم ينكرها وهابي ولا غيره يبيعون للملايين من النساء والرجال مئت من المعاصي المجمع على تحريمها والتي تقوم الاداة على كون بعضها ردة عن الاسلام وخروجها من الملة — وياومح من يصرح بهذا — وبمحاية كرامات الاولياء التي توسعوا فيها توسعا تأباه سنن الله في خلقه وشرعه لهذاية عباده يبيعون لاهل الطرق ولغيرهم من الدجابين والمعتريين ، مئت من الخرافات المفرقة عن الدين ، المشوهة لوجهه الجميل . وان بعض هؤلاء المعصيين الرسميين ايحتمون لهذه البدع والخرافات ويغارون عليها غيرة لو بذلوا بعضها للكتاب والسنة لما عم الجهل بهما والاعراض عنهما العباد والبلاد ، حتى إنهم يؤذون العالم الدائم لرئاستهم ويستعينون على أذاه بالحكومة اذا هودعا الناس الى السنة وأنكر تلك البدع عليهم ، كما فعلوا في دمياط غير مرة

ذلك ما جرى بعض دجاجة العوام على انتحال مشيخة الطريق والتصدر لارشاد الناس بل على إغوائهم وإضلالهم بما يعجزاء كل شيطان مريد ، وماذا عسى أن نقول في مثل هذا الدجال الصغير وفساده اذا قسنه بكبير الدجابين ، الذين يعد أتباعهم بالملايين ، ويقدمهم الالوف من العلماء المؤلفين ، والشعراء القواوين ، كالشيخ احمد التيجاني الذي تستباح بالالتناء اليه جميع الفواحش والمنكرات لدعواه ان النبي (ص) ضمن لكل من يدخل في طارقه

الجنة — وهو ما ينبغي في جزء آخر

وحسبنا في جواب هذا السؤال أن نقول بالاجمال ان ما يدعيه هذا الدجال كذب معلوم بالضرورة وما يحمل عليه اتباعه إفساد لدينهم ودنياهم، فالدين لم يشرع فيه تقبيل رجل أحد ولا يده، وفي تقبيل رجل أي إنسان ذل تأباه عزة لايمان التي أثبتها الله لهباده المؤمنين، وتقبيل اليد ليس فيها لذاتها هذا المعنى من الذل ولكن لا يجوز أن يفعل على أنه من الدين، ولكل أحد أن يشتغل بكل حرفة وكل صناعة يرى له فيها ربحا حلالا، وليس لأحد أن يحظر عليه ذلك حظرا دينيا، ولا يقبل قول أحد في عبادة من ذكر أو غيره الا بدليل يستند فيه الى كتاب الله أو سنة رسوله (ص) والسلف والمجتهدون معذورون فيما اتبعوه بالاجتهاد من ذلك ولا يعذر فيه مثل لرجل المستول عنه، وكيف يقبل قول من بلغ منه الجهل والضلال أن ينهى أتباعه عن طاب العلم الذي لا يصح بدونه عبادة وما ذلك الا أن العلم هو الذي يفضحه ويظهر جهله وكذبه على الله ورسوله مع سوء أدبه عند الكلام فيهما مادا رجليه نالفا حنانه. ولم يبين السائل الذكر الذي حمل أتباعه على التزامه لتعلم هل له أصل ما في السنة أم لا، ولكنتا نقطع بأنه لم يرد في السنة شيء في التزام ذكر معين والاستغناء به كل ما سواه

﴿ تزوج المسلمين بالكتايات ﴾

(س ٣٧) من وكيل المنار في الارجنتين السيد عبد الكريم عكره كتب الينا وكيلنا المذكور يشكو من تزوج بعض المسلمين السوريين ببعض نساء البلاد ورغب الينا ان نكتب في المنار تحذيرا لهم من ذلك لاعتقاده أنه غير جائز شرعا

ونجيب عن هذا بأن نساء تلك البلاد كتايات ونكاح المحصنات (العفيفات) ممنهن جائز بنص سورة المائدة المحكمة وعليه جمهور السلف والخلف. الا أنه قلل عن عبد الله بن عمر (رض) منعه وحله وعلى المنم الشيعة الامامية. وقيده بعض الفقهاء بمن كن من سلائل أهل الكتاب قبل تحريف كتبهم وهذا من تدقيق

بعض الشافعية . ونحن نعتقد انه جائز بالنص وانه لا يحرم الا لسبب آخر يدخل في باب سد الذرائع ، كأن يستلزم شيئاً من المفساد المحرمة ، وأشدّها أن يتبع الاولاد كلهم أو بعضهم الام في دينها إما بحكم قوانين تلك البلاد وإما لكون المرأة أرقى من زوجها علماً وعقلاً وتأثيراً بحيث تغلبه على اولاده فتربيتهم على دينها وتعلمهم عقائده وعباداته فيشربون عليه . وإن من حكم حل هذا النكاح أن ترى المرأة غير المسلمة ما عليه زوجها من الدين المأقول الموافق للفترة بعقائده وعباداته وآدابه واحكامه فيجذبها ذلك الى الاسلام . وإن أكثر المسلمين في تلك البلاد من العوام ولعلمهم يرغبون في نساء شعبها لانهم يرونهن فوقهم مكانة ولا أدري كيف يكون حالهم معهم ، فإذا كن يحترمنهم كما يحترم الرجل من أبناء بلادهن وكانت عيشتهم معهم حسنة بالاحصان أي المنع من الفسق والاقتصاد وتربية الاولاد مع جعلهم تابعين لآبائهم في الدين فيكون هذا التزوج بهم حسناً مفيداً والا فلا

الهجر الجميل والصفح والصبر الجميل^{*}

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ الامام ، العالم العامل ، الحبر الكامل ، شيخ الاسلام ، ومفتي الانام ، تقي الدين بن تيمية أيده الله وزاده من فضله — العظيم — عن الصبر الجميل ، والصفح الجميل ، والهجر الجميل ، وما أقسام لتقوى والصبر الذي عليه الناس ؟ فأجاب رحمه الله : —

الحمد لله . أما بعد فان الله أمر نبيه بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، فالهجر الجميل هجر بلا أذى ، والصفح الجميل صفح بلا عتاب ، والصبر

(* هذه الفتوى أو الرسالة أرسلها اليّنا مع كثير من امثالها صديقتنا علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي أثابه الله وسنشرها ثم نجمها في كتاب خاص انه شاء الله تعالى

الجميل ، بهر بلا شكوى ، قال يعقوب عليه الصلاة والسلام (انما أشكو بثي وحزني الى الله) مع قوله (فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون) فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر الجميل ، ويرى عن موسى عليه الصلاة والسلام انه كان يقول : اللهم لا اله الا انت ، واليك المشتكى ، وانت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان . ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، اللهم الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت الظلمات له ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي سخطك ، أو يحل عليّ غضبك ، لك الغنى حتى ترضى » ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر (انما أشكو بثي وحزني الى الله) ويكي حتى يسمع نشيجه من آخر الصفوف . بخلاف الشكوى الى المخلوق . قرىء على الامام احمد في مرض موته ان طاووساً كره أن ينال المريض وقال : انه شكوى . فما أن حتى مات . وذلك ان المشتكى طالب بلسان الحال ، إما ازالة ما يضره أو حصول ما ينفعه ، والعبد مأمور أن يسأل ربه دون خلقه ، كما قال تعالى (فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ولا بد للانسان من شيئين طاعته بفعل المأمور ، وترك المحذور ، وصبره على ما يصيبه من القضاء المقدور ، فالاول هو التقوى والثاني هو الصبر ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً) الى قوله (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط) وقال تعالى (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا . أذى كثير ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وقد قال يوسف (أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق

ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين

ولهذا كان الشيخ عبد القادر ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة كلامهم بهذين الاصلين — المسارعة الى فعل المأمور ، والتقاعد عن فعل المحذور ، والصبر والرضا بالأمر المقدور ، وذلك ان هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة بل ومن السالكين ، فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية ، دون الدينية ، فيرى ان الله خالق كل شيء وربّه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه ، وبين ما يسخطه ويبغضه وإن قدره وقضاه ، ولا يميز بين توحيد الألوهية ، وبين توحيد الربوبية ، فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات — سعيدها وشقيها — مشهد الجمع الذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والنبى الصادق ، والمتنبى الكاذب ، وأهل الجنة وأهل النار ، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقربون والمردة الشياطين . فان هؤلاء كلهم يشتركون في هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية ، وهو ان الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم غيره . ولا يشهد الفرق الذي فرق الله بين أوليائه وأعدائه ، وبين المؤمنين والكافرين ، والابرار والفجار ، وأهل الجنة والنار ، وهو توحيد الألوهية ، وهو عبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ، وفعل ما يحبه ويرضاه ، وهو ما أمر به ورسوله أمر بإيجاب أو أمر استحباب ، وترك ما نهى الله عنه ، ورسوله وموالاته أوليائه ، ومعاداته أعدائه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان . فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة الدينية والا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى ، فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : الله)^(١) قل أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار

(١) هذه قراءة أبي عمرو ويعتوب في الآية وما بعدها وقرأ الباقر (لله) وهي المشهورة عندنا

عليه ان كنتم تعلمون ؟ فيقولون الله قل فأتى تسحرون ؟) ولهذا قال سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال بعض السلف تسألهم من خلق السموات والارض ؟ فيقولون الله . وهم مع هذا يعبدون غيره

من أقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين فهو كافر من اليهود والنصارى . فان أولئك يقولون بالملائكة والرسل الذين جاؤا بالامر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا)

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية، وتوحيد الربوبية الشامل للخالقة، وبقراءة العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة، فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذين أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسوله، وبين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى^(١). لكن من الناس من قد لمحو الفرق في بعض الأمور دون بعض، بحيث يفرق بين المؤمنين والكافر، ولا يفرق بين البر والفاجر، أو يفرق بين بعض الأبرار، وبين بعض الفجار، ولا يفرق بين آخرين أتباعاً لظنه وما يهواه فيكون ناقص الإيمان بحسب ماسوى بين الأبرار والفجار، ويكون معه من الإيمان بدين الله تعالى الفارق بحسب ما فرق به بين أوليائه وأعدائه ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرة كالمعتزلة وغيرهم الذين هم مجوس هذه الأمة، فهؤلاء يشبهون المجوس، وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس . ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضاً، فهو من أتباع إبليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصة كما نقل ذلك عنه

فهذا التقسيم من القول والاعتقاد . وكذلك هم في الأحوال والأفعال .

(١) الاصطلاح الشرعي ان الكفر اذا أطلق انصرف الى ما يقابل الاسلام ونضاده فالمراد هنا أن من المساهمين جنسية او ادعاء من هم ابعد عن الاسلام من اهل الكتاب . وبطلق الكفر احيانا بالمعنى اللغوي . واذا أطلق في عرف هذا العصر فالمراد به الالحاد والتمطيل المطاق ولا يدخل فيه اهل الكتاب كما هو ظاهر

فالصواب منها حالة المؤمن الذي ينقي الله فيفعل المأمور ، ويترك المحذور ، ويصبر على ما يصيبه من المقدور ، فهو عند الامر والدين والشرعية ويستعين بالله على ذلك . كما قال تعالى (اياك نعبد و اياك نستعين) . وذا أذنب استغفر وتاب ، لا يحتاج بالقدر على ما يفعله من السيئات ، ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات ، بل يؤمن بالقدر ولا يحتاج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد « اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ، خلقتني وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » فيقر بنعمة الله عليه في الحسنات ، ويعلم أنه هو هداه ويسره ليسرى ، ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها ، كما قال بعضهم : أطعك بفضلك ، والمنة لك ، وعصيتك بعلمك ، والحجة لك ، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتني ، الا ما غفرت لي . وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي أعمالكم ، أحصيا لكم ، ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع .

وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في الطاعة ، حسب الاستطاعة ، لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ، ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر ، وآخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون أمر الله ورسوله واتباع شريعته . وبالضرورة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين . فهو لا يستعينون الله ولا يعبدونه ، والذين من قبلهم يريدون أن يعبدوه ولا يستعينوه ، والمؤمن يعبد الله ويستعينه

والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبد ولا يستعينه ، فلا هو مع الشريعة الامرية ولا مع القدر الكوني . وانقسامهم الى هذه الاقسام هو فيما يكون قبل وقوع المقدور من توكل واستعانة ونحو ذلك ، وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك . فهم في التقوى وهي طاعة الامر الديني ، والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني ، أربعة أقسام

(أحدها) أهل التقوى والصبر وهم الذين أنعم الله عليهم . أهل السعادة في الدنيا والآخرة (والثاني) الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر ، مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات لكن إذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بهدو ويخيفه عظم جزعه وظهر هامه

(والثالث) قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم كاللصوص والقطاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من العصب وأخذ الحرام والكتاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها . وكذلك طلاب الرياسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الاذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس

وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهونونه من المحرمات على أنواع من الاذى والآلام . وهؤلاء هم الذين يريدون علوا في الارض أو فسادا من طلاب الرياسة والعلو على الخلق ، ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان ، والاستمتاع بالصور المحرمة نظرا أو مباشرة وغير ذلك ، يصبرون على أنواع من المسكروحات ولا يمكن لهم تقوى فيما تركوه من المأمور ، وفعلوه من المحظور ، وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك ولا يكون فيه تقوى اذا قدر

(وأما القسم الرابع) فهو شر الاقسام : لا يتقون اذا قدروا ، ولا يصبرون اذا ابتلوا ، بل هم كما قال الله تعالى (ان الانسان خالق هلهواه اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قدروا ، ومن أذل الناس وأجزعهم اذا قهروا . ان قهرتهم دلوا لك وناقوك وحبوك واسترحوك ، ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل ، وان قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا ، وأقلهم رحمة واخسانا وعفوا ، كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان أبعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم

في كثير من أمورهم وان كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم ، فلا اعتبار بالحقائق » فان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب التتار وأعمالهم كان شبيها لهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام أو ما يظهره منه بمنزلة ما معهم من الاسلام وما يظهرونه منه ، بل يوجد في غير التتار المقاتلين من المظهرين للاسلام من هو أعظم ردة وأولى بالاخلاق الجاهلية ، وأبعد عن الاخلاق الاسلامية ، من التتار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته « خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » واذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ، فكل من كان الى ذلك أقرب وهو به أشبه ، كان الى الكمال أقرب وهو به أحق . ومن كان عن ذلك أبعد وشبهه أضعف ، كان عن الكمال أبعد وبالاطل أحق . والكامل هو من كان لله أطوع ، وعلى ما يصيبه أصبر ، فبما كان أتبع لما يأمر الله به ورسوله وأعظم موافقة لله فيما يحببه وبرضاه ، وصبراً على ما قدره وقضاه كان أكمل وأفضل . وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك

وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعاً في غير موضع من كتابه وبين أنه ينتصر العبد على عدوه ^(١) من الكفار المحاربين والمعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين واصحابه تكون العاقبة قال الله تعالى (بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وقال الله تعالى (لتبلىون في أموالكم وانفسكم واتسعن من الدين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الدين أشركوا أفذى كثيراً ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » ها أنتم اولاء

(١) المنار : كذا في الاصل والمعنى الذي يقتضيه المقام — أنه ينتصر العبد الصابر على عدوه الخ وقوله بعده المحاربين المعاهدين غير ظاهر فان المعاهد غير المحارب ولعله المعاندين

تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قتلوا آمناً وإذا خلوا عضبوا عليكم إلا نامل من الغيظ قل موتوا فيظنكم أن الله عليم بذات الصدور. إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط (وقال أخوة يوسف لا (نك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا، انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وقد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً فقال تعالى (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

وفي اتباع ما أوحى إليه التقوى كلها تصديقاً لخبر الله وطاعة لأمره وقال تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (وقال تعالى (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) وقال تعالى (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل) وقال تعالى (استعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) وقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) فلهذا مواضع قرن فيها الصلاة والصبر وقرن بين الرحمة والصبر في مثل قوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) . وفي الرحمة الاحسان الى الخلق بالزكاة وغيرها فإن القسمة أيضاً رباعية اذ من الناس من يصبر ولا يرحم كاهل القوة والقسوة ومنهم من يرحم ولا يصبر كاهل الضعف واللين مثل كثير من النساء ومن يشبههن ، ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كاهل القسوة والهلل . والمحمود هو الذي يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في المتولي ينبغي أن يكون قوياً من غير عنف، ليناً من غير ضعف، فبصبره يقوى وبليته يرحم، وبالصبر ينصر العبد فإن النصر مع الصبر، وبالرحمة يرحم الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال « من لا يرحم لا يرحم » وقال « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » « الراحون يرحمهم الرحمن » ارحموا من في الارض يرحمكم من السماء » والله أعلم انتهى

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحد زعماء النهضة الهندية	أحد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
محي الدين آزاد	المليح آبادي
صاحب مجلة الهلال الهندية	محرر جريدة (بيغام) الهندية

❦ فصل ❦

(اجماع اهل السنة والشيعة)

ومثل الصحابة والتابعين كانت سيرة أئمة العترة عليهم السلام مع خلفاء بني أمية وبني العباس ، وان كانوا يرون أنفسهم أحق بالخلافة منهم ولكن مع ذلك لم يخرج عليهم أحد منهم ولا انحرف عن طاعتهم ، بل ظلوا تحت أمرهم طائعين لان حكومتهم كانت قد تمكنت ولما خرج من أهل البيت زيد ، أنكر عليه الامام جعفر الصادق عمله لنفس هذه العلة ، ولاجلها قبل الامام علي الرضا عهد المأمون بالخلافة اليه ، لانه لو لم يكن من المسلمين خلافته لما قبل العهد ، بل لرده واجتنبه منه ، ولكنه لما لم يفعل ذلك ثبت أنه كان يرى خلافة المأمون صحيحة وشرعية

ولا يؤثر عن هؤلاء الأئمة الاظهار شيء يثبت انهم منعوا أحداً من طاعة خلفاء بني أمية أو بني العباس ، بل في كتب الحديث للامامية (مثل أصول الكافي وغيره) ما يثبت أنهم مع اظهار استحقاقهم للخلافة وشكوى الغصب والتعدي عليهم منعوا الناس من الخروج والغدر - وأقطع برهان على ذلك عمل أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه ، الذي

تدعي الامامية أن خلافته كانت منصوبة ، وأنه لم تكن الخلافة جائزة لغيره في حياته - ولكن مع ذلك معلوم لكل الناس أنه عليه السلام لم يخرج على الخلفاء الثلاثة الذين مضوا قبله ، ولا تخلف عن بيعتهم ، ولا تنهى عنهم ، بل ظل عشرين سنة على طاعتهم وموازرتهم ومناصحتهم ، حتى لحقوا بربهم ، وآلت الخلافة اليه ، فأثبت بعلمه هذا أن الامة اذا اجتمعت على رجل فلا يجوز مخالفته وعصيانه والخروج عليه - بل على كل الناس ان يطيعوه ويسمعوا له - فاذا كان هذا غير جائز للخليفة المنصوص على خلافته فكيف يجوز لعامة الناس ؟

فأهل السنة والامامية كلاهما متفقان في هذه المسئلة . وأما الخلاف المشهور بينهما فانما هو في الخلافة الجمهورية ، أي اذا قدرت الامة على نصب الخليفة فمن تنصب ؟ فالشيعة تشترط أن يكون من أهل البيت فقط ، وأهل السنة ينكرون هذا الشرط ، ولكن اذا لم يبق هذا النظام ولم تقدر الامة على الانتخاب لتغلب المتغلبين على الخلافة ، فان قويت شوكتهم وانتادت لهم الامور اتقياداً فكل من الشيعة وأهل السنة يقول قولاً واحداً وهو أنه يجب طاعته وإلى هذا ذهب الزيدية وغيرها من الفرق الاسلامية -

❖ فصل ❖

(الشواهد من كتب العقائد والفقه)

وانا لنورد ههنا بعض مقالات كتب العقائد والفقه التي يتدارسها المسلمون في مدارسهم ومساجدهم من قرون عديدة ليسهل على الناس مراجعتها :

ففي شرح المقاصد « وأما اذا لم يوجد من يصلح لذلك ، أو لم يقدر على نصبه لاستيلاء أهل الباطل وشوكة الظلمة وأرباب الضلال ، فلا كلام في جواز تقليد القضاء ، وتنفيذ الاحكام واقامة الحدود وجميع ما يتعلق بالامام من كل ذي شوكة » ثم بعد بيان شروط الامامة يقول « نعم اذا لم يقدر على اعتبار الشرائط ، جاز ابتناء الاحكام المتعلقة بالامامة على كل ذي شوكة يقتدر ، تغلب أو استولى » وفيه أيضاً « فان لم يوجد من قرئش من يجمع الصفات المعتبرة ، ولي كنفاني ، فان لم يوجد ، فرجل من ولد اسماعيل ، فان لم يوجد فرجل من المعجم »

وفي المرقاة شرح المشكاة « وأما الخروج عليهم وقتالهم فمحرم وإن كانوا
فصقة ظالمين » ويكتب في شرح حديث « من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد »
اي له اهلية الخلافة أو التسلط والغلبة »

وفي الشامي « ويثبت عقد الامامة إما باستخلاف الخليفة اياه كما فعل ابو
بكر ، وأما بيعة جماعة من العلماء أو من اهل الرأي »

وفي المسامرة « والمتقلب تصح منه هذه الامور (أي ولاية القضاء
والامارة والحكم بالاستفتاء ونحوها) للضرورة وصار الحال عند التغلب كما
للموجود قرشي عدل ، أو وجد ولم يقدر (اي لم توجد قدرة على توليته لغلبة
الجررة) اذ يحكم في كل من صورتين بصحة ولاية من ليس بقرشي ،
ومن ليس بعدل للضرورة »

وفي شرح المواقف ، بعد بيان شروط الامامة « ولكن للامة أن ينصبوا
مأقدها ، دفعا للمفاسد التي تندفع بنصبه » (٦٣٤)

وقد أعطي البحث حقه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري حيث
يقول « وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ،
وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء ، وتسكين الدهماء ،
ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح - فلا تجوز
طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث « (ج ١٣ : ٧)
ويكتب في شرح حديث حذيفة « فاعزل الفرق كلها » الخ « قال ابن بطال :
فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة
الجرور لانه وصف الطائفة الاخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ومع ذلك أمر
بلزوم الجماعة » (كتاب الفتن ج ١٣ صفحة ٣١)

ويشرح حديث « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي »
بقوله « وأما لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته تجب اخذاً للفتنة »
(فتح ١٣ : ١٠٩)

وقال النووي في شرح مسلم « وهذه الاحاديث في الحث على السمع
والطاعة في جميع الاحوال ، وسببها اجتماع كلمة المسلمين فان الخلاف سبب
لفساد احوالهم في دينهم ودنياهم ، وقوله : (ص) « وان كان عبداً مجذوع الاطراف »

يعني مقطوعها ، والمراد أخس العبيد ، أي اسمع وأطع للامير وان كان دنيء النسب ويتصور امارة العبد اذا ولاه بعض الائمة أو تغلب على البلاد بشوكته » الخ (ج ٢ : ١٢٥)

وقال الشوكاني في الدرر الهية « وطاعة الائمة واجبة الا في معصية الله ، ولا يجوز الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة » (شرح الدرر : ٤١٤)
وفي حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي « إن الخليفة اذا انعقدت خلافته ثم خرج آخر ينازعه حل قتله »

وقال رضي الله عنه في كتابه (ازالة الخفاء) بالفارسية ما ترجمته وقد بحث في هذا الكتاب مسألة الخلافة بحثا مفصلا وجامعا لم يبحث مثله أحد قبله :
« والخروج على السلطان الفاعل للشروط أيضا حرام بعد اجتماع المسلمين عليه ، الا أن يظهر كفرا بواحا وقد تواتر هذا معنى » (ج ١ ص ١٣٢)

وحاصل هذه الشواهد ما مر بك من قبل ، وهو أنه يجب أن يكون للامة امام وخليفة ذو شوكة ومنعة في كل زمان ، فان استطاعت الامة نصبه فعليها أن تراعي الشروط التي شرطتها الشريعة في الخليفة وان استولى على الخلافة رجل مسلم بقوة وعصبية ، وانعقدت حكومته فيجب على كل الناس طاعته وقبول خلافته سواء أ كان قرشيا أو غير قرشي ، عادلا أو ظالما ، عالي النسب أو دانيه ، حتى وان كان عبدا حبشيا مجذع الاطراف فيجب طاعته ومناصرته على أعدائه الا أن يرى منه كفر ظاهر ، فلا طاعة في هذه الحالة ولا سمع ولا بيعة ، بل يجب الخروج عليه ومقاتلته — ومن لم يستطع ذلك يهاجر من بلده — قال المستقلاني في الفتح « فمن قام على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعليه الأثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الارض » (١٠٩١٣)

وعلم من هذا ايضا أن الكفار اذا استولوا على بلد اسلامي يجب على أهله الخروج عليهم ومقاتلتهم . ولا يحل لهم أن يداهنوهم ويداروهم ، ومن عجز فعليه الهجرة من ذلك البلد ، لانه لا يجوز لمسلم البقاء تحت حكم الكفار !

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

مقدمته

لقد كان مما أصاب شيخنا الاستاذ الامام، من وراثة العلماء للانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ان حياته كانت خيرا للناس بما كان ينفعهم فيها بعلمه وعمله، وسيرته وهديه، اذ كانت كل أوثانه مصروفة لمنفعة الامة في جملتهم، أو للمنافاة وطلاب الحاجات من أفرادها ، وقما كان يعمل خاصة نفسه أو لبيته شيئا ، فلما مات كثر في مماته خير للناس بما شعروا به من الحاجة الى الاصلاح الذي كان يقوم به، والى الامام الذي يهدي السبيل، والاستاذ الذي ينير الدليل ، والطبيب الذي يشفي العليل ، والزعيم الذي يسير بالامة من خنادق الشهات ، ودياجير المشكلات ، الى نور الحق المبين ، فيما ينبغي أن تكون عليه في أمري الدنيا والدين ، فما زال أهل البصيرة منها والرأي ، يذكر . نه كلما حز بهم أمر ، «وفى الليلة الظلماء بتقد البدر» ، حتى اذا ما تطورت الاطوار ، وأنسخ من الليل النهار ، واضطربت في المصاحبة العامة الافكار ، توجهت العقول البعثة ، والقلوب الحساسة ، الى الاحتفال باحياء ذكره ، وتجديد البحث في تعليمه وهديه ، اشترك في ذلك الشيخ الضعيف الوي ، والكهل الحصيف الذي بلغ أشده واستوى ، والاستاذ العظم ، والتلميذ المتعلم ، حتى كان السابق الى قراح ذلك في الصحف اليومية ، طالب من طلبة المدارس الثانوية ، لم يدرك عهد الامام ، ولكنه أدرك قيمة ما ترك للامة من القوى والاعلام ،

تشااور بعض تلاميذ الامام ومريديه في الاحتفال باحياء ذكره ،
وعرض خلاصة من سيرته على الامة مع شيء من نتائج فكره ، قالوا
لذلك لجنة من إخوانهم ، واختاروا أن يرأس لجنهم أحد اكابر علماء
الازهر الاعلام ، الواقفين على نشأة الاستاذ الامام ، وعرضوا ذلك على
فضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت الذي كان زميله في طلب العلم ، وخلفه
في إفتاء ديار مصر ، ورجعوه بمجموعة من المزايا لا توجد في غيره ،
فحبذ رأيهم ، وقبل اقتراحهم ، ثم اختاروا بعد التشاور أن يكون الاحتفال
في دار الجامعة المصرية ، واجتمعوا فيها المرة بعد المرة ، فوضعوا النظام
له ، وجمعوا من أنفسهم ما قدروه له من النفقة ، وقرروا أن ينتج
الجلسة الرئيس بخطبة مناسبة للمقام ، ويلوه الاستاذ أحمد لطفي بك السيد
بكامة يقولها باسم الجامعة المصرية ، وأن يقي عليه الاستاذ الشيخ مصطفى
عبدالرازق بالقاء ترجمة الامام مفصلة ، وأن يلقى بعد ذلك كتور منصور فهمي
كلمة يعبر بها عن رأي النابتة المصرية في الامام ، وماله في قلوب أحرار الفكر
من المقام ، وأن ينشد بعده محمد حافظ بك ابراهيم قصيدته ، ثم يختم
الحفلة صاحب المنار ، بما عساه يتسع له الوقت من الكلام ،
ثم انهم بعد ذلك نشروا في الجرائد ما يأتي :

احياء ذكرى الاستاذ الامام

فكر جماعة من تلاميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبد في الاحتفال باحياء ذكره
وتألفت لجنة منهم برئاسة زميله حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بخيت وقررت
أن تكون الحفلة بدار الجامعة المصرية الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ١٦ ذي القعدة
سنة ١٣٤٠ الموافق ١١ يوليو سنة ١٩٢٢ (وهو يوم وفاته بالحساب الشمسي) .

ووضعت اللجنة نظام الحفلة وعينت خطباءها مراعية مايتسع له الوقت وما يناسب الغرض من الالاحة ال امام مصلح .
وستطبع اللجنة مايلقى في الحفلة في كراسة خاصة مع مايرد اليها من الخطب والقصائد المختارة . .

وهذه أسماء حضرات أعضاء اللجنة : —

- ١ — الشيخ محمد بنحيت — رئيس
- ٢ — السيد عبد الحميد البكري
- ٣ — السيد محمد رشيد رضا
- ٤ — الشيخ محمد مصطفى المراغي
- ٥ — الشيخ محمد هلالي الاياري
- ٦ — الشيخ عبد المجيد سليم
- ٧ — الشيخ مصطفى عبد الرازق
- ٨ — الشيخ علي سرور الزنكلوني
- ٩ — احمد زكي باشا
- ١٠ — حسن عبد الرازق باشا
- ١١ — السيد عبدالرحيم باشا الدمرداش
- ١٢ — احمد بك لطاني السيد
- ١٣ — حنا بك باخوم
- ١٤ — الدكتور طه حسين
- ١٥ — الدكتور منصور فهمي — السكرتير

ولما جاء اليوم الموعود كانت اللجنة قد آتت الاستعداد للاحتفال في برحبة دار الجامعة المصرية بعد اذن مجاس ادارة الجامعة لها بذلك فقرشت أرضها بالرمل الاصفر ، ونصبت في صدر المكان منبر الخطابة وفرشت أرضه بالطنافس المعجمية السفيسة، ووضعت عليها الاراتك والمقاعد الوثيرة ، وصفت

من ورائه كراسي الخيزران، بعدد ماوزعت من رقع الدعوة على العلماء وخواص الامة من جميع الطبقات

وما جاءت الساعة المعينة للبدء في الاحتفال الا وكانت المقاعد كلها قد شغلت بالمدعوين ، وفي مقدمتهم حضرة صاحب المعالي محمدشكري باشا وزير الزراعة جاء من الاسكندرية لاجل حضور الحفلة بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن هيئة الوزارة

وزاد اناس تجددوا فاذن لهم ، فاضطر كثير منهم الى الوقوف وراء الصفوف فكان المجموع زهاء الف وثلاثمائة نسمة. وقد بدى الاحتفال بقراءة بعض الحفظة آيات من القرآن الحكيم . وبعد فراغه ابتدر المنبر الاستاذ الشيخ محمد نجيت رئيس لجنة الاحتفال وتلا خطبته الافتتاحية ، وتلاه سائر الخطباء على الترتيب المتقدم

الخطبة الافتتاحية

لفضيلة رئيس لجنة الاحتفال

أيها السادة النجباء الاذكياء

إني أشكر لكم على تلبيةكم الدعوة ، وتشريفكم هذه الحفلة ، واني أعتقد أن كلا سواء في اجابة هذه الدعوة ، لانها على الحقيقة دعوة صادرة من تلك الروح الطاهرة روح الامام الذي نحتفل اليوم بذكراه ، فانها هي التي دعتنا جميعا وبذت قلوبنا الى حضور هذه الحفلة المباركة ، فهي الآن ترفرف فوق رؤوسكم لتولي شكركم بنفسها على احتفالكم بذكرها . وتثني علىكم ثناء جميلا حيث ذكرتموها باسان صدق في الآخرين

هذه الروح هي روح الامام الخطير ، والاستاذ الكبير ، والمحقق الشهير ، والفيافي القدير ، الغفور له (الشيخ محمد عبده) ولقد صاحبناه طيب الله ثراه ، وجمال الجنة منقلبه ومثواه ، زانا لماه زمن المقي الدروس بالازهر من

الصغير الى أن تخرجنا منه ، ولأزمننا معاً كبار شيخ الأزهر في تلقي العلوم الشرعية من فقه وغيره ، وتلقي العلوم العربية من نحو وبلاغة وغيرهما ، ومن العلوم العقلية المنطق والفلسفة ، ومن العلوم الطبيعية غير ذلك كالحديث بقسمها ، ومن لازمناهم معاً في العلوم العقلية المعنوية له السيد جمال الدين الأفغاني والمفتون له الشيخ حسن الطويل .

وبعد أن تخرجنا من الأزهر لازم الاستاذ المشار اليه السيد جمال الدين رحمه الله ،

فكان الاستاذ فيلسوفا في العلوم الشرعية عارفا بروح الشرع وحكمة التشريع أصولاً وفروعاً — فيلسوفا في العلوم العقلية عارفاً بحقائق الموجودات علويةا وسفليةا على حسب الطاقة البشرية ، فكان اذا غاصت روحه في بحار التحقيق استخرجت درر الماني ولا لآلها فنظمها في سلوك المباني الذهبية ، وجملتها قلائد تتحلى بها أعناق ذوي الفضل والهمم العالية ، واذا صعدت الى سماء التدقيق نخرت من دراري الحقائق أعلاها وأغلاها ونثرتها شمساً تشرق في أفق قلوب ذوي العناية بالعلوم فيشاهدون بعين البصائر من الحقائق العلوية فوق ما يشاهدونه بالابصار ، والشمس في رابعة النهار .

كان فيلسوفا في العلوم العربية كملت فيه ملكة الفصاحة حتى اذا تكلم أدهش الفصحاء ، كما كملت فيه ملكة البلاغة ، فاذا خطب حير الباغاء ، فكانت عباراته شفاء لآولي الالباب ، وإشاراتة نجاة للطلاب ، فهو معيار العلوم ، ومشكاة المنطوق منها والمهورم ، ولذلك لما انتقل في مثل هذا اليوم من دار الفناء الى دار البقاء وترك في هذه الدار فراغاً

٥١٨ كلمة لطفي بك السيد في الاحتفال بالامام المنار : ج ٧ م ٢٣

كان يشغله وحده ، ولم يستطع أحد أن يشغله بعده ، ذابت أسفا عليه
أكباد عارفى فضله ، فسالت من العين ، سيل العين دمعاً بغير عين ، فكان
حقيقتاً بأن نقول فيه

انذا لا نبكي على كل ميت غير انا نبكي الذي هو امة
إن يش كان للبلاد حياة أومت كان موته موت امة
جعل الله من الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا . آمين

مفني الديار المصرية سابقا

محمد بنحيت

كلمة الترحيب باسم

﴿ الجامعة المصرية ﴾

لحضرة الاستاذ أحمد لطفي بك السيد أحد أعضاء مجلس ادارتها

أيها السادة

اسمحوا لي أن أقدم لكم باسم الجامعة المصرية تحياتها وترحيبها بكم وبالغرض
الشريف الذي يجمعكم اليوم للاحتفال بذكرى الامام الشيخ محمد عبده

لم يكن غرض اجتماعنا تأيين المرحوم الامام من جديد بل غرض الاجتماع
في هذا اليوم الموافق يوم وفاته رضي الله عنه أن نسمع لخطيب الحفلة الشيخ مصطفى
عبد الرازق الذي سيدرسه درسا تفصيليا على قدر الامكان في هذا المقام . وما
ظننا ان هناك شروطا يجب اجتماعها ومناسبات ينبغي تحيينها لدرس رجل من أئمة
العلم والاصلاح أكثر الحاضرين هنا اما تلميذ له أو تلميذ لتلاميذه ، بل ذلك واجب
علينا . وان أقل قدر من المناسبة يجعل القيام بهذا الواجب سائغا ان كان الواجب

هو أيضا يحتاج القيام به الى المناسبات

أيها السادة — إن لنا نحن المصريين من جهة كوننا أمة متمدنة حقاً نقضيه من الانسانية جمعاء وهو مساواتنا بكل أمة متمدنة في الحرق لدواية . وإن علينا مقابل هذا الحق واجباً يلزمنا أدائوه، وهو احتمال نصيب من المسؤولية عن الارتقاء العام للانسانية في مدارج الكمال من جميع جهاته . فكل عصر يجب أن يؤدي حساباً عما عمل لخير الانسانية، وكل أمة يجب عليها أن تحمل نصيبها من المسؤولية عن هذا العمل بقدر استعدادها . ومن الخطأ أن يخاف أن نصيبنا من هذه المسؤولية ضئيل القدر خفيف الحمل . بل الامر على ضد ذلك ، نصيبنا من المسؤولية يجب عدلاً أن يربو على نصيب كثير من الامم . ربما عدت غيرنا هذا القول غلوفاً في تقدير قيمة أمتنا ومناقياً للتواضع المحمود . ولكن هل أستطيع الحيد عن صيغة نتيجة منطقية يسلم كل العلماء بمقدماتها : الاجماع واقع على ان نظرية الانتقال الوراثي صحيحة، والاجماع واقع على اننا سلالة معلمي الانسانية والهادين الى طرائق كمالها من جهة العلوم والآداب، ومن جهة أنظمة الحكم ومختلف الصناعات ... الخ — فيجب أن يقع الاجماع أيضاً على اننا من أشد الامم استعداداً لاحتمال المسؤولية عن الارتقاء الانساني العام . ولا ينقصنا في ذلك الا زوال الموانع الخارجية التي حالت منذ بضعة قرون بيننا وبين الظهور باحتمال هذه المسؤولية والمشاطرة في المجد العلمي العام على هذا الاعتبار يجب علينا أن نتخذ نهضتنا العلمية الحاضرة بشير الرجوع الى مضمار المسابقة العلمية العامة وأن نوطد أنفسنا على العمل بمجد للاستعداد الى هذه المسابقة . ومن صنوف العدة أن نتبين حقيقة مركزنا العلمي ، وليس مركزنا العلمي شيئاً آخر الا تقدير ما أنتجت بلادنا من النوابع الذين هم أركان نهضتنا الحاضرة — أولئك هم مصابيح الماضي تنبعث منها أنوار الهداية الساطعة فتكشف للحال طريقه الى الامام في ظلمات المستقبل

وأكبر هؤلاء النبلاء هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده الذي سيتفضل

خطيب الحفلة فيفصل الكلام عليه تفصيلاً

وإني في الختام يسرني أن أعلن اليكم أن حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس

٥٢٠ ترجمة الشيخ مصطفى عبدالرازق الاستاذ الامام المنار : ج ٢ ص ٢٢٠

الوزراء وحضرات أصحاب المعالي زملاءه أرادوا أن يشاطروكم الاحتفال بذكرى
المرحوم الامام فأتوا عنهم أحدهم حضرة صاحب المعالي محمد شكري باشا وزير
الزراعة، وهي منة تذكروا للحكومة بالثناء على جميل صنعها .

وأعان أيضاً أن حضرة صاحب الفضيلة والارشاد السيد عبد الرحيم باشا
الدمرداش قد تبرع للجامعة بما يؤتيها غلة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه مصري لإنشاء
كرسي لعلم الاخلاق تخليداً لذكرى المرحوم الامام، جزاه الله عن العلم خيراً الجزاء

ترجمة الاستاذ الامام

لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى عبد الرزاق

(المنار) لما كان معظم ماكتبه هذا الاستاذ البليغ من ترجمة استاذنا ملخصاً
من ترجمتنا التي نشرناها في المنار عقب وفاته رأينا أن نكتفي بنقل شذرات
منها لاشتمالها على فوائد من الاستنتاج والاستنباط . على النحو الذي جرينا
عليه في الجزء الاول من تاريخه فمن ذلك قوله في تأثير التصوف في نفسه بعد
اتصاله بالشيخ درويش

وليس عندنا بيان عن هذا الشيخ الصوفي ، نستطيع أن نفهم به أحواله النفسية
والعقلية ، وتبين كيفية سلطانه على نفس مريده ، تلك النفس القوية الحرة الماهرة ،
التي راض الشيخ درويش بجاحها في خمسة عشر يوماً ، غير أن الذي رواه الاستاذ
من حال شيخه ، يدل على أنه كان رجلاً ساذجاً ، نير البصيرة ، طيب القلب ،
سمحاً سهلاً مؤمناً يغذي إيمانه بفهم القرآن ، وبفروب سهلة من العبادة والرياضة
وأمثال هذا الصوفي يوجدون شذاذاً ، بين الاعداد الكثيرة من رجال
الطرق ، ويكون لهم أثر روحي في المستعدين من مريديهم ، بما في نفوسهم من
صفاء ، وما في إيمانهم من قوة ليست مستمدة من ناحية علمية

«ولا ينكر أثر الشيخ درويش خضر بتربيته الصوفية في نفس استاذنا فان ذلك
الشيخ الصوفي الذي أخذ بزمام الجانِب الروحي من تلميذه القتي في عنفوان ثورة

نفسية ، قد وجه عواطف الشباب وخيالاته الى معان من اللذائذ القدسية
واذا كانت التربية الحديثة تدعو الى تهذيب الذوق بفنون الجمال ، فان التربية
الصوفية تدعو الى تلطيف السر بأنواع من الرياضة ، كالعبادة المشفوعة بالفكرة ،
والالحان المستخدمة لقوى النفس ، الموقعة لما لحن فيها من الكلام موقع القبول
من الاوهام . ويمين على تلطيف السر — كما يقول ابن سينا في الاشارات —
الفكر اللطيف ، والعشق العفيف ، الذي تأمر فيه شمائل المعشوق ، لاسلطان الشهوة ،
قال ابن سينا في وصف العارفين : « العارف هش بش بسام ، وكيف لا يهش
وهو فرحان بالحق ، وبكل شيء » ، فانه يرى فيه الحق .

العارف شجاع وكيف لا وهو بمنزل عن تقية الموت . وجواد وكيف لا وهو
بمنزل عن محبة الباطل . وصفاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلة بشر .
ونساء للاحقاد وكيف لا وذكركه مشغول بالحق »

هذه التعاليم ، من شأنها أن تربى الوجدان ، وتلطف السر ، وتكمل النفس
وتزينها ، ولا جرم كان الشيخ محمد عبده صوفي الاخلاق

قضى شيخنا نحو أربع سنين في بداية تكوينه الفكري ، بالجامع الاحدي
بطنطا ، ولا ينبغي أن تغفل أن مسجد طنطا هو جامع سيدي احمد البدوي ،
فيه مقامه ومخلفاته ، وفيه آثار مقدسة عند العامة ، وكثير من الخاصة ، وفيه مقابر
لغير السيد من الاولياء

والسيد البدوي هو أشهر أولياء القطر المصري ، وصيته وكراماته ذائعة في
واهي النيل ، ولزائريه من صور التوسل والزاني مالا يخلو من شطط ، ومسجد
السيد مورد الدراويش ، ومجتمع المجاذيب ، الذين يظن كثير من الناس ان لهم
في صفحة الغيب لمحات

هذه السنين الاربع ، في هذه البيئة ، نهت عقل الشيخ محمد عبده الى البدع
الدينية وعملها في العقول والاخلاق ، ولكنها أيضا مست بعض الجوانب من نفس
الفتى فتركت في منازعها المتسامية الى الكمال والفهم موطن تأثر .

قال الاستاذ فيما كتبه من تاريخ حياته :

« وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة (سنة ١٢٨٢ هـ) كنت اطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجازيب فلما رفعت رأسي إليه قل ما عناه : ما أحلى حلواء مصر البيضاء :

فقلت له : وأين الحلوى التي معك ؟

فقال : سبحان الله ! من جد وجد .

ثم انصرف فعددت ذلك القول الهاما ساقه الله اليّ ، ليحماني على طالب العلم في مصر ، دون طنطا »

(ومنها قوله في حال الازهر واهله عند استاذنا للعلم فيه)

ذهب المجاور الشيخ محمد عبده بثصوفه الى الازهر في شوال سنة ١٢٨٢ هـ —

فبراير ١٨٦٦ م — في عهد اسماعيل الذي جالس على عرش مصر سنة ١٢٧٩ هـ — ١٨٦٣ م —

كان اسماعيل يعرف قيمة العلم لحسن تربيته ، فعني بنشر المعارف ، وارسال البعثات العلمية الى أوروبا . وهو أول من أوجد حركة تجديد في الازهر ، وفي زمنه وضع الشيخ المهدي العباسي شيخ الازهر أول قانون للتدريس صدرت بتنفيذه ارادة سنية سنة ١٨٧٢ هـ — ١٨٧٢ م —

في ذلك العهد ، كان انتشر التعليم النظامي في القطر ، وأحس الازهر وأهله بذلك ، وكانت البعثة العلمية التي اختارها محمد علي من بين نجباء الطلبة في الازهر وأوفدها الى باريس سنة ١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م — قد حولت عددا كبيرا من الاذكياء عن التعليم القديم الموروث ، الى طريق جديد ، فاعتبرت في المرتبة الاولى علوم كانت في المرتبة الاخيرة ، في نظر الازهريين ، كالرياضة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا ، وصارت بابا للتوظيف والكرامة

وساعدت هذه البعثة على اظهار مافي مناهج التعليم الازهري من العيوب

أراد الجيل العلمي الجديد ، أن يعرب كتباً أوروبية مكتوبة في الغالب بلسان فرنسي ولم يجذ في المصطلحات القديمة متسماً ، فوضع عبارات محدثة ، وأوجد أسلوباً جديداً لم يرض عنه الأزهريون ، ومنذ يومئذ دخل إلى الأزهر التنازع بين القديم والجديد

أما الروح السائدة في التعليم الأزهري فكانت على ما وصفها بعض علماء الفرنجة في قوله : « ولئن كانت أنماط التعاليم والبحث في الأزهر ، تختلف عما هو مستعمل في الغرب الآن اختلافاً أساسياً ، فهي لا تختلف في شيء عن الأنماط التي كانت عندنا قديماً

أثر العلوم النقلية في قهر العقول ، الذي أخذ في الثلاثي عندنا منذ قرون ، لا يزال في عنفوان سطوته في الجامعات الإسلامية .

ليس الغرض من العلم عند أهل الأزهر هو البحث والتحقيق ، والمقارنة والتمحيص ، ولكنه النقل الصحيح لما ترك لا قدمون

والمفروض أن الأجيال متراجمة إلى الانحطاط ، ولأجيال الحاضرة والمقبلة تتصل بعصر النبي — صام — من طريق هابط من أعلى إلى أسفل ، والأئمة المجتهدون بمسداء في عصور ذاهبة في أعماق الماضي ، لا يستطيع الحاضر أن يدرك غبارها »

ونسارع إلى بيان أن استاذنا صرح في تفسير سورة (العصر) بفساد ما عليه الناس من ذم عصورهم ونسبة ما شاءوا من الخير إلى ما كان قبلهم من العصور ، كما صرح في كثير من أقواله وكتابه بعيب التعاليم الأزهرية ومناهجها .

هذا وكان في الأزهر نفسه تدافع بين الشرعيين والصوفية ، فأولئك كانوا يرون الخروج عن العلوم النقلية المتداولة في الأزهر ، تمرداً على الدين ، وهؤلاء كانوا يطمحون إلى أنواع من المعارف التي لها أساس بالتصوف

ويدل على هذا التدافع ما ذكره الصوفي الأزهري الشيخ حسن رضوان المتوفى سنة ١٣١٠ هـ — ١٨٩٢ م — ، في منظومته المسماة (روض القلوب المستطاب)

وقد كان للشيخ حسن رضوان مريدون بين علماء الازهر وطلابه ، منهم الشيخ حسن الطويل ، والشيخ محمود البسيوني ، وهما من أساتذة الشيخ محمد عبده ، ومنهم الشيخ محمد عبده نفسه ، وجماعة من اخوانه وبذلك يظهر أن شيخنا حينما جاء الى الازهر ، انضم الى حزب التصوف وهو أقل الحزبين جمودا ، وأقلها نفرة من الجديد ،^(١)

كان الاسناد متصوفا في الازهر مدة الدراسة ، مع شيوخه وزملائه ، متصوفا في أيام المسامحات ، مع خال أبيه الشيخ درويش خضر ، حتى انطبع تفكيره بنوع من الخيال الصوفي ، الداهب في الروحانيات الى ما يجاوز مدى الفهم أحيانا

انساق الاستاذ الشيخ حسن الطويل الى دراسة الفلسفة الاسلامية ، بحكم نزوعه الى التصوف ، والتصوف الاسلامي متأثر بمذاهب الفلسفة ، خصوصا مذهب أرسطو ، الذي يعتبر اماما لفلاسفة العرب وانساق بعض الاساتذة كالشيخ محمد البسيوني ، الى مدارس الادب باعتباره من الفنون الجميلة التي أحيا ذوقها في مصر اسماعيل

وقد كان الشيخ الطويل والشيخ البسيوني من أساتذة الشيخ محمد عبده ، فهو كان متصلا بالحركة الصوفية المخلوطة بالفلسفة ، وكان متصلا بالحركة الادبية على أنه لم يبعد كل البعد عن المحافظين على القديم ، فحضر دروس زعمائهم المشهورين كالشيخ عيش ، والشيخ الرفاعي ، والشيخ الجيزاوي ، والشيخ الطرابلسي والشيخ البجراوي .

اتصاله بالسيد الافغاني وتخرجه به

وفي سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م — حضر الى مصر السيد جمال الدين الافغاني فصاحبه الاستاذ الشيخ محمد عبده ، يحضر دروسه ، ويلتزم مجالسه ، التي كانت مجالس حكمة وعلم

(١) هذا مما ادينى اليه الكاتب لهذه الترجمة دوننا فلم نذكر في ترجمة المنار ولا في التاريخ انه كان في الازهر حزب صوفي اذ لم نكن نعلم ذلك

كان الشيخ محمد عبده يومئذ قتي ، متأثرة كل عواطف قلبه الفني بمنار ع
التصوف ، ورياضاته ومواجهه . وكان يتلقى علوم الازهر على انماطها المعروفة ،
شاعرا بأن ورائها كمالا علميا لا يجده فيما حوله

كان السيد الافغاني وحده ، قادرا على تخلص الشيخ محمد عبده من خوله
الصوفي ، وتخليصه من الميرة في التماس الكمال العلمي
هذا الرجل الكبير بمواهبه الفطرية ، الكبير بسعة علمه وحسن نظام فكره ،
الكبير بمطامحه ، الكبير بنفسه العالية القوية المشتعلة حياة وعزما ، الكبير بتاريخه
المملوء بالحوادث الجلى والآلام ، هو السيد جمال الدين الافغاني الذي صحبه
الشيخ محمد عبده تلميذا وصديقا منذ سنة ١٢٨٨ الى سنة ١٢٩٦ هـ — ١٨٧١ —
١٨٧٩ م —

وبعد سنتين من صحبة الشيخ محمد عبده للسيد جمال الدين ، ظهر لنا ذلك
الشاب المتصرف ، الذي كان ينطلق في القول على وجل ، اذا سألته العامة عن شىء
من أمردينهم ، في تلك المجامع التي كان يقوده اليها خال أبيه الشيخ درويش ،
مؤلفا جريئا يكتب في رسالة الواردات سنة ١٢٩٠ هـ — ١٨٧٣ م — من
المذاهب الفلسفية والصوفية ، ما قد تكون بعض أوساطنا العلمية لم تستعد بعد
لسمعه ، وقد مضى خمسون عاما

هذه الرسالة التي هي أول مارصل اليها من آثار أستاذنا ، لا تخلو في أسلوبها
من نفحة الادب العتيق ، أدب السجع والتكاف ، الذي كان عالقا بالثوaf ،
لقرب عهده به ، ولكنها في تأليفها ذات نظام حسن ، وطريقه في سوق البراهين
معقولة ، هي رسالة صغيرة في العقائد على منزع يغلب تصوفه مافيه من فلسفة
وفي سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م — ألف شيخنا حاشيته على شرح الجلال
الدواني للعقائد العنصرية

وهذه الحاشية ، ترينا الشيخ محمد عبده في السادسة والعشرين من عمره ،
محيطا بمذاهب المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة ، أحاطة فهم ونقد ، يكاد يجهر
بآرائه في تلك الموضوعات الخطيرة ، ويكاد يكظم صوته القوي شبح

عصا الشيخ عايش، قائما على رأس مجاور، بينه وبين التقدم لامتحان العالمية سنتان في هذه الحاشية توضيح للمذاهب في الالهيات والنبوات ومقارنة بينها، ونقد متين .

جملة القول : ان الشيخ محمد عبده كان ما بين ١٢٩٠-١٢٩٢ (١٨٧٣ - ٨٧٥ م) صوفيا متفلسفا

ويظهر ان السيد جمال الدين خلعه من التصوف بمعنى لدروشه، والانصراف للتحنث والرياضة ، الى معنى للتصوف جديد .

ويروى ان السيد الافغانى — يرحمه الله — كان يقول : « الفيلسوف إن لبس الحشن وأطال المسيحة ولزم المسجد فهو صوفي

» وان جالس في قهوة — متاتيا — وشرب الشيشة فهو فيلسوف »

واعل الشيخ محمد عبده لما كتب حاشية العقائد كان ألم بقهوة متاتيا للماما .

طور العمل والتصدي للاصلاح

لم تطبع رسالة الواردات الا بعد وفاة الاستاذ^(١) وحاشية العقائد العضدية طبعت قبل وفاته بقليل . واول ما نشر على الناس من آثاره هو ما كتبه في جريدة الاهرام لبداية نشأتها سنة ١٢٩٣ هـ — ١٨٧٦ م . وهي فصول على ما قد يكون في تحريرها من الضعف تهتف بما يجيش في نفس ذلك المجاور الصغير، من كبار الآمال، المنبعثة عن مذاهب في الاصلاح، وتطلع الى النهوض،

ومنذ ذلك العهد، توجهت نفس الاساذ الى الاصلاح، بعد ان كانت منصرفة الى تلمس الحقائق، والبحث العلمي

وقد كان ذلك — من غير شك — بتأثير السيد جمال الدين الافغانى وهدايته شرع المجاور الشيخ محمد عبده يكتب في جريدة الاهرام فصولا متتابعة، سامية المنزع، مشتملة على أصول الدعوة الاصلاحية التي صرف حياته في سبيلها وقد استرعت تلك الفصول نظر الناس، الى ذلك القى الناهض الى السابعة

(١) طبعت في منشآت الامام التي هي الجزء الثاني من تاريخه

والعشرين من عمره ، نهضة المصلحين الكبار عاقلا جريئاً
وصل صدق تلك المقالات الى اسماع الجامدين من الشيوخ ، والنقى فيها
بحديث ملازمة كاتبها للسيد جمال الدين ، واشتغاله بالفلسفة ، وترجيحه لبعض
مذاهب المعتزلة^(١) ونهيه عن التقليد ، ودعوته الى الاشتغال بالعلوم الحديثة ، وتحييده
بالعلوم الفرنجية ، وإطالة شعره أيضاً .

دخل الشيخ محمد عبده الى مجلس الامتحان سنة ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ —
وكل ذلك ينتظره في صدور أعضائه ، ماعدا الرجل المنصف الشيخ محمد المهدي
العباسي ، شيخ الازهر لذلك العهد ، ورئيس لجنة الامتحان

ولولا قوة الشيخ محمد عبده في علمه وفي نفسه قوة باهرة ، وترفع الشيخ
المهدي عن الظلم ، لقضى مجلس الامتحان المؤلف من كبار الشيوخ ، بأن ذلك
المجاور المضطهد ، لا يستحق نجاحاً .

نال الاستاذ شهادة العالمية من الدرجة الثانية ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ،
فشعر لأول مرة ، بأنه انتصر على خصومه الجامدين ، أعداء الاصلاح ، برغم
جاههم وكثرتهم ،^(٢) وزاده ذلك نشاطاً ، فجمع كل مافي نفسه من قوة الشباب ،
وقوة العلم ، وقوة الرغبة في الاصلاح ، ووجه جميع ذلك الى العمل في الازهر ،
لاعتقاده أن صلاح الازهر صلاح للبلاد وأهلها ، وللمسلمين في أقطار الارض

أخذ يدرس كتب المنطق ، والكلام المشوب بالفلسفة في الجامع الازهر . ويدرس
في داره لبعض المجاورين كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه . وكتاب النخبة
الادبية في تاريخ تمدن الممالك الاوروبية . تأليف الوزير فرانسوا جيزو وتعريب
الخواجه نعمة الله خوري

(١) انهم الاستاذ بهذا من وشي به الى انشيخ علبش والصواب أنه رجح
مذهب السلف

(٢) كان بعض الشيوخ قد تقاسموا لا يدعنه يتال شهادة العالمية فمارضهم
شيخ الازهر عندهما اقترحوا ذلك وحذف أنه ما رأي مثله وأنه يستحق الدرجة
الاولى فخلف به عنهم بالاطلاق أنه لا يعطى الاولى فسارهم الشيخ المهدي باعطائه الثانية

وفي أواخر سنة ١٢٩٥ هـ — ١٨٧٨ م — عين مدرسا للتاريخ في مدرسة دارالعلوم ومدرسا للعلوم العربية في مدرسة الادارة والالسن الخديوية
وفي سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩) نفي من مصر بتساعي الانجاز السيد جمال الدين الافغاني . الذي كان عمله السياسي شجى في حاق ممثل انجلترا . بمقدار ما كان تجديد لدرس الفاسفيات غيظا للجامدين من أهل الازهر . وعزل الشيخ محمد عبده من مدرسة دارالعلوم ومدرسة الالسن . وأمر بأن يقيم في قرية محمية نصر — لا يفارقها الى بلد آخر .

ويظهر أن رياض باشا كان خارج القطار عند حصول هذه الحادثة في أوائل حكم الخديوى توفيق باشا
ورياض هو الذي كان زين للسيد جمال الدين المقام في مصر . وأمه بالاعونة . ليستعين به على تربية شباب مصاح .

واذا كان لوزير الكبير عجز عن رد ماقت من نفي السيد الافغاني . فما كان ليفوته أن ينتفع بتلاميذه . وما كان ليتترك خليفة السيد جمال الدين منفيا في قرية من قرى مديرية البحيرة محرما عليه أن يخرج منها . فاستصدر له عفوا من الخديوى . ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) وعينه محررا في الجريدة الرسمية . ثم جعله في آخر هذه السنة رئيسا لتحريرها

عند ذلك نرض الشيخ محمد عبده بحركة اصلاح ، هيأت له مساعدة رياض باشا وسائلها . واعانه عليها خيرة تلاميذ السيد جمال الدين ، الذين كانوا يشتغلون معه في تحرير الجريدة الرسمية

وقد انقطعت يومئذ صلة الاستاذ بالازهر . فلم يعد معلما يريد أن يصلح طرق التعليم فيه . ويرشد أهله الى العلوم الجديدة . ولكنه أصبح صحافيا يحاول لاصلاح الاجتماعي والسياسي . على مبادي الحرية والعدالة والشورى :

ألم الشيخ محمد عبده رئيس تحرير الجرنال الرسمي — الوقائم المصرية — في فصوله الكبيرة الفائدة ، القوية الروح ، بوجوه الاصلاح التي كانت تنبعث عز بها . فدعا الى التعاون على الخير ، وحيد فكرة الحرية ورفع المظالم عن الاهالي .

وعاب على الشعب كسله ، ونادى باصلاح التعليم والتربية في المدارس ، وحل على الرشوة وأهلها ، وبين ان الحق للقانون لا للقوة ، وذم اسراف الاهالي وتمسكهم بظواهر المدنية مع الغفلة عن وسائل المدنية الصحيحة ، وعالج اصلاح متديتاتنا واصلاح بيوتنا ، وذكر رأيه في خطأ العقلاء الذين يريدون الرقي طفرة ووثبا . ثم تعرض الاستاذ لنوع من الاصلاح الديني شغف به في أدوار حياته الاصلاحية كلها : ذلك هو تطهير الاسلام من البدع التي شوهدت شعائره وجنت عليه

وهذه المقالات تجمع مبادئه الوطنية ، ومذاهبه في الحرية ، وطريقه في الاصلاح . كان الشيخ وطنيا يرى « ان خير أوجه الوحدة الوطن لا امتناع الخلاف والنزاع فيه » (١) على أنه نصير للمبادئ التي تدعو الى المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة والاخاء بين الناس ، وهو داع الى الحرية ، حرية العمل ، ورفع سوط القسوة غير القانونية ، بحيث لا يسخر أحد في عمل من الاعمال إلا فيما يعود بالمنفعة العامة على البلاد . أما القول والكتابة ، فلم يكن الاستاذ ، فيما يظهر ، من انصار حريةها الا بمقدار ، لذلك كان يلتمس سن القوانين للرقابة على المطبوعات ، بل هو قد سعى لذلك وافلح فيه ، وكان يرجع الى سلطانه أمر هذه المراقبة ، في عهد رياسته لتحرير الجريدة الرسمية . ذلك بأنه كان يخشى انتشار الكتب الضارة بالدين ، المشيعة لتخريفات بين العامة ، وبخشي انتشار اللهجات السخيفة ، والموضوعات المؤذية للاخلاق أما سبيل الاستاذ في الاصلاح ، فهي سبيل التدرج ، يريد أن يحفظ للامة عوائدها الكلبة ، المقررة في عقول أفرادها ، ثم يطلب بعض تحسينات فيها لا تبعد عنها بالمرّة ، فاذا اعتادوها ، طلب منهم ما هو أرقى بالتدرج ، حتى لا يمضي زمن طويل إلا وقد انخاموا عن عاداتهم وافكارهم المنحطة ، الى ما هو أرقى من حيث لا يشعرون (١) المنازل : للشيخ ماهو مشهور من المقالات البليغة في ان للمسلمين ليس لهم جنسية ولا وحدة الا في دينهم ولكنه كان يرى ان الوحدة الوطنية لا تعارض الاسلام . وتعليل الوحدة الوطنية بامتناع الخلاف والنزاع فيها منقوض بالوقائع واطهرها في هذه الايام ماهو متواتر عن ايرلندة

طريق الاستاذ في الاصلاح يرجع الى العناية بالتربية . ونشر العلم . وأول مبدأ يجب أن يكون أساساً لتحلية العقول بالمعلومات اللطيفة ، والنفوس بالصفات الكريمة ، هو التعاليم الدينية الصحيحة ، يعني ترغيب القلوب بما يرضي الخالق وارهائها مما يفضبه

أما الاصلاح الديني ، بتخليص الاسلام من شوائب الازمان والاجيال ، ورده الى سداخته الاولى ، ايصافه العلم والمدنية ، وينسج حرية العقل - تلك الدعوة التي كان استاذنا حامل لوائها - فلم تكن في عهد محرير الجريدة الرسمية الانبثالم يتكامل نموه تأثر الشيخ محمد عبده بمبادئ استاذه السيد جمال الدين . ومع ذلك كان لمذهبه الاصلاحية استقلال يجعل لها شخصية وحدها . ولقد كان حين توليه تحرير الجريدة الرسمية حديث عهد بصحبة استاذه . حديث عهد بالتخرج على يديه ، وكانت له على هذا سبيل في الاصلاح ايست من كل وجه سبيل السيد جمال الدين كان انسيد مشتعل الحماس ، يريد أن ياهب النفوس ، فيؤجج نارها ، ثم يصوغ من ضعفها قوة ، ومن ذلها عزا ، كان يرى أن الثورات هي سبيل لاصلاح الاجماعي والسياسي

أما شيخنا أيام تحرير الجريدة الرسمية فكان معلماً مصلحاً . يطالب الاناة في دفع الامم الى الرقي ، ليعلمها ويهذبها أولاً ، ثم يسوقها برفق الى ما عادت هبت أعاصير الثورة العربية ، واستاذنا رئيس لتحرير الجريدة الرسمية . له يد عاملة في حركة الافكار . ولم يكن الاستاذ ممن يدعون الى الاصلاح من طريق الثورة . واسكنه المأرأى الثورة قائمة لنصرة اغراض هي مبادئه ومبادئ استاذه اتصل بها والقي في نارها خطبا .^(١) وقد حوكم مع زعمائها . رحكم عليه بالنفي ثلاث سنين وثلاثة اشهر^(٢)

« ١ » المنار : الصواب أن الاستاذ كان خصماً للثورة العربية انى ان تصدى الاكثري لها فحينئذ نصرها (٢) انتهى ما اخترناه من خطبة الاستاذ الشيخ محمد تقي عبد الرزاق

من الخرافات الى الحقيقة

٦

تابع لمقالة الطور الاول للاسلام — في الجزئين الثاني والرابع

(٣٨) الصفح عن الهفوات ، واقالة العثرات ، وغض النظر عن الزلات . كانت قاعدتهم المثل في المعاملات ، قال (ص) « اقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود »^(١)

(٣٩) كانوا ينفرون من القبل والقال ، ومحتقرون الخصاص والجدال . لان النبي (ص) قال « من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه ، ومن لاحى الرجال ذهب كرامته ، وسقطت مروءته »^(٢) . وكان الناس في تلك الايام السعيدة لا ينحرفون قيد شعرة عن اوامره الجبيلة .

(٤٠) كانوا رشدون الجاهلين ، ويمتدون الفاسقين ، ويسدقون سارقي مصارين ، ويعدون هذا من الجهاد في دين ، لقواه (ص) « الجهاد اربع : الامر بالمعروف والنهي عن المكر والصدق في موطن الصبر وشناآن الفاسق »^(٣) فيظاير من هذا أن عمل الخير ، واجتناب الشر ، وانشبات على الحق ، لا يتم الا بغيض أهل الشر والفسق ،

(٤١) الاعتدال كان محور المعاملات ، حتى في العبادات ، لانه جاء في الحديث « أيها الناس ! عليكم بالقصد ، عليكم بالقصد . فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا »^(٤)

(٤٢) لم يكن من سيرة السلف الصالح في أعمالهم ولا أقوالهم ما يبعث ظنا لجاهل او شبهة لمقل على أن في القرآن وأحكامه حرجا أو سر لا يدخل

(١) رواه احمد والبيهقي في الادب وأبو داود عن عائشة وحسنوه (٢) رواه ابن السني وأبو نعيم في انطباق عن أبي هريرة (٣) أبو نعيم في حلية الاواباء عن علي وحسنوه (٤) ابن ماجه وأبو داود وابن ماجة عن حديث جابر بن عبد الله صحيح وفسروا « لا تمل حتى تملوا » في الحديث غيره بأنه تعالى لا يترك لنا أنفسكم حتى تتركوا العمل الصالح وهو من باب المشاكسة

في وسع المهتدي به، بل كانت اعمالهم واقوالهم متجهة نحو افهام الناس أن القرآن الكريم كتاب انزل لافهام الناس الحقائق وتأمين سعادتهم من أقصر الطرق وأسهلها . وقد جاء في الكتاب القديم (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * الا تذكرة لمن يخشى) .

(٢٣) من يتأمل في أعمالهم يجد غايتها تزكية النفس بالفضائل ومكارم الاخلاق وسعادة الامة — لا مجرد التلبس بأعمالها البدنية في صلاة المصلين، وصيام الصائمين، ويرون أن المصرين على اتيان المنكرات والفواحش وسائر الجرائم التي تنافي المقاصد الاسلامية، الدينية والاجتماعية، لم ينتفموا من صلاتهم ولا من صيامهم . فقد قال النبي (ص) « رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجرع والعطش »^(١)

(٢٤) كانوا يتحامون الغلو في الدين لان الله تعالى حذر منه بقوله (لا تغلوا في دينكم) والنبي (ص) نهى عنه بقوله « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق »^(٢)

(٢٥) نأوا برجحون السعي للربح والكسب الحلال لينفع الرجل عياله وأمته على خلة أوائك الكسالى الذين ينكمشون في زوايا المساجد بدعوى العبادة . لانه (ص) قال « رب طاعم شاكر أعظم أجراً من صابر صائم »^(٣)

ليناأمل هذا الحديث وأمثاله أبناء قومنا لعلمهم يدركون معنى الدين الذي ط لماضربناه الضربات المؤلمات من حيث لا نشعر . ونحن نظن بأننا ننصره ونعتل أوامر .

(٢٦) التجارة مع الصدق والامانة كانت في نظرهم من اسى المواقع فقد جاء في الحديث « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء »^(٤)

فهل من صراحة أقوى من هذه الصراحة التي تنفأ عين كل من يزعم ان الدين الاسلامي لا يأمر بالسعي وتكذب التائلين بأن الدنيا ليست للمسلمين ؟ وهل

(١) الطبراني من حديث ابن عمر وأحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند صحيح وثم أحاديث أخرح منه في المسألة (٢) رواه أحمد من حديث أنس بسند صحيح (٣) رواه الترمذى عن أبي هريرة بسند ضعيف وهناك شواهد صحيحة أصر - منه (٤) الترمذى والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري بسند حسن وفي معناه حديث صحيح عن ابن عمر « فانا نبحر النبي (ص) وكان أبو بكر وأكبر المهاجرين من الصحابة نجراً »

يوجد أفصح من هذا الهدي النبوي الكريم المكذب لزعم الزاعمين أن الدنيا والآخرة لا تجتمعان في قاب مؤمن ؟ ان هؤلاء الكسالى الذين يسترون المعز والبله والعتة بأمثال هذه الأكاذيب على الدين لا ضرر على الاسلام من أعدائه. وحبذا لو ان الجمعيات كتبت هذا الحديث الشريف على ألواح تضعها على مفترقات الطرق التي يكثر مرور الناس فيها ليعلم الضالون والمضلون، ان الدين الحنيف ليس كما يعرفون — لكن اولئك الكسالى وبعض المتعممين الذين عشش ميكروب الكسل في أدمغتهم يكتمون أمثال هذه الاحاديث عن العوام ومحبيون اليهم الفقر والذلة والمسكنة، يكذبون على الله ورسوله ودينه بتبغيض العوام — جنود الاسلام وساعده المفتول — في الدنيا ويعامونهم الحسرة للموت . وكأني بهم يمدون بهذه الاعمال خطوط الحديد لتسير عليها قطراهل الملل الاخرى في بلادهم . ولا يشك عاقل في ان هؤلاء أضر بالاسلام والمسلمين مما لدى أعدائهم من حيوش وطيارات ودبابات وأساطيل وذهب وحديد فأين من يسكت هؤلاء ؟ وأين شجعان العلماء ؟

ايه أيها الغافلون المغفلون! الدنيا لنا. وهكذا أمر ديننا ، الذي جعل الناجر في زمرة الانبياء^(١) كفى تضليلا وعموها . ان كنتم تحبون الموت ولا تريدون الدنيا فدعوها لغيركم من المسلمين أما خطتكم فغايتها لقاء أزمة الدنيا لغير المسلمين لو كنتم تقههون نتائج ما تعملون .

أيها الشبان المحمديون . رفع نبينا منزلة التاجر الى مجاررة الانبياء . فتأملوا قدر ترغيبه في الانجار والعمل للدنيا لتقوية الملة والامة

أيها العقلاء! ان تضییع الدنيا هو تضییع للآخرة . هل ضائع دين مسلمي الانداس قبل ضياع دنياهم أي حكومتهم أم بعده ؟ تأملوا واحكموا .

(٤٧) كانوا لا يتمنون الموت كما يفعل بعض أهل هذا الزمان العجز ،

(١) ان في الكتاب والسنة نصوصا في كون الاصل في سيادة الدنيا وطيباتها أن تكون للمسلمين أصح وأصرح من هذا الحديث في التجارة وحسبك منها قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة خالصة يوم القيامة) وطالما نوهنا بهذا في المنار

لأنه (ص) نهى عن ذلك اذ قال « لا تتمنوا الموت »^(١)

(٤٨) كان أفصح الاشياء عند المسلمين غرض النظر عن عواقب حفظ الصحة والابتلاء بكثرة الاكل ثم ثرة النوم المفضية الى الاستكاسة والكسل ، وضعف اليقين والميل الى التقليد لقوله (ص) « اخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين »^(٢)

(٤٩) اضلال الناس وسوقهم الى الطرق المظلمة كان من اقبح الاعمال ، سواء كان هذا الاضلال في السياسة أو الدين أو الاجتماع وقد جاء في الحديث « أيماراع تش رعيتة فهو في النار »^(٣)

(٥٠) الطاعة اذ قال « انما الطاعة في المعروف »^(٤) لان نصيب كل أمة تطيع رؤسائها طاعة عمياء وتصدق كل ما تسمع الا تقراض ، أي نحو اسمها من خريئة العالم : أواه ! متى ينتبه المسلمون !

(٥١) كان الواحد دائماً طموحاً ينظره الى الملاء للاستفادة ممن كان فرقه ، لانه (ص) قال « جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء »^(٥) أن هذا الامر من القناعة التي يتشددون بها بدون أن يفهموا معناها ؟ ان الدين يأمر بالاكتفاء دائماً من كل حسن

(٥٢) كانوا ينظرون دائماً الى غايات الامور ومقاصدها ، ولا يشتهيهم عنها صموبة وسائتها وبعد طرقها ، ولا سيما العلم لقوله (ص) « اطلبوا العلم ولو بالعين »^(٦) نلو صبح ان تصد الوسيلة غير الشريفة عن المقصد الشريف لما أمر بأخذ العلم من مشركي الصين ، وهذا الحديث الشريف من جملة اسباب احتقارهم للشعوبات في سبيل نيل المرام من الكمال ،

(٥٣) للعلماء منزلة كبرى في دين محمد (ص) لانه قال « أفضل الصدقة أن

(١) رواه ابن ماجه من حديث خباب بسند صحيح وياليت شعري أن هؤلاء الذين ينكرون عليهم الكتاب تنفي الموت ؟ ما أراه الا واحداً (٢) الدارقطني في الأفراد عن جابر (٣) ابن عساكر عن معقل بن يسار بسند حسن (٤) رواه البخاري وغيره (٥) الطبراني في معجمه الكبير من حديث أبي جحيفة بسند صحيح (٦) ابن عبد البر من حديث أبي هريرة « كان طالب العلم قريضة على كل مسلم ان الملائكة لتضع

يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم «^(١) لان تربية الدماغ التربية الصالحة ترقى شؤون الانسان المعنوية

(٥٤) كان المسلمون يحترمون أنفسهم فلا يعملون الا بما تطمئن اليه قلوبهم وترتاح اليه ضمائرهم ، لانه (ص) قال « اذا حاك نفسك شيء فدعه »^(٢) فكانوا يعلمون دينهم ومصالحهم بالاقناع فلا يساقون اليها ولا يكرهون عليها (٥٥) كانوا يعتقدون أن اصدق مفت للانسان وجدانه لانه (ص) قال « استفت نفسك وان افتاك المفتون »^(٣) وبما أن صحة حكم الوجدان متوقعة على كون ذلك الوجدان نقي وطهر بصابون التربية وماء العلم وتحلى بحلى الاخلاق قال (ص) « الاسلام حسن الخلق »

(٥٦) كان المسلمون يتجنبون كل عمل بالسر ان كان يكرهه الناس بالعلن لانه (ص) قال (ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك خلوة »^(٤) (٥٧) بما أن صحة افتاء النفس تتوقف على تهذيب العقل ، وصحة العقل منوطة بسلامة الجسد — كانوا يعتنون كل الاعتناء بقواعد حفظ الصحة ؛ لان من وصايا النبي (ص) بها قوله « تحلوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان »^(٥) (٥٨) نظافة اليدين والفم كانت من أهم اعمالهم اليومية . لانه (ص) قال « من بات وفي يده غمر فأن صابه شيء فلا يلومن الا نفسه »^(٦)

أجندتها لطالب العلم رضاء يصنع « (١) ابن ماجه من حديث أبي هريرة (٢) حمد وان حبان والحاكم عن أبي أمامة (٣) رواه البخاري في التاريخ عن وابصة بسند حسن . وحديث الاسلام « حسن الخلق » في مسند الفردوس للدبليبي « ٤ » لفظ الحديث في الجامع الصغير الذي نقل عنه الكاتب « اذا خلوت »

بدل خلوة رواه ابن حبان والترمذي عن ابن شريك بسند صحيح « ٥ » تتمته « والايمان مع صاحبه في الجنة » رواه الطبراني في الاوسط عن ابن مسعود . عظم عليه السلام أمر تنظيف الاسنان بهذا الحديث والناس يتهاونون بها حتى يأكلها السوس فيقاسون آلامها ثم يحرمون منها فيسوء هضمهم ويحرمون لذة الطعام او يضطرون الى وضع اسنان صناعية غالية الثمن وهي دونها

« ٦ » البخاري في التاريخ والترمذي والحاكم عن أبي هريرة وحسنوه والعمر فيه بالتحريك وهو ربح اللحم فهو حدث على تنظيف الأيدي بعد الطعام فلا سيما الدسم كاللحم والدهن

أبن الذين يعترضون على قواعد حفظ الصحة ويقولون : المرض من الله ولا دخل للمبدي فيه ؟ أين هم ؟ أين هم ؟

(٥٩) كانوا لا يخرجون من بيوتهم الا باللبسة لطيفة ومنشطة لانه (ص) هذبهم بقوله « اصالحوا لباسكم واصلحوا رجالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس » وما قول الذين يخرجون الى السوق بلا حبة وبلا جوارب أو بلا طربوش ؟ إن الأوروبي يصور أمثال هؤلاء ويضع صورهم في معرض الصور المتحركة ليقول لقومه ها هم أولاء المسلمون !! ومن لي بمن يفهم الأوروبيين أن هؤلاء مسلمون اسما لا فعلا .

(٦٠) لم تكن النظافة التي يأمر بها الاسلام خاصة بالاجسام بل كانت تشمل باب البيت وساحة الدار أيضا . جاء في الحديث أن « طيبوا ساحاتكم »^(١) (٦١) ومن جملة أوامره (ص) ان تكون مدن المسلمين مزينة بالبنية العالية وبالمجادل المارة لانه قال « ابنوا مساجدكم جما وابنوا مدائنكم مشرفة »^(٢) ايه ! يا أيها الذين يسكنون تحت الارض ! والذين يدعون غيرهم لهذا العمل ! ما قولكم بهذا الحديث ؟

(٦٢) نظافة الطرق وتوسيعها مما كان يوصي به (ص) كقوله « اعزل الاذي عن طريق المسلمين »^(٣)

ان الانساب عند ما يرى هذه الاحاديث النبوية ، المبنية على أدق الاسس الاجتماعية يكاد يذوب ألما عند ما يرى مدن المسلمين اليوم وطرقهم وبيوتهم (٦٣) شدد النبي (ص) في تنظيف الطرقات حتى قال « من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم »^(٤)

ومع كل هذه الصراحة فان أكثر طرق المسلمين كأنها مستودع

(١) تميمه « فان اتن الساحات ساحات اليهود » رواه الطبراني في الاوسط عن سعد وحسنوه . ومن العجيب ان هذا الامر لا يزال معروفا في بيوت فقراء اليهود الذين لم يتربوا تربية افرنجية « ٢ » ابن أبي شيبة عن ابن عباس « ٣ » مسلم في صحيحه وابن ماجه عن أبي برزة « ٤ » الطبراني في الكبير عن حذيفة ابن أسيد وحسنوه

لقاذورات البيوت التي يلقونها على الطريق ، كأن ذلك أمر عادي ، فهل لنا بعد هذه المخالفات لأوامر نبينا أن ندعي الاسلام ؟ قال سيدنا عيسى عليه السلام لامته : من ضربك على خدك الايمن فأدر له الخد الايسر ، واعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله ومع ذلك ترى كل عيسوي يبذل جهده لان يكون هو القيصر ، ولان يعمر ملكه وملك غيره ، بينما ترى سيدنا محمداً (ص) أمر بما تقدم آنفا ترى المسلمين ينكمشون ولا يتوسعون على سطح الارض ، بيوتهم صغيرة ، بلادهم غير منتظمة ، يعطون ما لقيصر لقيصر ويضيقون على ذلك ما لهم الخاص أيضا ويعطونه لقيصر ، يفتخرون بالذل . عجبا ! هل من علاقة بين أوامر نبي المسلمين وحالهم الحاضر ؟ لا ، ثم لا . ذكرنا آنفاً ستين حديثاً ونيفاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، نرى مدلولها عندأمة عيسى فعلاً ولفظها في كتبنا فقط ، أقول : إنهم مسلمون فعلاً ونحن مسلمون اسماً ؟ ؟

لنقاييس حال أجدادنا بحالنا ، لعلنا نعتبر أو نخرج ان نكون اولاد أولئك الليوث ، لاننا اصبحنا عاراً على الاسلامية الحقيقية .

(٦٤) قال نبينا (ص) « ثلاثة لا يحبهم ربك عز وجل : رجل نزل بيتاً خرباً ورجل نزل على طريق السبيل ورجل ارسل دابته ثم جعل يدعو الله أن يجسها »^(١) فما قول ساداتنا الذين يظنون ان الدعاء وحده سبب الانتصار في الحروب العسكرية والسياسية والاقتصادية !

(٦٥) كانوا يعملون ثم يتوكلون ، لانه (ص) قال « قيد وتوكل »^(٢) اما اليوم فبحجة التوكل ترى المسلمين نرشوا فراش الراحة وناموا ينتظرون أن يعمل الناس لهم ليأكلوا ، وان احتاجوا شيئاً طفقوا يدعون ، ولا قيمة للعمل عندهم . وقد فاتهم أنه (ص) يوم الخندق حمل المجرفة بيده الشريفة واشتغل مع العملة بحفر الخندق حول المدينة لاجل دفع العدو . فعمله هذا دليل على ان للمجرفة وللخندق في الحروب تأثيراً لا يفي عنه الدعاء ، ولو كان للدعاء ذلك التأثير كما يزعم المسلمون اسماً لا كتنفى (ص) بالدعاء ولما اتعب نفسه

« ١ » الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي بسند حسن « ٢ » البيهقي في شعب لا يمان عن عبد الله بن عمرو بسند صحيح

(المناج : ج ٧) (٦٨) (المجلد الثالث والعشرون)

بحمل المحرفة وحفر الخندق ؟ ولكن اين من يدقق في التاريخ ؟ واين من اذا درس استطاع ان يستنتج ؟

(٦٦) عد النبي (ص) الذين يشتغلون لاعاشة عيالهم بالصناعات او التجارة او الزراعة افضل الامة بقوله « احب الامار الى الله تعالى اتقهم لعيله »^(١)
(٦٧) كانوا يتبايعون ويتقاضون الحقوق بكل بشاشة وسماحة . وكلام حلو ، ليصدق عليهم قوله (ص) « افضل المؤمنين رجل سمح البيع ، سمح الشراء سمح القضاء »^(٢)

ونحن اليوم بين حالتين — اما باثم وجد قوت يومه فبنى وطنى وعامل لمشتري معاملة الامر المستبد ، واما طماع كذوب محتال مداهن ، فأين نحن من السماحة التي أمرنا بها سيدنا ؟

(٦٨) كانوا يعدون التضيق على العيال من أشد الامور كراهة وشرها معاملة لانه (ص) قال « شر الناس المضيق في أهله »^(٣)

واليوم نرى بعض من يدعي الاسلامية يمد الكسل تدينا والفقر وضيق المعيشة سببا للفوز والنجاة ، والاشتغال بالكسب مانعا للعبادة ، فيالله ما أبعد هؤلاء عن دين محمد (ص) ؟

(٦٩) السياحة في أقطار الارض كانت أمرا محبوبا لانها توسع دائرة المعارف وتزيد الثروة وتقوي البنية وتعلم الانسان المقايسة ، لذلك أمر (ص) « ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله »^(٤)

« السائحون هم الصائمون »^(٥) و « وسافروا تصحوا وترزقوا »^(٥) على هذه الاسس بنيت المدنية الاسلامية ، أما مسلمو اليوم فهم منكشون في بيوتهم حتى لا يعرفون أطراف مدينتهم فهل المسلم من يخالف أوامر نبي الاسلام ؟

المترجم حسنى عبد الهادي

« ١ » عبد الله بن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن البصري مرسل والنفع فيه اعم مما ذكره المؤلف فكل من الدليل والمدلول ضعيف

« ٢ » رواه الطبراني في الكبير عن ابي سعيد « ٣ » رواه في الاوسط عن ابي امامة وهو حسن « ٤ » ابو داود والحاكم والبيهقي عنه « ٥ » الحاكم عن ابي هريرة وصححه « ٥ » رواه كثيرون بألفاظ متقاربة

مدنية القوانين

﴿ وسعي المتفرنجين لبند بقية الشريعة وهدم الدين ﴾

(٢)

السعي لالغاء المحاكم الشرعية

(تمهيد) الا فرنج الطامعون في استعباد المسلمين. وأعوانهم من المتفرنجين قد يشتركون في عمل واحد ونيتهما فيه مختلفة اختلاف التضاد — فكلاهما ياربان الشريعة الاسلامية وبمحاولان القضاء عليها، ومنع الحكم بها والتعاضدي الى رجالها. فنية الفريق الاول وغرضه من ذلك حل رابطة من أقوى روابط هذه الامة وازالة فصل من أقوى الفصول المنطقية المقومة لهذه الملة والفاصلة بينها وبين المال الاخرى لاجل اضعافها وتمهيد السبيل لادغامها في غيرها أو جعلها غذاء له . ونية الفريق الآخر اما ارضاء الفريق الاول لتحصيل قوتهم وغير ذلك بأن يكون اقتنع أن البلاد صارت له ولا يرتقي أحد في حكومتها الا اذا واثاه وواقفه في سياستها وادارتها — وإما مساعدته على عمل بظن انه يخدم وطنه به لاقتناعه بشبهاته التي يتوصل بها اليه كتوحيد القضاء أو التمسك بين الحكومة والدين والاقتصاد في نفقات المحاكم أو جهود هذه الشريعة وخلوها من المرونة التي تليق بالقرن العشرين — وإما ارضاء الاقلية غير المسلمة ولا سيما النصارى وإما كسر قيد الدين والخروج من حكم سلطانه تقايد الملاحدة الا فرنج أولانه بحول دون التمتع بالاذات أو لاعتقادهم أن الامة والحكومة لا يمكن أن ترتقي مع التزام أحكام الشرع وان القوانين الا فرنجية خير لهما منه : — فالمتفرنجون ليسوا على رأي واحد ولا نية واحدة في حريهم للشريعة ولكن أكثرهم يتبع هوى نفسه ومنفعة شخصه ، وأقلامهم يقصد . خدمة أمته ووطنه ، ولكنه حفظ شيئا وغابت عنه أشياء . وسيأتي بيان ذلك

على أثر هجرتي الى هذه البلاد من زهاء ربع قرن خبرني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يوما وهو يتفلسف الصمداء أن المستشار القضائي لوزارة الحفانية

(مستر سكوت) اقترح على الحكومة إلغاء المحاكم الشرعية وجعل التقاضي في الأحوال الشخصية من اختصاص المحاكم الأهلية بناءً على أن المحاكم الشرعية مختلة النظام قد كثرت شكوى الناس منها، ومطالبة الحكومة بإصلاحها، وأن قضاء المحاكم الأهلية المتخرجون في مدرسة الحقوق الخديوية قد تعلموا فيها أحكام الأحوال الشخصية فيمكن أن يجعل في هذه المحاكم جلسات للقضايا الشخصية خاصة إذا أن للقضايا المدنية جلسات خاصة وللقضايا الجنائية كذلك، وبذلك يتوحد القضاء وينتظم، ويتوفر للحكومة المال الكثير الذي تنفقه على المحاكم الشرعية المختلة لمعتلة سألت الاستاذ هل المحاكم الشرعية مختلة النظام . معتلة الأحكام كما يزعم المستشار الانكليزي أم دعواه هذه كما نعهد من دعاوي السياسة التي تبطل الحق باطلاً والباطل حقاً؟ قال إن هذه الدعوى « كلمة حق أريد بها باطل » فالمحاكم مختلة وفيها عيوب كثيرة كما أن في غيرها من مصالح الحكومة خللاً وعيوباً، والباءت الحقيقي على هذا الاقتراح إزالة أهم مابقي المسلمين في هذه الحكومة من الحقوق أو الشخصات المالية، ومن عجب أمر هؤلاء الشيوخ . . . شيوخ لازهر — أن هذا الاقتراح لم يستثر غيرتهم ولم يبعثهم على ما يجب من الاجماع على انكاره والاحتجاج عليه وهو يمس رزقهم وجاههم . . . وقد تعبت في اقناع شيخ الجامع بتأليف وفد من كبار العلماء للاحتجاج عليه مع بذل جهدي في مقاومته، ومحاولة اقناع المستشار بضرره وسوء نية، وقلت للشيخ لا يكفي أن أسعى وحدي لإبطال هذا وأنا من رجال القضاء الأهلي وأنتم ساكتون . . . ولكن الخديو اهتم به يومئذ وكذلك قاضي مصر التركي لأن النفوذ في المحاكم الشرعية كان لهما وحدهما وإبطال هذا النفوذ كان من المقاصد أيضاً

ولما لم يمكن قبول هذا المشروع اخترعت وزارة الحقانية وسيلة أخرى لما كانت تدعيه من الاهتمام بإصلاح المحاكم الشرعية اقترحها بطرس غالي باشا فقررت أن يبدأ بتعيين قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية بحضوران الدعاوي المهمة في المحكمة الشرعية الكبرى بل العليا، فتقبل هذا المشروع بالسخط العام من

المنار ج ٧ م ٢٣ تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية ٥٤١

المسلمين واندفع الكتاب ينشرون المقالات الضافية في جريدة المؤيد في انتقاده ومنهم بعض الازهريين وكان للشيخ علي يوسف رحمه الله جولة وأي جولة في هذا الميدان، وقد ساعدته على ذلك ببعض المقالات التي لم أوقعها باسمي الصريح ولا بحرفي (م . ر) كما كنت أوقع أكثر ما أكتب في المؤيد ثم فشلت الحكومة في هذا الاقتراح برفض مجلس شوري القوانين له مستندا الى فتوى شرعية صدرت من قاضي القضاة ومفتي الديار المصرية شيخ الجامع الازهر في ذلك العهد (وهو الشيخ حسونه النواوي) وكان رأي الا تاذ الامام في هذا المشروع ان الغرض الخفي منه للانكيز وأعوانهم أن يتعود المسلمون حكم لايسي الذي الافرنجي في القضايا الشرعية فيكون مهدأ للعودة الى المشروع الاول .

هذه النازلة حملتنا يومئذ على كتابة مقال في جزء المنار الذي صدر في أواخر ذي الحجة سنة ١٣١٦ (عنوانه التعليم القضائي) اقترحنا فيه على شيخ الجامع الازهر بمجلس ادارته إنشاء قسم في الازهر يعلم الشريعة تعليما قضائيا عمليا يعدون فيه خريجيها لمنصب القضاء الشرعي، ومما اقترحناه فيه أن تؤلف من طلابه هيئة للمحاكمات كهيئة المحكمة ... وبيننا فيه عيوب كتب الفقه التي تدرس في الازهر وبحشنا في تطبيق الاحكام على حاجات الناس في كل عصر وبيننا فيه تقصير العلماء في هذا وذاك واضطراب الامراء والحكام الى مجازاة العصر في تطوراته العامة ، مع ما يجب على العلماء في ذلك

وعلى إثر هذه النازلة عزل الحيدو الشيخ حسونه من مشيخة الازهر وافتاء الديار المصرية ملجأ لا مختارا وولى الاستاذ الامام منصب الافتاء وتوسل اليه باكرم أصدقائه ليقبله فقبل، وكلفت الحكومة تفتيش المحاكم الشرعية ووضع تقرير فيما يراه من وسائل اصلاحها ، فأجمعت الامة على استعسان ذلك كما نوهت به الجرائد وقد قام رحمه الله تعالى بالامر خير قيام، ووضع تقريره الذي سارت بذكره الركائز، فشنخص فيه الداء ووصف الدواء . ولكن الحكومة لم تنفذه حق التنفيذ، وكان مما بينه فيه من خلل هذه المحاكم ما يعرذ الذنب فيه على الحكومة وحدها . وقد نشرناه في المجلد

الثاني من المنار ثم في كتاب على حديثه ، ووضعنا له مقدمة بينا فيها الاصول التي بدور عليها الاصلاح ، للدليل الواضح . ولو قدر علماء الازهر ذلك التقرير قدره وعملوا بما أرشدتم اليه لضعفت أو دحضت حجة الطاعنين في أحكام الشريعة الذين يطلبون نسخها بالقوانين الوضعية . على ان هذه المحاكم قد انتظم سيرها بعض الانتظام منذ ذلك العهد على تقصير العلماء والحكومة جميعا في تنفيذ ما اقترح من الاصلاح فيها ولكن تعليم الفقه في الازهر بقي مختلفا ، فوضع الاستاذ الامام مشروع مدرسة القضاء الشرعي الاستغناء بها عنه

قانون الأحوال الشخصية

ثم ان الحكومة المصرية قد جاءت في عهد الحماية البريطانية بمشروع جديد وهو وضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالأطلاق والفسخ والعدة والنفقة ، وألفت لذلك لجنة يرأسها وزير الحقانية ومن أعضائها مفتي الديار المصرية السابق (الشيخ محمد بن خيت) وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي والحقوق، على أن تستمد مواد هذا القانون من كتاب قدري باشا المشهور مع أخذ بعض مواد المناسبة لمصلحة هذا العصر من فقه المذاهب الأربعة المشهورة، وأن لا تنقيد بمذهب الحنفية في كل حكم وان اتخذت أصلا، لان ارتباط الحكومة بالدولة العثمانية التي قيدت القضاء بهذا المذهب قد زال

وهذا الاطلاق ركن من أركان الاصلاح الذي طالما فكر فيه وتمناه عتلاء العلماء وغيرهم من طلاب الاصلاح وهو مما اشتمل عليه تقرير الاستاذ الامام في اصلاح المحاكم الشرعية، وبيننا في مقدمة طبعه مستنده من أقوال الفقهاء . ولكن هذا الشكل لتنفيذه متقد من وجوه كنت قد ينتها في مقال طويل لم يكن نشره في أيام ظهور المشروع ، وقد كان وزير الحقانية أرسل الي الجزء الاول الذي تم منه لاجل بيان رأي فيه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين فالتقده بعضهم ولم أكتب للوزير فيه شيئا لا تني لست مقراله وقد كاشفته يومئذ بذلك . وابتداء الرأي في مواده يتضمن انخاضا بأصله

ثم اني بينت أم ما انتقدته على جعل الاحكام الشرعية قانونا في المقالة الثانية من المقالات التي عنوانها (المتفرنجون والاصلاح الاسلامي) - وسيأتي بيان سببها وموضوعها - وهو جعل الاحكام الشرعية قانونا ، فان القانون اذا أطلق في هذا المقام يختص معناه بما يقابل الشرع الالهي من الاحكام ، وما يترتب على ذلك من توقف الحكم به على اقرار مجلس الوزراء له ومدور أمر الحاكم العام بتنفيذه ، وكونه تشريعاً من هذه الحكومة الواقعة تحت سيادة غير اسلامية ، وكون المنفذ وزيراً من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلماً ، وكون التمضاة يحكمون بما يفهمون من نصومه وان لم تدل لضعفها وركاكتها على ما قصدته اللجنة ، وكونه سيشرح على أنه قانون فلا يتقيد الشارحون له بما أخذ أحكامه من الشرع وربما لا يعرفونها ، وقد يقضي ذلك الى مخالفة نصوص الشارع واجماع الامة ، وكونه سيدمج بعد ذلك في القانون المدني وتنزل منه كل صيغة وكل صيغة تدل على استمداده من الشرع لاسلامي كما صرح بذلك بعض المجاهرين بالاحاد من هؤلاء المتفرنجين

وجملة القول اني رأيت هذا الوضع أدنى الى إزالة ما بقي للمسلمين من المقومات والمشتخصات في هذه الحكومة الاسلامية بكل معنى تسمى به حكومة اسلامية أو مسيحية وزيادة. ولكنني لم أسمع ولم أقرأ لاحد من علماء الازهر كلمة قبلت ولا كتبت في إنكاره ، فهل كان سبب ذلك أنهم لا يرون مانعاً من جعل أحكام الشرع في مثل النكاح والطلاق قانوناً دنيوياً من قبيل العبادات في انها يدان بها الله تعالى بما أحل وحرّم في أغلظ ما نزل فيه من النصوص من الحقوق البشرية من استحلال الابضاع وثبوت الانساب وتكوين بناء البيت (العائلات) ان كان هذا سبب اقرارهم لهذا القانون فقد قربت المسألة بينهم وبين غلاة المتفرنجين في إزالة كل صيغة أو مسحة اسلامية من الحكومة لان أكثر الاحكام المدنية وأحكام العقوبات والسياسة في الفقه من اجتهاد العلماء التي لم يرد فيها نص في القرآن ولا سنة من قضاء الرسول (ص) أو فتاواه والمدار فيها على حفظ المصالح ودرء المفاسد وإقامة العدل لا على التعبد كما ينبغي بعد وقد كنت راجعت في المسألة الاستاذ الشيخ محمد بن خيث وهو أكبر الفقهاء

مقاما في اللجنة ورغبت اليه أن يعترض على تسمية ما يجمعونه من هذه الاحكام قانونا ويقترح تسميتها: (المجلة الشرعية في الاحكام الشخصية) فقال وأي . نع يمنع من تسميتها قانونا؟ والقانون هو القاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها وهو يصدق على هذه الاحكام؟ قلت هذا عرف ذكره في تفسير قول من عرف المنطق بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، وهو في عرف أهل الموسيقى اسم لآلة من آلات الطرب ، ولكنه اذا أطلق في عرف الحقوق والحكومات ينصرف الى ما يضعه البشر من الاحكام التي تجري عليها الحكومة ويكون مقابلا للشريعة التي هي وضع إلهي لا بشري ، حتى إن ما يستنبطه البشر بأرائهم الاجتهادية من هذه الاحكام ينسبونه الى الوضع الإلهي لان الاصل في الصحيح منه أن يكون راجعا الى نص من الكتاب أو السنة (وان كان الكثير منها ليس كذلك بل بعضها مخالف للنصوص) وذكرت له بعض ما ظهر لي من لوازم هذه التسمية وظننت أنه سيعمل شيئا ولم يفعل

ومن نوادر الاتفاق أن حكومة الترك الاتحادية قد فعلت في أثناء الحرب الاخيرة على انهماكها فيها وجعلها أكبرهما نحواً مما شرعت فيه الحكومة المصرية ولكن توسعوا في مخالفة مذهب الحنفية ما لم يتوسع المجريون على انهم هم حماة ومقيدو القضاء به، ولولاهم لما انتشر في مصر ، وذلك ان الاتحاديين أجراً من تولى زمام الاحكام في بلاد اسلامية على التغيير والتبديل بغير مبالاة بالمخالفين ، وسبأتي البحث فيما وضعوه وأصدروا به ارادة سلطانية

اقتصر المتفرنجون اقدام الحكومة على وضع هذا المشروع فاقترح بعضهم على وزير الحقانية أن يدمج فيه ابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق ، وحرية المتعاقدين - الرجل والمرأة - في عقد النكاح ، وتساويهما فيما يلزم العقد ، وجعل العقد رسميين ، بل صرح بعضهم بوجوب عدم تناقض أحكام النكاح مع الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، أي المتضمنة لباحة الزنا ، فظهر مما قرأناهم وسمعناهم وعلمهم أنهم يعدون هذا المشروع أقرب

الوسائل الى نيل الشريعة الاسلامية بجماعتها، لا الى الغاء المحاكم الشرعية وما يلزمه من القضاء على المعاهد الدينية فقط ، وهذا أكبر مما انتقدناه منه . بادي الرأي

دعوة المتفرنجين الى هدم أصول الشريعة كلها

تهوّل أحد وكلاء النيابة من رجال القضاء الاهلي فكتب رسالة في هذا المشروع دعا فيها الى جعل هذا القانون مطابقاً لآراء من يسمون أنفسهم الفئة الراقية أو المتنورة في البلاد — وهم هؤلاء المتفرنجون ، اذ لا يكون الاصلاح عندكم الا بذلك — ولكنه خرج فيه عن موضوع الاصلاح الخاص بالاحكام الزوجية الى القول بهدم أصول الشريعة الاربعة المشهورة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . فأباح باسم الاسلام عدم التقيد بنصوص القرآن في الاحكام ، ولكنه سمح بأن يراعى في محرماته ومراها والغرض منها ، وفي واجباته الحكمة المقصودة بها ، وأما ما حرّزه وأحده ، فلكل حاكم عنده أن يحرمه . وأما السنة فكل ما ثبت فيها من احكام الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاياه ومن حلال وحرام فلا يجب اتباع شيء منه على من بعده ، خلافا لقوله تعالى (فاتبعوه اهلکم تفلحون) ! وإنما يجب على المسلمين عند من يتبعوا في كل زمان ومكان كل من يتولى مر حكومتهم فيما يسنه لهم ، ويحرمه عليهم ، وان خالف صريح سنة نبيهم ، ورسول ربهم اليهم ، مخالفة صريحة ، وكذا ان خالف نصوص القرآن فيما تدل عليه عباراتها ، اذ لا يجب عليهم عنده الا مراعاة ما يفهمون من حكامها ومعناها ، فاذا أمكن مراعاة هذه الحكمة وموافقة هذا المعنى من طريق آخر غير اتباع منطوق الآيات فلا بأس أو كما قال « فلا حرج في أن نصل الى الغرض المقصود من أفيد الطرق ونخصرها » ومثل له باغناء جعل العقد رسمياً عن الاشهاد على عقد الزواج ، وباغناء مرور أكثر مدة الحمل على الطلاق عن العدة المنصوصة أي ومثل هذا بالاولى ما اذا علمنا بالاطلاع على باطن الرحم بأشعة (رونيتجن) أنه لا حمل فيه ، فحينئذ ينبیح للمرأة أن تتزوج في اليوم الذي تطلق فيه ، والمطلق أن يمنم النفقة عنها وان لم تتزوج ،

(المنار : ج ٧) (٦٩) (المجلد الثالث والعشرون)

وبهذه القاعدة لا يبقى محرم الا ويباح ارتكابه لمن يدعي انه يمكنه مراعاة مغزى القرآن من تحريمه كشرب الخمر وتحريم نكاح البنت والاخت وغير ذلك وأما الاجماع والقياس فقد صار مجاله واسعا في هدمهما وجعل اجماع أمثاله وأقيستهم أولى بالاعتبار والاتباع من اجماع الصحابة والتابعين، وأقيسة لائحة لمجتهدين، من يقول في القرآن ما قال ويصرح على أثره بقوله :

« وبذلك ينقض وجوب التقيد بالمعاني الحرفية القانونية الواردة في القرآن — ومن يجعل قضاء الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وأحكامه في زمانه كأقضية الافرنج والمنفرنجين بقوانينهم والاحكام التي يضعها لهذه البلاد المستشارون والقضاة من الانكليز في زمانه، بل يجعل هذه ناسخة لها وواجبة الاتباع من دونها — هل يحترم اجماع سلف الامة الصالح ومجتهديها ؟ كيف وهؤلاء المستشارون ومقلداتهم المنفرنجيون من ابناء القرن العشرين ؟ وأوانك كانوا في زمن القرون الوسطى " المسيحية التي يسميها أساتذته الافرنج القرون المظلمة، وان سماها قومه المسلمون با غير المنورين بعصر النور أو عصر السعادة كما يقول اخواننا الترك . (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) : — هذا ما كتبه وخطب به مصري من طائفة المسلمين الجغرافيين باسم الامانة »

رأيه هذا في طول البلاد وعرضها ودعا اليه باسم الاسلام ، فوضع به للمسلمين ديناً جديداً وشرعاً محدثاً لم يتجرأ على مثله أحد من فرق الباطنية الذين تعبوا في محاولة إبطال دين الاسلام بالتأويل . فضلوا كثيراً وأضلوا عن سواء السبيل ، ولكن الاسلام بقي ثابتاً ، بطل حكمه ناقدًا ، حتى جنى عليه المقلدون الجامدون ، ما لم يجن عليه الملاحدة والمرتدون . وأجرأ منه أناس من هؤلاء المنفرنجين ، يصرحون اليوم بأن حكومتهم بحجب أن تكون غير مقيدة بدين ، وان تكون جميع قوانينهم مدنية لا شائبة للدين فيها . فلهذا ينشد الشرع بشبهة السياسة المدنية ، وذلك ينبذه بشبهة النظريات القانونية . أما هذا السياسي فهو محمود أفندي عزمي أحد محرري جريدة الاستقلال ، وأما ذلك القانوني فهو (احمد افندي صفوت) الذي كان وكيل نيابة

(الدانجات) فاستخدمته الساطة البريطانية بماظهر من جرأته على الشريعة لاصلاح القضاء في بلاد فلسطين بعد هدنة الحرب . وكان القى ما كتبه على جمهور كبير بقاعة المحامين في الاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي أنطون بك سلامة ، وطبعه ووزعه على الناس في هذا القطر كله ، ولم يصمد أحد من علماء الازهر ولا غيره من المعاهد العلمية — وفي مقدمتها معهد الاسكندرية — للرد عليه حتى أطلعنا عليه أحد قضاة المحاكم الاهلية فرددنا عليه بأربع مقالات نشرت في المجلدين العشرين والحادي العشرين من المنار

مهما يكن من سبب سكوت علماء المعاهد الدينية في ذلك الوقت فهام أولاء يتصدون في هذا الوقت للرد على مقترح جعل القوانين كلها مدنية ، واذا رفعت الاحكام العرفية عند الشروع في انتخاب أعضاء المجلس النيابي فسيكون مجال النزاع والتخصام في هذه المسألة أقوى ، ولكل من الخصمين أنصاره ، فالسواد الاعظم من الامة المصرية يخالف رأي هؤلاء اغلاة من المتفرنجين ، ولا سيما اذا صرحوا بمقاصدهم كما يصرح . مقترح مدنية القوانين ، وهؤلاء المتفرنجون ليسوا باقلية ، وتوידم الاقلية غير المسلمة ، ونفوذ الانكليز والافرنج كافة ، ولا يخلو التصادم بين الفريقين في عهد تكوين الحكومة النيابية وفي أوائل العهد بها من خطر عليها ، فليس من مصلحة مصر في هذا الوقت أن تثار فيها هذه النزاعات المهيجة التي طرق بابها بعض المتفرنجين ، فقابلهم بعض علماء الشرع بمطالبة الحكومة وواضعي القانون الاساسي بما يفيد وجوب تطبيق جميع مواده على الشرع الاسلامي الذي يجب أن تلتزمه الحكومة من حيث هو دينها الرسمي حتى في علاقتها بحكومة الخلافة أو بالخليفة . وهذا المقام يحتاج الى بسط من وجوه أهمها ما لا يسم المسلم قبوله لما فاته للإسلام وما هو في سعة منه ، وما يضر ذكره دون السكوت عنه . وما تتعارض فيه المصالح ودرأ المفسد . من المهم الآن اجتناب الغلو من الجانبين ، فقد علمنا ما جنى لخلاف والشقاق على أشبه البلاد ببلادنا وهي (ارلدة)

واذ فتح هذا الباب فلا بد لنا من بيان نظريات الازهريين ونظريات المتفرنجين

في الشريعة والقوانين ، وما يراه حزب الاصلاح وهو الوسط الجامع بين هداية الدين النقية ، والترقي في معارج المدنية الصحيحة ، وهو حزب الاستاذ الامام الذي افتقده البلاد في ظلمات مشكلات هذا العصر ، كما يفتقد في الليلة الظلماء مطلع البدر ، فاتفق رجال الدين ورجال المدنية على الاحتفال باحياء ذكره ، والرجوع الى تعاليمه وهديه ، فاذا نظم حزب الامام عمله ، وجمع كلمته ، وتعارف افراده الكثيرون من الازهريين وغيرهم ، فيوشك أن يؤدي لهذا القطر أفضل خدمة كان من شأن الامام — رحمه الله تعالى — أن يؤديها له في هذا الطور الخيف — طور الانتقال من سيطرة الحكومة الفردية ، الى بحبوحة حكومة الامة النيابية

كوارث سوريا في سنوات الحرب

(تعليق المنار على مقالات الامير شكيب)

الامير شكيب كاتب سياسي بارع ومؤرخ محقق ، وقد كتب هذه المقالات لتاريخ فائت فيها مارأى بعينه ، وما سمع بأذنيه ، وما سعى اليه فأصابه ، وما سعى اليه ولم يصبه . وليس الامير بالرجل الظنون ، وما هو على سياسة الاتحاديين بظنين ، بل كان متهما بمشايعتهم ، لانه كان في السياسة الخارجية من شيعتهم ، كل من قرأ مقاله بانصاف يحزم مضاً بأن الحكومة التركية لم تكن تريد في تلك السنوات إماتة السوريين بالجوع ولا اللبنانيين منهم ، ولم تفضل المسلمين على النصارى في التموين ولا في غيره من المعاملات ، بل كانت وطأتها عليهم أشد ، ولم تبطل امتياز لبنان كما أبطلت الامتيازات الاجنبية كلها : ولكن هذه المقالات أيدت الآراء المهمة التي كنا نعتقدها ، ونصرح بها ، قولاً وكتابة ، وان حكمت المراقبة على الصحف بمنعنا من بعض ما كنا نكتب

١ — كنا نعتقد أن جمعية الاتحاد والترقي قد اقترعت ما أعطتها الحرب من التصرف في سلطنة آل عثمان بالحكم العرفي العسكري للقضاء على الشعب العربي فيها وجعل سورية والعراق ولايات تركية ، وان النهضة العلمية والوطنية لما كانت

في سورية أقوى منها في العراق عجل جمال باشا بتثريكها بالقوة القاهرة ، متوسلا الى ذلك بتعريض الضباط والجنود منها للقتل في المعارك الخطرة ، وبتقتيل رجال النهضة الفكرية والقلدية - وبنفي البيوت ذات الثروة والملك الواسع الى الاناضول لاجل ادغامهم في الشعب التركي هنالك ، ثم بالاتيان ببيوت تركية تخلفهم في بيوتهم وأملا كم في سورية . فجمال باشا كان منفذا اقرار جمعيته الاتحادية الطورانية لا مبتكراً لهذا الفساد راجع قول جمال باشا للامير شكيب « اتبأله على التوسل اليه بطاعت باشا أن يكف عن القتل والصلاب : أظن أنني أفعل ما أفعل بدون مشاورة رفقاائي ؟ » (آخر ص ١٣٠) . ثم مابعد هذا من خيبة الامل بالتوسل بأنور باشا . ثم راجع كلامه في (ص ٢٠٢) وما بعدها عن اجلاء السوريين عن وطنهم الذي وضع له اسم (التهجير) . ثم راجع في (ص ٢٩٢) مسألة محاولة جعل سورية تركية بمشروع قانون وضع لذلك كانوا يريدون تقريره في مجلس المبعوثين

٢ - كنا نعتقد أن محاكمة جمال باشا لمن يريد قتالهم محاكمة صورية لا يراد بها إحقاق الحق ليتبع ، ولا تمييز ما يشوبه من الباطل ليجتنب ، وإنما هو رياء السياسة العصرية المعهودة من سائر الدول في معاملة من يعددها لها عدوا لهم ، يحاكمونه لاجل ادانته والحكم عليه ولا يعدمون ما يثبتون به الذممة من الانك والتأويل ، وليس لاحكامهم معقب من استئناف أو نقض وإبرام فيفند ما يافكون ! راجع قول الكاتب عن جمال باشا انه لما صمم على شق الجماعة « استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه على ماعلمت من شكري بك نفسه أسماء أربعين شخصا يجب أن يحكم عليهم بالموت ! فراوده شكري بك كثيرا ودافع كثيرا فتهده به بالقتل الخ » (آخر ص ١٣١ وأول ص ١٣٢)

٣ - كنا نعتقد ان هذه الخطة خطة جمل وغرور لانها تكون سببا طبيعيا لئاس العرب من هذه الدولة وحملهم على الخروج عليها في الوقت الذي يجب فيه من توثيق روابط الاخاء والولاء مما لا يجب مثله في غيره ، لانه أرجى الاسباب لانتصارها ، فقوته من أعظم الاسباب لانكسارها ، وعند ما باقينا أنباء فعائله بل فظائمه قات لبعض

اخواننا انني أتمنى لو أمكنني أن أصل الى جمال باشا لابين له خطاه والخطر على الدولة منه . فكأنوا يقولون لي: إذا يبدأ بقتلك وصلبك ولا يرجع عن ضلاله ،

وقد ظهر ان الحق كان معهم فان الكاتب بذل له هذا النصيح فلم يسمع له ، بل لولا صداقته لآثروا وطاعت لفتك به ، فان هؤلاء المغرورين كانوا يظنون ان البلاد العربية التي جندوا منها خمسمائة ألف مقاتل تظل خاضعة لهم حتى بعد اليأس من امكان حفظ لغة شعبيها ودينها والامن على وطنها في ظل ديواتهم ؟ وان الخضوع بقوة الارهاب ، خير من الخضوع بوازع الاخلاص ؟ وكانت الحرب خير الفرص لاستمالة من نفرهم الاتحاديون من الدولة وأياسوهم من حفظ حقوقهم أو حياتهم معها ، فعند الشدائد تذهب الاحقاد ، ولكنهم زادهم نفورا . وتأمل كيف كانت انكلترا تبالغ في مدح أهل الهند ومصر ، وفرنسة تبالغ في مدح أهل تونس والجزائر راجع (في ص ٢٠٣) قول الكاتب في رئيس « قومسيون التهجير » نوري بك المفسد : انه كان يكره في الباطن جمالا وطلعت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه كان يغري جمالا بالنفي والتغريب انتقاما منهم لعلمه ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي ، وقد نبهنا جمالا الى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس الخ

٤ — كنا نعتقد ان ثورة الحجاز توقف بنفي جمال عند حد ، وانه هو الذي جعلها ضربة لازب لامناص منها ولا مفر ، وذلك ان الفارين من بنفي جمال باشا هم الذين جرّوا الشريف حسينا على ما كان يهواه من الثورة ، وهم الذين قاموا مع الضباط العراقيين بأثقل أعبائها .

وقد كان الامر كذلك كما بينه الامير شكيب في فصل خاص من مقاله ٥ فراجع في (ص ٢٠٧) وما بعدها ، فقد صرح في أوله بأن جمالا خاف العواقب فعدل عن الخجاسة الى المحاسنة . وبأنه استدعاه هو وبعض زعماء العشائر (وسماهم) ونسكهم معهم في اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلية الحقيقية (قال) وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة ، والتمس منا السهر على الامانة للدولة ، وأنا

وان كنت لم أصدق كلامه في البراءة من السياسة ، الطورانية . . . لم أخالفه في
«الطعن بسياسة الشريف من جهة مخالفته لانكثرة وتصديقه لمعاهداتها الخ
ثم ذكر ان توفيق بك الذي جعله جمال باشا وكيلا لولاية الشام احتشد في
اقتناعه بوجود مؤامرة على قتله وخلع طاعة الدولة ، وانه مع ذلك اضطر الى الاكتفاء
بالحبس ، ولم يتجاوز الى القتل ، — أي بعد ان كان يقتل بغير ذنب ؛ وذكر
حاويل من ان الاستانة أذنت في هذه الكرة انذاراً شديداً بأن يعدل عن خطته
المعروفة لانه قد طغى الكيل الخ

وقد كنت صرحت بما يرجي من هذا التأثير في مقالة (المسألة العربية)
التاريخية التي نشرت في الجزء الاول من المجلد العشرين الذي صدر في شوال
سنة ١٢٣٥ (يوليو سنة ١٩١٧) بعد ان حذفت المراقبة البريطانية منها ما حذفت
وكانت كتبت في السنة التي قبل هذه السنة . ثم صرحت في الفصل السابع من
الرحلة الحجازية « بأن الثورة الحجازية قد أدت وظيفة لها ، وأفادت مارجوناها
منها فأنقذت الحجاز وأوقفت بقي البغاة » ولكن خاب سعي في ايقافها عند هذا
الحد ، حتى لا تكون من أسباب انكسار الدولة في الحرب ، كما بينته في مواضع
متعددة بالتلميح عند العجز عن التصريح ثم بالتصريح عقب زوال المراقبة

هـ — كنت أعتقد أن المصلحة العامة للشعر عامة وللشعوب المستضعفة
خاصة أن تنتهي الحرب الكبرى بهذا قوى الحلفين القائمين بها جميعا وعود التوازن
بين دولها في عهد الضعف الى ما كان عليه في عهد القوة ، والا فبانتصار الحلف الذي فيه
الدولة العثمانية ، وكان يخالفتي في هذا بعض من اكاشفهم به حتى من المسلمين ،
قائلين ان الاتحاديين اذا انتصروا لا يقف بغيرهم عند حد ، فهم سيقضون على
الامة العربية قضاء مبرما ، ويستبدونها استعباداً لا تقوم لها بعدها قائمة ، وسيقضون
أيضا على الدين الاسلامي متممين ما بدؤوا به . وكنت أجيب بأني أعلم من سوء
نية زعماء الاتحاديين فوق ما تعلمون ، ولكنني أعتقد أن الالمان لا يمكنونهم من مثل
هذا الفساد الذي يضطرون الى السكوت لهم عليه في زمن الحرب اتقاء للفشل فيها ، وانه

لا بد أن يقدر الألمان من قدر الأمة العربية ما لا يقدره هؤلاء الاتحاديون المتطرفون،
وان الشعب التركي الذي يغلب عليه الدين بالاسلام سيكون عوناً لنا والألمان عليهم.
وقد ذكر الأمير شكيب في مقالته ما يؤيد هذا الرأي، ما سبق له في هذه
السبيل من السعي، وهو ما ذكره في ص ١٣٢ من سعيه لدى قنصل المانية في
الشام ليتوسل بنفوذ حكومته لدى حليفتها بمنع فظائع جمال باشا لان الضرر يعود عليها
من ذلك وقوله « ان قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لانهاية لها
فتكونون زدتهم الدرل الائتلافية قوة امة جديدة هي الامة العربية » وقول القنصل
بعد اخباره اياه بعجز سفارتهم في الاستانة عن عمل شيء في هذا الباب: ان الأتراك
سيندمون على هذا العمل — ثم ما ذكره في ص ١٣٣ من سعيه لدى (فون كولمان)
الذي كان سفير الدولة المانية في الاستانة لجعل الترك والعرب كائنة والمجر —
ثم لدى خليفه (الكونت برنستورف) الذي كان يصرح بأنه على هذا الرأي الخ
فثبت بهذا أن آراءنا كانت صحيحة لانها مبنية على الروية والتدقيق في البحث عن
الحق، ولكنني لم أكن آمناً من عاقبة غرور الاتحاديين ونهورهم اذا اتصروا، ولا يائسا من
رحمة الله بهذه الامة اذا انكسرت الدولة بسوء تصرفهم، ولا محمل لشرح هذا هنا
هذا واننا سنعود الى شيء من هذا البحث في الرحلة الاوربية ونبين فيها
ما كان من شدة نفور السواد الاعظم من الترك من أعمال الاتحاديين واضمارهم للثورة
عليهم بعد الحرب، ومن منع الغازي مصطفى كمال باشا لزعمائهم من دخول
الاناضول مدة الحرب لكره الامة لهم، وحذرا من وقوع الشقاق بوجودهم، وما علمناه
مما القينا من الاتحاديين أنفسهم من اعترافهم بخطأهم في المسألة العربية والاسلامية، ومن
سعيهم الآن لتكوين الجامعة الاسلامية، مع عدم الرجوع عن الحنسية الطورانية،
وقد تولى جمال باشا أفضل عمل يمكن عمله للجامعة الاسلامية وهو تنظيم الجيش
الافغاني الباسل. ولكن وردت الانباء بأن بعض أشقياء الارمن قد اغتاله في
القوقاس منصرفا من أوربة الى افغان. ولا شك ان فقد هذه الآن خسارة كبيرة لانه
كان قائما بعمل عظيم، ولكن رجال الثورات فلما يموتون حتف أنوفهم

الى حملة الاوربين

(٥)

حديثنا مع أعضاء جمعية الأمم

كان مما قرره أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني قبل انقضاؤه أن يسعى بعض أعضائه الى مقابلة بعض أعضاء جمعية الأمم الذين يرجى أن يعطفوا على قضيتنا اذا عرفوا كنهها، والذين يرجى أن يستفيد من الحديث معهم فائدة تزيدنا بصيرة في أمرنا، فكتب الامير شكيب الى كثير منهم مكاتبات خاصة يطلب فيها تمييز وقت خاص لمقابلة وفد من أعضاء مؤتمرنا ويخبروه به - من حيث انه هو (السكرتير) للمؤتمر - فأجاب كثير منهم الطاب وابي المنسذوبان الفرنسيان واستكبرا ان يجيبا كأههما لا يعترفان بأن مؤتمرا عقد على أن حكومتهم قد كانت أشد اهتماما بأمر المؤتمر من زميلاتها انكثارة . فحلفت صنائعها في سورية على توقيع عرائض ينكرون فيها أن يكون المؤتمر ممثلا لهم ومعبرا عن ارادتهم، فأجابها الى ذلك أيهم أشد نفاقا من المستخذين ، وامليل من الجبناء الطامعين . وستفصل اخبارهم في هذا مع غيرها في كتاب المؤتمر، الذي سيكون تاريخا دقيقا لهذا العمل . وكذلك مندوب الهند وامره ليس بيد بل بيد سكرتيره الانكليزي . وانما امره انكثارة من وجوده كثرة أنصارها في الجمعية وكان ممن أجاب الطلب رئيس مجلس جمعية الأمم وهو مندوب الصين ورئيس الجمعية العامة وهو مندوب هولندا ومن الأعضاء البرانس ارفع الدولة مندوب ايران واللورد روبرت سيسل البريطاني الشهير مندوب حكومة الترانسفال والمسترفيشر مندوب الدولة البريطانية نفسها وكذا مندوبوا ايطالية واسبانية والبرازيل والارجنتين وغيرهم . وكنا نبسط لكل منهم قضيتنا وكان اشد هم عطفها عليها وتمنيا لمساعدتنا مندوبوا ايران والصين لما بيننا وبين شعوبهما من الجامعة الشرقية ويليهما مندوبوا البرازيل والارجنتين فمندوبوا اسبانية وهو اندة كان بسطنا للقضية لدى هؤلاء متشابهها وكان الامير ميشيل يتكلم معهم باللين والاعتدال ولا سيما مع الاوربيين منهم وكنت أنا والامير شكيب نتكلم بشدة في رفض الانتداب وسوء الاعتقاد بالدولتين المتصديتين له ووصف (المنار : ج ٧) (٧٠) (المجلد الثالث والعشرون)

سيرتهما ، وكان سليمان بك كنعان ، يزيد علينا بيانا في قضية لبنان ، ومثله توفيق بك حماد وشكري أفندي الجمل في الشكوى من الوطن القومي لليهود في فلسطين ، ولا فائدة في استقصاء ما دار بيننا وبينهم كلهم في ذلك ولا بد من بيان نموذج منه

مناقشتنا للورد سيسل

قابلنا اللورد روبرت سيسل في عصر يوم الجمعة (٣٠ سبتمبر) ومكثنا معه ساعة وربع ساعة وقد أفاض في الكلام معنا بطلاقة وحرية غريبة وهو جالس على كرسي بين الجالس والمستلقي . كما أجلس أنا في طامة الاوقات الا أنني اتحمى هذه الجلسة اذا كنت مع بعض المتكلمين المحافظين على الرسوم فأترك راحتي مراعاة لهم ، والظاهر أن الرأي العام في أوربة لا ينتقد مثل هذه العادة ولا يعدها مخلة بأداب المجلس ، والا فان اللورد قليل الاحترام لنا ، وكبراء الانكليز شديدا المحافظون على الآداب العامة على كبرياتهم واعجابهم بأنفسهم بسطنا قضيتنا للورد وبيننا له رأي أمتنا في الانتداب ، وخصصنا بالذكر مسألتين فلسطين ولبنان ، فقال : إن البلاد السورية لا تزال بحسب القانون الدولي من بلاد العدو المحتلة ، صاحبها الدولة التركية وهي في حالة حرب مع دول التحالف لأنها لم تصدق على معاهدة سيفر التي أمضاها مندوبوها فلذلك لم تر جمعية الأمم أن لها حقا في النظر في صكوك الانتداب للبلاد الرموز لها بحرف (أ) المقدمة لها من انكلترا وفرنسة ، وقد اقترحت أنا النظر فيها فلم يقبل اقتراحي (هذا نص كلامه وقد كانت الجرائد ذكرت أن كلا من الدواتين وضعت صكا لانتدابها ونشرت صك الانتداب للمراق — وهو سيء جدا — ولم ينشر صك الانتداب لسورية لأنه أسوأ . والظاهر أنهما استرجعتا الصكين ثم استبدلتا غيرهما بهما في هذا العام ، وقد أقرهما مجلس عصبة الأمم وإن لم يكن له حق في ذلك بشهادة اللورد)

ثم قال اللورد : ان الغرض من الانتداب أن تكون البلاد المفروض عليها مستقلة في ادارتها وتساعد الدولة المنتدبة حتى تستعد للاستقلال التام قلنا نعم هذا ما نص في عهد جمعية الأمم ولكنه خداع كشفتته سيرة الدولتين المستوليتين على البلاد ، قبل أن يتم لها أمر الانتداب ، ومما ذكر في

عهد الجمعية ان لاهل البلاد الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة ونشرت الدولتان بلاغا رسميا وعدتا فيه بالعمل برغبة الاهالي ثم أخلفتا الوعد ، ولم تعتمد برأي الاهالي في شيء

قال نعم ولكن الدولتين احتاطتا لذلك فجعلتا الاتفاق بينهما حائلا دون انتفاع أهل البلاد بهذا النص ، وهو أن لا تقبل فرنسا الانتداب لفلسطين ولا للعراق ولا تقبل بريطانيا الانتداب لسورية ، كما أنهما لا تمكنان دولة أخرى من التصدي لهذا الانتداب

وقال جوابا عن كلام يتعلق بعدم تمكينهما جمعية الامم من جعل الانتداب موافقا لروح عهدا ونصوصه : ان للجمعية أن تفعل ذلك بأن تطبق الانتداب على مبدئها وروح عهدا فلا تقبل ما يخالف ذلك

ثم قال ان حكومة العراق الجديدة موافقة لروح جمعية الامم وان انكثرة تنوي مساعدة هذه الحكومة باخلاص ، وان سورية تستحق حكومة مثلها — لكنه اعترف بأن مسألة فلسطين مشكلة ودقيقة (أي غير متفقة مع نصوص جمعية الامم ولا مع روحها) وقال ان انكثرة مضطرة الى الوفاء لليهود بوعدهم ببلقور والى ارضاء العرب وحفظ حقوقهم ، وهي ستجهد في اختراع وسيلة لارضاء الفريقين مع موافقة روح جمعية الامم في الانتداب

هكذا قال اللورد ولكن صك الانتداب الذي ظهر أخيرا لم يرض الا اليهود الصيغونيين وحدهم ، وقد أغضب العرب وخفر عهود انكثرة لهم ، واخلف الوعود التي منتهم بها ، ولم يوافق روح عصبة الامم ولا نص مواعدها ، فمن نصدق وبقول من نثق ؟ ألا إننا لم نصدق قول اللورد ولكن كان يصدق مثله ومن دونه كثير من الفلسطينيين ، حتى أتاهم اليقين

ولما صرحنا للورد بأننا لا تقبل هذا الانتداب بحال من الاحوال ، ولا نصدق الوعود والاقوال ، نصح لنا بأن لا نمرقل مسألة الانتداب بل بأن نقبله ونطالب بمجمله موافقا لروح جمعية الامم فانه ضربة لازب (قال) ومعاودة سيفر وان كانت ستعدل فبلاد العرب لن تعود الى الحكومة التركية . فليس أمامنا من تتكل عليه لا نصافنا من سوء التصرف في الانتداب الا جمعية الامم حتفها ، لانها هي صاحبة الحق في المراقبة على الدول المنتدبة ومحاسبتها على أعمالها

قال هذا جوابا عما أطلال به الامير ميشيل من سوء التصرف في البلاد باسم الانتداب، فكأن اللورد توهم أنه يمكن أن تقبله اذا حسن التصرف فيه، وقد صرحت أنا والامير شكيب بأننا لا يمكن أن تقبله كما تقدم - واننا انما نذكر سوء التصرف فيه لاقامة الحجة من الآن على سوء النية لا للانتصاف وكان ملخص كلامي له : انه ليس في استطاعتنا أن نحج الدولتين ويكون لنا الفلج عليها في دائرة قانون هما الواضعتان له والحاكمتان به والمنفذتان له بالقوة، وانما نشكو الى عصبة الامم منذ الآن هذا الامر ونبين لها انه مخالف لمبادئها وغايتها - ولا نخطبه به بصفته البريطانية بل بكونه من كبار أعضاء العصبة الذين تشبعوا بروحها كما نسمع عنه ، ونرى أن مثله ينبغي أن يعرف الروح السائدة في الشرق الآن ولا سيما سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب ، وان الحرب الاخيرة قد علمتهم أن الحياة يجب أن تكون رخيصة في سبيل الحرية، فهم لا يبالون ببذل دمائهم في سبيلها - وأنه قد ثبت عدوهم أن هذا الانتداب استعمار واستعباد لا مساعدة لاجل استقلالهم ، ولو كان مساعدة ، لما قاوموه كل هذه المقاومة . وقد أجاب عن أول هذا الكلام ولم يجب عن الجملة الاخيرة بل قام على أثرها

كلامي مع المندوب البريطاني

وأذكر مما قلته لمسترفيشر المندوب البريطاني في أثناء حديث وفدنا معه : ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين مالا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين، ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم . فاذا أراد أحد أن يقول قولا فصلا صادقا لارجوع فيه قال « كلمة انكليزية » وقد انقلب هذا الاعتقاد بعد الهدنة من الحرب العامة الى ضده فلم يعد أحد يثق بقول انكليزي ولا غيره من الاوربيين ، بل خسرت أوربة كل ما كان من تفوذها الادبي ذلكم بأنكم في أثناء هذه الحرب قد أقيمت على جميع الامم والشعوب في الشرق والغرب درسا واحدا كان يتكرر كل يوم مدة أربع سنين ، وهو أن الغرض من هذه الحرب بين حلفكم والحلف الجرمانى هو نصر سلطان الحق وحرية الامم والشعوب على سلطان القوة والاعتداء على الضعفاء واخضاعهم بالسلاح العسكري ، ووعدتمونا معشر العرب وعودا خاصة بأننا سنكون

بانتصاركم أحرارا مستقلين ، وقد امتزجت هذه الوعود بدمائنا وأعصابنا ، كما صدقت الشعوب كلها تلك الدروس التي كانت تلقيها عليها برقيات روتر وهافاس كل يوم ، وتشرحها وتفصلها جرائدكم وجرائد أحلافكم

وما كان الا أن وضعت الحرب أوزارها بخضوع أعدائكم لكم ، ونزولهم على شروطكم في الهدنة والصلح ، حتى ثلث الكنائس ، وظهرت الدفائن ، فعلم أنكم إنما خشيتم أن تشارككم الدولة الألمانية بقوتها ، في استعبادكم للشعوب واستعماركم لبلادها ، فأردتم القضاء على قوتها لتنفردوا بذلك . وكان أسوأ الناس خيبة من اتخذتموهم واتخذوكم أصدقاء من مخدوعي الأمة العربية ، فانكم انتزعتم منها خير بلادها وأخصبها ومواطن مدنيته وهي سورية والعراق فقسمتوها بينكم وبين حليفتكم فرنسة اقتسام الغنائم ، وقهرتموها على الخضوع لحكمكم بالديابات والطيارات والبنادق والمدافع ،

واننا نرى انكم انما أسستم امبراطوريتكم العظيمة بالقوة المعنوية والادبية كالدهاء والحكمة واللين ، وانكم ستكونون باستبدال القوة العسكرية الوحشية بها من الخاسرين ، وإنني قد كتبت في اثبات هذه القضية مذكرة أرسلتها الى وزيركم الا كبرلوبيد جورج في العام الماضي أثبت فيها انه يمكن لكم أن تربحوا من الشعوب العربية والتركية والفارسية وغيرها من أمم الشرق بالصدقة وحسن المعاملة معها اذا تركتم لها استقلالها ، أضعاف ما تتصورون من الربح منها باستعبادها واستغلالها . والخذاع بالاقوال ، كتسمية الاستعمار بالانتداب ، لم يبق له رواج عند أحد من الناس وقد انسل المندوب البريطاني من المناقشة في هذا الموضوع بأنه الآن عضو في جمعية الامم لا في الوزارة البريطانية ، وان الانتداب مقرر في عهد الجمعية وليس موكولا الى أعضائها ليقرروه أو يتركوه ، وانما يطالبون بمجمله مطابقاً للمبادئ والاحكام الموضوعه له

ومما أضحكنا من كلام المندوب الايطالي أنني لما غمزت الحلفاء باقتسام بلادنا باسم الانتداب قال : إننا نحن لم نأخذ شيئاً !!

مندوب الصين

ومما قلته لمندوب الصين — وهو رئيس مجلس العصبة بالانتخاب وياله من رجل عالم عاقل حلیم — لا يعزب عن علم سعادتك ان الدول الغربية

الطامعة تعد الشرق كله مباحاً لها، وترى انه ليس لشعوبه حق في الحرية القومية واستقلال الحكم، الا من أثبت ذلك لنفسه بالقوة الحربية القاهرة كاليابان، وما يمنهم من العدوان على شعب شرقي ضعيف في عقر داره لسبب حرية واستغلال بلاده بيده — وأيديهم من فوقها — لا التنازع فيما بينهم عليه، وقد بدؤا بعد هذه الحرب الوحشية باقتسام بلاد الشرق الأدنى، فاذا فرغوا منها لا يبقى أمامهم الا الشرق الاقصى، فأنتم بدفاعكم عن قضيتنا تدافعون عن أنفسكم :

من حلقت الحية جاره فليسك الماء على لحيته
فاعترف بصحة هذا القول وبوجوب تكافل الشرقيين، وتعاونهم على
جعل آسية للاسيويين. وقد عني بنا اكثر من غيره

مندوب ايران

ومما قلته لمدوب ايران — البرنس أرفم الدولة — ان خصم المسلمين
الاكبري الشرق بل خصم الشرق كله هو الدولة البريطانية، وهي مع المسلمين
اليوم على طرفين متقابلين وان كانا يشتركان في أن كلا منهما أقوى ما كان
وأضعف ما كان في كل تاريخ حياته
فأما الدولة البريطانية فقد خرجت من هذه الحرب وهي سيدة أوربة
كلها — دع الشرق — فاما استراحت من خطر الاسطول الالماني الذي كان
يهدد سيادتها البحرية بالزوال وأضافت الى مستعمراتها بلادا واسعة غنية...
ودكت صروح الدولة العثمانية وجعلت اختها الدولة الايرانية تحت حمايتها،
وأحاطت بجزيرة العرب من أطرافها، بعد أن أعلنت الحماية على مصر واحتلت
العراق وفلسطين (البلاد المقدسة) واتفردت بالسلطان في البحر المتوسط، فصار
كل دوله وراءها كالخدم وراء المخدم،،، ولكن هذه العظمة والرفعة هي
منتهى ما يمكن أن تصل اليه ولا يطيق النوع البشري احتمال عظمة فوق هذه.
فهي قد بلغت القمة، ولما كان الوقوف والسكون في عالم الاحياء محالا، لم يبق
الا أن تنحدر وتندهور. وقد بدت آيات الانحدار والسقوط، فقد ثارت
عليها ارلندة ومصر والعراق ثورات دموية. وثارت فلسطين ثورة سياسية
والهند ثورة اجتماعية. ونجم نبت الشقاق بينها وبين جارتها وأقوى حليفاتها

الدولة الفرنسية ، ورفضت ايران معاهدتها الاستعبادية ، وصارت جارتها افغانستان دولة مستقلة حربية ، واستعادت الامة التركية قوتها الحربية . ووراء ذلك كله الروسية الباشقية . كل هذه المعضلات قد فاجأتها وهي في هذا الاوج من مجدها . فمجزت عن معالجة أدنى معضلة منها

وأما المسلمون فقد انتهت هذه الحرب بالقضاء على ما بقي من دولهم المستقلة ، واقتسام ما بقي من بلادهم بين الدول الظافرة ، فباغوا الخضيض الاسفل من الدلة والمسكنة . ولما كان الوقوف والسكون محالاً لم يبق الا أن يصعدوا ويرتقوا . وقد ظهرت طلائع الارتقاء مما أشرنا اليه من ثورات شعوبهم ونهوض حكوماتهم . فاذا كانوا قد اعتبروا بما كان من جنائياتهم على أنفسهم ، وبابوا كما نرجو من ذنوبهم ، وتعاونت شعوبهم مع سائر شعوب الشرق على دفع الضيم والعدوان عنهم ، فلا ريب في نظر الله اليهم ونصره اياهم . والمسلم لا ييأس من روح الله مهما تكن الخطوب والكوارث التي تساوره . لان اليأس لا يجتمع مع الايمان بقدره الله وعنايته وفضله في قلب واحد ، وهذه آيات الله قد ظهرت للمسلمين بتسخير الامة الروسية لدولتي الاسلام — العثمانية والابراهيمية — تنصرهما . وتشدد أزرهما . وتساعدهما على درء الخطر البريطاني عنهما . بعدما كانت هي الخطر الاكبر عليهما ، الساعة الى ثل عروشه ، وكانت الدولة البريطانية هي التي تقاومها في هذا . لا حبا فيهما . بل خوفا ان تنزعها سلطتها البحري بالاستيلاء على الآستانة وتزحف على الهند من طريق ايران — أو كما قال المثل — لا حبا في علي ولكن بغضا في معاوية

ثم نوهنا بنهضة الغازي مصطفى كمال باشا العسكرية والسياسية ، ولا سيما عنايته بجمع الكلمة بين الشعوب الاسلامية والشرقية ، فقال البرنس : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الدنيا ذليلاً الآن

وبهذه المناسبة أذكر اني قلت لاكثر من تكلمت معهم من أعضاء جمعية الامم بالاشتراك مع بعض إخواني من وفد المؤتمر أو منفردا ولرئيس الجمعية خاصة — وهو آخر من تكلم معه الوفد — ما يخصه :

بعض كلامي لرئيس جمعية الامم

إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم الحضارة خير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف اممها وحكوماتها وشرف المبدأ والغاية الموضوعين لعملها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل لهما استعباد من استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب ومن تريدان الاستيلاء عليهم بعدها باسم الانتداب منها ، ولا سيما بلادنا العربية التي هي قلب الارض ومهد الاديان الكبرى في العالم وموضوع النزاع في النفوذ بين الدول الكبرى . فان هاتين الدولتين قد قلبتا الموضوع فحولتا الغاية المقصودة من الجمعية الى ضدها . وقد عز عليها أن تحتل تسعة الاستيلاء على البلاد المقدسة ومهد الاديان السماوية الكبرى . فجعلت تبعته على عاتق هذه الجمعية وكلفتها أن تكفل لها هذه الغنيمة وما قبلها من غنائم الاستعمار الذي كان النزاع عليه علة هذه الحرب المخربة ، ويخشى أن يفضي الى حرب شرمها هو لا وشر ما لا . — ولا يصح منها أن تسفه نفسها وتحقرها بأن تعتذر عن هذه الجريمة بأنها مقيدة بقانون وضعه لها هؤلاء الطامعون ، فان قانونها يجب أن يكون من وضعها ، وأن يقرر بأصوات الاكثرين من أعضاء جمعية العامة ، فاما أن تقبل الدول الطامعة ذلك واما أن يفتضح رياؤها ، وتلقى عليها وحدها تبعة ما ستجنيه على البشر مطامعها ،

اذا كان البلقان هو مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب . فان سورية وفلسطين وسائر بلاد العرب ستكون مسعر نيران الفتن والحرب في الغرب والشرق جميعاً . واذا كانت انكثرة وفرسة قد فقدتا في عاقبة هذه الحرب كل ما كان لهما من النفوذ الادبي في الشرق . فستكون جمعية الامم هي القاضية على نفوذ أوربة الادبي في العالم كله اذا رضيت أن تكون آلة لهما فيما ذكرنا . واذا أصبحت أوربة لا تبالي بالنفوذ الادبي لاستحواذ الافكار المادية عليها — كما قال فيلسوفها الاكبر هربرت سبنسر — فلتعلم أن النفوذ المادي سيتبهر النفوذ الادبي . فان الشرق قد استيقظ وعرف نفسه . ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه عبيداً أذلاء للطامعين المستعمرين . ولتعلن نبأه بعد حين

فبشر عبّادي الذين يستمعون القول
 فينبعول احسنه اولئك الذين هداهم الله
 وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة

١٣١٥

بقي الحكمة من بقاء ومن يوت الحكمة
 فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
 إلا أولو الألباب

— قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى «ومئارا» كنار الطريق —

٢٩ صفر سنة ١٣٤١ - ٢٦ الميزان (١٠) سنة ١٣٠١ هـ ٢٠ أكتوبر سنة ٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ أُسْئَلَةُ مِنْ مَدِينَةِ بَنَكُوكَ (سِيَامَ) ﴾

(س ٣٨-٤٥) من صاحب الامضاء

(١) يقع اختلاف وشقاق في كل عام بين أئمة المساجد في اثبات هلال رمضان فمنهم من يعتمد ويعمل بمثل جدول الشهور والايام للشيخ القزويني ومنهم من يعمل بما قال في عجائب المخلوقات بعد ذكر الجدول وهو ما نصه: قال جعفر الصادق رضي الله عنه: اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذي صمته في العام الماضي فانه أول يوم شهر رمضان الذي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك ٥٠ سنة فوجدوه صحيحا اهـ ومنهم من لا يعمل الا بما قال الشيخ البجيرمي في حاشيته على شرح فتح الوهاب: — قال سيدي علي وفا المصري في فتاويه لا يستتر القمر اكثر من ليلتين آخر الشهر أبداً ويستتر ليلتين ان كان كاملاً وليلة ان كان ناقصاً. والمراد بالاستتار في الليلتين أن لا يظهر القمر فيهما ويظهر بعد طلوع الفجر. وفي عبارة بعضهم: واذا استتر ليلتين والسماء مصحبة فيهما فالليلة الثالثة أول الشهر بلا ريب والتفطن لذلك ينبغي لكل مسلم فان من تقطن له يغنيه عن التطلع من (؟) رؤية هلال رمضان ولم يفته يوم ان كان كاملاً وحديث « صوموا لرؤيته » الخ في حق من لم يتفطن لذلك. ولو علم الناس عظم منزلة رمضان عند الله وعند الملائكة وعند الانبياء لاختاطوا له بصوم أيام قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه اهـ (قال) وهو كلام تقيس فاحفظه. والبقية يصومون بالرؤية ويفطرون بالرؤية عملاً بالحديث الشريف فصار كل مسجد يصوم بما رأى أمامه.

وكذلك يختلفون في اثبات هلال شوال والاضحى كاختلافهم في اثبات هلال رمضان بل العاملون بالرؤية يختلفون في قبول شهادة عدل واحد في هلال شوال والاضحى (ولم تتوفر لاحد في سيام شروط العدالة المشروحة في كتب الامام الشافعي) فمنهم من يقبل ومنهم من يرفض فاعتماد الاول على ما ذكر البجيرمي في حاشيته على الاقناع في كتاب الصيام أنه هو المعتمد والثاني على ما قال الشافعي في الام والنووي في شرح مسلم. فالجاء مل صدورنا أن

تبيينوا لنا الحق في هذه مع الرد الصريح على من اهتدى بغير السنة النبوية
 (٢) ما حكم شراء أوراق اليانصيب ؟ فإن الحكومة السياسية الآن
 تريد جمع المال لشراء الاسلحة النارية والطائرات الهوائية من أرباح اليانصيب
 لأعراض الجمهور عن التبرع لها) وما الفرق بينهما وبين الميسر الجاهلي ؟ فإن
 قيل بالمنع. فما يفعل بالجائزة لو ربحتم الثمرة التي اشتراها مسلم قبل تيقن الحرمة ؟
 (٣) فشا بيننا اليوم : (١) التداوي بالأدوية المركبة من الكحول (٢)
 واستعمال الروائح العطرية والافرنجية (٣) تعاطي البيرة (٤) ووضع خلاصة
 الفواكه (Essence) في عمل الحلويات والمربات (٥) والاستصباح بزيت
 البترول (٦) والالتفاف بالغازات. فكل هذه مستحذثة يصعب علينا معرفة
 أحكامها شرعا فنلتبس من فضيلتكم بيانا شافيا مفصلا عن حكم كل منهما وعن
 أصلها وعن الفرق بين كل واحدة منها ان وجد . ولا تحيلونا على ما لم يكن
 بيدنا من فتاوى سبقت لكم في المنار أو غيره أفيدونا أثابكم الله والسلام
 بنكوك نوى
 تلميذكم ناظر مدرسة البداية
 عبد الله بن محمد السمودي

﴿ جواب المنار ﴾

إثبات هلال رمضان والعيد

قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد أجمع العلماء على أن الرد الى الله تحكيم كتابه
 والعمل به والرد الى الرسول بعد وفاته تحكيم سنته والعمل بها. وقد قال تعالى
 في كتابه (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وناظر رسوله (ص) إثبات الشهر
 برؤية الهلال والا اكملت عدة الشهر ثلاثين يوما. ولا حاجة الى سرد شيء في تفسير
 الآية ولا نصوص الاحاديث في ذلك فهي معلومة لديكم . ومن عجائب ضلالات
 التقليد أن يترك السنة الصحيحة الصريحة عارفها ويأخذ بقول زيد وعمر من
 الناس الذين ليست أقوالهم ديننا ولا حجة في الدين ولو لم تكن مخالفة للكتاب
 والسنة فكيف اذا خالفها ولا هم من العلماء المجتهدين على ان المسألة ليست اجتهدية
 لوجود النص الصريح فيها . وقد قال الامام الشافعي في أول باب الاجماع من
 رسالته الشهيرة في أصول الفقه : « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم
 (المنار : ج ٨) (٧٤) (المجلد الثالث والعشرون)

كتاباً ولا سنة أن يقول بخلاف واحد منهما » فما دامت رؤية الهلال ممكنة فلا يجوز العمل بالحساب ولا بمثل ما ذكر من الضوابط المبنية عليه ، ولكن قد يحتاج الى الضوابط اذا تعذر العمل بالسنة كأن تطبق الفيوم في قطر كبير عدة أشهر ويتعذر عليهم الوقوف على اثبات صحيح للشهر برؤية الهلال في مكان قريب منهم مثلاً أو اذا كان الصيام في المنطقة القطبية وما يقرب منها حيث لا شهور — فهنا يجتهد في تقدير الاوقات للصلاة والصيام . وقد بينا هذه المسائل من قبل والغرض هنا بيان أن المصيب من المختلفين في المسألة في بلاد السائل هو الفريق الذي يثبت الشهر برؤية الهلال والا فبما كمال عدة شعبان ٣٠ يوماً اذا غم الهلال على الناس . وينبغي أن يكثر المستهلون لتثبت الرؤية بالتواتر فان لم يتفق ذلك وشهد برؤيته من لا يعد عدلاً في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فلا بأس بأن يعد عدلاً في مذهب غيره والعبرة بتصديق الناس له فاذا كنا نعلم أن زيداً يتحرى الصدق ويتنزه عن الكذب ولكنه لا يرى بأساً ببعض ما يعد في المذهب مسقط المروءة ولا سيما اذا كان لا يعد مسقطاً لها في هذا العصر أو لا يسقط مروءة مثله لمجموع مزاياه الاخرى ، فلا مانع من قبول شهادته . والعمدة في ذلك أن يعتقد صدقه ، فان بعض ما اشترطوه في العدالة مبني على العرف لا النص : تحريم المروءة . والعرف يختلف باختلاف الزمان والمكان . ويكفي في اثبات رمضان شهادة واحد ، ثبت ذلك في السنة وجري عليه الجمهور

وأما الميدان فالادلة في إنباتها بشهادة عدل أو عدلين متعارضة والمهم أن يتفقوا على أحد القولين تفادياً من الاختلاف الذي يبغضه الله ويبغض أهله بعد هذا نقول كلمة في تلك الاقوال التي نقلها السائل عن بعض المصنفين : فاما ما نقلوه عن جدهنا جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فهو صحيح في نفسه وانما يطرد بموافقة إنبات الشهر بالحساب الذي تقتضيه قواعد الفلك ولكنه قد يخطئ اذا جرى الاثبات على قاعدة الشرع بالرؤية ، وما يظن ان الامام قال بترك الاثبات بما أمر به جده عليه الصلاة والسلام والعمل بالحساب ، وإلا فان العارف بالحساب لا يحتاج الى ذلك الضابط بل يعرف أول كل شهر معرفة قطعية لا شك فيها . وانما تختلف أقوال مؤلفي التقاويم أحياناً لان بعضهم يجري في ذلك على قاعدة تولد القمر وبعضهم يجري على قاعدة توافق الشرع

من حيث يجعل أول الشهر الليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال إذا انتفت الموانع كالغيوم وما في معناها. وقد بينا غير مرة أن الحكمة في جعل مواقيت الصلاة والصيام منوطة بما تسهل معرفته على جميع المسلمين من بدو وحضر أميين ومتعلمين هي أن لا تكون أمورهم الدينية بأيدي أفراد من علماء فن مخصوص كالفاكر لا يوجدون في كل مكان وقد يعثون بأمور الأمة في دينها كما فعل رؤساء الأديان الأخرى. ونجد أهل الأمصار الإسلامية الآهلة بالعلماء من جميع المذاهب لا يعملون في إثبات هلال رمضان والأعياد وغيرها إلا بالرؤية أو اكتمال العدة على كثرة الحاسبين المدققين فيها، ثم انهم يشبتون الرؤية لإثباتا شرعياً يحكم في دعوى صورية لاجل اعلام الناس كافة به بصفة يرتقم فيها الخلاف ليسلم المسلمون من الغرضي والخلاف في عبادتهم في كل قطر. فما يفعله أهل (سيام) عندكم مخالف لهدي الشارع والحكمة الشرع والعمل المسلمين سلفاً وخلفاً في جميع الاقطار الإسلامية وأما ما نقله البجيرمي من أن حديث «صوموا لرؤيته» خاص بمن لم يتفطن لتلك القاعدة الحسائية — ومن أنه ينبغي الاحتياط لرمضان بصوم قبله حتى لا يفوته صوم يوم منه — فهو باطل بشقيه ويستغرب قوله فيه: أنه تقيس. ويترتب على قوله الأول أن نقبل قول كل من جاءنا بقاعدة أو طريقة يمكن أن يحصل بها مقصد الشرع في عمل من الأعمال من غير الطريقة أو القاعدة الثابتة بنص الكتاب والسنة — وحينئذ يكون كل واحد من هؤلاء شارعاً لغير ما شرعه الله تعالى وناسخاً لما شرعه ولو في الوسائل، وهو شرك بالله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقد بينا هذا المعنى في مواضع من التفسير والفتاوى القريية العهد، وسيرى القراء شيئاً منه في الجزء الآتي من المنار في باب الفتوى ان شاء الله تعالى. وبمثل هذه الآراء أضع من قبلنا أصول دينهم وفروعه

وأما الرأي الثاني فيقال فيه: ان الصيام لا يعد من رمضان الا اذا ثبت الشهر وكان الصيام بنية رمضان والا فقد ورد في السنة النهي عن صوم يوم الشك وعن استقبال رمضان بيوم أو يومين ...

وجملة القول ان الواجب على أهل بلدكم أن يعملوا في إثبات رمضان والعيدين بما يعمل به سائر المسلمين من الاستهلال فان رأي الهلال فذاك والا أكملوا

عدة شعبان؛ وأن يجتمع أئمة المساجد والعلماء ليلة الثلاثين من رمضان فان ثبت الشهر أعلموا به الناس وصاموا جميعاً والا أفطروا جميعاً . (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)
شراء أوراق اليانصيب وربحها

« اليانصيب » ضرب من ضروب الميسراتي كثرت في هذا الزمان كما كثرت أنواع أخته الخمر، فلا خلاف في تحريمه بين علماء المذاهب الاسلامية كلها، وأما ربحه من حكومة غير اسلامية في دار الكفر التي لا تنفذ فيها شريعة الاسلام فباح اذ لا يمكن التزام أحكامها واشتراط عقودها في تلك الدار بل يكفي في حل أموال أهلها وحكومتها رضاؤهم وعدم كونه سرقة أو خيانة لهم. ولا حاجة الى بيان الفرق بين هذا الميسر والميسر الجاهلي فان كل ميسر حرام كما أن كل خمر حرام، وان أكثر أنواع الخمر والميسر المستحدثة في هذا الزمان شر مما كان منهما في عصر نزول الشرع، وان كان بعض الفقهاء يقول ان حرمة الخمر المتخذة من عصير العنب أشد وأغلظ من سائر الخمر، فهو لاء بنوا قولهم على دعوى لفظية مرجوحة والحق الذي بيناه في التفسير ان كل شراب مسكر فهو خمر لغة وشرعاً، وان شر الخمر أشدها ضرراً في العقل والبدن كالتى يسمونها الاشربة الروحية ولا سيما المستحدثة بالطرق الاوربية، وكذلك الميسر شر أنواعه ما استحدثه الاوربيون في هذا الزمان

الادوية والاعطار الكحولية

اذا كان في الادوية التي يدخلها الكحول اشربة مسكرة فلا شك في تحريم شربها وعدم ابحاثها الا في حال الاضطرار التي تبيح المحظور لقوله تعالى (الاما اضطررتم اليه) قيل ومادون الاضطرار من التداوي الذي يكون بتجربة صحيحة أو برأي طبيب عدل يصدقه المريض بأن هذا دواءه ولا يوجد غيره يقوم مقامه. وقد فصلنا هذا البحث بأدلته من قبل. ولكن يوجد كثير من الادوية الجامدة والمائمة التي يدخلها الكحول للتطهير وامانة جراثيم الفساد ولغير ذلك من حفظ المواد وتحليلها أو تركيبها وهي ليست اشربة مسكرة فهذه لا وجه للامتناع من التداوي بها. ومثلها الاعطار الا فرنجية المعدة للتعطر وللتطهير الطبي فلا وجه لتحريمها الا عند من يعتقد أنها خمر نجسة، وقد بينا بطلان هذا القول في

المجلد الرابع من المنار وفي غيره كالمناظرة فيه بيننا وبين بعض كبراء علماء الازهر وقد جاءتنا في هذه الايام فتوى من الهند بتحريم تزيين المساجد بالطلاء الذي يدخله (الاسبيرتو) بناء على القول بأنه خمر نجس وقد سئلنا عن رأينا فيها فأجبنا جواباً طويلاً ضاق عنه هذا الجزء وسترونه فيما بعده ان شاء الله تعالى وتعلمون منه ان هذه الادوية والاعطار لا يحرم منها شيء وانما يحرم الشراب المسكر فقط البيرة البيرة شراب مسكري سمي في اللغة العربية (الجمعة) فهو محرم قطعاً، وان كان القليل منه لا يسكر فان القليل ذريعة الى الكثير

خلاصة الفواكه ان انواع الحلوى والمرابي التي توضع فيها خلاصة الفواكه كاللوز والتفاح كثيرة في مصر وغيرها من بلاد الاسلام يأكلها المسلمون من العلماء وغيرهم ولم يبلغنا ان أحداً جعلها موضوع خلاف يحتاج فيه الى الاستفتاء، ولا نعلم أن منها خمر، على ان الخمر اذا دخلت في مواد وطبخت هذه المواد خرجت عن كونها خمرًا مسكرة وطهرت على القول بأنها كانت نجسة — وهذا مذهب الحنفية الراجح المختار عندنا فيها كما بيناه في الرد على الفتوى الهندية المشار اليها آنفاً الاستصباح بزيت البترول قد استغر بنا سؤالكم عن الاستصباح بزيت البترول وقولكم انه من المستحذات في بلاد سيام فنحن منذ عرفنا الدنيا رأيناها يستصبح به في الدور والمساجد ولا وجه لجعله مما يسئل عن حله وحرمة فان الاصل في جميع الاشياء النافعة الحلّ واذا وجد شيء جديد ضارّ أو فيه ضرر من جهة ونفع من أخرى فهو الذي يسئل عن حكمه

الانتفاع بالغازات ما قيل في زيت البترول يقال، في الغازات والمستعمل عندنا في الاستصباح منها غاز الفحم الحجري وهو كثير في مساجدنا ومنها الجامع الازهر . والله تعالى أعلم

﴿ استفتاء آخر في اسلام أهل سيام ﴾

﴿ المشوب بالاعمال والشعائر الوثنية البوذية ﴾

(س ٤٦) من صاحب الامضاء

ماقولكم ، دام فضلكم :

في مسلمين نساؤهم متبرجات تبرجا دونه تبرج الجاهلية الاولى . لايرن في

أنفسهن عورة سوى السواتين ، يتعاطين أشغال الحياة خارج البيت أكثر من داخله ، ويختلطن مع الرجال الأجانب ، ويزاحمنهم في الأسواق والحفلات والولائم وكل الأشغال ، يقلن : لا إله الا الله محمد رسول الله ، ويصلين الخمس ، ويصمن رمضان الخ ، ويحضرن أسواقاً خيرية ، وحفلات بوذية ، يقيمها البوذيون في معابدهم ، ويشتركن معهم فيها في الملهى والميسر في مكان مزدحم ، ولا يوجد أدنى فرق بينهم وبين البوذيات في الزي والهيئة ، — هذه أوصاف بناتهم ونسائهم — فهم لم يعرفوا ولم يعترفوا ان للحياء معنى ، وللغيرة معنى ، يمينون من لم يتزي بزيهم ، ويمرون من لم يتخلق بأخلاقهم ، ويقلدون البوذيين في آدابهم ، وفي الملبس والمسكن والوساخة ، وفي بعض الأمور الدينية ، . والوثنيين ملبس خاص قبيح المنظر جداً ، ما يستر غير السواتين ، ومسكن عجيب فيه غرفة أو غرفتان هي قاعة الاستقبال وقاعة النوم والا كل معاً — أول ما يرى الزائر عند دخوله المطبخ ومافيه ، والمرقد وما حواليه . كما ان وساختهم ليس لها حد ، ولقد صدق القائل : لا عتاب بعد الكفر ، ولهم معابد كثيرة قلما يخلو شارع من معبد أو معبدتين ، وأقل مساحة كل معبد في بنكوك ٦٠٠ متر مربع . كذلك تجمد مساجد المسلمين في كل حارة نزولاً فيها من مسجد الى أربعة يكثرونها بدون أقل حاجة ، يقيمون في كل منها الجمعة ويتبعونها بالظهر ، وكل مسجد به منادى ، والآخر — وكل معبد بما عنده — فجمعهم تفرق وحدتهم ، وتبعث التنافر والتقاطع والتناوب بينهم ، وعلى ما ظهر تنزل غضب الله عليهم ، ومع كثرة هذه المساجد — وفي عاصمة بنكوك فقط فوق عشرين مسجداً جامعاً — تجمد عدد مصليي الجمعة في كل مسجد لا يتجاوز العشرين رجلاً الا في مسجدين أحدهما في (بنكوك نوى) والاخر في (وسكيت) وهذه المساجد معظمها مقفلة الابواب في كل يوم ، ولا تفتح الا في أيام الجمع وليالي رمضان ، وعند حضور الجنائزات ، كما ان معابد الوثنيين لا يفتحونها الا في أيام معلومة . وصلاة الجماعة مفقودة في غير مسجدين أو ثلاثة كأن لم يكن لهم علم بأنها من شعائر الاسلام والمسلمين

والمتموظفون في هذه المساجد والمتدينون عندهم محلوقو الرؤس شعث غير متقشفون تاركوا التجارة والصناعة والحياة الشريفة لاهل الدنيا . فمن يحلق رأسه

أو ينظف أسنانه أو يصلح زيه يعدّ عندهم مارقا . فمعاشهم يأتيهم رغداً من ثمار
ترغيب القوم وترهيبهم في فدية الصلاة والصوم وصلاة الجنائز، ولا يحضر أحد
لصلاة الجنائز إلا بدعوة من المصاب ، فأموال الفقراء يعد المصلون عليهم بالأصابع
وأما الأغنياء فلا تسلم — ومن الولائم واهداء ثواب الذكر والقرآن بل بيعه
لأموال الأغنياء والمثريين ، ومن استنزاف مابأيدي الناس من الصدقات بالترغيب
في وضعها في أيدي العلماء والصالحين ، والترهيب من أن تقع صدقة في يد الجاهل
والطالحين ، فكم من مسلم فقير عضه الدهر بأنياه لم ينظر إليه أخوه المسلم ، وكم
وكم !! لأن هذا في عينهم ليس من المستحقين للبر لفقره ، أولانه غير مخلوق الشعر
وكل فقيه من فقهاءهم أو امام من أئمتهم (عدا أهل بنكوك نوى)
يشحذ ، والشحاذة شعار علمائهم والمتدينين منهم ، فاذا خرج فقيه الى القرى
يشحذ وحصل كثيراً صار كبيراً مقدماً فوق أقرانه ! .. وكثير من أئمتهم
وعلمائهم من يملك أموالاً طائلة من الذهب والفضة والاطيان ولكن لا يزكونها
اذهم عند قرب حلول الحول يهبونها لأولادهم ونسائهم فيصبحون فقراء
يستحقون الصدقات فيجولون من بادية الى بادية ، ومن بيت الى بيت يشحذون ،
فبعد انصرام موسم الحصاد وانقضاء الحاجة يستردون الاموال من أولادهم
ونسائهم ، ويقرضون المعوزين يأخذون منهم خمسة في المئة شهرياً ،
ويستحلونها بطرق يستنبطونها من قواعد فقهم ، أو يعطونهم ورقة بنكنوت
قيمتها ١٠٠٠ تيكاس مثلاً بشرط أن يؤدوها بخمسة عشر تيكاساً فضة ،
وهم لا يرون زكاة في أوراق البنكنوت فتفتح لهم الابواب يدخلون فيها زمراً
فرحين مستبشرين بما أوحى اليهم كبار علمائهم

والخلاصة أنهم — في دينهم ودنياهم — على غير المألوف في المسلمين في
أقطار العالم . وما من مسلم فاضل ينزل عندهم الا ولسان حاله يقول :

بليت بقوم لا أريد ودادهم فأكرههم جداً مع البعد والقرب
ولكنني أصطاد رزقي بأرضهم ولا بد للصياد من صحبة الكلب

فالمرجو أن تبينوا لنا حكم هؤلاء هل هم فسقة تسقط عدالتهم امام الشرع
الحنيف أم لا؟ فهذا الذي ذكرت قليل من كثير مما هم عليه من الخزي والضلال ،
وما رأيكم سمع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أحمد وهاب

﴿ المنار ﴾ ان اطلاق لقب الفسق وسقوط العدالة بالمعنى المعروف أقل ما يقال في هؤلاء الناس ، وكنت أودّ لو أعرف شيئاً من تاريخ دخولهم في الاسلام ، وكيف يتعامله الذكور والاناث في هذه الايام ، وهل يعرف عوامهم العربية وماذا يوجد عندهم من كتب العقائد والفقه ، وما يحسن أن يرسل اليهم منها ولو بغير ثمن ان كانوا يقرأون .

ان ماذكر السائل عنهم وقال انه قليل من ضلالتهم الكثيرة يشمل عشرات من المعاصي المجمع على تحريمها دع مافيه خلاف منها هل هو فسق أو كفر ، أو هل هو من الكبائر أو الصغائر ، ولعلنا نفصلها في مقال خاص ،

ان بعض هذه الفواحش والمنكرات مما يكفر جميع علماء المذاهب الاسلامية من يستحلّه لانه من المعلوم من الدين بالضرورة ولا سيما مشاركة الوثنيين في عبادتهم وأكل الربا ومنع الزكاة واظهار عورات النساء للرجال على الوجه المبين في السؤال . ولا يعذر مرتكبو أمثال هذه الكبائر الا اذا كانوا حديثي عهد بالاسلام بحيث لم تبلغهم أحكامه في هذه المسائل وظاهر ما ذكرتم من أمرهم أن منهم فقهاء على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، ولعل بلاءهم من فقهاءهم كأكثر عوام المسلمين الذين لا يهتم فقهاؤهم بنشر الدين فيهم ويكرهون كل من يرشدهم اليه ويصدونهم عنه ، أوليسوا هم الذين كتبتم الينا انهم يصدون عن المنار ويعادون قراءه « ويرمونهم بالسنة حداد ، ويجعلونهم من المفسدين لاكار الآباء والاجداد » فما الحيلة في هداية عامتهم ، اذا كانت هذه حالة علمائهم ؟

يا معشر القراء ياملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غص بالماء

والذي نراه أنه اذا أمكن إطلاع هؤلاء الناس على حكم الله فيما هم فيه وكانوا في جملتهم مذعنين لاصل الدين ، فلا بد أن يهتدي كثير منهم واذا كانوا يعرفون العربية فيحسن اطلاعهم على كتاب الزواجر للفقهاء ابن حجر المكي الشافعي ، ونحن مستعدون لما نكلفه من السعي لهدايتهم . وأما اذا كانوا لا يذعنون لما يعلمون من دين الله قطعاً فلا يعتد باسلامهم ولا يعاب بصلاتهم ولا بصيامهم ، لان شرط صحة الاسلام أن يذعن المؤمن لكل ما علم أنه منه ، ولا يستحل مخالفة شيء منه ، ولا يقول تؤمن ببعض ونكفر ببعض وإلا كان متبعاً لهواه لا لما شرعه الله (أرايت من اتخذ إلهه هواه فأنت تكون عليه وكيلا)

الاحتفال بذكرى الاستاذ الامام

٢

كلمة الاستاذ منصور فهمي

أيتها السادة

منذ أكثر من عشرين عاما ونحن صبية في أبنام الدراسة الاولى اذكر انني كنت مع رفيق لي في شارع الدواوين قيد أبصارنا على مقربة من باب احدي تلك الدواوين مرأى شيخ معمم أشيب، ربيع القامة، مهيب الطاعة، لطيف المشية نظرنا الى الشيخ نظرة المنفرج المتعجب حتى دخل الديوان وتوارى عن بصرنا . قال صاحبي ذلك هو الشيخ عبده فقات : كان ينبغي أن يحية، وعاتبته رفيقي على أنه لم يبدأ بالتحية فأتبعه، وعاتبني اذ لم أكن البادئ فيتبغني . ثم حمل كل معنا رفيقه اثم ذلك التقصير، وانتحل كل منا لنفسه ما استطاع أن يدفع به عن نفسه من المعاذير

سرتنا في سدينا واستبقى خيالي صورة ذلك الشيخ الذي كنت رأيت للمرة الاولى، وأخذت تمر امام نفسي تلك الاقوال التي كانت تقذف حول اسم ذلك الرجل الجليل

أخذت أنصور معنى الاصلاح لاني كنت اسمع انه من المصلحين . ومعنى العلم لاني كنت اسمع انه من أكبر العلماء . ومعنى الخروج عن المألوف لاني كنت اسمع انه من الذين خرجوا عن المألوف الذي لا يعتمد على حق، ولا على عقل ، ومعنى العظمة لاني كنت أسمعه انه كان عظيما

أخذت المامني المختلفة تتوالى على ذهني الضعيف النض لان الاحاديث التي كانت تدور حول اسم الشيخ كانت مختلفة الالوان أيضا

ما كنت أستطيع وقتئذ أن أدرك حق الادراك معنى العلم ولا معنى الخروج

(المجلد الثالث والاشرون)

(٧٥)

(المنازل : ج ٨)

عن المؤلف ولا معنى العظمة ولا معنى الاصلاح . كنت لا أدرك ذلك وكان زميلي مثلي لا يدرك تلك المعاني أيضاً، ولكننا كما نشعر بشيء واحد . هو رغبتنا الصادقة في أن نؤدي لذلك الرجل تحيةنا ا كبار له واجلالا

كننا نرغب في ذلك أيها السادة كان في نفوس الصغار والسذج حساً يدركونه به معنى العظمة وشعور خاصا يتبينون به ميزة الرجل العظيم، رغم ما يسترها من أقوال المتقولين، وذم الحاسدين، وثائرة الجماهين

قضى القضاء أيها السادة أن تكون تلك المرة التي رأيت فيها الشيخ هي الاولى والاخرة، ولكن الله يريد أن أقف اليوم لاحيي الشيخ تلك التحية التي كنت أريد أن أقدمها اليه منذ عشرين عاما

نعم أيها السادة كنت أريد أن أحيي ذلك الرجل وأنا صبي في بداية العمر وبداية العلم، واليوم أتقدم لتحيته وأنا أخدم العلم الذي كان الشيخ يخدمه، وأحصل تمارا كان الشيخ يعمل على انضاجه وأعين علي تغذية اذهان طالما أراد الشيخ أن تشبع علما

كنت أريد أن أحيي الشيخ من عشرين عاما لاني كنت أشعر انه عظيم وممتاز، والان أتقدم لتحيته وقد أصبحت أدرك شيئا من معاني العظمة والامتياز

العظمة أيها السادة واسعة، واسعة، تتضاءل أمام سمعتها وهيبتها كل المعاني العظمة من المعاني التي اذا مست الكون بنعدم عندئذ الماسد وينلاشى الحقيقير، ويظار الصالح، ويعلو الكبير .

العظمة متحركة لا تعرف القرار والسكون وتمتد كاللهب المستعر في كل جهة وتعمل فيما يصيبه عمالها النافع

لا تعرف القرار لانها تجري وراء الكمال وأمام الكمال

على ذلك يكون الرجل العظيم هو الذي يريد أن يروض الناقص بالكمال ويعتمد على نفسه للذهبة الحارة . لا يريد أن يقف حيثما يقف الناس؛ لانه يرى

الحياة سائرة والكمال سائرا وهو يسير اينما سارا . لانكون نفسيته حيث تكون
نفسياته اس لانها كبيرة تمتد في الوجود الانهائي ، ونفسيات عامة الاس صغيرة
متضائلة لاتسد في الوجود الا فراغا يسيراً

تلك هي بعض صفات العظيم فهل كان الرجل الذي تذكره اليوم على شئ
من هذه الصفات ؟ .

ان من يطلع على حياة الشيخ يتبين القوة العظيمة التي كانت تقوم عليها نفسه
الكبيرة وأدل دائل على ذلك ان الاعمال التي انصلت بها جهوده وقع فيها حرب
بين أسلوب القديم وأسلوب الجديد وكان هو حامل لواء الانبياء وكان في جهاده
مظفراً منصوراً .

أليس هو الذي عند اتصاله بصناعة الصحافة والتحرير أدخل في التحرير
أسلوباً أصح ووجه الكتابة العربية وجهة الدقة والطلاوة .

أليس هو الذي أدخل الاساليب الحديثة في التعليم الديني عند اتصاله بإدارته ؟
أليس هو الذي أجود نفسه ليربط العلوم الاسلامية بالانبياء الصحيحة الواسعة
ويوجهها وجهة الطرق العلمية الصحيحة ؟

أليس هو الذي كان صوته عالياً في محاربة روح الاستبداد والجمود أينما تكون ؟
أليس هو الذي أکبر شأن الافتاء عند اتصاله بذلك المنصب الكبير وأخذ
بقي في اقطار الاسلام المختلفة بمسائل دقيقة فتحها للافتاء الشرعي مستكجداً
أليس هو الذي كان يوفق بين روح المحافظة وروح التجديد وروح الدين
وروح العلم حتى يستفاد من حسناتها جميعاً ؟

أليس هو من أصحاب الفضل في المناداة بحرية الفكر واحترام استقلال الرأي ؟
ان الجيل الناشئ مدين للشيخ عبده بتعود التسامح وتقدير فوائد الاستقلال
الفكري ، وقد جهر الشيخ بفضل ذلك في خطبة القاها بتونس اذ يقول : « أقول قولي
هنا ولا أريد به الزم سامعه بقوله وإلا خالفتم ما أدعو اليه من استقلال الفكر
وحرية الرأي . . »

ان الجيل الحاضر يقدر له بلاءه الحسن في احترام الرأي القائم على التفكير،
ويجب أن يقدر له المشتغلون بالعلم صيحته الصارخة بوجوب تعديل التعليم بحيث
يخرج العلماء المشتغلين بالا بحاث العقلية المحضة

قال بذلك في وصيته السياسية التي كتبها بالفرنسية الى الكونت دي جربيل
(فنشرها) في مؤلفه مصر الحديثة في ٦ يونيو سنة ٩٠٥ أي قبل موته بنيف
وثلاثين يوما وسينشر أخونا الدكتور طه حسين تعريب هذه الوصية قريبا
قال الشيخ في هذه الوصية :

« اذا نظرنا الى التعليم الذي تنشره الحكومة من حيث قيمته فنحن مضطرون
الى أن نلاحظ أنه لا يكاد يقدر الا على تكوين رجل محترف بحرفة يكتسب بها
الحياة، ومن المستحيل أن يستطيع هذا التعليم تكوين عالم أو كاتب أو فيلسوف
فضلا عن تكوين نابغة، وكل ما لدينا من المدارس التي تمثل التعليم العالي في مصر
انما هي مدرسة الحقوق والطب والهندسة، وأما بقية الفروع التي يتكون منها العلم
الانساني فقد ينال منها المصري أحيانا صورا سطحية في المدارس الاعدادية ويكاد
يكون من المستحيل أن يتقن منها شيئا، وهو في الغالب مكره على أن يجهلها جهلا
تاماً، وذلك شأن العلم الاجتماعي وفروعه التاريخية والخرافية والاقتصادية ذلك شأن
الفلسفة القديمة والحديثة والآداب العربية والاوربية والفنون الجميلة أيضا، كل
ذلك مجهول لا يدرس في مدرسة مصرية . والنتيجة أن في مصر قضاة ومحامين
وأطباء ومهندسين، تختلف كفاءتهم قوة وضعفنا في احتراف حرفهم، ولكنك لا
تري في الطبقة المتعلمة الرجل الباحث، ولا المفكر، ولا الفيلسوف، ولا العالم . لا
تري الرجل ذا العقل الواسع . والنفس العالية . والشعور الكريم، ذلك الذي يرى
حياته كلها في مثل أعلى يطمع فيه ويسمو اليه . »

يتبين لكم مما تقدم أيها السادة أن الشيخ كان مبشرا بدار العلوم العقلية

المالية ولم يمضِ قليل من الزمن حتى أنشئت الجامعة المصرية صدى لأميته
الكيرة الغالية

لأنزال إلى اليوم نحتاج إلى مثل هذه الصيحة تنبهنا إلى أننا نريد علومًا توجد
فينا رجالًا واسمي العقول .

نريد علومًا تكون فينا أخلاقًا ومداركنا، وتحجب إلينا الحياة أو تبين لنا ما يمكن
أن يكون في العيش من جمال وسمو .

نريد ذلك الآن، وقد أراد الشيخ من قبل وجهه به وأوصى فلا غرابة وقد
أخذت أمانتي تسير في سبيل التحقيق أن يقوم في الجامعة المصرية أحد أساتذتهم
بذكر الشيخ بالحمد والتحية والاحلال .

أيها المادة . .

أن الوقت الذي قدر لي لأقف بينكم ذاكرًا الشيخ لا يتسع لتعديد حسناته
في حياتنا الاجتماعية ولكن حسب من العظمة أنه كان من زعماء الدين ومن زعماء
الدنيا معًا .

توجه إلى شؤون التصوف والتقى وفقه الدين، ولكنه لم يهمل شؤون الإصلاح والأمران
فؤاد نولاه نور السماء . ولكنه وضع مسائل الأرض .

ذهن وفق بين عالم الغيب وعالم الشهادة . .

وجعل وصل بين الأرض والسماء بسبب . .

« أنه لرجل عظيم »

منصور فهمي .

الأستاذ بالجامعة المصرية

قصيدة حافظ ابراهيم بك

أذنت شمس حياتي بمغيب ودنا المنهل يا نفس فطبي
 انت من سار اليه سيرنا ورد الراحة من بعد الغوب
 قد مضى « حقتي » وهذا يومنا يتداني فاستحيي وأنبي
 وارقيبه كل يوم اتما نحن في قبضة علام الغيوب
 اذكري الموت لدى النوم ولا تغفلي ذكرته عند الهبوب
 واذكري الوحشة في القبر فلا مؤنس فيها سوى تقوى القلوب
 قدمي الخير احتساباً فكفى بعض ما قدمت من تلك الذنوب
 راغني فقد شبابي وأنا لا أراع اليوم من فقد مشيبي
 حن جنباي الى برد الثرى حيث أنسى من عدو وحبیب
 مضجع لا يشنكي صاحبه شدة الدهر ولا شد الخطوب
 لا ولا يستمه ذاك الذي يستم الأحياء من عيش رتيب^(١)
 قد وقفنا ستة^(٢) نيكى على عالم المشرق في يوم عصيب
 وقف الخمسة قبلي فمضوا هكذا قلبي واني عن قريب

(١) أي على وتيرة واحدة

(٢) يشير الى يوم تأبين المرحوم الاستاذ الامام فتد كان المؤننون يومئذ ستة أولهم الاستاذ الشيخ احمد أبو خطوة. والثاني حسن عاصم باشا . والثالث حسن عبد الرازق باشا. والرابع قاسم امين بك . والخامس حنفي ناصف بك . والسادس حافظ ابراهيم بك . وقد مات المؤننون على ترتيب وقوفهم في الخطابة واحداً بعد واحد ولم يبق غير حافظ - أطال الله بقاءه - وقد نظم ذلك المرحوم حنفي بك ناصف بأبيات بعث بها الى الشاعر منها : —

أتذكر اذ كنا على القبر ستة لعدد آثار الامام ونسب
 وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ممات على وفق النظام مرتب
 ابو خطوة ولي وقفاه عاصم وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
 فلبى وغابت بعده شمس قاسم وعما قريب نجم محياي يغرب

وردوا الحوض تباعاً فقصوا
أنا منذ بانوا وولى عهدهم
هدأت نيرات حزني هداة
فتذكرت به يوم انطوى
يوم كفناه في آمالنا
(عرفوا من غيبوه وكذا
ونجمننا بامام مصلح
كم له من باقيات في الهدى
يبذل المعروف في السر كما
يحسن الظن به أعدوه
تنزل الاضياف منه والمنى
قد منعت عشر وسبع والنهى
نرقب الافق فلا يبدو به
وتنادي كل مأمول وما
دوي الجرح ولم يقدر له
أجذب العلم وأمسى بعده
رحمة الدين عليه كلما
رحمة الرأي عليه كلما
رحمة الفهم عليه كلما
رحمة الحلم عليه كلما
ليس في ميدان مصر فارس
كلما شارفه منا قى
ماترى كيف تولى « قاسم »
أنسى الأحياء ذكرى (عبده)

باتفاق في منايهم عجيب
حاضر الأربعة موصول النجيب
وانطوى (حقى) فعادت للشبوب
صادق العزيمة كشف الكروب
وذكرنا عنده قول (حبيب)
تعرف الاقمار من بعد المغيب)
عامر القلب وأواب منيب
والندى بين شروق وغروب
يرقب العاشق اغفاء الرقيب
حين لا يحسن ظن بقريب
والخلال العز في مرعى خصيب
في ذبول والاماني في نضوب
لامع من نور هاد مستثيب
غير أضواء المنادي من محيب
بعد ثاوي (عين شمس) من طيب
رائد العرفان في واد جديد
خرج التفسير عن طوق الاربيب
طاش سهم الرأي في كف المصيب
دقت الاشياء عن ذهن اللبيب
ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
يركب الاخطار في يوم الركوب
غاله المقدار من قبل الوثوب
وهو في الميعة والبرد القشيب
وهي للمستاف من مسك وطيب

انهم لو أنصفوها لبنا
معهداً للدين يسقى غرسه
ونسينا ذكر حقّي بعده
لم تسل منا عليه دمة
سكنت أناس حقّي بعد ما
عاش خصب العمر موفور الحجي
معهداً تعتاده كمّ الهوب
من نير فاض من ذاك القلب
ودفنا فضله دفن الريب
وهو أولى الناس بالسبع الصيب
طبت في الشرق أنفاس الاديب
صادق العشرة مأمون المغيب

كلمة صاحب المنار

أيها السادة

إن اخواني أعضاء لجنة هذا الاحتفال قد حددوا وقتهم وخصوني بالكلمة الختامية لانه مهما يقل من قبلي فانه يسهل علي أن آتي بشي جديد ، لسعة وقوفي على تاريخ شيخنا الامام الذي محتفل بذكراه ومعرفتي بشؤوننا ، وأن أجعله على قدر ما بقي من الوقت إذ لا أكون ملتزماً لا تمام كلام معين مرتبط ببعضه ببعض ..

أيها السادة : إن أخص صفات استاذنا الذي اجتمعنا لاجياء ذكره هو انه إمام مصلح ، فهو في كل طور من أطوار حياته العملية كان يعمل لخدمة الناس واصلاح شؤون الامة ، ولم يكن يعمل لنفسه ، لا لبيته شيئا بذكره ، فلو أجمعت تاريخ حياته في كلمة مفردة لكانت تلك الكلمة هي « المصلح »

طرق جميع أبواب الاصلاح بل دخل فيها عالما عاملا ، مجيداً منتقناً ، حتى تعلقت به آمال وطنه وأمته ، بل آمال الشرق كله وأكبره العلماء والعقلاء والاذكياء من كل أمة وشعب على اختلاف أديانهم ومشاربهم

قال المشير أحمد مختار باشا الغازي علامة الترك الشهير ورب السيف

(١) كانت الكلمة ارتجالية وكتبت بعد قائمها بزمن طويل في الجملة فلا بد أن ينقص المكتوب فيها جملاً ويزيد أخرى ولو بسطاً وايضاحاً او بختلاف ترتيب

والقلم في إكبار علمه وعقله : إنني أعتقد أن دماغ هذا الرجل أعظم دماغ عرف،
وانه لو وزن لرحح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الأفرنج وزن
أدمغتهم (كأبرس بسمارك). ولما قرأت في الجرائد بأوفاته (وكان الغازي يومئذ
في أوربة) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لأن الخسارة به لا عوض لها

وأبني الدكتور عبد الله جودت أحد كتّاب الترك المشهورين و أحد رؤسسي جمعية
الاجتهاد والترقي في مجلته (اجتهد) التي كانت تصدر في مصر باللغتين التركية
والفرنسية مرتين في العدين المسع والحادي عشر من السنة الأولى فجعل عنوان
الترجمة (الاموات الذين لا يموتون) فقال في الاول منهما ما ترجمته المرفية

كان الشيخ محمد عبده بلا خلاف أحد الابعين الذين لا يدخلون في طبقات
الرجال ، وانما الانهاية هي الحد الوحيد الذي ينتهي اليه علمهم .

ثم قال كان الشيخ محمد عبده مسلماً حقيقياً على قدم النبي صلى الله عليه وسلم . وقال
في العدد الآخر : كان الشيخ محمد عبده مسيحاً ثانياً منيعاً للعالم الاسلامي الذي
كان دوي سقوطه فيه يصيح . مسام ذوي الوجدان ، ويزق أحشاء اصحاب الايمان .
وكتب الدكتور ادوارد براون العلامة الانكليزي المدرس في جامعة كمبرج
كتاب تعزية قال فيه « مارأيت في الشرق ولا في الغرب مثله »

وقال ابراهيم باشا نجيب المصري : ان الناس لا يعرفون قيمة الشيخ محمد عبده
الا بعد ثمانين سنة — أي بعد انتهاء جباين في الترية الاجتعية

وقال الدكتور يعقوب صروف صاحب المقطف لما أكثر المؤيدون في حفلة
الاربعين من وصف الاستاذ بكلمة فقيد الاسلام وفقيد مصر : اننا لانرضى بأن
يكون فقيدكم وحدكم ، بل نقول إنه أكبر من ذلك — انه فقيد الشرق كله

وأزيد هنا كلمة مما ضاق الوقت عن ذكره هنالك وهي ان السيد محمد توفيق
البيكري سمع نبأ وفاة الاستاذ الامام وهو في أوربة فلم يصدق الخبر فلما عاد الى
مصر أخبرنا بأنه لم يصدق الخبر الا بعد عودته الى مصر وعال ذلك بأنه كان يخال
ان الموت لا يتجرأ على الشيخ محمد عبده وقال : لقد ترك الشيخ فراغاً لا يسده

المنار : ج ٨ (٧٦) (المجلد الثالث والعشرون)

أحد ، فانه كان كما قال المتنبي : ملء السهل والجبل . ولو ترك مناصب الحكومة وعمل مستقلا لحدث انقلابا عظيما

أشار بعض الخطباء الى ما كان من تحامل بعض الشيوخ عليه منذ أشرق نور عقريته بعد اتصاله بالسيد جمال الدين حتى سعى بعضهم فيه الى شيخ الأزهر الشيخ المهدي العباسي عند امتحانه لشهادة العالمية ليستطوره فيه وكانوا تقاسموا بالله ليحرمته من هذه الشهادة ، ولكن الشيخ المهدي كان رجلا كبيرا لا يلتفت الى هذه السفاسف ، فلما حضر امتحانه ورأى مارأى من نبوغه على ما كان من اعانت بعض مشيخة الامتحان له ، وكيدهم لايقاعه في الاغلوطات ، حاف إياه مارأى مثله واته أحق من يأخذ الدرجة الاولى بها — فقتع حينئذ أبهم أشد على الرجل عتيا بأن يأخذ الدرجة الثانية ، بحاف بالطلاق أن لا يعدوها الى الاولى ، فبر شيخ الأزهر قسمه — مع اعترافه بأنه ظلم للممتحن — إطفاء للفتنة

كان أكثر تحامل من تحامل عليه من الشيوخ بغيا منهم سببه في الاكثر الحسد ، وفي الاقل سوء الظن في رجل مستقل الفكر في العلم ، يستبدل فيحكم بالفتي او الاثبات ، وقد قرأ الفاسفة ولازم السيد جمال الدين . واذا لم يكن العالم العاقل ، المدلي بالحجة فيما يأخذ ويترك ، ظنينا في دينه ، متهما في عقيدته ، مهما يكن من صلاحه واستقامته ، فلي من توجه التهم ، من هؤلاء الجامدين الذين لا استقلال لعقولهم في علم ولا عمل ؟

الرجل على ما أودى في الله من أول ظهور فضله ، الى يوم لقاء ربه — لم ينل أحد بغض ما نال من الاحترام عند أمم الشرق والغرب ، وعند جميع الطبقات من قومه ، في حياته وبعد مماته ، فقد كان طلاب الاصلاح العلمي الديني ، وطلاب الاصلاح المدني ، وطلاب الاصلاح الحكومي ، على مذاهب فيها ، وكل منهم يعده اماما وزعيما للامة فيما يرجوه ويطلبه لها ، وقد صرح بهذا اصحاب المقتطاب والمقطم في ترجمتهم له عند وفاته ، فهو قد وصل باجماع الطبقات والفئات المفكرة على علمه وفضله الى مقام الزعامة الذي كان يرجى أن يزيل به الخلاف بين الدين وأهله ،

وبين العلم المصري والمدنية ورجالها ، فقدتته مصر وسائر بلاد الشرق في أشد أوقات حاجتها اليه ، ولكنها انما فقدت شخصه ، ولم تفقد رأيه وهديه ، وتمسكات الى عهد وفاته لم يكمل استعدادها للنهوض معه ، ولذلك كان يقول :
روح الرجل الذي ليس له أمة ،

حتمًا إن اتفاق كلمة الاحزاب المختلفة من طلاب الاصلاح الديني والمدني على زعامة هذا الامام ، جدير بأن يعد من خوارق العادات ، فهو على ما كانت معروفة به من قوة التسدين والغيرة على الاسلام ، والاجتهاد في الاصلاح الذي يرتفع به شأنه — كان يحمل رجاء غير المسلمين من علماء الشرق ورجاء من لا يشغل لدين محلا من قلوبهم ، بأنه هو الرجل الذي يمكن أن يقود نهضة الشرق — كما قال الدكتور صروف ، وكذا غيره من أدباء النصارى — (كما يعلم من أقوال بعضهم في تأييده ورثائه التي نشرناها في الجزء الثالث من تاريخه)

وانني أبين هنا بالكتابة ماذاق الوقت عن بيانه في الحلقة من سبب ذلك . وهو أن أكثر أهل الشرق الأدنى مسلمون معروفون بشدة الاستمساك بدينهم ، وقد حال سوء فهمهم للاسلام دون مجاراتهم للشعوب العزيزة القوية في مضمار العلوم والفنون والثروة والحضارة ، حتى ساء ظن بعض المفكرين فيه ، وظنوا انه هو المانع من التبرقي من حيث هو باعث عليه ويتعذرون انماض الشرق بدونهم . وانهاضهم بدون اصلاح ديني يتفق به الدين مع العلم والحضارة ، ويعلم به ان العقيدة الاسلامية ، لا تتنافى في الوحدة الوطنية ، لذلك شهد اورد كرومر بأن الحزب الاسلامي الذي كان زعميه الشيخ محمد عبده هو الحزب الوسط بين الحزب المحافظ على التقاليد العتيقة الذي يحارب المدنية وينبذها وبين حزب المتفريجين المارقين من الدين وانه هو الحزب الذي يرجى أن تنهض به البلاد

وقد سئل الاورد عن الشيخ هل كان متساهلا في الاسلام؟ فقال: بل هو متمصب له أوفيه ولكن بعقل

ذكر خطيبنا الاستاذ الشيخ مصطفى ماتوجهت اليه همة الاستاذ الامام

أخيراً من بناء قواعد الاصلاح كلها على التعاليم وتربية الامة ، وأزيد عليه أن أهم أركان التربية عنده تربية الارادة التي يتوقف عليها كل اصلاح وكل نهوض وأكتفي في هذا الوقت الضيق بكلمة واحدة له فيها

قال لي مرة : والله لو أن في معصر مئة رجل لما استطاع الا سكايز أن يقيموا فيها أو لما استطاعوا أن يعملوا فيها عملاً — ان عندنا مئين وألفاً كثيرة من المتعلمين الذين يستطيعون القيام بالاعمال المختلفة في جميع الوظائف ولكن أكثرهم ضعفاء الارادة لا يرجي منهم شيء

(وههنا ناشد الخطيب صديقه الشيخ علي سرور الزكلاوني بأن يختصر ويدع له وقتاً يقول فيه كلمة، فحتم كلامه بالتنبيه الى إحياء مبادئ الاستاذ الامام)

*

كلمة الاستاذ الشيخ علي سرور الزكلاوني

أحد علماء الازهر

أيها السادة : إن اللجنة المحترمة لم تبح لي في ضمن قراراتها القول مع القائلين في هذه الحملة المباركة لضيق الوقت ، وكثرة الخطباء واسكن أبي الله أن يتسع لي الوقت فأقول كلمتي في إمام لي شرف الانتساب اليه . وقد أرى من الغبن أن أحرم الحديث عنه في مثل هذا اليوم . وقد أذنت لي اللجنة الآن . وأنا على غير عدة فأشكرها على هذا التساهل العظيم

أيها السادة : ان الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده كان آية من آيات الله تعالى، فقد مضى على مفارقه لهذه الحياة سبعة عشر عاماً تقريباً والامة لم تحتفل بإحياء ذكره . وليس من المعقول أن تبرز الفكرة في هذا اليوم واضحة جليلة والامة منها في شوق ولها على استعداد تام كما ترون — ولا يكون المحفل به آية من آيات الله إن آيات الله تعالى الثابتة في السكون مهما طال عليها العهد لا بد أن ترجع إليها العقول المتحيرة لتستير بها في المستقبل، لانها لم تخلق خلقة عادية يتناسى

بمجرد مفارقتها للحياة الاولى ، ولكنها تبرز للوجود في إمداد خاص فينتفع بها الآخرون ، كما انتفع بها الاولون ،

أيها السادة : ان إحياء ذكرى الاستاذ الامام بعد مضي هذه المدة يعد ولا حسنا في حياة مصر ، و بشري يترب من ورائها النصر والظفر ، اذ الامة التي تستطلع آيات الماضي في أوقانها العصبية تسترشد بها في حياتها المستقبلية ، لى الامة التي قويت عقليتها ونمت حيايتها ، واذا لا ضير عليها ولا خوف منها تلون فيها العذاب ، واشتدت بها الخطوب

ان الاستاذ الامام لا بد أن يكشف المستقبل القريب للامة عن حقيقة المواقعة والواضحة في نفوس أصدقائه وطلابه

ان الاستاذ الامام قد أجمع اصدقائه وأهله معا على أنه لامة من نوابغ عصره ، وان اختلفت أظفار الفريقين في تدرك جهة النبوغ ، وعندى أنه مع نبوغه متفوقه على أقرانه في كثير من مسائل الوجود المعروضة على البحث . هو عبقرى من كبار العبقرين في نظرياتة الدينية التي ليست لها صورة واضحة في دين الاسلام^(١) وخصوصا فيما يتعلق بالعالم ونظام التعليم

أيها السادة : ان أكبر آية تدل على عظمة الاستاذ في نفوس الامة ازدياد تعلق القلوب به بلا سبب عادي يحال عليه ذلك التعلق وراء الفضيلة المجردة والنبوغ والعبقرية ، لانه وان كان رجلا سياسيا ومدنيا ، الا أن السياسة لم تكن من مظاهره الواضحة ، بل كان مظهره الحقيقي والرسمي أنه رجل ديني من كبار علماء الدين ، وليس الدين في مصر عوامل قوية تحيل عليها تفكير الناس في إحياء ذكره ، بل الدين كما ترون ذابل في جو الفساد المنشر الذي يتبع الحق والفضيلة انتزاعا ، ولو أن الاستاذ الامام كان مظهره سياسيا لما بلغ منا العجب مبالغه اذا فكرت الامة بعد هذا الزمن الطويل في إحياء ذكره ، لان الحياة السياسية في العالم ، ونامية ملتبه ، متشعبة مع العواطف ، ومتغلغلة في نفوس الخاصة ، والجاهل ترتكز على أقل الاسباب

(١) هذه الكلمة محملة بمهمة بحلي ما بعدها بعض ما فيها من الاجمال

أيها السادة : ان الاستاذ الامام قد كان محبوبا عند الخاصة وكانوا في زمنه قليلين ، وكان مصادرا من الجماهير تبعا لمعادرة رجال الدين له ، وقد افترق العقلاء في كل فكرة تصادفها المعارضة على فرقتين : هل الحق مع الاقلية أو الاكثرية ؟ وعندي أن المسئلة واضحة لا تحتاج الى احتدام الجدل وتشعب الآراء

إن الحق يكون مع الاقلية دائما اذا كانت الامة سائرة في حياة تقليدية مضى على العمل بها زمان طويل فتحكت في النفوس ، سواء أ كانت الحياة دينية أم مدنية ، والامة في دور جهائتها ، ثم جاء هارجل من أبنائها أو من غير أبنائها وله عقلية راجحة ، وشخصية واضحة ، فدعاها الى الاصلاح بالحجة والبرهان ، وافتها الى دلائل الحياة الصحيحة ونماذجها ، فصادمته ولم تدع له بايدي ذي بدء اللهم الا التز القليل ، لان عقولها محصورة في دائرة حياتها الموروثة ، ومن الصعب أن تتخطى تلك الدائرة بسهولة ، قبل أن يصادفها شيء من التهذيب بالتجربة والتعالم ، ففي هذه الحالة يكون الحق دائما مع الاقلية . وعلى هذا النحو كانت حياة الانبياء وكبار المصلحين ، وقد كانت معارضة الاستاذ الامام من هذا القبيل

وأما اذا نزل بالامة حادث ديني أو مدني فاصطدمت به العقول واحتدم فيه الجدل ، وانقسم المفكرون الى قسمين ، تبع الجمهور فيه أحد الفريقين ، فالحق في تلك الحالة بلاريب مع الاكثرية ، خصوصا اذا كانت الاقلية بجانبها القوة المجردة ، لان الجمهور لا يرى الا في طريق الامارات الظاهرة ، وللدلائل الواضحة ، البعيدة عن المخاوف . والبرهنة من الظنون والشكوك ، وايس الجمهور في تلك الحالة سائرا بعقائمه الساذمة ، وانما هو تابع من جهة الطائفة من المفكرين قد أناروا له الطريق ، ومنساق من جهة اخرى بما أودعه الله في فطرته السليمة من الاستعداد لقبول الحق بسرعة ، وهي الفطرة القوية التي نصر الله بها الانبياء والمرسلين

أيها السادة : ان تبعة إهمال ذكرى الاستاذ الامام في هذه المدة الطويلة لا يجوز أن تلقى على عاتق المعاهد الدينية فان هذا النوع من الحفاوة لم يكن معروفا لهم ولا مألوفا عندهم ، وقد أدوا الاستاذ الامام كبر ما يعرفون من الحفاوة والذكرى

المنار: ج ٢٣ م ٨ - بعض ما أرسل الى اللجنة - قصيدة لمفتي الديار المصرية ٦٠٧

بالترحم عليه كلما ذكر والاستدلال بأقواله اذا أظلم عليهم الامر، والتمسك بمبادئه.
والنهوض في سبيل تعاليمه وارشاداته، حتى إن مذهبه ليزداد انتشارا في كل يوم،
خصر صا بين الطلاب. وان المعاهد الدينية بفضل ارشاداته سائرة في طريق
الرفق والاصلاح الذي كن ينشده رحمه الله تعالى. فالحمد لله على نعمة التوفيق والسلام

علي سرور الزنكاوني — من علماء الازهر

بهذه الكلمة انتهى ما قيل في الحفلة وانقض على أثرها الاجتماع

بعض ما أرسل الى اللجنة من منظوم ومنثور

قصيدة قل يمتد

لصاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

لما ولي الاستاذ الامام إفتاء الديار المصرية نظم الاستاذ الفاضل الاديب
الشيخ عبد الرحمن قراعه (مفتي الديار المصرية) لهذا العهد قصيدة بليغة هنا
بها. وهذا الاستاذ يفتخر بأن الامام قد أجاز قوله له مرة: إنه أصغر اخوانه.
واكبر أولاده. ذلك بأنه حضر معه دروس بعض شيوخه ومنهم السيد جمال
الدين وحضر عليه بعض ما قرأه من الكتب. وقد نشرت تلك القصيدة في
المجلد الثاني من المنار. وقد نسخها الاستاذ احمد زكي باشا لتقرأ في الحفلة
لقوة المناسبة التي لا يغفل عنها الباشا. وهي أن هذا الاحتفال لاحياء ذكرى
مفتي الديار المصرية. ويرأسها خلفه في إفتاء الديار المصرية فناسب أن
تتلى فيه قصيدة لخلفه في إفتاء الديار المصرية. ولكن الوقت لم يتسع لنشادها
ولابداع احمد زكي باشا في شرح هذه المناسبة لها فاقترح على اللجنة أن
تنشرها فيما تطبعه من بيان احتفالها. وهي

يهدبك في الفتوى الى الحق هتدي	ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجدي
سمت بك للعلماء تنس آية	وعزيمة ماض كالخسام المجرى
ورأي رشيد في الخطرب وحنكة	وتجربة في مشهد بعيد مشهد

وعلم كدور الشمس لم يك خافيا
فضائل شتى في الافاضل فرقت
ولو جاز تعداوى لها لعدتها
فقيم أطيل القول والشمر قاصر؟
أمولاي يا مولاي دعوة مخلص
لكل زمان من بنيه مجدد
وقد علم الاقوام أن محمدًا
يمينا بمن بالفضل خصص (عبده
وقلده عقد الفتاوى فأصبحت
لتخترقن الحجب بالرشد لا الهوى
فتوضح من إشكاله كل غامض
اليك أزف المدح شعرا مقصدا
لا باغ نفسي بامتداحك سؤلها
فجاء على قدرى ولكن شافعي
وهنأت نفسي ثم هنأت معشرى
وقلت لمصر هنيئه وأرخى

سنة ١٣١٧

٤١ ٩٠ ٥٢٧ ٤١ ١٣٩ ٥٦٩

لقد سبق التاريخ عشرا فلم أجد
فزدت كما أبغي ومن يلف مخلصا
فلا زلت يا مولاي فينا محسندا
و حاسدك المغبون غير محسند

نشرت في مجلة « المنار » الإسلامية عدد ٢٤ سنة ١٩٩٩

محمد عبده

﴿ للشباب النجيب محمود افندي كامل ^(١) ﴾

﴿ نجل الاستاذ العالم العامل ، محمد علي بك كامل المحامي الشهير ﴾

في مثل هذا الشهر من سبعة عشر عاما مضت رشق الدهر قلب مصر بسهم
أدماه . وهبت عواصفه على أهل الكنانة فأثارت لوعتهم . وتركت في كل دار مأتما ،
لم يشفق — أجل لم يشفق ذلك الدهر الغائب على أبناء مصر فأخذهم على غرة .
اختطف من بين أحضانهم أباهم الحنون — وهم فرحون بالنظر اليه ، جذلون
لقربهم منه — فقلب أفراحهم أتراحا ، وبشرهم عبوسا . اختطف أمهم الرؤوم التي
كانت ترضعهم من ثديها أفويق رنقا الكمال ، واكتنفها الجلال
اختطف قائدهم الذي كان يرفع — وهو في مقدمتهم — نبراس الحق لينير لهم
الصراط المستقيم فلا يضلوه
اختطف الحكيم الوقور ، الفيلسوف القدير ، الشهم الهام ، الاستاذ الامام ،
الشيخ (محمد عبده)

ان يموت العظيم — خصوصا اذا كان كفقيدا وفي ظروف فقيدنا — من
الاثر في نفوس قومه ما يقف قلم أقدر الكتاب عن أن يسطر وصفه ، ويعجز
أفصح الخطباء عن ايفائه حقه . حزن شامل يعم الامة ويضع غشاوة كثيفة تحجب
عن الابصار الافراح . وتنهدات تخرج من أعماق نفوس مكتومة ، وحسرات
تحتاج في قلوب دامية وأكباد حري ، وأفكار سوداء صامتة ، تتخيلها الافئدة
المكلومة ، ونظر إلى العالم كأنه ضاق على رحبه . وشعور بالوحدة ، وحاجة إلى
العزلة — هذا ما كان يشعر به أولئك الشجعان الذين حضروا موت عظيمنا —

« ١ » . لهذا الشاب الفضل الاول في القيام بالاحتفال بذكرى الاستاذ الامام
لانه اول من ذكر به ودعا اليه على صفحات الجرائد

(المنار : ج ٨) (٧٧) (المجلد الثالث والعشرون)

أجل أسميهم شجعانا ولا أكون مغالياً ، لانهم صبروا على تحمل تلك الكارثة العظمى ، والمصيبة الكبرى — وهذا ما نشعر به نحن الآن وقد قمنا لحياء ذكرى ذلك الراحل الكريم الذي خرج من صدقة مصر فصار درة يتيمة في تاج الشرق تخطف الابصار وتلقي الهيبة في القلوب .

ليتي كنت في أيامه أقفني آثاره ، وأترسم خطواته ، أرتشف من منهل علمه العذب ، وفضله الفياض ، أنخذ من أعماله عظة وعبرة تكون لي درساً في حالي واستقبالي . أنصت الى عظاته البليغة فتكون على نفسي برداً وسلاماً . أقصده اذا التبس على أمر فيستبدل شكي باليقين . أجهد أن أشابهه فأسمو نفساً وعلماً وخلقاً . إننا نجده ونجمل فيه كل شيء — نجل أنفته ونفسه العالية — نجل اقدامه وصبره وجلده — نجل كماله وورعه وتقواه — نجل غيرته وهمته الشماء — نجل أماته ونزاهته وشهامته — نجل قيامه بالواجب على الوجه الاكمل — نجل عبقريته التي تطاوى لهاها مات أكابر العلماء الافذاذ — نجل وطنيته الحرة — تلك الوطنية التي كانت تعمل وهي صامته .

« ان فناء في الحق لهو عين البقاء » كلمة مأثورة خرجت من فم ذلك العظيم فكانت من جوامع الكلم ، كلمة انطبقت على نفسه الكريمة تمام الانطباق ، كلمة يا حبذا لو عرف معناها اللانيوبون وتشربت بها نفوسهم .

نعم قمنا بعد سبعة عشر عام ننشر للملا آية سافرة من اخلاص وولاء ذلك الرجل لوطنه ودينه ، ومثلاً حياً للعبقرية الشرقية والنبوغ المصري ، وخير مثال للعظمة يحتذى مثاله طلابها ، ويتخذة قدوة عشاقها .

فسلام على تلك الهمة الوثابة التي كتم القبر أنفاسها ، وكبح الثرى جماحها . سلام على تلك السجايا التي تأصلت جذورها في نفسه فلم يقدر على اقتلاعها الا الموت . سلام على تلك الروح الطاهرة التي ترفرف الآن في سماء الخلود .

سلام على تلك العبقرية التي ظهرت ظهور الشمس تبدد فلول الظلام .

سلام على تلك الهمة الكتابية ، والميزة الصحفية ، التي وقفها على تقويم اعوجاج

أمتها والاخذ بيدها

سلام على تلك الهيبة والمكانة الرفيعة ، والمنزلة السامية ، التي لم تحدث في نفسه
أي إعجاب أو كبرياء

سلام على ذلك الشعاع الوهاج الذي كان يؤثر في القلوب ويكبل الارادة
فحجبت ظلمة القبر لمعانه ،

سلام على ذلك المجد الطريف . والسؤدد المنيف ، والعزة والوقار .
سلام على ذلك الايمان الراسخ ، والعقيدة الثابتة والصلاح والورع .
سلام على ذلك الضمير الحي الذي عرف الواجب فأداه ، والجميل فأولاه .
سلام على ذلك الوجدن الراقي الذي كان ينبض لبؤس الناس ويفرح
لفرحهم .

سلام على من كان للاسلام علما فانطوى ، وللوطنية نصيراً فانزوى .
سلام على سعادة زائلة ذاق حلوها بعضنا ثم ذهبته فأصبحت أثراً بعد عين .
سلام عليه مادام فينا عرق ينبض ونفس تشر

﴿ التسمية باسم الاستاذ الامام ﴾

في المغرب الاقصى

جرت عادة البشر في جميع الامم بان يسموا اولادهم باسماء عظماء الرجال حبا
بذكورهم ، وتفاؤلا باقتداء هؤلاء الاولاد بهم ، وقد قرأنا بمجريدة السعادة في العدد
الذي صدر منها في رباط الفتح من بلاد المغرب الاقصى بتاريخ ٢٧ دى الحجة
الماضي تحت عنوان (محمد عبده الثاني) ما نصه :

« بشر صديقنا العضو الرئيسي بالمحكمة العليا الفقيه السيد عبد الحفيظ القاسبي
بولد ذكر سماه على بركة الله (محمد عبده) تذكرا لاسم الشيخ محمد عبده المصري
عظيم علماء الاسلام . فنعم الولد ونعم التذكرك لذلك الرجل العظيم (وذكرك فان
الذكرى تنفع المؤمنين)

الى ثائق ال سهيته ، للمسألة العربيه

﴿ عود على بدء ﴾

﴿ المكاتبات بين أمير مكة بالامس . وملك الحجاز اليوم ﴾

﴿ وبين نائب ملك الانكليز بمصر ﴾

لا يزل جمهور المشتغلين بالسياسة من عرب الاقطار السورية والعراقية ومصر يحهون أسباب الثورة التي قام بها أمير مكة بمساعدة بعض السوريين والعراقيين — لانه كان يكتم مادار بينه وبين معتمد الدولة البريطانية في مصر وما اتفقا عليه حتى عن أولاده قواد جيوشه ، وانما كان يخفيهم بأن الذي تقرر واتفق عليه الفريقان هو استقلال جميع البلاد العربية العثمانية وجعلها مملكة عربية حرة له ! وقد ظهر بعد ذلك ان ما عرضه على انكلترا قبلت بغضه بقيود وشروط — يجعل البلاد تحت حمايتها في الداخل والخارج

وقد كان جميع أنصاره وأنصار أولاده الامراء موالين للدولة البريطانية الى ان انكشف الغطاء وظهر ما كان من اتفاقها مع فرنسا على قسمة الولايات العربية بينهما من حدود مصر والبحر الاحمر الى خليج فارس ، واحتل كل منهما حصته وتصرف فيها تصرف المالك فيما ورثه عن آبائه وأجداده من الارض — فعند هذا رجع بعضهم عن موالاتها ، وتعايق الآمال بها دون بعض .

نم نشر الامير فيصل في دمشق نص المعاهدة التي أخذها من والده ليجتبع بها على الحكومة البريطانية وظهر منها أنها تتضمن حمايتها لجميع البلاد العربية التي طلب استقلالها ليكون ملكها ، فخابت آمال أناس آخرين وسكتوا عن التبجح أو الاحتجاج بذلك العهد أو الوعد — ولكن لا يزال لهم أنصار يتولونهم ويتولونها ، وأنصار يتولونها من دونهم وآخرون يتولونهم من دونها ، ولا يزال فيهم من يطالب الدولة البريطانية بما تطالبها به جريدة القبلة بالاقوال الرسمية وغير الرسمية بأن

نفي بمهدما، وتنجز وعدها لملك الحجاز بل ملك العرب كلها، ومن العجائب أن يكون كثير من أهل فلسطين من هؤلاء الأواباء الذين يسمون ملك الحجاز « بالمتقدم » وإنما أنتقدم من حكم الدولة العثمانية، الإسلامية، الرحيمة، المساوية بينهم وبين الترك في كل الحقوق — ووضعهم بثورته تحت حكم سيطرة الدولة البريطانية، والشعبة اليهودية الصهيونية، ولا يزال يوجد فيهم من يظن أن وفاة الدولة البريطانية بوعدها ينيلهم الاستقلال، كما يظن أولياؤه في سورية الشمالية أنه ينتقدم من فرنسا، ولو يجعلهم تحت انتداب انكلترا أو حمايتها، وإن كانوا لا يجملون أن انتدابها كان شراً على فلسطين من انتداب فرنسا على سائر سورية، فإن كان الضغط على العراقيين دون الضغط عليهم، فسببه أن حال العراقيين كانت خيراً من حالهم، وإنما تنال الشعوب باستمدادها وأعمالها، لا بأمانها وأقوالها

ندع هؤلاء الاغرار يتخبطون في غرارتهم وغرورهم إلى أن يعلم الزمان من كان قابلاً للعلم ويربي من كان قابلاً للتربية، ونساعد الزمان على ذلك ببيان ما تمحص من الحقائق، ونشر ما تعلم من البيانات والوثائق، لتكون عبرة للمعتبرين، وحجة على الجاهلين والمكابرين،

كما دخلت مسائل الشرق في طور جديد ترى المتكلمين على صاحب الحجاز وأولاده من السوريين - ولا سيما الفلسطينيين منهم - عادوا إلى نعمة المعاهدة بين الملك حسين والانكليز يطالبون بها، ويزعمون أن الملك حسين وضعها وأمنضأها باسم الأمة العربية لا باسمه وحده، ونسأله تعالى أن يكفي هذه الأمة العربية من تلك المعاهدة التي يريدون استعباد الأمة العربية بها

ألا أيها النائمون أفيقوا، وبأبها المخدوعون بأقوال العائشين من فضلات آكلي ائمان امتكم وبلادكم تنبهوا، قد آن لكم أن تعلموا أن تلك التمساة من الورق التي يسميها الملك حسين (مقررات النهضة) ويسميها النافخون بيوقه المعاهدة الانكليزية العربية، هي وثيقة من الملك حسين بمجال البلاد العربية كلها حتى الحجاز تحت حماية الحكومة البريطانية في داخلها وخارجها، وتنص على اعطائها الحق باحتلال ولاية

البصرة لتأمين السيطرة على العراق ، فيجب على كل عربي مخلص لامته وبلاده أن يرفضها ، وينكر أن يكون لواضعها أدنى حق في وضعها ، والافتيات على حقوق مسلمي الارض في الحجاز ، وحقوق زعماء الامة العربية في الجزيرة وسورية والعراق ، بوضعه هذه الوثيقة الموجبة لاستعبادهم ، وتصرف الانكليز في بلادهم هذه المقررات هي التي نشرها الامير فيصل قائد الجيش الشرقي لدول الحلفاء - يوم نشرها - وملاك العراق اليوم في جريدة المفيد ونشرناها في المنار نقلاً عنها . وانا نعيد اليوم نشرها ، مع الوثائق الاخرى المتعلقة بها ، التي أشار الملك فيصل الى ان الانكليز اعترفوا بها ، ولم يعترفوا بوجود معاهدة وهذا نصها بالمعنى الصحيح الذي كتبه والده :

﴿ صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى ﴾

﴿ بشأن النهضة العربية ﴾

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ومجموعة مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ماعدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها في رعايته وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من

أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية

والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس

الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على

دفع ذلك القيام حين اندفاعه . وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية (٣) — تكون البصرة تحت إشغال العظمة البريطانية حينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكما قاصرة في حضن بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما يحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد اعدم استعدادها (انتهى)

*

(المنازل) — هذا ما كتبه الملك حسين بن علي اذ كان أمير الحجاز من قبل الدولة العثمانية الى السر هنري مكماهون ليعرضه على دولته ويقنعها بأن ترضى بعمله الاساس الذي تبني عليه ثورة أمير مكة على دولته ، ومما خصها ان انكلترة هي التي تؤسس الحكومة العربية وهي التي تتولى حمايتها وحفظ حدودها وحفظ الامن فيها للاعتراف بأنها قاصرة في حجب انكلترة القيمة عليها . ولكن دولته لم ترض بعمل هذه القواعد معاهدة بينها وبين أمير مكة ، بل طفق مندوبها السامي بمصر يناقشه فيها ، ويليه عن المهم منها ، وكما اعترف لهم بشيء اتخذوه حجة عليه يحفظونها الى وقت الحاجة ، وأعظم حججهم عليه جعل جميع البلاد العربية تحت حمايتهم وقد نشر الملك فيصل بعض ما جاء في أحد كتب السر هنري مكماهون الى والده بشأن الحدود ، وقد آن لنا نحن أن ننشر النصوص التي يهمنا أمرها من تلك الكتب لان ما نشر لم يكف لازالة اللبس ، وكشف القناع عن الغش ، وما لنا لا ننشرها وقد تداولتها الايدي في الشرق والغرب ؟

أرسلت تلك (المقررات) من مكة الى مصر في ضمن كتاب للسر هنري

مكماهون في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ . وهاك ما أجابه في أول كتاب بعدها

الكتاب الاول

﴿ من نائب ملك الانكليز بمصر الى أمير مكة في شأن الثورة الحجازية ﴾

﴿ في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥ ﴾

كتاب من السر آرثر مكماهون نائب ملك الانكليز بمصر

في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ — ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الى السيد الحسين النسيب سلالة الاشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة
الحمدية، والدوحة القرشية الاحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد
ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل دولتو الشريف حسين
سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبة العالمين، ومحط رحال المؤمنين الطائعين، عمت
بركته الناس أجمعين

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل
شائبة . نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لافظهاركم عاطفة الاخلاص
وشريف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن
نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح
الانكليز. والعكس بالعكس. ولهذا النية فنحن نؤكد لكم أقوال نخامة اللورد
كتشنر التي وصلت الى سيادتكم عن يد علي افندي وهي التي كان موضعاً بها
رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند
إعلانها . واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب

باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة
وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة
لاوانها، وتضرب الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب
دائرة رحاها، ولأن الانراك لا يزالون محتلين لاغاب تلك الجهات احتلالاً

فعليا، وعلى الاخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبذل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مديد المساعدة الى الالمان والاتراك نعم مديد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الالمان، وذلك الظالم العسوف وهو الاتراك. ومع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل مالبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد اشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفرائه اليينا، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا، مستنشرين رائحة مودتكم الذكية، ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا. وفي الختام أرفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي، وفائق احترامي ما

المخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فياسماها (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالي: —

كتاب ثان

من نائب الملك السير أرثر مكماهون الى الشريف حسين

في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فروع الدوحة الحمديّة، وسلالة النسب النبوي، الحسيب النسيب، دولة صاحب المقام الرفيع، الامير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا، جعله الله حرزا آميناً للاسلام والمسلمين، بعونه تعالى آمين وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة وأخلاصكم ما أورثني رضاء وحبورا. اني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق اني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فان ذلك لم يكن القصد من كتابي قط — ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية . ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الاخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فاني قد أسرعت في ابلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضبوط كتابكم واني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول ان ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماء وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة .

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من خصوص الاقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (١) بدون أن تمس مصلحة حليفها فرنسا (٢) فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم الموائيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي (١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن الا ما كن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة

(٤) هذا وان المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الاورباويين لتشكيل هيئة ادارية قوية يكونون من الانكليز

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الاقاليم من الاعتداء الاجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة واني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد دولتكم بدون أقل إرتياب ميل بريطانيا العظمى لمحور غائب أضحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة (١) دائمية ثابتة معهم ، ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الاتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

ولقد اقتصررت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الاهمية الكبرى وان كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكنسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وانها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت الى البر بلا ثعب ولا ضرر رغما عن الاخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة . ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لاهل العالم

اني لمرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الامين الشيخ محمد بن عارف ابن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي في الدرجة الثانية من الاهمية ولم اذكرها في كتابي هذا . وفي الختام أثبت دولة الشريف ، ذا الحسب المنيف ، والامير الجليل ، كامل تحيتي ، وخالص مودتي ، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راجيا من ذي الجلال أن يوفقنا جميعا لما فيه خير العالم ، وصالح الشعوب . إن بيده مفاتيح الامر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام

نائب جلالة الملك

السير ارثر مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب بجواب يعترف فيه بأن ولايتي مرسين وأدنه ليستا داخلتين في حدود البلاد العربية التي يطلبها ويقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت الى ما بعد الحرب ، ويقر المعاهدات المجهولة التي بين بريطانيا وبعض رؤساء العرب حتى من كانوا منهم في المملكة العربية التي هي موضوع المساومة بينه وبينها وقد اعترف لها بالانفراد بالتفوذ فيها . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي

كتاب ثالث

من نائب ملك الانكليز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة

(في ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

الى صاحب الاصابة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاخر، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبله الاسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين وأضنه من حدود البلاد العربية . وقد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضى تأكيذاتكم ان العرب حازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء . هذا وفي قولكم: ان العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع دول العرب الآخرين يعلم منه طبعاً ان هذا يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة . ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسئلة تحتاج الى نظر دقيق، وسنخبركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة واننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا كل مجهوداتكم في جمع كلمة

الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة لاعدائنا بأي وجه كان . فانه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لاسعاف غرضنا عند مايجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته . وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من ضمن شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الالمان والأتراك

هذا وعربونا على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم الامين مبلغ عشرين الف جنيه وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية، وخالص التسليمات الودية، مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام

المخلص
نائب جلالة الملك بمصر
السير آرثر هنري مكماهون

(المنار) رد الشريف على هذا الكتاب حامدا شاكرا راضيا واعدا بالقيام بجميع كلمة العرب على قتال الترك طالبا بعض الاسلحة والذخائر والاقوات . فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي :

كتاب رابع

﴿ من نائب ملك الانكاز بمصر الى الشريف حسين أمير مكة ﴾

(في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر قبلة الاسلام والمسلمين معدن الشرف وطيب المحند سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة الممظية زاده الله رفعة وعلاء آمين

بعد ما يليق بمقام الامير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الالفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية أرفع الى دولة الامير المعظم اننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الامين وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وانها موافقة في الاحوال الحاضرة وان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها وقد سرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم^(١) وان كل شيء رغبتكم الاسراع فيه وفي ارساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والاشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وابلاغنا اياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقم التي يقتضي سوقها اليها والوسائل التي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها لياهم

ان كل التعليمات التي وردت في محرركم قد أعلمنا بها محافظ بورت سودان وهو سيجريها حسب رغبتكم وقد عملت جميع التسهيلات اللازمة لارسال رسولكم حامل خطابكم الاخير الى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نسأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج وسيعود الى بورت سودان وبعدها يصلكم بحراسة الله ليقص على مسامع دولتكم نتيجة عمله

وننتهز الفرصة لنوضح لذكركم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم أو ما عساه أن ينتج سوء تفاهم ألا وهو يوجد في بعض المراكز والنقط العسكرية فيها بعض المساكن التركية على سواحل بلاد العرب^(٢) يقال انهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الاحمر وعليه نرى أنه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الاوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجننا أن تفرق بين مساكن الاتراك الذين يبدأون بالعداء وبين العرب البرياء الذين يسكنون تلك الجهات لاننا لا تقدم للعرب أجمع الاكل عاطفة ودية. وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتي تكونوا على اليقينة من الامر اذا بلغتكم خبراً مكذوباً عن الاسباب التي تضطرننا الى عمل من هذا القبيل

(١) المراد بهذه المطالب الاسلحة وعتاد الحرب (٢) اعلاه سقط من هنا ذكر من وصفوا بانهم يجاهرون بالعداء للانكليز

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الالقاء باذلون جهدهم في اعمال السفن ليبثوا بها الالغام في البحر الاحمر ولاحق الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانا نرجوكم سرعة إختيارنا اذا تحقق لديكم ذلك

وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من الجمال وقد أرسلت الى دمشق الشام ونأمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك واذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها ولاشك ان في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة

وقد يسرني أن أبلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الالمان والاتراك قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون الينا وحداناً وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد اليهم وقد والحمد لله هزمت القوات التي جمعها هؤلاء الدساسون ضدنا وقد أخذت العرب تبصر الغش والخديعة التي حاقت بهم . وان لسقوط أرضهم من يد الاتراك وكثرة انهمزاماتهم في بلاد القوقاس تأثير عظيم (١) وهو في مصلحتنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نعمل له وإياكم . ونسأل الله عز وجل أن يكمل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح، وأن يمهّد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج . وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والاخلاص مع المحبة التي لا يزغها كرم العصور ومرور الايام

كتبه المخلص

السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

(المنار) تلخص هذه الكتب وترتب ما تقرر فيها بالمسائل الآتية :

(١) إن الحكومة البريطانية تستثني من بلاد العرب بالنص معظم سورية وهو سواحل ولايات كليكية وحلب والشام وبيروت، فتكون سورية العربية محصورة في الماسدن الاربع دمشق وحمص وحماه وحلب وملحقاتها ولا منفذ لشيء منها الى البحر الا فلسطين المسكوت عنها

(٢) إنها تزعم أنها مطلقة التصرف في الاقاليم التي تضيها تلك الحدود من بلاد العرب بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا، أي فيما تقرر بينهما

من حصتها في سورية . والمعنى انها بما لها من حق التصرف في غير حصّة فرنسا من البلاد التي حددها الشريف تقرر ما ذكرت من الحقوق لها وله . ولا ندري من أين لها هذا التصرف المطلق في هذه البلاد ؟ وبأي حق اعترف لها الشريف به ؟ (٣) تزعم أن العرب يعترفون بأن مركز بريطانية ومصالحها موطدة في ولايتي البصرة وبغداد ويستلزم ذلك أن تكون ادارتها بيد انكليز وتحت حمايتها (٤) تضمن حماية الاماكن المقدسة من كل اعتداء . وهي تفسر البلاد المقدسة بالخرمين والقدس وكر بلاء والنجف وتفسر حمايتها لها بما تشاء من الوسائل ومنها ايجاد قوى عسكرية من سلاح الطيران وغيره

(٥) تزعم أن العرب قد قرروا أن يكون المستشارون والموظفون الذين يؤلفون الهيئة الادارية في بلادهم من الانكليز، لان الشريف رضي بذلك (٦) اشترط عدم التعرض في هذا الاتفاق المطلوب للمعاهدات المعقودة بين الانكليز وبعض رؤساء العرب ، يعنون أكثر بلاد الجزيرة كالحج وحضر موت ونجد وعسير وبعض قبائل العراق

(٧) تقول إنها مستعدة مع مراعاة هذه التعديلات التي تسجلها على شريف مكة ومن يمثلهم من العرب بدعواهما لأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد هذا الاستقلال في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة . أي إنها بعد هذه التعديلات التي معناها أن جميع بلاد العرب في قبضة تصرفها مستعدة للاعتراف باستقلال مبهم في مكان مبهم ، والاستعداد للاعتراف بالشيء لا يقتضي الاعتراف به بالفعل ، والاستقلال المجمل لا ينافي الحماية ولا الوصاية ولا ما يسمونه الانتداب كما صرحوا به رسميا

(٨) تقول ان هذا التصريح يؤكدهميل بريطانية لرغائب أصحابها العرب (أي لاستعبادهم) وينتهي بعقد محالفة يكون أول نتائجها طرد الاتراك من بلاد العرب وتحرير العرب من نيرهم — أي لوضعهم تحت نير الانكليز الذي يفوقه في الثقل ، كما يفوق الجبل الجمل

(٩) تعد بأنها عند ما تسمح لها الظروف تساعد العرب على ايجاد هيآت حاكمة ملائمة لتلك الاقاليم المختلفة من بلاد العرب وهي الحجاز وفلسطين ويتمهدون بحمايتها وطرد الترك منها وليس في شيء من كل هذه الوعود حجة عليها للشريف الا في مسألة فلسطين اذ جعلت البلاد وطنا لليهود

مدنية القوانين

وسعي المتفرجين لنبد بقية الشريعة وهدم الدين

(٣)

سبب حرب متفرجة المسلمين للاسلام

ان خواص الامم وقادتها هم أهل العلم الذين يتبعهم السواد الاعظم من العوام في أمور دينهم ودنياهم كالعلم والارشاد، وشؤون الحكومة من سياسة وإدارة وقضاء وحفظ للامن ودفاع عن الوطن . وكل ما يحتاج اليه الامة في حفظ مصالحها الدينية والدنيوية من علم وعمل فحكم الاسلام فيه أنه واجب شرعاً ، ولم يكن للدول الاسلامية التي أسسها خلفاء الاسلام في جزيرة العرب والشام والعراق ومصر وغيرها من آسية وأفريقية وأوربة (كالاندلس) علم يستمدون منه أحكام الادارة والسياسة والقضاء والحرب الا المقه الاسلامي المبني على قواعد كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وكان كافياً لذلك في عصورهم، ولا يزال كذلك وان يزال اذا سلك المسلمون فيه طريق الاجتهاد الذي سار عليه سلفهم

ثم ضعفت الحضارة الاسلامية بضعف دولها، بضعف هداية الاسلام فيها ، ثم قويت حضارة أوربة واعتزت دولها وارتقت علومها وفنونها ، ونظمها وقوانينها ، فمكنتها هذه القوى من السيادة على أكثر ممالك الاسلام ، وكانت هذه السيادة ضروباً لها أسماء ورسوم يمتاز بها بعضها عن بعض ، وانتشر بعض علومها وقوانينها في هذه الممالك تابعة لتلك السيادة في بعض البلاد ومتبوعاً أو ممهداً لها في بعض، وكثرت المدارس الأجنبية فيها من قبل دعاة النصرانية الاوربيين والاميركيين لنشر تلك العلوم والقوانين مع الدعوة الدينية ، وقلدتها بعض الحكومات الاسلامية المستقلة بالاسم وبالفعل في مناهج التعليم ومواده ، وتلا ذلك اقتباس قوانينها والتشبه بها في عاداتها وأزيائها وغير ذلك، فعظمت سيطرة هؤلاء الاجانب على العقول والقلوب بتصرفهم

في تربية النشء وتعليمه تصرفاً قصده به قطع جميع روابطه المالية والقومية وجعله
عالة عليهم في كل شيء

إذا كان هؤلاء الافرنج قد عجزوا عن تنصير المسلمين بمدارس جمعياتهم
الدينية فانهم لم يعجزوا عن ابطال ثقة الكثيرين منهم بدينهم الذي هو مستمد
فضائلهم وآدابهم النفسية والاجتماعية لتصبح الامة المكونة منهم لا فضيلة لها في
نفسها ولا آداب — وابطال ثقتهم بشرعهم العادل الذي هو أساس حضارتهم
ومجدهم، والمكون لدولهم الي هي مناط شرفهم التاريخي لتكون الامة المكونة منهم لا مجد
لها ولا تشريع ولا تاريخ — وابطال ثقتهم بلغتهم، الحافظة لشرعهم وآدابهم وتاريخهم
وحضارتهم لعدم شعورهم بالحاجة اليها بفقد الشعور بالحاجة الى ما تحفظه من ذلك، وتوجه
همهم الى استبدال شرائع أساتذتهم وآدابهم وحضارتهم واقتهم — بما كان لسلفهم من
ذلك، أي ليخرجوا عن كونهم أمة ذات مقومات ومشخصات مستقلة فيفقدوا
أعظم أركان الاستقلال القومي، ويكونوا كاللقيط الذي يجهل أهله ونسبه ولا يستطيع
أن يتصل بأسرة يلتحق بها فيكون أبتري الناس — فهذا سبب التفرنج الذي نشكو
بعض آثاره في الملة ولو كان أمر التربية وتعليم العلوم والفنون الدنيوية في يد زعماء
الملة وعلمائها لما ازدادت الامة بها الا قوة واتحادا كما سبق لسلفنا،

كان خلفاء المسلمين وأمرائهم وعلمائهم في عصور حضارتهم يرون أنفسهم أولى
من كل البشر بكل علم وكل فن ينفع الناس في معاشهم أو عقولهم أو أبدانهم
حتى أحيوا العلوم الميتة والفنون الدارسة، وكانت هذه العلوم والفنون تقرأ مع علوم
الدين في مساجد المسلمين ومدارسهم، وما وجدوا شيئاً منها يخالف شيئاً من
نصوص الدين الا وحكموا فيه بأحد أمرين إما كونه باطلاً فلا يؤبه لمخالفته الدين،
وإما كون مخالفته صورية لا حقيقية لا مكان الجمع بين ما ثبت منه وبين النص

ثم صرنا الى عصور ضئف فيها العلم بالدين وبلغة الدين وبسائر العلوم والفنون
التي كان المسلمون منفردين بها في العالم، وكان لذلك أسباب أهمها ايجاب تقليد
المصنفين الميتين، وتحريم العلم الاستقلالي على الاحياء أجمعين، بدعوى أنه من

الاجتهاد المتعذر على المتأخرين، وإهمال التربية المالية التي تصحح النية في طاب العلوم والفنون وتوجهها الى ما به ترتقي الامة وتعزز.

ولكن الافرنج الذين اقتبسوا استقلال الفكر والعلم الاستدلالي من المسلمين فكأنما سبى ارتقاؤهم ، قد ردهما الى المسلمين ليستعينوا بهما على اقناعهم بكل ما يريدون من السوء بهم ، من حيث لا يشعرون بردهما اليهم، وبإمكان استفادتهم منهما في دينهم ودنياهم ، بعد أن حال دونها رجال الدين الاسلامي بما أقفلوا في وجوههم من باب الاستقلال بطلب علم الدين بالدليل ، وقد تربوا على أن لا يقبلوا شيئا بدون دليل — فكثر مروقهم من الدين ، ثم اقتنع كثير منهم بأن الدين عقبة في طريق ترقهم في الدنيا فصاروا يحاربونه بالعلم والعمل

رجال الدين ورجال الدنيا

بهذا دخل عوام المسلمين في باب التنازع بين عاملي زعماء الدين وزعماء الدنيا . كل منهما يجذب العوام اليه ، واننا نرى أن زعماء الدنيا أقدر على جذبهم الى مدارسهم والى تقليدهم ، فطلابها وطالباتها يزدادون سنة بعد سنة ويبدلون المال لها، وطلاب علوم الدين في نقصان ، على كون تعليمها بالهجان ، وقلمها يقبل عليه الا الفقراء الذين يعتصمون به من الخدمة العسكرية أو بدلها المالي . وقد أصبحت مناصب الحكومة وأعمالها وهي تكاد تكون محصورة في خريجي مدارس الدنيا ، وهم يكدون لما بقي لرجال الدين منها . وهو القضاء الشرعي المحدود الذي هو موضوع بحثنا في هذه المقالات — إما بإبطاله وجعل جميع الاحكام قانونية وضعية حتى الاحكام الشخصية ، وإما بالتوصل الى إلغاء القضاء الشرعي بجعل الاحكام الشخصية الشرعية قانونا، وإبطال كونها ديناً .

يعمل هؤلاء المتفرنجون كثيرون ، ورجال الدين لا يعلمون شيئاً ، المتفرنجين أحزاب وجمعيات كثيرة سياسية واجتماعية واشتراكية ... وليس لرجال الدين حزب ولا جمعية ذات نظام . المتفرنجون هم الاقلون ، ولكنهم يزدنون ولا ينقصون ، والدينيون لا يزالون هم الاكثرين ، ولكن كثرتهم الى قلة ، ورابطتهم الى انحلال،

كان طلاب المدارس المدنية هم الجند العامل في انقلاب سياسي، فلما شاركهم طلاب الأزهر بمصر في ذلك اتحدت الحكومة مع السلطة الأجنبية على كبح جماحهم، والحجر عليهم وحدهم، ووافقتها مشيخة الأزهر على ذلك لضعف ارادة رؤسائها وحرصهم على ما بيد الحكومة من رزقهم، وهذا الحجر مبني على القاعدة afrنجية، المؤسسة لازالة السلطة والسيادة الاسلامية، وهي فصل السياسة من الدين، والذي يقتضي أن لا يشترك علماء الدين ولا طلابه في شيء من أعمال السياسة ولا شؤون الحكومة

ما كل متعلم في المدارس المدنية متفرنجا . وما كل متفرنج ملحد، وما كل ملحد منهم خادما للأفرنج أو مشايخا لهم، بل جل ما في البلاد الاسلامية من سعي لاستقلالها، ومقاومة سلطة الاجانب فيها فهؤلاء المتفرنجون هم جل القائمين به . وقد بينا في المقالة الثانية من هذه المقالات أن هؤلاء المتفرنجين مقاصد ونيات مختلفة في محاربتهم لهذه الشريعة التي يجهلون مكانها من تكوين أمتهم وحياتها، وأن منهم من يعتقد أنه يخدم أمته ووطنه باستبدال القضاء عليها بالقضاء بها ونقول الآن إن اثم هؤلاء وغيرهم ممن يظن بالشريعة ظنهم، وإن لم يكن له مثل نيتهم، على عائق الطائفة التي ليس لها رزق ولا مال، ولا احترام ولا جاه، الا من وقف حياتهم على الاشتغال بعلوم هذه الشريعة ووسائلها تعليميا وتضييفا، وإفتاء وقضاء، أعني طائفة علماء الدين، الذين صاروا حجة على الدين، وفطنة للمؤمنين والكافرين، (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا وأغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم)

من الواجب على هذه الطائفة - بما أخذ الله عليها من الميثاق أن تبين للناس ما نزل اليهم تبينا يثبت لهم بالآيات البيّنات أن فيه سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وأنه كله حق وخير وعدل وصلاح، وأنه خال من كل باطل وشر وظلم وفساد، وأن أحكامه الدنيوية موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، وإن سلطته ليست شخصية، ولا بما يسمونه «الاتوقراطية» بل هي حكومة شوري شعبية، وأكمل

مثال لما يسمونه «الديمقراطية» وان ولي الامر فيها -سؤل غير مقدس، ومقيد بمشاوره أهل الحل والعقد، الممثلين لسلطة الشعب - وأن تسهل سبيل فهمه وتعلمه لكل طبقة من طبقات الامة بما يليق بها من المصنفات بالطرق المعروفة في فن التعليم والتربية، بأن يوضع بعضها للأطفال، وبعضها للعوام، وبعضها لمن فوقهم من طلاب العلم، وبعضها للقضاة والمتقاضين،

وكان مما ينبغي للاخصائيين منهم بهذا النوع الاخير أن يطلعوا على كتب القوانين الوضعية بأنواعها ويعرفوا مافيه من حسن وقبيح، وعدل وظلم، ليزدادوا بصيرة في محاسن شر يعتمهم وطرق خدمتها، وينظروا مافي كتبها الفقهية المتداولة من تقصير أو تعقيد أو نقص سببه ما حدث للناس من المعاملات التي لم تكن في عهد مضعفها فيتداركوا ذلك كله ويثبتوا لكل ناظر فيها يضعونه من الكتب الحديثة أن هذه الشريعة كاملة لا يمكن لاهلها الاستغناء بها عن سواها، مع العمل بما ورد من أن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها

كما ينبغي للاخصائيين في علم العقائد أن يكون لهم إلمام كاف بالعلوم المصرية والفلسفة الحديثة، وأصول الأديان المشهورة، وتواريخ المال الكبيرة، ليعرفوا نسبتها الى الاسلام، وما بينها وبينه من المشاركات والمباينات، وما في ذلك من الشبهات - وللإخصائيين في علم الارشاد العام والتربية أن يكون لهم إلمام بسيرة الجمعيات الدينية عند الأفرنج ومقلديهم من نصارى الشرق في مبادئهم ومصنفاتهم، وسيرة قسوسهم ورهبانهم وراهبانهم، ليعلموا كيف يحوطون كل طبقة من طبقات أهل ملتهم بما يليق بها من تلقين الدين والترغيب فيه والدفاع عنه وغير ذلك

وكان مما يجب عليهم أن يكونوا خير قدوة للامة، وحجة الملة، بعلومهم وهداهم وافقائهم وقضائهم، وأخلاقهم وآدابهم، وإحياء السنن ومحاربة البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتبع شبهات الملاحدة والمبتدعة والرد عليها، ووقاية العامة من شرها الخ

كل ذلك لم يكن، بل جل حظهم من العلم أن طالب العلم - في مثل الأزهر

وملحقاته بمصر، والقائمين والسليمانية بالآستانة، وجامع الزيتونة بتونس والنجف بالعراق وديوبند بالهند — يناطح كتباً معينة بضع عشرة سنة أو أكثر: مناقشة في مفرداتها وجمالها وأساسياتها الركيكة في الأكثر ليؤمل نفسه بذلك لامتحان يكون بفوزه فيه اماماً أو خطيباً في مسجد أو مدرسا في هذه المعاهد الدينية، أو قاضياً في المحاكم الشرعية، فيكون له بذلك رزق مضمون، ومقام معلوم، وهو لا يستفيد من هذه الكتب التي يقتلها مناقشة وجدلاً في الفاظها غير على الدين، ولا اهتماماً بأمر المسلمين، ولا استعداداً لنشره في العوام، ولا لرفع شأنه في الخواص، وذلك بأنهم كما قال الاستاذ الامام يتعلمون كتباً لا علماً.

نعم إن بين هذه المدارس وأهلها تفاوتاً في العلم والعمل والاستفادة من علم الشرع، فعلماء (ديوبند) أبعد علماء المسلمين عن الدنيا ومناصب الحكومة، وعلماء النجف من الجاه فوق ما لغيرهم من أمثالهم، وعلماء الترك لا يزال لهم مقام رفيع وتأثير في الحكومة والامة، وانما علماء مصر هم أقل علماء الاسلام حظاً من الدنيا على رغبتهم فيها اذ هم فيما نعلم أشدهم تقصيراً.

احتاجت الحكومة المصرية الى تعليم العربية في مدارسها فأنشأت مدرسة دار العلوم لتخرج أساتذة لها اذ لم تجد في الازهر غناءً. ثم لما ضجبت الامة من فساد المحاكم الشرعية واضطرت الى اصلاحها لم تجد بداً من انشاء مدرسة خاصة للقضاء الشرعي لان الازهر قد عجز عن تخرج قضاة ترضاهم الحكومة والامة. وكل من له من هذه الطائفة مزية مما يجب لاهلها فانما سببها استعداد خاص فيه، وتوفيق اتفاقي أتيح له لا طريقة التعليم المطردة، كالأستاذ الامام الذي عرف قيمة علمه وعقله وفضله الغرب والشرق، والانس والجن، وجهله أكثر علماء الازهر الذين قضى أفضل سني عمره في الجهاد لاصلاح حالهم، وجعلهم أئمة لهذه الامة، التي اعترفت له كلها بالامامة، وساعده المنار في جهاده هذا — فقاومه كبراء الشيوخ بكل ما أوتوه من حول وقوة، ومن بقية المسكنة الرسمية لدى الامراء والحكام، والوهمية أو الخيالية عند العوام

لقد مات الاستاذ الامام فأنشأوا يعرفون من فضله بالتدريج أكثر مما كانوا يعرفون، ويقرون بما كانوا يجحدون، وهم مع هذا لا يزالون لاصلاحه يقاومون، فقد كان من طريقه الاصلاح أن يذكر في التفسير بعض التأويل لما يشبهه على أهل العصر من الآيات، التي يظنون انها لا تتفق مع بعض العلوم أو المكتشفات، مع تقريره لترجيح ما كان عليه السلف الصالح على كل ما خالفه، وكان مما ذكر من دفع بعض الشبهات مسألة خالق البشر من نفس واحدة فذكر انه ليس في القرآن نص قطعي أصولي على ان هذه النفس هي آدم كما نعتقد نحن وأهل الكتاب وقد تصدى بعض علماء الازهر أيهم يقال عنه أنهم أعرف بحاجة العصر من غيرهم الى تكفيراً من عهد قريب لأننا نشرنا رد هذه الشبهة في المنار، وكتب في ذلك مقالات في بعض الجرائد ومن العجيب أن يرشح صاحب هذا التكفير بعض تلاميذه لان يكون خليفة الاستاذ الامام ١١ وقد اطلعت في هذه الايام على كتاب طبع بمصر لشيخ مغربي يوزع بغير إذن وموضوعه تجهيل الاستاذ الامام وصاحب المنار، وتكفيرهما بمقارنتهما للبدع وترغيبهما في علوم الكفار كالفلك وتقويم البلدان الخ كل ذلك لم يكن، وكل هذا قد كان، فكان من جرائه أن بقيت حقائق الدين مجهولة، ومحاسن الشريعة مدفونة، وطرق العلم بها كالكة الظلام، مشبهة الاعلام، والبدع في ازدياد، تمهد السبيل لفشو الاحاد، فان هؤلاء المتفرنجين الذين نشكو من محاربتهم للشريعة كالافرنج لا يعرف أكثرهم من الاسلام الا أنه ما عليه جمهور المسلمين من الشعائر والمقائد، والاذكار والمواالد، الممزوجة بالبدع والخرافات، والتقاليد الباطلة والعادات، فانهم يرون كبراء العلماء يتصدرون تلك الاحتفالات، ويشاهدون طواف الالوف من النساء والرجال بالقبور المشيدة المنسوبة الى آل البيت والاولياء المجلبة بالكشمير، كطواف الحجاج ببيت الله خاشعين داعين مستغيثين بصاحب القبر .

بل كثيراً ما يقف هؤلاء المتفرنجون على وقائع اضطهاد بعض هؤلاء العلماء الاعلام لكل عالم أو طالب علم ينكر هذه البدع، ويجاهر بالدعوة الى اتباع السلف،

كاضطهادهم للشيخ محمد الرمال الدمياطي واخراجهم من دمياط ، وللشيخ مصطفى الشرف في طنطا ونقله من المسجد الاحدي الى معهد أنسيوط ، وللشيخ محمد عبدالظاهر في الاسكندرية وقد حرصوا العامة عليه هذه الايام فضربوه ضربا مبرحا ، ولكنهم اذا لقوا من يعتقدون فسوقهم ومروقهم من الدين من رجال الحكومة أو كبار الاغنياء يتملقون لهم بالتعظيم والمبالغة في الدعاء

هذا شأنهم في اضطهاد من تحت رئاستهم ولا يملكون أكثر منه ، وقد مجرا أحد قضاتهم الشرعيين على الحكم بردة الشيخ محمد أبي زيد (أحد تلاميذ مدرسة دار الدعوة والارشاد) والتفريق بينه وبين زوجته اذ احتسب أحد علماء الازهر بابلاغ ذلك القاضي أنه قد ارتد عن الاسلام اذ قال ان الدليل على رسالة آدم غير قطعي وهو معارض بحديث الصحيحين وغيرهما الناطق بأن نوحا أول رسول أرسله الله الى أهل الارض ، ولكن قاضي الاستئناف كان أعلم وأحكم من هذا القاضي فنقض حكمه

وغاية دفاعهم عن الدين أن يطلبوا من الحكومة ابطال بعض الصحف عند ما تنشر شيئا مخالفا للدين أو للمذاهب المشهورة فيه. وقد بلغنا أنهم طلبوا منها خيرا أن تأمر بمنع مجلة القضاء الشرعي التي أنشأها بعض أساتذة هذه المدرسة وطالبها النجباء لانه نشرفيها بحث في امضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطلاق الثلاث باللفظ الواحد خلافا لما جرى عليه العمل في عصر الرسول (ص) وعهد خلافة أبي بكر (رض) وسنتين من خلافته .

ويعتقد هؤلاء المتفرنجون أنه لو كان هؤلاء العلماء نفوذ في الحكومة لانهوا بقوتها حرية العلم والاعتقاد والعمل في كل ما يخالف معارفهم التقليدية في الدين ، بل لتحكموا في حرمان من شاؤا من الدين وعقابه حتى بالقتل كما كان يفعل غيرهم من النصاري اذ كان رؤساؤهم في الدين مثاهم في معارفهم

ما ذكرناه أولا وآخرا هو علة العال لما فشا في المسلمين من الاتحاد في الدين والاعراض عن الشريعة وتفضيل بعض المتفرنجين القوانين الوضعية عليها في

مصر والآستانة وكل قطر دخل فيه التعليم الاوربي ، واصرف فيه جمهور علماء المسلمين على جعل الشرع محصورا فيما قال مصننو كتب مخصوصة انه المعتمد أو المقتى به في المذهب وان خالف ظلوا هرا القران والاحاديث الصحيحة ومصلحة الامة والدولة ومن هذا الجمود التقليدي ان شيوخ الاسلام في الآستانة يحظرون الفتوى بما في مجلة الاحكام العدلية لان بعض موادها يخالف المعتمد في مذهب الحنفية ، ولقد قلت لشيخ الاسلام موسى كاظم افندي بمناسبة حديث بيننا: انني مستعد ان أستخرج لكم من الشريعة الغراء كل ما تمس اليه حاجة العصر في غير الربا القطعي اذا كنتم تنفذونه ، قال انا أعلم ان هذا سهل وأتمناه ولكن ما اذا نفعل في مشايخ الفتوى خانه ؟

يعلم الله تعالى اننا نود لو يكون علماء الشرع فينا هم قادة هذه الامة في دينها ودنياها، اننا لم نلق ما أقيناه منذ انشاء المنار من التبوء عليهم في تقصيرهم الا لاجل حفز مهمهم لتلافي ذلك التقصير وأول ما يجب ان يعرفوه من حال العصر وأهله في هذه السبيل أن حرية العلم والرأي واستقلال الفكر مقدسان عند جميع المتعلمين في غير المدارس الدينية وكذا عند بعض المتعلمين فيها — والاولون هم اولو الامر والنهي في الحكومتين التركية والمصرية فاذا لم يقدر العلماء هذه الحرية والاستقلال قدرهما، ويرجموا عن اصرارهم على التقليد الاصم الا بكم الاعمى ، فان هؤلاء يغلبونهم على عامة الامة، ويتركون ما بقي من ضلة الحكومة بالدين والشرعية، عملا بقاعدة فصل الدين عن السياسة بالمعنى الذي يفهمونه ويدعوا اليه بعضهم اليوم، لا بالمعنى المعروف عند علماء الشرع في مثل قولهم يصح كذا قضاء لا ديانة أو ديانة لا قضاء. ويعلم من قول شيخ الاسلام الذي ذكرناه آنفا أنه يوجد في علماء الترك أفراد من المستقلين في علم الدين العارفين بحال العصر وما ينبغي من الاصلاح فيه ويوجد مثلهم في مصر وتونس والهند ولكنهم مغلوبون على أمرهم حتى ان الذي يصل منهم الى مقام المشيخة الاسلامية في الآستانة والى مقام إفتاء الديار المصرية في القاهرة يبقى مغلوبا على ما يريد من الاصلاح بجمود السواد الاعظم من هؤلاء المقلدة

فاذا تيسر أن يكون هؤلاء المستقلين من العلماء حزب قوي منظم وعرفوا الطريق المستقيم لحفظ الدين والشرعية وسلكوه فانهم يجدون من هؤلاء المتفرنجين انصارا حتى يكون الشاذ منهم قايلا وضعيفا لا تخشى عاقبة شذوذه. وسندكر في المقال الآتي ما ينبغي الأخذ به في هذا الطريق ، وبالله التوفيق

﴿ تنمة تلخيص مكاتوبات نائب ملك الانكليز لايرمكة تابع ص ٦٢٤ ﴾

(١٠) استصوابها (أي الحكومة البريطانية) انتحال الشريف حسين للخلافة الاسلامية واغراؤه باعلانها ، والتصريح بأن ملك الانكليز نفسه « رجب باسترداد الخلافة الى يد عربي صمم من فروع الدوحة النبوية المباركة » (٩) (١١) الوعد المتعلق بمسألة الصلح ونصه كما في ص ٦٢١ « فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي ابرام أي صلح كان الا اذا كان من شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من سلطة الالمان والترك »

هذه جملة العهود والوعود والمقاولات الابتدائية بين الانكليز وأمير مكة وهي قسبان (أحدهما) ما طلبه هو من الحكومة الانكليزية وسماه مقررات النهضة وهذا كله شر واستعباد للعرب وقضاء على حريتهم ولا يلزم أحدا من العرب به شيء لانه لم يكن موكلا من أحد منهم بأن يساوم الانكليز ويعطيهم حق الحماية للبلاد العربية وتأسيس حكومات فيها يتولون ادارتها وحفظها

(ثانيهما) وعود الانكليز المطلقة للعرب بما كتبوه له وقالوا مثله لنا ولغيرنا ونشروه على العرب في جريدة عربية سموها السكوكب كانوا ينشرونها بطرق النشر العسكرية في جميع الاقطار العربية ، وهو أن العرب سيكونون بانتصار الدولة البريطانية أحرارا مستقلين في بلادهم . فهذه الوعود حجج يجب أن نعير بها الانكليز ونشهرهم بالكذب والخداع والغش الى أن يتركوا لنا استقلال بلادنا كلها .

نعم انهم يسمون الحجاز والعراق وشرق الاردن بلاداً مستقلة ويصدقهم في ذلك من وضعوهم ملوكا وأمرائفيها لأنهم هم أعوانهم على استعباد الامة العربية . كأن الاستقلال عبارة عن تولية هؤلاء الثلاثة هذه المناصب ، فصر اذا مستقلة من قبل تصريح ٢٨ نوفمبر الذي تقرر به الاستقلال الاسمي لها حتى في مجلس العموم الانكليزي ، وزنجبار مستقلة لان فيها سلطانا وطنيا ومسقط بالاولى ، بل في الهند بلاد مستقلة كثيرة كحيدرآباد الدكن وبهوبال وكشمير و . . . و . . . فالى متى يسخر هؤلاء السياسة الاشرار بالامم والشعوب ؟ والى متى يجدون من الخونة في هذه الامم من يساعدهم على ذلك ؟

الى حملة الاوربية

(١)

السعي للتوفيق بين الشرق والغرب

كان مما أقصد اليه في رحلتي هذه أن التقي ببعض أحرار أوربة المستقلي الرأي فأستفيد من آرائهم وأفيدهم ما أحب أن يعرفوه عن بلاد الشرق عامة وبلادنا العربية خاصة ، وأن أقترح عليهم السعي لاصلاح ذات بين الشرق والغرب بالعدل والانصاف ومبادلة المنافع وعدول الدول المستعمرة عن مطامعها ، وعن أصرارها على استعباد الشعوب الشرقية واغتصاب خيرات بلادها بالقوة العسكرية القاهرة ، وأبين لهم ما تجدد بهذه الحرب من يقظة هذه الشعوب وتعارفها ، وتوجهها الى التعاون على دفع عدوان العادين عليها ، وما يؤول اليه أمر هذه الاطماع الاستعمارية من الفتن والحروب بما تفرسه في قلوب المظلومين المقهورين من العدا ، وما تؤرثه من الاحقاد ، وأن خير الوسائل لتلافي هذه الشرور أن يعنى أحرار أوربة باقناع رجال الدول المستعمرة أو إكراههم بقوة شعوبهم الادبية ومجالسهم النيابية ، على قاعدة حرية الشعوب وسيادتها القومية ، ومساعدتها على ما تطلبه باختيارها من وسائل تعمير بلادها بالفنون العملية والآلات الصناعية ، في مقابلة الانتفاع منها بما في بلادها من فضل الاغذية ومواد الصناعة الاولى

آراء أحرار أوربة في تنازع الشرق والغرب

لقيت أفراداً من هؤلاء الاحرار في (جنيف) وغيرها وتحدث معهم في هذا المقصد ، فألفيتهم يعتقدون أن هذه الحرب لم تزد رجال السياسة في الدول الكبرى الا رسوخاً في الطمع المردي والدسائس ، وتنادياً في إثارة الفتن والشرور ، وضراوة بسفك الدماء ، ويعرفون كنه فساد سياسة هذه الدول ويتشاءمون بسوء عاقبتها ، ولا يصدقون ما يدعيه هؤلاء الافاكون من الطعن في الشرقيين ولا سيما المسلمين والرغبة في اصلاح حالهم ، ووقاية نصارى الشرق من تعصبهم ، بل وقاية أوربة نفسها من سوء تأثير حريتهم واستقلالهم

ذكرت في الفصل الذي قبل هذا أن آخر من لقينا من رجال جمعية الامم في جنيف رئيسها العام ، في هذا العام (١٩٢١) أوفي هذا الاجتماع ، وذكر

بعض حديثنا معه ، وأذكر هنا أن سكرتيره الخاص (موسيو شور) كان قد تعشى وسهر معنا في الليلة التي قابلنا الرئيس في نهارها (ليلة غرة صفر سنة ١٣٤٠) وقد دار السمر بيننا في الموضوع الذي بينه آتفا فأعجبنا انصاف هذا الشاب وأطلاعه على كثير من حقائق السياسة الاوربية المتعلقة بالشرق ، ولا سيما الترك ، ونذكر مجملًا من كلامه

قال : كنت أصدق ما كانت تذيبه السياسة في أوربة عن توحش الترك وظلمهم للمسيحيين عامة والارمن خاصة الى أن أتيج لي أن أذهب الى الآستانة وأختبر الحال بنفسي ، وحينئذ علمت أن أوربة على عدم تمسكها بالدين ، هي المتعصبة على المسلمين ، والكاذبة بما بثته من الدعوة بأنهم أعداء المسيحيين ، فقد مكثت في الآستانة زمناً طويلاً عاشرت فيه المسلمين ورأيت من حسن أخلاقهم وآدابهم ، ما وقتت به على درجة التحامل عليهم ، وأعترف بأن الحلفاء جعلوا مسألة الانتداب على البلاد العربية ذريعة الى ما ذكرتموه من طمعهم في استعمارها، واستعباد أهلها ، وذكر لنا واقعة مما شاهدته بنفسه في الآستانة من معاملة مسلمي الترك للارمن

قال : كان في الآستانة لجنة أميريكية تسعى لتحرير الارمن من رق الترك بزعمها ، وقد بلغها أن أحد الباشوات قد اغتصب فتاة أرمنية وأكرهاها على الاسلام ، فسألوه عنها فاعترف بأن عنده بنتا فقيرة يتيمه آواها ورباها وأحسن معاملتها ، وهي تقيم في داره برضاها واختيارها ، فطلبوا منه بكل غلظة وفضاظة أن يأتيهم بها ففعل ، فسألوها عن قصتها فكان كلامها مصدقا لما قاله الباشا على أكل وجه وعلومها منها انها في سعادة وغبطة في عيشتها الراضية عنده وانها غير مكرهة على شيء ولا كارهة لشيء ، ولا ممنوعة من الذهاب الى حيث تشاء . فسألوها عن إكراهه إياها على الاسلام ، فقالت انه لم يدعها احد الى الاسلام ، لا بالاكراه ولا بالاختيار ، ولكنها الفت الاسلام من تلقاء نفسها وصارت تذهب مع سيدات الدار (الهوانم) احيانا الى المسجد اذا ذهبن اليه فلا يمنعهن اذا ذهبت ، ولا يسألنها الذهاب اذا قدمت . فطلبوا منها ان تترك بيت الباشا وتتبعهم لانه يجب ان تعود الى دينها ، وتتزوج برجل من أبناء جنسها ، فامتنعت فأكرهوها واخذوها فوضعوها في مشغل كانوا يضعون فيه امثالها لاجل تحصيل رزقهن بصلهن ، فكانت كارهة لنقلها عن نعيم مقيم ، الى بؤس اليم ،

وبعد أيام قليلة من تركها للدار جاء المكان الذي كانت فيه سيدة او سيدتان من حرم الباشا ومعهما عبد من الاغوات يحمل بقجا من الحرير المزركش فيها حلل من الثياب النفيسة وعاب فيها حلي من الذهب والجواهر وقدمها للبنات الارمنية ، وقالت سيدته للبنات ولمن حولها ان هذه الحلي والحلل هي التي كانت هي وبناتها يتبرعن بها للفتاة في الاعياد والمواسم ويحفظنها لها ، لاجل تجهيزها بها عند زواجهما ، فهي قد صارت ملكها ، ولا تطيب انفسهن لحرمانها منها !! فهذا مثال الاسترقاق والظلم الذي كان يسومه باشاوات الترك وحرهم للارمنيات !! وأما الارمن الذي خدعهم الانكليز والروس بالخروج على دولتهم بالسلاح والكيد لها والتحيز الى أعدائها وقت الحرب فلا يعقل أن يغفر لهم الترك ذلك

وكان رئيس مؤتمرنا قد دعا مدير جريدة (تريبون دي جنيف) وسكرتيره الى العشاء مع أعضاء المؤتمر في الفندق فأجابوا الدعوة ، وقد رغب الي سكرتير قلم التحرير (موسيو ماتيل) ان اجلس بجانبه على المائدة لاجل الحديث معه فأجبت مرتاحا ودار بيننا حديث طويل اتمناه في سمرنا بعد العشاء بدأت الحديث بأن بينت له خلاصة علاقة الشرق بالغرب ، وما يود اقتباسه من علومه وفنونه ، وما يكره من أفكاره وشؤونه ، وما ينكر من مدنيته المادية ، ومطامعه الاستعمارية ، التي كان التنازع عليها موقدا لنار الحرب الاخيرة وينتظر أن يوقد نار حرب أخرى شر منها ، الا أن يتلافى عقلاء أوربة الاحرار هذا الخطر بمقاومة هذه السياسة ، وارجاع الدول المستعمرة عن التماذي في هذه المطامع ، وإفنائها بالاستفادة من بلادنا وافادتها ، مع ترك أصرا الحكم فيها لاهلها قال : ان مدنيتم مدنية آداب وفضائل فحافظوا عليها فهي خير لكم من مدنية الغرب المادية الفاسدة التي هي كما ترى مظاهر رياء وزينة وشهوات ... قلت : إننا راضون بأدبنا وفضائلنا ولا نريد ان نستبدل بها غيرها ولا سيما هذه الآداب والتقاليد والعادات المبنية على الافكار المادية والشهوات النفسية ، التي تبيح السكر والزنا والقمار ، وسلب الاقوياء لحقوق الضعفاء ، وإنما نريد أن تقتبس بعض الفنون والصناعات المساعدة على العمران

قال : انكم لا تستطيعون أن تكونوا أمما صناعية مثلنا فان الشرق غير مستعد لذلك كالغرب ، ثم إن هذه الصناعات من مفسدات الاخلاق أيضا ، فاذا أنشئ في الشرق معامل كمعامل أوربة فانه يدخل فيها النظام المالي الاوربي

والاحوال الاجتماعية الغربية المبنية على الطمع والنهب والمزاحمة وسائر المفاسد أي كمسألة العمال ، واختلاط النساء والرجال ، ومفاسدها كثيرة معلومة

قلت — وقد ظننت أنه مخادع لأنه سياسي : ان الشرق قد سبق الغرب الى الصناعات العظيمة الباقية آثارها من الوف السنين في مصر وغيرها . . بل جميع أصناف البشر مستعدون لكل علم وصناعة ، والشعوب التي سبقت لها مدنية صناعية يكون استعدادها أقوى بسبب تأثير الوراثة . وهذه أمة اليابان شرقية وهي من الجنس الأصفر الذي كان يظن أنه أقل استعدادا من الأبيض الذي نحن منه مثلكم وقد ساوت أوربة في كل علم وصناعة

قال : اني أعني بأنكم لا تستطيعون أن تكونوا أما صناعية لعدم الداعية للضعف في الاستعداد الفطري ، والداعية هي الحاجة التي تولدها كثرة السكان وعدم كفاية الارض لمعيشتهم — والشرقيون لا قدمون الذين ترقوا في الصناعة كالمصريين والاشوريين كانوا ممن ضاقت بهم بلادهم

قلت — وأنا أريد اختصار البحث الاجتماعي والانتقال الى البحث السياسي — : إننا لا نحاول الآن أن نشيد معامل تغنيينا عن كل صناعات أوربة وأميركة فان لهذه موانع اقتصادية عندنا تحول دون ربحنا منها ، وفوزنا على مصنوعات الغرب التي تزاخنا فيها ، وإنما نحن محتاجون أشد الاحتياج الى بعض الفنون والصناعات الضرورية لترقية استغلال أرضنا فيها يتضاعف ريعها ، ونحن أعرف بما نحتاجه وما نحن مضطرون اليه منها ، وإنما نريد ان نستفيد من امثالكم الإحراز ما يجب السعي اليه مما ومنكم في علاقة بلادنا ببلادكم فان حكوماتكم الاستعمارية لا تتركنا احرازنا في شؤون حياتنا حتى نختار لانفسنا ما نحافظ به على مدينتنا ونقتبس ما نشاء من شعوبها وندع ما نشاء ، وقد كنا جاهلين بكنه مطامعها وخفايا سياسيتها فعرفنا ، ونأمن فاستيقظنا

اني مغتبط بك لانني رأيتك على رأينا في المدنية المادية ومفاسدها والظاهر ان أصحاب هذا الرأي في أوربة قليلون ، وهو رأي شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر فقد حدثنا عنه أستاذنا الامام الحكيم الشيخ محمد عبده المصري الشهير أنه لما زاره في آخر سياحة له في أوربة — (وكان ذلك في مصطافه بمدينة برين — في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣) سأل الفيلسوف الامام : هل زرت انكلترا قبل هذه المرة؟ قال نعم زرتها منذ ١٩ سنة عقب الاحتلال البريطاني لامور

تتعلق بالاحتلال ومالية مصر ومسألة السودان. قال: هل رأيت في هذه المرة تغيراً في الافكار؟ وما ترى من الفرق بين الانكسار اليوم والانكسار منذ عشرين سنة؟ قال: لم ألاق كثيراً من الناس هذه المرة لأنني حديث عهد ومثل هذا التغير يؤخذ العلم أبه عنكم قال الفيلسوف: الحق عند أوربة للقوة

الامام: هكذا يعتقد الشرقيون ومظاهر القوة هي التي حملتهم على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منابعه

الفيلسوف: محي الحق من عقول أهل أوربة واستحوذت عليها الافكار المادية فذهبت بالفضيلة، وهذه الافكار المادية ظهرت في اللاتين أولاً فأفسدت الاخلاق وأضعفت الفضيلة ثم سرت عدواها منهم الى الانكسار فهم الآن يرجعون القهقري بذلك. وسترى هذه الامم يختبط بعضها ببعض وتنتهي الى حرب طامة ليتبين أيها الاقوى فيكون سلطان العالم

الامام: اني آمل أن يحول دون ذلك هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق والعدل ونصر الفضيلة

الفيلسوف: وأما أنا فليس عندي مثل هذا الامل فان هذا التيار المادي لا بد أن يبلغ مده غاية حده

(موسيو راسيل) انني أنا أعتقد مثل هذا الاعتقاد ولست كالفيلسوف سبنسر وكثير من العقلاء يعتقدونه وهو لا يحتاج الى كل علم سبنسر وفلسفته، فان الترف واتباع الشهوات الذي هو أثر طبيعي للثروة وسعة الحضارة هو الذي أهلك الامم السابقة وازال حضارتها في الشرق والغرب كأممكم العربية والمصرية، واممنا اليونانية والرومانية. وهو الذي لا بد ان يقضي على مدنيتنا الحاضرة، فان سنة الاجتماع في كل الامم واحدة لا تتغير

قلت: نحن نعتقد هذا من يعرف منا علم الاجتماع ومن لا يعرفه لانه منصوص في القرآن في آيات منها قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) وفي آيات أخرى ان لله سنناً في الامم كقوله (قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الارض فانظروا) وان هذه السنن لا تبدل لها ولا تحويل، ولكن الامم الاوربية تعلم من هذه السنن ما لم يكن يعلمه من قبلها، حتى المسلمون الذين ارشدتهم كتابهم اليها، وشرع بعض حكمائهم في جعلها علماً مدوناً كابن خلدون الفيلسوف العربي

المشهور — ولكنهم ظالوا مقصرين في ذلك حتى وسع نطاق هذا العلم مثل الفلاسوف سبنسر وغيره فهم بارشاد هذا العلم يجتهدون في اتقاء الهلاك اجتهدا ربما يكون سببا في تأخير فنجن في هذه الفرصة يجب ان نتقي شر اعتدائهم علينا، ليطول امد السلام فيكم وفينا

قال : ان التأخير ليس بمستطاع وقد حكيت عن الفيلسوف سبنسر انه كان يائسا من تلافي مفسد الافكار المادية ونصر الحق والفضيلة عليها . وانا اخبرك بأنه يوجد كثير من عقلاء اوربة يعتقدون ان خرابها سيكون قريبا وانه ربما يكون هذا الجيل آخر جيل فيها ، وحجبتهم عليها هذه الحرب الاخيرة قلت : الاترى ان من الممكن التوصل بأمثال هؤلاء العقلاء الى بث الدعوة في الشعوب الاوربية بالزام حكوماتها ترك العدوان على حريتنا واستقلالنا ، اكتفاء بمبادلة المنافع بينهم وبيننا ، وتلافيا لما تولده المطامع في بلادنا من التنازع بين الدول الطامعة فيها ، الذي يفضي الى الحرب الآتية ، وهي التي اذا وقعت ستكون القاضية

قال : لا إمكان فهؤلاء السياسيون لا يحولهم عما تربوا ومرتوا عليه من المطامع والدسائس الا القوة القاهرة ... قلت : وبم تنصح لنا اذن ؟

قال : اجمعوا كلمتكم ، وحافظوا على دينكم وآدابكم وفضائلكم ، واستعدوا للاستفادة من الحرب الآتية ، فاذا كانت شعوبكم تتبهم راي الزعماء العقلاء مثلكم فانكم تستفيدون من فرصة الحرب الآتية ، ما فاتكم مثله في الحرب الماضية ، والا فلستم الآن بأهل للاستقلال واللاحرية ، بل تحتاجون الى تربية طويلة ... هذا ملخص حديثنا السياسي على المائدة وفي السمر بعدها ، بل كان من حريته التامة ان صرح بما لا يجوز لي ان انقله عنه الا باذنه ، وهو يعتقد ان سياسة الغرب يكذبون فيما يرموننا به من العيوب ليحتجوا به على اقناع مجالسهم واحرار شعوبهم بالاعتداء علينا . ومن مجاملته الادبية لي قوله : اني اعتقد بتناسخ الارواح ، وقد رايت رُوحِي قريبة من رُوحك ولكنها لم تبلغ درجتها في الارتقاء ، وانني ارجو ان تدركها بعد موت وحياة اخرى فنلتقي في الحياة الثالثة تلاقى الاتحاد والمساواة ، فأجيبته بمجاملة تليق بالمقام وأثنت على ما افادنا ، وما نصح به لنا ، مغتبطا بتفاقنا في الافكار والآراء .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

بقرني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد آتني خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى «ومئارا» كمنار الطريق —

٣٠ ربيع الاول ١٣٤١ - ٢٦ العقرب (خ ٢) سنة ١٣٠١ هـ ١٩ ش ١٩ نوفمبر ٩٢٢

فتاوى المنار

﴿ حكم استعمال الاسبرتو - الكحول ﴾

أفتى بعض فقهاء الهند بتحريم استعمال الكحول في الاصباغ والادهان
والعطور ولا سيما تزيين المساجد بالاصباغ التي يدخل فيها وعلوا ذلك بكونه
خمران نجسة. وقد أرسل الينا بعض فضلاء المسلمين هنالك نص الفتوى في ذلك وسألونا
هل هي صواب أو خطأ وان نبين ذلك بما عندنا من الدلائل في أقرب وقت لان
الناس مضطربون فيه . وقد اكتبنا بتأخير عن سؤالهم . ونذكر بعده ما أرسل
من ترجمة الفتوى بالعربية على ضعفها وغلطها ونقني عليها بالجواب ، ومن الله
تعالى نستمد الصواب . ونسأله ان يؤثينا الحكمة وفصل الخطاب

(المنار : ج ٩) (٨٣) (المجلد الثالث والعشرون)

﴿ نص الفتوى الهندية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله سبحانه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى
أما بعد . فهذه صورة ما أجبنا به عن الاسئلة الواردة علينا في أمر المسجد

والشراب — بتوفيقه تعالى وهو يهدي للحق والصواب

(سؤال) — هل يجوز استعمال الاسبريت (الاسبيرتو يعني روح الخمر)

على أبواب المسجد والحيطان، مخلوطا ببعض الالوان والادهان؟

(الجواب) — لا يجوز أبدا لان الخمر حرام ونجاسة مغلفة وملعون(?) في

الشرعية الاسلامية

(س) — بعض الناس يقول انه كما يجوز استعمال الخمر في معالجة المرضى

يجوز في هذا أيضا ؟

(ج) — لا يجوز أبداً لانه حرام ونجس الا اذا بلغ المريض حد اليأس ولم

يوجد له دواء غير الخمر ورأى طبيب حاذق مسلم انها تنفعه فحينئذ يسوغ بعض

العلماء استعماله بقدر الضرورة فان سلم فشتان بين المريض المعذورة والمسجد المعمور

(س) — هل الخمر نجس وحرام استعمالها بعد خلطها مع بعض الاشياء

وذهاب رائحتها أيضا ؟

(ج) — نعم ولو خلطت ببعض العطريات فانها نجس وحرام

(س) — يظنون ان الاسبيرتو ليس بخمر

(ج) — هذا ظن فاسد منهم والحق انه خمر حاد مسكر جدا على التحقيق

وانه أخبث من البول . وأما تبديل اسمها وتغيير رائحتها وتقليل جرمها فلا يجدي

نفعاً وقد ورد في الخبر ، عن النبي الصادق الابن ، ذم مستحلي الخمر بتبديل اسمها

(س) — ماذا عليهم اذا استعملوا الاسبيرتو على جدران المسجد وأخشابه

دون موضع الصلاة

(ج) — لا يجوز لهم هذا حتى على خارج جدار المسجد حتى تقذره بظاهر

أيضا لان الشريعة الغراء أكدت في تطهير المساجد وتعظيمها تأكيذاً بليفاً

(س) — ان الاسير تو ضروري لهذه الالوان والادهان
 (ج) — لاهو ضروري للالوان والادهان ولا هي ضرورية للمساجد .
 ودعوى عموم البلوى فيه ضلال ومكابرة وجدال من كل معاند
 (س) — اذاً تسحق مساجدنا في مقابلة معابد الكفار
 (ج) — ان العزة الحقيقية أن نكون مؤمنين صادقين ، ونصلي الخمس
 مجتمعين خاشعين ، لا في زخرفة المساجد وتشيدها المباهاة ومقابلة معابد الاديان ،
 بل كرهها النبي صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المروية عنه فاعلم
 (س) — لا بد من تحرير هذه الاسئلة والاجوبة ليستهدى بها المؤمنون ،
 وليبلغها الغائبين الحاضرون
 (ج) — يا أسفنا على جهلنا وضلالنا هذا حتى انا احتجنا الى بيان حرمة
 الخمر ونجاستها، وتحرير أدلتها . وهي بنصوص الكتاب والسنة ، واجماع الامة ، رجس
 من عمل الشيطان ، مشهور متواتر من عهد الصحابة عليهم الرضوان ، فاذا يكون
 الحال ، على هذا المنوال ، من عدم التمييز بين الحرام والحلال ، وترك الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر ، فوالله ما ندري كم من اخواننا الجاهلين وقعوا في مهاوي الضلال
 والسعي ، من ارتكاب المعاصي والبدع وأنواع الفواحش والمنكرات ، فواريلاه ثم
 واريلاه ، ولا حول ولا قوة الا بالله
 هذا — وهذه خلاصة النصوص من الكتاب والسنة الصريحة ، وأقوال علماء
 المذاهب الاربعة الصحيحة ، فتمسكوا بها وتذكروا ، وبلغوها واشكروا ، وليعلم ان
 تعلم الحلال والحرام ، وسائر فرائض الاسلام ، والاذعان بها ، والتسليم لها ،
 فرض على المكلفين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (أي عن الشرك والبدعة
 والكفر والمعصية) من خصائص المؤمنين ، ولهذا أرسل الله تعالى رسوله الاعظم ،
 سيدنا محمداً الاكرم - صلى الله عليه وسلم - بالكتاب والحكمة فبلغ الرسالة ، وأدى
 الامانة ، ونصح للامة ، وكشف الغمة ، وجلا الظلمة ، وجاهد في الله ، وعبدته حتى أتاه
 اليقين ، وقد أمر الامة بحفظ تلك الامانة (أي الكتاب والسنة) وأدائها الى من

يستحقها الى يوم الدين . وليعلم أن انكار فرض من فرائض الاسلام ، أو حكم ضروري من الاحكام ، كفر وعدوان ، وأن الاصرار على خلافها معصية كبيرة مستلزمة للكفر واللعنة والخسران

أما الآيات — (١) (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي) الآية (٢) (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية — (٣) (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وأما الاحاديث (١) « أمر ببناء المساجد وأن تنظف وتطيب » رواه الترمذي وأبو داود (٢) « من أكل هذه الشجرة المذنة فلا يقربن مسجدنا » رواه الشيخان (٣) « امن الله الخمر وشاربها وساقيا وصانعها وبائعها وشاربها » الحديث رواه أبو داود (٤) يسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر يجعل في الدواء فقال « إنها داء ليست بدواء » (٥) « إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه أبو داود والترمذي (٦) « لا تداووا بالمحرم » رواه أبو داود (فائدة) اذا تحقق أنه صلى الله عليه وسلم منعنا عن التداوي بالمحرم وأخبر أن الله لم يجعل شفاءنا فيه وأن الخمر داء ليست بدواء ، وهو ما ينطق عن الهوى ، إن هو الاوحى يوحى . وقال تعالى فيه (ص) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهل يجوز لمسلم بعد ذلك أن يعتقد شفاء في الخمر وهو من المؤمنين ؟ لا والله لا يجوز له ذلك ، كيف وفيه تكذيب للنبي الصادق الامين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الى يوم الدين

وأما الفقه (فقد) أجمعت الائمة والامة على أن الخمر نجاسة مغلظة وحرام قطعي قليلها وكثيرها ، ولا يجوز استعمالها والاتفاع بها كيف ما كان ، وهذا هو المذهب المقتى به للعلماء الحنفية عليهم الرحمة والرضوان وفي هذا القدر كفاية ، والله يعصمنا من الغواية والغواية ، وله الحمد في البداية والنهاية

في ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٠ (حرره عبده المذنب أبو عتيق محمد شفيق)

(نزيل بمبي غفر له)

(تحقيق القول) قال الدكتور الحكيم غلام جيلاني شمس الأطباء في كتابه
المعتبر المشهور المسمى بمخزن الحكمة (وقد وثقه وصدقه جمهور الدكاتير، والأطباء
المشاهير، في الهند): الخمر باعتبار استخراجها على ثلاثة أنواع أولها (بير) وركنه
الأكبر الشعير وغيره. والثاني (واين) وركنه الا على العنب وغيره. والثالث
(سبريت) أي اسبيرتو. وهو يتخذ من الشرايين المذكورين بعمل التصعيد
والتقطير وهو أكثر حدة وقوة لزيادة (الكحل) وهو الجزء المسكر فيه أهم من صحيفة ١٤٦
وقال: مقدار الكحل — وهو الجزء انفعال في الخمر بالنسبة المئوية هكذا:
٢ — ٤ في المائة في البيرا و ١١ في المائة في الشمبانية و ٢٣ في المائة في بوت و ٥٣
في المائة في البراندي و ٥٤ في المائة في الوسكي والروم و ٨٦ في المائة في السبيرتو
اه — من صحيفة ١٤٩ — وذلك في الطبعة الثانية من الكتاب المذكور. فالذين
يقولون: إن الاسبيرتو ليس بخمر، شروبه بل دواء أكال أو سم قتال — ضالون
مضلون لأنه معلوم أن الاسبيرتو يخالط لا كشار الاسكار ببعض الخمر الخفيفة أو
الاشربة العادية ويجعل في كثير من الادوية الاورباوية فتصير به الادوية
رجسا من عمل الشيطان نعم شر به صرفا يضر بالانسان لحدته وشدة اسكاره ولو
فرضنا أنه لا يشرب أو أنه دواء أكال فهو ما لم تتغير حقيقته بصيرورته خلا
رجس على كل حال

الجواب صحيح أبو عتيق محمد شفيق — المدعو بشفيق الرحمن
كتبه أحقر العباد محمد عبد المنعم بأعكظه
خطيب مسجد الجامع ببجي

لقد أجاد من أفاد خادم العلماء محمد عبد الغفور المدرس الاول

في المدرسة الهاشمية ببجي

بسم الله الرحمن الرحيم — حمداً لمن وفق أولي الدراية، للحكم والعمل بمقتضى
الرواية، وصلاة وسلاماً بتوجان بتاج القبول، على سيدنا محمد الحبيب المقبول،
(وبعد) فقد سخر الله برحمته حضرة النبيل الشيخ شفيق الرحمن، عامله الله معاملة

ذوي الاحسان ، لتحقيق حقيقة (الاسبرتو) لما سأله بعض الاخوان ، عن استعمال ذلك في الجيطان ، وتعين أنه روح الخمر بعد الاطلاع على كتاب مخزن الحكمة المترجم من الانكليزي الى (الاوردو) لاحد الدكاتر المسلمين المحققين ، وحيث إن الفتوى على قول الامام محمد رحمه الله تعالى في النجاسة وحرمة تناول واتفاق الائمة الثلاثة لزم تجنبه وبعده ولا ضيا من المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فجزاه الله عن مناضلته عن الدين ، ورزقنا والمسلمين حسن اليقين ، ولقد أصاب فيما أجاب والعهدة على المترجم وبالله التوفيق حرره

الفقيه أحمد يوسف الفارسي المدني

خطيب مسجد اسماعيل حبيب

ما كتب المجيب في الجواب فهو الحق وعين الصواب

الراقم قاضي غلام أحمد تلياني

المدرس الاول في المدرسة المحمدية بمبي

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، قد تأملت في هذه الفتوى ، فوجدتها محكمة المباني ، متقنة المعاني ، قضاياها موافقة لما عليه الماعول ، من نصوص القرآن والحديث التي عليها العمل ، كيف لا ومحضر هذا الشيخ الفاضل المولوي شفيق الرحمن ، سلمه الله المنان ، فوالله دعوت لمحورها بحسن المثوبة ودوام التوفيق ، وما أجاب هذا الفاضل بتعين المصيراليه ، وغيره لا يعول عليه ، والله اعلم أبو السعود محمد سعد الله المكي الخطيب

والامام في مسجد زكريا بمبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب الدعوات ، والصلاة والسلام على سيد السادات ، وعلى آله الغر المحجلين ، وصحبه والتابعين ، وبعد فيقول العبد البائس : اني اطلعت على هذه الفتوى (وفي الاصل هذا السؤال) فوجدتها مشحونة بالادلة الواضحة ، والنقول المعتمدة في الدين ، وضوحا لا غبار عليه ، فيجيب والحالة هذه على كل

من اطاع على هذه الادلة العمل بمقتضاها وفقني الله واياكم لما فيه صلاح
في الاولى والاخرى

البائس

الجواب صحيح والله الموفق

سليمان عبد العزيز ميرداد

أحقر العباد محمد فضل كريم الدهلوي الخطيب الخطيب الامام بمسجد المنارة في بمبي

الامام في مسجد رنكاري محله

بمبي

الجواب صحيح

محمد شرف الدين

مهتمم اليتيم خانة الاسلامية بمبي

(مدير دار الايتام الاسلامية)

الجواب صحيح

عبد السميع

مدرس اليتيم خانة الاسلامية بمبي

جواب المنار

الحمد للمهم الصواب . قد جاء في محكم القرآن، أن الخمر رجس من عمل الشيطان،
من شأنها أن توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصدمهم عن ذكر الله وعن الصلاة،
فلانزاع في هذا ولا في كونها محرمة في كتاب الله وسنة رسوله تحريمات لا هوادة فيه،
وقد بينا من مضار الخمر ومفاسدها في تفسير الآيات الواردة فيها ما لا يوجد أقله
في تفسير آخر ولا في كتاب فقهي، ولا خلاف في وجوب صيانة المساجد عن
النجاسات والاقتدار أيضا

وأما مسألة كون السبيرتو أو الكحول خمرًا وكون كل ما وجد أو دخل
فيه أحدهما نجسًا نجاسة حسية يجب تطهير ما يصيبه منها وإن كان عطرا — فهي مسألة
اجتهادية ليس فيها نص قطعي ولا راجح في الكتاب ولا السنة ولا هي من المسائل
الاجماعية كما ادعى أخونا الفاضل مولوي محمد شفيق ومن أجاز فتواه من علماء الهند
الكرام كما يعلم مما نبينه في المسائل الآتية، وإن سبق بيانه في المنار من قبل

وإننا قبل تحقيق الحق في هذا المقام نذكر أولئك العلماء الكرام الذين نختلفهم في اجتهادهم بمسائل كثيرا ما يغفل عنها العلماء عند الفتوى في مسائل الحلال والحرام التي يوجبون العمل بها على الأمة الإسلامية

(المسألة الأولى) ان التحريم الديني المحض كسألتنا هو حق الرب تعالى وحده ولذلك عرفه علماء الأصول بأنه خطاب الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فالقول بان كذا حرام بغير دليل صريح من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة يعد من القول على الله بغير علم ومن الاقتراء عليه تعالى ، وشرعا لم يأذن به ، وذلك منتهى الخطر على الدين ، فيجب الاحتياط في ذلك لان فاعله يكون قد اتخذ نفسه شريكا لله تعالى كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)
ولسنا نريد بالنذ كبر هذه المسألة القطعية تعريضا بأولئك المفتين فيما نرى أنهم أخطأوا فيه ، فإن له اجتهد المخطيء أجرا على اجتهاده وهو معذور في خطاه إذا بذل جهده في طلب الحق فيه باخلاص ، وآية ذلك رجوعه عما أخطأ فيه إذا ظهر له ذلك

(الثانية) إن من يتبع رأي أحد من الناس في التحريم الديني وما في معناه من العبادات من غير أن تظهر له الحجة فيه عن الله تعالى ورسوله (ص) فقد اتخذ ربا وشريكا لله تعالى كما يعلم من الآية المذكورة في المسألة الأولى ومما ورد في الحديث المرفوع تفسيرا لقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وذلك قوله (ص) لعدي بن حاتم « اما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه » رواه أكثر مخرجي التفسير المأثور والترمذي في جامعه وحسنه والبيهقي في سننه

وخرج بالتحريم الديني ما يحظره الأمراء وقواد الجيوش على اتباعهم لمصلحة راجحة أو دفع مفسدة في أمور الدنيا أو الحرب ، فلا يشترط في طاعتهم فيها أن تكون منصوبة في الكتاب والسنة ، بل يدخل هذا في عموم ما ورد من الأمر بطاعتهم في المعروف ويكفي أن لا يكون معصية لله تعالى

(الثالثة) نطقت الآيات الصريحة، والاحاديث الصحيحة الفصيحة بأن هذا الدين يسر لا حرج فيه بقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله في أجمع آيات الطهارة بعد الامر بالوضوء والغسل والتيمم (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) الآية وقوله (ولو شاء الله لاعتكم) أي ولكنه لم يشأ اعتنا وهو إيقاعنا فيما فيه مشقة، والاحاديث في هذا المعنى معروفة في الصحاح والسنن ولا حيلة سميت هذه الملة بالحنيفية السمحة

(الرابعة) من الامور المعلومه من شؤون البشر بالضرورة أن بعض الناس يتحمل من التكالييف بسهولة ما لا يتحملة غيره الا بمشقة ، وأن منهم الميال بطبعه الى الغلو في الدين أو التزام العزائم ومنهم المعتدل المتوسط ومنهم من يثقل عليه أن يزيد على فعل الواجب وترك الحرام . ومنهم من يقصر في هذا أيضا . قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم من مقصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ولاجل هذه الحقيقة الثابتة في سنن الفطرة كان من حكمة الدين أن يوجد في الكتاب والسنة ما دلالة صريحة قطعية، وأراجعة جاية كالذي أجمع عليه أو عمل به جمهور السلف . وما دلالة خفية ليأخذ أهل العزائم من الصديقين المقربين - وهم السابقون في الآية - بما لا يمكن أخذ البرار به وهم المقتصدون فيها - فضلا عن الظالمين أنفسهم . والتحريم العام الذي يخاطب به جميع أفراد الأمة هو ما كان قطعي الدلالة أي لا مجال فيه للتأويل والاجتهاد ، والاجتهادي يعمل فيه كل أحد بما أداه اليه اجتهاده . ولا تحمل الأمة كلها على ظن مجتهد . وقد قال الفقهاء : ان أول ما يجب على امام المسلمين الاعظم وخليفة رسولهم (ص) « حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة » ^(١) ولولا هذا لا بطل كل خليفة اجتهاد غيره في العلم واجبر الأمة على اتباعه أو اتباع مذهب امامه ... ومن الشواهد أو الدلائل المتعلقة بموضوع بحثنا في ذلك أن آية سورة البقرة في الحمر تدل على تحريمها دلالة راجحة ولكنها غير قطعية لأنه قال فيها وفي الميسر

(١) الاحكام السلطانية للماوردي

(وانتمهما أكبر من نفعهما) أي ان مفسدتهم راجحة على منفعتهم ، ودرء المفسد مقدم عند الفقهاء على المصالح المساوية، فكيف اذا كانت المفسدة هي الراجحة ، ومع هذا لم يعدها عمر رضي الله تعالى عنه البيان الشافي في الخمر وظل يدعو ان ينزل الله تعالى فيها «يأنا شافيا» ولكن بعض الصحابة تركوا شرب الخمر لهذه الآية عند نزولها ولم يتركها كلهم بل لم يأمرهم النبي (ص) بتركها وبأهراق ما كان لديهم منها الا عند نزول آية المائدة التي صرح فيها بقوله تعالى (فاجتنبوه - الى قوله - فهل أنتم منتهون ؟) فلما قريء ذلك على عمر قال : انتهينا انتهينا

﴿ الخامسة ﴾ النجاسة في اللغة القذارة والخبث وهي حسية ومعنوية ، فالحسية ما تعافه الطباع السليمة انتنه كالبول والعذرة . والمعنوية ما يعلم خبثه وقبحه بالشرع أو العقل قال تعالى (إنما المشركون نجس) والطهارة النظافة والتنزه عن الاقدار. والمطلوب منها في الشرع : ازالة النجس وما دونه كقلاع الاسنان ، والوضوء والغسل وبذلها وهو التيمم، وفي الوضوء والغسل والتيمم معنى التعبد ولذلك اشترط فيه اكثرائمة الفقه النية ولم يشترطوه في الاول وان كان مطلوبا شرعا

ومجموع ما ورد في الكتاب والسنة في ازالة النجاسة يدل على أن مراد الشرع من المسلم أن يكون نظيفا بقدر الاستطاعة بدنا وثوبا ومسجدا وكل ذلك معقول المعنى ليس فيه شيء . ظن بعض العلماء أنه للتعبد الا غسل الاناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات احداهن بالتراب للحديث الذي ورد فيه وفي رواية «وعفروه الثامنة بالتراب» والحنفية والعترة لا يأخذون بهذا الحديث. والشافعي وأحمد يقولان: إن سببه نجاسة الكلب أو لعابه ، وجعله بعضهم للتعبد وزعم بعض الصوفية أن سببه كون سؤر الكلب يورث قساوة القلب، واكتشفت الاطباء ما يصح أن يكون سبباً له وهو كون لعابه سبباً للاصابة بالذودة الوحيدة أو الذودة الشريطية . وقد تقدم تفصيل القول في ذلك في المنار من قبل وليس مقصودا هنا

﴿ السادسة ﴾ قال العلامة ابن رشد في بداية المجتهد: وأما أنواع النجاسات فان العلماء اتفقوا من أعيانها على أربعة : على ميتة الحيوان ذي الدم الذي ليس بمائي،

وعلى لحم الخنزير بأي سبب اتفق أن تذهب حياته - وعلى الدم نفسه من الحيوان الذي ليس بمائي انفصل من الحي أو الميت إذا كان مسفوحا أغني كثيرا ، وعلى بول ابن آدم ورجيعه . وأكثرهم على نجاسة الحجر ، وفي ذلك خلاف عن بعض المحدثين اه وسند كره في المقصد بعض من صرحوا بطهارتها .

﴿ السابعة ﴾ اختلف العلماء في إزالة النجاسة هل هي فرض أو سنة ؟ واختلفت مداركهم الاجتهادية في التطهير هل المراد به إزالة عين النجاسة وضايفاتها من اللون والطعم والرائحة أم إضعافها وإزالة صورتها المستقدرة ؟ بالغ بعض أهل المدرك الاول - ولا سيما الشافعية منهم - فكان من اجتهادهم ما لا يعقل له معنى وما فيه حرج شديد وعنت كان سببا لابتلاء الكثيرين بالوسواس ومنه ما يشبه تطهير الأطباء للأجسام والجروح والاشياء كاشتراطهم أن يكون الماء القليل (وهو مادون القلتين) وارداً على النجاسة لا موروداً ... وهذا ما لا يتيسر الا للخواص الواجدين . وما ورد في السنة الصحيحة من الاستنجاء بالحجر ، وصفة تطهير الثوب من دم الحيض والمني ، وتطهير النعل بدلكها بالارض ، وأشباه ذلك - يدل على أن الواجب هو الثاني والاول كمال فيه . واختلفوا أيضا في كون طهارة البدن والثوب والمكان شرطا لصحة الصلاة أم لا

﴿ الثامنة ﴾ للعلماء مذاهب في إزالة النجاسة وزوالها يؤخذ من مجموعها على اختلاف أصحابها ما قلنا في المسألة الخامسة : انه مدلول النصوص وهو أن الغرض الشرعي من الطهارة هو أن يكون المسلم نظيفا لا تنفر منه الطباع السليمة . ولا يشترط في ذلك أن لا يكون على بدنه ولا ثوبه ذرة من أعيان النجاسة يدركها الطرف المعتدل ، يعلم من أحاديث مسح النعل المتنجس بالارض وفرك المنى وحته وإما طهارة بإذخرة وغير ذلك . ومن المطهرات الدباغ وتخلل الحرة عند من يقولون بنجاستها وإزالة عين النجاسة عن المصقول وقالت الحنفية ان الارض اذا تنجست تطهر بالجفاف سواء كان بالشمس أو الهواء أو النار مع أن الجفاف لا يزيل من المادة النجسة الا ما يتبخر منها وقد تبقى رائحتها واستدلوا على ذلك بأن المسجد النبوي كانت الكلاب تدخله وتبول فيه وما كانوا

يطهرونها . والغرض من هذا بيان مدرك هؤلاء الفقهاء الذين يتبعهم ملايين كثيرة من المسلمين في يسر الشريعة

ويحسن أن نذكر هنا حديث بول الأعرابي في المسجد الذي ردد به الجمهور عليهم وإن لم يكن البحث لتحقيق الراجح في هذه المسائل : روى الجماعة (أي أحمد والشيخان وأصحاب السنن) من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك (رض) أن أعرابيا بال في المسجد فقال الصحابة له : مَهْ مَهْ - وهي كلمة زجر - فقال رسول الله (ص) « لا ترزموه - أي لا تقطعوا عليه بوله - دعوه » فتزكوه حتى بال . هذا سياق أنس ، وقال أبو هريرة : فقام إليه الناس ليقعوا به فقال النبي (ص) « دعوه وأريقوا على بوله سجلا أو ذنوبا من ماء . فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » وتتمه سياق أنس : ثم قال (ص) « أن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » قال ثم أمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشبه عليه . والسجل والثوب بفتح أولهما الدلو الواسعة الملائى وقال ابن السكيت في الثانية : فيها قريب من الملاء ، ولا يطلق هذان اللفظان على الدلو الفارغة

ومن المطهرات عند الحنفية المنار . انقلاب العين كالزيت النجس الذي يدخل في عمل الصابون . ومذهبهم فيه قوي جداً يدل على فقه الشرع وفهم كنه الطهارة التي طوّل الناس بها وهي النظافة والتنزه عن الاقذار ، لا الايعنات وتكليف ما لا يعقل تعبد محضاً . فهذا المذهب لا يحتاج الى دليل من النص بعينه ، وما يدل عليه اجماع الامة على عدم وجوب النية ولا اشتراطها في إزالة النجاسة . ولهم أن يستدلوا عليه بحديث أبي الدرداء في (المري) الذي يصنع من الخمر والسمك والملح ويوضع في الشمس . وقد أكله أبو الدرداء وغيره من الصحابة كما سيأتي ، ونحن نستدل به على طهارة الخمر . ولكنهم قالوا : لو جعل الخمر في مرقاة لا تؤكل لتنجسها بها ولا حد مالم يسكر منه (أي الآكل) لانه أصابه الطبخ . ويكره أكل خبز عجين عجنه بالخمر لقيام اجزاء الخمر فيه (اه من الهداية)

الموضوع

بعد هذا التمهيد نقول (أولاً) ان الخمير ليست بنجاسة نجاسة حسية (وثانياً) ان دعوى اثبات نجاستها بالكتاب والسنة والاجماع ممنوعة (وثالثاً) ان الكحول (السبيرتو) ليس بخمر بل ولا ينحصر وجوده في الخمير بل يوجد في أنواع النبات وغيرها ويكثر في المختمرات من العجين وغيره وأكثر ما يكون استحضاره من الخشب والقصب وهو أقوى طهورية من الماء (ورابعا) ان سلمنا أنه خمير وان الخمير نجاسة فان ما يدخل فيه من الادهان وأنواع الطلاء والادوية والاعطار ينبغي أن يكون طاهراً كالخل والمري والخبز والصابون الذي يدخله الزيت النجس وأمثالها

الخمير طاهرة حساً وشرعاً

أما كون الخمير طاهرة غير نجاسة نجاسة حسية ، فهو أمر حسبي لا يمكن المراء فيه ، وأما كونها طاهرة شرعاً من الجهة الحسية - وان كانت أم الحبائث والرجس المعنوي - فلان الاصل في الاشياء الطهارة وليس في الشرع ما يخالف الحس ، وما ورد في الشرع من الحث على الطهارة والنظافة الحسية فلا يفهم منه الا التنزه عن الاقذار كما ورد في حديث تطهير المسجد من بول الاعرابي وازالة ما أصاب البدن أو الثوب أو المكان باذهاب عينه أو اذهاب قذارته بحيث لا تنفر الطباع السليمة مما أصابه. وإنما كان يصح إلحاق الشرع الخمير بالنجاسات الحسية لو ورد الامر الصريح بغسل ما أصابه شيء من الخمير ولم يرد ، وقد كانوا يشربونها إلى آخر مدة النبي (ص) اذ لم تحرم قطعياً الا في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ، ولا شك في أن الشاربين لها لا يسلّمون من اصابة أيديهم وثيابهم بشيء منها ، ولو كانت من النجاسات والاقذار في الواقع ونفس الامر أو في حكم الله تعالى لا مروا بالتنزه عنها قبل تحريمها ، وكان يكون ذلك من المنفرات عنها الممهدة لتخفيف وقع تحريمها

علي نفوسهم كالذي ذكره المفسرون من التنفير عنها بآتي البقرة والنساء ، ولما
آخر بيان نجاستها الى وقت نزول القطع بتحريمها ، ولا يقال إنها انما صارت نجسة
بالتحريم لان الكلام في النجاسة الحسية وهذا لا يختلف باختلاف الحكم فهي
مازالت كما كانت قبل التحريم وربما طيبها الناس يعد ذلك فكانت أبعد عن
القدارة مما كانت ، وسيأتي ما يؤيد هذا

تحقيق القول فيما استدل به على نجاسة الخمر

استدل المقتي الهندي ومن وافقه بدعوى الاجماع وهي دعوى ممنوعة فقد
نقل العلماء الخلاف بين فقهاء الساف في نجاستها كما رأيت في عبارة ابن رشد في
(بداية المجتهد) ومن قال بطهارتها منهم فقيه المدينة الامام ربيعة شيخ الامام مالك
كما في شرح المذهب للنووي وغيره . وفي كتاب (رفع الالباس في وهم الوسواس)
لاحمد ابن العباد الفقيه الشافعي مانصه :

« ومنه الخمر وهي نجسة خلافا لبيعة شيخ الامام مالك وداود (امام الظاهرية)
فانهما قالا بطهارتها كالسمر الذي هو نبات والحشيش المسكر ، وحكى الغزالي وجها
في المحترمة ووجها في ان باطن حبات العنب المستحيلة خمر طاهر ، وحكى الشيخ
تقي الدين رحمه الله في شرح الموعظة الطاهرة المحترمة ، والمحترمة هي التي اعتصرت بقصد
ان تتخذ خلا « اه ثم ذكر القول بأن ما اعتصره أهل الكتاب — من المحترمة أي
بناء على عدم تكليفهم بفروع الشريعة ، فجميع خمر أهل الكتاب أو غير المسلمين
طاهرة على الوجه . ويفهم منه أن القول بنجاستها تغليظ على المسلمين لأجل المبالغة
في اجتنابها ، بالتباعد عن أسبابها ، ولكن هذا لا يصح أن يجعل دليلا شرعيا على
النجاسة الحسية وما يترتب عليها من الاحكام الكثيرة التي تنسب الى دين الله وتجعل
مما خاطب الناس بتحريمه عليهم

ومن قال بطهارة الخمر من فقهاء الحديث المتأخرين الامام الشوكاني في (السيل
الجرار) وغيره والسيد حسن صديق خان في (الروضة الندية) .

وأما الاستدلال على نجاستها بالكتاب العزيز فهو محصور في تسميتها رجسا في

المنار : ج ٢٣ م ٢٣ معنى الرجس وكونه حسياً كالبول ومعنوياً كالخمر والكفر ٦٧١

آية المائدة . وهو مردود من وجوه

(أحدها) ان الرجس في اللغة هو الخبيث القذر حساً أو معنى ، فالحسي ماتدرك قذارته بالحس ونفور الطباع السليمة ويتمنزه عنه الناس كالبول والعذرة ، والمعنوي ماتدرك قذارته بالعقل أو الشرع أو بهما معاً كالكفر والنفاق . قال الراغب بعدما ذكر ما هو بمعنى هذا : والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر اهـ

وأقول : ان الرجس قد ذكر في القرآن في تسع آيات لا يحتمل ارادة النجاسة الحسية منها الا في واحدة فقط وهي قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى الي محرماً على يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحماً خنزيرفانه رجس) والراجح ان الضمير في قوله « فانه » راجع الى الثلاثة بتأويل ما ذكر كما بيناه في تفسير الآية مؤيداً بالشواهد من التنزيل ومن كلام العرب ، أما الاولان فاستقذار الطباع لهما معروف ، وأما الثالث . فمعنى كونه رجساً أنه ملازم للاقذار كثير التغذي منها . وانك لتجد ذكر ازالة الرجس عن أهل البيت النبوي قد قرن بأن المراد به تطهيرهم واكد ذلك بالمصدر ولم يقل أحد من المفسرين ان المراد بالرجس في الآية النجاسة الحسية وبالتطهير ازالته ، على أن بعض العلماء قالوا ان تأكيده الفعل بالمصدر يخرج عن كونه مجازاً ويحتم كونه حقيقة . وهذه الآية حجة عليهم الا أن يقولوا : ان التطهير حقيقة في ازالة الاقذار الحسية والمعنوية والتنزيه عن كل منهما . أو ان الرجس حقيقة في الخبيث المعنوي لانه هو الاكثر في استعمال القرآن وغيره

(ثانيها) أن لفظ الرجس فيها خبر عن الخمر والميسر والاصاب والالزام كما قال جمهور المفسرين ولا شيء من ذلك بقدر في الحس ولا نفور الطبع فتعين أن يكون كله من الرجس المعنوي ، وجعله خبراً عن الخمر وخبر ما عطف عليها محذوفاً تكلف بخالف للمقابلة من العبارة لغة ، وانما جيء به لتأييد القول بنجاستها ، والا فلا صل في خبر المبتدأ وما عطف عليه أن يكون خبراً عنها جميعاً ، ولو كان خبراً عن الخمر لقال « فاجتنبوها » لان الخمر مؤنثة اللفظ قال الاصمعي ولا يجوز تذكيرها ، فان قيل جوزه غيره قلنا هو الفصيح الذي لا خلاف فيه و لغة القرآن أفصح اللغات

ويؤيد كون الانصاب والازلام رجسا قوله تعالى في آية أخرى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان)

(ثالثها) ووصف الرجس بأنه من عمل الشيطان . ثم بيان عمل الشيطان في الخمر والميسر خاصة بأنه ايقاع العداوة والبغضاء بين السكارى والمقامرين ، وصددهم عن ذكر الله وعن الصلاة . ولولم يكن قوله (رجسا من عمل الشيطان) راجعا الى الخمر والميسر والانصاب والازلام جميعا لما صرح بذلك الخمر والميسر في هذا البيان (رابعها) ان الصحابة رضي الله عنهم أراقوا كل ما كان عندهم من الخمر عند نزول هذه الآية حتى كانت تجري في شوارع المدينة ولو كانت الخمر نجسا حسبا يجب تطهير ما تصيبه بمنطوق الآية لتوفرت الدواعي على نقل عنايتهم بتطهير أوانيهم وما أصاب أبدانهم وثيابهم منها عند اراقتها فانه من الضروريات ولم يرد شيء من ذلك كما تقدم

وأما الاستدلال على نجاستها بالسنة فقد أعجز المدعين لذلك رواية خير صحيح صريح في ذلك . وإنما استدلل بعضهم بمديث أبي ثعلبة عند أحمد وأبي داود إذ قال للنبي (ص) ان أرضنا أرض أهل كتاب وانهم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر فكيف نصنع بأنيتهم وقدورهم ؟ قال « ازلهم تجذوا غيرها فاحضوها بالماء واطبخوها فيها واشربوا » وهذه واقعة حال ذكرت في الصحيحين بدون ذكر الخنزير والخمر فيها ، وغسلها من احتمال طبخ الخنزير وشرب الخمر فيها ضرب من النظافة لا يمتنع أن يكون شبيهه بنجاسة ما كان فيها وهو مجهول ، والاصل في الاشياء الطهارة ، وأبو ثعلبة هذا هو الخشني أسلم عام خيبر أو قبله وسأل النبي (ص) عن أواني أهل الكتاب وعن الصيد ما يحل منه ؟ وذلك قبل نزول آية حل طعام أهل الكتاب فامر به النبي (ص) بما ذكر من غسل أوانيهم مبالغة في النظافة التي كان يميل اليها والتباعد عن الانس بهم قبل تمكن الاسلام . والا فهو معارض بالاحاديث الكثيرة والروايات عن الصحابة في أكل طعامهم في أوانيهم ، وجبنهم ، والتوضؤ والشرب من أوانيهم أيضا ، ولا سيما في أيام فتح بلادهم ، ولو كان الصحابة ومن

بعدهم من الساف يتوقون أو انيهم فلا يأكلون ولا يشربون فيها الا بعد غسلها لتواتر ذلك عنهم ، بل ثبت في الصحيحين أن النبي (ص) توضأ من زيادة مشرقة . وتوضأ عمر من حرة نصرانية . والتغليظ في معاملة المشركين أشد منه في معاملة أهل الكتاب وثبت أكل الصحابة (رض) المري المصنوع من الخمر والسماك ففي كتاب الصيد من صحيح البخاري أن أبا الدرداء قال في المري : ذبح الخمر النينان والشمس . والمري من التوابل المثيرة لشهوة الطعام وهو بضم الميم وسكون الراء . وضبط في النهاية تبعاً للصحيح بتشديد الراء نسبة الى المر وهو الطعم المعروف . والنينان جمع نون وهو الحوت . واسناد ذبح الخمر الى السمك والشمس مجازي معناه أنهما ذهبا بطعم الخمر واسكارها كما كانوا يعبرون عن تأثير زجها بالماء اذا كثر بالقتل ، كما قال حسان ان التي عايطيني فشر بتهـا قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

قال الحافظ في الفتح : وهذا الاثر سقط من رواية النسفي وقد وصله ابراهيم الحاربي في غريب الحديث له من طريق أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء فذكره سواء . قال الحاربي هذا (مري) يعمل بالشام يؤخذ الخمر فيجعل فيه الملح والسمك ويوضع في الشمس فيتغير عن طعم الخمر . وذكر الحافظ طارفاً أخرى له عن أبي الدرداء للطحاوي وعبد الرزاق . ثم قال ورويناه في جزء اسحق بن الفيص من طريق عطاء الخراساني قال : سئل أبو الدرداء عن أكل المري فقال : ذبحت الشمس سبكر الخمر فنحن نأكل لا نرى به بأساً ، قال أبو موسى عبر عن قوة الملح والشمس وغلبها على الخمر وازالتها طعمها ورائحتها بالذبح الخ (ثم قال) قال وكان أهل الزيف من الشام يعجنون المري بالخمر وربما يجعلون فيه أيضاً السمك الذي يربي بالملح والأبزار مما يسمونه الصحناء . والقصد من المري هضم الطعام فيضيفون اليه كل ثقيف أو حرّيف ليزيد في جلاء المعدة واستدعاء الطعام بحرافته وكان أبو الدرداء وجماعة من الصحابة يأكلون هذا المري المعمول بالخمر المراد مما أورده الحافظ ومما ذكره عن بعضهم تعليل الحل بتخلل الخمر ولا يصح الا على التشبيه والا فان الخل مائع لا طعام .

هذا الاثر يدل على ان أولئك الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتقدون طهارة الخمر ولو كانت نجسة لتنجس السمك والملح والانهاء بها قبل أن تذبحها الشمس وحتى تنجس السمك تعذر تطهيره عند جماهير الفقهاء الا من يقول ان استحالة العين وزوال تنجاسة مطهر ، وهذا القول يقتضي حل جميع الادهان والادوية التي تدخلها نجاسة اذا زال تنجسها بحيث لا يعد ذلك الشيء قدراً لغة ولا عرفاً . وهذا هو مدرك الحنفية وهو مدرك صحيح ولكن خرجوا عنه في بعض المسائل . ومن العجيب أن اخواننا علماء الهند الذين شددوا في واقعة الفتوى من فقهاء الحنفية فيما يظهر ، ولكنهم لما اجتهدوا في المسألة كان اجتهادهم بعيداً عن مدرك المذهب الذين تفقهوا فيه ، ومثل هذا كثير

حقيقة الخمر والكحول

الخمر كل شراب مسكر . هذا هو المختار عندنا على ما حققناه في التفسير . ولكن الفقهاء واللاهوتيين اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى أن الخمر ما كان من عصير العنب اذا اشتد وغلا — زاد بعضهم وقذف بالزبد — وعليه الحنفية الذين يقلدهم اكثر مسلمي الهند . وهذه الخمرة العنبية هي المحرمة عندهم بالنص قطعاً ما قل منها وما كثير ، وهي التي يعدونها نجاسة نجاسة مغلظة . وأما سائر المسكرات فلم فيها أقوال ثالثاً أنها طاهرة ، وما عداها من المسكرات فأصل المذهب أن المحرم منها هو القدر المسكر ، بل لهم فلسفة دقيقة في تحقيق كون الكأس الاخيرة أو الجرعة الاخيرة التي حصل بها الاسكار هي المحرمة دون ما قبلها ، والجمهور يخالفهم في هذا بحق رجحه بعضهم ، ولكنه مذهب اجتهادي على كل حال .

والتحقيق الصناعي أن الخمر نوعان (أحدهما) ما يصنع بالتخمير وهو وضع الفاكهة الرطبة كالعنب والبسر أو الجافة كالتمر والزبيب أو الحب كالقمح والشعير في الماء حتى يختمر وكذا العسل وخمره تسمى في اللغة البتع ، ولهم في ذلك صناعة بعضها بالنار وبعضها بدونها ، ويسمون هذا النوع في زماننا بالنبيذ وهو أصناف كثيرة ومنها ماله اسم آخر كالبيرا المتخذة من الشعير واسمها العربي الجمعة . والنبيذ بالعربية هو النقع

والنقيع، وهو الشراب الذي يكون من نبد نخوزيب أو تمر أو تين جاف في الماء أي طرحه فيه وكان النبي (ص) والصحابة يشربونه قبل أن يشتد ويصير مسكراً فانه يكون حينئذ خمراً. وكان النبي (ص) يشرب منه مدة ثلاثة أيام في الغالب فاذا شعر بمحموضته أذن بأن يشرب به الخدم وترك شربه احتياطاً — وقد فصلنا القول في ذلك في تفسير آية المائدة

وأما الكحول — السبيرتو — فهو سائل قابل للاحتراق سريع التبخر أو الطيران يستخرج غالباً من الخشب وجذور القصب وأليافه وهو يوجد في جميع أنواع النباتات ولا سيما الفاكهة ويكثر جدافي قشر البرتقال والليمون وفي كل ما يختمر من الاشياء كالعجين ، ولا يستخرج من الخمر لغلائها ورخصه . وهو أقوى المطهرات فانه يزيل النجاسات والاقدار التي تعسر ازالتها بالماء . وانما يستخرج لاستعماله في التطهير الطبي وتحضير كثير من الادوية، وحفظ بعض الاشياء من الفساد وفي الاعطار والاصباغ والوقود والاستصباح وغير ذلك، وقد كلفنا بعض علماء الكيمياء والطب من ثقات المسلمين بيان علمي فني سنشره فيه في ذيل هذه الفتوى . فهو ليس بشراب ولا يمكن شربه لانه سم قاتل

نعم ان هذا الكحول أو الغول هو المادة المؤثرة في الخمر التي لو لاها لم تكن مسكرة وانه اذا وضع في شراب غير مسكر بنسبة مخصوصة يصير مسكراً . ولكن هذا لا يقتضي أن يسمى هو خمر لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، كما أن المادة المؤثرة في قهوة البن التي يسميها الكياوون (كافيين) والمادة المؤثرة في الشاي التي يسمونها (شايين) والمادة المؤثرة في التبغ (الدخان) التي يسمونها (نيكوتين) اذا وضعت في شراب آخر أو في طعام يصير له مثل تأثير القهوة والشاي والتبغ ولا يسمى بأسمائها . وكل ما يترتب على ذلك من الحكم الشرعي ان الشراب الذي يوضع فيه من الكحول ما يجعله مسكراً يحرم شربه لاسكاره ، ويدخل عندنا في عموم الخمر وان وضع له اسم آخر خلافاً للحنفية ومن على رأيهم من اللغويين وغيرهم فلا يعدونه منها لغة ولا حكماً من كل وجه

والقائلون بنجاسة الخمر لم يعالوا حكمهم بان فيها مادة نجسة هي علة نجاستها ولم يكونوا يعلمون بوجود هذه المادة فيها حتى نفرع على قولهم ان كل ما توجد فيه يكون نجسا، وان كان في الواقع ونفس الامر طيبا وطهورا، بل أقوى مزيل للنجاسات ومطهر للاشياء، فان هذا قلب للحقائق، وانما أرادوا فيما يظهر المبالغة في اجتنابها والبعد عن مظان استعمالها في غير الشرب لئلا يكون ذريعة له. ألا ترى أن الحنفية جعلوا مسألة النجاسة فيها تابعة لقوة الدليل على تحريم شربها، فقالوا: ان نجاسة خمر العنب مغلظة لانها هي المحرمة عندهم بالنص القطعي، وأما سائر المسكرات فقليل طاهرة وقليل نجسة نجاسة مغلظة وقليل مخففة، والمعروف بالقطع الآن أن الكحول في الاشربة التي تسمى الروحية كالعرقى والكونياك والوسكي أكثر منه في خمرة العنب المسماة بالنبيذ، ولو كانت النجاسة تابعة لمقدار الكحول لوجب أن تكون نجاسة المسكرات المقطرة المسماة بالروحية أغلظ من نجاسة خمر العنب. ثم ألا ترى أن الشافعية ذكروا قولا بطهارة الخمر المحترمة وهم أشد الفقهاء تدقيقا وتشديدا في مسائل النجاسة

ثم ان جعل مادة الكحول هي النجسة بنفسها والعلة لنجاسة ما توجد أو أو تكثرفيه يقتضي الحكم بنجاسة المعجين المختمر ونقيع التمر والزبيب ولا سيما إذا أتى عليه يومان أو ثلاثة وكان ذلك في بلاد حارة كالبحر والهند وهو كالعجين المختمر طاهر بالاجماع، وكذا كل ما يوجد فيه من فاكهة ونبات، ولو جب تطهير اليد والسكين اذا قشر بها الليمون والبرتقال.

فعلم من هذا ومن الملحق الفتى الذي سنؤيده به أن ما ذكر في الفتوى الهندية في بيان حقيقة الخمر والكحول مترجما عن الانكليزية قاصر

وخلاصة القول أن الكحول مادة طاهرة مطهرة وركن من اركان الصيدلة والعلاج الطبي والصناعات الكثيرة وتدخل فيما لا يحصى من الادوية، وأن تحريم استعمالها على المسلمين يحول دون اتقانهم لعلوم وفنون وأعمال كثيرة هي من أعظم أسباب تفوق الافرنج عليهم كالكيمياء والصيدلة والطب والعلاج والصناعة، وان

تحريم استعمالها في ذلك قد يكون سببا لموت كثير من المرضى والمجر وحين أو لطول مرضهم وزيادة آلامهم في احوال كثيرة ولا سيما حال الحرب . واني أذكر مادة واحدة من مستحضرات الكحول منبها إلى بعض منافعها ليقاس عليها غيرها وهي (صبغة اليود) فهذه الصبغة من المنافع الكثيرة التي لا تشوبها أدنى مضرة ما يكفي لعد تحريم استعمالها من أعظم الجبايات على المسلمين ، فهي على كونها من المطهرات الطبية للجروح المانعة من عروض الفساد لها الذي ربما يفضي إلى قطعها تستعمل علاجا واسعا في أمراض متعددة ، وقد كانت والدتي أصيبت برثية حادة (روماتزم) عجزت بها عن المشي والصلاة واقفة فعالجها الدكتور شرف الدين بك الطبيب التركي المشهور بصبغة اليود دهنا وشربا بوضع خمس نقط في نصف كوب من الماء تشربه قبل الطعام وأذن لها أن تزيد عدد النقط إلى عشر فشفيت حتى تمكنت من أداء فريضة الحج بغير مشقة ، وعالج به غلاما عندنا أصيب بالحمى التيفوئية فشفي بإذن الله . وكثيرا ما يعمل الاطفال عندنا في الليل حتى يحرمونا النوم فاذا دهنا صدر الطفل بصبغة اليود مخففة بالكحول أو بعض أعطاره كالكلونيا سكن السعال في الحال

فمن ذا الذي يقول: إن دين الفطرة والخيرية السمحة ، الذي من أهم أصوله القطعية بالنص اليسر ورفع الحرج ، — يحرم على المسلمين جميع منافع هذه المادة الكثيرة بدعوى مكابرة للحس هي جعلها نجسة وتسمية طيها اقذرا ، ودهانها للخشب المانع من امتصاصه للوساخة والجاءل له في منتهى الجمال والنظافة رجسا تنزه عنه المساجد كالبول؟ ابهذا يصدق علينا قول نبينا (ص) اننا بعثنا ميسرين ، ونكون ممثلين لامره « يسروا ولا تعسروا » ؟

اني لو ذهبت أعد ما أعلم من منافع الكحول في الطب والصناعة لعددت عشرات منها وان ما أعلمه من ذلك دون ما يعلمه الاطباء والكيميائيون ، فتحريم هذه المنافع الكثيرة على المسلمين بمثابة أن يقول محرموها في كل منها إن الله تعالى خاطبنا بما يقتضي تركه اقضاء جازما ، وانه مما يعذب الله المسلمين على فعله ، ويثيبهم على تركه ، والشبهة على ذلك أن فيه مادة أدام اجتهادهم إلى أنها من الاقدار التي يجب

التنزه عنها لاجل أن يكون المسلم طاهراً نظيفاً، وإن كانوا يؤمنون بأعينهم أنها طهور من زيل
للتنجاسة، على أنها تنبخر — أو تطير كما يقول العامة عندنا -- إذا عرضت للهواء فلا تبقى في
نحو الثوب واللائء وذلك أنها مركبة من عنصري الماء (والأكسجين والادروجين)
وغاز الكربون فعينها تزول البتة دون النجاسات التي يقول الحنفية أن ما تنجس بها
يطهر بالهواء والشمس ؟

فيا أيها المفتون بنجاسة الكحول وتحريم استعمال كل ما يدخل فيه من أدوية
وأصباغ وأدهان وأعطار، وقد اشتدت حاجة البشر إليها في هذه الأعصار، انكم
تحرمون منافع ثبت ثبوتها قطعياً أن بعضها صار من الضروريات، وسائرهما من الحاجيات
أو من الكماليات، بحيث يجزم العالم بأصول الشرع أنها في جملتها من فرائض
الكفایات، وقد عمت بها النعمى، ولا أقول عمت بها البلوى، وإن مثلكم في القول
بإمكان الاستغناء عنها كلها في هذا العصر بدليل الاستغناء عنها فيما قبله، كمثل
من يقول بإمكان استغناء المسلمين عن أسلحة هذا العصر في الدفاع عن حقيقتهم،
كما استغنى عنها من قبلهم ؟ فاتقوا الله واءملوا أن هذه التشديدات التي ما أنزل
الله بها من سلطان، المخالفة للحقائق الثابتة بالحس والعقل والوجدان، قد نفرت
الكثيرين من أهل هذا العصر عن الاسلام، وجعلته من أشد الحرج والاعنات،
حتى صار بعض حكمهم يرون أنهم مضطرون الى ترك شريعته، واتباع قوانين الافرنج
لتكون لهم دولة عزيزة، وامة راقية محترمة، (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
وليسكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم اعلكم تشكرون)

فاذا ظهر لكم بما شرحناه أن فتواكم كانت غلطاً فإن مما يعلي قدركم عند
الله وعبد الناس أن تصرحوا بذلك وترجعوا الى الحق وتعلنوه للناس كما كان
يفعل سلفنا الصالحون (رض) فقد صرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على
المنبر بأن ما كان عزم عليه من تحديد مهور النساء خطأ، وإن المرأة التي راجعته
فيه هي التي أصابت . وإن ظهر لكم انه خطأ فردوا ما أدلينا به من الحجج وانشروا
فتوانا على الناس كما نشرنا فتواكم، ايحكم سائر المسلمين بيننا وبينكم، ونحن مستعدون

لرد ما نراه خطأً واتباع ما نراه صواباً (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

(تنبيه) أخرنا طبع هذه الكراسة أكثر من شهر حتى طبع كل ما بعدها انتظاراً للملحق الفني الذي أشرنا إليه فيها فتأخر من وعدنا بكتابته لنا حتى اضطررنا إلى أرجائه إلى الجزء التالي

﴿ عطوف آل رضا ﴾ أنعم الله تعالى على صاحب هذه المجلة بينت كاملة الخلق ولدت له قبل فجر ٢٩ من هذا الشهر سماها عطوفاً فنسأله تعالى أن يجعلها قرعة عين

المعاهدة العراقية البريطانية

كتبنا في آخر الجزء السادس كلمة عن العراق ومصر وتشابه السياسة البريطانية فيها ، ذكرنا فيها ما أكثر الحديث فيه من وضع الانكليز مشروع معاهدة تمقدها مع حكومة العراق لا يذكر فيها الانتداب الذي صار لفظه ممقوتاً عند العراقيين كلفظ الحماية عند المصريين وغيرها — ولكنها تضمن لهم كل ما يرغبونه في العراق من سلطة ومنفعة ، وذكرنا أن العراقيين لا يخدمون بالالفاظ والمظاهر دون الحقائق ، وذكرنا بأن ما يعطونه للانكليز بالمعاهدة اذا كان مخلا بالاستقلال المطلق من كل قيد فتقييده بالانتداب أقل خطراً من جعل الانكليز مطلقي التصرف فيه . . .

وقد أعلنت بعد ذلك هذه المعاهدة مؤلفة من ١٨ مادة موقفاً عليها من المندوب البريطاني ومن رئيس وزارة العراق عن حكومتها بل ملكيها ، فاذا هي صك لاستعباد الدولة البريطانية للعراق ، فالمادة الاولى منها نص في تعهد ملك الانكليز لملك العراق بناء على طلبه بما يقتضي لدولته من المشورة والمساعدة بدون أن يمس ذلك بسياستها الوطنية . . . وقد عرفنا معنى المشورة في مصر فاذا هي سلب السلطة كلها من الحكومة الوطنية وجعلها كالألة ، وعرفنا معنى المساعدة في السودان فدفع الانكليز ٨٠٠ ألف جنيه مساعدة على فتحه يدعون بها الآن امتلاك السودان كله إلى الأبد

والمادة الثانية هذا نصها « يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدة

هذه المعاهدة موظفاً ما في العراق من تابعة غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ادارة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية» وهذه المادة أظهر المواد في اثبات سوء نية الانكليز وكون الاستقلال لفظياً مجرداً من كل معنى — والا فلماذا يمنع ملك الانكليز ملك العراق أن يوظف من شاء وشاءت حكومته من سوري أو مصري أو غيرهما من الشعوب العربية في هذه البلاد العربية بدون موافقتهم؟

والمادة الثالثة فيما يفترض على حكومة العراق في قانونها الاساسي من اعتبار « حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان في العراق ويكفل لهم حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع أشكال العبادة وان لا يكون أدنى تمييز لبعضهم على بعض بسبب الجنس أو الدين أو اللغة » الخ والمعنى أن لا يكون للوطنيين أدنى امتياز في شيء ما من أمور الوطن والحكومة على أي أجنبي شرقي أو غربي في حق ولا مصلحة ولا رغبة .. (١) وسيعلم العراقيون ما وراء هذه الدسائس من الصغار والهوان لهم في وطنهم اذا خانت الجمعية الوطنية بلدها فصدمت على هذه المعاهدة

والمادة الرابعة في التزام ملك العراق قبول ما يقدمه له ملك الانكليز من المشورة بواسطة المعتمد السامي في جميع الشؤون المهمة المتعلقة بالتعهدات والمصالح الدولية والمالية لثاني — وأن يستشير المعتمد السامي الاستشارة التامة في كل ما يتعلق بالامور المالية والسياسية؟ والمعنى أنه غير مستقل في شيء من ذلك والمادة الخامسة في حق ملك العراق في التمثيل السياسي في لندن وغيرها مقيداً « بما يتم عليه الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين » وبأن يكون العراقيون تحت حماية ملك بريطانيا في كل مكان لا يمثل لملكهم فيه (٢)

والمادة السادسة في تعهد ملك بريطانيا بادخال العراق في جمعية الامم . وهذه المادة هي التي يظن بعض الجاهلين أنها المنة الوحيدة على العراق وليس كذلك والمادة الثامنة في الحظر على حكومة العراق أن تبيع أو تهب أو تؤجر شيئاً من أرض العراق الى دولة أجنبية — وهذا المادة أهم المواد عند الانكليز فانهم لم يعطوا العراق الاستقلال اللفظي الا لاجل أن يمنعوا الدول القوية كالولايات المتحدة أن تشاركهم في بترول البلاد او غيره من مواردها (لها بقية)

﴿الشفاعة الشرعية والتوسل الى الله﴾

بالاعمال ، وبالذوات والاشخاص

تابع لما قبله من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

وسئل أيضاً رحمه الله تعالى هل يجوز للانسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا ؟

﴿فأجاب﴾

الحمد لله — أجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد ان يسأله الناس ذلك وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكباثر من أمته ويشفع أيضاً لعموم الخلق وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا ان شفاعته انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات . ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً

وأجمع أهل العلم على ان الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته ، ويتوسلون بمحضرة ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا — فيسقون وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ربما ذكرت قول الشاعر وانا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فالاستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا . وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجذب الناس في الشام استسقى يزيد بن الاسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال : اللهم انا نستشفع ونتوسل اليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك ، فرفع (يديه) (المنار : ج ٩) (٨٦) (المجلد الثالث والعشرون)

ودعا الناس حتى سقوا ، ولهذا قال العلماء يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح، وإذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن ، وفي سنن أبي داود وغيره أن رجلاً قال: انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى روي ذلك في وجوه أصحابه فقال « ويحك أتدري ما الله؟ ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك » فأنكر عليه قوله: انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله — لان الشفيع يسأل المشفوع اليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحداً من عباده أن يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله

شفيعي اليك الله لا رب غيره وليس الى رد الشفيع سبيل
فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم. وكذلك بعض الاتحادية ذكر انه استشفع بالله الى رسوله وكلاهما خطأ وضلال . بل هو سبحانه المستول المدعو الذي (يسأله من في السموات والارض) والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به الى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم ، وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها^(١) أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الامة أنه يجوز أن يشفع لاهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة انه لا يشفع لاهل الكبائر لان الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها. ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الايمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من ايمان أو مثقال ذرة .

والاستشفاع به وبغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الاقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره. فاما في معنيه أو بعد موته فلاقسام به على الله والسؤال

بذاته لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين^(١) بل عمر بن الخطاب ومعاوية ومن كان يحضرهما من الصحابة والتابعين لما أجذبوا استسقوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الاسود رضي الله عنهما ولم ينقل عنهم انهم في هذه الحالة استشفعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا غيره فلم يقسموا بالخلق على الله عز وجل ولا سأله بمخلوق نبي ولا غيره بل عدلوا الى خيارهم كالعباس وكيزيد بن الاسود، وكانوا يصلون عليه في دعائهم، روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: انا نتوسل اليك بعم نبينا. فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تعذر عليهم أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه

وقد كان من الممكن أن يأتوا الى قبره فيتوسلوا به ويقولوا^(٢) في دعائهم في الصحراء: نسألك ونقسم عليك بأنبيائك أو بنيك أو بجاههم ونحو ذلك. ولا نقل عنهم^(٣) انهم تشفعوا عند قبره ولا في دعائهم في الصحراء. وقد قال صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثنا. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه الامام مالك في الموطأ وغيره وفي سنن أبي داود أنه قال «لا تتخذوا قبري عيداً» وقال «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قال ذلك في مرض موته يحذر ما فعلوا: وقال «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»

وقد روى الترمذي حديثاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه علم رجلاً

(١) عبارته في كتابه التوسل والوسيلة الذي اختصرت منه هذه الفتوى هكذا (فاما التوسل بذاته في حضوره أو في غيبه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين

(٢) كذا في النسخة التي طبعنا عنها واصل الاصل: أو يقولوا الخ أي في حال البعد عن القبر (٣) هكذا ذكر النفي هنا (بلا) معطوفاً وهو يقتضي المقابل واصل الاصل: ولكن لم ينقل عنهم أنهم توسلوا بذاته ولا نقل عنهم الخ وهذا الواقع الذي صرح به في عدة مواضع من كتبه ورسائله

أن يدعو فيقول « اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » وروى النسائي نحوه هذا الدعاء . وفي الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضرب بالبصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال « ان شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعاه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه بنبيك نبي الرحمة يا رسول الله اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم فشفعه في . قال الترمذي حديث حسن صحيح " ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ان أعمى قال يا رسول الله : ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري . قال « فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أتوجه بك الى ربي أن يكشف عن بصري ، اللهم فشفعه في » قال فدعا وقد كشف الله عن بصره فهذا الحديث فيه التوسل الى الله به في الدعاء . ومن الناس من يقول : هذا يقتضي جواز التوسل بذاته مطلقا حيا وميتا ومنهم من يقول : هذه قضية عين وليس فيها الا التوسل بدعائه وشفاعته لا التوسل بذاته ، كما ذكر عمر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسلون به اذا أجذبوا ثم إنهم بعد موته انما توسلوا بغيره . ^١ لا عنه فلو كان التوسل به حيا وميتا مشروعا لم يميلوا عنه وهو أفضل الخلق واكثرهم على ربه ، الى غيره ممن ليس مثله ، فعدوهم عن هذا الى هذا مع أنهم انما بقون الاولون وهم أعلم منا بالله ورسوله وبحقوق الله ورسوله وما يشرع من الدعاء وما ينفع ، وما لا يشرع ولا ينفع ، وما يكون أنفع من غيره وهم في وقت ضرورة ومحنة يطالبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ،

(١) هو حديث غريب كما صرح الترمذي انفراد به ابو جعفر قال هو غير الخطمي ، وظاهر صنيع تهذيب التهذيب تبعا لاصله انه مجهول فانه وضع له عددا خاصا ولم يزد على ما قاله فيه الترمذي انه غير الخطمي والا فهو عيسى بن الرازي التيمي ولكن هذا ضعيف حتى قال ابن حبان ينفرد عن المشاهير بالناكير او محمد ابن ابراهيم المؤذن وليس بالقوي ، وللترمذي تساهل في التصحيح ، ومتن الحديث شاذ أيضا الا أن يفسر التوجه به بدعائه وهو متعين كما يعلم مما فصله المؤلف

وانزال الغيث، بكل طريق، دليل على أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه، ولهذا ذكر الفقهاء في كتبهم في الاستسقاء ما فعلوه دون ما تركوه. وذلك أن التوسل به حياهو الطالب لدعائه وشفاعته، وهو من جنس مسأله أن يدعو، فإزال المسلمون يسألونه أن يدعو لهم في حياته، وأما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون منه ذلك لا عند قبره ولا عند غيره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين (١) وإن كان قد روي في ذلك حكايات مكذوبة عن بعض المتأخرين، بل طلب الدعاء مشروع لكل مؤمن من كل مؤمن، فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب لما استأذنه في العمرة « لا تنسنا يا أخي من دعائك » حتى إنه أمر عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له، مع أن عمر رضي الله عنه أفضل من أويس بكثير، وقد أمر أمته أن يسألوا الله له الوسيلة وإن يصلوا عليه

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يدعو ل أخيه في ظهر الغيب بدعوة إلا وكل الله به مائة ألف ملكا كما دعا ل أخيه بدعوة قال الموكل به آمين ولك مثل ذلك » (٢) فالطالب للدعاء من غيره نوعان أحدهما أن يكون سؤاله على وجه الحاجة إليه فهذا بمنزلة أن يسأل الناس قضاء حوائجهم. والثاني أنه يطلب منه الدعاء لينتفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فينتفع الله بهذا وهذا بذلك الدعاء كمن يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسأله، فطالب الدعاء منه جائز كمن يطلب منه الإعانة بما يقدر (عليه) فإما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز أن يطلب إلا من الله، لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من غيرهم، لا يجوز أن يقول لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه

« ١ » يزعم بعض الناس في زماننا أنه لا فرق في طلب الدعاء والشفاعة منه « ص » بين حالي الحياة والمات لأنه حي في قبره . وكانهم يدعون أنهم أعلم من الصحابة وسائر أئمة السلف بذلك فالصحابة رضي الله عنهم فرقوا بين الحالين وإن شئت قلت بين الحياتين ، والامور التعبدية لا تشرع بالعقل ولا بالقياس

(٢) الحديث في صحيح مسلم بمعنى ما ذكر من حديث أبي الدرداء بثلاثة الفاظ ليس هذا منها فهو مذكور بالمعنى ورواه أبو داود أيضا

أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين. فقال الصديق رضي الله عنه: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاؤا إليه فقال «انه لا يستغاث بي بما يستغاث بالله» وهذا في الاستغاثة مثل ذلك فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب ولهذا قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وفي دعاء موسى عليه الصلاة والسلام: وبك المستغاث. وقال أبو يزيد البسطامي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وقد قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) الآية فبين أن من اتخذ النبيين أو الملائكة أو غيرهم أربابا فهو كافر. وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) — الى قوله — ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى عن صاحب ياسين (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) أتأخذون من دونه آية؟ لا يبيد الله من دونه شيئا ولا ينقذون) الآية وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة الا لمن أذن له) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)

فالشفاعة نوعان أحدها الشفاعة التي أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الامة. وضلالهم وهي شرك

والثانية أن يشفع الشفيع بأن المشفع الله التي أثبتها الله ^(٢) لعباده الصالحين

(١) بل هما آيتان والشاهد في الثانية أظهر وهي قوله تعالى (ولا يأمرم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا، أيا أمركم بالكفر بعد اذ اتمم مسلمون)

«٢» لعل اصل العبارة: والثانية أن يشفع الشفيع باذن المشفع (بكسر الفاء) وهو الله تعالى، وهي الشفاعة التي أثبتها الله الخ

ولهذا كان سيد الشفعاء اذا طالب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتي ويسجد تحت العرش قال «فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لأحسنها الآن فيقال: أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع» فاذا أذن الله في الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه. قال أصحاب هذا القول فلا يجوز أن يشرع ذلك في معييه وبعد موته، وهو معنى الاقسام به على الله والسؤال بذاته، فان الصحابة رضي الله عنهم قد فرقوا بين الامرين، فان في حياته صلى الله عليه وسلم ليس في ذلك محذور ولا مفسدة، فان أحداً من الانبياء لم يُعبد في حياته بحضوره فانه ينهى أن يشرك به ولو كان شركاً أصغر، كما ان من سجد له نهاه عن السجود له، وكما قال «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد» وأمثال ذلك

وأما بعد موته فيخاف الفتنة والاشراك به كما أشرك بالمسيح والعزير وغيرهما ولهذا كانت الصلاة في حياته مشروعة عند قبره منهيها عنها والصلاة خلفه في المسجد مشروعة ان لم يكن المصلي ملاقاته والصلاة الى قبره منهيها عنها^(١) فعن أصلان عظيمان (أحدهما) انه لا يعبد الا الله (والثاني) أن لا يعبد الا بما شرع لا بعبادة مبتدعة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» فلا ينبغي لأحد أن يخرج عما مضت به السنة، وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الامة، وما

(١) هذه العبارة كلها قد حرفها الناسخ ولم نجد لها أصلاً في كتاب التوسل والوسيلة نصحيحها عليه والذي يعلم من القرائن بمعونة الاحاديث الواردة في النهي عن الصلاة في القبور واليهما والنهي عن اتخاذ قبره وثناً يعبد واتخاذ عيدا — ان الصلاة خلفه (ص) أو بالقرب منه في حياته لم يكن يخشى أن يقصد بها تعظيمه بها فتكون اشراً كالأنها غير خالصة لله تعالى، وأما الصلاة الى قبره وتعظيمه بعد وفاته واتخاذ عيدا فيخشى منه ذلك ولذلك نهى عنه

علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه (ولا تقف ما ليس لك به علم) ولا تقل على الله ما لا تعلمه

وقد اتفق العلماء على انه لا ينعقد اليمين بغير الله ولو حلف بالكعبة أو باللائكة أو بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لم تنعقد يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه إمامه نهي تحريم وإما نهي تنزيه فان للعلماء في ذلك قولين والصحيح أنه نهي تحريم ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت »

وفي الترمذي عنه أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ولم يقل أحد من العلماء انه ينعقد اليمين بأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان عن أحمد في انعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتين لكن الذي عليه الجمهور كمالك والشافعي وأبي حنيفة انه لا ينعقد اليمين به كاحدى الروايتين عن أحمد وهذا هو الصحيح، ولا يستعاذ أيضا بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته ولهذا احتج على ان كلام الله غير مخلوق بقوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » فقد استعاذ بها والمخلوق لا يستعاذ به. وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا بأس بالرقى ما لم يكن شركا » كالتى فيها استعانة بالجن كما قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وهذا مثل العزائم والاقسام التى يقسم بها على الجن وقد نهى عن كل قسم وعزيمة لا يعرف معناها بحيث أن يكون فيهما ما لا يجوز من سؤال غيره .

فسائل الله بغير الله اما أن يكون مقسماعليه واما أن يكون طالبا بذلك السبب كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم، وكما يتوسل بدعاء الانبياء والصالحين. فان كان إقساماً على الله بغيره فهذا لا يجوز. وان كان طالبا من الله بذلك السبب كالطلب منه بدعاء الصالحين والاعمال الصالحة فهذا يصح لان دعاء الصالحين سبب لحصول مطلوبنا الذى دعوا به، وكذلك الاعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا. فاذا توسلنا بذلك كنا متوسلين اليه بوسيلة تبقى عنده . واما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال

الصالح^(١) ولا ريب ان لهم عند الله من المنازل أمراً يعود نفعه عليهم ونحن ننتفع من ذلك باتباعنا لهم، ومحبتنا لهم، وبدعائهم لنا، فاذا توسلنا الى الله باماننا بنبيه ومحبته وموالاته واتباع سنته ونحو ذلك فهذا من أعظم الوسائل، وأما نفس ذاته مع عدم الايمان به، و(عدم) طاعته وعدم دعائه اياه، فلا يجوز. فالتوسل اذا لم يتوسل لابما من المتوسل به ولا بما منه ولا بما من الله فبأي شيء يتوسل؟^(٢) والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك مثل أن يقال لابي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان (واما) أن يسأل كما يقال بحياة ولدك فلان وبترية أهلك فلان وبحرمة شيخك فلان ونحو ذلك. وقد علم ان الاقسام على الله بغير الله لا يجوز بل لا يجوز أن يقسم بمخلوق على الله أصلاً. وأما حديث الأعمى فإنه طلب من النبي أن يدعو له كما طلب الصحابة رضي الله عنهم الاستسقاء منه صلى الله عليه وسلم وقوله «أتوجه اليك بنبيك محمد» أي بدعائه وشفاعته لي، ولهذا في تمام الحديث: فشفعه في. فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه. وقد قال تعالى (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فعلى قراءة الجمهور^(٣) انما يتساءلون بالله وحده لا بالرحم، وتساؤلهم بالله متضمن إقسام بعضهم على بعض بالله وتعاهدهم بالله. واما على قراءة الخفض فقد قالت طائفة من السلف: هو قولك أسألك بالله وبالرحم فمعنى قولك أسألك بالرحم ليس اقساماً بالرحم فإنه

(١) سقط من هذا الموضع جواب اما من نسختنا مع شيء من شرطها والمعنى ظاهر ومثله في كتبه الاخرى وامل الاصل: وأما اذا لم نتوسل بدعائهم ولا بالاعمال الصالحة التي نفعلها اقتداء بهم بل توسلنا اليه وسألناه بذواتهم أو جاههم عنده - كئنا متوسلين اليه بأمر أجنبي ليس سبباً لاجابة سؤالنا الخ
(٢) أي اذا لم يتوسل بما هو من المتوسل به كدعائه له - ولا بما هو منه هو كعمله الصالح وامنائه ولا بما هو من الله تعالى كسؤاله بفضله ورحمته وما أوجبه على نفسه فبأي شيء يتوسل والوسيلة - وهي القربة الى الله - محصورة في هذه الثلاث التي هي أسباب اجابة السؤال والعطاء دون ذوات الانبياء والصالحين وصفاتهم وجاههم اذ هي ليست من اعمالنا ولا من اعمالهم لنا (٣) هي نصب الارحام

القسم بها لا يشرع لكن بسبب الرحمة أي ان الرحمة توجب لأصحابها بعضهم على بعض حقوقاً كسؤال (أصحاب الغار) الثلاثة لله عز وجل بأعمالهم الصالحة ومن هذا — الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الخارج الى الصلاة « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فاني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة » فهذا الحديث (عن) عطية العوفي وفيه ضعف^(١) فان كان هذا كلام النبي الله عليه وسلم فهو من هذا الباب لوجهين أحدهما أن فيه السؤال لله بحق السائلين عليه، وبحق الماشين في طاعته، وبحق السائلين أن يجيبهم، وبحق الماشين أن يشيهم، وهذا حق أحقه على نفسه سبحانه وتفضل به، وليس المخلوق أن يوجب على الخالق شيئاً ومنه قوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن) . وفي الصحيح من حديث معاذ « حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه ان فعلوا ذلك أن لا يعذبهم » فحق السائلين ، والعابدين له هو الإثابة والاجابة فذلك سؤال له في أفعاله كاستعاذه وقوله « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك » فالاستعاذه بالمعافاة التي هي فعله كالسؤال بإثابته التي هي فعله . وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقول « يا عبدي انما هي اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي » فالتى هي لي تعبدني لا تشرك بي شيئاً والتي هي لك اجزيك به أحوج ما تكون اليه . والتي بيني وبينك — منك الدعاء وعلى الاجابة ، والتي بينك وبين خلقي فأنت الى الناس ما تحب أن يأتوه اليك » وتقسيمه في الحديث الى قوله واحدة لي وواحدة لك هو مثل تقسيمه في حديث الفاتحة بحيث يقول الله

(١) بل قال في مجمع الزوائد ان اسناده مسلسل بالضعفاء — لكن رواه ابن

خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده

تعالى « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي ولعبدي ما سأل » والعبد يعود عليه نفع النصفين والله تعالى يحب النصفين لكن هو سبحانه يحب أن يعبد . وما يعطيه العبد من الاعانة والهداية هو وسيلة الى ذلك فانما يحبه لكونه طريقا الى عبادته ، والعبد يطلب ما يحتاج اليه أولا وهو محتاج الى الاعانة على العبادة والهداية الى الصراط المستقيم وبذلك يصل الى العبادة الى غير ذلك مما يطول الكلام فيما يتعلق بذلك و ايس هذا موضعه وان كنا خرجنا عن المراد (للفتوى بقية)

الخلافة الاسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحمد زعماء النهضة الهندية	أحمد تلاميد دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	الشيخ عبد الرزاق
صاحب مجلة الهلال الهندية	المليح آبادي
	محرر جريدة (بيغام) الهندية

فصل

واقعة الامام الحسين عليه السلام

ولمعترض أن يقول لو كانت طاعة الخليفة واجبة في كل حالة كما ذكرت ، لما خرج الامام الحسين على خلافة يزيد بن معاوية ، ولما عدته الامة محقا وشهيدا مظلوما —

والجواب على هذا أن الامام لم يحارب أهل الشام في ذلك الحين الذي كان يدعي الامامة لنفسه ولطلب الخلافة دون يزيد والذي يعتقد غير هذا فكأنه لم يطلع على واقعة كربلاء كما ينبغي . ويجب أن يفرق الناس بين الحالتين حالة خروجه من المدينة وحالة قتله بكربلاء ، فانهما مختلفتان اختلافا كليا ولهما حكان مختلفتان في الشريعة —

فالحالة التي كانت عند خروجه من المدينة أن حكومة يزيد لم تكن تمكنت بعد ، ولم تتم بيعته بالخلافة في المراكز الاسلامية المهمة والعواصم والقصبات ، ولا اجتمع عليه أهل الحل والعقد من المسلمين ، لان صوت أهل المدينة كان من الاول أقوى الاصوات في مسألة الخلافة لكونهم كانوا في العاصمة الاسلامية وفيهم أهل الحل والعقد — ثم لما انتقلت العاصمة في زمن علي عليه السلام الى الكوفة ، أصبح للكوفة شأن عظيم في السياسة ، فلما خرج الامام كانت المدينة غير متفقة على يزيد ، أما الكوفة فجميع أهلها كانوا ضده ، وكانوا يلحون على الامام أن يقوم للخلافة ويأخذ بيعتهم عليها ، فالحسين عليه السلام لا حرص على الخلافة ولا خرج على الامام ، بل قام في الحين الذي توفي خليفة المسلمين فيه وخلا محله ، ولم يتمكن أحد في مقامه تمام التمكن ، مجيبا لطلب الجهم الفقير من المسلمين الذين كانوا في المراكز المهمة — مثل أهل الكوفة والعراق — ولا ريب أنه كان يراعي في قيامه مصلحة كبيرة أخرى أيضا وهي صون الامة من مثل يزيد وخلافته —

وان قيل: إن معاوية كان عهد بالولاية اليه فما كان يجوز للامام أن يخرج عليه ، فجوابه ان الشريعة لا تعتبر عهد الاب الى ابنه بالخلافة شيئا — ولذلك لما ألح معاوية على عبد الله بن عمر (رض) بأن يبايع يزيد ، قال « لا أبايع لاميرين » (رواه ابن حبان ونقله في الفتح)

وان سلمنا جدلا أن هذا العهد معتبر وصحيح ، فلا يعتد به مالم تتمكن الحكومة ، اذ الشرط الجوهرى للخلافة كما علمت انعقاد الحكومة فمن انعقدت حكومته ، فقد صحت خلافته والا فلا —

فهذه الحالة كانت عند خروجه من المدينة ؛ ولكن تغيرت عند وصوله الكوفة ، لان أهلها بايعوا يزيد على يد ابن زياد ، وقلبوا للامام ظهر المجن ، كما فعلوا مع أبيه من قبل — فلما رأى عليه السلام أن الناس دخلوا في طاعة يزيد وتمكنت حكومته ، أقلم عن المطالبة بالخلافة وعزم على أن يعود الى المدينة — الا أن ابن سعد وجيشه لم يسمح له بذلك بل حاصره وحاول أسره وأهله وحرمه — فقال لهم الامام خلوا سبيلي لاذهب الى دمشق فاخطب يزيد في شأني — ولكن الظالمين أبوا الا اسره —

فلم يكن للامام حينئذ الا طريقان : اما أن يسلم نفسه واهله الى هؤلاء الطغاة ، واما ان يستشهد بطلا مغوارا ، والشريعة لم تجبر أحدا على أن لا يدافع عن نفسه ويدعها اكلة للآكلين فاختر عليه السلام الطريق الثاني بالشجاعة الهاشمية وكمال العزيمة واستشهد مظلوما !

فتأمل في هذه الحالة ، فانها غير ما كانت عند خروجه من المدينة ، فانه اذ ذاك كان مطالبا بالخلافة — اما في كربلاء فلم يكن مدعيا لها ولا محاربا لاجلها ، بل كان معصوما ، طاهرا زكيا ، وقع في مخالب الظلمة الاشقياء الذين لا يعرفون الحق ولا الانسانية ، فأبت نفسه الابية ان تخضع لهم وتذل امامهم ، فقام وجهها لوجه يدافع عن شرفه وناموسه فقتل ظلما وعدوانا وبغير حق — ومن العجيب ان الناس من قرون يخطئون في فهم هذه الواقعة ، مع انها واضحة — ومن اراد التوسع فعليه « بمنهاج السنة » ج ٢ لشيخ الاسلام ابن تيمية —

فصل

شرط القرشية

قد علمت مما مر أن الخليفة اذا انتخب فله شروط ، وقد ظل العلماء الى زمن طويل يحسبون منها القرشية أيضا ، أي إن الخليفة مع سائر الشروط يجب أن يكون قرشياً ، والا لا تصح خلافته — هذا في صورة الانتخاب أما اذا استولى عليها مستول ، فلا ينظر فيه الى شرط ما الا الاسلام والعقائد حكومته — ولا خلاف في أنه لم توجد بعد الخلافة الراشدة خلافة جامعة لسائر الشروط ، لخلافة بني أمية وبني العباس ان كانت قرشية ، فقد كانت فاقدة لشروط أخرى كثيرة ، سما الشرط الاساسي لها ، وهو أن تكون بانتخاب الامة ، لا بالسيف والدم — وهذا الشرط لم يوجد في أي خلافة ، بعد الخلافة الراشدة^(١) — ثم بعد هذا الشرط يشترط أن يكون الخليفة عادلا ، غير مستبد يحكم برأيه ، بالشورى ويسير على كتاب الله وسنة رسول الله وسنة

(١) هذا مبالغة والواقع ان بدء خلافتهم كان بالقوة لا خلافة كل فرد منهما

الخلفاء الراشدين ، ومعلوم أنه لم يكن أحد من الخلفاء هكذا غير عمر بن عبد العزيز (رض) ^(١) وقد استولى الأعاجم على الحكومة بعد العباسيين ، ثم انتقلت الخلافة من العباسيين الذين كانوا بمصر الى الترك والعثمانيين ، فهي فيهم من ذلك الحين الى الآن بلا نزاع ، وقد اجتمعت الامة الاسلامية على طاعة هذه الخلافة العثمانية ^(٢) وتحسب السلاطين العثمانيين خلفاء من قرون عديدة ، فان كان خلفاء بني أمية وبني العباس فاقدين لخمسة شروط مثلاً ، فنفرض الخلفاء العثمانيين فاقدين لسبعة شروط ، فاذا لم يضر بالاولين فقدان هذه الشروط ، فكيف يضر بالآخرين ؟ فان كان العثمانيون ليسوا من العرب ولا قريش ، فلا يقدح به في خلافتهم لان المسئلة هنا ليست مسئلة انتخاب الخليفة حتى ينظر في شروطه ، وانما الذي يهم في هذه الصورة هو أن يقوم قائم بالخلافة والحكومة الاسلامية ، لئلا يضطرب أمر الامة ، ويصبح فوضى ، فلذا لا أهمية لشروط الخلافة ههنا وجدت أو لم توجد

ومن شروط الخلافة المتفق عليها الحرية ، أي يجب في الخليفة أن يكون حراً لا عبداً ، ولكن العبد اذا تغلب بشوكته وقوته وقامت حكومته ، فلا خلاف في أن طاعته واجبة ، ولا يوجد مثال في تاريخ الامم بأسرها الا في الامة الاسلامية ، أن العبيد صاروا فيها أئمة وملوكا وقوادا ، وخضع لهم المسلمون من العرب والعجم بلا عذر ولا انكار — والاحاديث النبوية أكبر شاهد على ذلك — فقال النبي (ص) « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة » وفي رواية مسلم عن أبي ذر « وان كان عبداً مجذع الاطراف » وفي رواية ابن حصين « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا له » والنواوي يقول في شرحه والمراد أخس العبيد اسمع وأطع وان كان ذلياً النسب ، حتى لو كان عبداً أسود مقطوع الاطراف ، فطاعته واجبة ، ويتصور اماره العبد اذا ولاه بعض الائمة ، أو تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه . ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار ، بل شرطها الحرية (ج ٢ : ١٢٥) وفي فتح الباري « لو تغلب حقيقة بطريق الشوكة فان طاعته تجب اخماداً للفتنة » (١٣ : ١٠٩)

« ١ » هذا الحصر غير صحيح على البرقة « ٢ » دعوى الاجماع ممنوعة

فما دام هذا النواوي الذي هو من اكبر أنصار القرشية يقول بنص هذا الحديث: إن اماره العبد مهما كان دنيء النسب ، خسيس الحال — صحيحة في صورة الاستيلاء والغلبة ، فكيف يعترض على الخليفة العثماني القائم المتمكن بكونه ليس من قريش ؟ ان سامنا أن القرشية شرط ضروري للخلافة^(١) والحقيقة أن البحث في شروط الخلافة لا علاقة له بالمسئلة التي نحن بصدددها ، الا أننا لا نرى بأسا في أن نتكلم على شرط القرشية ، اذ هو مزلة لاقدام كثير من الناس

(١) لا شك في ان صديقنا مؤلف هذه الرسالة لا غرض له من تأليفها الا تايد الخليفة العثماني التركي واثبات صحة خلافته ووجوب طاعته شرعا . وهذا الغرض لم يوضع موضع خلاف جديد لاجل القرشية فيحتاج في تأييده الى التحريف والايهام الذي ارتكبه في نقل نصوص العلماء والتصرف فيها وهو غافل عن الحقائق الواقعة في هذا العصر وأهمها ان الخليفة العثماني في حكم الاسير المحجور عليه من سلطة أجنبية غير اسلامية وان القوة المتغلبة في الامة التركية خصم له وانما يمثلها مصطفى كمال باشا فهو الذي يجب طاعته اذا أمر أو نهى بحسب القاعدة التي ذكرها ، وان لم يتحل بلقب الخلافة ، وهذا اللقب ليس بواجب شرعا وبمقتضى هذه القاعدة يجب طاعة كل متغلب بالقوة أينما كان ومهما يكن لقبه وان تعدد ، وعليه الحكومات الاسلامية في الشرق كالفرس والافغان ، وفي الجنوب كاليمن ونجد ، وفي الغرب كمصر ومراكش . فالخليفة العثماني غير متغلب عليها ولا أمر له فيها ولا نهى فيطاع ، أو يعصى سواء منها ما سيطرت عليه دولة أجنبية وما لا سيطرة عليه لاحد والمعترف بهذه الخلافة وغيره . والعمل بهذه القاعدة هو الذي أضاع الخلافة الصحيحة المستوفاة الشروط . اذ وجد في كل عصر من يؤيد كل متغلب مهما تكن حاله . وجعلوا الضرورة العارضة أمرا شرعيا ثابتا . والذنب الاكبر في هذه السنة السيئة على معاوية الذي سنّها ، فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة . على أن أكثر خلفاء بني أمية وبني عباس كانوا قائمين باهم واجبات الخلافة من نشر الاسلام وحماية دعوته والجهاد في سبيلها واقامة الحدود والحكم بالشرع في كل شيء وانما كان أكثر ظلمهم في التصرف في أموال الامة وفي التنكيل بمن يتصدون لنزع السلطة منهم ، وأقله في أمور اجتهادية أخطأوا فيها كحمل الناس على القول بخناق القرآن

واذا مارى المؤلف في الاجماع على شرط القرشية فهل يماري في الاجماع على =

الى حملة الاوربيت

(٧)

بينت في الفصل السابق انه كان مما أرجو أن أخدم به أمتنا وبلادنا الشرقية في أوربة ابلاغ من ألقى من أحرار الاوربيين حقيقة حال الشرق ، وموقفه اليوم أمام الغرب ، والاستعانة بهم على اصلاح ذات البين ، وانه جرى الى أحاديث مع بعض من لقيت منهم ذكرت بعضها، وكنت قبل ذلك كتبت مقالة في الموضوع أردت أن تكون بلاغا مالمهم فلم يتيسر لي نشرها فاني لما كلفت صاحبنا الشيخ علي الغياثي ترجمتهاقرأها واعادها الي قائلا: إنه لا يوجد جريدة في جنيف تقبل أن تنشرها ، لشدة حكمها على انكثرة وفرنسة وهذا نصها

﴿ نداء الشرق لآحرار الغرب ﴾

هذه صيحة حق ، من جانب الشرق ، يتموج بها الهواء في بهرة الغرب ^(١) مدينة جنيف الحرة ، التي هي كالمنار في هذه البهرة ، حيث جمعية الأمم ، ومثابة ^(٢) كل شعب مظلوم يشكو ممن ظلم ، فعسى أن تخرق مسامع أعضاء هذه الجمعية ، فتنفذ الى عقول حكيمة ، وقلوب رحيمة ، وعسى أن تردد صداها

= الحرية؟ وهل يجمل أن المتغلبين «حكمهم حكم البغاة وقطاع الطرق فلا يعتد بهم» كما صرح به الخافض ابن حجر في شرح حديث ابن عمر «لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي من الناس اثنان» من شرحه للبخاري؟ انه لا يجمل ذلك

وانا ندعو كل مسلم يستطيع أن ينصر الترك على أعدائهم المعتدين علي ملكهم أو يساعدهم عليهم ولو بالمال أن يفعل لانهم مسلمون معتدى عليهم واذلائهم اذلال للاسلام، لا لاجل وجود الخليفة فيهم، والافان هذا الخليفة حكم بفتوى من شيخ الاسلام عنده بان الكمالين خارجون عليه يجب قتالهم فانكر السواد الاظم من المسلمين عليه ذلك وكان عطفهم على الكمالين عاما ومساعدتهم لهم بالمال ترد من كل قطر. وقد كان لا تنصهارهم على اليونان من السرور والابتهاج في الشرق والغرب مالم يسبق لمثله نظير ولو اطاعوا هذا الخليفة كما يوجب عليهم المؤلف لاستأصلوا الكمالين. ذلك بان قاعدة السياسة العامة، هي ترحيح المصلحة العامة، ولا محتاج فيها الى الخروج عن الاحكام الشرعية والاجماعية أو القرينة من الاجماعية بقوة أدلتها، وضعف الخلاف فيها ،

(١) البهرة بوزن الغرفة الوسط والمراد انها أوسط أوربة (٢) المثابة مجتمع الناس

الذين يختلفون اليه بدءا وعودا وهو من ثاب بثوب بمعنى عاد ورجع

صحف هذه المدينة ، فتصل الى أحرار جميع الشعوب الاوربية الكريمة ، فتكون حجة لمحكمة الامم اذا أرادت أن تحكم بالحق ، فيما اختلف فيه الغرب مع الشرق ، وذلك يتوقف على سماع أقوال الخصمين ، والنظر في مستندات الفريقين ، وحجة عليها اذا هي حكمت للقوي القاهر ، بمجرد دعواه على المقهور العاجز ، يشهد بها عليها أو لائمك الأحرار العدول ، ويسجلها عليها التاريخ الصحيح ، حين ترى عاقبة هذا الحكم وتأخذ بسوء مغبته ، يوم تعود الحرب جذعة ^(١) بهذه السياسة الخدعة ، الخبأة الطلعة ^(٢) التي يسلك أخراتها ^(٣) ومضايقتها المفرورون بقوتهم ، المسرفون في مطامعهم ، المتلذذون بعظمة استرقاق الشعوب ، المتنعمون بما يسلبون فيها من الخزائن والجيوب ، بل نرجو من هؤلاء الأحرار المنصفين ، أن يجاهدوا هؤلاء الساسة الماكرين ، ويؤلبوا عليهم هذه الشعوب التي أرهقوها بالجندية ، وفواحض الضرائب المالية ، فيتعاون العلماء والكتاب ، والصناع والزراع ، على قلب سياسة المطامع ، المعززة بالبنادق والمدافع ، المفضية الى حرب بعد حرب ، لا تنتهي الا بنحراب الارض ، واهلاك الحرث والنسل .

أصيحخوا أصيحخوا أيها الأحرار الى ما يلقيه عليكم شرقي خير بشؤون الشرق ، وما يجب أن يتبدل من علاقته بالغرب ، بما أحدثت هذه الحرب من الانقلاب الاجتماعي فيه ، وأنتم أنتم الذي يمكنكم بهذا الانقلاب أن تكفروا سيئات هذه الحرب وفظائعها عن مدنيتكم وشرف شعوبكم ، وتأخذوا على أيدي دهاة سياسة الطمع والكبرياء أن يرهقوكم ويرهقوا العالم كله بحرب شر منها ، اذا ظلوا متحكمين في أموالكم ، وجنودكم وعمالكم ، وظلمتم مخدوعين بفصاحة خطبهم الخلابية ، ومستعدين لحلاوة أمانهم الجذابة .

(١) الجذعة بالتحريك الشابة الفتية وهي مؤنث الجذع واصل استعماله في بهيمة الانعام
(٢) الخدعة الكثير الخداع والخبأة الكثيرة الاختباء والاستتار والطلعة الكثيرة الطلوع
فهذه صيغ مبالغة معروفة وهي بضم ففتح (كهمزة لمزة) ويستوي فيها المذكر والمؤنث والجمع بين الضدين الخبأة والطلعة انما يكون بالتعاقب والتناوب أي انهم تحتجبون تارة وتظهر أخرى كسلاحف البحر فلا اختباء من الخوف والطلوع لاجل الاستطلاع (٣) الاخرات المضايق وأحدها خرت فهي كقفل واقفال

أيها الاحرار المتفكرون إنه ليقل فيكم من كان له علم أو المام بدخائل هذه السياسة الافاكة^(١) المرائية ، أو سبر لغور مكرها وتلييسها ، وقد كنتم معذورين في الزمن الماضي بتصديقهم في زعمهم أن الاستعداد للحرب، هو الذي يمنح الحرب، وأن التنافس في الاستعمار الذي هو علة عليها ليس الامسابقة في خدمة الانسانية ، بتحضير الشعوب الهمجية ، ومباراة في العمران الذي يرفه معيشتكم ومعيشة هذه الشعوب جميعا، ليعم العلم والعمران ، ويعيش البشر كلهم في رغد السلام

أما الآن فلم يبق لكم عذر اذا استمررتتم مخدوعين بخلايتهم ، مستسلمين لكيدهم، فقد فضحتهم هذه الحرب شرفضيحة، وكذبت دعواهم أن الاستعداد للحرب أتقى للحرب ، ورأيتكم كيف كان التزامكم على الاستعمار والتنافس في حب السيادة سببا للمباراة في الاستعداد لها ، وكيف كان هذا الاستعداد مضرما لنارها، وسببا لازهاق أرواح الملايين من البشر، وتخراب ماعمره في العشرات بل المئات من السنين، ولضياح مارج المستعمرون بظلم الشعوب المستعبدة من الاموال ، ثم لتشويه مدنية هذا العصر وسوء سمعتها

ألا إن تبعة هذه المصائب يجب أن تلقى على أكتاد^(٢) رجال هذه السياسة السوءى، وان لم يثبت على أحدهم بعينه إلقاء جذوة النار الاولى ، فاني على رأي الفلاسوف الاجتماعي (موسيو غوستاف لوبون) في تبرئة كل دولة من دولها، وكل رجل من هذه الدول ملوكها ووزرائها ، من تعمد بدء الحرب حتى المانية وعاهلها ، وروسية وقصرها ، وفي أن سببها الحق بمجموع أعمالهم السياسية التي كانت كنقط ماء تقع في كأس لم تلبث ان طفحت ففاضت كما قال ، أو كتجميع القوى المضاغطة يوجب الانفجار ، أو كوضع البارود بجوار النار، لا يؤمن عليه الاحتراق، فاذا لم تؤاخذوا هؤلاء الساسة بما جنته سياستهم على البشر لعذرهم إياهم بخطأ الاجتهاد، فلماذا تقرونهم على الاصرار على هذا الخطأ والاستمرار على هذه السياسة، وأنتم تعلمون أن المعلومات تتكرر بتكرار عللها، والمسببات تدوم بدوام أسبابها ؟ فكيف وقد تجدد لهذه المصائب والدواهي

(١) الافاكة بالتشديد صيغة مبالغة من الافك وهو صرف الشيء عن وجهه الحق بالكذب أو التلييس والتمويه، أو المعالطة والتاويل (٢) الكتد ما بين الكتفين

أسباب جديدة أحدثتها الحرب ثم معاهدات الصلح ، وهذه الأسباب نوعان
يقظة الشرق ، وتأريث الحقد والانتقام بين امم الغرب
ما تعلمه الشرق من الحرب والصلح

أيها الاحرار — اعلموا أن حرب المدنية المادية الاوربية وهدنتها ،
ومعاهدات الصلح ونتائجها ، قد علمت عوام شعوب الشرق ما لم يكن يعلمه
الا بعض خواصهم من سوء مقاصد الدول المستعمرة ، حتى ساء الاعتقاد بالامم
الاوربية أنفسهم ، فهدمت في خمس سنين ما بنى في العقول والقلوب من
فضل هذه المدنية وعظمة أهلها في مدة قرن كامل — وعلمتها وجوب الاتحاد
والتعاون بينهما على اختلاف أديانها ، ومذاهبها وأجناسها ، على دفع عادية
المستعمرين ، القساة المتكبرين الظالمين المرائين — علمتها الاقتداء بهم في بذل
النفس والنفيس ، وعدم المبالاة بالموت في سبيل الحرية والاستقلال — علمتها
أنهم لا يعرفون للحق ولا للعدل ولا للفضيلة ولا للإنسانية معنى ، وإن الشرف
والمجد استبداد القوي بالضعيف واستعباده وتسخيره لعظمته وشهوته — علمتها
أنهم كذابون مراؤون أفا كون ، يسمون الاشياء بأسماء أضدادها ، يحسنون
بذلك سيئاتهم ويقبحون حسنات غيرهم .

كان الشرقي اذا أراد أن يؤكد صدق قوله أو الوفاء بوعده يقول : « كلمة
افرنجية ، أو انكليزية » وقد صاروا يطلقون هذا الوصف النسبي على ضد ما
كانوا يطلقونه عليه تعميما وتخصيصا ، ويعتقدون بحق ان الترك أصدق وابر
واعدل وارحم من الافرنج عامة ، ومن الانكليز والفرنسيين خاصة ، وكيف لا وقد
وعدهم هؤلاء بالتحرير والاستقلال وعودا عامة وخاصة بما امطرت شركاتهم
البرقية وجرائدهم الخافقين (الغرب والشرق) من وصف مبادئهم ومقاصدهم من
الحرب ، وبما كانت طياراتهم تلقيه في البلاد العربية من المنشورات والجرائد العربية
الشارحة لهذه الوعود الموحزة ، والمفصلة لمقاصد تلك المبادئ الجملة ، واهم
تلك المنشورات ما كان باسم امير مكة بالامس وملكها اليوم ، والامير فيصل
احد قواد الحلفاء بالامس وملك العراق من قبل بريطانية اليوم ، وجريدة
القبلة التي انشأتها حكومة الحجاز بعد الثورة العربية ، وجريدة الكوكب التي
كانت تصدرها السلطة البريطانية بمصر . فكان هذا وذاك وعودا وعهودا رسمية

من الحلفاء تصدر من لدن ملوكهم وقوادهم، وتنشرها بردهم العسكرية وطياراتهم، فلا يمكن ان تكون من غيرهم .

ثم كانت عاقبتها احتلالا عسكريا قاهراً في سورية والعراق، معززا بجميع آلات الحرب الحديثة مع بيع وطن فلسطين العربي لليهود، واستعباداً واستذلالاً للعرب من قبل المحررين المنقذين لهم ، المنتدبين باسم جمعية الامم لمساعدتهم على النهوض بأمر استقلالهم، بعد ما اصابهم ما اصابهم من نوائب الحزب ، ولكن هذه المساعدة اضطرت هؤلاء الاصدقاء المخدوعين الى ثورات ومقاومات دمرت مئات من المزارع والقرى، وقتلت عشرات الالوف في العراق وسورية

جهل جمعية الامم بمكر الحلفاء بها

ايها الاحرار المنصفون : اننا نعلم انه لا يعزب عن علمكم ان التنافس في القوة المادية ، والتزاحم على المطامع الاستعمارية ، هما اللذان اوقدا نار الحرب العامة ، وان معاهدات الصلح السوءى في فرسايل وسان ريمو وسيفر هي التي تقضت تلك المبادئ، وجعلت الظفر فتحا وانتقاما واستعمارا سيعيد الحرب جذعة ، ولكن الذي يرتاب فيه كثير من الناس في الشرق والغرب هو علم محبي الحق والعدل من اعضاء جمعية الامم الذين ليس لدولهم هوى ولا لافرادهم ضلع مع احد من الدول الظافرة القاهرة، بما يكيد لهم دهاء سياسة هذه الدول بمجلس الجمعية وما يلقون على عواتقهم من التهمة الثقيلة تجاه العالم الانساني : تبعة حكم جمعية الامم لهم وإقرارها إياهم على قهرهم للشعوب المغلوبة في الغرب واستخدامهم اياها لمنافعهم باسم التعويضات، وعلى استعباد شعوب الشرق كلها باسم الانتداب، هذا الاسم الذي ابتدعوه ليكون مخرجاً لهم من تلك الوعود والعهود، ودعوى ان الحرب كانت بين مبدأين (المبدأ الجرمانى الذي ينبغي الاستعلاء على الامم بالقوة، ومبدأ الحلفاء الذين ينبغي جرية الامم) وعنى جعل بناء السلم العام الدائم قائماً على اختصاص هؤلاء القاهرين الجائرين بالقوى الحربية ، بأنواعها البرية والبحرية والجوية ، ليدوم لهم القهر والاستعباد للمحرومين منها ، والعاجزين عنها ، او يكفل لذات القوة الكبرى، ان يدوم لها الرجحان والكلمة العليا، الا وهي بريطانية العظمى، التي شرعت في تأسيس امبراطوريتين جديدتين كانت تحلم بهما من عهد بعيد ، فجعلت حرب المبدأين وسيلة لتأسيسهما بقوة الجند والسلاح ، وقوة الكبد

والخداع ، الاولى منها الشطر الشرقي من افريقية ، والثانية الشطر الغربي من آسية ، ويدخل في هذه السيادة جميع المعاهد المقدسة للاديان السماوية ، كما ان لها السيادة في الهند والتبت على اقدم معاهد الديانات الوثنية

إنما يرتاب من اشرنا اليهم من الناس في علم من وصفنا من أعضاء جمعية الامم — وهم الاكثرون — بما ذكرنا من كيد ساسة الدول الظافرة لها ومكرهم بها ، لانهم يظنون أن الجمعية بجملتها راضية بنظامها ، ملقية بقيادها الى مجلسها ، كما تنقاد الرعية الجاهلة الى ملكها المستبد بها ، ذلك المجلس الذي يفصل باسمها في أعظم المسائل تبعة واسواها عاقبة كسالة الوصايات الابتدائية ، افيصدقون انها مساعدة ، وهم يرون ما بينهم من المساومة والمنازعة ، والمصارعة والمقارعة ^(١) ويقرءون بعض ما تجود به برقياتهم وصحفهم من أنباء المظاهرات والثورات على سلطتهم العسكرية القاسية ، في البلاد المرزوءة بالوصاية بدعوى العطف عليها والرحمة بها ، ومساعدتها على النهوض بأعباء حريتها واستقلالها ، وما يعترفون به أحيانا من مقاومة ذلك بتدمير القرى والمزارع ، بأكساف الطيارات وقذائف المدافع ، التي تقفل العجزة والنساء والاطفال ، وقاما تصيب المتظاهرين أو الثائرين من الرجال ، وبفرض الغرامات الثقيلة على أهلها الوادعين الساكنين ، وغير ذلك من ضروب القهر والاستعباد الذي شرحه تقرير المؤتمر السوري الفلسطيني وما ألحق به

قواعد السلم بين الشرق والغرب

انني بعد بيان هذه الحقائق ألخص لجمعية الامم ولجميع احرار الشعوب الاوربية آراء شعوب الشرق ، وآمالهم في احرار شعوب الغرب ، وهي : —

(١) إن زعماء شعوب الشرق من علماء الحقوق والشرائع والخطباء والكتاب والضباط الذين هم قادة الافكار وجنودهم من النابتة الجديدة المتعلمة قد أجمعوا على أن يكونوا احرار في بلادهم ، مستقلين بأمر حكوماتهم ، لا سيد عليهم من سوى أنفسهم ، بل لا سيد الا شرائع البلاد وقوانينها ، والمساواة في العدل بين المقيمين فيها ، سواء كانوا من أهلها أو من المهاجرين إليها .

(١) للمقارعة معنيان : ضرب كل الآخر وضرب القرعة بينهما على ما يختلفان له

في قسمته

(٢) يرى هؤلاء الزعماء أن التعاون الانساني بين الشرق والغرب يجب أن يحد في استعانة الشرقيين بأهل الفنون الغربية على عمران بلادهم واستخراج كنوز الثروة منها باصلاح الري وترقية الزراعة واستخراج المعادن وزيت البترول وغيره وبما يتوصل به الى ذلك من العلوم والفنون ، وللغربيين في مقابلة ذلك ما يأخذه هؤلاء الفنيون من الاجور العظيمة ، وما يجلبون من الاغذية لبلادهم ، والمواد الاولية لمعاملهم ، وما يربحون من بيع مصنوعاتهم الكثيرة ، وبهذا دون غيره تكمل الروابط الانسانية بين الامم والشعوب ، ويعم العمران ويستغني عن سفك الدماء ، وتأريث العداوة والبغضاء . بل يحل محلها الحب والاخاء

(٣) اذا وجد في أحرار الغرب من يساعد زعماء الشرق على هذا الاصلاح الانساني الذي هو أقوى ذرائع السلام في الارض ، فأول ما يجب أن يبدو أنه إقناع دولتي انكلترا وفرنسة بتعديل معاهدات الصلح المتعلقة بالشرق بالحق والعدل او نسخها بخير منها ، واستقلال الاقوام التي لا يمكن أن ترضى بأن يكون السلطان في بلادها لاجنبي عنها ، كعرب الجزيرة والسوريين والعراقيين والمصريين والترك ، والفرس والافغانيين ، بأن ترفع الاحتلال العسكري من مصر وفلسطين وسورية ولبنان والعراق وتترك لاهل هذه البلاد الحرية التامة في شكل حكوماتها ، برأي مجالس نيابية منتخبة من أهلها

(٤) أن تكف الحكومة البريطانية عن الدسائس التي تبثها في اليمن وسائر جزيرة العرب لايقاع الشقاق والفتن بين امرائها واغراء بعضهم ببعض ومخادعتهم بعقد اتفاقات بينها وبينهم تتوصل بها الى العبث باستقلالهم عند سنوح الفرص

(٥) اذا أعرض أحرار أوربة عن هذه الدعوة ، أو عجزوا عن إصلاح ذات بين الشرق والغرب ، ورأى زعماء الشعوب الشرقية ان جمعية الامم رضيت لنفسها بأن تكون شر آلة وجدت في الارض ، لهدم قواعد الحق والعدل ، بكفالتها للقوي بالمال والسلاح كل مايطمع فيه من الاضعف - فستكون عاقبة ذلك خراب أوربة بحرب أخرى ، أو بلشفية أضرم من البلشفية الروسية وأضرى ، واتحاد جميع شعوب الشرق ، على الانتقام من جميع امم الغرب ، (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

الانقلاب التركي الجديد

❦ وثائق تاريخية ❦

إسقاط الدولة العثمانية ، وتأسيس دولة تركية ، وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية ، محرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية ، عملاً بقاعدة الديمقراطية الاوربية

بينما كان صديقنا الزعيم الهندي الكبير (مولانا أبو الكلام) يجهد قريحته في استنباط الدلائل لاقتناع العالم الاسلامي بوجود طاعة الخليفة العثماني السلطان محمد وحيد الدين والخضوع لخلافته وإن أساء وظلم وفعل ما فعل ما لم يكن كفراً بواحاً ، وارتداداً عن الاسلام صراحاً ، — كان هذا الخليفة يستفي شيخ الاسلام في دولته في اعتبار حماة لدولة من أبطال الاناضول الكماليين بغاة خارجين على الامام (الخليفة) يجب قتالهم شرعاً ، وبعد المقاتل لهم بأمر الخليفة غازياً مأجوراً ، والمقتول بأيديهم شهيداً مغفوراً ، وكان هؤلاء الكماليون قد ألفوا حكومة تركية محضة ، لها السلطان كله على الامة باسم الامة ، ولا سلطان عليها لملك ولا خليفة ، وما ينجم ذلك من ثل عرش آل عثمان ،

وضع هؤلاء الغزاة المستبسلون ميثاقاً وطنياً لا نقاذ بلادهم من السلطة الاجنبية التي فرضتها عليهم معاهدة الصلح مع الحلفاء وقبلها السلطان وحيد الدين وحكومته — ثم وضعوا لحكومتهم الوطنية قانوناً أساسياً نسخوا به قانون حكومة آل عثمان وأسقطوا دولتهم . واننا ننشر الآن هذا الميثاق وهذا القانون مترجمين بالعربية . وننقي عليهما بنشر ترجمة الخط السلطاني بتأليف وزارة الدماماد فريد باشا المتضمن لأمره بقتال الكماليين وترجمة فتاوي شيخ الاسلام بذلك ، وبلوغ الصدارة العظمى في تنفيذ أمر الخليفة المؤيد بهذه الفتاوي — ونجمل هذا أصلاً وتمهيداً لبيان ما ترتب عليه من الانقلاب بالفعل

ترجمة الميثاق القومي التركي بالعربية

وهو الذي تأسست الحكومة الكمالية في الاناضول لاجل تنفيذه

المادة الاولى — ان الاقطار العثمانية التي أكثر سكانها من العرب والتي تحتلها جيوش الاعداء منذ عقد الهدنة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ يجب أن يقرر مصيرها طبقاً لارادة أهلها على أن يسكنوا من الاعراب عن ارادتهم بحلء الحرية .

وأما الاقطار العثمانية الواقعة أمام خط الهدنة ووراءه التي أكثر سكانها من المسلمين العثمانيين الذين تجمعهم وحدة الدين والمذهب والغاية الوطنية فهي حريصة على حقوقها القومية ، ومزاياها الاجتماعية ، فلا تقبل التجزئة والتقسيم على أي حال ولا بأي شرط

المادة الثانية — ان ألوية قارص واردة هان وباطوم التي أثبت أهلها منذ تحريرهم بصورة علنية صريحة ارادتهم الرجوع الى حمى أمهم تركية ، فلا يرى الموقعون على هذا الميثاق بأساً بأخذ رأي سكانها مرة أخرى في مصيرها بتمام الحرية

المادة الثالثة — ان النظام القانوني لترافية الغربية الذي كان تقريره معلقاً على عقد الصلح مع تركيا يجب أن يؤسس طبقاً لارادة الاهالي على أن يعربوا عنها بحرية تامة

المادة الرابعة — تكون سلامة الآستانة — عاصمة الدولة ومقر الخلافة — وبحر صرمرة — مصونة كل الصيانة وفي مأمن من كل اعتداء :
اذا قبل هذا المبدأ فان الموقعين على هذا مستعدون لقبول أي قرار يؤخذ باتفاق الرأي بين الحكومة السلطانية والدول صاحبات الشأن لضمان حرية المضائق للتجارة العالمية والمواصلات الدولية .

المادة الخامسة — ان الموقعين على هذا الميثاق يقبلون القواعد الخاصة بحقوق الاقليات التابعة للبلاد الاجنبية كما تقررت في المعاهدات الخاصة المعقودة بين دول الحلفاء وبين أعدائهم وبعض الدول المشتركة معهم

ومقابل ذلك يجب أن تتمتع الاقليات الاسلامية النازلة في الممالك المجاورة بنفس هذا الضمان لحقوقها ،

المادة السادسة — ان الموقعين على هذا يعتبرون الاستقلال التام والحرية المطلقة شرطاً لا بد منه لحياتهم الوطنية، ولترقية بلادهم الاقتصادية والقومية ولتأسيس حكومة الدولة وادارتها على أساس ثابت جديد

ولهذه الاسباب صحت عزيمة موقعي هذا الميثاق على مقاومة كل قيد تشريعي أو مالي من شأنه الحيلولة دون الارتقاء القومي

ويجب على كل حال أن تكون شروط القيام بما سيفرض على تركيا من الواجبات غير مخالفة للقواعد المقررة في هذا الميثاق

الاستانة في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠

القانون الاساسي

للدولة التركية الجديدة — أو قانون التشكيلات الاساسية

المواد الاساسية

المادة ١ — السيادة للشعب، بلا قيد ولا شرط، وأصول الادارة مستندة الى قيام الشعب بالذات وبالفعل بادارة شئونه

المادة ٢ — تجتمع القوة التنفيذية، والقوة التشريعية في الجمعية الوطنية الكبرى التي تمثل الشعب وحدها تمثيلاً حقيقياً

المادة ٣ — تقوم الجمعية الوطنية الكبرى بادارة الدولة التركية وتدعى حكومتها « حكومة الجمعية الوطنية الكبرى »

المادة ٤ — تتألف الجمعية الوطنية الكبرى من أعضاء ينتخبهم اهل الولايات

المادة ٥ — تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى مرة كل عامين. والمدة الانتخابية لكل عضو هي عامان . ويجوز أن ينتخب العضو كرة اخرى . وتستمر الجمعية في عقد اجتماعاتها الى حين انتخاب الجمعية التي تخلفها . فاذا تعذر الانتخاب

يمد أجل الجمعية سنة اخرى . وكل عضو من أعضاء الجمعية ينوب عن الشعب جميعه لاعن الاهالي الذين انتخبوه فقط ،

(المنار : ج ٩) (٨٩) (المجلد الثالث والعشرون)

المادة ٦ - تجتمع الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى في أول نوفمبر من كل عام بغير دعوة

المادة ٧ - تنفيذ الاحكام الشرعية ، وسن جميع القوانين أو تعديلها أو النفاذها ، وعقد الصلح والمعاهدات ، وعلان الدفوع الوطني، وما يشابهها من الحقوق الاساسية - خاصة بالجمعية الوطنية الكبرى. وتتخذ الاحكام الفقهية والحقوقية الموافقة لمعاملات الناس وحاجيات الزمان والآداب والمعاملات أساساً لوضع القوانين والنظم . وتعين واجبات الوزراء ومسؤولياتهم بقانون مخصوص

المادة ٨ - يقوم بادارة دوائر الحكومة من تنتخبهم الجمعية الوطنية الكبرى لذلك وفاق القانون المخصوص . وتعين الجمعية للوزراء وجهة الادارة فيما يختص بالتنفيذ وتستبدل بهؤلاء الوزراء غيرهم عند الحاجة

المادة ٩ - الرئيس الذي تنتخبه الهيئة العامة للجمعية الوطنية الكبرى يرأس الجمعية مدة عقدها، وللرئيس أن يضع توقيعه باسم الجمعية وأن يصدق على قرارات الوزارة ، ورئيس الجمعية هو الرئيس الطبيعي للوزارة

﴿ الادارة ﴾

المادة ١٠ - تنقسم الادارة التركية باعتبار أحوالها الجغرافية والاقتصادية الى ولايات، وتنقسم الولايات الى أقضية وتتألف الاقضية من نواح

﴿ الولاية ﴾

المادة ١١ - الولاية ذات شخصية معنوية وهي حائزة لاستقلالها الداخلي (Autonomie) في أمورها المحلية . وللمجالس الشورية في كل ولاية أن تقوم بادارة أوقافها ومعاهدها الدينية ومعارفها وصحتها واقتصادياتها وزراعتها وأشغالها والمعاونة الاجتماعية ، بموجب القوانين التي تضعها الجمعية الوطنية الكبرى. وتستثنى من ذلك السياسة الداخلية والخارجية، والامور الشرعية والعدلية والعسكرية والعلاقات الاقتصادية الدولية، وتكليف الحكومة العامة وما يشمل منافعه أكثر من ولاية واحدة

المادة ١٢ - يتألف مجلس شورى الولايات من أعضاء ينتخبهم أهالي

الولايات . ومدة اجتماع هذه المجالس عامان وتجتمع في كل عام شهرين
المادة ١٣ — ينتخب مجلس شوري الولاية من بين أعضائه رئيساً للقيام
بوظيفة الاجراء (التنفيذ) مع هيئة ادارة من بين الاعضاء تنتخب لادارة
شعب الادارة بحيث تكون وظيفة الاجراء في يد هذه الهيئة الدائمة
المادة ١٤ — للجمعية الوطنية الكبرى وال يمثلها في كل ولاية ، تعيينه
حكومة الجمعية الوطنية، ووظيفته القيام بالواجبات العامة المشتركة للدولة .
ولا يتدخل الوالي (في غير ذلك) الا عند وقوع تعارض بين واجبات الدولة
والواجبات المحلية

﴿ الاقضية ﴾

المادة ١٥ — القضاء جزء اداري ، ليست له شخصية معنوية . يقوم
بادارته (قائمقام) معين من قبل حكومة الجمعية الوطنية الكبرى ويكون
تحت أمر الوالي

﴿ الناحية ﴾

المادة ١٦ — الناحية شخصية معنوية حائزة لاستقلال ذاتي في حياتها الخاصة
المادة ١٧ — لكل ناحية مجلس شوري وهيئة ادارة ومدير
المادة ١٨ — مجلس شوري الناحية ينتخبه اهل الناحية مباشرة
المادة ١٩ — ينتخب مجلس شوري الناحية هيئة ادارتها ومديرها
المادة ٢٠ — لمجلس شوري الناحية وهيئة ادارتها قوة قضائية اقتصادية
ومالية تعين القوانين المخصصة درجاتها
المادة ٢١ — تتألف الناحية من قرية أو عدة قرى

﴿ التفتيش ﴾

المادة ٢٢ — تعين مناطق التفتيش العام بتوحيد الولايات باعتبار علاقاتها
الاقتصادية والاجتماعية
المادة ٢٣ — يتكفل المفتش العام بالامن العام في منطقته وتفتيش المعاملات
في الدوائر وتنظيم الامور المشتركة بين الولايات التي في منطقته ويراقب
المفتش العام وظائف الدولة العامة والوظائف الخاصة بالادارات المحلية مراقبة دائمة

﴿ مادة منفردة ﴾

المادة المنفردة - هذا القانون مرعي من يوم نشره لكن الجمعية الوطنية الكبرى الحالية لاجتماعها على الدوام الى حين تحقيق غاياتها كما هو مصرح في المادة الاولى من قانون (نصاب المذاكرة) المؤرخ ٥ سبتمبر ١٩٢٠ لا تنفذ المواد الرابعة والخامسة والسادسة من هذا القانون قانون التشكيلات الاساسية الا اذا قررت الجمعية ذلك باكثرية ثلثيها بعد تحقق تلك الغايات
١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣٩ - ٢٠ يناير سنة ١٩٢١

(المنار) قد علم من هذا القانون ان الترك قد أزالوا به السلطة الملكية العثمانية. والخلافة الاسلامية معاً، فليس لغير الجمعية الكبرى في بلادهم أمر ولا يهي وهذه امنية لحزب (التركية الفتاة) منذ عشرات السنين سنحت الفرصة الآن لنيلها بسهولة كما سنفصله بعد

ثلاث وثائق تاريخية

في مناهضة دولة السلطنة والخلافة العثمانية للنهضة الكمالية

﴿ الوثيقة الاولى ﴾

الخط السلطاني الصادر بمنصبي الصدارة ومشيخة الاسلام وباقرار وزارة الداماد فريد باشا المتضمن للامر بالقضاء على نهضة الاناضول الوطنية

محمد وحيد الدين

« وزيرى الممالى فريد باشا

« بناء على استقالة سلفكم (صالح باشا) وجه مسند الصدارة الى عهدتكم لما هو مشهود من درايتكم وأهليتكم وأحليت المشيخة الاسلامية أيضا الى عهدة دري زاده عبد الله افندي وقد اقترنت باقرارنا هيئة الوكلاء الجديدة التي أفتموها طبقا للمادة السابعة والعشرين من القانون الاساسي
« ان موقفنا السياسى الذى بدأ منذ عقد الهدنة يقترب تدريجاً من

الاصلاح أصبح في حالة وخيمة بسبب الاضطرابات التي وقعت تحت اسم القومية (في الاصل المالية) وظلت التدابير الاصلاحية التي اتخذت حتى الآن لصدها عقيمة «وقد أظهرت الوقائم الاخيرة، أنه اذا استمر معاذ الله تعالى هذا العصيان فسيكون مصدرا لحوال وخيمة ، فلذلك نطلب انفاذ الاحكام القانونية بحق مثيري هذه الاضطرابات المعروفين والداعين اليها؛ واعلان العفو العام عن الذين انضموا اليها واشتركوا فيها بسائق الغفلة ، واتخاذ التدابير النهائية لاعادة الامن والانتظام وتأنيده في ممالكنا الشاهانية بسرعة تامة واكمالها ، وتوطيد ارتباط رعايانا الصادقين بمقام الخلافة والسلطنة المحقق الذي لا يتغير ، وانشاء الروابط الصميمة الاطمئنانية مع الدول المتحالفة العظمى والاهتمام بالدفاع عن منافع الدولة والامة استناداً على أساس الحق والعدل لتكون شروط الصلح معتدلة وبذل الجهد لعقد الصلح بأسرع ما يمكن ، وريثما يتم ذلك يجب التوسل بأنواع التدابير المالية والاقتصادية لتخفيف العسرة العامة بقدر الامكان . وأسأل جناب الحق أن يجعلكم مظهرًا لتوفيقاته الالهية »

﴿ الوثيقة الثانية ﴾

(فتاوى شيخ الاسلام بان الكالين بغاة يجب قتالهم)

ما قول مولانا شيخ الاسلام ومفتي الانام في بعض أشخاص شريرين اتحدوا واتفقوا في البلاد الاسلامية الواقعة تحت ولاية قطب نظام العالم خليفة المسلمين- أدام الله تعالى خلافته الى يوم القيامة- واتتخبوا رؤساء لهم وأخذوا يحتالون على الرعية الشاهانية الصادقة ويغفلونهم ويضلونهم بالتزوير، ويجمعون الجنود بلا أمر عال، ويفرضون أنواع الغرامات والضرائب خلافا للشرع الشريف، ومغايرة للأمر المنيف؛ زاعمين في الظاهر أن ذلك لتجهيز الجيش والحقيقة أنه لمحض الرغبة في جمع المال، ويستعملون أنواع التضيق، يأخذون أموال الناس وأشياءهم غصبا بعد تمذيبهم، فعودهم ذلك ظلم عباد الله ، وجراهم على ارتكاب الجرائم، فهجموا على بعض القرى والبلاد من الممالك المحروسة فخرّبوها؛ وجعلوا عاليها سافلها؛ وقتلوا عدداً من الابرياء، وسفكوا دماء طاهرة ، وعزلوا بعض الموظفين العلميين والملكيين والعسكريين المنصوبين من قبل أمير المؤمنين،

ونصبوا غيرهم أناساً من رهطهم، وقطعوا وسائل المواصلات والنقل بين مقر الخلافة والممالك المحروسة، ومنعوا إنفاذ الأوامر الصادرة من جانب الدولة قاصدين بتجريدهم مقر الخلافة عن الاقطار الأخرى كسر شوة الخلافة وتوهينها وإهانة مقام الإمامة المعلى بخروجهم عن طاعة الإمام، ونشرهم الأراجيف والاشاعات الكاذبة للاخلال بالنظام والانتظام، والأمن العام في بلاد الدولة العملية، وسوق الناس إلى الفتنة والسعي بالفساد، كما هو ظاهر ومحقق، فإذا أصر الرؤساء المذكورون وأعوانهم وأتباعهم من الباغين على عنادهم وفسادهم، ولم يتفرقوا بعد الأمر العالى الصادر اليهم بالتفرق فهل يجب قتلهم وقتالهم، وتخليص العباد من مضرتهم، وتطهير البلاد من شرهم وخبائثهم؟ وهل يكون ذلك فرضاً مشروعاً طبعاً لما نصت عليه الآية الكريمة (فقاتلوا التي تبغى حتى تبيء الى أمر الله) أم لا؟ نرجو الجواب؟

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

كتبه الفقير

دري زاده السيد عبدالله عفى عنهما

وفي هذه الصورة أيكون^(١) من الواجب على المسلمين القاطنين في الممالك المحروسة والقادرين على الحرب والضرب اجابة دعوة الامام العادل خليفتنا السلطان محمد وحيد الدين والالتفاف حوله لقتال البغاة المذكورين أم لا؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون امتناع الجنود الذين يجردهم الخليفة المشار اليه لقتال البغاة المذكورين عن قتالهم وفرارهم منه كبيرة أم لا؟ وهل يكونون آثمين يستحقون في الدنيا التعزير الشديد، وفي العقبى العذاب الاليم، أم لا؟ نرجو الجواب

الجواب : نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون الذين يقتلون البغاة من جنود الخليفة غزاة

« ١ » في الاصل : بهذه الصورة ألا يكون الخ ولا يصح العطف بالنفي على السؤال المنفى بقوله في آخر السؤال أم لا، نعم الجواب عنهما بنعم - ومثله ما بعده ، فجعلنا الاستفهام الاول ايجابيا

أم لا؟ ويكون الذين يقتلهم البغاة من الجند شهداء ومن التوايين أم لا؟
نرجو الجواب

الجواب: نعم والله تعالى أعلم

وفي هذه الصورة هل يكون المسلمون الذين لا يطيعون الامر السلطاني
الصادر بقتال هؤلاء البغاة آثمين ومستحقين للتعزير الشرعي أم لا؟ نرجو الجواب
الجواب: نعم والله تعالى أعلم

﴿ الوثيقة الثالثة ﴾

بلاغ الصدارة لا تفيذ الخط السلطاني بعقاب الترك الكمالين
«تجتاز الدولة العثمانية اليوم أزمة حرجة لاعهد لها بمثلها من قبل. فالوطن
في خطر حقيقي

« لقد كان الواجب على هذه الامة أن تسلك سبيل السلامة والعقل بعد
ما لاقتة من عبر الحرب العظمى التي سبقت اليها بدون علمها ورضائها، والتي
استنفدت أموالها ودماءها، وانجبت عن انكسارها الذي انتهى باستسلامها
الى الدول حين عقد الهدنة، فتتعظ بهذه النتائج وتعود الى رشدها وصوابها
« بيد أن بعض الاشخاص الذين لم يدركوا هذه الحقيقة كما يجب قاموا
بدافع الانانية والنعم الذاتي يسمون للفتنة والفساد متسترين باسم الانظمة
الوطنية فأخرج ذلك موقفنا السياسي وجعله في أشد الاخطار ونكأ من جهة
ثانية جروح هذا الوطن المقدس الذي أثقلته تكاليف الحرب وجرحته أنواع
الجنايات وسوء الاستعمالات التي ارتكبت في سني الحرب جراحاً بالغات

« وقد انتجت بعض الحوادث المؤسفة التي وقعت اثاره الرأي العام في
أوربة وأميركا علينا فكان من أثره تشديد شروط الصلح فوق شدتها
واحتلال الدول العظمى للاستانة احتلالاً عسكرياً مؤقتاً طبق أحكام الهدنة
فقام على أثر ذلك العصاة يسعون لقطع المواصلات بين الاناضول والعاصمة
وان ذلك لاعظم خيانة وطنية

« ان هذه الحركة الباغية المتسترة بستار الوطنية جعلت الاناضول عرضة
لاحتلال ضعيف من جهة، وتكاد تورد الدولة موارد جديدة من الاخطار
والمصائب. ان أعظم أعداء الامة العثمانية اليوم هؤلاء الذين يضحون الامة

والوطن تجاه مطامعهم الشخصية متسترين بدعوى الوطنية الكاذبة، وان هؤلاء يهيئون سلسلة ثقيلة من الجزايات للعاقبة التي يعملون لاجلها، فقد داسوا على الدستور وعلى قوانين الدولة بأرجلهم، وأخذوا يرتكبون الفضائح المتوالية ويجمعون الدراهم من الاهالي بالاكره، ويجندونهم بالقوة ويوصلون أنواع الاذى اليهم، ويقتلون من لا يقدم لهم الدراهم ولا يدخل في جيشهم ويباغتون القرى وينهبونها، ويحرقون القصبات، هذه الافعال منافية للامر الالهي ومردودة في نظر الشرع الشريف كما هو مبين في الفتوى الشريفة المنشورة أعلاه، وإن الحكومة الحاضرة تعد الاحتفاظ بحياة كل فرد من الامور الواجبة في هذه الاوقات اكثر منها في كل زمان للمساعدة على انهاض هذا الوطن العثماني الذي أصيب بأنواع المصائب، وتعميره وتلافي خسارته في النفوس والقوة « ان هذه الحكومة التي تفضل ادراك آمالها من خير وصلاح بغير سفك دماء لا تتردد في تأديب هؤلاء الذين حادوا عن الطريق المستقيم امثالاً لارادة حضرة صاحب الخلافة السنية المبلغة بموجب الخط الهايوئي، ووفقاً للشرع الشريف، والخط المنيف، وذلك لاتقاذ حياة الدولة والامة وسلامتهما من خطر محقق » بناء عليه نعلن أولاً: ان الذين اشتركوا في حركات العصيان — مخدوعين بأقوال القائمين بهذه الحركات أو متأثرين بتهديدهم وهم يجهلون ما تجره من النتائج الوخيمة — اذا عادوا نادمين وعرضوا صداقتهم واخلصهم لجلالة مولانا (أفندينا) في مدى أسبوع يكونون محلاً للعفو العالي

ثانياً — ان الحكومة ستؤدب القائمين بالعصيان والداعين اليه والمشاركين فيه من المصريين على عنادهم كما يقضي بذلك الشرع والقانون. ولما كانت الحكومة لا تتسامح في أي جهة من جهات المملكة باعتداء الاهالي المسلمين، على مواطنيهم من غير المسلمين ولا باعتداء هؤلاء على مواطنيهم المسلمين، فكل من يرتكب مثل هذه الاعمال أو يتغافل ويتسامح في ايقاعها شخصياً يكون عرضة لاشد العقاب » انتهى

(المنار) لو كان ذلك الخط السلطاني والفتاوى الشرعية وهذا الامر الوزاري صدرت في حال عادية والحكومة متمتعة باستقلالها في شأن فئة من رعيها بغت عليها، وخرجت عن طاعتها لم يكن عليها غبار، ولكن هذه الحكومة

كانت واقعة في أسرا الأعداء المحتلين لعاصمتها ، والمسيطرين عليها بالقهر والدسائس جميعا ، وقد قبلت معاهدة الصلح المخزية السالبة لاستقلالها ، بعد سلخ ما سلخت من بلادها ، وكان الكاليون هم الذين أبوا قبول هذا الخزي باختيارهم ، وقاوموه بسلاحهم ، فكان ضلعم العالم الاسلامي كله معهم ، وتم ذلك بنصر الله تعالى لهم والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولا أم (المخطيء) الهبل

ظفر الترك باليونان

وثلهم عرش دولة آل عثمان

وجعلهم الخلافة الاسلامية ، سلطة روحانية أدنية

(وتلك الايام نداؤها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين * ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)
استخف الظفر في الحرب الدولة البريطانية فخافها حاكمها الراسخ ورويتها وأنانها في الامور ، فأظهرت ما كانت تكتم من التعصب الديني وعداوة الاسلام ، وحاولت القضاء على ما بقي من السلطة الاسلامية الضعيفة والاستقلال المضطرب ، في بلاد الترك والعرب ، فتقسمت هذه البلاد بينها وبين حلفائها قسمة ضئلى ، وكان مما اصطفته لنفسها مصر وسائر ما بقي من بلاد العرب — الا منحص قطاة في سورية لحليفها فرنسا — والقسطنطينية العظمى مع زقاقها العظيمي الشأن (الدردنيل والبوسفور) على ثقة منها بأن مملكتي ايران والافغان في قبضة يمينها ، وبلاد القوساس وتركستان في قبضة شمالها ، وصرح كبير وزرائها لويد جورج بأن هذه الحرب ، آخر حرب صليبية في الارض ، أي لم يبق فيها شعب اسلامي مستقل يمكنه أن يذود على حوضه (المنار : ج ٩) (٩٠) (المجلد الثالث والعشرون)

بسلاحه ، فان الدولة العثمانية ، آخر دولة حربية اسلامية ، قد سقطت تحت السيطرة الاوربية المسيحية

فلما رأت ان اسود الترك في الاناضول قد جمعوا فلول جيوشهم ، وأبوا الخضوع لما فرض عليهم في معاهدات الصلح الجائرة من إلقاء سلاحهم لاعدائهم ، والخضوع لما أوجبوا عليهم في أنفسهم وأموالهم وإدارة بلادهم ، أغرت بهم الدولة اليونانية ، عدوتهم التاريخية ، وقد زاد بفضلها عليها عددها ، وتضاعف بمساعدتها لها مددها ، فحاست خلال الديار ، وسامتها الخسف والتبار ، وحكمت فيها السيف والنار ، وقتلت الكبار والصغار ، والوزير البريطاني الأكبر (لويد جورج) عدها في غيها ، وينصرها في بغياها . فعز على ليوث العرب ، وشم العراقيين ، أن تلج الثعالب أغياها ، وتغتال فيها أشبالها ، فبطشوا بزخوف اليونان البطشة الصغرى فوققوا لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ثم صاح بهم المعدل الالهى (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون)

هجمت الليوث التركية الكمالية تلك الهجمة الصادقة على جيوشهم فولوا مدبرين ، (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) ، فطردتهم في مدة اسبوعين ، مما تبوؤوه في مدى سنتين ، فقتل منهم عشرات الالوف ، واسر عشرات الالوف ، وفر الباقون من مصارع الختوف ، أعبث في أقيمتهم الحراب والسيوف ، وما زال يطاردتهم سيف النصر ، حتى القى من سلم منهم عند سيف البحر ، حيث تفتظر السفن كل شريد وطريد ، فيما كانوا يحتلون من ثغرى إزمير وإزميد ، وغنم الترك ما لا يحصى من سلاحهم وعتادهم ، ومتاعهم وزادهم ، وناهيك بأسر من أخطأه الرصاص من كبار قوادهم ، وفشل تدبير لويد جورج وفنزيلوس بتجديد القيصرية (الامبراطورية) البيزنطية ، وحلم الملك قسطنطين الثاني بلبس تاج قسطنطين الاول في محراب جامع (أياصوفية) وخاب كيد الانكليز لاجلاء مسلمي الترك من شرقي أوربة بهمجية اليونان ، كما أجلى مسلمو العرب من غربها (الاندلس) بهمجية الاسبان ،

لو كان كل ما في هذا النصر العزيز أنه سحق جيش تركي مهاجم ، لجيش يوناني مدافع ، يفوقه في العدد والعدد والمدافع ، لما كان بدعا من النصر ، ولا مما يعده الترك من موجبات الفخر ، ولكنه كان أثراً لهجوم عسكري لم

يسبق له نظير في أعظم المعارك بتدبيره وإحكامه ونظامه ، واستيفائه لجميع الشرائط الفنية ، وسرعة تأثيره في ميادين مختلفة — وكان على هذا عقب سلسلة حروب مع البلقانيين في البلقان ومع إيطالية في طرابلس الغرب ومع انكلترا في فلسطين والعراق ومع روسية في الأناضول ومع الانكاز والفرنسيس جميعا في غاليبولي ثم مع فرنسا في كايكية ومع الارمن في القوقاس — وكان على هذا وذلك بعد انكسار الدولة وطلبها الهدنة ، والخضوع لشروطها القاهرة ، ثم قبول حكومة السلطان في الآستانة لشروط الصلح القاضية بتقسيم بلاد الدولة بين الاحلاف وسيطرتهم على الامارة التركية الصغيرة التي أبقوها باسم سلطان الترك وخليفة الاسلام في اليها وعسكريتها وأحكامها القضائية — وكان على هذا كله بعد إلقاء الانكاز المحتلين لعاصمة الدولة الفسادين السلطان وحكومته وبين ابطال الاناضول المدافعين عما بقي من بلادهم قبل ان يعمرها الاحتلال الاجنبي المذل بل المميت ، والمطالبين باستقلال مارزي ، بالاحتلال منها حتى حملوه على الحكم بعصيانهم ، وإباحة إهراق دمائهم ، بخروجهم على سلطانهم وخليفتهم ، لكسر قوتهم المعنوية ، بفتوى من شيخ الاسلام ، تطبق عليهم حكم البغاة الخارجين على الامام ، المحاربين لله ورسوله والساعين في الارض بالفساد ، ولو انه أمر به هذا وهو حر في تصرفه ، مستقل في حكومته ، لما اكثرثوا لامره ، فكيف وهم يعتقدون أنه واقع تحت أسراء أعداء الاسلام ومسير بنفوذهم ، فعصيانه واجب ، واستقاط حكومته ضربة لازب — ثم انه كان على هذا كله ظفراً بدولة بريطانية العظمى ، وقضاء على ما كان من نفوذها الاسمي ، وإحباطا لسياساتها المعلوم . وهو ازالة ملك الاسلام من الشرق ، والاستيلاء على جميع دول الغرب ، ولذلك كان ضلع حليفها فرنسا مع الترك السكاليين ، مقاومة لمساعدتها هي لليونانيين أصبح الترك السكاليون بهذا النصر أمام عدوتهم انكلترا وجها لوجه بزوال تلك الوسطة التي كانت تحاربهم بها ومن ورائها ، فطفقت تحشر أساطيلها امام الدردنيل ووراءه ، وتسوق جيوشها الى (غاليبولي وشناق قلعه) وأهابت بحليفتيها المحتلتين معها للآستانة ان تستعدا لقتال الترك فأبيتا ذلك عليها ، فصاح لويد جورج يستعجد الامبراطورية كلها لتحفظ له ثمرة النصر في الشرق فكان جواب أكثرها خافتا — فهبت الاحزاب البريطانية المعارضة تفضحه بأنه يريد

اثارة حرب صليبية أخرى تنفرد بريطانيا العظمى بهادون أوربة، وتوسطت فرسة
بصداقتها للكاليين فأقنعتهم بعقد الهدنة، وترك الزحف على تراقية والآستانية،
فعقدت الهدنة في ثغر (مدانية) وهو ثغر تركي صغير، كان لهم بعقدها فيه
شرف كبير، وضمن لهم الحلفاء فيه الحدود التي قرروها في ميثاقهم القومي.
وكان هذا فشلا لسياسة الوزير لويد جورج أدى الى سقوط وزارته، وعرف
العالم كله ان الذي أسقطها هو الغازي كمال باشا بقوته، وقد أصبح الترك بعد
ذلك الذل والنكال، يخاطبون بريطانيا العظمى مخاطبة الانداد والاقتيال، وهذا
ما كانوا فقدوه منذ قرون وأجيال، فسيحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء
أذاع البرق أنباء هذا النصر في العالم فاهتز لها الشرق، وشخصت أبصار
دول الغرب، وكادت تصعق الدولة البريطانية خيبة وخزيا، كما صعقت
اليونانية قهراً وعجزاً

لله در الكهرباء فثغرهما الـ بسام كم يبدو يبشر بالجد
ولربما التهب فكان وميضها تاراً فأحرق من بغى وتمردا

احتفل المسلمون بهذا النصر المبين في كل قطر من الاقطار، بقدر ما لاهله
من الحرية ووسائل الاجتماع واظهار السرور، وكان قصب السبق في ذلك لمصر
والهند، ويليها سورية والعراق على كراهة ملكها لذلك، ويليها تونس والجزائر
فراكش، وكان المهدى بلاد المغرب انتدب، انما أقل بلاد الاسلام اهتماماً بالدولة
العثمانية وما يجري فيها، فصارت بسبب الحماية الفرنسية كأمثالها أو قريباً منها،
واتفق أن ضلعت الدولة الحامية لها في هذه المرة مع الترك، حتى ان سلطان المغرب هنا
الحكومة الفرنسية - لا الحكومة الكيالية - بهذا النصر (!) وقد قرأنا في جريدة
السعادة المغربية عدة قصائد لادباء المغرب في الابتهاج به، وأنهم يعدونه
نصراً للإسلام على أعدى أعدائه، وقد كتب الينانمين الين أن كلا من الامام
يحيى والسيد الادريسي قد احتفلا في بلادهما بهذا النصر، وأمر السيد الادريسي
بإطلاق واحد وعشرين مدفعاً من المواقع العسكرية ايذاناً بالاحتفال. وقد
يظن ان بلاد الحجاز هي التي شذت وحدها، وإنما الذي شذ وحزن لهذا النصر
هو ملكها، وأما أهل الحجاز ولاسيما البلدين المكرمين فهم أشد حبا للترك
ودولتهم من غيرهم، ولكنهم تحت ضغط حكم قاهر لا يملكون من حريتهم شيئاً

لا يرضى مالك أمرهم

هذا العطف الاسلامي العام ، والمكانة السامية امام دول الحلفاء ، التي لا تنال عندهن الا بسفك الدماء ، قد جريا الكمالين على القبض على أعنة الادارة في الآستانة المحتلة ، والشروع في انقاذ خطتهم في إسقاط الدولة ، ومحاكمة رؤسائها حتى السلطان المتحلي بلقب الخلافة ، وقد اوعز اليه بأن يستقيل فأبى ، وظن أنه يستطيع أن يحدث بقوة الانكاز حدثا ، فلما رأى أن السواد الاعظم من أهل الآستانة عليه معهم لا معه عليهم ، اتفق مع السلطة البريطانية المحتلة على الفرار من العاصمة بنفسه ففعل ، وقد تقلوه مع غلام له وبعض حاشيته على بارجة انكليزية الى مالطة ، وشاع انهم يريدون اخذه الى الهند رجاء ان يفرقوا به كلمة المسلمين فيها ، وقد دعاه ملك الحجاز الى مكة بلسان البرق بايعاز من الانكاز كما يقال لتدبير كيد في الخلافة يوقع في العالم الاسلامي الشقاق ، او ينفره من الترك الكمالين فيكون عوناً لهم عليهم ، والا فان جريدة القبلة لسان ملك الحجاز لم يطل العهد على تكفيرها لهذا الخليفة ، فهل كان اظهاره العداء لقومه ، واهانتة لنفسه ولمنصبه بالالتجاء الى عدوه ، رجوعا عن الكفر الى الايمان ، ومساعدة الى التعاون على اقامة الاسلام ؟ أم ثم كيد ككيد صواحب يوسف يريد به الانكاز ضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويريد صاحب الحجاز من أسير الانكاز في مكة ، مثل ما كان من أسير السلطان سليم في الآستانة ، ليقول (هذه بضاعتنا ردت اليينا) ؟ إذن ينبغي أن يكون له قوة حجازية ، كقوة سليم العثمانية ، وأما قوة الدولة البريطانية ، الموجهة الى امارة السلطة الاسلامية ، فلن تكون محيية للخلافة النبوية ، وان تركت حكومة الترك الجديدة باب الفتنة مفتوحا بما اخترعت من الخلافة الروحية ، وحصرت السلطة كلها في جمعيتها الوطنية .

اضطرب العالم الاسلامي لنسبة ابتداء خلافة ذات سلطة روحية ، مجردة من كل سلطة حكومية ، وهي بدعة جديدة من الجهتين الايجابية والسلبية ، لم يرم الى مثلها أحد من مبتدعة المسلمين الا الباطنية ، فهم الذين جعلوا لامامهم المعصوم سلطانا روحيا وأوجبوا اتباعه في كل ما يفسر به النصوص وان كانت قطعية وفسرها بما يخالف معناها القطعي ، ولكنهم لما قدروا على تأسيس دولة جعلوا الامام الروحي ، هو السلطان السياسي والحاكم الشرعي . وليس في الاسلام

سلطة روحية بالمعنى الذي ابتدعته الباطنية - والترك لا يريدونه - ولا المعروف عند النصارى وهو نحو منه، حتى نهرب من الجمع بين السلطتين ونقلد بعض النصارى في التفريق بينهما. وانما سلطة الخليفة في الاسلام حكومية محضة، وهو مسئول عن عمله كغيره، وان كان رئيسا دينيا ودينويا، فمعنى رياسته الدينية أنه هو صاحب الاولوية والاولوية في مثل إمامة الصلاة والخطبة من العبادات الاجتماعية. ولكن لا يكلف مسلم أن يتبعه في اجتهاده في أمور العقائد والعبادات الشخصية، وانما يجب طاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه من حيث هو حاكم اذا لم يكن معصية. وقد أمر بعض خلفاء العباسيين بالقول بخلق القرآن مخالفهم أعظم أئمة أهل السنة كالشافعي وأحمد ولم يكونوا يخالفونهم فيما يحكمون به أو يأمرون من الامور السياسية والمدنية الموافقة للشرعية، وسنبين أحكام الخلافة في مقال آخر

إننا نرى أن أهم مصالح المسلمين السياسية الآن أن يؤيدوا الترك الكماليين في موقفهم أمام دول أوربة الطامعة في اغتصاب ما بقي للمسلمين من ملك وملك، وهودون ما اغتصبته من قبل، وان لا نجعل خطأهم في مسألة الخلافة سبباً لضعافهم في هذا الموقف، بل ندعه الى أن يتم الصلح ويحق لهم الاستقلال الصحيح المطلق من قيود النفوذ الاوربي فحينئذ ندلي اليهم بما لدينا من الحجج الشرعية والسياسية، على ما يجب أن يكون عليه مقام الخلافة الشرعية من سلطات ونفوذ، ومنه اثبات أن سلطة الخليفة مستقلة بالشرع والشورى، وأنه هو الممثل لسلطة الامة ووحدتها لا صاحب سلطة فردية مستبدة، وان الاشتراط عليه عند المبايعة من سنن الراشدين التي جرى عليها الصحابة، فان عبد الرحمن بن عوف لما فوض اليه رجال الشورى الامر واراد مبايعة علي أو عثمان اشترط على من ولاه اتباع سيرة من قبله فقبل، والسلطة الحقيقية في الحكومة الاسلامية للجماعة أهل الحل والعقد الذين لا يكون الخليفة خليفة الا بمبايعتهم كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وسنلخصه في مقالة الخلافة التي وعدنا بها آنفا

ان أولي الامر وأهل الحل والعقد في الدولة التركية في هذا الوقت هم الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة، وهم الذين اذا نجحوا تنجو الدولة واذا خذلوا وخابوا (لا سمح الله) تهلك الدولة، ولم يكن الخليفة الذي ناوهم وناووه هو

الامام الحق المتجلي بشروط الامامة والقائم بحقوقها حتى يجب نصره عليهم ، بل كان جماهير المسلمين يقررون له بمنصب الخلافة لاجل تقوية الدولة والامة بهذا المنصب أمام الاعداء ، فاذا انقلب الامر ، وانعكس الوضع ، وصار أعداء الملة هم الذين يستعينون بمنصبه على سلب سلطتها ، والاستيلاء على بلادها — فهل يقول من له أدنى مسكة من الدين أو العقل بنصر أعداء الاسلام على المسلمين لاجل من سلحوه بهذا اللقب ليكون قوة للمسلمين على أعدائهم ؟

لعل الانكليز يظنون أن المسلمين قد سفهوا أنفسهم ، حتى انحدروا الى هذا الدرك الاسفل من الجهل بدينهم ومصالحهم ، وأنه يمكنهم أن يتخذوا محمد وحيد الدين ، فتنة للمسلمين ، ولا سيما اذا وضعوه في مكة ، واتحد مع صنيعتهم الاول ملك الحجاز على اثاره هذه الفتنة في البلاد المقدسة ، وهو على كونه قد حكم عليه بالمروق من الاسلام ، لم يخرج عن سياسته بدعوته الآن الى القامة عنده في المسجد الحرام ، الذي حرم الله ان يقربه المشركون والكفار — فان تكفيره اولا خدمة للانكليز ونصر لهم على الدولة التركية ، ودعوته الآن الى مكة خدمة لهم كذلك ، ولكنها خدمة خاسرة ، في الاولى والآخرة

لو عرف جماهير المسلمين في الاقطار المختلفة الحقيقة التي بينها آتقائنا اكثروا الخوض في مسألة الخليفة الذي والى اعداء امته وملته ، ولا في مسألة خلفه ، ولا في تخطيط حكومة الجمعية الوطنية او تأييدها في امره ، ولخصروا تأييد هذه الحكومة بما يقوي مركزها امام اعدائها ، ونصحوا لها بأن ترجيء البت في مسألة الخلافة الى الوقت المناسب لها ، ولكن اقناع غير المحصورين بذلك متعذر . والظاهر لي ان الجمهور الاعظم على الرأي الذي ظهر لنا انه الصواب ، وان جهر بعضهم بما يخالف في السلب أو الايجاب . ومن المضحكات ان مسلمي سورية عظم عليهم امر سلب السلطة من الخلافة حتى انتقم بعضهم من صورة مصطفى كمال باشا التي كانوا يرفعونها تكريماً لها

واما الجرائد ، فقد جاءتنا بالنقائض ، فمن الكتاب فيها من انكر ما حصل انكاراً شرعياً ، ومنهم من حاول جعله شرعياً بالتأويل ، ومنهم من بحث عن شواذ التاريخ واعتداء الخارجين على الخلفاء فأراد ان يجعله امراً مشروعاً يحتذى ومنهم من اظهر سروره بازالة سلطة الخلافة ، بالفصل بين السياسة والحكومة ، وبين الدين والشريعة . وهؤلاء من غلاة المتفرجين الملحدين ، الذين نرد عليهم في

مقالات (مدنية القوانين) ونحن ندعو المسلمين الى العطف على الدولة التركية الجديدة، وتأييدها بأشد ما كنا نؤيد به الدولة العثمانية التليدة، ولا نرى أننا محتاجون في سبيل ذلك الى الانحراف عن شيء من أحكام ديننا . ولا الى الاقرار بأن كل ما عملته هذه الدولة أو تعمله صوابا . فانما نحن نؤيدها في مقاومة المعتدين عليها وعليها . ولا نشترط لذلك أن تكون معصومة في أعمالها، لا في مسألة الخلافة ولا في غيرها . وقد ترجمت لنا الجرائد خطبا واقوالا في هذا الموضوع لزعماء الكمالين أهمها خطبة للغازي مصطفى كمال باشا نفسه وسننشرها في الجزء التالي ان شاء الله تعالى

وجملة القول إن آخر ما جاء من أبناء هذا الانقلاب (الى سلخ هذا الشهر) بعد كتابة ما تقدم، ان الكمالين قد امضوا امر محو الدولة العثمانية من لوح الوجود، وجعلها من قصص ألواح التاريخ . وانهم انتخبوا عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة على شرطهم . لا امر له ولا نهي في حكومتهم . ولعلمهم يستفيدون بذلك تخفيف ضغط الانكليز عليهم ، وشدة تأييد الروس لهم ، فانهما اشد الدول خوفا من عاقبة سلطة الخلافة الدينية ، الاولى ثم ف على مستعمراتها الاسلامية ، والثانية تخاف على دعوتها البلشفية ، ولا ضرر على الاسلام فيما وقع ، فالخلافة العثمانية كانت اسمية فائدتها انتفاع الدولة العثمانية بنفوذها السياسي ، فلتنتقم الدولة التركية الآن باعلان التخلي عنه ، الى ان تقتنع ثانية بالانتفاع به ، وليس من البعيد ان تقتنع في زمن قريب بوجوب إقامتها على حقها ، وقيامها بكل ما يمكن من وظائفها ، كاحياء الدعوة الى الاسلام ، ومقاومة تيار الاتحاد والابتداع ، واقامة الحدود وتنفيذ الاحكام ، وجباية الزكاة وتوزيع الصدقات ، وتلافي ضرر التفرق باختلاف المذاهب والاجتهاد ، بجمع الكلمة على قواعد الاجماع ، ووضع نظام للتعالم الديني والوعظ والارشاد، حتى تعترف جميع الحكومات الاسلامية بها ، وتأخذ التفويض باقامة الدين وتنفيذ الشرع من ممثلها ، وطالما خطر في بالنا انه يجب ان يكون لها ديوان خاص ، مؤلف من عقلاء العلماء واولي الاختصاص ، المختارين من جميع المذاهب الاسلامية في الاقطار المتفرقة . ومن ممثلي حكوماتها المختلفة . وقد كاشفنا بهذا الراي ، من يعدون أولى اولى الامر وارباب الشأن . والله الامر من قبل ومن بعد.

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
واولئك هم اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة
فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا اولو الالباب

— قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومثارا » كمنار الطريق —

٢٩ ربيع الآخر ١٣٤١ - ٢٦ القوس (خ ٣) سنة ١٣٠١ هـ ١٨ ديسمبر ١٩٢٢

الأحكام الشرعية

﴿ المتعلقة بالخلافة الإسلامية ﴾

لقد كانت الخلافة والسلطنة فتنة للناس في المسلمين كما كانت حكومة الملوك فتنة لهم في سائر الأمم والملل . وكانت هذه المسألة نائمة فأيقظتها الأحداث الطارئة في هذه الأيام ، إذ أسقط الترك دولة آل عثمان ، وأسسوا من أنقاضها فيهم دولة جمهورية بشكل جديد . من أصوله أنهم لا يقبلون أن يكون في حكومتهم الجديدة سلطة لفرد من الأفراد لا باسم خليفة ولا باسم سلطان ، وانهم قد فصلوا بين الدين والسياسة فصلاً تاماً ، وانهم سمووا أحد أفراد أسرة السلاطين السابقين ، خليفة روحياً لجميع المسلمين وحصرها هذه الخلافة في هذه الأسرة ، كما بينا ذلك بالتفصيل في هذا الجزء وما قبله من المنار ، لذلك كثر خوض الجرائد في مسألة الخلافة وأحكامها ، وكثر الخلط والخلط فيها ، ولبس الحق بالباطل ، فرأينا من الواجب علينا أن نبين أحكام شريعتنا فيها بالتفصيل الذي يقتضيه المقام ، ليعرف الحق من الباطل ، وأن نقفي على ذلك بمقال آخر في مكان نظام الخلافة من نظم الحكومات الأخرى وسيرة المسلمين فيه وما ينبغي لهم في هذا الزمان ، وإن تأييدنا للحكومة التركية الجديدة ، لما يوجب علينا هذا البيان والنصيحة ، ونحن إنما نؤيدها لما كان الدين ، ومصلحة المسلمين ، وما أضعف ديننا وأهله ، المحاباتهم للأقوياء فيه ، فكانت محابة العلماء للملوك والخلفاء وبالأعلى عليهم وعلى الناس ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه — ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) ومن الله نستمد الصواب ، ونسأله الحكمة وفصل الخطاب :

(المنار : ج ١٠) (٩٢) (المجلد الثالث والعشرون)

١ - التعريف بالخلافة

الخلافة، والامامة العظمى، وإمارة المؤمنين — ثلاث كلمات معناها واحد وهو رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا قال العلامة الاصولي المحقق السعد التفتازاني في متن مقاصد الطالبين ، في علم أصول عقائد الدين^(١) : « الفصل الرابع — أي من العقائد السمية — في الامامة وهي رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلامة الفقيه ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية^(٢) الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا

وكلام سائر علماء العقائد والفقهاء من جميع مذاهب أهل السنة لا يخرج عن هذا المعنى ، الا أن الامام الرازي زاد قيداً في التعريف فقال : هي رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص واحد من الاشخاص . وقال هو احتراز عن كل الامة اذا عزلوا الامام لنفسه . قال السعد في شرح المقاصد بعد ذكر هذا القيد في التعريف وما علقه به : وكأنه أراد بكل الامة أهل الحل والعقد واعتبر رئاستهم على من عداهم أو على كل من آحاد الامة اهـ

٢ - حكم الامامة أو نصب الخليفة

أجمع سلف الامة وأهل السنة وجمهور الطوائف الاخرى على أن نصب الامام أي توليته على الامة واجب على المسلمين شرعا لاعقلا فقط كما قال بعض الممتزلة واستدلوا بأمر يخصها السعد في متن المقاصد بقوله : لنا وجوه (الاول) الاجماع وبين في الشرح ان المراد اجماع الصحابة قال وهو العمدة ، حتى قدموه على دفن النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) انه لا يتم الا به ما وجب من اقامة الحدود وسد الثغور ونحو ذلك مما يتعلق بحفظ النظام (الثالث) ان فيه جلب منافع ودفع مضار لا تحصى وذلك واجب اجماعا (الرابع) وجوب طاعته

« ١ » توفي سعد الدين سنة ٧٩١ وطبع شرحه للمقاصد في الاستانة سنة ١٣٠٥ وهو عمدة علماء الكلام من العرب والترك وغيرهم « ٢ » توفي سنة ٤٥٠ وكتابه هذا فريد في بابه وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٢٨ ومترجم بعدة لغات

ومعرفته بالكتاب والسنة ، وهو يقتضي وجوب حصوله وذلك بنصبه اه
ومعنى الاخير أن ما اجمعوا عليه من وجوب طاعته في المعروف شرعا ووجوب
معرفته بالكتاب والسنة وكونها من اهم شروطه يقتضي ان نصبه واجب شرعا
وقد اطل السعد في شرح المقاصد في بيان هذه الوجوه وما اعترض به بعض
المبتدعة المخالفون عليها والجواب عنها

وقد غفل هو وأمثاله عن الاستدلال على نصب نصب الامام بالاحاديث
الصحيحة الواردة في التزام جماعة المسلمين وامامهم وفي بعضها التصريح بأن
« من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » رواه مسلم من حديث لابن
عمر مرفوعاً ، وسيأتي حديث حذيفة المتفق عليه وفيه قوله (ص) له « تلزم
جماعة المسلمين وامامهم »

٣ - من ينصب الخليفة ويعزله

اتفق أهل السنة على ان نصب الخليفة فرض كفاية ، وان المطالب به أهل
الحل والعقد في الامة ، ووافقهم المعتزلة والخوارج على ان الامة تنعقد
ببيعة أهل الحل والعقد . ولكن اضطرب كلام بعض العلماء في أهل الحل والعقد
من هم ؟ وهل تشترط مبايعتهم كلهم ام يكفي بعدد معين منهم ؟ ام لا يشترط
العدد ؟ وكان ينبغي ان تكون تسميتهم بأهل الحل والعقد مائة من الخلاف
فيهم ، اذ المتبادر منه انهم زعماء الامة واولو المسكنة وموضع الثقة من سوادها
الاعظم ، بحيث تتبعهم في طاعة من يولونه عليها فينتظم به امرها ، ويكون بئامن
من عصيانها وخروجها عليه ، قال السعد في شرح المقاصد كغيره من المتكلمين
والفقهاء : هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس ^(١) زاد في المنهاج للنووي الذين
يتيسر اجتماعهم . وعلة شارحه الرمي بقوله لان الامر ينتظم بهم ويتبعهم
سائر الناس . وهذا التعليل هو غاية التحقيق منطقاً ومفهوماً فاذا لم يكن
المبايعون بحيث تتبعهم الامة فلا تنعقد الامة بمبايعتهم . وهذا هو المأخوذ من
عمل الصحابة رضي الله عنهم في تولية الخلفاء الراشدين فان عمر عدّ البدء في بيعة
ابي بكر فلة لانه وقع قبل ان يتم التشاور بين جميع أهل الحل والعقد اذ لم

« ١ » قال الشيرازي في قولهم ووجوه الناس : من عطف العام على الخاص
فان وجوه الناس عظماءهم بامارة أو علم أو غيرها اه ص ١٢٠ ج ٧

يكن في سقينة بني ساعدة احد من بني هاشم وهم في ذروتهم ،
وتضافت الروايات بأن أبا بكر (رض) اطال التشاور مع كبراء الصحابة
في ترشيح عمر فلم يعبه أحد له شيء الا شدته ، وان كانوا يعترفون
انها في الحق فكان يجيبهم بأنه يراه يلين فيشتد هو - وهو وزيره - ليعتدل الامر ،
وان الامر اذا آل اليه يلين في موضع اللين ويشتد في موضع الشدة - حتى اذا
رأى انه أقنع جمهور الزعماء - وفي مقدمتهم علي كرم الله وجهه - صرح باستخلافه
فقبلوا ولم يشذ منهم أحد ، ولما طعن عمر رأى حصر الشورى الواجبة في
الستة الزعماء الذين مات الرسول (ص) وهو عنهم راض لعلمه بأنه لا يتقدم
عليهم احد ولا يخالفهم فيما يتفقون عليه أحد ، لانهم هم المرشحون للإمامة
دون سواهم (وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن
ابن عوف) ، ولما أخرج نفسه عبد الرحمن بن عوف منهم وجعلوا له الاختيار
بقي ثلاثا لا تكتحل عينه بكثير نوم وهو يشاور كبراء المهاجرين والانصار ،
ولما رجح عثمان دعا المهاجرين والانصار وامراء الاجناد فلما اجتمعوا عند منبر
رسول الله (ص) بعد صلاة الفجر صرح لهم باختياره وبايعه هؤلاء كلهم ،
رواه البخاري في صحيحه وغيره . والمراد بأمراء الاجناد ولادة الاقطار
الكبرى مصر والشام وحمص والكوفة والبصرة وكانوا قد حجوا مع عمر في
ذلك العام وحضروا معه المدينة . ولما شذ احد هؤلاء الولاة - وهو معاوية
فلم يبايع عليا كرم الله وجهه مع اجماع سائر المسلمين على مبايعته كان من الفتنة
وتفرق الكلمة ما كان . وانما تصح المبايعة باتفاقهم ، واتفاق الاكثرين الذين يتبعهم
غيرهم ، ومن لم يتبعهم بالاختيار ، سهل عليهم إكراهه بقوة الامة على الطاعة والانقياد
ومن رؤسائهم في هذا العصر قواد الجيش ، كوزير الحربية واركان الحرب ،
ومتى تمت البيعة في العاصمة وجب ان تتبعها الولايات بمبايعة ولائها اذا كانوا
يتبعون فيها ، والا وجب ان ينضم اليهم زعماء أهلها من العلماء والقواد وغيرهم
وغلط بعض المعتزلة والفقهاء فقالوا ان البيعة تنعقد دائما بخمسة ممن
يصلح للإمامة بدليل ما أشار به عمر اذ حصر الشورى في الستة المرشحين وقبل
جميع الصحابة منه ذلك فكان اجماعا . نعم كان اجماعا في تلك الواقعة ، لا اجماعا
على ذلك العدد في كل مبايعة ، وقالوا ان مذهب الاشعري انها تنعقد بعقد واحد

منهم اذا كان بمشهد من الشهود وهو غلط أوضح . وقد ذكر هذا القول الفقهاء مقيدا بما اذا انحصر الحل والعقد فيه ^(١) بأن وثق زعماء الامة به وفوضوا أمرهم اليه ، وهذا لم يعم ويندر ان يقع . وامامة عثمان لم تكن بمبايعة عبد الرحمن بن عوف وحده بل كانت عامة لا خاصة به ، وكذلك مبايعة عمر لابى بكر ، فان الامامة لم تنعقد بمبايعته وحده بل بمتابعة الجماعة له ، وقد صرح ان عمر أنكر على من زعم ان البيعة تنعقد بواحد من غير مشاورة الجماعة وكان بلغه هذا القول في أثناء حجه فعزم على بيان حقيقة امر المبايعة وما يشترط فيها من الشورى على جماهير الحجاج فذكره بعضهم بان الموسم يجمع اخلاط الناس ومن لا يفهمون المقال ، فيطرون به كل مطار ، وانه يجب ان يرجي هذا البيان الى أن يعود الى المدينة فيلقيه على اهل العلم والرأي ففعل

قال على منبر الرسول (ص) : بلغني ان قائلًا منكم يقول والله لو مات عمر لبايعت فلانا - فلا يغترن امرؤ ان يقول ان بيعة ابى بكر كانت فلتة فتمت ، الا وانها قد كانت كذلك ولكن وقى الله شرها ، وليس فيكم من تقطع اليه الاعناق ^(٢) مثل أبى بكر ، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا . ثم ساق خبر بيعة ابى بكر وما كان يخشى من وقوع الفتنة بين المهاجرين والانصار لولا تلك المبادرة بمبايعته للثقة بقبول سائر المسلمين . رواه البخاري وقد أقرت جماعة الصحابة عمر على ذلك فكان اجماعا فتحرب بهذا أن الاصل في المبايعة ان تكون بعد استشارة جمهور المسلمين واختيار أهل الحل والعقد ولا تعتبر مبايعة غيرهم الا أن تكون تبعاً لهم . وان عمل عمر (رض) خالف هذا الاصل القطعي فكان فلتة لمقتضيات خاصة لا أصلاً شرعياً يعمل به ، ومن تصدى لمثل قبایع احدا فلا يصح ان يكون هو ولا من بايعه اهلاً للمبايعة ، بل يكون ذلك تفريراً قد يفضي الى قتلها اذا أحدث في الامة شقاقا يوجب

٤ — سلطة الامة ومعنى الجماعة

قال الله تعالى في وصف المؤمنين (وامرهم شورى بينهم) والقرآن يخاطب جماعة المؤمنين بالاحكام التي يشرعها حتى احكام القتال ونحوها من الامور العامة « ١ » الرمي في شرح المنهاج ص ١٢٠ ج ٧ « ٢ » اي اعناق المطي في الرحلة اليه

التي لا تتعلق بالافراد كما بيناه في التفسير ، وقد امر بطاعة اولي الامر — وهم جماعة — لاولي الامر ، وذلك ان اولي الامر انما يطاع بتأييد جماعة المسلمين الذين بايموه له وثقتهم به ، ويدل على هذا المعنى ماورد من الاحاديث الصحيحة في التزام الجماعة وكون طاعة الامير تابعة لطاعتهم واجتماع الكلمة بسلطتهم كحديث ابن عباس في الصحيحين عن النبي (ص) قال « من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية » ولما اخبر النبي (ص) حذيفة بن اليمان بما يكون في الامة من الفتن في الحديث الصحيح المشهور قال فما تأمرني ان أدركني ذلك ؟ قال (ص) « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قال قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال « فاعتزل تلك الفرق كلها » الخ قال الطبري بعد ذكر الخلاف في الجماعة ، ومنه حصر بعضهم إياه في الصحابة ، والصواب لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره فنكث بيعته خرج عن الجماعة (قال) وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع ان استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر اه نقله عنه الحافظ في شرح البخاري واقره

هؤلاء الجماعة هم اولو الامر من المسلمين واهل الحل والعقد ومنهم اولو الشورى لدى الامام ، ومتى خوطب المؤمنون في الكتاب والسنة وآثار الصحابة في امر من الامور العامة فهم المعنيون المطالبون بتنفيذ الامر ، ومن الآثار الدالة على الاجماع في ذلك قول ابي بكر (رض) في خطبته الاولى بعد المبايعة : أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمتم فأعينوني ، واذا زغت فقوموني . وروي نحوه عن عمرو عثمان : وهم الذين فرضوا له رانب الخلافة لرحل من أوساط المهاجرين لا أعلاهم ولا أدناهم

وقد تقدم في التعريف بالخلافة قول الرازي ان الرئاسة العامة هي حق الامة التي لها أن تعزل الامام (الخليفة) اذا رأت موجبا لعزله ، وقد فسر السعد معنى هذه الرئاسة لثلاث اشكال فيقال اذا كانت الرئاسة للامة فمن المرءوس ؟ فقال إنه يريد بالامة اهل الحل والعقد أي الذين يمثلون الامة بما لهم فيها من الزعامة والمكانة ، ورئاستهم تكون على من عداهم أو على جميع أفراد الامة . والثاني هو الصحيح ويؤيد هذا تفسير الرازي لاولي الامر في قوله تعالى (٤ : ٥٨) يأياها الذين آمنوا أطيعوا

الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فقد حقق أن المراد بأولي الأمر أهل الحل والعقد الذين يمثلون سلطة الامة . وقد تابعه على هذا النيسابوري واختاره الاستاذ الامام ، ووضحناه في التفسير مستدلين عليه بقوله تعالى (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومن المعلوم بالضرورة أن أولي الأمر الذين كانوا مع الرسول يرد اليهم معه أمر الأمن والخوف وما أشبههما من المصالح العامة ليسوا علماء الفقه ولا الاسراء والحكام — بل أهل الشورى من زعماء المسلمين^(١)

هـ — شروط أهل الاختيار للخليفة

اشتراط العلماء في جماعة المسلمين أهل الحل والعقد شروطا بينها الماوردي في الاحكام السلطانية بقوله :

(فصل) فاذا ثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم^(١) فاذا قام بها من هو اهلها سقط فرضها عن الكافة وان لم يقيم بها احد خرج من الناس فريقان (احدهما) اهل الاختيار حتى يختاروا اماماً للامة (والثاني) أهل الامامة حتى ينتصب احدهم للامامة . .

فاما اهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة (احدهما) العدالة الجامعة لشروطها (والثاني) العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها (والثالث) الرأي والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للامامة اصلح ، وبتدبير المصالح اقوم واعرف . وليس لمن كان في بلد الامام على غيره من هل البلاد فضل مزية يقدم بها عليه ، وإنما صار من يحضر ببلد الامام متولياً لعقد الامامة عرفاً وشروطاً ، لسبق علمهم بموته ، ولأن من يصلح للامامة في الاغلب موجودون في بلده اهـ (فتح الباري)

أقول لهذه الشروط مأخذ من هدي السلف فقد قال الطبري : لم يكن

(١) راجع تفسير « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » في آخر تفسير المجلد ١٣ وأول ١٤ من المنار أو الجزء الخامس من التفسير ص ١٨٠ — ٢٢٢ المراد بطلب العلم هنا تحصيل ما فوق الفروض العينية من علوم اللغة والشرع وفنون المعيشة والطب والقتال

في أهل لاسلام أحده من المنزلة في الدين والهجرة والسابقة والعقل والعلم والمعرفة بالسياسة ما للسته الذين جعل عمر الامر شورى بينهم ، اه
أما العدالة التي هي الشرط الاول فهي عند الفقهاء عبارة عن التحلي بالفرائض والفضائل ، والتخلي عن المعاصي والردائل ، وعما يخل بالمروءة ايضاً ، واشترط بعضهم فيها ان تكون ملكة لا تكلفاً ، ولكن التكلف اذا التزم صار خلقاً
وأما العلم فيعنون به علم الدين واذا اطلقوه كان المراد به العلم الاستقلالي المعبر عنه بالاجتهاد ، ويفهم من كلام بعضهم ان الاجتهاد في الشرع شرط في مجموعهم لا في كل فرد منهم ، فقد قال في الروضة وأصلها انه يشترط ان يكون فيهم مجتهد وتقييده شرط العلم بما قيده به يدل على أنه يختلف باختلاف الزمان فان استحقاق الامامة في هذا العصر يتوقف على علوم لم يكن يتوقف عليها في العصور القديمة ، وقد ذكر بعض العلماء أن من مرجحات اختيار الصحابة لابي بكر (رض) أنه كان أعلمهم بأنساب العرب وبأحوالهم وقواتهم ، ولأجل هذا لم يهب من قتال أهل الردة ما هابه عمر ، ولابد الآن للامام وجماعة الشورى (أهل الحل والعقد) الذين هم قوام إمامته وأركان حكومته من العلم بالقوانين الدولية والمعاهدات العامة ، وبأحوال الأمم والدول المجاورة لبلاد الاسلام وذات العلاقات السياسية والتجارية بها من حيث سياستها وقوتها وما يخاف ويرجى منها ، وما يحتاج اليه لاتقاء ضررها والانتفاع بها ، ..
ومن الآثار في ذلك قول الحافظ في السكلام على مبايعة عثمان من (الفتح) :
والذي يظهر من سيرة عمر في امرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد انه كان لا يراعي الا فضل في الدين فقط بل يضم اليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع فيها فلأجل ذلك استخاف (أي أمر) معاوية والمغيرة بن شعبة وعمر بن العاص مع وجود من هو أفضل منهم في أمر الدين والعلم كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة اه وسيرة أبي بكر وعمر في الخلافة يقتدي بها ولا سيما في الامور العامة الكلية التي تسمى سنة بدليل اشتراط عبد الرحمن إياها مع سنة الرسول على علي وامتناعه عن ترجيحه لعدم جزمه في الجواب أو تقييده بالاستطاعة وترجيحه لعثمان لجزمه بغير قيد لان سنتهما نالت الاجماع ولقوله (ص) « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه احمد والترمذي

وابن ماجه عن حذيفة وصححوه ، وبالع فقهاء المذاهب المدونة فعدوا أعماله قواعد في الجزئيات كالخراج ومعاملة أهل الذمة وهي أعمال اجتهادية تتبع المصلحة وهذا العلم هو المادة لما ذكر في الشرط الثالث من الحكمة وجودة الرأي . ولم يشترط قوة العصبية فيهم لان المفروض انهم أهل الحل والعقد الذين تعتمد عليهم الامة في امورها العامة ، وأن أحكام الشرع فيها هي الحاكمة والنافذة ، وان المسلمين لا يدينون الا بها ، ولا يخضعون الا لمن ينفذها ، وأما التغلب بعصبية الجنس فليس من هدي الاسلام في شيء ، بل هو خروج عن هدايته ، وحكمه فيه سيذكر بعد

فعل مما تقدم ان لقب أهل الحل والعقد مراد به معنى المصدرين فيه بالقوة وبالفعل وهم الرؤساء الذين تتبعهم الامة في امورها العامة ، واهمها نصب الامام الاعظم وكذا عزله اذا ثبت عندهم وجوب ذلك ، ومن يملك التولية يملك العزل ، كما تقدم بيانه في مسألة سلطة الامة ، قال امام الحرمين في الامام الذي « جارو ظهر ظلمه وغشمه ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعه : فلاحل الحل والعقد التواطؤ على ردعه ولو بشهر السلاح ونصيب الحروب » ^(١) ومن ظن ان كل من يوصف بالعلم والوجاهة تنعقد بيعتهم الامامة ويجب على الامة اتباعهم فيها فقد جهل معنى الحل والعقد ومعنى الجماعة والاجماع ، وما تقدم من الاخبار والآثار ، ومن كلام المحققين في المسألة ولا سيما شروط أهل الاختيار :

٦ - الشروط المعتبرة في الخليفة

قال السعد : وقد ذكر في كتبنا الفقهية انه لا بد للامة من امام يحمي الدين ويقيم السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها . ويشترط أن يكون مكلفاً مسلماً عدلاً حراً ذكراً مجتهداً شجاعاً ذا رأي وكفاية سمياً ، بصيراً ناطقاً قريحياً . فان لم يوجد في قریش من يستجمع الصفات المعتبرة ولي كناني فان لم يوجد فرجل من ولد اسماعيل فان لم يوجد فرجل من المعجم اه ^(٢) والمراد بقوله مجتهداً الاجتهاد في الاحكام الشرعية ، بالعلم بأدلتها التفصيلية والتفصيل الاخير في حال فقد القرشي للشافعية وقيل انه من فرض ما لا يقع ،

« ١ » شرح المقاصد « ٢٧٢ ج ٢ » « ٢ » « ص ٢٧١ ج ٢ » ايضاً

وكل ما قبله متفق عليه عند أهل السنة ، الا الحنفية فقد أجاز بعضهم تولية غير العالم المجتهد لانه يستعين بالمفتين المجتهدين كالقضاء وقد قال الشيخ قاسم بن قلطوبغا في حاشيته على المسامرة لشيخه الكمال بن الهمام ^(١) ان الشروط التي لا تمنع الخلافة بدونها عند الحنفية هي الاسلام والذكورة والحرية والعقل وأصل الشجاعة وان يكون قرشياً . اه أي وما عدا هذه فشرط تقديم في الاختيار لا شروط انعقاد ووضع الماوردي هذه الشروط بقوله ^(٢)

« وأما أهل الامامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة (احدها) العدالة على شروطها الجامعة (والثاني) العلم المؤدي الى الاجتهاد في النوازل والاحكام (والثالث) سلامة الخواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها (والرابع) سلامة الاعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض (والخامس) الرأي المفضي الى سياسة الرعية وتدير المصالح (والسادس) الشجاعة والنجدة المؤدية الى حماية البيضة وجهاد العدو (والسابع) النسب وهو ان يكون من قريش لورود النص فيه ، وانعقاد الاجماع عليه ، ولا اعتبار بضرار حين شذخوزها في جميع الناس لان أبا بكر الصديق (رض) اجتمع يوم السقيفة على الانصار في دفعهم عن الخلافة لما بايعوا سعد بن عبادة عليها (أي أرادوا مبايعته) بقول النبي (ص) « الائمة من قريش » فأقلعوا عن التفرد بها ، ورجعوا عن المشاركة فيها حين قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، تسليماً لروايته ، وتصديقاً لخبره ، ورضوا بقوله : نحن الامراء ، وأنتم الوزراء . وقال النبي (ص) « قدموا قريشاً ولا تقدموها » — أي ولا تتقدموها — وليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ، ولا قول لمخالف له . اه

أقول : قد تقدم الكلام في العدالة والعلم المشترطين في أهل الاختيار ويأتي مثله هنا بالاولى ، أما الاجماع على اشتراط القرشية فقد ثبت بالنقل والفعل ، رواه ثقة المحدثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم . وجرى (١) توفي الكمال سنة ٨٦١ وهو من أجل علماء الحنفية قيل انه بلغ درجة الاجتهاد المطلق وتوفي الشيخ قاسم المذكور سنة ٨٧٨ والظاهر انه من علماء الترك والمسامرة مطبوعة مع شرحها للكمال بن أبي شريف الشافعي المتوفى سنة ٩٠٥ في حاشية الشيخ قاسم بالمطبعة الاميرية سنة ١٣١٦ (٢) ص (٥٤) من الاحكام السلطانية

المنار : ج ١٠ م ٢٣ الاحاديث في اشتراط النسب القرشي في الامام ٧٣٩

عليه العمل بتسليم الانصار واذعانهم لبني قريش ثم اذعان السواد الاعظم من الامة عدة قرون حتى ان الترك الذين تغلبوا على العباسيين وسلبوهم السلطة بالفعل لم يتجرأ أحد منهم على ادعاء الخلافة ولا التصدي لانتجائها حتى بالتغلب الذي يجيئ الكلام فيه بعد ، وما ذلك الا لان الامة كلها مجمعة على ما ذكر معتقدة له دينا بل كانوا يدعون النيابة عنهم ،

وأما الاحاديث في ذلك فكثيرة مستفيضة في جميع كتب السنة وقد أخرجوها في كتب الاحكام وأبواب الخلافة أو الامارة والمناقب وغيرها ولم يقع خلاف في مضمون مجموعها بين أهل السنة من عرب ولا عجم ، ولم يتصدأ أحد من علماء الترك لتأويلها ، وقد طبع بعض الكتب المثبتة لها في الآستانة باذن نظارة المعارف حتى في زمن السلطان عبد الحميد الذي لم يهتم بقلب الخليفة أحد مثله ومنها شرح المقاصد الذي نقلنا عنه هنا ما نقلنا ، وكذا المواقف مع شرحه وحواشيه . وحديث « قدموا قريشاً ولا تقدموها » الذي ذكره الماوردي رواه الشافعي والبيهقي في المعرفة بلاغاً وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة والبخاري في مسنده من حديث علي كرم الله وجهه والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن السائب بأسانيد صحيحة . وفي معناه حديث أبي هريرة المرفوع في الصحيحين « الناس تبم لقريش في هذا الشأن » ولا يزيد ذكر بقية الاحاديث وانما خرجنا الحديث الذي اعتمدناه المار ذكرنا ليقرب منه في لفظه لانه لم يخرج من حسبنا من قوة حديث « الله شريك قريش » من حيث الرواية قول الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند ذكره في المناقب من صحيح البخاري ما نصه : قد جمعت طرقه عن نحو أربعين صحابياً لما بلغني ان بعض فضلاء العصر ذكر انه لم يرو الا عن أبي بكر الصديق اه و ذكر الحافظ ان لفظ أبي بكر لسعد ابن عباد في السقيفة في مسند أحمد : والله لقد علمت ياسعد ان رسول الله (ص) قال وأنت قاعد « قريش ولادة هذا الامر » فقال له سعد : صدقت . فن علم هذا لا يلتفت الى ما يذكره بعض أهل هذا العصر من تأويل تلك الاحاديث والبحث في اسانيد بعض ، او من ان شرط القرشية من الشروط الخلافية وان قال هذا بعض كبار المتكلمين فان هؤلاء يذكرون أمثال هذه الخلافات الشاذة عن بعض المبتدعة لاجل الرد عليها ، لا لانها كالخلاف بين أئمة الحق في المسائل الاجتهادية

وغرض من يماري أو يكتم شرط القرشية في هذا العصر تصحيح خلافة سلاطين بني عثمان ، وهذا مالا سبيل اليه عند أهل السنة المشترطين للقرشية باجماع مذاهبهم الا بقاعدة التغلب ، وأما عند الخوارج فلا سبيل اليه البتة . لانهم انما أنكروا شرط القرشية ، نعل الحصر الامامة في بيت معين . وماذا يضر العثمانيين ان تكون خلافتهم بالتغلب وقد قال بعض الفقهاء في بني أمية وبني العباس كلهم أو جلهم مثل ذلك

وأما حكمة حصر النبي (ص) الخلافة الشرعية فيهم أو سببه فقد ذكر المتكلمون والفقهاء فيه ما روي من قول أبي بكر الصديق فيه للانصار في سقيفة بني ساعدة : من انهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وأعزهم أحسابا . وزاد بعضهم ما كان الصديق في غنى عنه في ذلك الوقت . وأجمع كلام لهم في هذا ما ذكره الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة) ^(١) وفي بعضه نظر قال : — « والسبب المفضي لهذا ان الحق الذي أظهره الله على لسان نبيه (ص) انما جاء بلسان قريش وفي عاداتهم ، وكان أكثر ما تعين من المقادير والحدود ما هو عندهم ، وكان المعدل لكثير من الاحكام ما هو فيهم ، فهم أقوم به ، وأكثر الناس تمسكا بذلك ، وأيضا فان قريشا قوم النبي (ص) وحزبه ولا نخر لهم الا بعلو دين محمد (ص) وقد اجتمع فيهم حمية دينية ، وحمية نسبية ، فكانوا مظنة القيام بالشرائع والتمسك بها ، وأيضا فانه يجب أن يكون الخليفة ممن لا يستنكف الناس من طاعته لجلالة نسبه وحسبه ، فان من لا نسب له يراه الناس حقيرا ذليلا ، وأن يكون ممن عرف منهم الرئاسة والشرف ، ومارس قومه جمع الرجال ونصب القتال ، وأن يكون قومه أقوياء يحمونه وينصرونه ويبذلون دونه الأنفس ، ولم تجتمع هذه الامور الا في قريش ولا سيما بعد ما بعث النبي (ص) ونبه به أمر قريش ، وقد أشار أبو بكر الصديق (رض) الى هذه فقال : وان يعرف هذا الامر الا لقريش هم أوسط العرب دارا الخ »

« وانما لم يشترط كونه هاشميا مثلا لوجهين (أحدهما) أن لا يقيم الناس في الشك فيقولوا انما أراد ملك أهل بيته كسائر الملوك فيكون سببا للارتداد ،

(١) ولد سنة ١١٠١ وتوفي سنة ١١٧٦ وهو مجدد علوم الدين في الهند في القرن الثاني عشر وكتابه هذا في حكمة التشريع طبع في الهند وصر مرارا

ولهذه العلة لم يعط النبي (ص) المفتاح (أي مفتاح الكعبة) للعباس ابن عبد المطلب (رض) (والثاني) أن المهم في الخلافة رضاء الناس به واجتماعهم عليه وتوقيعهم إياه وان يقيم الحدود ويناضل دون الملة وينفذ الاحكام ، واجتماع هذه الامور لا يكون الا في واحد بعد واحد ، وفي اشتراط أن يكون من قبيلة خاصة تضيق وخرج فربما لم يكن في هذه القبيلة من تجتمع فيه الشروط وكان في غيرها اه

وأقول : إن الله تعالى ختم دينه وأتمه وأكمله بكتابه الحكيم الذي أنزله « قرآنًا عربيًا » ^(١) و « حكماً عربياً » ^(٢) على خاتم رسله العربي القرشي ، واقتضت حكمته أن يكون نشره في مشارق الارض ومغاربها بدعوة قريش وزعامتهم ، وقوة العرب وحماية هذه الدعوة بسبوفهم ، وكل من دخل في الاسلام من الاعاجم وكان له عمل صالح فيه كان تابعاً لهم متلقياً عنهم ، على مساواة الشرع في احكامه بينهم ، ونبوغ كثير من مواليتهم الذين استعربوا بالتبع لهم ، وكانت قريش في جملة بطونها أكمل العرب خلقاً وأخلاقاً وفصاحة وذكاء وفهماً وقوة عارضة كما كانت أصرح نسباً في سلالة اسماعيل وأشرف تاريخاً في العرب بفضائلها وفواضلها وخدمتها لبيت الله تعالى — فكان مجموع هذه المزايا التي كملت بالاسلام مؤهلاً لها لاجتماع كلمة العرب عليها ، ثم كلمة من يدخل في الاسلام من شعوب العجم بالاولى ، ولا سيما بعد النص من الرسول (ص) بذلك واجماع أصحابه عليه — فحكمة جعله صلوات الله وسلامه عليه خلافة نبوته فيها وسببه أمران (الاول) كثرة المزايا التي تنتشر بها الدعوة ، وتكون بحسب طباع البشر سبباً لجم الكلمة ، ومنع المعارضة والمزاجمة أو ضعفها — وكذلك كان ، فان الناس أذعنوا لهم على تنازعهم وكثرة من لم يقيم باعلاء الخلافة منهم ولا أخذها بحقها فلم يكونوا يبتغون بديلاً من فرداً أو بيت منهم ، الا الى آخر منهم ، وكان افتئات بعض الاعاجم على بعض العباسيين فسقا عن الشرع اكسائر أنواع التعدي على الاموال والاعراض (والثاني) أن تكون اقامة الاسلام متسلسلة في سلاسل أول من تلقاها وودعها اليها ونشرها حتى لا ينقطع اتصال سيرها المعنوي والتاريخي فان

الملل والامم وليدة التاريخ وريبته

ألم تروا أن سيرة الخلفاء الراشدين تعد هي المثل الاعلى لاحكام الكتاب والسنة النبوية وهديهما ، وان سيرة الخلفاء المدنيين من الامويين والعباسيين الذين نشروا العلوم والفنون ورقوا الحضارة في الشرق والغرب تعد أصل المدنية الاسلامية وسندها ؟ ألم تروا أن صلة العالم الاسلامي بمهد الاسلام الموضوعي (الحجاز) تعد في الدرجة الثانية لصلته بكتابه وسنته ، حتى ان الخليفة الذي نصبته الدولة التركية الجديدة في الآستانة قد لقب نفسه بخادم الحرمين الشريفين كالسلاطين الذين كان الحجاز خاضعاً لهم ؟

ألم تعلموا ان الاسلام على حرية وسماحته قد خص الحجاز أو جزيرة العرب بأن لا يبقى فيها دينان وأوصى بذلك النبي (ص) في آخر حياته ؟ ألم يبلغكم أن بعض المؤرخين من غير المسلمين قال : لو أن الجيش الذي فتح جنوب فرنسا بعد فتح الاندلس كان كله أو أكثره عربياً لملك أوربة كلها ودان له أهلها ، وإنما انتقض الافرنج عليه لان أكثره كان من البربر الذين لم يفهموا الاسلام ولم يلتزموا احكامه في حفظ اليهود والعدل وعدم الاعتماد على الاموال والاعراض كالعرب ، أفرايتم لو جعل الاسلام خلافة النبوة مشاعاً وتغلب عليها المعجم من القرون الاولى أكان يحفظ الاسلام ولفته كما حفظ بنشر خلفاء قريش له من برهم وقاجرهم ؟ وهذا بحث يتسع المجال لشرحه ولكن في غير هذا المقال الذي نريد أن يكون بقدر الحاجة الطارئة ،

وقد أورد بعض فضلاء العصر شبهة على جعل الخلافة في قريش بأنها تعارض ما جاء به الاسلام من المساواة ومن نزع العصبية وتسود طائفة معينة على سائر المسلمين بل جعلها كالشبهة التي أوردتها بعض العلماء على الشيعة الذين يحصرونها في العلويين من أنها تفتح باب الطعن في الاسلام لغير المؤمنين بزعمهم أن النبي (ص) إنما أسس ملكاً لأهل بيته ، وكل ذلك ظاهر البطلان كما بيناه في موضع آخر من المنار فان قريشاً بطون كثيرة متفرقة وكان بينها من التعادي في الجاهلية ما بين غيرها من قبائل العرب وبطونها ومنه عداوة بني عبد شمس لبني هاشم التي خفيت في بعد فتح النبي (ص) لمكة وتأليفه لأبي سفيان كبير بني أمية وفي خلافة أبي بكر وعمر ، وبدأ الاستعداد لظهارها

في خلافة عثمان وأظهرها معاوية بعده . ولم يتجدد لقريش شأن في زمن الراشدين لم يكن لها ولا في زمن الأمويين والعباسيين إلا أن الأمويين كانت عندهم عصبية لأهل بيتهم ثم للعربية فمقتهم العالم الإسلامي وقلوبهم قبل أن يستكمل ملكهم قرناً واحداً .

ولم يكن لبني تميم في خلافة أبي بكر ولا لبني عدي في خلافة عمر أدنى امتياز على أحد من أقرانهم ، ونزوان بني أمية على مصالح الأمة في زمان عثمان كان بسبب ضعفه ، لا بنصرة عصبية منه ، ولم يغفر له الرأي الإسلامي العام هذا بل هاج الناس عليه حتى كان ذلك تمهيداً لتمكن أصحاب الدسائس الخفية في الإسلام من قتله ، أعني دسائس حزب عبدالله بن سبأ اليهودي والمجوس مثيري الفتن في الإسلام

وقد روي أن الامام العادل العاقل عمر حذر عثمان وعلياً وعبدالرحمن من مثل هذا الايثار للأقارب المنافي لهدي الإسلام والمفضي الى فساد الامر ، فقال لهم لما جعل الامر في الستة : ان الناس لن يعدوكم أيها الثلاثة ، فان كنت يا عثمان في شيء من أمر الناس فاتق الله ولا تحملن بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس ، وان كنت يا علي فاتق الله ولا تحملن بني هاشم على رقاب الناس ؛ وقال لعبد الرحمن مثل ذلك . ذكره الحافظ في شرح البخاري ، وقوله ان الناس لن يعدوكم مبني على القاعدة التي قررناها وهي ان أمر الخلافة للأمة لا للستة الزعماء الذين أراد عمر جمع كلمة الأمة بجمع كلمتهم لعلو مكانتهم فيها بمناقبهم على ان النبي (ص) قد أوعد قريشاً في بعض الأحاديث بانتقام الله منهم اذا لم يقيموا الحق والعدل والرحمة كما شرعها ، والأحاديث في ذلك متعددة منها قوله (ص) « يا معشر قريش انكم أهل هذا الامر ما لم تحدثوا فاذا غيرتم بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحى القضيب » رواه أحمد وأبو يعلى عن ابن مسعود بسند رجاله ثقات وله طريق آخر بلفظ آخر وشواهد ومنها « الامراء من قريش ما عملوا فيكم بثلاث — مارحموا اذا استرحموا وأقسطوا اذا قسموا وعدلوا اذا حكموا » رواه الحاكم عن أنس بسند حسن

هذا وان العباسيين لم يحملوا بني هاشم على رقاب الناس بل كانوا أشد من بني أمية وطأة على العلويين الذين هم خيارهم وفضلوا الفرس ثم الترك على العرب ،

وأما العلويون فكانوا أزهد الناس في الدنيا وملكيها ، ولولا ذلك لسعوا لها سعيها ، ومن صبح منه الهوى أرشد للحيل ، ولم يتول أحد منهم الامامة بعد ان نزل عنها الامام الحسن السبط عليه السلام الا أئمة الزيدية في اليمن فكانوا وما زالوا أفضل وأعدل أهل بيت تولوها بعد الراشدين . واما ادارسة المغرب فيلقبون بالسلطين وأما المبيديون فكانوا أدعياء في النسب وفي الاسلام أيضاً

وجملة القول ان الشعوبية اوردوا شبهات كثيرة على العرب وعلى قريش وأجاب عنها العلماء كابن قتيبة وغيره ، ولكل قوم محامد ومساوى ودين الله فوق كل شيء وما صبح دليله واجمعت عليه الامة او سوادها الاعظم في خير القرون لا تقبل رأياً ولا بحثاً في نقضه والا لم يبق لنا شيء . من ديننا ، وما كانت أهواء العصبية والمحابة في الدين الا فتنة لنا ، وضارة بعربنا وجمعنا ، وان جهل ذلك الكثيرون منا ، وان حكمة الشارع (ص) في جعل خلافة نبوته في قريش منزهة عن العصبية الجاهلية التي حرماها ، ولبابها مكان قريش من هذا الدين ولعنته وأهلها . إذ لم تقم له قائمة الا بهم وبها ، ثم لم يخدمه أحد من الامايجم الا من أتقنها ، فخدمه أولاً من استعرب من الفرس ، ثم جدد قوة دولته العثمانيون من الترك ، بعد ان مزق شمله وأضعفه سلفهم ، وسنئين بعد ما يجب له عليهما وعليهم .

٧ - صيفة المبايعة

الامامة عقد تحصل بالمبايعة من أهل الحل والعقد لمن اختاروه اماماً للامة بعد الثمناوربينهم ، والاصل في البيعة أن تكون على الكتاب والسنة وإقامة الحق والعدل من قبله وعلى السمع والطاعة في المعروف من قبلهم . ففي الصحيح ان عبد الرحمن ابن عوف قال في مبايعة له عثمان : أبايك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده ، وبأيمه الناس على ذلك . وان الناس لما اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل عبد الله بن الزبير بأيمه عبد الله ابن عمر (رض) بعد ان كان امتنع عن مبايعة معا لأجل الخلاف والتفرقة . فكتب اليه : اني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت . واني بني قد أقروا بذلك .

وكان الصحابة يبايعون النبي (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وقول الحق والقيام به فيما استطاعوا وعدم عصيانه في معروف ، كما قال تعالى في مبايعة النساء له (ولا يعصينك في معروف) وقد صرح أن النبي (ص) هو الذي كان يلتقيهم قيسد الاستطاعة عند المبايعة .^(١) وقد بايعوه أيضاً على الاسلام وعلى الهجرة وعلى الجهاد والصبر وعدم الفرار من القتال وعلى بيعة النساء المنصوصة في القرآن . والاحاديث في هذا معروفة في الصحيحين والسنن . نخص بالذكر منها حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه ولفظه كما في كتاب الفتن من البخاري : دعانا النبي (ص) فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله « إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان » ولفظه في باب المبايعة من كتاب الاحكام « بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وأن لا تنازع الامر أهله ، وأن تقوم أو تقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » قال الحافظ في شرح حديث البخاري في المبايعة على السمع والطاعة الذي تقدم في الأصل عند قوله فيه من كتاب الفتن « وأن لا ننازع الامر أهله » أي الملك والامارة ،

وجملة القول ان العلماء اتفقوا على وجوب الخروج على الامام بالكفر واختلفوا في الظلم والفسق لتعارض الادلة ومنها سد ذريعة الفتنة والتحقيق المختار ان على الافراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما دون الخروج على ولي الامر بالقوة ، وأما أهل الحل والعقد فيجب عليهم ما يرون فيه المصلحة الراجحة حتى القتال وقد تقدم النقل في هذا في مسألة سلطة الامة وسنعود اليه في بحث ما يخرج به الامام من الخلافة

٨ - ما يجب على الامة بالمبايعة

ومتى تمت المبايعة وجب بها على المبايعين وسائر الامة بالتبعية لهم الطاعة للامام في غير معصية الله والنصرة له ، وقتال من بغى عليه أو استبد بالامر دونه ، وسيأتي الكلام على دار العدل والجماعة ، وما يتعلق بها كحكم الهجرة وأهم ما يجب التذكير به من طاعة الامام الحق على كل مسلم وكذا اتمام الضرورة أو التغلب على كل من بايعه بالذات ومن لزمته بيعة أهل الحل والعقد — (المنار : ج ١٠) (٩٤) (المجلد الثالث والعشرون)

أداء زكاة المال والالعام والزرع والتجارة — والجهاد الواجب وجوباً كفائياً على مجموع الأمة والواجب وجوباً عينياً على أفرادها رجالاً ونساءً على ما هو مبين في كتب الفقه ، كما يجب عليهم طاعة من ولاهم أمر البلاد من الولاة السياسيين والقضاة وقواد الجيوش دون غيرهم ، ويجب على هؤلاء الخاضوع له فيما يقيد به سلطتهم وفي عزله إياهم إذا عزلهم ، والشرط العام في الطاعة أن لا تكون في معصية الله تعالى والاحاديث الصحيحة في هذا معروفة وجمع على معناها . ومن الاخبار والآثار التي يحسن إيرادها هنا ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست اليه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح حباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره ^(١) اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه « الصلاة جامعة » فاجتمعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وان أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمر تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً ^(٢) وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ، فن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه . ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه . فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينارعه فاضربوا عنق الآخر » فدنوت منه فقلت له : أنشدك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأهوى الى أذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي ، فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

(١) انتضلوا وتناضلوا — تباروا في الرمي بالسهام ومشابها الرضا ص . والجشربالتحريك الدواب تجعل في مكان ترعى فيه وتبيت ، وهو ما يسمونه الاتن التريع

(٢) يرقق الفتنة بعضها بعضاً : يجعله رقيقاً اي ضعيفاً وانما ذلك بمجيء

متاخرها أشد مما قبله ، فيعد المتقدم رقيقاً بالاضافة الى ما بعده

بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا) قال فسكت ساعة ثم قال اطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله اه وقد أعز الله البشر بالاسلام ومقتضى الكتاب والسنة انه لا طاعة ولا خضوع فيه الا لله تعالى ، وطاعة الرسول من طاعته لقوله (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وطاعة اولي الامر كذلك لقوله (وأولي الامر منكم) ولذلك اشترط فيها ان تكون في تنفيذ اصول شرعه او فروعه . وقد قال بعض امرأه بني أمية لبعض علماء التابعين : أليس الله قد أمركم بأن تطيعونا في قوله (وأولي الامر منكم) ؟ فقال له : أليست قد نزلت عنكم — يعني الطاعة — اذ خالفتكم الحق بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ؟ نقله الحافظ في الفتح : قال ومن بديع الجواب وذكره . على ان اولي الامر هنا الجماعة أي الامة كما تقدم

٩ — ما يجب على الإمام للملة والامة

يجب على الامام نشر دعوة الحق ، واقامة ميزان العدل ، وحماية الدين من الاعتداء والبدع ، والمشاورة في كل ما ليس فيه نص ، وهو مسئول عن عمله يراجع كل أحد من الامة فيما يراه أخطأ فيه ، ويحاسبه عليه أهل الحل والعقد ، وقد قال (ص) « الامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » رواه الشيخان من حديث لابن عمر وغيرهما . وقد بين الماوردي ما يجب عليه في عشر قواعد كلية لم يذكر منها مسألة المشاورة ، على كثرة النصوص فيها ، واستفاضة آثار الراشدين في الجري عليها ، اتباعاً لما صح من عمل النبي (ص) بها ، قال : « والذي يلزمه من الامور العامة عشرة أشياء :

(أحدها) حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجم عليه سلف الامة ، فان نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه ، أوضح له الحجة وبين له الصواب ، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروساً من خلل ، والامة بمنوعة من زلل (الثاني) تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بين المتنازعين ، حتى تم النصفة فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم (الثالث) حماية

البيضة^(١) والذب عن الحريم ، ليتصرف الناس في المعاش وينتشروا في الاسفار ، آمنين من تقرير بنفس أو مال (والرابع) اقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك (والخامس) تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا تظهر الاعداء بغرة يذتهكون فيها مجرمًا ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد^(٢) دماء (والسادس) جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوة ، حتى يسلم أو يدخل في الذمة ، ليقام بحق الله تعالى في اظهاره على الدين كله (والسابع) جباية النقيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًا واجتهادًا من غير خوف ولا عسف (والثامن) تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير (التاسع) استكفاء الامناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه اليهم من الاعمال ، ويكله اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال بالكفاءة مضبوطة ، والاموال بالامناء محفوظة ، (العاشر) أن يباشر بنفسه مشرفة الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة الامة ، وحراسة الملة ، ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة ، فقد يخون الامين ويفش الناصح ، وقد قال الله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ، ولا عذره في اتباع الهوى حتى وصفه بالضلال . وهذا وان كان مستحقا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع . قال النبي عليه السلام « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ولقد اصاب الشاعر فيما وصف به الزعيم المدبر حيث يقول (البسيط)

وقلدوا أمركم الله دركم رجب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لامترفا ان رخاء العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خسما
وليس يشغله مال يشمره عنكم ولا ولد ينبغي له الرفما^(٣)

(١) البيضة في اللغة الواحدة من بيض الطير وبيضة الحديد ، وحوزة كل شيء

وهي المراد هنا أي يحمي حوزة الامة وهو ما يسمونه اليوم بالامن العام

(٢) المعاهد هنا يشمل أهل الذمة ومن يبتنا و بينهم معاهدات من الاجانب

(٣) هذا البيت لم يذكره الماوردي لئلا يتوهم انه ينبغي أن يكون ولي الامر

أبتره مدموا وان كان النفي للما والولد باعتبار ما وصفناه وهو الشغل بهما عن مصلحة الامة

المنار : ج ١٠ م ٢٣ العلوم والفنون الواجبة. الشورى في الاسلام ٧٤٩

ما زال يحجب دُرّ الدهر أشطره يكون متبعاً يوماً ومتبعاً
حتى استمر على شزر مريرته مستحکم الرأي لانفخا ولا ضرعا^(١)
(أقول) عبارته في الواجب الاول في منتهى التحقيق، وهو المحافظة
على ما أجمع عليه السلف الصالح من الدين واطلاق الحرية للامة فيما سواه من
المسائل الاجتهادية من حيث العلم وعمل الافراد في العبادات، وأما ما يتعلق
بالسياسة والقضاء المنوط بالحكومة فله أن يرجح بعض الاحكام الاجتهادية
على بعض، باستشارة العلماء من أهل الحل والعقد، ولا سيما اذا لم يكن هو
من اهل الاجتهاد في الشرع، ولقد كان ائمة الدين يطيعون الخلفاء فيما يخالف
اجتهادهم من امور الحكومة اذا لم يخالف النص القطعي من الكتاب والسنة
ولكنهم لم يطيعوهم في القول بخلق القرآن لانه من امور العقائد التي خالفوا
فيها السلف.

والجهاد الذي ذكره في الواجب السادس أراد به القتال الميني والكفائي
وانما يجب على كل مكلف اذا استولى العدو على بعض بلاد المسلمين وتوقف
دفعه على ذلك والا اكتفى بمن يستنفرهم الامام بحسب الحاجة؛ والجهاد قد
يكون بالمال واللسان ومنه الدعوة الى الاسلام بالبرهان، وتجب طاعة الامام
في التعليم العسكري بنظام القرعة وغيره، وعليه أن يعد للاعداء ما يستطيع من
قوة ليقا تلهم بما يقاتلوننا به أو يفوقهم، ومنه انشاء البوارج والغواصات والطائرات
الحربية وأنواع الاسلحة الخ وتجب طاعته في ذلك كله بالمال والنفس بنص قوله تعالى
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والخطاب للامة وانما الرئيس هو الذي يوحد
النظام فيها. وعلى هذا تكون العلوم والفنون الطبيعية والكيمائية والآلية
كلها من الواجبات الكفائية ومالا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب
وليس في الاسلام جهاد يجب به قتال كل مخالف وان كان معاهداً أو ذمياً

١٠ — الشورى في الاسلام

(أقول) وأهم ما يجب على الامام المشاورة في كل ما لالنص فيه عن الله ورسوله،

(١) المرير والمريرة الحبل والشزر القتل من جهة اليسار وهي اشد، اي
حتى ثبت واطرد عزمه وقوته على طريقة واحدة لا تردد فيها ولا ضعف كالخيل
المفتول اشد القتل، والفخم الضخم البطي، الحركة والضرع بالتحريك الضعيف والجهان

ولا اجماع صحيحا يحتاج به ، أو مافيه نص اجتهادي غير قطعي ، ولا سيما أمور السياسة والحرب المبنية على أساس المصلحة العامة ، وكذا طرق تنفيذ النصوص في هذه الأمور اذ هي تختلف باختلاف للزمان والمكان ، فهو ليس حاكما مطلقا كما يتوهم الكثيرون بل مقيد بأدلة الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين العامة وبالمشاورة ، ولولم يرد فيها الا وصف المؤمنين بقوله تعالى (وامرهم شورى بينهم) وقوله لرسوله (وشاورهم في الامر) الكفى ، فكيف وقد ثبتت في الاخبار والآثار قولاً وعملاً ، وسبب هذا الامر للرسول «ص» بالمشاورة في امر الامة ، جعله قاعدة شرعية لمصالحها العامة ، فان هذه المصالح كثيرة الشعب والفروع لا يمكن تحديدها ، وتختلف باختلاف الزمان والمكان فلا يمكن تقييدها ، وقد ذهب به من علماء السلف الى أن النبي «ص» كان غنيا عن المشاورة فلولا ارادة جعلها قاعدة شرعية لما أمره الله بها . روي عن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى (وشاورهم في الامر) أنه قال: قد علم الله أنه مابه اليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده . وروي في المرفوع ما يؤيده فقد اخرج ابن عدي والبيهقي بسند حسن عن ابن عباس أن الآية لما نزلت قال رسول الله «ص» «اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا» اي شرعها الله تعالى لتحقيق الرشد في المصالح ومنع المفساد فان الغي هو الفساد والضلال . ولكن الاحاديث الصحيحة ناطقة بأن النبي «ص» لم يكن مستغنيا عن غيره من الناس الا فيما ينزل عليه فيه الوحي وقال «انتم أعلم بأمر دنياكم» رواه مسلم عن عائشة وألس وقال «ما كان من أمر دينكم فالي ، وما كان من امر دنياكم فأنتم أعلم به» رواه أحمد وفي حديث رافع بن خديج في صحيح مسلم أيضا انه «ص» قال «إنما انا بشر ، اذا امرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر» وهذا هو الموافق لقوله تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) فهو ممتاز على البشر بالوحي اليه ولكنه فيما عداه وعدا ما يستلزمه بشرته على الاعراض البشرية ، ويحتاج الى غيره في الامور الكسبية ، وكونه اكل البشر لا يقتضي ان يحيط بكل شيء علما ويقدر على كل عمل فان هذا الله وحده (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك)

ولذلك كانوا اذا راجعوه في أمر امر به ورأوا المصلحة في غيره سألوه أقاله أو فعله بوحى من الله أم من رأيه ؟ فاذا قال انه من رأيه ذكروا رأيهم وقد يعمل به ويرجحه على رأيه كما فعل في يوم بدر فقد جاء « ص » ادنى ماء فنزل عنده فقال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمزلا أنزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ولا ان نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » فقال يا رسول الله ليس هذا بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه الخ فقال له النبي « ص » « لقد أشرت بالرأي » وعمل برأيه . وفي رواية ابن عباس عند ابن سعد أن جبريل نزل فقال للنبي « ص » الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر

وقد استشار « ص » ابا بكر وعمر « رض » في اسرى بدر فاختلف رأيهما فقال « لو اجتمعنا ما عصيتكما » وكان رأيه موافقا لرأي ابي بكر فأنفذه ثم نزل الوحي بما يؤيد رأي عمر وهو قوله تعالى (ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض) الآيتين فقال « ص » لعمر « كاد يصيبنا في خلافتك شر » والروايات في هذه المسألة كثيرة . وكل هذا كان قبل امر الله تعالى اياه بمشاورتهم فانه نزل في غزوة احد وفيها رجح رأي الاكثرين على رأيه « ص » ورأي كثير من كبراء الصحابة (رض) وأخرج ابن مردويه عن علي كرم الله وجهه قال سئل رسول الله « ص » عن العزم — أي قوله تعالى (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) فقال « مشاورة أهل الرأي ثم اتباعهم »

وقد حققنا مسألة الشورى في الحكومة الاسلامية بالتفصيل في تفسير هذه الآية من سورة آل عمران وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) من سورة النساء . وبيننا في الاول الحكمة في ترك الرسول « ص » نظام الشورى الامة وعدم وضع أحكام لها ، وملخصه ان النظام يختلف باختلاف احوال الامة في كثرتها وقلتها وشؤونها الاجتماعية ومصالحها العامة في الازمنة المختلفة فلا يمكن ان تكون له احكام معينة توافق جميع الاحوال في كل زمان ومكان ، ولو وضع لها أحكاماً مؤقتة لخشي ان يتخذ الناس ما يضعه لذلك العصر وحده ديناً متبعاً في كل حال وزمان وان خالف المصلحة ، كما فعلوا في الاخذ بظواهر مبايعة أبي بكر وعثمان واستخلاف عمر . فاكتمى بشرع الله للمشاورة وتربيته « ص » الامة عليها بالعمل . على أن أولي العصبية خالفوا

ما شرعه الله باتباع اهوائهم ومطالبهم لتقصير أولي الامر في وضع هذا النظام لكل زمان بما يناسبه، كما ضبط عمر « رض » الامر في زمنه بما يناسبه، بل غني علماؤنا بمسائل الفجاسة والحيف والبيع أشد من عنايتهم بهذه المسألة حتى قال امام كبير مثل الاشعري ان بيعة رجل واحد من أهل الحل والعقد تلزم الامة اذا أشهد عليها، فاني يستقيم أمر أمة تعمل بهذا القول في رياستها العامة؟

وأما الآثار عن الراشدين في المشاورة فكثيرة (منها) ما رواه الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران ان أبا بكر كان يسأل عامة المسلمين عما لا يجد فيه نصاً من الكتاب ولا سنة عن النبي (ص) هل يعلمون عن النبي (ص) فيه شيئاً — فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا فيأخذ به ويحمد الله تعالى (قال) وان أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك — وزاد انه كان بعد النظر في الكتاب والسنة ينظر فيما قضى به أبو بكر أيضاً لانه كان لا يقضي الا بنص أو مشاورة. وانظر الى الفرق بين سؤال عامة المسلمين عن الرواية واختصاص الرؤساء والعلماء بالمشاورة — ذلك بأنهم هم جماعة أولي الامر وأهل الحل والعقد الذين أمر الكتاب بطاعتهم بعد طاعة الله ورسوله وقال في احالة أمر الامة اليهم (ولوردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم) (لاسلام بقية)

﴿ تنبيه ﴾ لهذه المقالة بقية تأتي من أهم مباحثها مسائل الاستخلاف والعهد وخلافة الضرورة والتغلب وما يخرج به الخليفة من الامامة وعزله واخروجه عليه ودار العدل والجور، وتعدد الخلفاء في وقت واحد، وحال المسلمين فيه اليوم وحكوماتهم المستقلة، وتعارض المانع والمقتضي في توحيد مقام الخلافة، أو ما يجب على المسلمين ويحظر عليهم في ذلك.

وقد علم مما نشر ويزداد وضوحاً فيما سينشر ان خلع حكومة الجمعية الوطنية في انقرة لحمد وحيد الدين نافذ شرعاً، وأنه ليس الآن خليفة ولا سلطاناً، ولا يتوقف تصحيح خلعه على تكفيره كما ادعى بعض من كتب في المسألة فقال اننا رأينا منه كفراً بواحاً أي ظاهراً لا يحتمل التأويل، وانما يؤخذ الحكم بما ذكرناه في مسألة المبايعة ومسألة سلطة الامة، ويوضحه ماسيأتي.

الخلافة الإسلامية

ألفه باللغة الاوردية	وترجمه بالعربية
أحمد رعماء النوضه لهندي	أحمد تلاميذ دار الدعوة والارشاد
مولانا ابو الكلام	شيخ عبد الرزاق
صاحب مجلة الهلال المهدية	ملاح آبادي
	محرر جريدة (بيغام) المهدية

باب ١ : اثباته من قریش

فصل

تحقيق ماره قرش واشترط القرشية
إذا تتبعنا الكتاب والسنة والآثار والدلائل الشرعية والعقلية ، لا نجد
فيها نصاً قطعياً على تخصيص الخلافة والامامة بقرش نعم ، نجزم بصحة
الاحاديث التي وردت في هذا الباب ، ولذلك حصصنا في بكر الصديق في
سقيفة بني ساعدة على مسم من صحابة ، وعدم نكرام عليها ، وشهره هذا
تألاسرفهم ومن عدهم الى انقرض لدولة المماسية ايضاً صحيحة — ولان
الحقيقة مع ذلك كله على خلاف ما يذهب اليه الناس ، لانه كما لا يسكر ما ذرناه
آتفاً ، لا ينكر أن الشريعة الغراء لم تحصر الخلافة قط ، فم دون قوم وقبيلة
دون أخرى — فلما ثبتت عن هذه الشريعة ، وليس لا يسعك أن تقول
هذا . لانها انما جاءت لتحرير اللسانية من القيود والاعلان التي كانت عليها ،
ولا علاء شأنها ورفع معاملها واعلان تامرس العمل وهدم أوثان العسبية
والامتيازات القومية الماطلة ، فهل رجم بعد هذا الفهري ، ونشيد بأيديها
هيكلاً جديداً لتلك الاوثان المجذوزة ؟^(١)

(١) بالعجب ! اعترف الكاتب بصحة الاحاديث واجماع الصحابة ومن بعدهم قولاً وعملاً
على كون الخلافة في قریش ثم شرع ينفي هذا الاثبات بظاهرة البطلان —
(المنار : ج ١٠) (٩٥) (المجلد الثالث والعشرون)

لسنا في حاجة الى لاطناب والتفصيل ، اذ كل من له أدنى معرفة بالشريعة يعلم حق العلم أنها من أول نشأتها انتقضت على فصور الامتيازات القومية الفخمة ودكتها دكة واحدة ، حتى جعلتها أترأ بعد عين — ماذا كان حال العرب قبل الاسلام ؟ كانوا في غابة من العصبية ، مبالغين في اعتبار النسب ، غير مبالغين بمن - وهم ، لا يرون لاحد شرقا ولا فضلا ، حتى الرعاة منهم كانوا يشمخون أمام الملوك والعظماء ، ويعدون القياصرة والاكاسرة بينين أمام عزم القومي وشرفهم النسبي — ليست العرب وحدها ، بل الدنيا كلها كانت سائرة على هذه المنهج ، طاكفة على هذه الاوثان ، موثقة بهذه القيود والاصفاد ، ظهر الاسلام فهاجم قبل كل شيء هذه الاصنام ، ونادى مناديه بأعلى صوته : (يا أيها الناس : يا خلقاكم من ذكر وأنثى . وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا : إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢٩ : ١٤) فجعل أساس الشرف والفضل للعمل وحده . فمن علا به عمله فهو شريف فاضل ، ومن سقط به عمله فهو ساقط مهين . مهما كان كريم النسب عالي الحسب ، وقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأر ليس للسان الا ماسعى * وأن سعيه سوف يرى) (٥٣ : ٤٦) وكان صاحب لوثه (ص) يصيح بين الامام « ليس منا من دعا الى عصبية » . ليس منا من قاتل على عصبية . وليس منا من مات على عصبية « وأوصى أمته في آخر حياته يوم الحج الاكبر قائلا « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، كلكم أبناء آدم » (الشبكان) وقال « ليس لاحد فضل على أحد الا بدين وتقوى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب » (رواه الجماعة) . فظهور الاسلام وقيامه ضمان للمساواة في النوع الانساني ، فلا فضل بعدهم لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، الناس كلهم اخوان ، أبوه آدم وأمهم حواء ، وإنما الافضل أحسنهم عملا وأقومهم طريقة وأتقاهم لربهم !

أما عمله (ص) فشاهد على ذلك ، فانه لما بعث آخر بعث في حياته أمر عليه أسامة بن مولاة زيد ، فأنكر على هذا بعض السذج فقال (ص) « لقد

== وهي كون ذلك يعارض تحريرها للانسانية الخ ثم يبيّن على ذلك تاويل الأحاديث وانكار الاجماع بما سباني من الروايات الشاذة والآراء التي سببها بطلانها في عواضها ، ثم تعرضها على القراء ليزوا راجعها من مرجوحها

علمتم في اشارة أبيه وقد كان لها أهلا ، وان أسامة لها أهل « فتأمل في قوله عليه السلام كيف (ركامة « الاهر » ليعلم أن الامارة والراية تتوقف على الاملية لا غير ^(١) — ومول عائشة (رض) في زيد مشهور حيث قالت : لو كان زيد حيا ، ما استخاف رسول الله (ص) غيره ^(٢) وسرية أسامة التي نحن صددوها كانت مشتملة على سادات من المهاجرين والانصار وفحول من العرب العرباء وقريش أصحاب المجد البادخ . وكان فيها أبو بكر الصديق الذي خاف رسول الله (ص) ، وصار بعد بضعه أيام أميرا للمؤمنين ، ورئيسا للمسلمين ^(٣)

وهذا أمر بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي معلوم مشهور ، حتى إن عمر الفاروق القرشي كان يقول في بلال : سيدنا ومولانا وإذا رى صهيبا يقول : نعم العميد صهيب ، لو لم يخف الله لم يعصه . وأوصى حير وقاته أن يعلي عليه صهيب — وأمير المؤمنين علي عليه السلام القرشي الهاشمي كان يقول في سلمان : سلمان منا أهل البيت ^(٤) فكان من أمر العرب

(١) هذا لا يعارض الاحاديث التي هي أصح منه والاجماع في الامامة المظمية وهو في امارة سرية من الجش ولو عارضها لكانت هو أولى بالترجيح (٢) أراد عائشة هذا شاذ وقد ثبت بصلاته بخصوص الاحاديث في امامة قريش حتى ما كان منها اخبارا عن المستقبل اذ كيف نستخلصه وقد اعلمه الله بان الخلافة ستون في قرش مدة قرون وبما ظهر من حكمة الشريعة في عدم استخلاف شخص بعينه (٣) سبحانه الله ! كيف نذكر المسلمين اليوم ان الانساب والاحساب التي يتخذونها ويعدونها موازين الشرف بينهم كانت منبودة من ذلك الزمن المبارك فلم يكن ينظر اذ ذاك الا في العمل والتقوى ، فأتقاهم وأقرهم الى الله وإلى رسوله كان أشرف واكبر من غيره ، وهذا أسامة مع تأخره في النسب كان يقدم في العطاء على شرفاء قريش ، وقد اعترض مرة عبد الله بن عمر على تقديم أسامة عليه فقال له أبوه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : كان أبوه أحب الى رسول الله من ابيك ، وكان أحب الى رسول الله منك . فاعجب هذا الانقلاب الذي أحدثته الاسلام في أولئك الذين كانوا يحقرون سائر الناس ويعدون كافة البشر أدنى وأحط منهم ، حتى إنهم اتقوا يوم بدر من منازل كما يثرب فردوهم بلا قتال ولكنهم بعد الاسلام يخضعون لامارة العبيد وابناء العبيد ولا يستنكفون منها يقدم ابن العبد على ابن السلطان فيظل ساكنا ولا يفوه بكامة ! اه من حاشية الاصل (٤) بل هذا حديث مرفوع رواه الطبراني في الكبير والحاكم عن عمرو بن عوف

بعد الاسلام أن انحلت عصبيتهم السببية في خلال قرن . . وسبق . المعجم في مضمار المحاسن والمصائل ، وحضمت العرب أمامهم . ومملهم كما كانت تخضع أمام قريش وبي هاشم ، حتى صطرا خليفة القرشي هشام بن عبد الملك أن يقول للامام الزهري . والله ليسودن الموالي العرب . ويخطط لهم على المنابر ، والعرب محهم « (العقد المرید) ^(١)

فهل يتصور بعد هذا ان دعي الاسلام (ص) الذي دعا الموع الاساني الى نبذ العصبية وغرور النسب وقامة المساواة العامة - رجع المهفري ؟ فيقيم هواه (؟) ويحصر الخ لومة والسلطنة والخلافة في قومه وقبيلته . اذ آخر الدهر ؟ ويقول لسائر الناس لا فضل ولا شرف ولا حق الا بالعمل ولا هدية ثم يذبح هذا ويترك العمل وراء ظهره ويقول لنفسه ، النسب ، القبيلة ، اوطىء ويسلط قومه على العالم كله ، لعمر ابيك ان هذا لشيء عجاب ! ^(١)

نعم انه من عجب العجب ، ولكن ما كنا لنبا لي به لو نطق به كتاب الله وسنة رسوله . لان ميزان الحق عندنا الكتاب والسنة ، فاذا ثبت فيهما شيء

(١) القول في سبق العجم للعرب باطل كما يعلمه كل منصف يعرف التاريخ . فهم ساهمون ولكن ما فاعلهم في شيء وقد قصدوا اذلال العرب ولم يفسدوا العرب الا عزم ومساواتهم بهم في الاسلام

(٢) كل ما ذكره شعربات وخطيبات متكلمة تعود على ما اراده من جعل الخلافة في بني عثمان احصوا بين الناس وأما جعلها في قريش فلا يقتضي ذلك ولا عدم المساواة بين الناس في الدين والفضل الحقوق والجزاء الآخرة . من أدلته أنه لم يمنع من ارتفاع شأن الموالي ولا ما جمحت حتى أزمنة الخلفاء الجائر بن من قريش وقد كان أكثر ولاية بني اماس وبيادهم من الاء حم في النسب ولولا ذلك لسادوا قريشا وغرها وافسدوا امر الاسلام حتى بالغوا في تعظيم آل الرسول (ص) وقد زل قلمه زلة قاحشة بل زلت قدمه عما قاله في حيزها الاستفهام ، مما لا يليق التفوه به في حق خير الانام وال كان الاستفهام إنكارا ، ولو يكن كذلك لكان كفرا صريحا وقفا فظيما واما نشره اء لاسنة التقى ونستفقر الله تعالى منه لنا وله . ومن لوازمه ان جميع اهل السنة القائلان بحصره (ص) للامامة في قريش يرمونه « ص » بما بره الله تعالى منه من اتباع الهوى ا وهو تكفير لهم غير مقصود . لكاتب ولازم المذهب غير مذهب في الاغلب

قهر حق ، سواء فهمناه او لم تفهمه ، ولدا لم يستبعده بتجرد فهمنا وعقلنا ،
بل استبعده ناد لانا ما وجدناه فيهما ، فلما : انه لا يليق بهذا الدين ، دين الفطرة
دين المساواة ، دين العمل

من الخرافات الى الحقيقة

٧ -

(٧٠) اعتنى المسلمون فديماً ، لرياضة البدنية اعتناء رائداً ، لاراءه ان الصحيح
لا يكون الا في الجسم الصحيح . ولذلك كانوا يعلمون الشار فن الفروسية والرماية
والسباحة اتباعاً للحديث الشريف القائل « علموا اولادكم السباحة والرمية »^(١)
« وعليه بالرمي فانه خير لهما »^(٢) « والرمي خير ما لهما »^(٣)

ليأهل العاقل نتيجة دين يأمر بتوسيم دائرة المعارف وتزويد أسباب
الثروة وتقوية البدن ؛ (وفر الحرب) وهذه الاركار الثلاثة متصل بعضها
ببعض كما لصقت محاسن الاخلاق بالتحاب والتواد ، هل يقف أمام قوم هذا
متباحهم مائة قل عديم . وعديدهم أعظم أمباطورة ؟

(٧١) الرحمة للصغير واحترام الكبير كان خلقاً راسخاً لانه (ص) قاله
« ليس مني من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا »^(٤)

(٧٢) الاقتصاد كان أساساً ثابتاً ومحترماً لانه جاء في الحديث « ما طال من اقتصد »^(٥)

(٧٣) واما الشح فتدب مدموماً جداً ، جاء في الحديث الشريف
« محق الاسلام محق الشح شيء »^(٦)

(٧٤) السخاء كان أمراً ممدوحاً جداً ، قال (ص) « أقبلوا السخي زلته
فان لله احد بيده كلها عشر »^(٧)

(١) ابن مندو في المعربة والديلمي في مسند الفردوس بسند حسن

(٢) الطبراني في الأوسط بسند صحيح (٣) الديلمي في مسند

الفردوس نز ابن عمر (٤) احمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو بسند

صحيح (٥) احمد بن ابن مسعود بسند حسن (٦) أبو يعلى عن أنس باسناد

حسن (٧) الخزاز في مكارم الاخلاق عن ابن عباس باسناد صحيح

من لا يعرف أن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما سمحا بثرونهما لأجل
استكمال وسائل الحرب ؟

(٧٥) وأما البخل فكان في أقصى درجات المعيبات والمذمومات .
لقوله (ص) فيه « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق » ^(١)
(٧٦) حرية الوجدان وحرية المبدأ كن وصيانة الملك بأنواعه ولا سيما
الكتب والرسائل وأمثالها من الحريات الأساسية التي طالما اوتخربها الأوربيون
كانت من جملة ما جاءنا به نبينا قبل الب سنة وكسور ، قال الله تعالى (لكم
دينكم ولي دين) وقال (لا إله إلا الله) وقال رسول الله « من أطلع في بيت قوم
بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفتقروا عينه » ^(٢) وقال الله لا تدخلوا بيوتنا غير
بيوتكم حتى تستأنسوا واسألوا على أهلها (وقال ص) « من أطلع في كتاب
أخيه بغير أمره فكأنما أطلع في النار » ^(٣) وقصارى القول لواعتى علمونا
بإستخراج أمثل هذه الأحاديث لوجدوا فيها من الوثائق ما هو كافي لإبطال
كل دعوى اتهم بها الدين الحنيف .

ومما بوجب الأسف أن المصائب التي حلت بالمسلمين كأنها لم تكف لفتح
عيونهم لتعري أوامر هذا الدين المبين الذي تقتضي أن يكون متبعوه في
طليعة العلماء والأغنياء والأقوياء والأمراء . وأعجابه !

(٧٧) أن التهيؤ للخصم ومقابلة قوته بالقوة من أسس الإسلام لذلك قال
الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فهل للمسلمين بعد هذا أن يكفوا
الأمور لمشيئة الله تعالى ويعطوا قواهم وأموالهم للقرآن ويعتدوا ذلك من الإسلام ؟
(٧٨) أرشد (ص) إلى حسن اختيار الموظفين بقوله « لكل شيء آفة
تفسده . وآفة هذا الدين ولادة السوء » ^(٤) فهل نحن بعد هذا أن يقل الوالي
المسلم الشفاعات لأجل توسيد الأمور العامة لعمر أهلها

(٧٩) كانوا يعتنون بـ ما يزيد الثروة العمومية ولا سيما تربية الغنم
لأنه (ص) قال « اتخذ الغنم فانها بركة » ^(٥) وغير خاف على أحد أهمية مال الغنم

(١) بخارى في الأدب المنفرد وترمذي بسند صحيح (٢) أحمد ومسلم من حديث
أبي هريرة (٣) الطبراني في المعجم عن ابن عباس (٤) رواه الحارث من حديث ابن
مسعود وحمويه (٥) الطبراني في المعجم عن أم هانئ . وابن ماجه بلفظ « اتخذني »

من الحكمة الاقتصادية في عصرنا . لتنبه الكسالى .

(٨٠) كانوا يضمنون الشيء في محله ويتقاعدون عن الاسراف والتبذير
استرشاداً بقوله (ص) « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار
ينفقه الرجل على ذابته في سبيل الله ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل
الله عز وجل » ^(١) وهذا يدل على أنه لم يكن من الممروى في عصره (ص)
تخصيص الثروة بأناس كسالى نيامون على ظهورهم تاركين العمل وعادين هذا عبادة
(٨١) كان العمل والجود ممدوحاً والكسل مدموماً لقوله (ص) (من
جات كالا من طلب الحلال بات مغفوراً له » ^(٢)

(٨٢) . أشد ما اعتذرت به الديانة الاحمدية للصناعة والتجارة لانه (ص) قال
« أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل سم مبرور » ^(٣)

(٨٣) كان الفقير مكروها مستعازا منه وانما يطلب الصبر عليه وكان (ص)
يقول « أعوذ بالله من الفقر والعيلة ومن أن تظلموا أو تظلموا » ^(٤) و « اللهم
إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن اظلم أو أظلم » ^(٥)
ان أبا بكر كان تاجراً غنيا . وكذلك ذو النورين . واكتسب طلحة والزبير
ثروة هائلة من التجارة .

(٨٤) ما كان في أوائل الاسلام أحد ينكش في زاوية أو تكية ليأكل
ويشرب من ثمرة جد غيره باسم العبادة . لانه (ص) قال « استغفروا عن الناس
ولو شرب السواك » ^(٦)

لذلك كان كل واحد يشتغل بعمل من الاعمال حسب قدرته العقلية والبدنية
(٨٥) الخزانة كانت محترمة جداً وقد أمرنا بها سيدنا (ص) بقوله « احثوا
خان الحرث مبارك واكثروا فيه من الحجاجم » ^(٧)

(٨٦) الحياة الاستقلالية كانت اساس أمل كل فرد . لانه (ص) قال

(١) احمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا أباداود عن ثوبان (٢) ابن عساكر عن أنس
بسند صحيح (٣) احمد والطبراني والحاكم عن رافع بن خديج والطبراني عن ابن عمر
وهو حديث صحيح (٤) الحاكم والمستدرک بلفظ « أعوذوا بالله . — وآخره — وان تظلم
لا تظلم » (٥) ابوداود والسنائي وابن ماجه (٦) البزار والطبراني والبيهقي عن
ابن عباس وهو صحيح (٧) ابوداود في مراسيله بن علي بن الحسين مراسله

٧٦٠ التجارة والتبذير وتعظيم القبور، الخائيم المار: ج ١٠ م ٢٣

«خيركم من لم يترك آخرة لدينه ولا دينه لآخرة. ولم يكر كلاً على الناس»^(١)
فذلك كان كل يسعى لئلا يكون حملاً ثميلاً. المسلمير شأن البطالير والكسالى اليوم
(٨٧) البحار في الاقطار وجلب ما تحتحه الناس كان من الامور المدوحة
والاحتكار كان من الامور المدمومة. جاء في الحديث «الحالب الى سوقه
كالجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقه كالملحد في كتاب الله»^(٢)

ها أدع القاري الكريم لا يظالم بحث التجارة الخارجية وبحث الاحتكار
في كتب الاقتصاد السياسي ليرى علو معنى هذا الحديث

(٨٨) التبذير وعمل الاشياء التي لا فائدة منها كانت مجهولة عند لان
لكني (ص) قال «لعمري ان اثرا القبور والمنحذين عليها المساجد والسرير»^(٣)
من هما يفهم ان انشاء التراب وزيارتها ليس من الاسلام في شيء. وقد
انتقلت هذه الخرافة لديننا الصافي انفي من اساطير اليهود القديمة.
ذا اتلاف شيء من الثروة رايه دال على الشروع على القبور موجب للعة
فان المتأملون ؟

(٨٩) في القرون الوسطى كان للنصارى ومحلات مختلفة صوامع ينقطعون
للعادة فيها. فنها نبينا عن ذلك «لا رهبانية في الاسلام» لان الله امرنا
بالعمل اذ قال (وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم)
(٩٠) ان ذبح القربان على القبور ممنوع في دين الاسلام لانه جاء في
الحديث «لا عقري الاسلام»^(٤)
(٩١) النذر «لا وفاء لنذر في معصية الله»^(٥)

(٩٢) تعليق بعض الاشياء على الاولاد وغيرهم لدفع النظر واستكتاب
النسج لاجل محبة الارزاق لزوجاتهم من امور الشرك نعوذ بالله لقوله (ص)
«ان الذي والتائم والتولة شرك»^(٦) ليتنبه الغافلون ! المذرون .

(١) الخطيب عن انس بسند صحيح «٣» الحاكم عن اليسع بن المغيرة مرسل «٣»
ابو داود واثرمذي والسنائي والحاكم عن ابن عباس بسند صحيح وليس سبب اللعن
التبذير بل ان هذا العمل من العبادات الوثنية (٤) ابو داود عن انس (٥) رواه
احمد عن جابر بسند حسن ، والنذور للموتى منها ما هو من أعمال الشرك ولا فائدة
في شيء من هذه النذور وانما يستخرج بها من مل البخيل كما ورد في حديث آخر
(٦) احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود وهو صحيح

(٩٣) نهى النبي (ص) لمن ربط القلب لمشعو دين وقال « من علق شيئاً وكل له »^(١) والقيحة الحرام

(٩٤) كذلك نهى عن مراحمة العرافين الذين يبرون أموال الناس بدعوى الاخبار عن الغيب، قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم نجس له صلاة أربعين يوماً »^(٢) ولار الله تعالى قال في ربه ان ربه امرأته ان يبلغ الا (قل لا أقول لكم عمدي خزان الله ولا أعلم الغيب ولا لي ملك). فما قول خفاف العقول الذين يطلبون علم الغيب من العرافين بعد ما جاء في هذه الآية الكريمة من الصراحة؟

(٩٥) نهى (ص) عن التشاؤم من الاسم أو من صوت الطير أو الرمل وعد لك وتديه فقال « العيف والطيرة والصرق من الجنت »^(٣)
(٩٦) وكذلك عد التطير شركاً فقال « الطيرة شرك »^(٤)

(٩٧) كانوا لا يتشائمون من طير الصائر ولا يعتمدون على أقوال الهمزة والسحرة. لأنه (ص) أخرج من فعل ذلك من الجمعية الإسلامية اذ قال « ليس منا من تطير ولا من تطير له وتكهن أو تكهن له أو يسحر أو يسحر له »^(٥)

(٩٨) الحسد والغيرة والكهانة كانت بمنزلة واحدة لانه جاء في الحديث الشريف « ليس مني ذو حسد ولا نعمة ولا كهانة ولا أنا منه »^(٦)
أين من يعتبر؟

(٩٩) لا واسطة بين السيد والمعمود ودين أحمد. وكر فرد مسؤول عن عمله لان الله تعالى قال (ولا زر وازرة وزر أخرى أما ما يعمل أو يتخذ به بعض الجملة من الوسهاء لانه لم هو مأوذ من الامم السائدة وتعايد (الاغراء) من النصاري والبرهمية عند الهنود القدماء و (الموند) عند الزردشتيين والسكاه عند الكلدان. وما لهذا مكن في دين الاسلام.

(١) احمد والترمذي والحاكم وحسن (٢) احمد ومسلم بن فضال
المؤمنين (٣) أبو داود عن نبيصة (٤) احمد والبخاري في الادب المفرد واصحاب السنن عن ابن مسعود (٥) ابي حنيفة في الكبير عن عمران بن حصين وهو حسن (٦) رواد أيضاً عن عبد الله بن مسعود

(المذاهب: ج ١٠ ص ٩٦) (المجلد الثالث والعشرون)

(١٠٠) ان الله غني عن أية واسطة بينه وبين عبده . لانه قال في كتابه الكريم (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) .

واما بناء القبور الفخمة والمزينة واتخاذها ملجأ لقضاء الحاجيات فهو ليس من الاسلام في شيء . ولكنه تقليد للزنادقة والهنود والايرائين كما سيحییء تفصيل دخول هذه الخرافات في تعاليم الاسلام .

(١٠١) الغيبة كانت مسكرمة جداً لان الله قال (ولا يغتب بعضكم بعضاً . أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟)

ليتسه الاغبياء الذين يقضون أوقاتهم باغتياب الناس والسبحة في أيديهم (١٠) لم يعتن الدين الاسلامي بشيء كما اعتنى بالعلم . وقد جاء في الحديث « طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوماً خير من صيام ثلاثة اشهر »^(١) وقال أيضاً « العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع »^(٢) و « فضل العلم أحب الي من فضل العبادة »^(٣) و « افلح من رزق علماً »^(٤)

(١٠٢) الحرية الشخصية والاستقلال الذاتي من أهم قواعد الدين الحنيف وحفظاً لكرامة الضرر جاء في القرآن الكريم (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)

فان كان جل جلاله ينهى نبيه عن السيطرة، فهل يكون هناك دين يكفل الحرية أريد من دين الاسلام ؟ وسنبحث في مقابلة الاسلام بغيره في هذه المسألة بحثاً خاصاً . (له بقية) حسني عبد الهادي

« ١ » الداعى في مسند الفردوس عن ابن عباس « ٢ » الخطيب وابن عبد البر في كتاب العلم « ٣ » الطبراني في الاوسط والحاكم عن حنيفة والثاني عن سعد وتمتته « وخر دينكم الررع » وهو صحيح « ٤ » البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب بلفظ « افلح من رزق لبا » اي عقلاً

طائفة لشيعة

في سورية وحاجتها الى اصلاح

كان لطائفة الشيعة المشهورة باسم المتأولة شأن عظيم في جبل عامل وجبل لبنان من سورية ونواحي بعلبك في سعة الاملاك والوجاهة . الثروة وفي العلم والادب . ولما كان ما كان من نهضة النصارى الاخيرة في لبنان انكش الشيعة وتفضوا وفاقهم النصارى في كل شيء حتى غلبوا على املاكهم الواسعة فلم يبق لهم فيه شيء يذكر ، وقد كان من اسباب ذلك السخاء العربي البالغ منتهى حد الاسراف ، وحب المذخخة والمعظمة ولو لباطل ، والثناء والتعظيم وان كان كدباء ، حتى ان كثيرا من املاك شيوخهم وكبرائهم قد آتت الى من كان عندهم من الفلاحين والخدم من النصارى الذين كانوا يستغلون هذا الضعف منهم بغاية امدق كحفظ امتيازهم لهم بلبس الخدانة الاحمر المسمى بالجزمة . ومن أغرب ما حكى عنهم في ذلك أن أحد الفلاحين أهدي الى شيخ بلده منهم جزمة حمراء فأعزم عليه الشيخ بحقل او كرم عظيم (يسمى عودة) كان هو في أشد الحاجة اليه

لم تشارك الشيعة النصارى في شيء من تلمعي العلوم والفنون الحديثة في القرن لماضي وكذلك كان أهل السنة الذين هم أكثر سكان مدن سورية الكبرى وأولى بالاسراع الى كل ما يتجدد من أسباب الحضارة ، ولكن هؤلاء عنوا في هذا القرن ببعض العناية في العلوم والفنون العصرية وفي التجارة وترقية الزراعة أيضا وظل جيرانهم من الشيعة على خمولهم راضين من العلم والادب بما يتقاه بعض جيرانهم منهم في مدرسة النجف الكبرى أو على اقله خرجين فيها من فنون العربية والعلوم الشرعية وقد قرأنا في الشهر الماضي مقالتي في جريدة الاتفاق الاسبوعية التي تصدر في مدينة صيدا عنواهما (تأخر الطائفة الشيعية وكيفية تقدمها) كانت هي الداعية بل الداعية لنا الى كتابة هذا ، اذ راعنا منها وصف كاتب المقالة (المخلص) الغيور لقرى الشيعة في جبل عامل و بعلبك بأنها مهدمة المساجد خالية من المدارس ، وقوله ان الاميين منهم يتجاوز عددهم ٩٥ في المئة ، وان هذا الجهل اكبر أسباب حرمان

الطائفة من تمثيلها في الحكومة الحاضرة كما يجب، وأن بعضهم سمى في العام الماضي إلى تعيين عصو شيعي في محكمة التمييز (التنض والارمن) التي اشأت في بيروت. « غير أنه خجلوا لما علموا أن الطائفة ليس لديها سوى ثلاثة شبان من خريجي مدارس الحقوق، والحكومة غير رضية عنهم. (كذا قل أفلاس في قه. ب. ج. د.) » ثم قال الكاتب: تتفرع عن الجول فروع عديدة أهمها التعصب لدني لا عني لدى جعل أن نتسكع في مهاوي الشقاء ونرطم في حمأة التخلف لاهير في كنف قويد و شريك عمر، وسوانا دائب في ترقية نفسه واعلام شأنه الخ ثم ذكر فرع آخر من فروع الجهل وهو الجول أو الحمود في العقول والمقدور في الهضم.

ذكر من أسباب هذا التأخر تفرق كلمة الرؤساء وتحاسد الزعماء ومقابلة كل مسد للآخر بدلا من التعاون على رفع شأن الطائفة، وقضى عليها بتدخل عدائهم في كل الامور السياسية وعده من أهم غايات تأخر الطائفة معللا له أو مستدلا عليه بأن « لدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر لم يتفقا ولن يتفقا » وبأن الرؤساء الروحيين الغربيين لا يتدخلون في السياسة البتة. و اقترح على علماء الطائفة ومجتهداتها التفرغ لتوثيق الرابطة الدينية وتوطيدها على أسس القومية الحق وتبذير أخلاق الامة. هذا ملخص المقالة الاولى. وأما ملخص الثانية و اقترح تأليف جمعية من بحيرة العلماء والزعماء لترقية شأن الطائفة بالعلوم والعنون المعاصرة ومساعدة جريده واقه تمثل الطائفة. وضرب اليهود والارمن مثلا للطائفة الصغيرة التي ليس لها حكومة ويجب عليها أن تنهض بنفسها وهمتها واقدامها.

قال: « والطائفة الشيعية هي كالأرمن واليهود من كل وجه الاوجه وحده وهو التقدم والتفوق » ولكنه ذكر في سبب الفروق بينهما أن اليهود والارمن غير متعصير كالشيعه. وهذا غلط فم أشد خلاق الله تعصبا لانفسهم على غيرهم وكن يعلم وعقل، ودهاء وحذق.

ثم ذكر من نشاط الارمن في خدمة الخش الانكليزي ومساعدتهم له في حربه لدوائهم العمانية (التي كانت تفضلهم على قوم نبيهم العرب وعلى سائر العثمانيين

في تلك الظروف لم يسلحوا أن نساءهم ورجالهم كانوا يتجسسون لهم ، و خلون
 المعونات التركية البلاد وجمعين الاموال حتى من المسلمين للعصا المساعدة
 لتسليمها على قتال الترك . قال « انهم بهذه الطريقة كانوا يصحسون معهم
 ضباطا من الجيش الانكليزي سي كان يحارب في جهات له صل فقطب هؤلاء
 على جمع حركات لالمان والازراك العسكرية . وهذا ما جرى مع (الكمن اور)
 الضابط الانكليزي الذي دخل هو ورفيق له مرة مع تاجر ارمني متفكك الى
 مدينة (كراو) كان يصحبهم أحد بحار المدينة المنيرين المسمى نصر علي كان هذا
 (أي سي هرخان) ادعى ان زوجه الثالثة فقضوا في (اكا) بضعة
 جميعهم من المديون في قتلهم جميع ما عرفوه من حقائق عن
 الالمان التركي . ذكر أن ذلك اغتيال . انكليزي كانوا الارمن بكناية مقابله
 قال فيه : احرام أن يحكم الترك ويسيطروا على هذا الشعب لا يعني الشعب . . .
 هو كفو لتنظيم أمور دولة عظيمة لذلك نرى أرمينية اليوم إرائدة ثانية : تركية
 ونطاق على هذه الكلمة أن الانكليز الذين يسخرون الشعوب لكسب منهم من
 حيث لا تشعر قد جعلوا الارمن الاذكياء جدا في دائرة ضيقة جدا من أشقى
 أهل الارض فجعلوا عليهم أقبح جناية كما جعلوا أخيرا على اليونان ابن بشهور الارمن
 في نشاطهم وغرورهم بأنفسهم — وعلى العرب الاغرار من قبايلهم ، ولا يزال الانكليز
 كالبل يقذف جلوداً بجلود ، ومن العجائب استمرار الخداع للشعب — بله
 الافراد — بتعريضهم ، ولعل الاحداث الحاضرة تنتهي بمعرفه جميع الشعب حقيقة
 أمرهم وأن مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء . . .
 اني أخاف الله رب العالمين) وأما الافراد فلا يزالون يجدون فيهم أغنياء وخونة
 الى أن يجيء اليوم الذي يعاقب فيه كل شعب من يخونه وبغشه بحمله على قبول
 النفي والاحني في بلاده . وعسى أن يكون ذلك اليوم الموعد قريبا

ثم نعود الى الكلام في اصلاح طائفة الشيعة الذي يهمننا جدا فنقول : اننا
 كنا عزمنا أن نزر النجف في رحلتنا لهندية العراقية فحال دون عزمنا ما عرانا من

الحق في البصرة ثم في بغداد والاضطرار علة البقاء الى السفر . كنا عزنا على هذه الزيارة لاجل البحث مع محبي الاصلاح من العلماء ولا سيما السادة الشرفاء منهم في هذا الاصلاح . قد جاء منهم وفد الى بغداد لزيارتنا ودعوتنا الى النجف الاشرف . وقد قال لنا رئيسه وهو سيد عالم شهير: اننا نعدك اماما صاحب الجاه المسلمين فلماذا تخص أهل السنة بأرشادك وقدك لما حدث فيهم من البدع والخرافات وعندنا أضعاف أضعافها . أنت ساكر عنها ؛

فأجبتهم : حقا انني على ضمي ، عجزني حرص على الاصلاح الاسلامي على اطلاعي وعمومي لا أخص به أهل مذهب دون غيره ، واني لست سائيا ، اني المنصب أو التقليد لمذهب من المذاهب التي تنتمي الى السنة كالأشعرية أو الحنزية والشافعية بل أنا سني بمعنى اني مستمك بما صح من سنة النبي (ص) لا أوتر عليه تقليد أحد . وأما سبب سكوتي عن انكار بعض البدع والخرافات العاشية في الشيعة فلأمر قراء الممار من الشيعة قليلون ولا يحتاجون الى النص في المنار لي انكار بعض البدع الخاصة به كقتل حنث الموتى من البلاد العبدية ومما مشتهر الى قرب مدافن آل البيت عليهم السلام في العراق لدفنهم في مساجدهم أو باقرب منها (مثلا) ولو فعات هذا جاء ضدهما نريد من الاصلاح بالسياسة ان يكون سببا لحل بعض متعصبي العلماء خادمو على الطعن في المنار وصاحبه بأنه متعصب لأهل السنة على الشيعة بل عدو لهم . كما فعل بعضهم في سورية اذ ألفه رسالة عنوانها (الشيعة والمنار) لما رأى بعض قراء المنار من طلبة العلم والادباء قد استحسنوا طريقة المنار الاستقلالية في فهم الدين وحرية العلم والرأي . وانما أدع بهذا لكم . ثم تكلمنا فيما ينبغي من طرق الاصلاح العام والخاص ورأيي فيهما

ومما قلته ان الشيعة أشد تعصبا من سائر المسلمين في دينهم ومذهبهم وأشد حتراما للعلماء والسادة وطاعة لهم . وهذا مما يمين على الاصلاح ، وان كان سببا لكثير من الفساد ، فيجب على العلماء ولا سيما السادة منهم أن ينهضوا بأمر الاصلاح قبل أن يغير الزمان الشعب عليهم ، فهذه الحال لا يمكن دوامها ، وقد رأيتم أن

البابية والبهائية دعوا الشيعة الى دين وثني جديد قد ظهر فساد مثله من ضلال الباطنية وورقها المعلومه فاستجاب لها لوف منهم . وذا أنتم دعوموه الى اصلاح انق الذي يحرم كلمة المسلمين ويزيل الاحقاد التي كان سببها السياسة وعداوة الباطنية للاسلام نفسه ورجعتم بلاسلام الى اصوله من الكتب وصحيح الاثر وسيرة السلف الصالح من أئمة آل البيت وغيرهم مع بيان كفالة الخيفية السمحة لما يرقى لمسه في هذا العصر من علوم وفنون وأعمال فاكم تنجحون بحاجه عظميا قال: إن هذا حسن ولكن المستعدين له من كهراء العلماء المجتهدين قليلون لان معظم أوقات حياتهم مصروفة فيما يحول بينهم وبين العلم بالحاجة اليه ود كرلي كلمة عن كير منهم — رأيته في الهند وأثنت له على علمه وفضله — قال ان من المسائل التي اهتم بتحقيقها واطالة البحث فيها مسألة بول الهرق الذي عرج عليه رسول الله صلى عليه وآله وسلم الى السماء هل هو طاهر أم نجس ؟ (قل) ولكن كيرا من النابتة الجديدة في النجم الاشرف مستدون لهذا الاصلاح وهم يمتنون لو رزناكم، لو اجتمعوا بكم لاستفادوا كثيرا. فقلت انكم أنتم تبلغونهم رأيي وانما الانسان بعلمه وريه ، لا بصورته وبدنه..

بعد هذه الكلمة التي أقصد بها إثبات اهتمامي باصلاح حال طائفة الشيعة خاصة أقول انني أجهز اقتراح المكاتب (مخاص) تأليف جمعية من العلماء والزعماء لرفع شأن الطائفة بالعلم والعدل والثروة ، وأنكر عليه قوله أن الشيعة كاليهود والارمن فينبغي لهم أن يتأسوا بهم في نهضتهم : اليهود شعب له مقومات الشعوب المستقلة بجنسيتها في نسبه ودينه ولغته ، والارمن مثله في كل شيء الا الدين ولكن لهم رياسة دينية خاصة والشيعة ليست كذلك فلا هي مستقلة بدين ولا لغة ولا نسب، بل دينها الاسلام وهي مؤلفة من شعوب كثيرة ذات لغات وانساب مختلفة ، وانما شيعة سورية عرب في اللغة والنسب ، فلم يبق بينها وبين الارمن شبه الا في اختلاف المذهب، وهو لا يتنفي في الاسلام التفرقة — فالصواب أن يكونوا في الاصلاح القومي مع أبناء جنسهم من العرب في كل ما يرقى الامة العربية، وفي

الإصلاح الذي مع سائر أخوانهم المسلمين فيما يطهرهم من البدع والخبريات ويزكيهم بهدي الإسلام، التعاون مع سائر المسلمين على أن ما يرفع شأنه ويزيد أهله تنفع أن تكون الخرافات من بعض المسائل المذهبية سبباً لتعرق والشقاق الذي حصره كتاب الله وبأمره (ص) من أهله بقوله (إن ليس فرواد منهم وكان سبباً لست منهم في شيء)

الجميع ليسوا أقلية في سوربة فانهم مسلمون ولا ينبغي لهم أن يترفعوا عن سائر المسلمين في شيء إلا إذا كانت المصلحة في تمثيلهم في الحكومة راجحة لهم وإسائر المسلمين ما دامت هذه السنة التي صفع بها أرباب المطاعم لبنان الصغار لا قلبان الكبير ثانياً قائمة على عروشها وهي جعل وظائف وعمال الحكومة دينية مذهبية. وقد كما يتقد في أنفسنا على صينا وصدقنا الباضل صاحب مجلة العرفان الغراء بزعمها المشابهة لتزعة مجلة لمشرق استرادية في التفتة شمس السيرة ومصطفى الشامة وما أشبه ذلك مما يقوي الشعور بتزعة المذهب، ولا ننسى دورنا في حب الاتهام، رانه لا يقصد ما يترتب على عمله من تقوية الشعور بالافتراق، والشيعية كانت قبل بدعة المذهب الدنية في الاسلام حزبا سياسيا ثم اصبح بدعة المذاهب كغيرهم، ولا يصلح شأن المسلمين صلاحاً تاماً ما داموا شيعة واحزبية تنعصب كل شيعة وكل حزب لمذهب ديني معبر

وانما الإصلاح الذي الذي يحيا به لاسلام وأهله هو ما فصلاه من قبل في المنار على قاعدة جمع الكلمة على ما أجمع عليه المسلمون قبل تدوين المذاهب من كتاب الله والسنن ولا سيما العملية المتأثرة وأركان الاسلام وتحريم الفواحش ما ظهر وما بطن الخ وجعل مسائل المذاهب الخلافية حرة كمسائل العلوم والفنون لاخرى يعمل فيها العالم بما يراه أرجح عنده، ويستفتي فيها العامي من يشق بعلمه دينه من العلماء فيما يجهد به، فبهذا يزول المانع من تعاون جميع المسلمين على ما يرقهم في أمور ديارهم مع حفظ دينهم ويكون لهم شأن عظيم بين الأمم

ليس في هدي القرآن وسنة الرسول (ص) أصل من الاصول التي شرعها

الله لحياة أهل دينه وعزهم وملكهم مثل أصل الوحدة والاعتصام الذي يكون به المسلمون كالجسد الواحد، ولا محذور فيهما على المسلمين أشد ولا أغاظ من التفرق والانقسام، ولولا فتنة الخلافة لما بلغ ضرر تفرق المذاهب في الاسلام هذا الحد، فوالله إنني أكتب هذا وأنا في ألم لا يعرفه إلا من ذاقه. أتتفلسف الصعداء أن أرى فئة من المسلمين ترى نفسها بين فئة منهم أكبر منها كاليهود بين نصارى روسية أو الارمن بين مسلمي الترك ويدعوها طلاب إصلاحها الى ان تحذو حذو هذين الشعبين . . .

لئن كنتم أيها الاخوة فئة قليلة في اخوانكم مسلمي سورية فليست شيعة العراق بقليل فيه بل هم الاكثرون ، وهم مقصرون فيما يطلب الناصح (المخلص) تشميركم فيه من وسائل الترقى الدنيوي ، ثم ان دولة الشيعة الايرانية هي مقصرة عن شأوجارتها التركية المنسوبة الى السنة ، وان نهضة جارتها الاخرى وهي الدولة الافغانية — على حداتها — خير من نهضتها في السياسة والعمران . وإن لما أشار الباعث (المخلص) من القاء حمل كبير من أوزار التبعة على علماء الطائفة ومجتهديها وجها وجيها ليس هو اشتغالهم بالسياسة كما قال تصريحاً ، بل هو جهلهم بها كما لمح اليه في قوله : ان الدين واللغة شيء والسياسة شيء آخر ، ولكن السياسة في الاسلام من الدين ، ومن الخطأ المبين تقليد بعض المتفرنجين منا لبعض متفرنجة النصارى وأسائدتهم في الفصل بين الدين والدولة ، على أن أكثر المتدينين من النصارى — ولا سيما الكاثوليك — ينكرون عليهم ذلك ، وفي هذا المقام تفصيل لا محل له هنا . وأما الغرض ان نبين غلط المتفرنجين منا في مسألة السياسة وان نذكر كاتب المقال بأن السبب الذي جعله يشعر بأن الشيعة في سورية كاليهود والارمن هو السياسة ، وان علاجه لا يأتي الا من قبل العلماء الذين يفهمون السياسة ، وقد اتفقت مع صديقي العلامة (السيد عبد الحسين) العامل على أن الذي فرقنا هو السياسة ، وان الذي يجمعنا هو السياسة ، فنعوذ بالله من شر السياسة ونسأله من خيرها

تذكرت أنني قلت في أيام طلبي للعلم كلمة في هذا المعنى كان لها تأثير لولاه

(المنار : ج ١٠) (٩٧) (المجلد الثالث والعشرون)

نسيتها ولما كنت أصدق أنها مما كان يخطر ببالي في ذلك العهد
 كان عندنا في طرابلس الشام أيام طلبي للعلم فيها متصرف له إمام واسع بالعلوم الدينية
 والقانون العربية^(١) شافعي المذهب كأهل بلدنا القلمون، وكان كثيرا ما يزورنا في أيام
 الجمع مع بعض العلماء والوجهاء ويحب أن يصلي الجمعة عندنا — وقلما يوجد مكان
 تقام فيه الجمعة مستوفاة الشروط على مذهب الشافعي كما تقام عندنا — وكان كثير
 البحث في المسائل الشرعية والاجتماعية — وقد جرى الحديث مرة عندنا على
 المائدة في ضعف المسلمين وحكوماتهم فقلت: (إن رأس أسباب ذلك جهل
 رجال الدين بالسياسة وجهل رجال سياسة بالدين) فامتعض الباشا وقال: أورا رجال
 السياسة والدولة جاهلون بالدين؟ قلت: إن وجود مثل سعادتكم فيهم نادر ولا
 شك أن الأكثرين كذلك — وأردت أن أفصل .. فغير والذي رحمه الله تعالى
 موضوع الكلام، واستكبر الحاضرون هذا القول للباشا مني على بدايتي في العلم
 وحداثة سني وكان منهم الشيخ علي رشيد الميقاب من وجهاء شيوخ طرابلس وابن
 أخيه صالح أفندي من موظفي الحكومة فطلق هذا بذيع هذه الكلمة وينوه
 بها، وهي قد أغرت الباشا بكثرة البحث معي وكان يجبه جوار لا نبي لا
 أجيب إلا بما تحضرني فيه حدة

وأذكر على سبيل الاستطراد مسألة في موضوعنا هذا وهي قوله لي: إن
 الدولة مخطئة في استثنائكم يا معشر طلاب العلوم الشرعية وعلمائها من الخدمة
 العسكرية فأنتم أولى من غيركم بها، وهذا الاستثناء لا أصل له في الشرع فقد كان
 علماء الصحابة كلهم يجاهدون مع الرسول (ص) فحضرني الجواب بالبداهة ولم يكن
 هذا البحث خطر ببالي من قبل فقلت: بل لهذا أصل في محكم القرآن ... فجمعت
 عيناه وقال: في محكم القرآن؟ قلت نعم قال تعالى في سورة التوبة وهي من آخر ما نزل

(١) هو مصطفى ذهني باشا آل بابان من أمراء الكرد والد أحمد نعيم بك العالم
 المشهور وعضو مجلس المعارف الكبير في الاستانة والمرحوم اسماعيل باشا بابان الذي
 كان ناظرا للمعارف فيها

(وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين واينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فتخاوصت عيناء عند الجواب وسجيتا بعده وأثنى بما أثنى. ولما التقينا في الا ستانة في سنة ١٣٢٩ كان يذكرني بهذه المجالس وينوه بها. ونعود الى موضوعنا فنقول:

ان طائفة الشيعة ما زالت اكثر طوائف أهل السنة احتراماً وطاعة لعلمائها ولا سيما السادة العلويين منهم ، ولا يزال أنباء العراق تأييد بما يدل على ان لاولئك العلماء الاعلام اليد الطولى في الحركة الوطنية الاستقلالية ومقاومة الدسائس الاجنبية التي تـمى لجعل استعباد الاجنبي لأهل العراق وغيرهم من مسلمي الشرق قانونياً مؤيداً بمساعدة خادعة « وما المعاهدات الاحجة القوي على الضعيف » كما قال أعظم ساسة أوربة . ولكنهم لقلة تمسكهم بالسياسة يخشى عليهم ان يخذعوا اليوم ، كما خدعوا في مؤتمر كركلاء من قبل ، فقد بلغنا الآن ان الدسائس تعمل للفرقة بين علماء العرب منهم وعلماء إيران ، فالواجب عليهم ان يتقنوا السياسة وكل ما يتوقف عليه الاستقلال في هذا العصر كما يتقنها البابا ورجاله ورهبانه

فاذا ظلوا على جهودهم واعراضهم عن البحث فيما يحتاج اليه المسلمون في هذا العصر من العلوم والفنون والصناعات ، والنظام المالي وسياسة الامة التي تجمع بين هداية الدين وقوة الامة بالمال والقوة ... والسعي في إنهاضها وجمع كلمتها — فان اليوم الذي تنبذهم فيه الامة سيكون قريباً ، وحينئذ يكون التحامل عليهم شديداً على سنة ردّ الفعل الطبيعية ، فعلماء الشيعة لا يزالون أصحاب الزعامة في طائفتهم على حين نزعت الزعامة من علماء أهل السنة وصار نفوذ المتفرنجين حتى الملاحظة منهم في العامة المتدينة أقوى من نفوذهم كما هو مشاهد في بلاد الترك وبلاد مصر ، وقد سبق متفرنجو الاتحاديين في الترك الى سلب سلطة شيخ الاسلام على المحاكم الشرعية فجعلوها تابعة للمحاكم الاهلية القانونية^(١) فليذكر في ذلك علماء الشيعة ،

(١) بعد كتابة هذه المقالة للجزء الثامن وتمذر نشرها فيه وفي التاسع جاءنا نبأ سلب الترك للسلطتين التشريعية والتنفيذية من خليفتهم كما يدناه في محله

واننا نحيلهم في هذا المقام على مقالات (مدنية القوانين) التي نشرها في المنار ونرجو من صدقنا العلامة السيد عبد الحسين ومن سميه العلامة الشيخ عبد الحسين وهما أشهر علماء جبل عامل أن يبيننا لنا رأيهما فيها وفي هذه المقالة كتابة واذا سمحنا لنا بنشر آرائهما في المنار فاننا نرجو أن نستفيد بها ونفيد ، على أننا ننشر ما يتفضل به غيرهما من علماء الشيعة وغيرهم من تأييد أو نقد في هذا المقام ، يفيدنا فيما نسعى اليه من الاصلاح ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

خطبة الغازي مصطفى كمال باشا

﴿ التي ألقاها في مجلس الجمعية الوطنية الكبير بأقره في جلسة ١٢ ربيع الاول (اول نوفمبر) التي اعلنوا فيها اسقاط الدولة العثمانية للاقناع بكون سلب المجلس السلطة من الخليفة موافق للشرع الاسلامي وكان ذلك على اثر ارسال توفيق باشا الصدر الاعظم رقيات اليه بطلب اعضاء من حكومة انقره ينضمون الى الاعضاء الذين يختارهم الباب العالي لمؤتمر الصلح الدولي ﴾

ماهية الباب العالي

أيها الزملاء . ان توفيق باشا الذي يضيف الى اسمه في الآستانة صفة غير شرعية ، قد راجع القيادة العليا لجيوشكم ببرقية خصوصية سرية ، ثم اردفها ببرقية صريحة تفشي سر الاولى . واذا ما فخصتم البرقية ألفتيموهنا ترمي الى تهوئش الرأي العام الاسلامي واضعاف حكومتنا الوطنية التي فازت في الدفاع عن قضيتنا المقدسة فوزاً فعلياً وقانونياً ازاء الاعداء الذين كانوا يرومون محق استقلالنا . وقد اقتضت تلك البرقية للعارية عن المعنى والمنطق تكرار حقيقة مؤيدة بوجود مجلسكم العالي . لا شك ان الحقيقة المندمجة في شكل ادارتنا هي اخذ الشعب التركي بزمام اموره وقيامه بمهام سلطنته الشعبية منذ ثلاثة اعوام ودفاعه عن قضيته المقدسة . وقد ادى ظهور هذه الحقيقة الى زوال باطل : هو اجتماع سيادة الشعب وسلطنته في يد شخص واحد .

كرر هذه الحقيقة التي اقرها الشعب واقزتها الهيئة الجليلة المؤلفة من وكلائه تبعاً لارادة الامة مراراً ، وارجوكم ان تتفضلوا بالاصغاء الي بضم دقائق حضرات الزملاء : لعلكم توافقوني على القاء نظرة سريعة قصيرة في التاريخ التركي والتاريخ الاسلامي توضيحاً للحقيقة

خلاصة تاريخية سياسية للتركية والاسلامية

ان في هذا العالم الانساني امة تركية عظيمة يزيد عددها على مائة مليون على أقل تقدير ، ولهذه الامة مكان فسيح في التاريخ يضاهي مكانها على وجه الارض. واذا ما شئتم - ايها السادة - امكننا ان نقيس هذا التاريخ بمقياسين الاول خاص بالعهد الذي يتقدم التاريخ المدون . ومنه نعلم ان اول تركي ابن يافث ابن نوح عليه السلام . وليس لنا الا ان نتسامح مع اول العهود التاريخية التي كانت تتسامح في جمع الوثائق ، انما يمكننا ان نقول مستندين الى اقطع الدلائل التاريخية ، المادية الجليلة : ان الاتراك اسسوا دولاً عظمت في قلب آسيا منذ خمسة عشر قرناً وكانوا من العناصر التي تجلت فيها جميع انواع القابليات الانسانية . وقد قام بتأسيس تلك الدول التركية اجدادنا الذين كانوا يرسلون سفراءهم الى (الصين) ويتقبلون سفراء (بيزانطة) في عواصمهم

كذلك من المعلوم ايها الزملاء ان في العالم كتلة عربية يتكون من قسمها الاسيوي كتلة متكاتفة . وقد ظهر من هذه الامة العربية نحر العالم ، والرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ايها السادة ، ان الله واحد احد عظيم ، ونستطيع ان نقول ناظرين الى تجليات السنن الالهية . ان الناس يصح فخصهم وهم في حالين ، وفي عهدين : العهد الاول عهد الصبا والشباب البشري ، والعهد الثاني عهد الرشد والكمال الانساني ، والانسانية في عهدها الاول كالطفل وكالشاب تبتغي ان تشتغل بنفسها بالوسائل القريبة المادية . وقد اقتضت ارادة الله ان يبعث في الناس من يرشدهم الى ان يتم وصولهم الى الكمال ، ولذلك ارسل فيهم من عهد آدم عليه السلام انبياء ورسلاً لا يمكن عدمهم او احصاؤهم ، الى ان قام نبينا الاعظم بتبليغ آخر الحقائق الدينية والمدنية . فلم تبق حاجة الى الاتصال بالناس بواسطة رسله حيث قد وصلت درجة كمال النوع البشري الى حد يصله . بالالهامات الالهية رأساً ولهذا كان

الرسول المجتبي خاتم الانبياء وكان كتانه اكمل الكتب السماوية .^(١)
ولد عليه الصلاة والسلام قبل الف وثلاثمائة وواحد واربعين عاماً في يوم
الاثنين من شهر (ابريل) ربيع الاول قبل طلوع النهار . وقد شب واكتهل ،
قبل ان يرسل وكان وجهه نورانياً ، وكلامه روحانياً ، لا يفوقه احد في رشده
ورويته ، بل يفوق الكل في صدقه وحلمه ومروءته . وقد امتاز محمد المصطفى
بأمثال هذه الصفات الجليلة قبل بعثته ، فاشتهر في قبيلته بلقب محمد «الامين»
وكان محبوباً ، محترماً ، موثقاً به لدى الجميع قبل بعثته

بعث محمد عليه الصلاة والسلام في سن الاربعين وارسل في سن الثالثة
والاربعين فظل سيدنا نخر العالم يسمى عشرين عاماً متكبدا اعظم المشاق ،
محوطاً بأشد الاخطار . وقد ارتقى الى اعلى عليين بعد ان بلغ الرسالة ،
وانتم تأسيس الاسلام . وهانحن اولاء في يومنا هذا (١٢ ربيع الاول) ندرك ذكرى
ذلك اليوم فقد ارتحل الرسول الاعظم الى دار البقاء في مثل هذا اليوم بالتاريخ
العربي . فلما ارتقى الرسول الى الرفيق الاعلى اجتمع المسلمون الذين ارشدهم الى الحق
وعلى الاخص اصحابه الكرام (ص) وبكوا الفقد مر البكاء . وانما ادرك ارباب الفطنة
ان لا فائدة في هذا الحزن الذي تقضي به البشرية فاجتمعوا للتشاور في اتخاذ
التدابير التي يتسنى بها رؤية مصالح الامة وادارتها بعد ارتحال رسول الله (ص)
اجتمعوا لينتخبوا اميراً يخلف رسول الله وقد كانوا يرون النبي الاعظم يحب
ابا بكر حبا جما وانه اشار في آخر ايامه بما افاد انه يبتغي ان يخلفه ابو بكر

آراء الصحابة في الخلافة

فكان المنتظر اراء ذلك عقد اجتماع لانتخاب ابي بكر الصديق انتخاباً
رسمياً . ولكن الانتخاب لم يكن سهلاً الى هذه الدرجة حيث قامت المناقشات
والمفاوضات الكثيرة ، وحدثت الاختلافات العظيمة ، وظهرت ثلاث وجهات نظر
مهمة في امر الانتخاب :^(٢)

- (١) المنار : هذه الجملة في الرسل وحكمة اكمال الدين بخاتمهم مقتبسة من رسالة
التوحيد للاستاذ الامام بالاختصار ، وهي في الرسالة منتهى البلاغة في البيان
- (٢) التحقيق أن الخلاف لم يطل وانما كان بين المهاجرين والانصار اذ ظن بعض هؤلاء
أنهم أحق بالحكم لان العاصمة (المدينة) دارهم والقوة التي اصررت الاسلام فيها

الاولى : ان يكون الاستحقاق لمقام الخلافة بالكفاءة والقدرة على ادارة مصالح الامة . وعليه ينبغي ان تكون الخلافة في اقوى الاقوام (او قال القبائل) نفوذا ورشدا وهذا رأي جمهور الصحابة^(١)

الثانية : ان يكون من نصروا الاسلام الى ذلك اليوم اهلا للخلافة . وهذا رأي الانصار

الثالثة : التزام قوة القرابة . وهذا رأي الهاشميين .

لم يتسن ترجيح وجهة نظر من هذه الوجهات باتفاق الآراء لانتخاب الخليفة . فقام سيدنا عمر وباع أبابكر الصديق منعا لتشتت الآراء فبويع له . ومن ذلك يتبين ان التأثيرات الشخصية هي التي انتجت انتخاب الخليفة الاول ، لا ائتلاف الميول العامة تألفا طبيعيا حول نقطة واحدة .^(٢)

والحق ، ايها السادة لا يصح لنا ان نطن ان هذه المناقشات الخاصة بالخلافة لا محل لها فان امر الخلافة في الحقيقة اعظم مصلحة اسلامية . والخلافة

قوتهم ، ولم يكن المهاجرون الا ضيوفا عندهم ، وأما المهاجرون وسائر الانصار فكانت حجتهم التي أدلى بها أبو بكر أن النبي (ص) نص على أن الخلافة في قریش وان العرب لا تدن الا لهم لازايهم المساهمة بينهم — أي احتجوا بنص الشارع وبالمصلحة العامة التي هي من اصول الشرع ومقاصده ، لا بقوة عصبية أبي بكر فان الاسلام أمات العصبية الجنسية وانما احيائها بنو أمية فجنوا على الاسلام اكبر الجنايات وأما بنو هاشم فكانوا يزيدون على سائر قریش بقربتهم من الرسول (ص) وذلك مرجح لهم فليس بينهم وبين نظرية الجمهور تعارض ، ولكن عمر (رض) خاف أن يسبق الانصار الى مبايعة رجل كبير منهم كسعد بن عباد فيقع الشقاق بينهم وبين المهاجرين وتكون فتنة فبادر الى مبايعة أبي بكر لاعتقاده أنه هو الرجل الوحيد الذي يتبعه السواد الاعظم في مبايعته لكثرة مزاياه وترشيح النبي «ص» له بإمامة الصلاة في آخر حياته ، وكذلك كان

(١) هذا خطأ محض فلم يكن احدهم من الصحابة يحيز ان يجعل الخلافة بقوة العصبية لتكون محل تنازع الاقوياء كما حصل بعد «٢» في هذا التعبير نظر والحق ما بيناه آنفا ، وقد صرح عمر على المنبر بانبيعة أبي بكر كانت فلتة اي أمرا استثنائيا عارضا لا يجوز القياس عليه وان الله وقي المسلمين شرها بسبب أنه لا يوجد في الامة أحد تقطع أعناق الابل في الرحلة اليه والاتفاق على فضله مثل أبي بكر

النبوية اماره تربط اهل الاسلام اجمعين وتكفل اجتماعهم على كلمة الاتحاد . وقد قضت الحكمة الالهية ان لاتنمقدا لعل السطوة والقوة^(١) اذ المقصد الاصيل منها دفع الفساد، وتوطيد امان البلاد، وتنظيم امور الجهاد . وتمهد المصالح العامة، وهذا كله منوط بالسطوة والقوة . تلك سنة الله في خلقه .

من اجل ذلك كانت وجهة النظر الاولى التي عرضتها عليكم فيما سلف ، والتي تجعل الخلافة في الامة ذات الحول والطول ، أرجح وأغاب وجهة^(٢) . وكان من الصواب أن ينتقل أبو بكر الصديق الخلافة بالتأثير

تأسست بعد عهد السيادة النبوية اماره اسلامية باسم الخلافة على هذا المنوال . وقد حدثت الردة وبعض الحركات الرجعية بعد وفاة الرسول فأخذها أبو بكر ووطد دعائم السلام . ثم توسل الى توسيع حدود الامارة الاسلامية . ولما أحس بدنو أجله تذكر ما وقع من المشاكل في أمر انتخابه وانتخب عمر الفاروق بنفسه لمقام الخلافة، وعهد اليه بها وقدمه للامة

اتسعت البلاد الاسلامية في عهد (الفاروق) اتساعا عظيما وكثرت الثروة ونمت نموا كان من شأنه — كما هي العادة — حدوث الاغراض الدنيوية بين الناس ، وظهور الثورة والفتنة ، حتى لقد كانت هذه النقطة تزعج الفاروق الذي كان يتذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد قال لخوادم أصحابه : ان أمتي سيظهر امرها ، وتهزم أعداءها ، وتفتح اليمن والقدس والشام ، وتقتسم خزائن الاكاسرة والقياصرة ، وأنها ستشعب بينها الفتنة بعد ذلك فتضل وتغوى ، وتسير سير الملوك السالفين . حتى لقد سأل الفاروق يوماً (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه عن الفتنة التي تموج موج البحر فأجابه انه لا بأس عليه منها وان بينه وبينها باباً مغلقاً . فسأله عمر هل يفتح هذا الباب

« ١ » نعم ولكن قوة الاسلام المتحدة لا قوة شعب ولا قبيلة تحتكر السيادة وكون الخليفة من قريش الكثيرة البطون لا يقتضي هذا الاحتكار ولم يفعله أحد لقريش ولكن ابتدعه الأمويون لانفسهم فسئوا سنة سيئة كما قلنا من قبل

(٢) نص عبارته أن رأي الجمهور كان أرجح بالنظرية التي ذكرها وهي جعل الخلافة فيمن قومه أقوى من قوم الفريقين الآخرين وقد بينا ان هذا خطأ محض وضد الواقع بل كانت قوة الاسلام واحدة والا فان قوم أبي بكر هم بنو تيم وليسوا بأقوى ولا أرشد من بني هاشم ولا من الاتصار — فهذا التعليل غلط أو مغالطة

أم يكسر ؟ فقال له حذيفة : بل يكسر . فقال عمر : اذن لا يفلق بعدها أبداً . وتأسف . والحق ان الباب كان يونسك أن يحطم . اذ قد اتسعت البلاد الاسلامية واثرت الاعمال . وكان من المسير بعميم العدل الكامل في كل مكان بمثل تلك الادارة . كان سيدنا عمر يفكر في ذلك ويتدبر في نتائجه ويضرب الى الله أن يقبض روحه ولقد سأله سائل وهو يبكي يوماً عن سبب بكائه فأجابه . كيف لا أبكي ونا أخشى لو ضاعت شاة على مهر الفرات أن أسئل عنها ؟ .

أجل ان الفاروق رضي الله عنه كان قد فهم حق الفهم ان الامارة الموسومة باسم الخلافة غير كافية لادارة دولة وان الفرد الواحد مهما اعتمد على فضيلته وقدرته ومهافته لا يستطيع ادارة دولة بأجمعها ^(١) . ولهذا السبب كان (عمر) لا يفكر في خليفة بعده ^(٢) حتى لقد قال لمن أشاروا عليه بتولية ولده بأنه تكفي ضحية واحدة من بيت واحد . وخاطبه «عبد الرحمن بن عوف» رضي الله عنه اذ قال له : سأوليك الخلافة بعدي ، قائلاً . أو تنصحنى بقبولها ؟ فأجابه . لا . فقال له عبد الرحمن : والله لا أقبلها أصلاً .

وقد كانت النتيجة ان نوصل (عمر) الى أحسن حل إذ أحال امارة الدولة ومصلحة الامة الى مجلس شورى (٣) فاجتمع أصحاب الشورى والشعب في المسجد وهناك قر رأيهم على تفويض أمر الادارة الى خليفة انتخبوه .

(١) هذا غلط آخر أو مغالطة أخرى اراء الخطيب أن يجعلها حجة لما أراد من شكل حكومتهم الجديدة وسبب ذلك به بطل أن الخلافة سلطة شخصية مطلقة وانصبوب أنهم سلطة شورى مقيدة . واهم أقرب الى شكل حكومة الجمعية الوطنية منها الى شكل حكومة سلاطينهم الذين كانوا يسعونهم خلفاء كوحيد الدين وعبد الحميد لأنها خير منها ولم يكن شكل الادارة علة لما حصل من الاحداث والفتن بل طبيعة الاجتماع التي ترتبت على سيادة دين جديد ولسنة وشعب جديد في امة كثيرة ذات ملام متعددة في اقطار واسعة في اقل من ربع قرن مع صعوبة المواصلات (٢) الدواب أنه كان يفكر والروايات فيه كثيرة «٣» ليس عمر هو الواضع للشورى بل رب عمر في قوله تعالى «وامرهم شورى بينهم» من سورة الشورى وقوله لرسوله «وشاورهم في الامر» وعمل تنبي (ص) بذلك حتى كان يرجع عن رأيه الى رأيهم كما فعل في غزوتي بدر واحد .

تولى سيدنا (عثمان) الخلافة ولكن كان قد تحطم الباب الذي قضي عليه بالتحطم، وبدأ القيل والقال وظهرت امارات عدم ارتياح في اشر الممالك الاسلامية. وقد وقف سيدنا عثمان موقف الضعف والعجز حتى لقد دعاه « معاوية » فامله على الشام لصيانة حياته فرفض « عثمان » ذلك وأمر « معاوية » أن يرسل اليه جنوداً للمحافظة عليه. ولما لم يتسم المجال لاتخاذ هذه التدبير حيث قامت المناطق الي أعلن أهلها العصيان وتقدمت المدينة وحاصرت « عثمان » في بيته ثم أراقت دمه وهو بجانب زوجته

تولى الخلافة بعد ذلك سيدنا « علي » كرم الله وجهه بين ضوضاء عظيمة ووقائع دموية — وقد تحطم الباب — والحق أن العراق واليمن وسورية والقطر الحجازي كانت بلاداً مختلفة وان كان يسكنها شعب واحد. وقد اضطرت الخليفة في الحجاز ان يقف وجهاً لوجه ازاء وال يستمد الى القوة حيث كان « معاوية » لا يعترف بخلافة « علي » رُم الله وجهه بل يتهمه بدم عثمان. (١) فكان مما فعله الخليفة المأمور بتنفيذ الاحكام القرآنية قطع الحرب ازاء الجيوش الاموية الي علقته القرآن على رؤوس رماحها. وتعهد الصرغان بقبول ما يقضي به الحكمان. كان سيدنا « علي » حاضراً اذ جتمع مندوبه « أبو موسى الاشعري » مع (عمرو بن العاص) مندوب معاوية لتنظيم أمر التحكيم. فاعترض مندوب « معاوية » على ما خطه أبو موسى الاشعري من ان هذا تحكيم بين أمير المؤمنين علي ومعاوية وطلب إلغاء عبارة أمير المؤمنين قائلاً انه لا يعترف بامارة الامن ثم بحث أمره فلا يعترف به أهل الشام. فوافق سيدنا « علي » ذلك. والكل يعلم تلك الحيلة الدنيئة التي وقعت بعد ذلك بين مندوبي الطرفين. وهنالك بشر (عمرو) معاوية بالخلافه ادنبح في حيلته. كما أن عليا استمر يقوم بالخلافة بعد أن ردد قليلاً فيما اذا كان يجب عليه أن يراعي حكم الحكم ام لا يتبين من هذا ان اثنين من كبار المسلمين لم يترددا في التنازع باسم الخلافة والتحارب من اجلها فارة دماء شعب ينشيع لسن واسد مسهما رغما من ان الحل على دن واحد. وحل من واحد

« ١ » التحميق انه حاي المناهضة لعلي على سليمه قتله عثمان لانه اهمه بدمه

تمكن الحاج في حملته من هزيمة النجاة (١١) وارهاق آله وعياله وهذا ما تحولات الخلافة الى سلطنة اسلامية باسم الخلافة

فتحت الدولة الاموية فتوحات عظيمة ، ولكنها لم تكن الا تسعين عامطاخفة بالوقائم الدسوبة من اولها الى آخرها ، وقد أسقطت الامة العربية دولة بني أمية في عام ١٣٢ ، وأسست مكانها دولة أخرى هي الدولة العباسية التي كان يلقب رؤساؤها بألقاب 'الخلافة' . وكان هناك في الاندلس كذلك ملوك ظلوا يلقبون بألقاب الخلافة قرونا . بالرغم من ، حود الخلافة العباسية في العراق

أسلفت فيما سبق انه كانت قد تأسست في أواسط آسية دولة تركية قبل خمسة عشر قرنا أي قبل هجرة الرسول الاعظم بقرنين ونصف ، وقد اعتنق الاتراك الذين أسسوا هذه الدولة الدين الاسلامي قبل الف سنة . ووسعوا بلادهم في اتجاه الشرق حتى حدود الصين ، وأقبلوا حتى سورية والعراق في عهد لدولة العباسية نصفتهم حنة دا . وقووا نفوذهم في هذه البلاد التي تحت حكم الخلفاء العباسيين ، وارتقوا الى أسمى المقامات ، وتولوا قيادة الحوش .

وقد تأسست في القرن الرابع الهجري دولة تركية عظيمة باسم الدولة السلجوقية . فكان الاتراك الذين يعملون باسم هذه الدولة ينتشرون في بلاد القافقاس (من جهة ، وبلاد إيران والعراق وسورية من جهة الجنوب ، وبلاد الاناضول من جهة الغرب ، حتى دخلت دولة الخلفاء العباسيين المقيمة في بغداد في دائرة نفوذ هذه الدولة . والحق أن هذه الدولة التركية مدت سلطانها الى ما وراء النهر وخوارزم والشام ومصر واكثر الاناضول في أواسط القرن الخامس الهجري ، ووسعت حدودها حتى كاشغر ونهر سيحون الى البحر الابيض والبحر الاحمر وبحر عمان ، بحيث كان الخلفاء العباسيون في بغداد تحت نفوذهم وادارتهم . وقد جلس (ملكشاه) الذي مثل السيادة التركية بجانب الخليفة المقتدي بالله وتصاهرا . (٢)

« ١ » الظاهر الموافق الواقع ان المراد الهزيمة المعنوية لا الهزيمة في القتال فعلي

كان هو المنصور والحسن ، صالح معاوية ومعاوية منه حثنا للدماء

« ٢ » في مسألة كون الدولة السلجوقية تركية والايوية كردية بحث تاريخي

أريد أن أحلل هذا المظهر وهذا الموقف قبلًا . لقد كان (الخاقان) التركي الذي يمثل دولة تركية عظيمة لا يرى بأسًا في المحافظة على مقام الخلافة وحدها ولو رأى بأسًا في ذلك لكان في مقدوره أن يزرع تلك الصفة من الخليفة وأن يضيفها إلى نفسه ، أي أنه لو أراد (ملكشاه) لفعل في بغداد ما فعله السلطان سليم في مصر بعد خمسة قرون^(١) . بل إننا نرى (ملكشاه) لم يفكر إلا في أن يخلف المقتدي بالله من هو اصدق للدولة تركية والبق عمقام الخلافة . وقد ضفط على الخليفة المقتدي بالله لعل ولده من ولاية العهد واقامة حفيده مكانه والآن — أيها السادة — مقام الخلافة محفوظ ومجاوبه مقام السيادة والسلطة الوطنية ، أي الجمعية الوطنية التركية الكبرى . ولا شك أن هذين المقامين يقفان جنبًا إلى جنب وقفة أعلى واسمى مروقة الخلافة العاجزة الضعيفة إزاء ملكشاه ، لأن تركيا الحديثة تمثلها الجمعية لوطنة الكبرى ، ولأن الشعب التركي يتعهد ويتكفل بأن يكون سناداً لذلك المقام بجميع قواه ، من حيث هو واجب وجداني ديني^(٢)

لنتقدم في ملاحظتنا التاريخية ، نضم خطوات أخرى حتى تتضح لنا ضرورة ادارتنا الحالية ومقدار تفهمها للاسلام

واجتماعي لا محل له الاثن كما انه لا محل لذكر شيء من عمل الترك في الدولة العباسية التي انتمدت عليهم ورفعت مكانهم على العرب والمعجم

« ١ » هذه مسألة فيها نظر من وجوه ترجىء بيائها الى وقت آخر لا يلبس الحقيقة فيه غيرها وإنما نذكر الخطيب وقراء الخطبة بمئات تأثير الاعتقاد والرأي العام وظروف الأحياء وصروف الزمان فقد كان نفوذ الجون ترك في عهد الانحاديين أقوى من نفوذ السلطان وآل عثمان ولكنهم لم يقدروا على نزع الملك منهم كما قدروا عليه في عهد الكماليين

« ٢ » الخلافة ليست مقامًا وجدانيًا حقه الاحترام في القلب فقط بل هي عبارة عن رئاسة الحكومة الاسلامية ، فريث هذه الحكومة التي تقيم الاسلام باحياء دعوته والدفاع عنها وتنفيذ أحكامه هو خليفة الرسول وان لم يسم خليفة ، فان هذا اللقب لم يطلق على غير الاول من الخلفاء الراشدين وقانون الجمعية الوطنية قد حصر السلطة كلها فيه ليس فيه ذكر للخليفة وقد نصت خليفة روحيا في الاستانة وانما ننظر ما ننوط به من الاعمال

أيها السادة ان الاتراك الذين أسسوا في اواسط آسية دولاً على دول قاموا بتأسيس دولتين عظيمتين بلغتا أوج المدنية في غرب ذلك . هما الدولة السلجوقية الإيرانية، والدولة السلجوقية الأناضولية . ومن المعلوم ان (قونية) كانت حاضرة الدولة السلجوقية الأناضولية وان هذه الدولة قد حافظت على حياتها حتى عام ٦٩٩ . وبينما هذه الدول الإسلامية التركبية المعروفة تسعى وتعمل ظهر الفاتح جنكيزخان (وخرج من قارة قوروم) سنة ٥٩٩ ووسع حدوده حتى بحر الصين وبحر البلطيق والبحر الاسود وقد استولى حفيده (هلاكو) خان سنة ٦٥٦ على بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم وبذلك رفع الخلافة من وجه الارض فعلاً

لقد رأى سيدنا عمر في حياته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستطيع وقف تموجات الهيئة الاجتماعية . وفارق الحياة الدنيا مضطرب الروح، واما سيدنا عثمان فقد سال دمه على صحف القرآن وسط الهجمات المقدرة، ولم يتمكن الامام علي كرم الله وجهه من تقرير الخلافة في عهده ولا من المحافظة على حقوق آل بيت الرسول ، ولا مريون لم يستطيعوا المحافظة على الخلافة اثر من تسعين عاماً . وقد اضطرت خلفاء العباسيون الى قصر نفوذ الخلافة بين اسوار بغداد ، وقد ذهب المستعصم آخرهم ضحية لهلاكومع اولاده وعياله وثمان مائة الف من المسلمين.

وأما خلفاء الاندلس الذين لم يتجاوز نفوذ خلافتهم قصر الحمراء بعد ضعف الخلافة العباسية فكنا يعلم عاقبة فاجعتهم في أوائل القرن الخامس الهجري . وقد أدت الواقعة الخطيرة التي قام بها (هلاكو) الى اعدام الخليفة ومقام الخلافة (١) ولكن لم تمض ثلاثة أعواد على ذلك حتى التجأ الى الحكومة المصرية (المستقر بالله) من آل عباس سنة ٦٥٦ هجرية فاعترف ملك مصر بخلافته ، وقد جاء من بعده ١٧ خليفة لم يكر لاحد منهم أدنى نفوذ أو تأثير رأسي بل كان يستخلف

« ١ » يريد بكل ما تقدم ان حكومة الخلافة الإسلامية بالمعنى المعروف في الاسلام لم تنجح ولم تثبت لعل ذاتة فيها تقتضي انها لا تصلح للمسلمين . وهذا خطأ محض والصواب ما أشرنا اليه في حاشية قبل هذه وان خروج المسلمين عن احكام الاسلام في الخلافة كان من اسباب تفاقم تلك الاحداث والفتن وسقوط الدول

بعضهم بعضاً تحت حماية الحكومة المصرية فلما تشنت الادارة السلجوقية أسست
الامة التركية الدولة العثمانية مكان الدولة السلجوقية عام ٦٤٩ هجرية وبعد وجيد
السلطان سليم عند دخوله مصر عام ٩٢٤ م يلقب بالخليفة ، عدا من قتلهم
من ملوك مصر ، فلم يتردد ذرة في أن بقاء صفة الخلافة في شخص عاجز مما
يشين العالم الاسلامي فاتخذها لنفسه على أن يجعل قوة الدولة التركية سنداً لها
أيها السادة : تأسست الدولة العثمانية عام ٦٩٩ هجرية ، تقلدت خلافة عام
٩٢٤ . فلم يمض على ذلك التاريخ خمسون سنة حتى أتمت ثلاثة قرون من حياتها
تدعى عهد الاعتلاء ولا تتصارات المتواليات . أما بعد ذلك فقد بدأ عهد الانحطاط
فصارت الحدود التركية تضيق كل يوم . ونفذت قوات الشعب التركي مادة ومعنى
كل يوم ، وتنزل الضربات الموجهة على رأس الاستقلال التركي وتمحق أاضي
المملكة وثروتها وتقوسها وكرامتها بسرعة مذهلة . (١)

كانت البلاد منتبهة مستعدة لمعالجة أسباب مصائبها منذ قرون في لحظة احدة .
اذ كان التاريخ واضحاً للغاية ، وكان الشعب قد بلغ أشده وكاله ليعدل للملافة نتائج
غفلته لقوله التي انسته نفسه . جراء اتخاذ السلطة وقول لربيع اطماع الانبياء
الذين يريدون أن يتحكموا ، أن يتسلطوا ، أن يستولوا وأن يتفعلوا وأن
يسترحوا أن يتوغلوا في السرف ، الترف ، مع الرذائل وغير ذلك من المقاصد
لديثة . هالك لم يتردد الشعب في الحكم بأنه مدحان لوقت الذي يستعمل قوته
وتفوقه المعقول ، المشروع ، لالساني

ولهذا هب الشعب التركي الذي أسس دولة حكيمة ودولة سلجوقية
ودولة عثمانية وحرب جميع هذه الدول بالذات وأسرى في هذه المره دولة
باسمه وعنوانه ووقف بأراء لمصائب التي يلي بها بدمرته وقوته أي فطر عليها
سلم الشعب جميع أموره وجه السلطة الشعبية . لا في شخص واحد ،
بل في مجلس عال مؤلف من وكلائه الذين لم يخضعهم جمع أوردده . وهذا المجلس

«١» يفهم من قوله هذا بمونة ماسبقه ان منصب الخلافة الذي ادخله السلطان
سليم في الدولة هو الذي كان سبب سرعة انحطاطها وقد صرح الدكتور رضا نور
عنا ، هذا من حديثه الآتي - فيا ليت شرن اي عمل عمله سليم ومن بعده باسم
الخلافة فكان سبب ضمها اما والله لو قاموا بولايت الخلافة لماكوا الشرق كله ...

مجلسكم الموقر ، أي الجمعية الوطنية التركية الكبرى ، التي تدعى حكومتها (حكومة الجمعية الوطنية التركية الكبرى) وليس هناك مقام سلطنة أو هيئة حكومة أخرى في البلاد

والآن قد يدور بالخلد سؤال عما يصير إليه أمر الخلافة بعد انقضاء المقام الشخصي الذي يصيف لنفسه تلك الصفة

أيها السادة لقد رأينا مقام خلافة في بغداد في عهد الخلفاء العباسيين وفي مصر يعيش قرونا بجانب السلطنة ، مع انفراد عنها ، وإن من الطبيعي جدا أن يكن مقام الخلافة بجانب مقام السلطنة الشعبية ، مفرقا هو أنه كان على رأس السلطنة في بغداد ومصر شخص ، وأما في تركيا فيجلس في ذلك المقام شعب ثم لا يكون مقام الخلافة صريفاً عاجزاً ملتجئاً ، كما كان في بغداد ومصر ، بل ستربع فيه شخص عاقل يستند على الدولة التركية^(١)

وعلى هذا المحور يزداد الشعب التركي قوة كل يوم بصفته دولة عضوية مدنية ، وستتضاعف سعادته ورفاهيته وفهمه لسانيته ونفسه ، كما أنه سيظهر في مظهر العزة والرفعة التي تشرح قلوب المسلمين أجمعين ، ويجعله النقطة التي يجتمع حولها العالم الاسلامي بروحه ووجدانه وإيمانه .

أيها السادة : لا رى حاجة لا يوضح ما تعدده الدولة التركية والجمعية الوطنية الكبرى وحكومتها من القوة والبر والنجاة والسعادة للشعب التركي ، فإن مجارب ثلاثة أعوام وثمار تلك التجارب كافية لا يوضح ذلك على ما أعتقد وأما الفوائد التي تجنيها تركيا ومجنيها العالم الاسلامي من مقام الخلافة بعد ذلك فسيبرهن عليها المستقبل بكل وضوح

ان الدولة التركية الاسلامية ستلذون اسعد دولة في العالم لكونها منبعاً

« ١ » كان سبب وجود شيوخ يسمى خليفة في جانب السلطان التركي ببغداد والجركسي عصره هو اعتقاد أولئك الترك والجراكسة أن الخليفة الحق يجب أن يكون قرشياً ومنه تستمد السلطة الشرعية شرعية ولا محل لاعتقاد الحكومة التركية مثل هذا الاعتقاد في بني عثمان الذين ساءت لهم تلك لانها لا تراخى أهلاله بل تراه ضرراً على الأمة — على أن عمل أولئك السلاطين لم يكن شرعياً في الحقيقة بل في الصورة فما الفائدة في محاکاتهم فيه؟ ومن لم يكن أهلاً للسلطنة لا يكون أهلاً للخلافة الأولى لانها سلطنة وريادة سلطنة وخلافة ونهضة

ومنشأ لتجلي السعادتين

والآن احتم كلامي قائلاً اني رى جميع الزلاء متحمدين ومتفقين تمام الاتفاق في اساس المسألة التي نتباحث فيها ، وتلك حال سارة توجب شكر الامة وتبريك الجمعية المبجلة ، لقد تلي علينا تقرير مفصل من قبل ، ولدينا تقرير آخر قدم الآن ، وكلاهما متحد في الاساس ، فليس لدينا الا ان نحرر ما ورد فيهما في شكل اصرح والطف ، ثم نحيلهما على راي الجمعية الوطنية المبجلة ونعلنهما بعد الحصول على رايها ، وبذلك نحول دون جميع الدسائس التي يدسها علينا اعداؤنا » انتهت الخطبة

﴿ المنار ﴾ إن المراد من هذه الخطبة السياسية جعلها حجة للجمعية الوطنية التركية في إسقاط الدولة العثمانية وتأليف دولة تربية محضة بشكل جمهوري جديد واقامة هذه الدولة خلافة روحية للمسلمين بمعنى جديد لم يعرف من شكله الا أنها محصورة في نبي عثمان وان الدولة التركية هي التي تنتخب خليفة تركيا عثمانياً وتؤيده بقوتها وتجمعه على حرمة من سلطة الحكومة أجل وارم من الخليفة العباسي الذي تغلب عليه سلاطين الترك في بغداد والذي تغلب عليه سلاطين مصر ، ولكن هذه التنظيرات التاريخية على ما فيها ليست حججاً شرعية على ما كان وعلى ما يراد الآن . وإنما هي مبنية على قاعدة « الحق للقوة » ولا يحتاج الدولة التركية الجديدة إلى حجة غيرها ، وليس السلجوقيون ولا الجراكسة ولا غيرها أولى بها منها ، وهذه القاعدة هي التي تجري عليها سياسة هذا العصر وجميع الشعوب الاسلامية التي تعطف على الترك وتؤيدهم فانما تؤيدهم لاجل قوتهم الحربية والتلذذ بأن شعباً اسلامياً يقاتل الافرنج المستذلين لهم قتال الاكفاء ، ويضطرهم بقوة الى احترامه والاعتراف بحقوق لدولته ، لا لاجل الخلافة والخليفة ، والبرهان القاطم على ذلك انهم كانوا إلباً واحداً على محمد وحيد الدين ، لما ناول الكماليين ، ولا تأثر ذلك لما يقال من تنازل الاسير العباسي للسلطان سليم أمره عن الخلافة التي لم يكن يملك منها الا دون ما يملك وحيد الدين منها ومن السلطة عند مفرأى مالطة . فان فقد الشعب اثره في المسلم هذه القوة الحربية الممازة (لا سمح الله بذلك) لم يعد أحد من المسلمين يبالى بأمره أو جديده خليفة أم لا . فعليه إذن ان يوجد خلافة صحيحة او يدع .

أقول هذا وأنا لهذه القوة ناصح أمين، ومؤيد لها في مكافحة اعداء المسلمين، وكنت أول من قاوم السعي لجعل شريف مكة الذي خرج على الدولة ووالى اعداءها خليفة للمسلمين، ونوهت بأعمال الكماليين وفضلتهم عليه وعلى اولاده ولكني لا أقول الا ما اعتقد أنه الحق، ومنه أن الغازي مصطفى كمال باشا مخطيء فيما رمى اليه في خطبته من محاولة اثبات ان نظام الخلافة الشرعي غير صالح ولا موافق لمصلحة الامة، وان سيدنا عمر علم بذلك ومهد السبيل لنظام غيرها بأمره بالشورى في انتخاب الخليفة بعده — ومخطيء في استدلاله على ذلك بهجز الامويين والعباسيين والعثمانيين عن اقامة تلك الخلافة، كما اخطأ في دعواه ان جمهور الصحابة جعلوا الخلافة تابعة لقوة المعصية الجنسية — ونتيجة هذا أنه مخطيء في حكمه المقصود بالذات من أن الحق أو الصواب مافعله المتغلبون على الخلفاء الاولين من سلب سلطتهم، وجعلهم آلة للتبرك بلقبهم، وان ذلك حجة لاقتداء الحكومة التركية الوطنية بهم، كل ذلك باطل واعتداء على الشرع تفذ بالقوة، ويمكن الآن أن ينفذ مثله بالقوة، ولكن لم يكن ذلك ولن يكون هذا حقاً ولا خيراً لمن فعله، بل صدق على الجميع قول الرسول (ص) في الامارة والحرص عليها بغير حقها «نعم المرضعة وبئست الفاطمة» رواء البخاري وقد بينا الحق في المسألة في مقالتنا التي نشرناها في هذا الجزء، وقد كتبنا الى الغازي مصطفى كمال كتاباً أشرنا فيه الى الخطأ المثل في احياء مقام الخلافة والانتفاع به وذلك قبل وقوع هذا الحدث الاخير الذي نرجو أن يصححوا خطأهم فيه بعد الصلح واستشارة علماء الاسلام الاعلام من جميع الاقطار — هذا واننا ثم السياق التاريخي الذي بدأنا به فنقول

التقرير الذي اعتمد وقرار الحكومة

لقى الغازي مصطفى كمال باشا خطبته هذه في جلسة الجمعية الوطنية الكبرى التي عقدت لاعلان اسقاط دولة آل عثمان وحكومة الباب العالي بمناسبة بركات الصدر الاعظم توفيق باشا التي ارسلها اليه يطلب فيها ارسال مندوبين لمؤتمر الصلح يشتركون مع مندوبي الباب العالي. وأما التقارير التي اشار اليها في الخطبة فقد اعتمد منها تقرير الدكتور وضائور الموقع من ٦٨ نائباً وبني عليه قرار الجمعية الآتي

وهذا نص التقرير

﴿ تقرير الدكتور رضانور المومع من ٢٨ تأباً ﴾

« ان الدولة والامة العثمانية قد نزلت بها أعظم المصائب من جهل السراي والباب العالي واسرافهما منذ قرون وقد كانت نتيجة ذلك أن تدهورت البلاد في مهاوي الانقراض . لكن الشعب التركي المؤسس للامبراطورية العثمانية والمالك الحقيقي للبلاد هب دفعة واحدة في الاناضول ووقف في وجه أعدائه الخارجين كما جاهد السراي والباب العالي اللذين اشتركا مع الاعداء في معاذنه وأسس الجمعية الوطنية الكبرى في أنقرة كما الف جيوشها وحارب أعداءه الخارجين والسراي والباب العالي ، في أخرج الظروف حتى وصل الى يوم النجاة . أسس الشعب التركي قانون التشكيلات الاساسية اذ رأى خيانة السراي والباب العالي وأخذ السيادة من السلطان لنفسه بالمادة الاولى من ذلك القانون كما أعطى الامة جميع القوات التنفيذية والتشريعية بالمادة الثانية منه وجمع كل الحقوق المملوكة في نفسه من اعلان حرب وعقد صلح وغير ذلك . بالمادة السابعة منه . فبناء عليه قد انهدمت الامبراطورية العثمانية القديمة منذ ذلك الحين وتأسست مكانها دولة تركية وطنية ، كما زال السلطان منذ ذلك اليوم وتولى مكانه الشعب ، فليس للهيئة الموجودة في الآستانة سناد شرعي غير أجنبي يمكنها أن تستند اليه بل هي ظل زائل

أسست الامة حكومة شعبية تحمي حقوق الشعب والفلاح وتشكفل بسعاده مكان الحكومة الشخصية المؤسسة على تحكم جماعة النزق والترف . فلم هذا نحر أشد حيرة اذ نرى في الآستانة أولئك الذين شاركوا العدو في معاداته للشعب التركي لا ينفكون يتحدثون بحقوق الخلافة والسلطة وحقوق البيت الملكي ، بل انه يندري التاريخ وجود وثيقة كبرقية بوفيق باشا من جهة غرابتها ومخالفتها للواقع وعليه فاننا لطلب اتخاذ القرارات الآتية:

- ١ — قد انقرضت الامبراطورية العثمانية مع مبدأ الاوتوقراطية
- ٢ — تأسست حكومة فتية قوية وطنية باسم الدولة التركية مبنية على قواعد الحكومة الشعبية

٣ — الحكومة التركية الجديدة تقوم مقام الامبراطورية العثمانية وترثها وحدها في داخل حدودها الوطنية

٤ — حيث إن الامة قد تولت السيادة بنفسها بموجب قانون التشكيلات الاساسية فالسلطة التي في الآستانه صارت الى العدم وانتقلت الى التاريخ

٥ — ليس في الاستانة حكومة مشروعة بل إن الاستانة وما حولها عائد للجمعية الوطنية الكبرى ، ولهذا يجب تعيين الموظفين لها من قبل حكومة الجمعية الوطنية

٦ — الحكومة التركية تنقذ مقام الخلافة الذي هو حقها المشروع من أيدي الأجانب الذين وقعت الخلافة أسيرة في أيديهم . «

﴿ قرار الجمعية الوطنية ﴾

وفي جلسة أول نوفمبر نشرت الجمعية الوطنية منشوراً وقراراً باتفاق الآراء محصوراً في مادتين هذه ترجمتهما :

١ — ان الشعب التركي قد فوض للجمعية الوطنية الكبرى ، التي تمثله تمثيلاً حقيقياً جميع حقوق سيادته وحاكميته بمقتضى قانون التشكيلات الاساسية بحيث تجتمع تلك السيادة والحاكمية في الشخصية المعنوية للجمعية اجتماعاً لا يقبل تركاً ولا مجزئة ولا نقلاً الى غيرها ، كما فوض اليها استعمال تلك السيادة وعدم الاعتراف بأي قوة أو هيئة لا تستند على الادارة الوطنية . فلهذا لا يعترف بشكل أي حكومة في داخل حدود الميثاق الوطني الاحكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا . من أجل ذلك يعتبر الشعب التركي شكل الحكومة التي في الاستانة والمستندة على السيادة الشخصية منتقلة الى التاريخ انتقالاً أبدياً ابتداء من يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠

٢ — الخلافة في آل عثمان بحيث تنتخب الجمعية الوطنية الكبرى لها من آل ذلك البيت أرشدهم وأصلحهم علماء وأخلاقاً . والدولة التركية سناد مقام الخلافة ١ نوفمبر سنة ١٩٢٢

كلمة الدكتور رضا نور بك في الخلافة والسلطنة *

لما وصل الى الاستانة الدكتور رضا نور بك وزير الصحة والتعاون الاجتماعي في انقرة وأحد مندوبي الترك لمؤتمر لوزان في طريقه الى أوروبا اجتمع به أحد الصحفيين وسأله عن رأيه في الانقلاب الأخير وعن نتائجها فأجاب الدكتور بما نعر به هنا وفيه القول الفصل لان الدكتور من زعماء هذه الحركة وهو الذي قدم بالاشتراك مع حسين عوني بك مبعوث أرضروم تقريراً الى المجلس الكبير بفصل الخلافة عن السلطنة فجرت المناقشة في مضمونه ووافق عليه المجلس قال الدكتور :

« هذا هو التاريخ مائل أمامنا يحدثنا أنه كان في العصر العباسي خلفاء ما تدخلوا في الشؤون الزمنية مطلقاً ، ولا اكتسب أن الدول التي يجمع خلفاؤها بين السلطتين الدينية والمدنية في أشخاصهم تصير دائماً الى الفناء والانقراض^(١) اذا فكرت في هذا الامر ضمن دائرة العلم والاصول الادارية يظهر لك أن القرار الذي أصدرناه بفصل الخلافة عن السلطنة منطبق على أحدث اصول^(٢) وسيقابل العالم المتمدن والعالم الاسلامي كله عملنا بالارتياح وستظل الامة والدولة التركية حامية لمقام الخلافة المعلى وتتولى جيوش تركيا وحرابها الدفاع عنه » ولا يخفى ان الخلافة تكون دائماً في الدول والامم القوية القادرة على

(* المقطع في ٢ ربيع الآخر

(١) أكثر متفرنجي الترك على هذا الرأي وهم مخططون في جعل الجمع بين السلطتين سبب الفناء فان الدول التركية التي نوه بها مصطفى كمال باشا وقال انها أبت انتحال الخلافة وأمثالها من الدول التي لم تكن جامعة بين السلطتين قد انقرضت أيضاً وهي كثيرة وقد اشرنا الى اسباب ذلك في موضع آخر وهذه حكومة المن جامعة بين السلطتين منذ أكثر من الف سنة ونيف وقد حاولت الدولة العثمانية القضاء عليها منذ أربع قرون فعجزت ولا تزال باقية وبيت الامامة فيها أقدم بيت ذي حكومة في الارض (٢) نعود فنقول إن فصل الخلافة عن السلطنة يخرجها عن معناها الشرعي الى معنى أحدث الاصول المخالفة لاصول الاسلام القديمة اي يخرجها عن كونها الخلافة الاسلامية ويجعلها نخلة مشايخ الطريق وهي حينئذ لا تحتاج الى حراب ولا مدافع

الدفاع عن بيضتها ، واعلاء كلمتها . فاذا ما استند الخليفة الى حراب الترك يصبح ذا تأثير معنوي في العالمين الاسلامي والمدني »

المحرر — هل صدر قرار بفصل وكالة الشرعية (المشيخة الاسلامية) عن الوزارة على أن تكون مرتبطة بمقام الخلافة أم لا ؟ وهل ينتظر حدوث شيء مثل هذا ؟

الدكتور — لم يصدر شيء حتى الآن وقد ترك البحث في هذه الفروع مؤقتاً على أن يعاد اليها في فرصة ثانية فيفصل في أمرها

لقد أحدثنا انقلابات تاماً الآن فهذا الانقلاب الذي هو انقلاب الانقلابات من أعظم الانقلابات التي عرفها التاريخ لجاء عصرها تاماً ولم يبق لنا وقت لمعالج فيه المسائل الثانوية المحرر — الاترون أنه كان الأفضل تأجيل إصدار هذا القرار ريثما يعقد الصلح ؟
الدكتور — لقد وقع الانقلاب في الزمن الملائم ، ولا يغرب عن البال أن هذا الأمر داخلي بحث لا علاقة له بالصلح الخارجي

ويلوح لي أن أهل الآستانة لم يدركوا تماماً مزايا هذا الفصل ولكنهم سيعلمون في المستقبل القريب أن فيه سعادة الاسلام وحياة تركيا

« من الحقائق الثابتة أن الأمة التركية لا تعيش داخل إدارة امتزج فيها الدين بالدنيا ^(١) وليعلم أهل الآستانة أن الأمة التركية ولا سيما قرويين الاناضول منها لا يخضعون لسلطنة الاشخاص فقد سئموا ذلك وملوه ^(٢) »

« اسمعوا خفقان قلب الاناضول وانصتوا الى روحه التي تقول: ان الانسان ليس متاعاً تجارياً يقايس عليه وما هو بمملوك فيضحي لنيل الفخار وارضاء الشهوات والمطامع . كنا نظن أن أهل الاناضول على شيء من الجهل والغباء ولكننا لما اضطررنا الى التغلغل في احشاء الاناضول والتنقل في ربوعه والاختلاط بأهله عن كذب أدركنا اننا منا على خطأ وأن الاناضولين يفكرون أحسن منا وينظرون الى المسألة من أصلها

وبعد فإني أرجو أن أسألكم بوجدانكم وعلمكم لماذا لا توافقون على الفصل

- (١) هذا تصريح آخر بأن الحكومة غير دينية وهذا أخص من جعلها غير
مرؤوسة لخليفة ديني لحكومة الافغان دينية ورئيسها ليس خليفة الاسلام الشرعي
(٢) لا نثق بدكتور عن فلاحى الاناضول فان اعتقاده ليس كاعتقادهم قطماً

بين الخلافة والسلطنة ؟ فاننا لو رحنقلب صحف التاريخ العثماني لوجدنا أنه كان بين السلاطين من كانت له حية مزخرفة يطلقها ثم يحاول السير بين صفوف الامة واجراء الحكم باسم الخلافة^(١)

المحرر — متى يكون انتخاب الخليفة ؟

الدكتور — لا أعلم متى يكون ذلك ومن المقرر أنه سيختار الارشد والاصلح من أبناء عثمان

المحرر — لا يخفى عليكم أن بين المسلمين دولا وجماعات أولي قوة وبأس فاذا قامت إحدى هذه الدول غداً وقالت إنها ستختار الخليفة فماذا نقول لها؟

الدكتور — يصعب جداً على هاتيك الجماعات الاسلامية انتزاع الخلافة من أيدينا لان الخلافة قائمة على القوة، ولان فصلنا بين الخلافة والسلطنة موافق أيضاً لاحكام الشرع الشريف^(٢) وزد على ذلك اننا لو نظرنا فيما له علاقة بالتاريخ الاسلامي من شؤون الخلافة نجد أنه من الضروري لبقاء الخلافة في آل عثمان نيل موافقة العالم الاسلامي والهنود وسوام من الامم الاسلامية الاخرى على اتفاق في الرأي بهذا الامر^(٣)

ولما كانت الخلافة قائمة على القوة وليس من المستطاع بقاء الخلافات الضعيفة فستظل الخلافة بأيدينا أبدىالاننا نبذل دماءنا في سبيلها منذعصور ، والترك هم الذين أوصلوها الى الهند والصين وقاتلوا الامم الاخرى دونها (٤)

المحرر — من هو الارشد والاصلح بين أبناء عثمان ؟

الدكتور — يوجد على كل حال بينهم رجل يصلح للقيام بهذا الامر

المحرر — ماذا سيكون لقراركم من التأثير في العالم الاسلامي ؟

الدكتور — لا أظن انه سيكون له اثر سيء فان غايتنا كما قلت آتقاهي

(١) هذا عبث بمنصب الخلافة سببه الجهل بها وبالاسلام الذي شرعها، وذلك السلطان المدعي لها دجال مبطل، وأنصاره أضل منه وأجهل ، فهل يصح أن يحكم على ضرر الخلافة وفسادها بفساد أمثال اولئك السلاطين المدعين لها بالباطل ؟

(٢) كلا انه مخالف للشرع وان أصل الشرع ان تكون القوة للحق لا الحق للقوة وكل ما خالف ذلك فغير شرعي

(٣) فستبصرو ويصبرون

معادة المسلمين ولأنه موافق لأحكام الشرع الشريف
المحرر - هل تفكرون في نشر بلاغ على العالم الاسلامي بما تم ؟
الدكتور - لا أدري ، ويجب أن تعلموا أن المسلمين كلهم متحدون
معنا فكراً ، وقد ثبت ذلك في مواقف كثيرة ، ولما قمت برحلتني الأخيرة في
روسيا كان مسلموها يقولون لي « إن الأناضول صار كعبة المسلمين »

المحرر - هل حددتم عمان الحليفة ووظائفه ؟
الدكتور - لم يتم شيء من ذلك . ومن الممكن أن الخليفة سيقوم
الاشتراك مع وكيل الشرعية (شيخ الاسلام) بإدارة الأمور الدينية ، على أن
من ذلك فإن للخليفة في العالم أعمالاً كثيرة أخرى
المحرر - هل أبلغتم الخليفة الحالي شيئاً مما تم ؟
الدكتور - لا أعرف والذي استطعتم قوله هو أنه إذا لم يسأل مجلس انقاره
مما تم بشأنه فلا يبلغه المجلس شيئاً الآن اهـ

المندار - لا شك في أن الدكتور رضا نور بك صاحب هذه
التصريحات من أركان الجمعية الوطنية لحكومة أنقرة وأن قرارها التاريخي
كان بتبرجيع رأيه ورأي من سبق فأقنعهم به ، ولكن حكمه على العالم
الاسلامي عامة وعلى مسلمي الأناضول خاصة هو كأقواله في الشرع الاسلامي
ليس مبنياً على شيء من العلم الصحيح . ان العالم الاسلامي يعطف على حكومة
أنقرة في شيء واحد وهو مقاومتها لسلطة الأجانب المعتدين عليها وعلى غيرها
من الشعوب الاسلامية

وأما مسألة الخلافة وما قرروه بشأنها فمن المسلمين المصريح بالانكار عليه ،
والساكت المنتظر انجلاء الغمة وما يكون بعد الصلح ، والمهني للخليفة الجديد
المبايع له على أنه خليفة المسلمين وحاكمهم وصاحب السلطان عليهم وأن سلب
حكومة أنقرة لسلطته باطل فهو غير نافذ شرعاً ، ولم يشذ عن هذه الفرق إلا أفراد من
المتفرجين الذين يودون الانسلاخ من الحكومة الدينية ومن كل ما هو من الدين ،
ولا قيمة لهم بين المسلمين (ولتعلمن نبأه بعد حين)

هذا وأنا كنا قد رأينا برقية لشركة روتر فيما كان من الخلاف والمعارضة
لتقرير هذا الدكتور في الجمعية الوطنية ولا سيما مسألة الخلافة فلم نحفل بها ،

ولكننا رأينا اليوم (٢٩ ربيع الآخر) قبل طبع هذه الكراسة من المنار تفصيلا لما كانت اثبتته تلك البرقية نشرته جريدة الاهرام فرجعنا نشره أماما للوثائق التاريخية وهو

انفصال السلطنة عن الخلافة

كيف وضعه مجلس أنقرة الوطني

حضرة الفاضل صاحب جريدة الاهرام

نشرت في جريدتكم مقالات مختلفة لانصار فصل السلطنة عن الخلافة ولما عارضها فلا شأن لي في الزيادة على ما قيل لان فيه كفاية للمسلمين ولكنني أريد أن أذكر في هذه الرسالة بعض ما اطلعت عليه عن الكيفية التي وضع بها القرار الذي قضى بفصل الخلافة عن السلطنة مستقيا معلوماتي عن نشرتين نشر الاولى منها لطفي فكري بك أحد المندوبين في المجلس الوطني الكبير والمحامي الصحافي المعروف. ونشر الاخرى العالم المشهور الشيخ بشير في (نيكده) وهذه خلاصة ما ورد فيهما أعرضه على طلاب الفائدة لمقارنته بما يعارضه واستخراج حقيقة الواقع

وضعت الفتوى بفصل السلطنة عن الخلافة بناء على اقتراح قدمه الدكتور رضانور بك - أحد مندوبي الترك في لوزان الآن - في ٣٠ أكتوبر الماضي الى المجلس الوطني الكبير. ووقع عليه ستة وسبعون من زملائه جرى فيه بعض التعديل وأحيل الى لجنة الامور الشرعية في أول نوفمبر الماضي. وهذا المجلس عقد جلسة دامت ساعتين وأسفرت عن وضع قرار معارض له من جميع الوجوه على أنه عند ما طرح الاقتراح على المجلس لقي معارضة شديدة وكلما حاول أنصاره عرضه للتصويت لاقاراره بالاكثرية كان المعارضون ينسحبون من الجلسة فتعطل لعدم وجود العدد القانوني لابتداء الآراء. ولم يكن عدد الموجودين في المجلس يزيد على ٢٢ مبعوثا فأرسل الغازي مصطفى كال باشا يستدعي أنصاره المتغيبين لأسباب مختلفة

ولكن المعارضة أخذت بالاشتداد وكانت تتألف من حزبين قوين أحدهما حزب الاتحاد والترقي وعدد أعضائه خمسة وأربعون والآخر حزب آخر تألف لهذه الغاية من أنصار قره واصف بك المشهور وعدد أعضائه خمسة وأسمعون . أما الاتحاديون فعارضوه لأنهم وجدوا هذا الاقتراح فرصة سانحة للايقاع بحزب الحكومة والحلول محلّه وأما أنصار (قره واصف بك) فكانت معارضتهم مبنية على أسباب دينية وسياسية لا محل لإيرادها هنا . فلما أعيى حزب الحكومة الأمر ورأى أن المعارضين يكثر عددهم وينسحبون كلما طرح الاقتراح للتصويت تصرف كما تقول النشرتان المذكورتان آنفاً تصرف حزب الاتحاد والترقي في مجلس المدعو ثمان قبل الحرب ، وذلك بأن طرح الاقتراح للتصويت وطلب أن يبدى الموافقة آراءهم برفع الأيدي فرفع الموافقون أيديهم وقام ضجيج هائل في المجلس الى أن أعلن الرئيس أن الاكثية قد حصلت وأعلن انقضاء الجلسة ولما عرف هذا الأمر استقال عبد الله عزمي بك وزير الشؤون الدينية ولكن صدر اليه الأمر بأن يبقى في منصبه ريثما يتعين خلف له (مطالع)

﴿ المنار ﴾

هذا التفصيل مؤيد لما ورد في بعض الانباء الخاصة من أن الاكثيين في الجمعية العمومية كانوا معارضين للدكتور رضا نور زعيم الغلاة في هذه الفكرة التي يعتقدون أن وجوده في موسكو هو الذي قوى عزيمته عليها ، ولولا أن الرئيس مصطفى كمال باشا أيده أخيراً لرفض اقتراحه نهائياً . وبهذا ظهر لنا سر ادعاء الرئيس في خطبته أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حصلت بتأثير عمر الشخصي لا برأي الأمة . وقد بينا غلظه — وإن شئت قلت مغالطته — في هذا — في تعليقنا على الخطبة ولكن لم يظهر لنا غرضه من هذه المغالطة الا بعد وقوفنا على هذا الخبر . ونختم هذا الموضوع هنا بأن حكومة انقره مؤيدة الآن بأعظم قوة عسكرية بلغت طاقة البلاد ، لها في عنقها منة الانقاذ ، فهي في حالة غير عادية ، ولا يظهر شكل حكومة الشعب فيها كما هي الا بعد إلقاء السلاح وعود الجند الى أعماله ، وانتخاب أعضاء الجمعية الوطنية انتخاباً سامياً اختيارياً ، والا بعد النزوي والتشاور في مسألة الخلافة ، ولا سيما مشاورة علماء الاقطار الاسلامية غير التركية فيها . وينبغي أن براعى في هذا التشاور من يصلح له والله الموفق .

مؤتمر لوزان للصلح في الشرق

انعقد مؤتمر الصلح في لوزان وبرز في ميدانه قائده العام لورد كرزون وزير الخارجية البريطاني يقاتل الوفد التركي بسيفين سيف الاتحاد الاوربي في يمينه وسيف الاتحاد البلقاني في شماله ، ومن ورائهما العالم المسيحي في أوربة وأميريكة يظهره على تأليف اوطان خاصة للاقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير — الارمن والروم والاشوريون والسكندانيون كلهم مسيحيون يجب أن يكون لهم اوطان في قلب البلاد الاسلامية ، ولا سيما الدولة التركية ، يمتازون فيها بلغاتهم وتقاليدهم الدينية والمدنية ، التي كانوا بها حربا ولتهم العثمانية ، وسبباً من أسباب سقوطها — كما ظاهر دولته هذا العالم كله على تأسيس وطن لليهود في قلب البلاد العربية (فلسطين أو سورية الجنوبية)

إذا قال الترك اننا نريد أن نعيش أحراراً مستقلين في عقر دارنا ، وهو جزء صغير من سلطنتنا (امبراطوريتنا) الواسعة التي سلبتموها منا ، فالعدل والحق أن نكون فيها مثلكم في بلادكم ، وديننا وقوانيننا توجب علينا أن يكون للمخالفين لنا في الدين من المشمولين بسيادتنا مثل مالنا من الحقوق وعليهم ما علينا ، وماضينا يشهد لنا بتسامحنا . قالت الدول الاوربية القوية : كلا إنكم قوم متعصبون تريدون ظلم المسيحيين ، فاذا قال الترك لهم اذا كارماتهمونا به من الظلم قبيحاً ومحرمًا فلماذا تظلمون المسلمين ؟ وقد سحقت أصواتهم وخفيت أقلامهم وأقلامهم من تكرار التظلم والاستغاثة ، ولا منصف ولا مغيث ، قالوا ان المسلمين متعصبون يستغيثون من العدل والرحمة المسيحية التي نعاملهم بها فلا يقبلونها ؛ وأما المسيحيون عندكم فهم يشكون من ظلم حقيقي اسلامي مثال ذلك — وهو قليل من كثير — اننا رحما عرب فلسطين المسلمين فأعطينا وطنهم لليهود وجعلنا حكومتهم يهودية ، في ظل عدالة الدولة البريطانية ، لاجل أن يعمر هذا الوطن ويرقوا فيه الحضارة وينموا الثروة ، فيعيش العرب في ظلنا وظلمهم ناعمين متمتعين بالحضارة واللذات . فخلهم التعصب والجهل على الشكوى من هذه الرحمة ، بدلا من الشكر على هذه النعمة . وهكذا نريد أن نرحم الارمن في لاناصول والاشوريين في العراق !!! قد حذقت دول الاستعمار الاوربية هذه السياسة ومردت عليها ، وكادت

تقضي على الشرق كله بها . ولولا الاختلاف بينهم على تقسيم بلادهم لما بقي لهذا الذماء من الاستقلال الضعيف المهدد فيه عين ولا أثر . والفضل الا كبر للنهضة التركية الجديدة ان قادتها قاؤا ما أوجرتهم سياسية أوربية من سم اليأس ، وكشفوا ما وضعته على أبصارهم من غشاوة الوهم ، واحتقروا الموت في سبيل حريتهم . فهم قد أجمعوا أمرهم على سد منافذ السيطرة الاوربية السابقة عليهم ، وشرها ما تمتعوا به من الامتيازات ، وما استغلوه من حماية المسيحيين وحقوق الاقليات ، ودسائس المدارس والجمعيات . وتصرف المصارف والشركات .

ولكن الترك قد عرفوا من أوربية ما لم يعرف عرب الحجاز وسورية والعراق ، الذين يبيعهم زعماءهم للاجانب ويمنون عليهم معهم بالتحريض من الاسترقاق ، زاعمين ان المشتري الجديد ، خير من الشريك التليد . وانهم سيقنعونه بالكلام ، على جعلهم شركاء له في الاحكام ، وجعل الرق وسيلة للحرية ، والانتداب ذريعة للاستقلال التام . عرف الترك ان هذه الدول لا تعرف حقاً إلا للحسام ، ولا مستحقا للحرية الا المحتقر للموت الذوام . وسيرى اتحاد دول الحلفاء الكبرى ، ودول البلقان الاخرى ، انهم لا يرهبون اتحادهم ، ولا يرجعهم التهديد والوعيد عن اصرارهم على تحرير بلادهم . فاما أن يضطر الاتحادان العظيمان الى احترام ميثاقهم ، والاعتراف لهم بمساواة أعظم دولهم ، والا أعادوها عليهم (أي الحرب) جذعة ، وذلك ماتأبأ به أممهم ، فانها ملت القتال وبذل الاموال ، وسيكون الفوز للترك أعداء الحلفاء ، والخسار والعار على من محضوهم الود والولاء .

يعلم الحلفاء علم اليقين أن الترك في أشد الحاجة بل الاضطرار الى الصلح لان شعوب أوربية حاربت أربع سنين فأنهكتهم الحرب وأفنت ثرواتهم العظيمة ، والترك حاربوا عشر سنين على قلتهم وفقروهم فهم أحوج الى الراحة وسلامة من بقي من رجالهم ، والانصراف الى عمارة ما خربت الحرب من بلادهم . ويعلم الترك علم اليقين ان شعوب أوربية كلها سئمت الحرب وخسارتها فلا يسمح شعب منهم لدولته بتجديدها لاجل الاجهاز على الترك . بل لا ترغب دولة من دولهم بالقضاء الابدي على دولة الترك الا انكثرة ، وليس من مصلحتها الا نفراد بحريهم ، لمكانتهم من العالم الاسلامي المضطرب ومن الروسية البولشفية ، وما يستطيعان من التأثير في الشرق الادنى كله حيث حياة انكثرة وعظمتها . ولكنها لو علمت ان الترك غير مستعدين للحرب ، لاستطاعت أن تحررهم من ثمرة

النصر ؛ وتراوغمهم الى ان تخضعهم الحاجة والفقر . فلا مندوحة لهم اذا عن التهديد بالحرب ، اذا تعذر ان ينالوا حريتهم المطلقة بالسلم .

فان قيل - بل قيل - كيف يجاربون في عدة ميادين ، للحلفاء والبلقانيين - فنقول ان فرنسا وايطالية لانهاريان الترك ، وروسية تساعدهم على البلقانيين والانكلز ، وهم قادرون على اخذ العراق بفرقة واحدة من جيشهم ، لان اهلها لا يجاربونهم لاجل الدولة البريطانية ، وهم يعلمون ان معاهدتها مع الملك فيصل خديعة استعمارية . ومن اداتها انها لم تسمح لهم بجيش عربي عراقي ليظلوا عالة عليها . وقد خلقت لهم اقلية مسيحية جعلت لها جنداً خاصاً لاجل منع الوحدة الوطنية . فهل يسمح مجلس العموم الانكليزي للورد كرزون المتعصب عدو الاسلام بمئات الملايين من الذهب ومئات الولا ف من الجنود ، ليقا تل به الترك في الموصل ويحتفظ بالعراق ؟ المعقول لا ، وعلم الغيب لله تعالى

﴿ المعاهدة العراقية البريطانية - تابع ما قبله ﴾

والمادة التاسعة تسلب الحكومة العراقية حريتها القضائية بهذا النص « يتعهد جلالة ملك العراق بقبول اللائحة التي يشير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في أمور المدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب إلغاء الامتيازات » الخ وقد كافح المصريون أشد الكفاح في رفض ما هو أقل من هذا القيد مما عرض عليهم ويكافح الترك في لوزان الآن مثل ذلك فيما هو دونه أيضا ، فياحسرة على العراق

والمادة العاشرة في عقود اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقات أو التعهدات التي تعهد ملك الانكليز بتنفيذها في العراق !! ووراء هذا من الغوائل ما هو سالب لكل استقلال

والحادية عشرة في مساواة الرعايا البريطانيين في العراق لغيرهم من دول عصبة الامم والقصد فيها الى إرضائهم مع امتياز الدولة البريطانية بالسيادة الفعلية والثانية عشرة نص في ان « لا تتخذ وسيلة ما لمنع أعمال التبشير أو التدخل فيها » وهذا حجر شديد على حكومة العراق يحول دون محافظتها على كرامة دينها من تكذيب القرآن الحكيم وخاتم النبيين (ص والطعن فيهما والتنفير عن الاسلام من قبل مبشري النصارى وتأويل النصوص بالبطل من

البهائية أنصار الدولة البريطانية السائدة ، ويمنعها من مراقبة أعمالهم ومطبوعاتهم الضارة كما نراه في مصر . وستحدث هذه المادة من الفتن والفساد مالا يعلم عاقبته ! لا الله ، لأن العراق لم يألف احتمال مثل هذا كصر ، ولولا سوء نية الانكليز في هذه المادة لا كتفوا بحرية الاديان حتى في الدعوة اليها بشرط أن لا يطعن واحد في دين الآخر ولا يشوه نصوصه . فان قيل انه قد اشترط فيها « أن لا تخل الاعمال بالنظام العام وحسن ادارة الحكومة » قلنا هذا الشرط سيكون حجة على الحكومة لالها اذا فرضنا أنها تجرأت على التصدي لمنع شيء مما أشرنا اليه والثالثة عشرة في التزام ملك العراق بتنفيذ ما تقرره جمعية الامم لمنع الامراض والرابعة عشرة في سن قانون للآثار القديمة

والخامسة عشرة في عقد اتفاق مالي بين الطرفين ينص فيه على ما يعطي ملك الانكليز لحكومة العراق من المرافق العامة وعلى مساعدة حكومتهم لهم بالمال حسب الحاجة وعلى تصفية ديون العراق . وهذا الاتفاق سيكون مشار آفات وغوائل كبيرة ان لم تقم به حكومة عليمة بدقائق الفنون المالية والمكايد السياسية ، ومسلحة بالشجاعة الأدبية ، فالانكليز استباحوا سلب السودان من مصر بحجة أنهم ساعدوها على فتحه ، بعد أن أجبروها على تقرير تركه ، ثم على فتحه برجالها ومالها وانما ساعدوها بمبلغ حقير لا يوازي ما استغفاده بعض رجالهم منها السادسة عشرة في تعهد ملك الانكليز بقدر ما تسمح له التعهدات الدولية (المجهولة لدى العراق) بان لا يضمن عقبة في سبيل ارتباط العراق مع الدول العربية المجاورة بمقاصد جركية أو غيرها ، ونحوها أن حكومة العراق غير مستقلة ولا حرة في مثل هذا الارتباط بنفسها

والسابعة عشرة في تحكيم محكمة العدل بجمعية الامم في الخلاف الذي يمكن أن يقع بين الطرفين في هذه المعاهدة على أن يكون الاعتماد على النص الانكليزي (٩٩) والثامنة عشرة وهي الاخيرة في كون مدة هذه المعاهدة عشرين سنة ، وليس فيها نص في شكل حكومة العراق بعدها اذا قررت وجوب الغائها ، تكون حرة مستقلة بعد تكوين الانكليز اياها كما يشاؤون ، وتقييدها بالقيود المالية وغيرها كما يهرون ؟ أم يقرون ماشاءوا في امرها ، بدعوى أنهم هم الذين أوجدوها ، وما لهم من المصالح فيها ، والديون عليها ، ؟ نعم هكذا يفعلون ، واذا لم يستقل العراق في فرصة ارتباك العالم الحاضرة ، فستكون كرتهم خاسرة ،

واننا ننصح لاعضاء الجمعية التأسيسية المنتخبة ، بان يطلعوا على جميع ما كتبه المصريون في قضيتهم الحاضرة ، أو المطبوع منه خاصة ، ليكونوا على بصيرة من هذه المعاهدة التي ستكون حجة القوي على الضعيف كما قال (بسمارك) في المعاهدات المنطبقة على القانون الدولي مع الدول العظمى . فما القول في العراق الذي جعلوه تحت وصايتهم ، وأقرتهم دول عصبة لصوص الامم على ذلك لانها آلة في أيديهم ؟

﴿ البهائية بعد موت زعيمهم عباس افندي ﴾

مات في أثناء هذا العام زعيم البهائية عباس أفندي ابن بهاء الله إليهم ومشرعهم ، وكان يلقب نفسه ويلقبونه بعبد البهاء اعترافاً بالوهمية والده ، وقد وقع الشقاق بينهم فيمن يخلفه فيهم ، فانه قد أوصى لرجل غير الذي أوصى له والده ، ولكل من الخليفتين حزب يتبعه ويؤيده . ويخذل الآخر ويفنده ، وذلك صدع لوحدهم ، وقد كان مشاراً للمعجب أن يوصي العبد ، بما يخالف أمر الرب ، واذا ظهر السبب ، بطل المعجب ،

هذا الدين الجديد ، طور عصري لضلال الباطنية القديم ، وكان عباس افندي أدهى مؤسسيه وناشريه ، حتى انه حظ الى اليوم اظهار كتابهم الذي يسمونه (الكتاب الاقدس) لانه اذا تناولته الابدي يتعذر نشر الدعوة في كل شعب وقطر بما يناسب أفكار أهله وعقائدهم ومشاربهم . فان أهل الحضارة في هذا العصر ، يكثر فيهم المستقلون في تفكير ، فلا سهل أن تنشر فيهم دعوة الى دين له أصل معروف : كتاب يدعو انه ، قدس ، معصوم ، الا ويكون الحكم في هذه الدعوة لنصوص هذا الكتاب ، دون ما تزينه الدعاة من الدعاوي وتزوره من الاختلاب ، تستميل به المستعدين ، وتكتفي أمر المعارضين والمستعدين ، وقد كان عباس جذيلهم المحكم ، وعذيقهم المرجب ، وانما كان والده البهاء شخصاً يشغلون به الخيال ، وينزهونه عن القول والقيـل والقال ، فلا يسمح للناس برؤيته ، ولا بمراجعتة ومرادته ، لئلا تعرفه الحواس والعقول ، وتحكم له أو عليه بما يفعل ويقول ، وكان عباس يخبر عنه كل من اضطر الى ذكره له ، بما يرجو بفراسته أن يستحسنه ويقبله ، شأنه في الاخبار عن نحلتهم ، والحكاية عن مذهبهم أو طريقتهم وقد سبق لنا ذكر الشواهد على هذا

قد خدع كثير من عقلاء المسلمين وأذكيائهم بنفاقهم ودهاء عباس افندي

الذي كان يدعي أنه من المسلمين المصلحين ، فلا غرابة اذا اتخذ غيرهم لهم ، وان علموا كثيرا من أصول دينهم . اذا كانوا من غير المسلمين العارفين بحقيقة الاسلام ، وأما من يعرف حقيقة التوحيد فيستحيل أن يقبل عقيدة وثنية ، ومن يعرف ما كرم الله به البشر ورفع من شأن حريتهم بالاسلام ، فلا يعقل ان يرضى لنفسه بأن يكون عبدا لبشر مثله كالزعيم الملقب بالبهاء .

وقد بلغني في هذه الايام أن م.م. احمد افندي صفوت صاحب الخطبة الذي اقترح بها على المسلمين هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والقياس ، والاخذ بمقاصد القرآن دون دلالة لفظه في الاحكام ، وهي التي رددت عليها من قبل في المنار ، فظهر لي الآن سر ما فيها من النفاق والمرء ، غير المعهود من صحيح العقيدة ولا فاسدها من رجال القضاء ، وسر اعتماد الانكليز على صاحبها وندبهم له لاصلاح القضاء في فلسطين ، وأنه من كيدهم الخفي لهذا الدين ، والدائية صنائهم في كل مكان ، ولا سيما العراق وايران ، وقد كان لروحي افندي من بطانة الوكالة البريطانية في جده دسائس كثيرة في الحجاز

ومنهم شيخ الذي كتب مقالة جهلية في الخلافة ووصف نفسه في امضائها بأنه من علماء الاسلام وأنه وكيل جمعية حفظ الخلافة . فتصدى كثير من العلماء للرد عليه ، وأنكر بعضهم كونه عالما أزهريا مصرياً ، والحق أنه مصري أزهرى ، ولكنه مضطرب غير عالم ولا مسلم ، بل هو بهائي ، وحسبنا في الرد عليه أنه بهائي ،

كانت الدولة العثمانية مشرطة على البائية - البهائية والازلية - جميعا أن لا يدعوا الدين في بلادها . والا أخرجتهم منها . فلم يكونوا يبتشرون دعوتهم الا في مصر ، وبطريق المناظرة والمغالطة دون الجهر . وقد أصابت لجنة الدستور بعدم اصغائها الى طلبهم الاعتراف بدينهم كما طلبوا ، فان نص في الدستور المصري على حرية كل دين وإباحة كل دعوة فسترى مصر فتنا عظيمة من البهائية لانهم يدعون العامة الى دين جديد باسم الاسلام ممن يلبسون لباس علماء المسلمين ويدعون الاسلام . ولو صرحوا بدينهم ودعوا اليه ولم يحرقوا القرآن والسنة له لكان أمرهم . وسنعود الى الكلام في شأنهم ان شاء الله تعالى

﴿ خاتمة المجلد الثالث والعشرين ﴾

باسم الله وبحمده نختتم هذا المجلد من المنار كما افتتحناه بهما ، ونسأله تعالى أن يجعل كل أعمالنا صالحة له وبإسمه ، وان يوفقنا دائما الى التسييح بحمده ،

وبجعلنا من عبید نعمته وشكره .

ومن فضله ونعمته أن أقدرنا على الاستمرار على إصدار المنار ، على فقد الاعوان والانصار ، ومطل أكثر المشتركين في جميع الاطوار ، بعد ان كان جل شكوانا من أبناء هذه الديار ، ولا سيما الاغنياء الكبار ، فليس سبب ذلك القلة ، بل ما يعرفه المتفكرون في أنفسهم ، وما قصر فيه المسلمون عن شأن غيرهم ، فان المنار تخصص باصلاح شؤونهم في دينهم ودنياهم ، فشأنهم معه : قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في كلمته المأثورة .

ومما دينا من المواد للمجلد الرابع والعشرين فتاوى ورسائل مهمة لشيخ الاسلام ابن تيمية لم تنشر بعد وبقي ما ننشر مسلسلا ككتاب (من الخرافات) ورحلة أوربة وتتمه كتاب الخلافة لاسلامية للزعيم الهندي الكبير الشيخ أبو الكلام أحمد . وتتمه ما بدأنا به من المقال في هذه لمسألة التي صارت اليوم أم المسائل الاسلامية وأهمها ، وأحوجها الى تعاون أهل العلم والرأي في بيان حقيقتها ووسائل إقامتها ، ومما يناسب هذا تتمه مقالات (مدنية القوانين) فان الخلافة عدوة المتفرنجين ولدينا ترجمة خطب ذلك الزعيم الهندي الذي قدمه الى المحكمة الانكليزية عند ما أرادت محاكمته على بعض خطبه المحرصة على حكومة الهند ، وهو خطاب غريب في بابه ، لا يتجرأ على مثله لا من كان مثل موقظ الشرق وواضع أساس الاصلاح الاسلامي ، المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ، وسيرى قراءه ان خطب زعيم مصر (سعد باشا زغلول) تعد في غاية اللين والاحتراس بالنسبة الى خطب زعيم الهند . وله مقدمة مترجمة تليدنا الشيخ عبد الرزاق المليحي في وصف الثورة الهندية السامية ، وخلاصة أعمالها : لا تستغني بلادنا المصرية وأمثالها عن الاطاعة بها ولدينا رسالة تاريخية غريبة في بابها أيضا عنوانها (انتداب العرب في سويسرة في القرون الوسطى) للامير شكيب ارسلان الشهير ، ووجدنا بترجمة ما هو أهم منها عند جميع المسلمين

وسنعود ان شاء الله تعالى الى تقريظ المطبوعات الحديثة وكذا كتبنا في ذلك شيئاً للاجزاء الاخيرة فاضطررنا الى ارجائه مباحث الخلافة

فعمى أن نجد من القراء ما يشد أزرنا ، ويكون عوناً لنا على جهادنا ، من أداء الحق ، والنوصي بالحق والصبر ، والله الحمد من قبل ومن بعد . وصلى الله على خاتم الرسل وهادي الخلق ، وآله وصحبه وسلم



Bibliotheca Alexandrina



0551746